

مكتبة ١١٥٩
يوميات
جان بول سارتر
دفاتر
الحرب الغريبة
المترجم: عبد الوهّاب الملوّح
صفحة
٧

Carnets De La Drole De Guerre

Jean-Paul Sartre

دفاتر الحرب الغريبة

تأليف

جان بول سارتر

المترجم: عبد الوهاب ملوح





الكتاب
دفاتر الحرب الغريبة

المؤلف
جان بول سارتر

الطّبعة الأولى: 2021

التّرقيم الدولي:
978-603-91551-9-5
رقم الإيداع:
1442/6051

E-mail : admin@page-7.com
Website: www.page-7.com
Tel.: (00966)583210696

العنوان: الجبيل، شارع مشهور،
المملكة العربيّة السّعوديّة

دفاتر الحرب الغريبة

سبتمبر 1939- مارس 1940

قامت بتوضيبها وعلَّقت علي حواشيها:

أرليت القيم-سارتر

21 /08 /20

الفهرس

تقديم



من بين الدّفاتر الخمسة عشر الّتي كتبها «سارتر» خلال الفترة الممتدّة ما بين سبتمبر 1939 ويونيو 1940، نُشرت خمسة فقط في طبعة أولى سنة 1983؛ وهي الدّفاتر الوحيدة الّتي عثرنا عليها إلى حدود ذلك الوقت. أمّا فيما يخصّ بقيّة الدّفاتر فمعلوماتنا تكاد تنعدم حول ملابسات ضياعها، هذا إن لم يختف بعضها خلال الحرب نفسها، وربّما ضاع بعضها سنة 1961 أو1962 بين عمليّتي هدم بيت سارتر الواقع في رقم 42، نهج بونابرت، واللّتين نفّذتهما المنظّمة السّرّية المسلّحة، خلال انتقاله إلى بيت آخر إثر هذه الواقعة. بيْد أنّه في يونيو 1991، ظهر الدّفتر الأوّل من جديد، واتّضح أنّه ضمن مجموعة يمتلكها أحد جامعي الكتب النّادرة منذ ثلاثين سنة خلت. وبفضل جهود المكتبة الوطنية الّتي حصلت على هذا الدّفتر، نقدّم اليوم طبعة جديدة من دفاتر الحرب الغريبة[1]، مزيدة بهذا الدّفتر الجديد الّذي يميط اللّثام للقارئ عن الحالة الذّهنيّة لسارتر لحظة انطلاقه في الأيام الأولى للحرب، ويكشف

1.نقرأ في الصفحة الأولى من الدفتر الأول:

يوميات حرب

سبتمبر –أكتوبر1939

إلى العزيز كاستور

توقيع ج.ب. سارتر

على نفس الصفحة الأولى من بقية الدفاتر دفتر3، دفتر5، الخ... تتبعها فترة الكتابة والمواقع التي كُتبت فيها؛ تختفي عبارة يوميات حرب، كما هو الشأن بالنسبة لسارتر على الأقل ظلت الحرب شبحا إلى أبعد حد، وهو ما لم يكن يعلمه طبعا حين شرع في تدوين هذه الكلمات يوم 19أكتوبر 1939(رسائل إلى كاستور وبعض الآخرين غاليمار 1983)، وبعد ذلك عنون يومياته بكل وضوح دفاتر الحرب الغريبة وقد حافظنا على نفس العنوان كما ورد في الطبعة الأولى.

عن طبيعة الأسئلة الحيويّة الّتي دفعته إلى كتابتها، بالإضافة إلى أنّه يشير إلى الأدوار المتعدّدة – سنرى أنّها متناقضة أحيانا –الّتي خصّ بها دفاتره هذه، ويبرز الطّريقة الّتي بها تشابكت، شيئا فشيئا، حياته الشّخصيّة بالفلسفة.

في الـ 2 من سبتمبر 1939 يحاول المجنَّد، وسط القطار الّذي يحمله مع عدّة غرباء نحو جهة غير معلومة، استعراض الموقف الّذي من المفروض أن يواجهه، دون أن يحمل في ذهنه سوى مرجعيّة واحدة، لكنّها مدمّرة، إنّها الحرب العظمى المرعبة الّتي واجه فيها إخوته الكبار نفس الأعداء قبل 25 سنة. كيف يجب أن أتصرّف؟ هل سأبقى على قيد الحياة؟ ربّما ليضمن قبل كلّ شيء إجابة مشرّفة عن السّؤال الأوّل، شرع «سارتر» في كتابة «يوميّات الحرب»، وبالنّسبة إلى السّؤال الثّاني فهو لا يستدعي إجابة؛ أليست الكتابة في حدّ ذاتها جوابا؟

وبينما يتصفَّح «سارتر» دفتره الأول، سجّل ما يلي:

كنت أخوض حربا على صورتي: بورجوازيّا كما أنا، مكّنتني توصية من اختيار سلاحي؛ مسالما، لقد اعتبرت الحرب سلميّة؛ ولأنّني كنت مناهضا للحرب، أردت أن أخوض الحرب بوصفي جنديّا عاديّا (أنا الّذي كنت مناهضا للحرب بما أنّني مثقف). ولأنّني كنت غير قادر على الجهد الجسديّ (أعاني من الحَوَل)، فقد خضت الحرب ضمن قوّات الاحتياط. شاركت في الحرب وعمري أربع وثلاثين سنة رفقة مجنّدين محافظين؛ أي أنّهم كانوا رجالا متزوّجين وآباء عائلات. ومن جهة أخرى، كانت الحرب تعكس إرادتنا العميقة في عدم خوض القتال بما أنّ «هتلر»، مدركا لمشاعرنا، لن يهاجم كي يترك هذه الحرب تتعفّن. وهذا يعني أنّني كنت أرى نفسي في هذه الحرب، الّتي بدورها تنعكس فيَّ وتعكس فيَّ صورتها. كانت النّتيجة أن أكتب في البدء عن الحرب، وفي النهاية وجدتني أكتب عن نفسي. وهكذا تحوّلت الحرب بالنّسبة إليّ بمثابة خلوة[2].

والحقيقة أنّ سارتر، ومنذ الدّفتر الأوّل كتب في الآن نفسه عن الحرب وعن نفسه

2.التأكيد هنا من سارتر. فهذا المقطع مأخوذ من صفحة مُسودة لا بقية لها، كان ينوي في تلك الفترة استعادة تاريخ علاقاته مع السياسة.

أيضا. لقد فاجأه إعلان الحرب في فترة غير مناسبة من وجوده. لقد كان في فجر حياته بوصفه كاتبا؛ فجر مشعّ ومتألّق؛ حيث كان قد نشر بنجاح **الغثيان**، و**الجدار**، وكذلك بعض الكتابات الفلسفيّة: **التّخيّل، ونظرة إجماليّة لنظريّة الانفعالات**، والمتخيّل الذي كان في طور النّشر. لقد كان يمثّل بالنّسبة إلى النّاشرين والمجلّات التي تنشر كتاباته كاتب المستقبل الشّابّ. كان قد شرع في سلسلة روائيّة طموحة، ظلّ يشتغل فيها على المجلّد الأوّل خلال فترة هذه التّعبئة الشّاغرة[3]. كان يفور بمشاريع أدبيّة وفلسفية، بيد أنّه بالرّغم من هذا التّوسّع الإبداعيّ، وجد نفسه فريسة ضيق أبكم. حبّ مُشَوَّش، طيش، كوميديا مغرية، تملّك وعدم وفاء، هكذا كانت علاقته بالآخرين، وبنفسه أيضا الّتي لايحبّها في حياته االعاطفيّة «الثلاثيّة في جزء منها». وبوصفه مواطنا أيضا، رأى «سارتر» نفسه في حال «قذارة» أخلاقيّة: فرغم أنّه لم يبارك معاهدات ميونيخ، هو الّذي رضع منذ صباه الحليب السّلميّ لـ «آلان»، فإنّه لم يُعِد النّظر جيّدا في أسلوب الحقيقة المطلقة للحجج الّتي وضعها هذا الفيلسوف في **مارس أو محاكمة الحرب** في مستهلّ العشرينيات [من القرن الماضي]، لم يعرف كيف يفكّر في هذه الحرب، لا باعتباره محتجّا [عليها]، ولا بوصفه مقتنعا أتمّ الاقتناع بضرورتها. لقد كان سلبيّا إزاء عمليّة تجنيده. ثمّ وجد نفسه بغتة ملقى في عالم من الرّجال من مختلف الأنواع، هو الّذي منذ نهاية دراسته ظلّ يعيش محاطا بنساء جميلات وعاشقات، وهاهو يكتشف فجأة أنّه لا يعرف كيف يتصرّف في محيط ذكوريّ؛ وهو ما أحيا في نفسه ذكريات حارقة تعود إلى مراهقته المبكّرة في معهد لاروشيل، خلال الحرب العالميّة الأولى؛ ممّا جعله يقاسي ألما موجعا، بلا أب، بين مراهقين غلاظ.

كان من الضّروريّ تمحيص كلّ هذه النّقائص الّتي أتاح البعد إمكانيّة تشكيلها أو إماطة اللّثام عنها واكتشاف أسبابها – للتّغيير؛ وإلّا كيف لا يمكن الارتياب في الذّات حين تبدأ المعارك؟ في الانتظار، وبما أنّه لم يكن واثقا من العثور في داخله عن المنابع الأساسيّة ليكون رجل حرب نافع، لجأ إلى أخلاق كانت إلى ذلك الوقت محلّ اهتمام عنده؛ ألا وهي الفلسفة الرّواقيّة ووثق بتعليماتها الّتي تمليها. من الرّواقية إلى الأصالة،

3. المقصود هنا عصر العقل المجلد الأول من دروب الحرية منشور سنة 1945.

من سوء النيّة الّتي يؤاخذ نفسه عليها إلى سوء النيّة الملازمة لكلّ ما هو واقع بشريّ، من الوعي الّذي هو بمثابة نقصان في نظريّته حول العدم، من إرادته في الالتزام بما تمليه عليه ذاته في تصوّره الفلسفيّ للحرّيّة، من أخلاق الكائن إلى تلك الخاصّة بالفعل، ها نحن ذا من خلال هذه الدّفاتر، أمام ما يمكن اعتباره منابع إنجازاته الفكريّة القادمة: التّفلسف والتّقدّم، كتابة **عصر العقل** واكتساب عصر العقل؛ هذا هو المشروع الوحيد، الّذي يتّخذ شكل نذور الموت: فضياعه الجسديّ ممكن، ولكن خاصّة ضياع عالم بدأ يبرز فيه بوصفه كاتبا مشهورا كان يريد أن يؤثر فيه ويسعى لتنويره، ينازعه أو يثريه بأفكاره أو بمشاعره الخاصّة. فخلف تفاؤله الحادّ، ثمّة أثر لكابوس مطلق: انغلاق أوروبّا في الإيديولوجيّة النّازيّة: الّتي سوف تثبت ملاءمتها من خلال انتصاراتها العسكريّة، وإسباغ الصّبغة النّازيّة على الأذهان. إنّ موته هنا هو بقاء ابتدائيّ من خلال يوميّاته، مكثّفة في شخص وفي أعمال لم يكن من الممكن أن يكون لهما وجود، وفي يوم مّا، يوم بعيد للغاية، ربّما...

لكن إن كان سارتر يتوقّع الخسارة، فهو لا يتعلّق بهذه الفرضيّة المدمّرة، بل إنّه يتركها معلّقة؛ لأنّها متناقضة جدّا مع مهمّة الكتابة الّتي استولت عليه منذ الصّغر، والّتي تثير بين الفينة والأخرى حماسه الشّديد. مختزلا في العجز، يريد أن يجعل من هذا الزّمن الضّائع تجربة شخصيّة، كما لو أنّها فرصته تقريبا، من خلال هذه الفترة المقطوعة من عمره والمفروضة على حياته القادمة. فهي بالنّسبة إليه بمثابة استباق، متّبعا في ذلك المبدأ الرّواقيّ القائل: لا تطلب إطلاقا أن تأتي الأشياء كما ترغب فيها أنت، بل ارغب في حدوثها كما سوف تحدث. استعادة الذّات في شموليّتها من خلال الوعي ليست بطبيعة الحال سوى إحدى توجّهات إرادته، وليست إنجازا مكتملا: تقاوم كينونته الحسّاسة المتألّمة الاستبطان، و«الكائن المنخرط في الحرب» اليوميّة يستحوذ على أمزجته، وأفكاره، وقراءاته. وبعيد عن أن يبحث عن الاستغراق في نفسه، يُعوِّد ذاته على أن يأخذ بعين الاعتبار الذّوق الجمعيّ لهذه الحرب الغريبة؛ ذلك لأنّه يشعر بعمق أنّ هذا الحاضر «المسطّح وعديم الشّكل» هو في الأخير حدث تاريخيّ. يتحدّث عمّا يحيط به باعتباره كاتبا ومجنّدا – يمرّ الأدب في صمت لكن ليس

متغيّبا - يُدوِّن أحداثه وحركاته العسكريّة، وتلك الّتي يقوم بها «رفاقه»، مساعدون حزانى لحرب غير موجودة، يكتب بين تأليفين فلسفيّين آراءهم حول الحرب، مشاجراتهم الصّبيانيّة، ملل أيّام الآحاد، أخبار اليوم، خطابات «هتلر» المذاعة أو خطابات «دالادييه» الّتي تثير في داخله انفعالات شبيهة بما يردّده رفاقه. كان احتساء الخمر يداعب أحاسيسه، وذلك ليحتمل الإهانة - لقد أعلنوا الحرب لكنّنا لن نقوم بها - والإحساس المتعاظم بالخسارة الأخلاقيّة الّذي يسبق الكارثة؛ أحيانا يترك أحدهم يتحدّث مطوّلا. لقد كان «سارتر» كاتب يرسم الملامح البارزة لمنجزه، وفي دفاتره هذه هو أيضا جنديّ من الجنود الشّاهدين على هذه الحرب الغريبة.

آرليت القيم-سارتر

تحذير

عادة ما يُعلم «سارتر» «سيمون دي بوفوار» في رسائله المعتادة إليها بما يكتبه في دفاتره. فبالنّسبة إلى الفترات الّتي اختفت فيها الدّفاتر، اخترنا ذكر أو تلخيص ما ورد في هذه الرّسائل فيما يخصّ الدّفاتر، وبالأساس ما يتعلّق بها. هكذا لا ينقطع خيط عمل «سارتر» على ما يكتبه عن نفسه وعن روايته، وعن توجّهات تفكيره الّتي ستقوده نحو تأليف كتاب **الوجود والعدم**، حتّى وإن كان لا يقدّم هنا سوى تخطيط أوّليّ. سوف يجد القارئ هذه الإضافات في الملحق.

على أنّه لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الرّسائل مذكورة هنا انطلاقا من المخطوط الأصليّ، وليست مأخوذة من الطّبعة الّتي أعدّتها «سيمون دي بوفوار». فبعض المقاطع الّتى حذفتها «سيمون» لم يعد لها أثر منذ اللّحظة الّتي أصبحت فيها هذه الرّسائل ويوميات الحرب منشورة.

أتقدّم بالشّكر إلـى «موريسات بيرن» من المكتبة الوطنيّة، ولـ «أني صورناغا» لتعاونهما معي، كما أشكر «كلير بولهان» الّتي مكّنتني، بكلّ ودٍّ، من بعض رسائل «سارتر» لـ «جان بولهان».

الدّفتر الأوّل

سبتمبر- أكتوبر 1939

مارموتييه-ايتينهايم-بروماث

مارموتييه، الخميس 14 سبتمبر39 [4]

عجيبة تلك العلاقة بين الرّواقيّة والتّفاؤل. ذلك أنّنا نجدها عند الرّواقيّ القديم الّذي هو في حاجة إلى أن يؤمن أنّ العالم طيّب. فهي آليّات نفسيّة أكثر من أن تكون مجرّد علاقة نظريّة. بل إنّها خدعة لتهدئة النّفس، أو فخّ للّا أصالة. لقد انطلقت «رواقيّا»، وهو ما يفترض من جهة أن أتخلّى عن كلّ ما شكّل حياتي الماضية، وأن أقبل من جهة أخرى مستقبلا تنعدم فيه كلّ إمكانيّاتي الذّاتيّة؛ أي ما يسمّونه هنا «متفجّرا حيويّة». ولقد قبلت أن أكون كذلك، غير أنّني لم أضع بعين الاعتبار أنّ جوهر هذه الحالة يتطلّب شكلا من أشكال الانقياد الإعجابيّ بالسّلطة العسكريّة الّتي أخضع لها. فمنذ اللّحظة الّتي سلّمت فيها نفسي إلى هذه السّلطة، صرت أثق فيها، وأتوقّف عن كوني شخصا حقودًا [5]. كلّ هذا يتأتّى بشكل بديهيّ ممّا تصوّرته استقالة حرّة من نفسي. فقدت ذهني النّاقد، واكتشفت منذ الأيّام الأولى كم يشعرني انتقاد الضّبّاط أمامي بالحزن بشكل غير لائق. من المؤكّد أنّ الموقف الشّهير «أن تقول لا» يتضمّن في

---

4. سارتر المجنّد في 2 سبتمبر وصل مارموتييه (باريهن) يوم 11.

5. هذه العبارة التي سوف يستعملها سارتر كثيرا في كتاباته، أخذها من عند الفيلسوف الألماني ماكس شيللر الذي عالج في كتابه (إنسان الحقد) الصادر عن دار غاليمار سنة 1933 أهمية الحقد في ولادة المسيحية حسب نيتشه.

حدّ ذاته الارتياب والتّحفّظ. وعلى العكس من ذلك، فمن حيث المبدأ ينجم عن الانخراط الإعجاب؛ وهو أكثر شيء أمقته. منشغلا كثيرا بأن أكون كما أنا، لنفسي، أي بلا يأس ولا جبن، لم أستطع الحسم بين أن «أقول نعم»، أو أن «أقول لا». لم أُولِ الوضع المنطقيّ أيّ اهتمام. لحسن الحظّ أنّني وجدت نفسي على تواصل مع «العريف بول»؛ ولأنّه كان اشتراكيّا فقد كان غاضبا وثوريّا. لا، ليس من أولئك الّذين يقولون «لا»، لكنّه من الّذين يفقدون عقولهم، أحيانا خشية من القيادة العليا، وأحيانا أخرى يلقي بالشّتائم. والنّتيجة أنّني بدأت أرى الوضع الحقيقيّ. ناهيك عن أنّ هذا التّنقّل المحزن من سانتراي إلى مارموتيه قد فتح عينيَّ: لقد بقي الجيش على حاله في الحرب كما في السّلم. لابدّ إذن من تفكيك ذلك القبول بالإعجاب؛ وهذا ما حدث الآن. يبقى في الوقت الرّاهن ضرورة النّظر في الوضعية الموضوعيّة.

محنة رواقيّ

إنه لمشهد مضحك قدوم ذلك الشّخص (المتفجّر حيويّة) وسط مجموعة من الختَّالين، الأنذال، الكسالى الّذين منهم من يكاد يقضي نحبه خوفا من الموت، ومنهم من يبحث عن استغلال الوضع لصالحه. في الأثناء، لا يهتمّ النوّع الثالث منهم بأيّ شيء عدا التّفكير في احتساء كأس نبيذ صباح مساء. يشعر الرّواقيّ أنّه مدعاة للسّخرية، ثمّ أنّ كل هذه الحيل تشدّه، حتّى إنّه أصبح شريكا فيها. لكن، حين نفكّر جيّدا في الأمر، هناك شيء مّا في داخلي يبرّر اندماجي مع هذه المجموعة. لقد كنت رواقيّا متّخذا من ذلك حيلة. تقوم رواقيتي أساسا على ضياع حياتي التي عشتها إلى حدّ الآن، وليس على مخاطر الموت الّتي تواجهني. لقد انطلقت في مغامرتي الجديدة عازما على العودة مرّة أخرى إلى الرّواقيّة، وفكّرت منذ البدء أنّ اختصاصي في أحوال الطّقس سوف يسمح لي بالتّخلّص من عدّة التزامات (فيما يخصّ الأشغال الصّعبة، والإقامة في مقصورات مع آخرين، إلخ). ليس لي إذن إلّا ما أستحقّه. لقد وقعت ضمن مجموعة من الأشخاص الّذين يتقاسمون معي نفس اهتماماتي الأساسيّة، لكنّهم لم يكونوا معنيّين بالأدب والصّلصة الفلسفيّة للرواقية. كانوا يريدون أن

ينقذوا جلدهم؛ وهم يعترفون بذلك بسذاجة. أنا، كذلك، أريد أن أنقذ جلدي، غير أنّي أريد «الارتفاع بمستوى النّقاش»، انحراف مهنيّ. أليست هذه الطّريقة الرّواقيّة الّتي اعتمدتها هي بدورها شكل من أشكال الدّفاع النّفسيّ؟ في جميع الحالات لن أكون ذلك الشّخص «العاري» الّذي أردت أن أكونه، لكن وبكلّ بساطة سأكون شخصا مكبوتا، ولكي أخفّف من ألمي قليلا، قمت بكبت ذكرياتي المدنيّة وصداقاتي وعلاقاتي العاطفيّة، تماما مثلما يكبت آخرون رغباتهم الجنسيّة. وطبعا، فعبارة «كبت» هنا رمزيّة؛ فالمقصود بها إقامة حاجز واعٍ. والمؤكّد بطبيعة الحال أنّني أقلّ شقاء بكثير ممّا لو قبلت أن أتالّم فعلا. من المؤكّد أيضاً أنّ «بول» الاشتراكيّ، عكسي أنا تماما، يعتبر أنّ الأصالة تكمن في التّأوّهات والبكاء. يريد أن يرثي وضعه؛ لأنّه يظن أن يظفر منه، وهو يتأوّه، بصورة أقرب للحقيقة. لكن، لو أنّه اختبر وعْيه بشكل طبيعي، سوف يرى هو بدوره أصالته تفقد وعيها؛ لأنّه يبرّر في تأوّهاته امتداداته التّشاؤميّة.

عالم الحرب

لم أر الحرب وبدت لي غير قابلة للإمساك بها، غير أنّني رأيت عالم الحرب؛ وهو بكلّ بساطة الغالم مُعسكرًا. لقد تغيّر معنى الأشياء.

يظلّ الفندق هنا جاهزا حفيًّا غير أنّه يستقبل الفراغ. أي أنّ هذه الإمكانيّة تدمّر نفسها بنفسها وتصبح اعتباطيّة. يستقبل الفندق مقابل المال ويستحضر حرّيّة بورجوازيّة؛ الحرّيّة مقابل المال. غير أنّ عالم الحرب هو عالم بلا أموال ولا حرّيّة. هذا الفندق صادرته إدارة الجيش. يقيم فيه جنود لا يدفعون أيّ شيء ولا يقيمون فيه بحرّيّة. فالفندق بالنّسبة للّذي يقرأ ما كُتب على بابه: كلمة «إدارة»، تثير معنى جديدا: القسريّة المجّانيّة. لقد أصبح في نفس الوقت أداة شغل صرف - يعني مهما كانت الرّفاهية القديمة للشّيء، يتمّ ترتيب الأمر ليخدم ما هو أساسيّ فقط. فالغرفة المتأنّقة التي يجب أن تغري المسافر لا تصلح الآن سوى لمبيت للجنود الّذين يحتلّونها، ينامون فيها، ولكن على القشّ. أمّا السّرير فقد تمّ نقله أو لا يُستعمل البتّة. هكذا تمّ تدمير المعنى الإنسانيّ للشّيء قبل أن تدمّر القنبلة الشّيء الّذي صنعه الإنسان. في الحرب

نتجوّل في عالم -أداتيّ، كما في الثّكنة تماما. غير أنّه بما أنّ نِعَم الأشياء المتأنّقة تظلّ باقية، ينتج عن ذلك في كلّ لحظة نداء متلاش لعالم مفقود؛ وَهْم متواصل.

ليست مسافة الأشياء عن الإنسان في الحرب هي نفسها المسافة زمن السّلم. لقد شعرت بذلك ذلك اليوم بآرزويللر: كانت هناك غابة صنوبر على صخرة حمراء تبعد قرابة خمسين مترا عن الطّريق. نمنا على حافّة الطّريق، مُثقلين ببنادقنا، وحقائبنا، ومعاطفنا مثل جعلان مستلقية على ظهرها. أحببت، ليس الذّهاب إلى تلك الغابة، ولكن التّفكير في إمكانيّة أن أذهب، غير أنّ التّفكير في ذلك كان مستحيلا، لم يكن في حدود إمكانيّاتي. كانت خمسون مترا كافية لجعل ذلك المكان في منأى منّا، فتحوّل إذن إلى مجرّد ديكور. هكذا أصبحت مارموتييه بالنّسبة إليّ خالية من الضّواحي بما أنّه ليس بإمكاني الخروج منها. ثمَّة في عالم الحرب دروب ثقيلة وخطيرة، وهناك أيضا ديكورات. وحتّى أتوقّف عن أن أكون في حدود إمكانيّاتي، تفقد كلّ الأقاصي حقيقتها. هذا ما يردّده الجنود حين يُعبِّرون عن مشهد رائق في قرية بديعة: «سنعود إليها زمن السّلم».

الحرب اشتراكيّة؛ فهي تختزل الممتلكات الفرديّة للشّخص في اللّاشيء، وتعوّضها بالممتلكات الجمعيّة. لم تعد ثيابي، مرقدي، أو أغذيتي ملكا لي. لم يعد لي مسكن. كلّ ما أستعمله هو ملك للمجموعة، ولا يمكنني أن أتعلّق به لأنّ هذا الجمعيّ لا شخصيّ، بالتّحديد لأنّه جمعيّ. للحقيقة، كان الدّخول في حرب، بالنّسبة إليّ، لا يرتبط بسلبي ممتلكاتي الشّخصيّة بما أنّه لم تكن لديّ ممتلكات شخصيّة؛ لم أكن أملك مسكنا، ولا أثاثا، ولا كتبا، ولا مكتبة. كنت أتناول أكلي في مطعم، وعندي من الثّياب ما أحتاجه فقط. لكنّ الحرب غمرتني بمجموعة من الأدوات الّتي هي في ملك المجموعة، وليس لي إلّا أن أستعملها: خوذة، قناع، حزام، حذاء، بندقيّة، إلخ. هاأنا ذا في الاشتركية طوعا أو كرها. ومتعافى من الاشتراكيّة، إن كنت محتاجا فعلا إلى التّعافي.

في الحرب كما في السّلم، تُحيل كلّ هذه الأشياء- الأدوات إلى معنى أوّليّ: المطرقة لطرق المسمار، المسمار ليُثبِّت سقفا، إلخ. غير أنّ المعنى الوحيد هو نفسه في السّلم:

حماية الحياة البشريّة. أمّا المعنى الوحيد لهذه الأدوات في زمن الحرب فهو التّدمير؛ وهذا واضح بالنّسبة إلى المدفع أو البندقيّة. غير أنّ ما يلفت الانتباه في عالم الحرب أنّ هذه الأشياء الّتي تصلح لحماية الإنسان هي هنا سليمة، ومعناها الأخير في الوقت الحاضر هو التّدمير. هذا الفندق، هذه المطرقة، هذا المسمار، هذا السّقف، كلّ هذا يصلح في الأصل للحماية، غير أنّ هذه الحماية لم تعد الهدف النّهائيّ. الحماية في حدّ ذاتها ليست هنا إلّا للتّدمير. ليس كلّ هذا استدلالا منطقيّا؛ فهذا نشعر به من خلال الأشياء، وهو أحد أسباب الالتباس الجوهريّ للأشياء في زمن الحرب: أشياء فاخرة تصبح مجرّد أدوات، محافظةً في الوقت نفسه على أبّهتها، أشياء هي في الأصل للحماية تواصل دورها في الحماية، مكتسبة معنى كارثيّا وسرّيّا للتّدمير.

يكمن لايقيني الأخلاقيّ في أنّني في حرب لأنّني بالأساس ملزم بعقْد تجنيد – وهذا كلّ شيء. يبقى السّبب الأخلاقيّ الّذي أصبح أساسيّا جرَّاء رغبتي في أن أكون حرّا؛ أي أن أقوم أنا بتسيير الأحداث. فبالنّسبة إليّ، أن أقول «أقبل بالحرب»، تشبه تماما إعلان «بورلاب دوكونتربوان» [6]: «أقبل بالعالم». لقد خمّنت ذلك وانطلقت على غير استعداد. لقد كنت في مارس أقول: «تتيح لي الهتلريّة سببا لخوض المعركة»، ولكن في سبتمبر 1939 قلت: «أتحمّل الحرب وأقبلها مثل وباء الكوليرا». غير أنّها وجهة نظر مخطئة، كما تؤكّد ذلك الكاستور [7]. ليست الحرب وباءً، بل هي فعل بشريّ ابتكرته إرادة حرّة. من المستحيل اعتبارها شبيهة بمرض موجع تتصرّف الرّواقيّة البسيطة ضدّه بشراسة. وبما أنّني طبعا آمل أن تنتهي هذه الحرب في أسرع وقت ممكن، انتهى بي الأمر – كما سبق وقلت ذلك – إلى أن أضع ثقتي في القيادة العسكريّة كما يضع المريض ثقته في الطّبيب. من هنا جاءت القذارة. هي في الحقيقة لا يقينيّة عميقة فيما يخصّ موقفي من الحرب. لقد كنت هشّا.

---

6. رواية الدوس هكسلي، بلون 1930.

7. للتذكير فإن سيمون دي بوفوار يسمونها المقربون منها الكاستور.

الجمعة 15

فجأة؛ وجدتني أفكّر في «زيورو»[8]، و«غيي»[9] اللّذين تمّ تجنيدهما مثلي. ما الّذي يفعلانه؟ إلى حدّ هذا الوقت لا أفكّر إلّا في «آرون»[10]-بشكل ساحر- وفي «بوست»[11] لأنّني أعتبره جزءا من عالمي. عجزي عن التّفكير في حيوات الآخرين بالتّزامن لا يساعدني على تصوّر أنّ هناك حربا ما فوقنا قليلا في جهة فورباخ، وأنّ الألمان لا يبعدون عنّي سوى أربعين كيلومترا. كما قال ذلك الجنديّ يوم الإثنين، أعيش المناورات الكبرى فقط دون الحرب. هل يوجد فعلا أناس يستطيعون «التفكير بشكل متزامن»[12]؟ تلك السّيّدة[13]؟

السّبت 16

لا أستطيع التّعويل على الآخرين. هذا لم يحدث لي أبدا من قبل، وبإمكاني إثبات ذلك؛ فذلك يُشعرني بالجزع، وها أنا ذا هنا أنعم بالهدوء وأتساءل إن لم تسقط ساربروك. وهذا يعني أنّني آمل أن تكون القيادة العليا قد استطاعت بذكاء، بمعيّة

---

8. لقد عرف سارتر مارك زيورو في الحي الجامعي وهو يستعد للمرة الثانية لمناظرة تخرجه (1928-1929) هو صديق له لكنه ليس بالصديق الحميمي، أصيل الجزائر، أوحي لسارتر ببعض ملامح شخصية دانيال في دروب الحرية التي يكتب سارتر جزأها الأول خلال هذه اليوميات.

9. بيار غيي زميل دراسة في المعهد الأعلى للمعلمين. بدأت صداقتهما قوية في السنوات الأولى، لكنها خلال كتابة هذه الدفاتر فترت قليلا.

10. رايمون آرون زميل دراسة أيضا، أقام الثلاثة آرون، سارتر، غي في نفس الشقة بالمعهد الأعلى للمعلمين (إثر سفر بول نيزان إلى عدن) تولى آرون تدريب رفيقيه عسكريا.

11. جاك لورين بوست تلميذ سارتر في معهد الهافر وظل صديقه وصديق بوفوار.

12. ورغم ذلك هو يحاول من خلال تأليف عصر العقل، والإرجاء كتبها إثر ذلك ب ثلاث سنوات بشكل منظم في توازيه: الناس الأشد اختلافا، عبر أوروبا' في انتظار الحرب أو السلم، يعيشون ساعات طويلة دون انقطاع من 23 سبتمبر إلى 30سبتمبر والتي انتهت ب اتفاقات ميونيخ.

13. كنية لمدام موريل، صديقة لبوفواروسارتر الذي أعطى دروسا خصوصية لابنها. نعثر في هزيمة وهي رواية ألفها سنوات الشباب نعثر فيها على وضعية حيث أوحت هذه السيدة بعواطف حب له (كتابات الشباب أعدها كونطا وريبالكا غاليمار 1990).

الجنود وشجاعتهم، السّيطرة على ساربروك [14]. لم نكن بعيدين عن قذارة الخلف [مؤخرة الرّكب]: تلك العجوز وهي تُعوِّل فعلا على «جنودنا الصّغار الشّجعان» وتتلذّذ بأنها محمية.

أحسّ من حين لآخر أنّني تخلّصت من هاجس الانشغال بالآخرين (فاندا [15]– بيانكا [16])؛ لأنّني أقرّ أنّني الأشدّ ضجرا (أدفع ذلك من شخصي)، لكن لاشيء مضمون جدّا، ورغم ذلك فهو سرّ هدوئي الحاليّ.

الّذي أثّر في موقفي الحالي الآن (رغم أنّني نسيته في الأوقات الأخيرة وعوّضته بشكل من التعميم الأحمق جدّا: تحمُّل الحرب باعتبارها وباءً) كما قال ذلك دو غيي: «مجموعة من النّاس فقط منشغلة خلال حرب 1914 بالتّصرف مثل الرّجال، مثل الحرّاس المطاردين لبواز [17]». تُريحني هذه الصّياغة بما أنّها تعوّض التّعليمات الجمعيّة بإلزاميّة الشّخص تجاه نفسه. غير أنّ غيي إنسانيّ كثيرا، وجملته الّتي استحضرتها في دواخلي فقدت كلّ معناها. دون أدنى شكّ هي الأصل في الفكرة الّتي كانت عندي منذ البدء، ومازالت، والقاضية بأنّ الحرب مغامرة لتكملة قدري؛ «هكذا أكون عرفت الجنون، والشّغف، والفنّ، والحرب». تجارب نبيلة أو أدَّعي أنّها كذلك. كنت فيما مضى أتمثّل الحرب كما لو أنّها التّجربة الأساسيّة لأتحمّل حياتي كإنسان، وهاهي ذي الحرب قد جاءت ولست أدري إن كنت سأظفر منها بشي من الهدوء. وكالعادة،

14. احتل الفرنسيون حوالي9سبتمبربعض قرى في لاصار. وحسب الجنرال غاملين فلقد توقف الهجوم في 12 سبتمبر" لا يبدو إن الاستمرار في هجوماتنا يفرض سلطة ما بما أنه لا تأثير لها إطلاقا على الأحداث في بولونيا "(ذكره بول راينو في مذكرات فلاماريون 1963) تواصلت المناوشات المدفعية بين الطرفين في هذا المحور إلى حدود 16 أكتوبر.

15. الأخت الصغرى لأولغا كوزاكيفتشي التي كانت تلميذة ليوفوار في معهد روان. تناديها هذه الأخيرة باسم وهي " تانيا" في كتاب رسائل إلى الكاستور وإلى بعض الأخرين (غاليمار 1983)من هنا ظهر اسم العائلة للأختين " زازوليتش"

16سابقة لبوفوار والتي سمتها " لويز فيدرين"في كتاب رسائل إلى الكاستور وإلى بعض الآخرين وقتها مازلت طالبة فلسفة.

17. قرية قرب دانجير حيث المسكن الريفي لمدام موريل.

كان الأصل في هذا التّصوّر تمثّلي المسبق لحياة الرّجالات الكبار الّتي تتوفّر حسب اعتقادي على مرحلة تجربة [18]. وكنت أُعَوِّل قليلا على هذه الحرب للتّعويض عن سهولة نجاحاتي الأدبيّة الأولى الّتي (دائما من خلال تمثُّل مسبق) بدت لي منذ البداية مريبة ومشبوهة. وفي جميع الأحوال، كانت هناك فكرة قدر الإنسان (مأخوذة من غيي، ومطوِّعا إياها حسب المعنى الّذي أريده) متدخّلة في مصير شخص ذي أهمّيّة (وأنا الّذي اصطنعتها من خلال قراءات قديمة، وليس من خلال الحيوات الحقيقيّة لـ «ستندال» أو «بودلير»، ولكن انطلاقا من الأصناف الّتي من خلالها يرى كتاب السِّيَر هذه الحيوات). وفي كلّ الأحوال، ترسّخت بشكل عميق في داخلي فكرة المصير: ها أنا أمتلك مصيرا؛ وهو ما يساعدني-وبشكل تصوّفيّ- على اعتبار أنّ كلّ ما يحدث لي من مراحل أساسيّة من مصيري، عليَّ أن أحوِّله إلى عسل. وهكذا، سوف أكرّر أنّ الحرب الّتي تُخْبِل من كان سببا في اندلاعها، لن يمنعني ذلك من اعتبارها منبعا للتّجربة؛ وهي تمثّل بالتّالي تطوّرا بالنّسبية إليّ. ذلك أنّ فكرة التّطوّر مكمّلة لفكرة المصير، وهي أيضا جوهريّة عندي. وهذا ما تسمّيه الكاستور تفاؤلي.

من ناحية أخرى، فما دمت قادرا على الكتابة فأنا هادئ، بل وسعيد؛ وهو ما لا يغيّر من طابعي المدنيّ؛ حيث كانت الكاستور تقول لي إنّني لا أتمثّل الزّمن الضّائع طالما أنّني أشتغل؛ إذ يمكنني أن أقضِّي ثلاث ساعات هانئا بين أغبياء. ليس عندي خشونة طباع مع حياتي؛ لذلك سوف أكتفي بغرفة «مدام غروس» الّتي نحتلّها نحن الأربع هنا ديكورا، أو قاعة مدرسة مارموتييه. وأستمتع حين أفكّر أنّه بإمكاني في بحر ستّة أشهر الانتهاء من كتابة روايتي القادمة. وفي المحصّلة، لا تكلّفني رواقيّتي الشّيء الكثير [19].

---

18. في الكلمات (غاليمار 1964) يبحث سارتر عن أصول هذا العرض في أيام صباه. انظر دفتر3

19. في نفس ذلك اليوم كتب لبوفوار " إنني مطمئن غير إنه ليس ذلك الاطمئنان المتأسس على أسباب قوية وأني أحقق في شأني الخاص على دفتري الأسود الصغير. من سيقرِأه بعد موتي –لأنك لن تنشريه إلا بعد موتي –سوف يعتقد إنني كنت شخصا نذلا إلا أن أرفقته أنت بتعليقات جيدة وشروحات (رسائل إلى الكاستور وإلى بعض الأخرين).

الأحد 17

عالم الحرب

الإنسان- أقصد إنسان القطيع. تنتج الفوضى في مفهومها العسكريّ، واللُّبْس في الطّبع العسكريّ من جرّاء معاملة الإنسان كما لو أنّه آلة تماما، وكما لو أنّه كائن حسّاس تجاه الاحتفالات.

1) شبيه بالآلة: مثله مثل العامل ينجز الجنديّ عملا، لكنّه عمل غير منتج؛ فمهمّته أن يدمّر، وحين لا يدمّر بشكل دقيق فهو ليس إلّا ظلّا -إطلاق نار فارغ، مناورات كبرى، تكرارات بلا نهاية. لا يمكن إذن التّعويل على عمله بما أنّه لا يحقّق أيّة قيمة بالمعنى الماركسيّ. إنّه جهد عار، لن يسلب شيئا، غير أنّه في المقابل هو أكثر من عامل. بما أنّه يُعامل باعتباره آلة، ولا يتطلّب الأمر أكثر من توفير ما به يتحرّك كآلة: ثياب، وأغذية، وأغطية. من هنا ينبع الطّابع التّمثيليّ والتّصوّري لهذه الأدوات، والّذي أشرت إليه يوم الخميس؛ فلم تُصنع هذه الأشياء لتثير الإعجاب، ولا أثر «للاحتفال» البشريّ بها بما أنها سلع صيانة. لا نصقل الفحم لإثارة إعجاب الآلة. وفي نفس الوقت ما إن يتعلّق الأمر بالاستعمال، تتمّ معاملة النّاس كموادّ. مثال ذلك تنقّلنا الطّويل من سانتراي إلى مارموتييه. لقد احتججنا لأنّهم تركونا ننتظر أكثر من ثلاث ساعات ونصف السّاعة، واقفين ومُحملين مثل الأحمرة، بعد أن أيقظونا من النّوم منذ السّاعة الثّانية فجرا. هذا لأنّنا لا نستطيع أن نعتبر أنفسنا بشرا، ولكن لنفترض أنّنا صفائح معدنيّة أو براميل خمر كان من المفروض أن يتمّ تكديسها مسبقا بشكل يتمّ فيه الشّحن بالشّكل الملائم.

2) مثل إنسان احتفاليّ: لقد أصرُّوا بالأمس على التّقرير المتعلّق بـ «رمزيّة التّحيّة العسكريّة العالية». هكذا نرى أسلوب الفكر المتحفّظ: التّحيّة موجودة بوصفها احتفالا، ولا نبحث بعد ذلك عن منحه دلالة عالية؛ هذا هو نمط تفكير «ميتسر» و«بونالد». يشدّوننا باحتفالات ورقصات، وإذا بنا أسرى التّهذيب العسكريّ. كما هو الحال مع جنود «فردين» الّذين يفرضون عليهم التّمارين خلال فترة استراحتهم، ليكونوا «جاهزين تحت الطّلب في كلّ لحظة». لذلك فإنّ تحليل «ألان» لهذا السّلوك

العسكريّ سليم جدّا. غير أنّ هذا السّلوك سوف يبدو جزئيّا. فاللّبْس يكمن في أنّ القيادة العليا من خلال تمثّلها لإنسان القطيع، تُكَدِّس ما هو ماديّ على الاحتفاليّ، وما هو احتفاليّ على ما هو ماديّ؛ وهو ما سيؤدّي طبعا إلى تكديس الإنسان على نفسه وفقا لتمثّل القيادة العسكريّة العليا له.

والمحصّلة:

1) انعدام أيّة كرامة إنسانيّة: وهو من حيث المبدأ ليس سيّئا على الإطلاق؛ لأنّنا أوّلا لا نملك حتّى مجرّد كرامة العمل، بما أنّ هذا العمل لا يحقّق أيّة قيمة؛ فإمّا هو مُدمِّر أو مجرّد كوميديا عمل. لا يمكن الابتهاج إطلاقا بالعمل العسكريّ؛ لأنّ معناه العميق هو العدم والموت. ليس بإمكان الإنسان النّجاة من خلال فكرة العمل. وبقدر ما يسمح لنفسه أن يعاملوه بوصفه آلة، فهو يهين نفسه في نفس الوقت مثل مازوشيّ يسمح لعاهرة مدفوعة الأجر أن تجعله سلّما صغيرا لتصعد على كرشه أو لتدعسه. فعرينا الآليّ هو إذن عري بشريّ؛ هو عري مُهان. ومثال ذلك أنّهم يجبروننا على التغوُّط جماعيّا، غير أنّ تفريغ هذه الآلات هو إهانة للإنسان. وهو ما ينتج عنه تهاون متميّز: انتفاخ وضراط في وضح النّهار؛ يضرط منتصبا ويتمتم في لامبالاة: «أعتذر». يعتذر لأنّ الضّراط يمكن أن يضايق الآخر. ولكن لاشيء يدلّ أنّه مضطرب لأنّه كشف عن مثل هذا الضّعف. ألم يتبرَّز بالأمس معي في نفس الوقت وفي نفس المكان؟ فنحن بالنّسبة إلى الآخرين في عري مستمرّ. وليس عري الرّياضيّ، بل عري الحلزون أو البُزَّاق. العري – الضّعف القذر والفاحش. وشيئا فشيئا، يتحوّل الفحش إلى أمر عاديّ. ولا يجب أن تأمل في الإفلات، من خلال التّرفّع إلى عالم الذّهن؛ فعالم الذّهن ينتظرك وهو مُهَيَّأ بإتقان؛ إنّه عالم الاحتفالات والرّقص، عالم التّحيّة العسكريّة، وحمل السّلاح، والمقدّس. وفي النّهاية، بالاستعمال ندرك من هو ذلك الإنسان العظيم الّذي تحدّث عنه «أوغست كونت» وعلماء الاجتماع وعلم وظائف الأعضاء؛ إنّه إنسان القطيع.

2) انفراد دون عزلة: نحن وحيدون لأنّ لكلّ واحد منّا حياته الخاصّة. وكلّ واحد منّا هو عند أعلى النّقطة من الهرم، كلّ شيء بالنّسبة إليه ذكرى وماض. وهو ما

لا ينطبق على عموم الشّباب الفتيّ الّذي يؤدّي واجبه العسكريّ، لكنّه يخصّ الاحتياطيّين؛ فلا أحد منهم بإمكانه القطع مع حياته المدنيّة الّتي يجرّها خلفه مثل عبء ثقيل، غير أنّ كلّ شخص هو في نفس الوقت محاصر بالآخرين؛ يجدهم في كلّ مكان، يشتغل برفقتهم، هم هنا في المراحيض يحيطون به، وفي غرف النّوم ينامون جنبه ويشخرون. فالبشريّة هنا فضاء انغلق عليه ويخنقه، ولا مجال إطلاقا للكيرنسيا[20]، لا وجود لمكان مُفضَّل ليعيش عزلته ولو للحظة؛ ففي كلّ مكان هنا التّراب، والجدران، والأسرَّة، والطّاولات. كلّ شيء هو ملك مشترك بين الجميع، وكلّ مكان هو جماعيّ. وسيشعر الفرد بنفسه مراقبا في كلّ مكان - بل وبلامبالاة - وسوف تتمّ مضايقة عزلته في كلّ مكان، ومنعها من أن تتحوّل إلى منبع إيجابيّ للكسب والابتكار. ستبقى مجرّد اغتراب سلبيّ لن يستطيع إدراكه بوضوح؛ فالانفراد هنا مغطّى بغياب العزلة، والنّاس فوق بعضها؛ الواحد على الآخر دون أيّة مسافة بينهم.

3) الانتظار وانعدام الإمكانيّات الذّاتية: ما يميّز الواقع - البشريّ كما يقول«**هايدجير**»[21] هو إمكانيّاته الذّاتيّة. لقد ذكر «دي رولي» [22] في مرض أنّ المريض يتحوّل إلى شيء ما تُنتزع إمكانيّاته الذّاتية منه، ويصبح تابعا لمشيئة الآخرين. يشبه الجنديّ كثيرا المريضَ: هو أيضا يعاني من انعدام الحيلة؛ لم تعد هناك إطلاقا إمكانيّة ذاتيّة. إنّه ينتظر، غير أنّه انتظار شديد الخصوصيّة وعسكريّ[صرف]. ففي

---

20. عبارة اسبانية من معجم مصارعة الثيران: في حلبة الصراع يرى الثور نفسه في المكان المريح. لسارتر ميل شديد نحو هذه الكلمة التي اكتشفها في أحد أعمال همنغواي: وكثيرا ما يعود إليها شفاهيا أو كتابيا.

21. واقع بشري، أصالة، إمكانيات ذاتية، تأريخية، أدواتية الخ. هذه العبارات الهيدجارية (كما ترجمها هنري كوربين) يستعملها سارتر بشكل شائع في الدفاتر. يبدو إن سارتر يريد أن يختبرها لكي يحصل من خلالها على فهم حميمي. مازالت عرفته بهايدجر حديثة العهد لاحقة على هوسرل وربما أقل ثقة. انظر في الدفتر الرابع حكاية لقائه بتفكير هذين الفيلسوفين.

22. ليونيل دي رولي تلميذ سابق لسارتر في الهافر، اصيب بالسلِ، كتب عن تجربة مرضه وأقامته بالمستشفى. حسب بوفوار أوحت كتاباته بمقطع نقل المرضى في الإرجاء (قوة العمر 1960ص358 فوليو غاليمار)

العادة من ينتظر، إنّما ينتظر شيئا مّا من الآخر، وبطبيعة الحال من نفسه. أمّا الجنديّ فهو لا ينتظر شيئا إلّا من الآخر. هذا الانتظار السّلبيّ، والّذي يميّزه مزاج ذو طبيعة عسكريّة – وجه خشبيّ، وعينان فارغتان – هو تحوّل بطيء نحو التشيّؤ. بل ويكون مصحوبا بصمت داخليّ؛ صمت من المؤكّد أن يستمتع به كثيرا «بريس باران»[23].

4) اللا استخفاف: إذا كان في الإمكان بالنّسبة إلى الواقع- البشريّ أن تُسمّى الإمكانيّات الذّاتية، كما يطمح «هايدجير»، انشغالا، فإن الاستخفاف العسكريّ هو انعدام الاهتمام؛ وهو ما يعني تجريد الإنسان من إنسانيّته. لهذا الاستخفاف قرابة شديدة الصّلة بالاستخفاف عند متعاطي الحشيش الّذين تحدّث عنهم «ليونيل». إنّها براءة الأشياء. كلّما زادت الإمكانيّات زاد القلق. وإحقاقا للحقّ، فجنود الاحتياط في مأمن بحياتهم المدنيّة من هذا الاستخفاف، غير أنّه ينخر حياتهم ببطء. حياتهم الّتي أصبحت من الماضي. ما ينتظرونه، لم يعودوا في حاجة لانتظاره، فالانتظار في حدّ ذاته فقد معناه. ذلك أنّ دخولهم للحياة العسكريّة شبيه بالموت؛ لأنّ هذا الدّخول مصحوب بجثّة حياة فقدت معناها، وظلّت معلّقة في العبثيّة. ومن هنا يمكن أن نلاحظ استعدادا للأسفل دون أيّة بطولة للموت الحقيقيّ. تذكر أبطال فولكنر (أد أسترا[24] الّذين عادوا من الحرب، ورغم ذلك كانوا قد ماتوا فيها. حياة في الحاضر بأقلّ ما يمكن من استمراريّة؛ حتّى تلك الاستمراريّة الجيدية (نسبة لأندريه جِيدْ) للأغذية الأرضيّة، بما أنّ الإنسان الحرّ لن يستطيع أن يتعامل مع الجبل إلّا إذا كان بالنّسبة إليّ قابلا لأن أتسلّقه، في حين أنّ العسكريّ، الّذي يعيش اللّحظة فقط، يعتبر الجبل شيئا ميتا، مجرّد ديكور.

5) المقدَّس: ليس هذا العالم دون ديانة بما أنّ الإمكانيّات فيه متوفّرة ويمكن سحبها منّا. غير أنّها إمكانيّات – أشياء؛ أي أنّها لا توجد حتّى في حركة حرّيّتنا، لكنّها

---

23. بريس باران (1897-1917) محرر في المجلة الفرنسية الحديثة، نشر محاولات حول البؤس البشري وعودة إلى فرنسا (غراسيه 1934و1936) أين يتابع رد فعل حول اللغة. خصص له سارتر بعد ذلك بوقت طول مقالا طويلا: ذهاب وإياب (1944) في وضعيات غاليمار 1947

24. " أد أسترا" هي جزء من مصنف قصص قصيرة عنوانه 13قصة نشرت في غاليمار في افريل1939.

مُتَمَثِّلة، تطفو قدّامنا، غير متاحة لنا، ونحن ننتظرها. وهو ما سوف يؤدّي بطبيعة الحال إلى الحتميّة والعبادة. هذه الإمكانيّات يجسّدها أشخاص، وأقصد الضّبّاط هنا، فقدوا خصائصهم الفرديّة ليتحوّلوا إلى مجرّد ومضات إمكانيّات. فالقائد، هو قبل كلّ شيء إمكانيّة أن ينقلك، أن يُسيّرك، أن يلقي بك إلى الدّاخل. ولو غامرنا بقراءة نفسيّته، فهي نفسيّة مقدّسة تهدف أساسا، من خلال التّجربة، إلى امتلاك طريقة لاستهلاك إمكانيّاتنا. إنّه «شخص جيّد»؛ أي أنّه يومض أقلّ من آخر فيما يخصّ إمكانيّة أن يلقي بنا إلى الدّاخل. ونضيف لكلّ هذا الزّيّ العسكريّ، والاحتفالات الروتينية، وهذا المقدس الخاص جدا: دفاع الاتّصال. لا يجب أن نلمس القائد. أنا نفسي أحسست عدّة مرّات أنّ الضباط الّذين أتّبعهم مقدّسون، خاصّة خلال فترة تفاؤلي الإعجابيّ. يملؤني هذا غيضا، ولكن ما باليد حيلة؟ كلّ شيء انتهى الآن، غير أنّهم يظلّون بالنّسبة إلي سحرة عنيدين ومؤذين، بجباه منخفضة.

6) رفقة خاصّة للغاية: ليست ثمة صداقة شخصيّة، ليس هناك خيار. أثناء اللّقاءات في المقاهي، في الشّارع، يخاطب كلّ من التطفّل والتّودّد الإنسان؛ الإنسان المُجَنَّد: «من أين أنت، ما هي كتيبتك، أين هي؟ إلخ.» فنغتاظ ونشفق على ذلك الإنسان لما تعرّض له من مغامرات. بالكاد نتعرّف إلى وجهه، ولا نكاد نهتمّ. نحتفظ بأسرارنا خلال الحياة الجماعيّة. لكلّ واحد منّا وطنه الشّخصيّ ولا يُحَدِّثُ عنه أحدا إلّا في لحظات الكرب أو الحيويّة المفرطة –لكننا نتواصل من خلال العري والضّعف البشريّ. هكذا نحن، مشدودون بعضنا إلى بعض من خلال الاحتياجات الطبيعية، حزام الفتق، والرائحة، والشّخير الخ. إنسية للجسد شبيهة بما يكفي بتلك التي عند الألمان. ثمّ ينضاف إلى ذلك رابط الشّراكة والتضامن الّذي يفرضه الظّرف. ثمّ هناك هذه القهقهات المباغتة اللّامبالية الجماعيّة. رفقة صامتة وغير مهذّبة. لا نرى أنفسنا مجبرين على الحديث؛ لأنّنا لم نختر رفقتنا.

اجتاحت روسيا بولونيا [25]. علمت بذلك في تمام السّاعة الخامسة عن طريق

---

25. مطابقة للبروتوكل السري للاتفاق السري الجرماني –السوفياتي بعدم الاعتداء الممضى في 23 أوت 1939 والذي يحدد مناطق تأثير الطرفينفي بولونيا خاصة ’في خال تغغير سياسي جغرافي”.

«بول»؛ فهو الّذي يأتيني، أيضا، برسائل (الكاستور، وفاندا). رعب حقيقيّ. لا أقبل بالحرب إلا إذا كنا منتصرين فيها. فكّرت أنّني اقتنعت أنّ الحرب سوف تنتهي خلال سنة دون إحداث أيّ تغيير. تلتصق بي حياتي الماضية مثل السّعفة. لم أقبل بتركها بلا أسف إلا من أجل أن أجدها مجدّدا كما هي. روّحت رسالة «فاندا» عن نفسي قليلا، غير أنّني أعتقد دائما أنّها لن تنتظرني إلى آخر لحظة. سأكون هادئا، لو فقط أستطيع أن أقنعها بالمجيء إلى باريس[26]. أحبّ أن تكون خائنة على أن تكون شقية في غيابي. في المحصّلة كان هذا يوم مشاعر. فمنذ مدّة طويلة لم يحدث لي هذا؛ وبالضبط منذ يوم الإثنين الماضي، عندما كنت مكتئبا. تُربكني رسائل الكاستور؛ حيث يعتريني انطباع أنّني أنا الذي ينعم بالجزء الأفضل. أعاتب نفسي لأنّني لم أتألم معها ومن أجلها. يبدو لي أنّني أسرق منها كل لحظة من اللامبالاة. لن أفكّر أنّني سأنشغل وأهتمّ كثيرا كي لا يعفيني هذا من الانشغال بالآخرين.

الإثنين 18

تقادمت ملصقات التّجنيد إلى درجة أنّها تمزّقت بفعل الرّيح والمطر، وهاهي تتبعثر الآن مِزَقا مصفرة مبتلة في مجاري المياه بالقرية.

ليس هناك رصد للأحوال الجوية اليوم. يشعر رفاقي الثلاثة بالضجر. [يقول] «بيتر»: «ما الذي يمكن أن أفعله إذا يا إلهي؟» أمّا «كيللر» فقد كان يجلس حذوي واضعا يديه على فخذيه ومرفقيه في الهواء: «آه كم نضجر هنا». كان ينتابني شعور خفيف بالتّفوّق لأنّني لا أضجر إطلاقا؛ شعور بالتّفوّق أيضا إزاء «جيراسي»[27]، والذي، وفق ما تحدثني عنه الكاستور، يعتقد نفسه بطلا لأنّه سيعود إلى الرّسم. بإيجاز، هو رضى، بتعاطف متواضع، عن نفسي.

---

26. تعيش فاندا عند عائلتها بالآغل.

27. الرسام فرناندو جيراسي والذي عرفه سارتر قبل عشر سنوات، شارك في حرب اسبانيا مع الجمهوريين. جزءكبير من شخصية غوميز في دروب الحرية يعود بأصوله إلى جيراسي (مذكرات شابة مرتبة وقوة العمر سيمون دي بوفوار غاليمار 1958و1960)

أنا الّذي كنت بطبيعتي غير نظيف، صرت منذ تجنيدي أواضب على الاغتسال، حلق ذقني، فرش أسناني بدقّة. كنت أتبع عادات «ستاندال» الّذي يحلق ذقنه يوميا منذ انسحاب روسيا. كانت عزيمتي قويّة غير أنّها كانت تتّخذ لها خلسة نماذج.

بداية من الـ 14 من أغسطس شرعت في قراءة يوميّات «أندريه جيد»[28]. كانت قراءة باذخة عموما. في البداية كنت مُتعبا، قرأت من أغسطس إلى سبتمبر، ومن سبتمبر إلى أكتوبر. كنت أعيش اليوم بيومه. كنت أحسّ أيّام هذه الحرب مع أيامي في الحرب. وهاهي فجأة مدّخراتي للأيام تتناقص ومازال لـ «أندريه جيد» أربع سنوات ونصف من الحرب لعيشها. كم كان ذلك مرعبا. ولكن، شيئا فشيئا أعادت لي المتاجرة بذهنيّة «حصتي»، شكلا من الخفّة الثقافيّة التي كنت قد فقدتها منذ الأول من سبتمبر. ثمّ هناك دائما هذا التّلفيق المطمئن: أن تتطابق هذه الحرب مع حربي الشّخصيّة. يحرّضني على ذلك أكثر من فصل أو ردّ فعل، جعلت من هذا المستقبل الغامض والمجهول، وغير المحدّد، شيئا عشته سابقا وله آت. أنا نفسي منحت لهذا العالم الهائل الحاضر حيث أركد أفقا «للآتي». وها أنا أعيش هذا اليوم بما هو وجهة نظر الآتي.

جهود «أندريه جيد» مستمرة لاستعادة آثار آلام الحرب على نفسيّته، لتركيز أفكاره حولها. تأمّلات مفرغة وتريد أن تكون مفرغة –ذلك أنّه سيكون إثما أن يبحث عن الظّفر بمكسب منها، حتّى ولو كان مكسبا فكريّا. حالة وحدة شعور دينيّة؛ فهو يرى أنّ من واجبه أن تكون الفكرة منحصرة في الحرب فقط. أمّا واجبي فهو على العكس تماما – بسيط جدّا: أن أحتفظ بفكرتي متيقّظة، أن أفكّر وليس أن أتأمّل. وبما أنّه

---

28. بين يدي سارتر الطبعة الأولى الكاملة لهذه اليوميات التي تنتهي في 26جانفي 1939 (مكتبة البلياد غاليمار). أيام قليلة قبل اندلاع الحرب قَبِل سارتر المشاركة في عدد تكريمي تزمع المجلة أصداره مخصص لاندريه جيد بمناسبة عامه 76بالكتابة حول اليوميات وحول ما ما يعنيه موقف اليوميات عموما في الأدب عموما. غير إن الظروف أجبرت بولهان مدير المجلة الفرنسية الحديثة على التراجع عن هذا المشروع. لكن سارتر الذي يولي اهتماما كبيرا باليوميات منذ أن شرع في الكتابة في دفتره مازال مصرّا على الكتابة حول يوميات جيد (انظر رسالة إلى الكاستور بتاريخ 14اكتوبر).

مدنيّ، فمن واجبه أن يتّحد شعوريّا مع الآخرين. وبما آنّني جنديّ، فمن واجبي أن أفكّر بصفاء، وأمتلك رخصة أن أكون الفارس الوحيد. وإنّها لفرصة جيّدة أن أمتلك هذه الرّخصة، لكن كيف كنت سوف أتصرف بها لو كنت في الجبهة الحربيّة وليس في مارموتييه؟ فهناك من الأفضل أن أكون محلّ تقدير لو أحسنت استثمار هذه الرّخصة.

تنتابني خفّة شعور بأهمّيتي؛ لأنّ الكاستور اعتقدت بالأمس آنّني في خطر. شيء مّا من قبيل «هاي! هاي! من الممكن أن يكون ذلك حقيقيّا ذات يوم، إلخ».

الحرب الشبح. الحرب على طريقة «كافكا»[29]. لا أستطيع أن أشعر بها، إنّها تفلت منّي؛ فالمناشير لا تذكر خسائرنا، ولم أر جرحى. تحدّث «الرقيب نودان» أمس عمّن تعرّضوا للغاز السّام، غير أنّ آخرين كذّبوا ذلك. بعض المعلومات المقتضبة. لا وجود للألمان على أرضنا، وليس هناك قصف في الخلف. العمليّات الحربيّة محدّدة في محور ضيق جدّا. ما منحته الحرب للجنود في مارموتييه هو حرّية أوسع من وجهة نظر قوّادهم؛ أي أنّهم أشبه بمدنيّين. يجب لكي أشعر بالحرب، أن أتلقّى رسائل من الكاستور؛ فهي الّتي تخوض الحرب وليس أنا. أعتقد أنّ الكثيرين يشاركونني هذا الانطباع. ربّما هي نتيجة مناورة ممكنة للألمان: البقاء على خطّ الدّفاع في الغرب لإنهاء حربهم على الجبهة الشّرقيّة، ثمّ يأتون إلينا ليمنحوننا السّلم بعد ذلك. لعلّنا سنخوض الحرب الحقيقيّة الكبرى فجأة حين يتمّ رفض مقترحاتهم للسّلم.

اليوم، هناك المزيد من التفاؤل متعلّق بموقف الرّوس. نريد أن نأمل أن اجتياحهم

---

29. وصل سارتر إلى مارموتييه متأثرا شديد التأثر بهذا الكاتب: في 2 سبتمبر في قطار المجندين الذي سوف يحمله عبر مراحل لذيذة من محطة الشرق إلى ثكنة ديساي-ليس-نانسيكان وقتها قد قرأ القضية و في السجن (المستعمرة العقابية)، كما حمل معه أيضا القلعة التي قرأها في سانتراي، مورث اي مزيل أين سيكون بعد أيام متروكا مع "رفاقه" الثلاث لمركز الاستبار-بياتر، كيللر العريف بول – والذين سوف يسميهم فيما بعد " مساعدون" نسبة للمساعدين المعرقلين لجوزيف ك، في القلعة. ولئن جعل سارتر من كافكا قراءة منتظمة في تلك الفترة، ذلك لأنه وعد بكتابة مقال حول هذا الكاتب لمجلة مناهضة للسلم يسارية المتطوعون، قام ببعثها بعد ميونيخ رونادري جوفنال وفيليب لامور (توقفت عن الصدور أثناء الحرب).

لبولونيا هو من قبيل اتّخاذ الاحتياطات، أو هو مناورة للمزايدة ضدّ الألمان [30].

بالأمس قال «العريف بول» متثاقلا: «إنْ دخل الرّوس في اللعبة فعلينا أن نقبل بأيّ سِلْمٍ مهما كانت».

دائما هي محن رواقيّ. حين تركت الكاستور في الـ 2 من سبتمبر، كنت قد رحلت من أجل ما هو أقسى وما هو أفضل من هذه الرّداءة السّاكنة؛ وها أنا ذا الآن مُصاب، متعفّن.

في المحصّلة، وهو موقف بورجوازيّ: أحتمل الحرب، غير أنّني أرغب في الإفلات منها واستعادة حياتي ما قبل الحرب. أليس هو نفسه موقف سكّان ميونيخ الّذين يتحمّلون الحرب ولا يحتملون موت الرّأسماليّة؟

قرأت في **باري صوار** أنّه تمّ إيقاف «جيونو» بسبب نزعته الانهزاميّة[31].

الثّلاثاء 19

انطباع الحرب الشّبح عند الآخرين. يتمتم «العريف أوّل حالما»: «هي حالة حرب غريبة». يفكّر لحظة ثمّ يردف: «إنّها حرب سياسيّة».

هناك أشخاص وجدوا أنفسهم صغارا جدّا بالنسبة إلى حرب مّا، وشيوخا طاعنين في السن بالنسبة لحرب أخرى (1870-1914)؛ أمّا أنا فكنت صغيرا جدا لما بعد الحرب، وأخشى كثيرا أن أكون شيخا متهالكا بالنسبة لحرب أخرى وأنا أقرأ صفحات من يوميات «أندريه جيد» حول مونتيرلان أو دريو، تأسفت كثيرا لأنّني لم

---

30. لسارتر وجهة نظر سليمة حول نوايا الألمان ف" هجوم السلم" ليس مستبعدا. غير إنه مثله مثل الجميع يجهل إن اقتحام الجيش الأحمر لبولونيا تم بفضل بروتوكول سري لاتفاق جرمني-سوفياتي، وليس ضد ألمانيا.

31. كشف جيونو عن قناعاته السلمية بإمضائه على منشور الفوضوي لويس لوكوان سلم فورية! نُشرت في بداية سبتمبر 1939. وحين حضر في 16 سبتمبر للمركز الذي يتبعه في التجنيد في مارسيليا. تم ايقافه على الفور وإيداعه بالسجن الذيغادره بعد شهرين.

أكن في سنّهم سنة 1922[32]. وهكذا استعدت فورا ذكرى الحانة الصّغيرة في الإسكادراي التي تلخص لي كل مراحل تلك الفترة؛ فترة «مابعد الحرب» التي لم أعرفها إلا من خلال الحديث عنها، والتي ظلت بالنسبة إليّ العصر الذهبيّ. في سنة1944 سأكون وقتها شيخا، ولن يكون بإمكاني إدراك ثمالة التّغيير، هذا إنّ تغير شيء ما؛ ليس لأنّه ورائي سنوات عديدة، ولكن لأنّي أمتلك حياة، ولأنني كنت فعلا. إنكاراتي للحظة الحاضرة ولكلّ هذه التحولات التي ألاحظها فيَّ؛ كل هذا هو داخل هذه الحياة. الكاستور، وفاندا، وبيانكا، وروايتي هذه هيكل اهتماماتي الأساسيّة. وإن كنت سوف أتهيّأ للموت فسأتهيّأ له في قلب هذه الحياة الّتي أعددتها. ولن يكون ما بعد الحرب مرادفا للموت؛ أن أتبخّر دخانا وسط الحياة، وأترك هذه الحياة مفرغة منّي نهائيا، بل سيكون العكس تماما: سأواصل الحياة، وحياتي سوف تمّحي من حولي. في مثل سنّي نقبل موتنا بسهولة على تدمير حياتنا.

يبدو أنّ «ستالين» يتحرّك باتّفاق مع «هتلر»[33].

السّاعة الخامسة، يلعلع صوت الرّاديو في البيت المجاور أنّ هتلر سيتحدث. كنت منكبا على كتابة روايتي في القاعة الكبيرة لمدرسة الصبيان، وتناهي إليسمعي «هايل» من الحشود الألمانية. تدافع الجنود الألزاس نازلين لسماع الفوهرر[34].

كلّ فترة حياتي شابا ورجلا، والتي أظن أنها سوف تعانق حياتي عجوزا بل ستتجاوزها لتتواصل طويلا بدوني، هاهي الآن محبوسة بين حربين تاريخيتين. كان لها مبتدأ ونهاية. لقد بدت لي مطلقا، شيء شبيه بالهواء الضروري لأحيا. وفي الوقت الحاضر أراها عن بعد، أقيّمها وأستغرب من نسبيتها التي تجلت فجأة: بمستطاعي أن أحيا بدونها. هاهي تقع مني كما لو أنّها جلد قديم. هكذا، وبعد أن كنت قضيت سنة

---

32. 1922 بلغ سارتر من العمر 17سنة مونتيرلان 27سنة ودريو لاروشيل 29سنة.

33. في ذلك اليوم علم سارتر باتصال القوات السوفياتية والألمانية البارحة في بريست-ليتوفسك.

34. في نفس هذا اليوم ألقى هتلر خطابا في نزل مدينة دانتزيغ يهيء نفسه بانتصاراته في بولونيا والتي تجعل من مواصلة الحرب أمرا لا داع له:" تعاطفي مع الجنود الفرنسيين الذين لا يعرفون لماذا يحاربون." (ذكرها شيرر في الرياخ الثالث ستوك 1961)

في برلين[35]، لم أستطع تقييم باريس. كانت باريس مزاجا عصريا، وحين عدت من برلين لم تعد باريس سوى مدينة عادية مثل بقية المدن. طبعا هي مدينتي المفضّلة، غير أنّني أُقيِّمها من الخارج. الفترة «بين الحربين» شيء مهمّ في حدّ ذاته. وانطلاقا من هذا التّصوّر، عوض أن تكون التظاهرات الفنية مثل السريالية، والنزعة السلمية إلخ..، بشائر عصر جديد بدت كما لو أنها إيديولوجيات مُوجَّهة بتحولات العصر، وستندثر باندثار هذا العصر. لقد فقدت آفاقها. أظنّ أنّه لكي تكون حاضرا بالنّسبة إلى عصر ما، أن تمتلك آفاقا، والعبور يعني انعدام هذه الآفاق.

على جنديّ الجبهة وجندي المشاة أن يواجها الموت. أمّا أنا فعليَّ أن أواجه البقاء على قيد الحياة.

الأربعاء20

الثامنة صباحا: طقس ذهبي جميل. قليل من الضباب، طقس سبتمبري جميل وخفيف جدا. «نيبار»، الذي كان يتغوط قريبا، يستقيم واقفا بعد صوت انبعاج ورق ويقول بصوت متدين وهو يضع تبانه: «الطقس الجميل!». صمت ثم أضاف بنفس النبرة: «لَكَمْ هو مثير».

أمام هذا الاضطراب الحربي، هناك تصوران للحرب والجيش: تصور متفائل أحاول المحافظة عليه منذ أيامي الأولى، غير أنّه يبدو لي غيبيا كما هو الشأن في الفيزياء؛ فهناك نظام إحصائي بكتل كبيرة ولا تحديد ذرِّي. والتصور الآخر الذي يبدو أقرب للحقيقة: كلّ شيء هو غفل وفوضى؛ حيث الحظ وحده يحدد الانتصار. يكتب «أندريه جيد» في 25أكتوبر2016: «كلّ شيء يحملني على الاعتقاد أكثر فأكثر أن مسائل هذه الإستراتيجية التي يجعلون منها لغزا كبيرا، وأنّ الحل الذي يعتقدون أنّه يستوجب معارف خاصة جدا وضروري، هي مسائل ذات معنى جيد وسليم جدا، إلى درجة أن مجرد ذهن بسيط، وسليم، صاف ويقظ هو أسرع في حلها من هذا

35. خلال السنة الجامعية 1933-1934

العدد الكبير من الجنرالات العجزة». ليس هناك مؤسسة مدنية واحدة، حتى ولو كانت مفلسة، تقبل بهذا الشكل من الفوضى، وبهكذا تهاون. ليس هناك أيّة إدارة مهما بلغ تحجرها مسمومة بهذا الشكل من البيروقراطية. إن أردت أن أكون منصفا، أقول لنفسي إننا دون أدنى شك في فرقة عسكرية حثالة، وأن التقدم في اتجاه جبهة «صار» يبدو أنه يمضي بشكل منهجي كفايةً. لكن ماذا يعرفون؟ فليس بخطوط التواصل الثلاثة اليومية يمكن اتخاذ القرار.

كم هي عجيبة هذه الفوضى العسكرية، التي هي بالأساس نقيض الفوضوية، والتي نجمت عن أن التعليمات يتم إيصالها بشكل صارم تماما من القائد الأعلى إلى العرفاء، مرورا بكل درجات الرتب العسكرية. التعليمات المختلفة لا يمكن إطلاقا تجزئتها؛ ذلك أنها تتداخل.

قال «جيد» في الأول من يونيو1918: «أفكّر أحيانا، برعب، أن انتصار فرنسا الحقيقيّ الذي ترغب فيه قلوبنا هو انتصار الماضي على المستقبل».

يقول «النّقيب لو مور» للرئيس «تيبو»: «عزيزي، عليك أن تعلم أنّه في الخدمة العسكريّة قبل أن تنفّذ أمرا، انتظر أمرا مخالفا».

يُضحك القائد البدين «تيبو» الجنود بما تكتبه له زوجته من رسائل. حين يتسلم رسالة منها، يضرب فخذيه بيديه ويتكلم بصوت عال: «اسمعوا ما تكتبه لي: ها قد مضى خمسة عشر يوما منذ أن رحلت، أرجو أن تحصل على إجازة الأسبوع المقبل». يشرع الجنود في الضحك: «طبعا هي تتوهم». مدفوعا بهذا النجاح يستمر «تيبو» في تلاوة ما جاء في رسالة زوجته: «اسمعوا هذا: لقد مر يومان لم استلم فيهما رسالة منك. من المؤكّد أنّ إدارة البريد لا تنجز عملها بشكل جيد». يومان! يهتاج كل هؤلاء الجنود الذين ظلوا منذ خمسة عشر يوما أو ثلاثة أسابيع بدون أخبار جديدة، ويصيحون بشكل جماعي: «يا للنساء! النساء والحرب! الحرب كما تراها النساء!»، وينفجر القائد البدين ضحكا. لكن بعد ساعة أخرى، وأمام جمهور آخر، يرد على تساؤلات بعض الجنود الذين يتذمرون من تأخر البريد فيقول بصوت جاد ومستاء: «تكتب لي زوجتي أنها لم تتلق رسالة مني منذ ثمانية أيام».

أمّا «بول» المنساق الذي يتابع كل شيء، يصبح مُدقِّقا وأستاذيّا حين يتلقى رسالة من زوجته. سمعته يتحدث أول أمس ويقول بصوت جاف شديد العتاب: «زوجتي امرأة خارقة للعادة، تريد أن تأتي بابني إلى بارلودوكو أنا لا أريد ذلك إطلاقا». وهكذا، في لحظة خاطفة برز ربّ العائلة من تحت شخص الجنديّ.

لطالما سمعت رد الفعل هذا عدة مرات (خاصة من فم «بييتر»): «سيان عندي لو كانت لديّ زوجتي فقط، لكن ثمّة أيضا ابني». هناك انطباع أنهم تركوا خلفهم عوائل مدعاة للرثاء، وأنهم يتداركون ذلك من خلال التفكير في أبنائهم.

كانت المنازل مغلقة بإحكام من أجل الحماية، ينبعث من خلال الستائر وميض مائل للزرقة، وفي بعض الأماكن الأخرى كان يشبه الضوء. يسبغ كل هذا على القرية جوا ناعما تحت نور القمر. يزداد الفرق بين الخارج والداخل حدة. وجرت العادة أن تشيع المنازل أضوائهم على العتبات في شكل بِرَكٍ. والآن يحتفظون بذلك في الداخل؛ إنّهم فعلا الداخليون. يحاصرهم الريف من كل جهة فيبدو كل هذا شعريا، عجيبا شيئا ما، يجذب ويدفع فينا الرغبة لمعرفة ما يحدث بالداخل.

الخميس21

هذه الأنواع الثلاثة من الناس لا يمكنها أن تتحمل الانفراد. ما أن يكون هناك شخص يرفض القيام بشيء ما، حتى يندفع الاثنان الآخران ليقولا: «نحن أيضا لن نفعله أيضا». أفقت هذا الصباح على عجل راغبا في أن أتناول فطور الصباح وحدي. كنت أعرف إنني لو بقيت ربع ساعة فقط بمفردي، سوف أكون في حالة نفسية رائقة وشعرية. غير أنه من المستحيل أن تظفر هنا بالعزلة. اندفع «العريف بول» يغادر سريره بدوره وهو يراني واقفا. من حسن الحظ إنني سبقته؛ إذ لم يضع حذاءه في قدميه بعد، في حين كنت أنا قد شرعت أبارح المكان. استطاع أن يلاحقني بكلمات قائلا: «سألتحق بك في المقهى». منطلقا وحدي، كنت فعلا أمشي بسرعة إلى درجة أن لفافتي ساقيَّ غير المشدودتين جيدا انزلقتا على كعبيَّ. بان لي النّزل بين منخفضين في

المكان. وقتها أمسكت بتلك اللحظة الأثيرية عندي. لن أستطيع أن أسميها نشوة أو أسفا، وإنما هي شكل من أشكال النوستالجيا السعيدة والشاعرية لما هو ضروري ولِمَا هو سُمُوٌّ. نوستالجيا لأنّ السُّمُوّ والجمال (باعتبارهما ضرورتان في مجرى الحياة) هناك دائما وراء ما يحيط بنا؛ سعادة لأنها-لا شك في ذلك - حالة تأمل. في العادة ليس من السيئ أن يكون في الجوار حاك تنطلق منه موسيقى، ولكن، وبما أني لم أسمع موسيقى منذ 1سبتمبر، ولأنّني أهتز عند سماع الموسيقى، كان يكفي أن يرفع جندي صوته القوي البشع في الطّاولة المجاورة بمقطع موسيقي بطيء. في تلك اللّحظة الغامرة بالأحاسيس، غمرني شعور أبكم إنني محروم من السّمّو والجمال، وأنّني أرغب فيهما بشكل مُلِحٍّ وأستحقهما وسيأتي يوم وأنالهما. طبعا لا شيء من كل هذا يتشكل من حولي؛ غير أن ذلك تراءى لي من وراء الأشياء التي تحيط بي، ولا يظهر من خلال هذه الأشياء نفسها قدامي. وحين يغيب كل هذا أجدني فارغا تماما. أعترف أن هذا الشعور عادة ما ينتابني انطلاقا من مذاق سيء للأشياء؛ فعادة ما يجب أن تكون الموسيقي حزينة لتهيِّئ لمثل هذا الشعور. قرأت في إحدى المجلات السويسرية خبرا عن حماقة عاطفية أغاظتني ومازالت تغيظني كلما أعدت قراءة الخبر. لا أخفي أبدا أن السماد العاطفي الذي من خلاله يتشكل هذا الانطباع المهم جدا عندي لا يعني شيئا، غير إنني لا أعتقد أن قيمة تلك الحالة في ذاتها مرتبطة به: يتحرر منه ولا يبقى متعلقا به. في تلك اللحظات أحس أنّني كائن شِعري؛ وهو في الحقيقة حالة استراحة وليس حالة إبداعية – من النّوع الحدسيّ (أقل من الامتلاء). سأقول إنني معطر؛ غير أنّ هذه الكلمة تدعو إلى للسخرية.

قدموا لنا معلومات جديدة عن الألغام الألمانية؛ حيث تُفَجَّر بالجذب. المفتاح الذي يفصل قادح الذخيرة متصل بخيط إلى شيء موضوع على الأرض: منظار، أو رفش، أو فأس، إلخ... ما أن نلتقط «الشّيء المرغوب فيه» حتّى ينفجر كلّ شيء. نصحونا أن لا نمسّ أي شيء في ساحة المعركة. وطيلة كلّ هذا الوقت تولّد لديّ انطباع أنّنا كنا أطفالا يشرحون لهم أن لا يلتقطوا ولا يحملوا إلى أفواههم الحلوى الملقاة في الطّريق.

شادنفرويد[36] التي كنت أتابع معها تقهقر الحزب الشّيوعيّ الفرنسيّ؛ لأنّ هذا الحزب الذي لم يكن في الحقيقة شيئا مهمّا، كان بالتّدقيق يضايقني. كنت من أنصاره في وقت مضى، وحلَّ وقت آخر أعطيته بظهري آسفا. وبصفة عامّة، لم أكن أريد أن أكون شيوعيا؛ لكن كنت أريد أن أكون يساريّا أكثر من الشّيوعيّين. خلال إحدى حواراتي مع «بيانكا» قالت: «لا أنت ولا أنا نمتلك الشّجاعة لنكون شيوعيّين». هنا جرحتني البردعة وأجبتها قائلا: «نعم، ولكن من جهة أخرى ليس الحزب الشيوعي بهذا القدر الذي يجعلنا نمتلك هذه الشجاعة[37]». يبقى أنّه عليَّ أن أقرَّ أنّني لا أمتلك تلك الشجاعة، ومن الجيّد أنّني لم أكن أمتلكها. ويبدو لي أنّني حين رأيت هذا الحزب ينهار ويتسخ[38]، فكّرت أنّه لم يكن هناك من سبب ليتأسّس هذا الحزب؛ فشجاعتي لم تكن تغري إطلاقا إلّا في الظّاهر. غير أنّ هذا غير حقيقي إطلاقا. وكيفما أصبح عليه الحزب الشيوعي، فقد سألوني فيما مضى أن أختار فاخترت أن أكون ضده. هذا بالإضافة إلى أنّ الشيوعية ليست الماركسية.

يتلقَّى «كيللر» ثلاث رسائل هي الأولى منذ تجنيده. دسها في جيبه مغتاظا وانتحى مكانا منعزلا ليقرأها وحده بعيدا عنا. وما أن وجد نفسه وحده حتى استلها من جيبه، وقبل أن يخرج الأوراق من داخلها، تشمم الأغلفة جيدا، ثم تأمل الأختام، والتواريخ، والخط. كان لا بد أن ينقضي ربع ساعة ليقرر إثرها فتح تلك الرسائل. لم تنقض لحظة من الزمن حتى ضحك وحده وقال لي: «زوجتي مستشاطة غضبا ضد جارنا. تم تجنيده في نفس الوقت مثلي، ولكن في ظرف أربعة أيام أعيد إلى بيته، وهو يقضي كامل اليوم يُغنِّي».

---

36. بهجة لئيمة.

37. تذكر سارتر هذه المحادثة وهو يكتب حوار ماتيو-برونر الفصل الثامن من عصر العقل.

38. علم سارتر عن طريق الصحف اليومية الاستقالات العديدة لشخصيات شيوعية: نواب، رؤساء بلديات، الخ. للتذكير فإن الشيوعيين في اضطراب شديد منذ الاتفاق الجرماني- السوفياتي التي حاولت الأحزاب الشيوعية أن تبرره. لم ير الحزب الشيوعي الفرنسي من الجيد أن يعدل في موقفه حين اقتحم السوفيات بولونيا في 17 سبتمبر. خمسة أيام بعد ذلك، سوف يُذاع قرار حل الحزب.

يوميات «دابيت»[39]: صراخات، استجوابات خطابية، كل شيء غامض، كل شيء فارغ. «أريد أن أحيا لكن دون أن أبحث كثيرا عن الأسباب؛ أحب أن أحدق فيَّ، أن أحللني». تشبه قليل **يوميات كوليت X**[40]. قذارة مضيئة للأرواح البريئة. ساخرة بعض الشيء: كان خائفا جدا من الحرب، غير أنه مات بالحُمّى القرمزية، وأنا قارئه الذي عشت حربه وأنا أقرأه.

حول الصرامة العبثية للأوامر والفوضى التي تنتج عن ذلك: نحن في حاجة إلى بارومتر، والعقيد يبحث عنه في كل مكان. وفي النهاية قال للعريف «بول»: «لدينا أمر بالمصادرة؛ بما يعني أنه لا يمكننا الحصول على هذا البارومتر إلا بمصادرته من عند أحدهم. أرادوا أن يعطوننا واحدا، لكننا كنا مُجبرين أن نرفضه».

إنّ نفسية «جول رونار» و«لاروشفوكو» والهنات الأدبية لـ «دابيت» وملاطفات «أندريه جيد» ليس لأنها ليست في داخلي ولكن لأنني أخنقها. لا أريد أن أقول إنني أجعل لها قناعا، لكنني أدقّ عنقها بكبرياء. يبدو لي دائما أنه يكفي أن لا تصغي لها لتسقط مستنزفة الدم. هي تتغذى من الانتباه الذي نوليه إياها. لكن رغبة الكبرياء التي تدفع إلى تجنبها، إلى رفضها، هي عندي أقوى إلى درجة أني أعتبر مثل هذه الأمور عبثية. يحدث لي أن أحدث نفسي برضى إنني أفلت من هذه الطبقة البشرية؛ لأني أريد أن أحيا وفق مخطط آخر، وأن هناك علم نفس آخر يعنيني؛ ذاك المتعلق بالحرية. غير أنّني أتساءل أحيانا هل النكران هو المحو؛ بيْد إنني أعتقد أنّ هذه الحيرة غير عادلة. هي تصدر عن وهم أن هناك طبيعة بشرية. لكن، هل كل هذه الظلال المجردة التي تعبر فوق حياتي الحقيقية هي التي تتيح لي إمكانية كتابة رواياتي؟ ليس لي إلا أن أعبئ هذه المخططات لبناء نفسية شخصياتي.

---

39. أوجين دابيت (1898-1936) مؤلف نزل الشمال (دينوال1929) ومؤلف وجع الحياة (غاليمار 1939)، يومياته التي تبدأ من 1928 إلى مماته، نشرتها غاليمار، قرأ منها سارتر مقاطع في مجلات متنوعة حين طلبها من بوفوار في رسالته 12سبتمبر 1939.

انتشرت على صفحات الجرائد هذا الصباح إحدى تلك الصيغ التي يعرف الفرنسيون سرها: «فترة انتظار إستراتيجية على الجبهة». (راجعوا صيغ 1914 التي يذكرها «أندريه جيد»: الجيش الألماني ابتلعته فرنسا)، عكس خطاب «دالادييه». لم استمع له، لكن الموظفين يتحدثون عنه بمزاج سيّئ. يبدو أنّه ارتكب جريمة بقوله إن الحرب ستدوم طويلا[40]. يقول سكرتير: «لا أريد أن أسمعه، في كل مرة يتحدَّث فيهايبثُّ فيَّ الكرب». ويقول آخر: «إنه أول الانهزاميين، يجب رميه في السجن». يحافظ الجميع على ذلك الأمل المُعتم في أن الحرب سوف تنتهي بسرعة. بالنسبة إلي، لا أمل في ذلك على الإطلاق. حاولت هذا الصباح - كما لو أني أعذِّب سِنا مريضة - أن آمُلَ، كي أرى نهاية سريعة للحرب، لكن هذا لم يُثرني على الإطلاق. ليس لديّ أيّ أمل في أيّ شيء، لا أنتظر أي شيء. أبقى هادئا في كابوس مع الحرب من حولي.

السّبت 23

تقول الكاستور إني أعتقد نفسي خالدا. نعم، فلربما ذلك صحيح شيئا ما؛ لا أفكر في إنني سوف أموت. لكن هناك شيئا آخر: لقد وضبت كتاباتي ليس بوصفها إنتاجات منعزلة عن بعضها، لكن كما لو أنها تنتظم ضمن مؤلف شامل. وهذا المؤلف الشامل ترتبط نهايته بنهاية حياة الشخص. والأفضل، توقيا من الشيخوخة، إنني أفكر دائما في أن الأساسي سيكون فيما سأكتبه في عقدي السابع. تبقى هذه الصبيانية العبثية، لكن العميقة، المتمثلة في أنّني لا أرى نفسي أموت قبل أن أبلغ السبعين من عمري. والمحصل من كل هذا شبيه بكُمٍّ فارغ يفصل نهاية حياتي عن موتي. وبشكل آخر يمكنني أن أقول إن حياتي لها نهاية قبل أن أموت بوقت طويل، تمام مثل بدايتها بعد ولادتي (في جزء منها طبعا لأنني لا أمتلك الكثير من ذكريات طفولتي). وهو ما نتج عنه بالنسبة لي وجود واع، مكتمل ومُنْجَز، شبه دائري؛ حيث الانتظارات كانت

---

40. " نحن مطمئنون ومصممون. لسنا موسوسين، مثل أعدائنا، خشية من حرب طويلة. نحن لا نفكر إلا في شيء واحد: الانتصار الشامل.. "خطاب مُذاع لإدوارد دالادييه رئيس الحكومة 22سبتمبر 1939)

مُتدثرة دائما بالنتائج، بما أنّ اللامحدد من هنا وهناك هو حياتي الحقيقية. فالمهم في كل هذا ليس أن تكون خالدا، بل إنّ الأساسي هو أن يكون للحياة منجز. في سانتراي، فيذلك اليوم الذي اهتاج فيه «بول»، ظننت أنهم سيأخذوننا إلى خط الهجوم غدا، في سانتراي واجهنا الموت لأول مرة كما يواجهه أغلب الجنود؛ مثل حدث ينبثق وسط الحياة ويوقفها دون أن تكتمل إنجازا؛ لقد شرحت هذا بالتفصيل في الفصل 13 من روايتي حول لولا [41]. غير إنني أحسسته وتقبَّلته للحظة على جسر سانتري وأنا أتأمّل النهر. لا يدل هذا على الانهيار الكلي لوعيي، ولكن على اللامعنى الكامل لكل انتظاراتي: انتظار حياة أكثر اكتمالا مع فاندا؛ انتظار أن اكتب كتبا أجمل؛ انتظار أن أؤلف منجزا فكريا؛ إلخ. وفي نفس الوقت، وعكس ما يقوله «هايدجر»، لا يجعل هذا من وعيي أكثر ذاتية؛ فهذا يُحوِّله إلى شيء، بما إنني أشعر أنه يمكن القول: كان ثمَّة وعي. كل هذا سهلالتحقُّقإلى درجة إنني «ميت في حياتي» مادمت قد تخلَّيْت عن كل شيء. والحقيقة إنني أفكر أغلب الوقت في أن حياتي مُعلَّقة. لكن في أحيان أخرى أراها متوقفة. أشعر بالموت في تلك اللحظات وأقبل به. ليس هناك إلا اتصالاتي مع الكاستور التي تفلت من عبثية الموت لأنها تفاعلات جيدة، بل إنها كل ما يمكن أن يكون في كل لحظة. لا أنتظر من هذه التفاعلات أي شيء سوى استمراريتها اللانهائية. لكن في الجملة، في الوقت الذي أنا فيه، وفي مكاني هذا مواجها للموت المباشر، يمكنني أن أقول إنه الشيء الوحيد الذي نجحت فيه حياتي. والباقي في طريقه للنجاح بدرجات متفاوتة. لقد كان هذا الحدس بالموت مقتضبا جدا ولم يعاودني. للإمساك بجوهره، عليَّ أن أعتقد أنه يهددني، يجب أن أكون -سواء كنت مخطئا أو على حق- في وضعية موت. كل هذا فقد وعيه هنا.

مساء أمس، وصف لنا سائق شاحنة عسكرية عائد من ستراسبورغ-بشكل سيئ-

---

41." فكر في لولا: لقد ماتت وحياتها كلها كانت انتظارا مثلها مثل ماتيو... لم يكن هناك ما يمكن انتظاره: لقد عاد الموت إلى الخلف عاد ليحصد كل الانتظارات وأوقفها. ظلت هذه الانتظارات ساكنة وبكماء، بلا هدف عبثية. .." لو أموت اليوم فكر ماتيو بغتة. لن يعرف أحد إن كنت قد انتهيت فعلا أو إنني مازلت احتفظ بفرص النجاة. "عصر العقل الفصل السابع من النسخة النهائية غاليمار 1945.

هذه المدينة المؤثرة الميتة. لا أثر لقط هناك. خلال أكثر من ثلاث ساعات تسكُّع، لم يروا سوى أربع بنات يدخلن مركز البريد (ومن المؤكدأنهن من العاملات). حافظت أرصفة المقاهي على كل طاولاتها، لكن الستائر الحديدية تغطي النوافذ والأبواب (مثلما هو الأمر في البندقية ليلا في ساحة سان مارك). من الممكن رؤية مجلات وصحف عبر واجهات الأكشاك بتاريخ يوم الجلاء. لقد كان منذهلا فقط من سكك الترامواي «هذه السكك التي لا تنتهي»، تمتم بذلك بصوت خافت. أتخيل أن هذه السكك تشير من خلال خطوطها الطويلة متوازية الطول، أكثر من أي شيء آخر، إلى الطول اللانهائي للشوارع الفارغة. لقد ذهب «بول» صحبة القائد «مونييه» هذا الصباح إلى هناك. أردت الذهاب عوضه. في جميع الأحوال سوف يأتيني بتفاصيل جديدة.

قرأت هذا الصباح هذه السطور من يوميات «**دابيت**» ولم تعجبني (بسبب «فاندا»):

قالت له البائعة: «لقد عرفت خلال الحرب نساء محترمات جدا، لكن حين عاد أزواجهن قالوا لهن: إن لم تضاجعي شخصا فذلك لأنك لم تستطيعي[42]...».

طبعا.

أخرج «المساعد كورتو» طرف خيط من حافظة نقوده: «انظروا، إنه حبل مشنقةأحمله معي منذ خمس سنوات. نسيبي في الشرطة قام بمعاينة لعملية انتحار وأتاني به».

أتفرَّس في حاضري من وجهة نظر الموت؛ فهو ينتزع معناه حتيمن إدراكي، من أفكاري، من رغباتي الطارئة؛ فكل هذا هو في الحقيقة انتظار. أكثر تمثُّلاتي المؤقتة إنني كنت موجودا. كل حاضر يُعوِّل على المعبر المؤدي للماضي ليجد عزاءه. يُجرّده الموت

42. تشبه الارتيابات العاطفية لسارتر في تلك الفترة تلك التي عانى منها دابيت والتي أسرَّ بها في يومياته؛ غير إن هذا الأخير كان يعيشها بطريقة المالاناخوليا وأعزل بينما كان سارتر يأمل السيطرة على حياته من خلال دفاتره.

من حق أن يصبح ماضيا. ينتزع منه الموت حق أن يكون ماضيا، فيرقُّ إذا ويصبح شفافاوغير مُحُدَّد؛ تنقصه القدرة على الربط بين العناصر. كتبت لي الكاستور تقول: إن لديها انطباعا أن المكان الوحيد الذي يمكن أن يسعها هو اللامكان. انطباع مماثل من وجهة نظر الموت. يصبح الحاضر بمثابة اللامكان واللازمان اللذين يعيشهما أي شخص كان. شعرت بكل هذا، اليوم، في شكل انفعال عبثي. من زمن بعيدافتقدت حدسي في سانتراي (تمت سرقته، أو بالأحرى لم يكن يفي بالغرض). فكرت للحظة أن أكتب لـ «بولهان» تأملاتي حول الموت [43]، لكن من المستحسن إرجاء ذلك إلى وقت آخر حين أرى الموت مجددا.

لا يمكن أن نمسك بالموت جيدا إلا بالنظر إليه من خلال الحياة، في كل لحظة من هذه الحياة كما في التجمعات الحيوية والعاطفية، وليس فقط في اللحظة التي يظهر فيها كحدث زمني. فهم رائع لـ «هايدجر». لكن الموت ليس احتمالا من احتمالاتي: إنه الانهيار القادم من خارج كل إمكانياتي، بما فيها تلك التي كنت عليها. هذا الانهيار يستمر دائما، إنه الفراغ العميق الذي في قلب كل إمكانياتي، إنه حضور الخارج في أبعد أعماقي. إنه اللا –أنا فيَّ أنا، أو، إن أردنا، إسقاطٌ لإحاطة العالم بي في قلبي أنا نفسي. إنه يعد لنا إن لم نأخذ حذرنا ضده. وهذا الحذر يستوجب أن نحدد أنفسنا في كل لحظة بشكل يقضي أن حياتنا إنْ توقفت هنا، فستمثل وقتها كُلِّيَّة مصحوبة بنهاية. يتعلق الأمر هنا بتحديد وجودي طبعا.

---

43. كتب سارتر في ذلك اليوم إلى جان بولهان مدير المجلة الفرنسية الحديثة:" ها أنا ذا الآن جندي ملتزم. لكن لست محاربا. أطلق الكرات مثل يمامات، في نواحي القطع المدفعية، وأتبعها بمنظار لأحدد اتجاه الريح. لديَّ متعة الاستمرار في كتابة روايتي (...)أفكر أيضا في خدمة الإعلام من أجل " ردود فعل حول الموت"والتي أحب أن أعطيها للمجلة الفرنسية الحديثة. هل سوف تقبلها؟ لقد عرف سارتر بولهان في افريل 1937، في الوقت الذي قبلت فيه غاليمار نشر روايته الغثيان. في جويلية 1938دعاه صاحب رواية المحارب المستخدم لكتابة مقال شهري ثابت في المجلة بداية من نوفمبر. ما بين جويلية 1937 إلى مارس1940نشر سارتر عددا لا بأس من المقالات في هذه المجلة لكن مشروع " ردود فعل حول الموت "لم ير النور.

الأحد 24

عادة ما يُعدِّل الضابط أو ضابط الصف الضحك باشمئزازية خفيفة من خلال تباعد الشفتين، لكن عوض أن تمتد بشكل مكشوف على كامل الوجه، تقع في الوسط تقريبا، بشكل تبدو معه الضحكة من خارج الشفتين. ويأخذ الضابط ذلك بعين الاعتبار. لن ينخدع إطلاقا بقيمته؛ فليس المقصود بإيمائية الاشمئزاز الجنود، بل إنّ هدفها الأول هو التقليل من قيمة الضحك.

إيمائية العين الكابية: مُخصصة لتدمير جندي في عينيه من خلال النظر إليه. هو في الحقل البصري للضابط، غير أنه لامرئي.

إيمائية الصمم المرتجل: تقع فجأة على الضابط فتعزله. في اللحظة السابقة كان ينصت لمحدثه، أما الآن فلم يعد يسمعه إطلاقا. من الممكن جمعها مع إيمائية العين الكابية.

اهتزازات مزلزلة ترج رقبة ورأس الضابط وضابط الصف من الأعلى إلى الأسفل، ومرصودة للتعبير بالإيماء عن قناعة راسخة. مستخدَمة بالخصوص أثناء التوجه بالكلام إلى جندي ما والنظر في عينيه. تسمح بانتزاع خفيف للنظرة (التي تظل ثابتة) من الوجه الذي يتماوج مثل حقل قمح ويعني بذلك فكرة مُسبَّقة.

على الصوت أن يكون خافتا، بعيدا ومحايدا، لإعطاء انطباع دائما أننا نتحكم فيه.

بمثل هذه الاحتياطات يمكن لضابط الصف أن يمزح مع جنوده، وجنوده يقولون: إنه ليس متكبِّرا.

اكتشفت في داخلي طبقة من الصور المُطمئنة والشعرية؛ التي تنزلق من حين لآخر في أفقي؛ هي صور ما بعد الحرب الأخيرة. هي فترة كانت دائما عزيزة عليَّ، ولكن أصبحتُ الآن أحبها أكثر لأنها تصلح أن تكون رمزا لما بعد حرب أخرى لا أستطيع ولا أريد أن أفكر فيها. بالأمس، مثلا، استعدت صورة عدة مرات بشكل خفي ومُعَزّ

لي. هي ذكرى غامضة لفيلم أمريكي قديم عنوان **هيموريسك** (موسيقى هزلية)[44] كنت شاهدته مع «بيرون»، و«بروسودييه»، و«نيزان»[45] سنة 1925، في قاعة سينما صغيرة بشارع أُرْدُنير، ويظهر في أحد مشاهده عودة الجنود الأمريكيين إلى نيويورك؛ حيث تستقبلهم نساء عاشقات منذهلا في فساتين طويلة. هذا رمز[طبعا]، وهناك مشاهد أخرى أيضا. وذلك السحر الذي انطبع في داخلي وأنا أقرأ يوميات «أندريه جيد» 1919-1921، بصعوبة يمكن تمييز تلك الفترة بما بعد الحرب. عكس **يوميات «دابيت»***1932-33-34* التي تركتني باردا [غير متحمس]. إنها الموت.

من ذكرياتي الحديثة التي أستعيدها دائما أمسية قضيتها رفقة «فاندا» في حانة الإسكادراي[46]. ولست أستعيد هذه الذكرى بسبب «فاندا»، ولكن بسبب الرسومات الجدارية الضخمة على جدران الحانة، والتي تستعرض أبطال الطيران الذين كانوا ياتون لتناول كأس فيها بينسنتي 1917و1919. وبنفس الطريقة أفكر دائما في قصة «فولكنر» **أد أسترا** التي تقع أحداثها يوم الهدنة. كل هذه الأشياء الرمزية تمثل جزءا من موكبي الحالي. بل لا يجب استعمال كلمة صور لتمييزها؛ فهي حضورات مؤثرة. وبما إنني في الحقيقة لا أنتظر أي شيء، فإن نهاية هذه الحرب، حربي، ماثلة دائما أمامي. وهذا أيضا شيء آخر بما إنني دونته؛ فمازلت أمتلك الوقت كي أغامر بالتنقل من وجهة نظر هذه النهاية لاعتبار حاضري الراهن كما لو أنه ماض. مجرد حِيل. يبقى أنَّ هذه النهاية غير المنتظرة، وغير الممكنة، هي أحد أهم شواغل وقتي الآن. بل لا أتخيلها قريبة. إنها بعيدة جدا، لكنها محسوسة، تُسبغ، بشكل ما، على هذه الحرب التي أعيشها كلية منتهية.

---

44. فيلم أمريكي لفرانك بورزاج (1920) ميلودراما يدور شطره الثاني حول الحرب العالمية الأولى (يعود البطل بعاهة).

45. بول نيزان –أفضل صديق لسارتر في تلك الفترة –الفريد بيرون، سيلفان بروسودييه كانوا جميعا في المعهد العالي للمعلمين.

46. خلال الحرب العالمية الأولى صار بار دي فوكيهس (البناية الشهيرة في جادة الشان اليزيه) مكانا يرتاده طيارو الجيش الجوي وأصبح اسمه " بار السرب الجوي ".

هي الحرب الشبح دائما. يرفع جندي كتفيه في المقهى أمام أحد المناشير: «لن يجعلوني أعتقد...هناك أشياء تحدث...». أنا: «أيةأشياء؟». هو، غامض، لكنه ظل إلى أخمص قدميه ذلك الشخص الذي لا يمكن خداعه بأي شيء: «مفاوضات...! لقد أكدوا لي حين رحلت: سوف يتم تجنيدك لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر ليس أكثر، وسوف ينتهي كل شيء». ثم يواصل حديثه وهو يضغط على الكلمات: «ودون حرب». ثم منزعجا، وبنبرة متسائلة في غموض: «كل الجنود هنا يوافقونني الرأي». لقد تعود الجمهور على الأكاذيب الرسمية، إلى درجة أن خطابات لـ «دالاديه» و«شامبرلان» (47)، التي تؤكد «حلولهم الحاسمة لـإلخ إلخ» تتركه باردا. يغمز الناس بأطراف أعينهم ويقولون: «إنهم يقولون هذا للأمريكان، ويقولون هذا لنا نحن، إلخ».

هناك حذر شديد إزاء ما تصدره الجرائد، حتى تلك البريئة، من أخبار جديدة لدى الجنود الأذكياء (أو الأدعياء جدا). وهذا الحذر متأت من غسيل دماغ تعرضوا له سنة 1914، إلى درجة أن هذا الحذر أصبح تقريبا علامة التقاء بينهم. اليوم، أحد الجنود، كان يقرأ، وهو يحمل تعابير وجه سافونارول، [جريدة] باريس صوار. انحنى «بييتر» عليه يقرأ ما في الجريدة وناداني: «إنهم يقولون إن ربع الجيش الألماني بسيغفريد مريض». تمتمت قائلا أنا الساذج في العادة: «فليقولوا ما يشاؤون». رمقني صاحب وجه سافونارول الذي لم يقل أي شيء إلى حد الآن بنظرة وِدٍّ وتقدير وفتح النقاش. شبيها بأولئك الذين «يتخففون من حماقاتهم» في تلك الثانويات التي تتبنَّى الجدد الذين يبرهنون من خلال حواراتهم على امتلاك معرفة كافية بالفعل الجنسي.

الكثير من (بورجوازيين صغار أو بورجوازيين) يواصلون في قول أنتم.

كثير من الحماسة. غير أنهم مصدومون. «علينا أن ننتهي من هذا الأمر». أغلبيتهم

---

47. للتذكير إن نيفيل شامبرلين الوزير الأول البريطاني، وادوارد بالاديبه رئيس الحكومة الفرنسية – ومنذ 14سبتمبر وزير الجيش والدفاع الوطني والشؤون الخارجية – أمضوا مع هتلر وموسوليني اتفاقات ميونيخ 1938 التي تسمح لألمانيا النازية بالدخول إلى الأراضي التشيكية للسودات وتشرع في تقسيم تشيكوسلوفاكيا.

كانوا سيصابون باليأس- وأي تهمة! -إن تمت إعادتهم إلى ديارهم غدا بعد سلام ودي؛ وأنا من هؤلاء. ليست هناك أية كراهية ضد الألمان، بل لم يعد هناك من يتحدث عن «هتلر» إطلاقا. مصدومون، مرتجُّون، مغتمون في أعماقهم؛ فأغلبهم تقريبا يعرفون دون شديد عناء أنهم سيختبؤن إن كان بمستطاعهم؛ غير أنهم بمجرد ما يلمحون مدنيا ما من سِنِّهم، تكون نبرات صوتهم لامبالية، غير مهتمة؛ ثم يهتف أحدهم فجأة بصوت حاد: «هاهو ذا شاب؛ لماذا لم يتم تجنيده؟».

الحرب الشبح. قدم أخ مُضيفتنا من بيتش بدون رخصة لزيارة أهله في مارموتييه. قال إن الهدوء التام يعم محور بيتش: «البراحة فقط أطلقت المدافع الألمانية بعض القذائف لمدة خمس دقائق بدون أن تصيب أي شيء. طبعا ردت المدفعية الفرنسية لمدة خمس دقائق، وانتهى كل شيء». جلب «بييتر» الشيء إلى الطاولة أمام عشرات الجنود. قال أحدهم: «الوضع نفسه في كل مكان، ليس هناك أي جريح ولا رصاصة واحدة ألمانية طائشة. كل الجرحى بسبب الألغام. لا يطلق الألمان النار». قال آخر: «لا يرغب هؤلاء في خوض المعركة». تمتم آخر: «وهو ما يعني أنه بهذا الأسلوب سنظل هنا لعشر سنوات أخرى».

يؤكدون أن فرقتنا العسكرية هي فرقة نذالة.

الاثنين 25

المشاة. أمسية غريبة بالأمس وانطباع غريب. كنا نتناول طعام العشاء على الطاولة العائلية الكبرى بالطابق الأول (إنها طاولة الخبَّاز التي قاموا بتمديدها) على ضوء معلق مغلف بجريدة: كما لو أنه ضوء مصباح زيتي. كان خلفي صوان ألزاسي، وفي أحد الأركان كرسي أطفال. صور ولوحات على الجدران (كنيسة مارموتييه منسوجة). تحلق حول هذه الطاولة أربعة جنود: أنا وثلاثة جنود إلى يميني، من بينهم ملاكم بأنف مجدوع ونظارات معدنية؛ جاف الطبع ومسود الوجه، أدرد الفم. على يساري ستة صيادين قدموا إلى مارموتييه بشكل حر وبدون رخصة رسمية. كان

الجميع بصدد الأكل، وفجأة بدأ الحديث بيننا، وشيئا فشيئا وجدت نفسي بين مجموعة من الناس الضائعين؛ فالصيادون قد نزلوا في الحقيقة أوترسفيللر على بعد أربعة كيلومترات من هنا. كانت التغذية سيئة، وليس هناك ما يمكن شربه ولا أكله. أما أولئك الذين كانوا هنا وعددهم يبلغ العشرين نفرا، فيقضون ليلهم في مخزنالبلدية، ولا يقدرون حتى على التقلب في مراقدهم لكثرتهم. ينامون على البلاط؛ فلا وجود حتى للقش، وحين تمطر السماء يتبللون بالكامل. يقضون اليوم برمته بين التمارين واستعراض الأسلحة، إلخ. ومع إمكانية أن يتجهوا نحو «جبهة النار» قريبا، مجرد التفكير في هذا يرعبهم، يفضحهم، يملؤهم ببطولة نفاد الصبر. يقولون: «لماذا يرهقوننا بكل هذه التمارين؛ لن نكون بحاجة إليها حين نكون في الجبهة». وهو ما لا يتوانى أن يقوله المتعبون جدا لضباطهم؛ فأحدهم قال للضابط المشرف عليه: «يتعبني هذا كثيرا سيديالملازم، أريد أن أصعد إلى هناك»؛ وهو ما نتج عنه أربعة أيام في حبس الشرطة العسكرية، وفي القرير وبخه النقيب كثيرا؛ مما دفع هذا الجندي ليقول: «وماذا عن حرية التفكير، سيدي النقيب»؛ ما نتج عنه عقوبة لثلاثين يوما في الحبس، وتم إلحاقه فيما بعد بكتيبة على الجبهة. قال للعقيد مستهزئا: «لا يهمني سيدي العقيد، بالعكس أنا أبحث عن الالتحاق بجبهة النار». الكثير من الجنود اعتبروه بطلا؛ لقد قال للضباط ما لم يجرؤ هؤلاء على قوله، لقد عَبر بشكل واضح عما لم يفكروا فيه، كانوا كلهم مهزوزين في نفسياتهم، مجروحين في كرامتهم بسبب هذه التمارين الشاقة، لا ينتظرون إلا شيئا واحدا؛ وهو الصعود إلى الأعلى حيث جبهة المعركة. وخلال هذا كله كانوا يعتقدون أنهم سيموتون؛ وهو ما يرعبهم، أحدهم قال: «علهم يتعمدون إرهاقكم كي ترغبوا في الصعود إلى الجبهة». كان الجو غريبا في قاعة أكل العائلة؛ هؤلاء الناس الهادئين ويروون حكايات الضباط على غرار كل العسكريين، كما لو أنهم من الجانب الآخر. تدخل هنا الملاكم السابق بصوته الأجش وقال: إنهم يهينون أنفسهم أولئك الضباط، لقد شاهدتهم يهبون للمعركة في 1914 ولم يعد منهم الكثيرون. لقد سمعت بعض الجنود يتحدثون عن ذلك في المخزن. دخل أحد النقباءليزعجهم، وما إن خرج حتى تمتم أحد الجنود قائلا: «سنكون غدا في الجبهة

وسوف أصيبك برصاص بندقيتي اللوبيل»[48]. و«بييتر» المتعقل دائما والمهذب: «نعم، ولكن لا يجب المبالغة...». لكن الملاكم قاطعه: «قد قلت ذلك لزوجتي؛ لا يجب أن يبالغوا في إزعاجي، لقد خضت حرب 1914، كما أديت واجبي العسكري في المغرب، وكنت مع ذائع الصيت (اسم لا أعرفه). لقد انتقص من شأني؛ كان يرى أن شعر رأسي أطول من اللازم، ولما أراد ذات يوم أن يقصه لي في قلب الصحراء، قلت له: من يسيء إلي فإنني أحتفظ دائما برصاصة له، وأخرى لي». لقد كان ما سمعته أمرا قاس جدا ووحشيا، أعاد النظر عندي في النحيب الشاق والمتواصل لـ «بول» وشطارة «بييتر». كل ماسمعته جعلني أشتم الدم من حولي.

حرب شبح. قال «الرقيب تيبو» هذا الصباح: «لقد رأيت رائدا يأتي من ستراسبورغ. يحاول ألمان كيهل التعاطف معنا، ويرسلون إشارات وعلامات تناول الطعام. يقولون إنهم يريدون أن يعبروا».

هذا الصباح كانت المدرسة ملتهبة؛ رأينا الجنود مصطفين بانتظام خلف قطعهم العسكرية، كل قطعة حولها جنودها مثل لعبة. نصف القذائف لم تنفجر. فرقة النذالة. يصلنا الضجيج يصمُّ الآذان؛ وهو ما يصيب «بول» بالإسهال.

صار الصعود إلى الجبهة وسواسا عند الصيادين؛ فهذا الركود اليومي وعدم معرفتهم لوقت رحيلهم أصبح يمثل بالنسبة إليهم تهديدا قائم الذات وثقيلا عليهم، غير أن الضباط أبلغوهم قائلين: «لو تصرفتم مثل أولئك الذين يتمتعون بحظوة، فسوف نرسل خلفكم الفريتز [الألمان]».

لن يستطيع «بول» و«كيللر» أن يفتحا فهمهما دون أن يرفع كل واحد منهما حاجبيه بشكل عشوائي؛ وهو ما يجعل وجههما يبدو أخرق؛ متعجِّل ومستغرب، فاقد للصواب ومنذهل بما يتم حشوه في الفم. كما لو أن هناك منظومة عضلية مُوحَّدة عملت التربية على تفكيكها. من شأن هذا الارتفاع في الحاجبين أن يكون مصحوبا بشكل طبيعي بانفتاح الفم؛ بما يعني أن ثباتهما أمر مكتسب.

---

48. بندقية ذات طلقات متعددة.

عندما يكون «كيللر» بصدد القراءة، يكون تركيز انتباهه حادا جدا، ولا يمكنه أن يحافظ على هذا التركيز لأكثر من دقيقتين. تتقد عيناه خلال هذا الوقت ثم تفرغ، نرى شيئا ما كما لو أنها موجة زرقاء تسيل من الحدقة، ثم تصبح العين فجأة صافية؛ صافية إلى درجة تثير الاستغراب، ثم يستريح للحظة في غباوة سعيدة. وقتها يعود «كيللر» مرة أخرى للقراءة، كما لو أنه يزدرد طعاما بعينيه.

لم تصلني أية رسالة من «فاندا» منذ أربعة أيام. وصلتني هذا الصباح رسائل وصور من «ب». طريقة تفكير غريبة في ذلك اليوم لـ «أتظاهر أنّني قوي»: لقد كنت مقتنعاأن «ب» تريد الانفصال عني، وأنني لن أعثر عليها بعد الحرب. فباعتبار لامبالاتي الكاملة، فهو أمر عادي وسيان عندي. ومن خلف كل هذايختبئ الخيال: فبقبولي انفصال «ب»، أدفع ديوني لما هو محتمل (والذي يقضي بأن تتخلى عني واحدة على الأقل ممن أعرفهن) وأضمن في نفس الوقت وفاء «فاندا» الذي أنا في شديد الحاجة إليه الآن. علاوة على ذلك، فلقد كنت أعالج هذا الانقلاب النفسي بحوارات هادئة حول «التجارب العاطفية»: لقد تخلت عنه تلك التي كانت تتظاهر أكثر بالوفاء له، إلخ. وهذا الشبه في الانقلاب مع انقلابات أخرى مشابهة ومؤكدة يبعث في النفس الطمأنينة؛ بشكل يجعل كل ما أريد أن أحدث به نفسي لأثبت أن «ب» سوف تنساني، يصلح أن يجعلني أعتقد أن «فاندا» ستحبني إلى أبعد حد. غير أن الرسائل الغرامية التي وصلتني من بعد من «ب» نسفت كل هذه الأكاذيب.

الثلاثاء26

مزاج رائق: حصلت على راتبي؛ وهو ما يعني أنّ «فاندا» ستأتي من باريس. رسالتان من «فاندا». كلمة من «ب»: «نحن سعيدات جدا[49]».

إن كنت لا أعتقد دائما إنني سأموت خلال هذه الحرب، فذلك لأن عزيمتي مشدودة ضد الموت كما لو أنه مجرد غثيان بحر. لم أنتبه من قبل إلى أنّني انطلقت في

49. نحن ويقصد بها " الكاستور وأنا": مما يعني ان بوفوار وبيانكا ب كانتا على علاقة جيدة.

الحياة للقيام برحلة طويلة، لكن بمسافة معلومة ونهاية محددة؛ الآن أدركت ذلك. لا بد من الوصول قبل المساء. لا أريد أن أشعر بتعبي، كما لا أريد أن أتوقف. عزيمة متقدة. ليس هناك مكان للتعب ولا للهو؛ لا أتخلى أبدا؛ وكل شيء يخدم هذه الرحلة. يُجنبني هذا كل رعب غيبي – تماما كما يفعل الآن ويبعد عني الحرب– وهو ما يجعلني لا أشعر بها على الأقل؛ فلا وقت لي للموت الآن. هكذا أشعر بالأشياء تقريبا؛ وهو ما يرسخ بشكل سحري يقينا في داخلي، يقيينا إنني لن أموت قبل أن أصل إلى آخر هذه الرحلة. ولذلك تتأكد فكرة القدر عندي على أنها الرأي المعاكس لهذه التوتر المستمر. هناك جملة غبية وقذرة لـ«بيلصور»[50]– بلهاء وساقطة – أذهلتني بشدة في ما مضى (حين كان عمري 18 سنة): «هل حدث ورأيتم نقيبامات وتم تكريمه في حين أن هناك معارك أخرى سوف تنتهي بالانتصار؟»؛ هذا هو سر تفاؤلي. عكس «دابيت»، الفاكهة الناضجة، الذي بدا في يومياته ذابلا حد الموت. يقع، سيقع، يستسلم، وليس للموت إلا أن يمد يده لقطفه. كما لو أنه مات لأنه لم يُرد كفاية أن لا يموت. غالبا ما ساد عندي انطباع أننا نموت إما بسبب الإهمال، أو بسبب اللهو، أو بسبب الشيخوخة، أن نكون أحرارا ضد الموت (وليس كما يقول «هيدجر» أحرارا من أجل الموت). لا أقصد أن أقول إنه بإمكاننا أن لا نموت إطلاقا، لكن أردت أن أقول ببساطة: نحن منتهون – لكن مهامنا أيضا منتهية. علينا أن نكون قادرين على الابتعاد عن الموت حتى تبلغ مهماتنا تمامها. أما بعد هذا، فما علينا إلا أن نستسلم للأبدية.

البارحة، خلال وجبة العشاء، خُصَّ اثنا عشر جنديا من سلاح الهندسة بأقداح من التارامينار المعتق [نبيذ عطري من العنب]؛ وذلك لأنهم سيرحلون. كلهم قدموا من أورليان. في رحلة تنقلهم التي دامت ثلاثة أيام وثلاث ليال، استبدلوا القطار لخمس عشرة مرة. ينزلون في كل محطة، لكن وجهتهم ظلت سرية (غامضة بما أنها في النهاية كانت مارموتييه). بل حتى رئيس المحطة كان لا يعرف وجهتهم؛ فمهمته تقتضي أن

50. كان الكاتب أندريه بيللاصور (1866-1942) أستاذ سارتر في التأليف الفرنسي لمّا كان هذا الأخير تلميذًا في الصفوف التمهيدية [بالانجليزية في الأصل] بمعهد لويس-لو- غران.

يضعهم في قطار يوصلهم إلى المحطة المجاورة ليستقلوا قطارا آخر وهكذا دواليك. لقد مرُّوا بديجون، عانوا من البرد؛ بينما القطار يتقدم بارتجاجات مزعجة، حقائب وخوذات ملقاة في عربات الحيوانات بشكل عشوائي، والجنود يركضون خلفها. توقف القطار بغتة، ترجل منه سائقه، ثم أخذ دراجته وانصرف. أما الميكانيكي، فقد نزل بعد قليل، أشعل سيجارة وجلس على حافة حفرة يدخن، وحين التفت كان القطار يسير لوحده؛ لقد غفل عن شد المكابح. الميكانيكي ذاته بعد ردهة من الزمن كان يشد شعره ويصيح قائلا: «لقد وضعوني في ماكينة دون أن يأخذوا رأي وأنا لا أعرف قيادة القاطرات». إثر ذلك توقف القطار بشكل مفاجئ؛ ما أحدث ارتجاجا: لقد كاد هذا القطار أن يصطذم بقاطرة متروكة على نفس الخط الحديدي. في الليلة الأخيرة توقفوا عند الساعة الواحدة، وهرع إليهم الملازم المشرف عليهم يرتعد برداوهو يقول: «أتشعرون بالبرد أيها الجنود؟» وفي الآن نفسه ألقى ببصره ناحية مقدمة القطار قبل أن يطلق صيحة: «يا إلهي، صار القطاربلا قاطرة تجره». لقد انطلقت القاطرة وحدها وتركتهم وسط العربات على الخط الحديدي، دون أن يعرفوا السبب. وظلوا على تلك الحال لأكثر من ثلاث ساعات إلى أن قدمت قاطرة أخرى. كان الجميع يتذمرون قائلين: «أيّ تجنيد هذا!».

كان من الطبيعي أن يسود لدى الجميع انطباع أنّ هذه الحرب حرب شبح؛ وهو أمر طبيعي. كان جميع هؤلاء الجنود بمستوى ثقافي أرقى من صيادي الأمس، وكانوا يُعبِّرون عن هذا الانطباع بعبارات حكيمة، غير أنّ الأساس هو نفسه: «ما الذي يفعلونه بنا؟ أيّة كوميديا هذه! تخيلوا: جبهة بعشرين كيلومتر». وأحدهم، مستغربا من طول كلماته التي ينطق بها، قال: «ليست حربا فعلية، إنها حرب إيديولوجية». قاطعه جندي آخر قائلا: «لم أستطع أن أستوعبالمعاهدة الروسية الألمانية. هناك أمر في هذه المعاهدة، ربما كانت مناورة من قبل «شامبرلان» و«دالاديه» اللّذين دفعا بالروس كي يضعوا الألمان تحت أيديهم؛ لأنني في الأخير أقول إنهم إن أرادوا إنقاذ بولونيا فعلا، لكان بإمكانهم أن يرسلوا لها جِنودا». قفز «بول» من مكانه مندفعا وهو يصيح: «جنود؟ من أين؟ ليس عن طريق دول البلطيق أو رومانيا». رد الآخر بشكل ماكر

ولهجة وقار مصطنع: «أوه! لو كانوا فعلا يريدون ذلك...!».

علامة فارقة: كانت يُطلق على الألمان في الحرب قبل الأخيرة كنية البوش [البوش كنية أطلقت على الجنود الألمان في الحرب الفرنسية الألمانية 1870]، أما اليوم فكنيتهم الفريتز نظير للتومّي [وهو كنية كان يطلقها الألمان على الجنود الإنجليز]، دون محتوى عاطفي؛ وهي على ما أعتقد الكنية التي يطلقها الألمان فيما بينهم.

كيف تتشكل التقولات: بالأمس انحنى الجندي «صافونارول» علينا قائلا: «أيها المتثقفون جدا، أيهاالقادمون من القيادة العليا، ماذا هناك؟ ما رأيكم؟ هل بالفعل يتفاوضون؟». أجبنا كلنا: «طبعا، لكن لا تفه بحرف!». ردً وهو يحدث الجميع بنبرة اهتمام: «أعرف من مصادر رسمية أنّ هناك مفاوضات جادة مع الألمان».

الحالة النفسية العامة: شبيهة بحالة المتفرج الذي يشاهد بمزاج سيّئ ملاكميْن بصدد تقتيل بعضهماالبعض، فيتمتم: «ثمة توليفة هنا». لا أحد يثق في التصريحات الوزارية، ربما لأنهم تعودوا على الشعارات القديمة للسلطة المخفية للماسونية [البناؤون الأحرار]؛ بحيث يعتبرون كل ما هو مرئي، من قوات منتشرة، وتجنيدات، إلخ مجرد إ سيناريوهات؛ ديكور يجب على أعينهم أن تخترق كل هذا لتكتشف ما يحدث فعلا في الكواليس. هناك اهتمام لدى الجميع: أن لا يكونوا أغبياء.

المدرسة تشتعل: تطلق المدافع قذائفها، كما لو أننا في الـ 14 من يوليو.

من خلال رسائل أمي ورسائل «ب»، يبدو أنهم في الخلف هناك أبعد من أن يعتبروا هذه الحرب حربا شبحا. لكن لا شيء يدعو للثقة تماما فيما يحدث (إخفاء المعلومات والحقائق، إلخ...). بل هناك تعايش عند كل هؤلاء الناس بين عقيدتين؛ العقيدة الظاهرة: خديعة، مفاوضات... وهناك عقيدة مخجلة في حرب شبيهة بحربسنة14. مثال ذلك: من أجل إثبات وجود هذه المفاوضات السرية، يشرع أحدهم في الحديث: «انظروا إلى بولونيا التي يبلغ تعداد سكانها ثلاثين ملون نسمة، كم أثاروا من ضجة حول الجيش البولوني العظيم(؟). في الحقيقة، هو لم يصمد لأكثر من خمسة عشر يوما». «خمسة عشر يوما!» هكذا صاح أحدهم كان يتابع المحاججة

عن كثب: «خمسة عشر يوما وثلاثين مليون نسمة. ونحن الذين نعدّ أربعين، لن نستطيع مقاومة أكثر من شهر واحد». بالإضافة إلى أنّ هناك أحاديث تتناقل منذ أيام عن استعدادات الألمان لمهاجمة هولندا وبلجيكا.

الأربعاء27

يقول «**بريس باران**»: «إن خُضتَ الحرب وقبلتها؛ فهذا يعني أنك شريك فيها»؛ وهو ما ليس صحيحا بالضرورة فلابد أولا من التمييز بين أن تخوض الحرب وأن تكون في الحرب. فإن تخليت عن سلاحي وتركت موقعي بين الجنود وهربت أو كنت في مؤخرة الجيش، فذلك يعني أنّني لن أخوض الحرب، ولكن يستحيل أن أتجنب أن أكون في الحرب. لا أستطيع قبول هذا الأمر أو رفضه؛ فهو مثل شيء أمتلك الحرية في إبعاده قليلا عني: هو تحوير للعالم ولوجودي الخاص في هذا العالم. ليست الحرب مغامرة تحدث لي وأتصرف إزاءها بشكل أو بآخر؛ بلا حرب طريقة وجود بالنسبة للعالم. ولأنني في هذا العالم، فمصيري الشخصي يبدأ من هنا. بمعنى آخر، لا تتدخل الحرب في تحديد مصيري كما هو الحال بالنسبة إلى المرض، أوالزّواج، أو الموت بالعكس، إنّ مصيري يولد من الحرب، وهو لا يتميز عن الآخرين لأنّه يحتوي على الحرب بينما لا تحتوي مصائر الآخرين عليها، بل على العكس تماما، أنا مع الحرب بقدر ما أنا إنسان. لم يعد هناك أيّ فرق بين «أن تكون في حرب»، و«أن تكون إنسانا». أقول هذا لأنني لا أستطيع «أن أقول لا» للحرب، تماما كما لا أستطيع أن أقول ذلك للشرط الإنساني. تتمثل لي كما لو أنها تحوير لوجودي مع الآخر؛ لوجودي من أجل الموت...ليس بإمكاني أن أفعل شيئا إزاءها. هل سأكون ذلك الهارب من الحرب؟ لا أستطيع فعل ذلك الآن. ما يمكن أن يخدع هنا هو أنّ كثيرا من الجنود يقررون ما يحدث في الحرب. وبالفعل، فإنّ ما يحدث في الحرب يحدده الجنود، لكنه يتحقق من الخارج. يفلت التنوع الشديد للمصائر الشخصية في الحرب من أيدي أولئك الذين يخوضون الحرب، كما هو الحال بالنسبة إلى هيئة العالم (الأشجار، السماء، المنازل)؛ مثل الحرية البشرية للجنود في الحرب؛ ذلك أنّه من المستحيل

لشخص ما أن يرفض وجوده في الحرب، فالفروقات الفردية والحرية يلتقيان في الطريقة نفسها في الوجود -من أجل -الحرب.كل قدر هو منسوج بقماش جديد هو الحرب، لكن كل حرب مختلفة عن الأخرى، مفصلة بشكل مختلف تماما؛ وهو ما غاب فيالـ 3من سبتمبر، ليس فقط السعادة والسلم، بل هو عالم بسمائه، فصوله، حيواناته ونباتاته: عالم آخر برز لجميع الناس. من أهم ميزات الناس خلال الحرب هي البقاء قيد الحياة في عالم مُبتَلَعٍ. الناس خلال الحرب هم أولئك الذين نجوا في السلم. يبقى السؤال قائما: هل من الضرورة القيام بالحرب؟ أتساءل بدايةً هل كل شخص يساند بكل حريةالحرب عليه أن يخوضها؛ فحين تكتب الكاستور لي، حين تتخذ موقفا تجاه «بوست» أو تجاهي أنا، حين «ترفض السعادة»، كما تكتب «ب»، أو أيضا حين لا ترى في السعادة، كما تكتب لي، إلا أسلوبا متميزا للإمساك بعالم السلم؛ حين تقوم بكل هذا إنما تخوض الحرب. كل من لا يترك نفسه يرتج في الاضطراب والحيرة، ويخوض الحرب في حقيقته الإنسانية فهو يقوم بحرب. حتى ذاك المتخلي عن موقعه في الجبهة؛ فلابد من المتخلين عن مواقعهم في الجبهة خلال أي حرب؛ ذلك أنه يؤدي دورا معينا. وكلما أخذ وقتا في التشاور مع نفسه قبل القيام بأي فعل، زاد من تدعيم الحرب ووجوده من أجل الحرب. كل تصرف منسجم ومُخَطط له بحرية تجاه الحرب هو «قيام بالحرب». لن نستطيع الإفلات من ذلك إطلاقا؛ فالمتخلي عن موقعه في الجبهة لا يستطيع أن يأمل في إلغاء الحرب بفعلته تلك. يكتفي بتصديقها فقط. منذ اللحظة التي يهرب فيها منها، إنما هو يؤكدها ويهجس فقط بالطريقة المثلى التي سوف يتصرف من خلالها تجاهها؛ أي كيف يخوضها بشكل آخر. من خلال وجهة النظر هذه؛ أنا أخوض الحرب فيما اخترته بين التخلي عن موقعي في الجبهة والخضوع؛ وهو ما يتلاءم مع قَدَري الشخصي في الحرب. ليست لدي أدنى شراكة مع هذا العالم مثل المتخلي عن موقعه في الجبهة. لكن بدا لي على الأقل أن مصالحي وهدفي الشخصي سيكونان في وضع أفضل، رغما عن وجودي في الحرب، إذا لبَّيْت أمر التجنيد.

ما كنت بصدد قوله بشكل سيّئ ومُطَوَّل هو أن الحرب ليست موضوع تفكيري فقط؛ بل هي قماشه. أفكر في الحرب من خلال كل ما أدركه، هذه الطاولة أو الغليون؛

الطريقة التي أفكر بها أو أدرك بها هذه الطاولة أو هذاالغليون هي «طريقة حربية». أخيرا، إنّ الطريقة التي تمنحني فيها الطاولة نفسها أو يمنحني الغليون نفسه هي طريقة حربية. لا يتعلق الأمر بتقييمات صافية أو بفهم واضح: ففهمي ما قبلَ وجوديٍّ، ووجودي الراهن جدا بالنظر إلى إمكانياتي الحالية؛ كل هذا هو من الحرب. ورغم ذلك فأنا مرتعب من الحرب، غير أن هذا الرعب هو بسبب حرب تقع فعلا؛ وهي نفسها وجود من أجل الحرب؛ موظَّفة من الحرب؛ حالة ثابتة وغير متغيرة لا تهدف إلى تجنب الحرب، ولكن إلى التوجس خيفة منها؛ وعلى أساس هذا الرعب يتطور هدوئي الراهن، سعادتي وابتهاجاتي.

موجوداتي[51] [بالألمانية] «هيدجر» : إذلال الرعب.

من الواضح أنّ الصحف اليوم تجامل روسيا.

ما الذي تغير في داخلي منذ الـ 3 من سبتمبر. لقد استغربت من هذا التغيير منذ اليوم الأول. لقد خشيت أن ينتج عن توتر داخلي لن يكون بإمكاني الاستمرار فيه، ولكن ها هو شهر كامل ينقضي دون تعب، دون إزعاج. لا أعاني في الواقع من أي توتر؛ وهو ما يعني مقاومة مني ضدي، ولكني غيرت مما أنا عليه، بما يعني أيضا أن حالة الحرب أصبحت حالتي الطبيعية. لقد كانت هذه التحولات دليلا وتأكيدا لحريتي؛ فلا أحد بإمكانه أن يكون أقل تجاهلا لهذا النوع من التغيير، لا أحد كان متعلقا بالحياة بجشع مثلي أنا. لقد كانت لدي دوافع تجعلني أرحل يائسا، ما لم أكن قدتغيرتُ فيما يتعلق بحياتي. وبالعودة إلى ما قلته آنفا، فإن ما تغير هو وجودي -في- العالم. لقد بقي أسلوبي في الوجود هو نفسه، غير إنني أطبقه الآن على وضعيات مستحدثة. يظل أسلوب الحياة ثابتا، لكن على أساس طبيعة متبدلة؛ وهو ما يعني أنّني بمثابة إمكانيات أخرى. ولا يمكنني أن أتأسف على حياتي الماضيةإلا كما نندم على عصور قديمة جدا: كما لو أنّها حلم.

القمر بدر ورائع هذا المساء. من الممكن قراءة جريدة في الشارع. ألوان المنازل

---

51. عاطفة الوضعية.

تظهر بوضوح جلي: الأزرق، الوردي الذابل- لكن متحفظ وفضي. الألوان البيضاء عجيبة. عالم غريب. بالإمكان سماع الصوت المُسَمَّر لأحذيتنا العسكرية في الشوارع المقفرة. أفكر في مساءات سانتراي [52]. كان الليل أسود بهيميا كما لو أنه فرن. تبدو الطبيعة أقل تزييفا منذ أخفوا الأضواء؛ إنه لحدث حقيقي اكتمال القمر.

هذا المساء، وبينما كان «بييتر» و«بول» يلعبان الداما ولعبة المتاهة، تولد لدي انطباع مباغت حول ما لا يمكن إصلاحه. يتحدث جنود وهم يتفكهون عن خمسة عشر عاما من الحرب. شرعت في حساب العمر الذي سوف أبلغه في ذلك الوقت حين يعم السلم: تسع وأربعون سنة، ثم فكرت فجأة في ثلاث سنوات فقط من الحرب؛ وهو احتمال ممكن، فكرت: ليست لدي إلا حياة واحدة. انطباع سيّئ في الأول أصبح ثمينا فيما بعد؛ لأنه شبيه بانعكاس الموت، غير إنه أفلت مني. ما أن شرعت في الكتابة حتى انطفأ إحساسي بذلك الانطباع. غير أنه من المؤكد أنّ الحرب في جميع الأحوال - لأنّ لها ألف طريقة لإهدار كرامة الإنسان -تضعه في مواجهة مع شرطه الإنساني بشكل محسوس. ودون أدني شك أن هذا الانطباع «ليست لدي إلا حياة واحدة» انطباع تافه عند الآخرين؛ غير إنه استثنائي عندي. لديَّ إحساس مستمر أنّ عندي الكثير من الوقت، واللحظات التي أخسرها سوف يتم تعويضها بوفرة إلى درجة لا يمكن أن أخسر معها وقتي. ثم فجأة، في خضم هذه البطالة العسكرية، انحسر وقت وحياتي.

لقد تم تأهيلي منذ سبتمبر - مثل الآخرين -لاحتمال هذه الحرب. هاهو عام قد مضى وأنا أعيش في هذا الوضع المؤقت. أكتب روايتي بحماس بالغ، محاولا أن أنهيها في أقرب وقت، معتقدا بذلك إنني أقاوم اللاجدوى، وأنني لن أنهيها أبدا. تبدو لي حياتي في تجزئتها الثلاثية [53] غير عادية، يغمرني هذا الانطباع الغريب بأنه «سوف تمرُّ

52. حيث كانت تقيم وحدته ما بين 4سبتمبر إلى 10سبتمبر.

53. يتعلق الأمر هنا بحياته العاطفية. إضافة لعلاقته بسيمون دي بوفوار كان لسارتر علاقتان: واحدة مع فاندا كوزاكيفسكي ذات أسلوب شغوف ويشار إليها هنا في دفاتره بتلميح مختصر، الثانية مع بيانكا ب. علاقته البريئة مع فاندا سرية غير ثابتة، عرضية؛ أما عن الثلاثي سيموندي بوفوار سارتر

سنة، غير أنّ الحرب سوف تعيد ترتيب كل شيء». هذا التبذير المجاني لوقتي ومشاعري كان بالنسبة إليّ مثل نذير شؤم. ثمّ هناك هذا الحشد من المتع الظريفة المتميزة على طريقتي في عشق شارع بباريس، مقهى، إلخ... كلّ هذا اندثر في سبتمبر وما عاد له أثر.

الخميس 28

قال «بييتر» أثناء تناول وجبة الإفطار: «سارتر مثلنا أضرت به بنيته الجسدية. حين رأيته أول مرة قلت لـ «بول» – غير معقول يا «بول»؟ – قلت: إنه نصف نائم هذا الشخص». لقد لاحظت بالفعل أن بييتر في سيانتري يميل إلى معاملتي مثل كتلة غير ذات قيمة، أما الآن فقد صنفني ضمن فئات أخرى: موظف، أعزب، حالم، بوهيمي. «أخ زوجتي نسخة طابق الأصل منك. كتبت له قائلا: لدينا هنا بوهيمي مثلك، فرد قائلا: أنت محظوظ». غير أنّ هذه النعوت هي بالنسبة له فئات حقيقية. يُفكر في من خلال تصورات؛ فأنا عنده الحالم، البوهيمي، إلخ؛ يعني أنّني أساهم في ماهيات ثابتة. هذه هي الفكرة التي عنده عن التنوع البشري: نحن كما نحن، ليس بإمكاننا أن نتكلف. إلخ. غير أن هذا يعني أيضا: توجد ماهيات متعددة للإنسان غير قابلة للتواصل معها وثابتة؛ فما يعطي قيمة لماهية لا يعطيها للأخرى. مزيج عجيب – بل ومنتشر بكثافة – لنسبية ذات أصول تجارية، مع ميل نحو المطلق. إنه علم نفس الزبون الذي يجرها نحو هذه العموميات: يتقدم الزبون بما هو مجموعة من المطالب الثابتة أو التي تتبدل ببطء. نطلق على طريقة ما اسم مجموعة المطالب. وانطلاقا منها، يتم تشييد آليات مُفسِّرة. ويتم في نفس الوقت ترتيب هذه المجموعات للحصول على «عائلات»؛ وهنا يتدخل الإحصاء ونحصل على تصنيفات حسب نوع الأشخاص: أولئك المختلفون بطبعهم، والآخرون والذين هم على العكس تماما؛ متشابهون

بيانكا فلقد كان بصدد التفكك: إذ إن مشاعر الكاستور نحو هذه الأخيرة صارت مزدوجة وتناقضاته وجدانيا (رسائل إلى سارتر ويوميات حرب لسيمون دي بوفوارغاليمار 1990) وسارتر نفسه ما عاد يعرف كيف يتصرف مع الشابة.

بشكل فائق. حين أتحدث مع «بييتر»، يغمرني انطباع دائم إنني أجسد في عينيه شخصا آخر؛ فبالنسبة إليه كل «البوهيميين المثقفين» في العالم قابلون لأن يحلوا مكان بعضعم البعض. وهناك نوع آخر من الناس مستعمل بشكل كثير: أصيل. فلقد اكتشف منذ وجوده أكثر من خمسين ضابط صف وضابط «أصيلين». «أنت تعلم، الفتى الجيد... فتى أصيل».

حكمة «بييتر»: «من مصلحتنا دائما أن نخالط من هو أفضل منا».

فرصة ثمينة لأرى تأثير ما أُنْتِجُه من الخارج: أحد الجنود قال ذات يوم: «هل أنت «بول»؟ لا؟ دائما ما أخلط بينك وبين الآخر». وجندي آخر قال هذا الصباح: «ألستما أخوين أنتما الاثنان؟ تتشابهان بشكل عجيب». هكذا صار بإمكاني تأمل «العريف بول» بشكل مكتئب وأفكر: كما أراه يراه الآخرون؛ وهو ما ليس دقيقا تماما؛ لأنه يتعلق بتشابه عام بالنسبة إليهم؛ هؤلاء الذين قليلا ما يروننا ويدركون بشكل غريب. في حين أنني أنا أدرك «بول» بشكل تفصيلي، فمنذ شهر أراه كل دقيقة في اليوم. ولكن وعلى كل حال، هناك ثقافة ذابلة، ذكاء بدون ملامح أراه على محياه وأعتقد أنه يطبع وجهي كذلك. وإحقاقا للحق، فـ «بييتر» يحتج أحيانا قائلا: «مستحيل، إنهما لا يتشابهان».

هناك بين الأساتذة، أفتخر بأني متفرد. ذلك ما تقوله «أولغا» عادة: «أنتما متفردان، الكاستور وأنت». لكن هنا، وعلى العكس من ذلك، فأنا مختلف جدا عن «بييتر»، و«كيللر»، والجزار، و«تيبو»، مختلف عن «المساعد كورتو»؛ أحس نفسي نموذجيا. الآخرون أيضا نموذجيون أكثر منهم عاديين. هناك نزوع في الحرب لنسف الاختلافات الفردانية (من الخارج) لتظهر النماذج. شيء لا يصدق ما دفعني خلال أداء واجبي العسكري، إلى كثير من الذِّلة الخشنة. أما اليوم فلا أثر لتلك الذِّلة، ولا أثر أيضا للكبرياء. وعي هادئ وعارٍ بالذات، كما لو أن كل أفكاري، كل مشاعرى تنمو في حالة من المجهول البدائي: مجهول الوضعية (هذا الوجود في الحرب المشترك بين الجميع)، ومجهول الموقف (في أي مكان، مهما كان)، وقابلية تبادل الوظائف (في أقل من ساعتين يمكن لأي شخص أن يصبح سابرا)، واشتراكية الملكية (ثيابي

إلخ...). وفي نفس الوقت، العنف البدائي لزمن السلم. سخرية الاقتراب التي نشعر بهابين الجنود («سيلين» الذي لم يحلم بقتل جاره وهو يلتزم بالطابور أمام شباك تذاكر المترو؟) كل هذا اختفى هنا. غموض متبسم.

بدأت أشعر في يومالـ15أوالـ16 أنّني «مهم». رسالة من الكاستور تحدثني فيها عن التواضع اللطيف للصغير «بوست» الذي أرجعها متواضعة(54).من المستحيل أن تشعر أنك مهم حين «تكون في حرب»؛ إن رفضنا مبدأ الشعور بأهمية الذات حين نكون «أناسا عاديين». أن تكون في حالة حرب فذلك يدخل ضمن الشرط الإنساني في الوقت الراهن، وليس ثمة من داع للافتخار بذلك سوى أن تكون موجودا من أجل الموت أو من أجل أن تتناسل، إلخ...

تشعرني قراءة يوميات «أندريه جيد» دائما أنّني لا أعرف ما معنى أن تكتب بشكل جيد؛ وهو ما يذكرني بجملة «ماهو» (55) (1926أو27): «سارتر أيها البئيس، ليس هناك من شخص يهرول باضطرام خلف الجمال ولا يقدر على الإمساك به». ثمة في كتابتي ما هو صلب وجرماني، وهناك في جملي شحوم تُسمِّنها بخفة. مع الوقت تصبح لا تُطاق. لا بد من إزالة الشحوم، غير أني أعتقد دائما أن الفكرة أو الشعور تـ/ يفقد فروقاتها/ ه المميزة. عادة ما تخور عزيمتي بعد كتابة مُطولة. بالنسبة لي يمتلك أسلوبي رائحة عضوية؛ يشبه الأمر النَّفَس المرهق لمريض؛ يشبه رائحة بطن. من الممكن جدا ألا يحس الآخرون بنفس الإحساس. أحب كثيرا **الجدار** [عنوان رواية لصاحب اليوميات] لأنها خالية من هذه الرائحة، غير أنّ **الغرفة** (56)[رواية أخرى لسارتر]... وروايتي، حسب ما يبدو لي، (57) متعفنه إلى درجة الغثيان. الجمل الجميلة لـ «أندريه

---

54. تم تجنيد جاك لورين بوست صديقهما. حول المشاعر التي تكنها ديبوفوار تجاه هذا الفتى في تلك لفترة (يوميات حرب لسيمون دي بوفوارغاليمار 1990).

55. رينيه ماهو زميل دراسة لسارتر في المعهد الأعلى للمعلمين. تسميه دي بوفوار "هربو"في مذكراتها.

56. الجدار والغرفة أقصوصتان من خمس قصص صدرت عن دار غاليمار سنة1939.الجدار هو عنوان الكتاب.

57. عصر العقل كان سارتر يباشر كتابته أثناء هذه اليوميات.

جيد» ليس لها رائحة.

يمكن القول أيضا إن جملي الأروع لها طابع أثاث ثقيل، مع هشاشة سرية، انسيابية غير مكشوفة، تبرز خلال القراءة الثانية. نعوت كثيرة، علامات من الممكن تقليدها.

تغيير نحو الأفضل منذالـ2 من سبتمبر. حالتي الراهنة، التي تطلبت توترا في البداية، أصبحت عادية الآن.

هناك تطورات جيدة حول الحرب منذ الأمس إلى اليوم، غير أني في الحقيقة أنسى تماما إنني في حرب، وأحتاج إلى بذل جهد كبير لأتذكر ذلك.

نور القمر مذهل هذا المساء أيضا، غير أنه يحدث نفس تأثير ماء البحيرة الشاطئية للبندقية: نور ميت وآسن. تحتفظ الأشياء بألوانها تحت نور القمر كما هو الحال بالأمس، غير أنها كانت أشياء أكثر من المعتاد، مُغلَّفة بجمودها، ملتحمة وصامتة. الشارع وردي، والأزرق الشاحب الذي يميز مارموتييه بسقوفها المنخفضة، ميتة وساكنة تحت القمر، شبيهة بتلك الأشياء التي ظلت لمدة طويلة تحت تأثير حركة المنابع المتحجِّرة؛ حجَّرها القمر، استعراض صخري.

الجمعة 29

يثمل الطبيب البيطري كل مساء، يريد أن يقبل كل النساء اللواتي يعترضنه، فإن قاومن يصيح: «سوف أجس مِؤخرتك بالقوة». ومن جهة أخرى معركة في نادي الضباط، ما ينتج عنه إجراءات مُشددة يتم اتخاذها ضد الجنود العاديين.

عثر أحد الرقباء على وسيلة لتمرير عنوان مكانه في رسالة موجهة لزوجته. قدمت هذه لتلتقي به في إحدى قرى الألزاس، ونامت بشكل خفي في النزل الوحيد. لكنّها حامل وقد أجهضت: دم في كل مكان؛ مما استوجب نقلها في سيارة إسعاف عسكرية.

قال النقيب للرقيب: «ولكن من أين عرفت عنوانك؟». «لقد أعطيته إياها قبل أن يصدر أمر منع ذلك».

لكي أكون- صادقا- في -هذه -الحرب، عليَّ أن أتخلص من تفاؤلي الدفاعي. لقد رحلت لقضاء سنة من الحرب وليس للأسباب أي دخل في ذلك. مازلت أومن بشكل غبي في حرب من سنة واحدة، يعتبر «كيللر» أنها سوف تنتهي مع احتفالات نويل السنة القادمة. الأخبار سيئة اليوم من روسيا؛ لذلك انتهزها من أجل أن أهرب. لست مقتنعا بانتهاء الحرب بسرعة ولا بالانتصار النهائي لفرنسا[58]. وطالما أنا مقتنع بذلك، فسوف أحتفظ حولي أعضاء في صفي: الكاستور، و«فاندا»، و«ب»، وكتاباتي، وحياتي. وكل هذا سينهار إن لم أكن مقتنعا: فراغ أسود، ولكني في المقابل لن أحقق الحرب. ستصير حياتي فعلا من الماضي؛ تغيب عني نهائيا الفترة المتمدة خلال السنتين1918 / 1939؛ تموت. حاضري سيء، المستقبل غير متوقع، وكل إمكانياتي معدومة. لا يمكن لكل هذا أن يتحقق إلا في الرعب وبواسطته. وإن حدث هذا فسوف ينزع في نفس الوقت كل صلابة عن حاضري، يصير أعزل مثلما يفعل به الموت، بما إنني هنا وبالتحديد لمقاومة أية قطيعة مع الماضي. الآن فقط أدركت وأحسست المعنى العميق للحرب ولمعنى «أنا» في حرب.

ليس من الممكن بلوغ الأصالة إلا من خلال اليأس. ربما هناك من بعد شكل من البهجة الهادئ والقاتل؛ وهو ما يتحدث عنه «أندريه جيد» و«دوستويفسكي». تلك اللحظة الغامضة من السعادة التي شعرت بها يوم 10سبتمبر في قطار سافيرن؛ حين بزغ الفجر الرمادي ليكشف عساكر بخوذاتهم نائمين في المقطورة. الحرب دعوة لكي أضيع، لكي أتخلى عني نهائيا، أتخلى عن كتاباتي؛ أتخلص من كل ما أمسكه بجشع.

---

58. نفهم لماذا لم يكن سارتر متفائلا في ذلك اليوم بالذات: بما إن الاتحاد السوفياتي وألمانيا استكملا التغييرات السياسية-الجغرافية " التي يرغبان فيها، أمضيا البارحة اتفاقا جديدا منسجما مع الاتفاق الأول من خلال بروتوكول سري. وان كان الجميع وقتها يجهل وجود هذا البروتوكول في ذلك الوقت، لكن كان من الممكن التعرف على ملامحه من خلال تأثيراته على الأرض: بخلاف إن الدكتاتوريتين تقاسمتا بولونيا، فلقد ضغط الاتحاد السوفياتي في نفس ذلك اليوم على أستونيا لتمضي اتفاق عدم مهاجمتها وفي المقابل تمنح الاتحاد السوفياتي قاعدة بحرية وجوية ومن حق الجيش الأحمر ان يستغل هاتين القاعدتين في الدفاع عنها. وبالتالي فإن مصير أوروبا بأكمله أصبح بين يدي ألماينا والاتحاد السوفياتي.

لكي لا أكون سوى وعي عارٍ متأمل مختلف حيواتي المتقطعة: الحرب، ما بعد الحرب، ما قبل الحرب، الحرب الأخرى، ما بعد الحرب الأخرى مثل تجارب متتالية لست ملتزما بها.

الأحد، 1 أكتوبر

أستنتج أنّني لطالما تصورت الأخلاق كما لو أنها كائن وليس فعلا. وهي عموما حكمة لكن ذات طبيعة وجودية. لقد تمثلت الحكمة دائما في أن لا تفعل أي شيء، بل في إسباغ بعض التدابير الداخلية في بعض الظروف: اعتبار هذه التدابير الداخلية تعديلا وجوديا، ولديكم أمر مشابه تقريبا لطموحي الأخلاقي الوحيد، الرواقية والأصالة. رواقية؛ لأنه يجب الوقوف بصلابة وتحمل الوضعية (وهو أيضا رفض ومقاطعة) - أصالة لأنه يجب أن أكون في خضم الحدث؛ ومن هنا فهم الوضعية وفهم نفسي في تلك الوضعية؛ وهذا الفهم ليس إلا طريقة -هي نفسها أكثر أصالة - لتكون في وضعية. غير أن مظهرا من الطمأنينة يتبدى في كتاباتي نتاجا لكل هذا. فليس من باب الصدفة أن «روكنتان»[59] لا يفعل أي شيء: فهو ليس منشغلا إلا بأن يكون. كذلك «بابلو» في الجدار لا يفكر سوى في «أن يكون بشكل متفرد»، وأن يفهم الموت. بهذا المعنى عبرّت عن هواجسي الشخصية وعن الموقف الذي يجب أن أتخذه في مواجهة الموت؛ وقد فعلت ذلك بشكل عفوي. وكذلك شخصيات أخرى، رغم أنّني نشيط في الحياة اليومية. هنا لدينا أخلاق الفعل؛ كيف يجب عليَّ أن أتصرف تجاه «فاندا»، تجاه «ب»، إلخ...نقاش مع الكاستور حول ما كان يجب عليَّ أن أفعله، ما يجب عليها أن تفعله، غير أن أخلاق الفعل - والتي هي أكثر منها أخلاق واجبإن لم تنبع بشكل تلقائي من الوجودي- تبدو لي دائما أخلاقا دنيا، مؤقتة؛ أخلاق أصحاب الحظوة. وربما هذا متعلق بأن أفضل أنشطتي تمتصه الكتابة. ونتيجة لكل هذا، فإن الموقف الذي اتخذته بشكل عفوي تجاه الحرب هو موقف سلبي. رواقية وأصالة: لا

---

59. الراوي في رواية الغثيان.

نظر للحرب إطلاقا باعتبارها واجبا: لا أفعل شيئا بنفسي؛ بلا أجر جسدي، أقوم بواجبي العسكري ليتركوني وشأني. لكنني لا أرفض الحرب على طريقة «آلن». اعتبرها ظرفا وجب تحمله و«تحقيقه»؛ أن أعرف الحرب وأعرف نفسي من خلالها. غير إنني توصلت إلى أن أسأل نفسي (منذ بدأت أكتب هذه اليوميات) إن كانت الرواقية والأصالة في سياق منسجم. أليست الرواقية رفضا للقلق؟ أليست هناك حيل للرواقي، تفاؤل رواقي؟ وعكس ذلك، ألا ترتبط الأصالة بالتأوهات؟ «أندريه جيد» الذي بحث دائما عن الأصالة؛ أليس هو العدو اللدود للرواقية؟

ليست الحرية التي يبحث عنها«ماتيو»[60] حرية للفعل، وإنما هي حرية أن تكون. عنيه ببساطة أن يوجد-حرا. لقد حلَّلت مطوَّلا الانفعالات، والمشاعر، والوعي خالص بشكل مميز أفضل مما هو في علم النفس[61]، واكتشفت في نهاية الأمر أنّني غفلت عن تحليل العزيمة والأفعال.

يثير «هجوم السلم» عند كل من «هتلر» و«ستالين» شكلا من أشكال الهرج. يتمنى أغلب الجنود الذين التقيت بهم اليوم أن يتم قبول مقترحاتهم. بعضهم جاءت ردود أفعالهم في شكل مُوبِّخ: «وستكتشفون أن الحرب سوف تعود بعد سنتين!» والآخرون يأملون صائحين: «إن اقترحوا شيئا جيدا...»

اليوم يوم كآبة؛ لا رغبة في الحياة. الطقس بارد، أتسكع مُطاردا من كل شيء. ولأنني كنت في حاجة إلى الضجيج التحقت في آخر الأمر بثلاثة من رفاقي عند «مدام غروس»، لكن ما إن وصلت المكان، حتى انتابتني رغبة شديدة في الانصراف مجددا. إنه يوم الأحد. يلاحقني يوم الأحد المدني حتى في المدن اللامتحضرة. كانت هناك جنازة بالمكان، ثم طواف بأشياء مقدسة خارج الكنيسة. تدلت راية حمراء بحروف ذهبية من نافذة إحدى شقق الطابق الأول. دخلت نسوة بقبعات إلى قاعة الطعام يضعن قفازات ويضحكن. تنقصني الكتب، كنت أشعر أنّني مُطارد.

---

60. بطل عصر العقل (والجزآن التاليان من الثلاثية القادمة دروب الحرية).

61. محاولة تحليلية غير مكتملة تأثر فيها سارتر كثيرا بهوسرل وقد شرع في الاشتغال عليها من. خريف 1937: نشر منها مقطعا، مخطط نظرية الانفعالات (هرمان 1939).

لقد أمكن لهذا الأحد الأصم القذر أن ينال من الجميع فقد تكلم «بييتر» لأول مرة وغمغم: «ليس كربا غير إنني أشعر بالملل». عند منتصف النهارخرجت، فغمرني انطباع رائق وأنا ألمح في زقاق ضبابي امرأة ريفية تنزل بحذر وهي ترفع بإحدى يديها تنورتها؛ لقد كانت امرأة سوداء بقبعة.

عند سكريتارات أ. دي[62] سمعوا كلاما عن شخص ألزاسي من إي. دي[63].إنه مجنون باليأس، لا يتركه أصدقاؤه وحده، وعددهم خمسة من حوله، غير أنه يطردهم.لا ترغب السلطات العسكرية في اتخاذ قرار بشأنه: «حاولوا تسليتي»، قال الرائد. لقد شعرت إزاء هذا اليأس أن في الأمر خدعة سحرية للوعي، تلقي بنفسها في تعزيات لأنه لم يعد يحتمل أن يحتمل[64]. يبدو لي أن لكل واحد منا يأسه الخاص الذي يلاحقه مثل ظل شعورنا بالأمان، هدوؤنا الحالي. وفي كل لحظة هي محاولة – نشعر بها ونتجنبها– أن نقع، ليس لأننا نأسف على حياتنا الماضية أو لأن ذكرى طاعنة جدا تعاودك، ولكن لتستريح. إنه لأمر مُنفر ومرهق أن تكون هادئا، جاف ومرتج؛ فلكم نشعر عادة أننا لا إنسانيون، وتستولي علينا دوخة حين نفكر أن غدا أو بعد غد سنكون دائما جافين، أرض قاحلة بلا ماء، دائما هادئة، دائما صحراء. ورغم ذلك أعلم جيدا أنني لن أقع في اليأس؛ فلن أقبل أن أرويني بالدموع: وذلك عن كبرياء. بل لا أستطيع أن أقبل حتى الكرب؛ فأنا أفكر أنني مهتز بسبب طول الحرب (أو ربما إلى أن أحصل على أول رخصة للاستراحة.)

إن سمعت عبر الاتصال اللاسلكيأحد تلك الأصوات المُحتقرة والفظيعة التي كانت ترافقني السنة الفارطة أثناء عملي بمقهى راي، سوف أبكي بدموع حارة.

للمرة الثانية اليوم، ذكرى شعرية ومؤثرة في حكايتي مع «أولغا». كان ذلك في أحد تلك الأيام التي لا تحصى ولا تُعدُّ بـ «رووان»، عندما كانت تقول لي لا أحبك. أرى مجددا هضابا منحدرة يكسوها عشب قليل، ومن حولنا صبية يلهون، وكان

---

62. مدفعية الفرقة

63. مشاة الفرقة.

64. وهو ما أراد سارتر توضيحه في مخطط نظرية الانفعالات.

هناك أيضا عشاق. كان ذلك على ما أذكر في ماي 1936. يتزامن مع هذا انطباع بوجود غبار فحمي اللون في السماء. أدرت هذا الامر مرارا وتكرارا في رأسي، وفكرت أن أكتب لها بشكل عام رسالة صداقة حقيقية. مشروع لم يبارح طبعا مجال خيال. أتخيل أنّ هذا الحنو يتأتّى مما يلي: مادمت لدي حياة في طور التحقق، فإن نصبية «أولغا» التي أحببتها ذات يوم في رووان هي الآن مغطاة بـ «أولغا» التي صارت امرأة ناضجة، والتي صرت أسمع عنها الكثير. لقد فتحت لي خيباتي في سنة 1937 عينيَّ.لم يكن هناك إلا «أولغا» واحدة -ولم تكن مُحبذة كثيرا. ولو استعدت ذكرياتي في سنة 1936 ليس إلا لكي أعزلها تماما كما أراها أنا الآن بوصفي ناضجا. غير أنّ حياتي توقفت اليوم، إنها ميتة خلفي. فهذه الأولغا لم تعد حقيقية، لم تعد موجودة للشخص الذي أنا هو الآن موجود في مارموتييه غير تلك التي عرفتها في سنة 1936 [65]. هتان الأولغتان مجرد ذكريات، وكل واحدة منهما تأخذ مظهرها خاص بها، ولكل واحدة منهما قوتها في مكانها الخاص. لا أتنقل لوجهة النظر خاصة بسنة 1939كي أقيّم حياتي وآمالي في سنة 1936؛ غير إنني أقيم سنتي 1936و1939 من مكاني هذا، هنا في هذه المدينة التي أنتظر فيها نهاية الحرب. ومن وجهة النظر هذه، تكون 1936و1939 هي مظاهر متوازية متقاربة.

يبدو لي أنّ كل ما كتبته في هذا الدفتر لا إنساني، غير أنه ليس خطئي. نحن في حرب، لا يمكنني أن أتحسر، لا عليَّ ولا على الآخرين. برضى بالغ تقبلت خبر أن «غيي» و«زيورو» في أمان؛ أحدهما في ديجون والآخر في قسنطينة؛ فهذا يعفيني من التفكير فيهما.

---

65. كان سارتر مغرما بأولغا كوزاكيفسكي أخت فاندا وتلميذة سابقة لدي بوفوار (عصر القوة). سوف يفسح سارتر في هذه الدفاتر لهذا الحب العنيف الذي امتد من سنة 1935 إلى سنة 1937وقد خشي سارتر من الوقوع في الجنون بسببه. كانت أولغا تفضل جان لورين بوست على سارتر ولم تعلن ذلك، ومن هنا نشأ حقد سارتر عليه حيث دفعته أولغا ان يكتشف تعلقها وحده ببوست. لألوغا دور كبير في بناء شخصية إيفيش في رواية عصر العقل في رواية الضيف التي كتبتها سيمون دي بوفوار في نفس الفترة تستوحي هذه الأخيرة الظرف الثلاثي الذي عاشوها جميعا في ذلك الوقت وشخصية كسافيار في الرواية هي إحدى قريبات أولغا.

وأنا أكتب «إنْ سمعت عبر اللاسلكي...» صفحة 58، و«كل ما أكتبه في هذا الدفتر» صفحة 59[66] وجدتني مهما. شيء من الكوميديا. لم يحدث لي مثل هذا منذ مدة.

زوج مُضيِّفتنا، وهو عسكري في هندسة البناءات، يأتي مباشرة من الحدود عند ضفاف النهر ممتطيا دراجته النارية. على الضفة الأخرى هناك الألمان يتبادلون الحديث من ضفة إلى أخرى. تحدث عن الضباط الألمان الذين قالوا له: «لقد قام هتلر بحماقة كبرى». لا مجال لإطلاق النار: ملاطفات ودعابات. لقد تلقُّوا الأمر بتفجير الجسور. قاموا إذن في اليوم المعلوم بحشو عُقد الجسور بالمتفجرات، وتراجعوا كيلومترا ونصف الكيلومتر وتفجر الجسر. حين عادوا في اليوم الموالي إلى مخيمهم الأول، التقوا بالضباط الألمان الذين قالوا لهم مرتعبين: «ولكن ما الذي فعلتموه؟».

الاثنين 2

أعتقد جازما أن «دانيال» يكره نفسه ويرفض أن يكون لوطيًّا [67]، لكنني لا أعرف لماذا يرفض ذلك؛ لأنني لاحظت الحركات البهلوانية لـ «زيورو» للإفلات من تلك الصفة، غير أنني لا أعلم أسباب تلك الحركات. لقد قالت هذه المرأة بحسن نية («ماتيو»[68] سيقولها أيضا): «أنا لو كنت سحاقية فلن أستحيي إطلاقا من ذلك»، دون أن تأخذ بعين الاعتبار أنها تقول هذا لأنها بالأساس ليست مثلية.

مصير عجيب لهذه الرواية: لقد اقتنعت أنه طالما نحن في حالة سلم، فإنني لن أنهيها (على الأقل الجزء الأول) غير أنني لست واثقا تماما أن يتم نشره[69].

الذهن خال، أو هو بالأحرى مشغول بتلك الأنشطة اليومية المعتادة. روايتي كما لو

66. مقصود هنا طبعا صفحات الدفاتر في الأعلى نفس اليوم.

67. إحدى شخصيات عصر العقل.

68. بطل عصر العقل.

69. لن يعلم بذلك إلا بعد الحرب.

أنها احتياج بيروقراطي، صبورة وروتينية. «أندريه جيد». رسائل. ليست هناك أية فكرة ولا مجرد محاولة لتأمل الأشياء عن قرب. اليوم فقط بدت لي الحرب الشيء الأكثر طبيعية، إنني في خضمها ولا أستغرب ذلك. ومن المؤكد أنه انعدام الاستغراب الذي عطَّل تفكيري. وبالرغم من ذلك، هناك شهوة ما فيمواصلة كتابة هذا الدفتر كل يوم دون انقطاع. بل لقد اقتنيت دفترين من نفس النوع، غير أنها شهوة كاتب سيّئ لا يتوقف عن الكتابة، شهوة مُجمِّع كتابات. اجتاحتني رغبة صبيانية لامتلاك أربعة أو خمسة دفاتر ممتلئين، كما كنت أرغب في طفولتي أن أمتلك المجموعة الكاملة لمغامرات «بوفالو بيل». بالإضافة إلى أن حجم يوميات «أندريه جيد» قد أغراني. أريد أن تكون «يومياتي للحرب» ضخمة مثل يوميات «جيد»؛ لأنني أنوي نشرها طبعا. وللأمانة فقد بقيت مترددا؛ أولا لأني أُعبِّر بدون مواربة في الكلام ولا مراوغة بشأن علاقتي بـ «فاندا» و«ب»؛ تبعا لذلك لا أتصور أن هذه الكتابات سوف تظهر وتُنشَر على شكلها الحالي طالما أن حياتي «المدنية» ستكون ما ستكون عليه. ثم هذه الكتابات مدونة بشكل سيئ جدا. تنتابني هواجس لإعادة صياغة إحدى الجمل من حين لآخر، لكن أحيانا أخرى لا أهتم بالأمر وأكتفي بكتابتها سطحية كما هي. لا بد من الإصلاح والتدقيق إن كنت سوف أسلِّم هذه الدفاتر للقراء. ولكن أليس هذا نوعا من الغش؟ أليس إصلاح التراكيب والنحو بمثابة خيانة لروح هذه اليوميات؟ وأخيرا فإن ظروف هذه الحرب وتعييني هنا تجبرانني على الحديث عن نفسي فقط. كل ما أعلمه عن هذه الحرب أعرفه من خلال السماع فقط. فإن نظرنا إلى أشياء من الخارج، فيمكن القول إن هذه اليوميات هي يوميات اللاشيء. شخص وحيد منفصل عن الآخرين، يقضي أياما كاملة فارغة في ضيعة ألزاسية، ولا يعرف متى ينتهي هذا المنفى، وليس هناك في هذا الأمر موجب معبرة يستدعي التوقف عنده. كان الأمر سيكون مختلفا كثيرا لو كنت عند خط ماجينو. وبالتالي، لا أرى أي موجب لنشرها الآن؛ فقد يتغير كل شيء بسرعة، إلا إذا كان هناك من سيهتم بي أنا شخصيا وليس بالحرب؛ وفي الوقت الراهن لا أحد يهتم

لأمري. وإن كنت سأنشر هذه الدفاتر فسيكون ذلك بعد وقت طويل جدا[70].

هذه التدوينات التي لا تتحدث إلا عني ليس فيها إطلاقا ما هو حميمي ولا أعتبرها كذلك. كل ما يحدث لي، كل ما أفكر فيه أنوي في التو أن أتقاسمه مع الكاستور؛ فما أن يحدث لي شيء ما، أرويه مباشرة. كل ما أشعر به أحلله للآخر في الوقت الذي أحس به، وأفكر أن استعمله هنا وهناك. لو لم أكتب هذه اليوميات، ولو لم تكن هناك المراقبة العكسرية لكتبت جزءا كبيرا من يومياتي في رسائلي إلى أصدقائي، وسوف أنسى الباقي فورا. لا أعرف شخصا آخر غيري قارئا. إن كنت أفكر أغلب الوقت فذلك بفكرة الانتصار على شخصية مميزة، وإن أعملت العقل فذلك بالطريقة البلاغية لأُقْنع أو أدحض[71]. ليس هناك إلا مشاعري والطعم الخاص لجسدي اللذين بقيا حميمين لي؛ ذلك أنهما لا يمكن التواصل معهما. لا يبدو لي أن هذا الدفتر سوف يقع تحت طائلة النقد الذي تتعرض عادة اليوميات؛ علما أن بعض الكُتّاب يلعبون على ثنائية: الحميمية والإشهار (حميمي، حميمي إلى أبعد حد، لكن ليتم تسليمه لضوء النهار من بعد). مهما كان مصير هذه التدوينات، وسواء نُشرت ذات يوم أو لا، فقد كتبتها بتوجه جماهيري- وبالأساس كي أريها للكاستور[72].

بيْد أنه من اللازم أن أعترف أنها لا تقدم لي أية مساعدة. فعلى أفكاري أن تتحدد لحظة الكتابة، غير أنه منذ خمس عشرة سنة وأنا أفكر، تمكنت من ترتيب نفسي دون

---

70. في 16 سبتمبر لم يكن سارتر يفكِّر في نشر هذه الدفاتر إلا بعد موته.

71. حين كان سارتر في عمر18سنة كان يكتب في دفتر صغير يدون فيه قراءاته وأفكاره: " كل الناس في حاجة إلى شاهد. ودونما أدنى شك فتلك ضرورة اجتماعية. بعضهم يبتكر الله. آخرون يبتكرون الوعي " مشخصن". يبدو أخرون في هذا العالم لا يستطيعون التفكير دونما أن يعبروا عن أفكارهم. آ خرون لا يستعملون العقل يتخيلون بشكل معتم نساءا ينظرن إليهم"" دفتر ميدي "كتابات الشباب.

72. دون معارضة ما يقوله سارتر عن تذوقه للكتابة الشعبية. أليس من الممكن التفكير إنه يقيم ضرورة خاصة وانه يسارع بتشبيه الكاستور بالجمهور العادي؟ بالفعل. فذلك أحد الأهداف المُصرَّح بها في هذه الدفاتر وهو أن يتطور في معرفة نفسه بنفسه. أن يوضِّح بالأساس دوافع تصرفاته العاطفية. " هذا التبذير للعواطف"الذي يرهقه، هل ينجح في ذلك تحت أنظار المقربين منه والمعنيين به؟ يبدو إنه استوعب هذه الصعوبة: يمكن تأويل الجملة الأخيرة في الفقرة على أنها تحذير ملتبس للقاريء

مساعدة مفكرة. أفكر وأعبر في داخلي؛ أحفظ أفكاري بدون أن أدونها، حتى إن كل ما أذكره هنا كنت قد فكرت فيه وصيغته مسبقا في رأسي.

وهنا يظهر مأزق آخر في اليوميات: هل يجب أن نكتب ونحن نفكر أو نفكر أولا ثم نكتب ما فكرنا فيه؟ أن نفكر ونحن نكتب بها يعني تدقيق وتحرير موضوع والقلم في اليد: نخشى وقتها أن نجبر أنفسنا ونصبح غير جادين. أن نكتب ما نفكر فيه: لم تعد وقتها إذا يوميات؛ لقد فقدت ما هو عضوي فيها مما يشكل حميميتها. في الحقيقة لا أرى إلا فائدتين لهذه الدفاتر: أن تصلح بوصفها مذكرة-عرض تاريخ الأفكار جنب الأفكار.

ولنكن واقعيين: هناك شيء آخر يتعلق بانشغال داهمني خلال شهر يوليو الأخير؛ وهو التالي: أعالجني - ليس من أجل منفعتي الشخصية، بل لأني موضوعُ نفسي نغوري- بشكل متتال ومتواز مع مختلف النظريات في آخر مباحثها الحديثة: في التحليل نفسي، في علم النفس، في الظاهراتية، في علم الاجتماع الماركسي أو القريب من الماركسية؛ كي أعرف ماذا يمكن أن أستفيد من كل هذه النظريات. هذا بمناسبة الاكتشافات الحقيقية التي قمت بها في تلك الفترة والتي تخص كبريائي. لقد أغراني التطبيق الذي يمكنني أن أنجزه حول وجودي في الحرب، غير أني أرى نفسي ابتعدت عن هذا السياق. سوف أرى وضعيتي بوضوح في الغد؛ أي كيف لي، من خلال حياتي المدنية، أن أرى كل هذا.

الثلاثاء 3

أعتقد أنني في هذه اللحظة أميز نزقا شهوانيا وتبكيت ضمير لدى زوجة «بييتر» يشبه ما يجعل الأرامل النادمات ينحنين على نعوش أزواجهن. نزق اخلاقي، مطلوب، غريب عندها؛ مصحوب بعنف أخرق - مشاعر جميلة وقوية غير معتادة سوف تعرقل كل شيء فيما بعد حين تراه: «إذا، هل كان كل شيء بسبب هذا فقط؟» لا، لم يكن بسبب هذا فقط - على الأقل فيما أعتقده- كان من أجل التعلق بالأخلاق.

ثم إن هذا يشغل البال فعلا.

تؤكد الجملة التي قالها «أندريه جيد» في 8 أغسطس 1905، والتي تلخص نظريتها حول المشاعر: «بما أن الدراما تنتهي في الدم، لا أعرف شعورا يمكن أن ينجو من الارتياب مهما كان إخلاصه[73]»، أنه عاش شيئا من جوهر المشاعر –وأن يكون مرتابا– ولكن ليس كل هذا فقط؛ لأن هذه الشكوكية في المشاعر لا علاقة لها إطلاقا بالإخلاص. إنه أسلوب في وجودهم: يوجدون –مرتابين (من هنا تتتابع نفسية «أندريه جيد»، والشيطان، إلخ.)، وإذا لم يكن لديهم إخلاص، فلن يختلفوا عن الصخرة التي تنقصها الرؤية، وليس مثل الأعمى. يبقى أن هناك عواطف مزيفة وأخرى حقيقية، غير أن العواطف المزيفة أكثر من الحقيقية. التعارض بين العاطفة والإحساس صحيح إلى أبعد حد: «فالإحساس صادق دائما، وهو الضامن لأصالة العواطف[74]»، بشرط أن نفهم من عبارة إحساس التجربة المعيشة[75] [بالألمانية في الأصل]؛ ونقصد من خلالها أن الوعي الفوري والمطلق يتميز بطبيعته من خلال الشيء – العاطفة. غير أن جيد يقع في المبالغة المادية، ويبدو لي أنه تغافل عن حداثية فكرته الخاصة حين كتب: «عواطفنا مضمونة من خلال دَوِيِّها الفيزيولوجي[76]». ها نحن نعود إلى جيمس[77] حين يكتب «قريبا يصبح الإنسان متطابقا مع الصورة التي نستعرضها نحن عنه[78]»، كما نعود إلى بوفارية [نسبة إلى **مدام دي بوفاري**، رواية لـ«غوستاف فلوبير»] تافهة.

إن أردت البحث عن أي موقف أخلاقي يجب أن أتبناه إزاء هذه الحرب، فأخشى أن أبنيه على أساس واهٍ، وأن أزيف [دون قصد] معطى الواقع بأفكار مسبقة. لا

---

73. يوميات أندريه جيد.

74. يوميات أندريه جيد.

75. من الألمانية بما يعني أن تحيا، عبارة معيشية.

76. يوميات أندريه جيد.

77. ويليام جيمس (1842-191) والذي كتب بالأساس: البراغماتية من تقديم هـ برغسون فلاماريون 1911.

78. يوميات أندريه جيد.

يرتبط أول ما يجب فعله بإرادة اتخاذ موقف من الحرب، ولكن بمعاينة هذا الموقف الذي سوف أتبناه بشكل عفوي في مواجهتهاوشرحه. ليس من العدل اتهام عالم النفس، كما فعل «آلن» بالـ «تفكير الجبان»، بل أجد فيه على العكس ديمومة لا يمتلكها الأخلاقي، وأخيرا أخلاقا أشد قسوة؛ وهي أخلاق الحقيقة. يبدو لي دائما أنني حين أعيش وأفكر مثل اخلاقي، فإن هناك في داخلي شيء من البطولة المنتفخة، وألف حيلة تفلت مني بها أنه لا بد أن أكون عالم نفس لأعثر عليها. بل بالعكس، يبدو أنني حين أعالجني كعالم نفس، أدنو كثيرا من الأصالة. هناك وبدرجات متفاوتة تصور للخطأ المفيد عند الاخلاقي كما هو مستحب عند «باريس» [إشارة للروائي الفرنسي «موريس باريس»]. هناك دائما لحظة يعلن فيها الإنسان الاخلاقي بحركة من ذقنه: «ليس مهما، فمن الجميل أن نخطئ بمثل هذا الحماس». وفيهذه اللحظة بالذات، مدفوعا بشهوة «الفعل»، ينسى أن «يكون»؛ أي الأصالة. وعلى العكس من هذا، سوف يجعلنا امتحان قاسٍ، نخاطر بأن نتوجه رأسا نحو هذا الرعب، إلى هذه الإهانة التي لا أحبها إطلاقا، لكنهما يعلنان الأصيل. سأحاول إذا أن أحدد هنا بعض انفعالات وضعتني في هذا الموقف الذي أتخذه اليوم حول الحرب.

تمثل الحرب أولا جزءا من ذكريات طفولتي، ومن هنا فهي تبدو كما لو أنها مرتبطة بالعائلة. لقد عشتها في عائلتي ومن خلالها. لقد بدت لي أولا شبيهة بحدث عائلي، رغم أني لم أعشها مباشرة مثل الكثيرين: فلا أحد من عائلتي ذهب للجبهة؛ كان زوج أمي مريضا جدا، ولم يكن لدينا أصدقاء كثيرين ذهبوا إلى الحرب؛ لأن حلقة علاقاتنا كانت متكونة بالأساس من أساتذة جامعيين في عمر جدي. بعدها غادرت إلى الريف في نهاية سنة 1916، لم أعش الحرب في باريس: الإنذارات، والقصف بواسطة طوب [طائرة حربية كان أول استعمال لها في سنة 1912]، والبيرتا الثقيلة [مدفعية ثقيلة من نوع ألماني]. أخيرا، بعيدا عن أن الحرب حرمتني من أبي وأسلمتني لنفسي مثل آخرين كثيرين؛ فقد منحتني– على العكس من هذا –أبا بما أنّ أمي تزوجت مجددا في مارس

سنة 1915[79]. لقد عرفت من هؤلاء الأيتام «كلافو»، الذي كان يركض خلف أمه في الشارع- يحمل سكينا -لأنها تطبخ له أكلا لا يعجبه. كم كنت أغبطهم على حريتهم التي لم أكن استمتع بها. هل كان هناك تطابق بين «صدق» الحرب و«صدق» زوج أمي؟ أو أنها بدت لي مجرد تجهُّم بسبب الأجواء في ذلك الوقت، كما لو أنها فروق مُفخَّمة، جليدية، وخاصة مُملة - مملة بشكل مرعب - حطت بثقلها على الأشياء. لا أعلم إن كنت أنا ورفاقي قد تحدثنا كثيرا عن أحداث ذلك الوقت. لاحظت ما يشبة قطيعة في هذه الحرب، تتوافق وزواجَ أمي من سنة 1914 إلى سنة1915. لقد تدربت على شيء من انقياد الممثل في إيماء العواطف الكبرى، والذي كان جدي، وهو في حد ذاته ممثل، يستعرضها. في أغسطس 1914 بأركاشون، كنت فخورا بخفتي التي من خلالها كنت أمهِّد لي مسلكا وسط الزحام لأحصل أنا الأول على إحدى تلك الورقات المرقونة التي كانوا يبيعونها على أساس أنها مناشير. أعيد كتابتها قليلا، غير أنه يبدو أنني كنت أعتقد أنني بذلك الشكل كنت أؤدي واجباتي في اللغة الفرنسية، وأتعاون مع «الجنود» [والمقصود بهم الجنود الفرنسيون الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى]. كتبت بعد ذلك بزمن طويل بباريس في كتاب من الجلد وهبتني إياه «مدام بيكار»[80] أن رغبتي القصوى تكمن في أن «أكون جنديا وأثأر للقتلى»؛ ومن هناك عرفوا شهواتي وميولاتي. لا أتذكر الواقعة دون خجل: كان ذلك في شارع لوغوف في القاعة -المكتب. جاءتني «مدام بيكار» بالكتاب ووضعته أمامها. كان صقيلا ممتلئا بالأسئلة. جلست إلى مكتب جدي (مازلت إلى الآن أرى جيدا مرفقة الورق، والنشَّاف الأخضر الملطخ بالحبر الأحمر)، وكنت أكتب بينما

---

79. يخلط سارتر بعض الشيء في التواريخ: لقد كان بباريس خلال السنة الدراسية 1916-1917في الخامسة بمعهد هنري الرابع؛ خلال 1914 أقام بعض الأشهر في في أركاشون صحبة عائلته. وفيما يتعلق بالزواج الثاني لأمه فلقد تمت مراسمه في أفريل 1917 وليس 1915. لكنه ربما لم يعرف الطوب وهي طائرات ألمانية صغيرة حلقت خاصة في بداية الحرب كما إنه لم يعرف بيرطا الضخمة مدفع طويل المدى والذي لم يقصف باريس إلا في 1918 وفي ذلك الوقت كان صحبة عائلته في لاروشيل.

80. صديقة العائلة من ناحية أم سارتر.

أولئك النسوة يثرثرن، واعٍ بواجباتي، واثقا من أن ما أكتبه سوف تتم قراءته، متعاظما بشكل استباقي في مشاعر كبرى. حين انتهيت من تحرير أجوبتي، انذهلت النسوة، ومررت من يد إلى أخرى أتلقى التهاني والقبلات [81]. في نفس تلك الفترة كتبت رواية حرب؛ حيث استطاع البطل أن يسجن «كرونبرينز» [نعت لولي العهد في ألمانيا] وأشبعه ضربا متواصلا وسط حشد من «الجنود» [82]. أخيرا أديت دورا في مسرحية بطولية ألَّفها جدي، وقدمت عرضا خيريا في مدينة نواريتابل لفائدة الجنود: كنت أؤدي دور شاب ألزاسي طرده «البوش» من قريته، وانتهى الأمر به إلى أن يعثر على أبيه؛ جندي فرنسي في فرقة مُطاردين قاموا بالاستيلاء على إحدى القرى. وفي اللحظة المؤثرة، مددت يدي قائلا: «الوداع، الوداع أيتها الألزاس العزيزة»، وكانت نبرتي شجية إلى درجة أن «السيد سيمون»، محافظ كاتدرائية ريمس، قبلني بقوة. مازلت أمي تحتفظ إلى الآن بهذه اللوحة الأكواريل [83].

تبنى قسم السادسة أحد «الجنود»، وتم تعييني أمين المال. كانوا يأتونني بالفرنكات فأضعها في حصالة. قدم ذات المُتبَنَّى ذات يوم إلى جدي؛ كان ضخما بشاربين غليظين، شاحبا وحزينا. تصورت أنني أحدثه بلطافة، وكان الجميع سعداء. وعلى أية حال وجبت الإشارة إلى أن قسم السادسة، ولأسباب نسيتها، ما عاد يهتم في نهاية السنة لأمر هذا الجندي. ما تبقَّى من المال بالحصالة احتفظت به لنفسي. هكذا بدت لي علاقتي الأولى بالحرب ذات طابع بطولي: لم أعش ولم أشعر بأي شيء حقيقي، تركتني

---

81. لقد استعاد سارتر ذكرياته في هذا المشهد في كتابه الكلمات بداية 1960.لكن السقطة لم تكن هي نفسها؛ ولم يكن نفس خجل المراهق في سنة 1939 لكنه خجل الصبي الذي كان عليه وقتها: ماهي غلى أمنياتك؟ أجبت دون تردد: أن أكون جندي وانتقم للقتلى"ولأنني كنت متأثرا جدا لم أكمل قفزت على الأرض أحمل ما دونته لأولئك الناس الكبار. انتهت الأنظار نحوي. عدلت مدام بيكار من نظارتها، مالت أمي على كتفها؛ وحركت كل واحدة منهما شفتيها بتفكه. ارتفعت كل الرؤوس مرة واحدة: تورد وجه أمي. أعادت لي مدام بكار الكتاب: هل تعلم يا صغيري، لن يكون مهما إذا لم نكن صادقين. عتقدت إنني مت (الكلمات)

82. كتاب الكلمات.

83. انتهى هذا الاستعراض في كتاب الكلمات بإهانة.

أتدثر بأحاسيس متفق عليها، سرعان ما تنزلق مني. وفي الواقع كان الأمر لا يعنيني إطلاقا. والسبب الحقيقي وراء كل هذه الأعمال الكوميدية أنني كنت أعيش مع أناس كبار وأتأقلم مع ألعابهم. ما كان بداخلي فعلا في تلك الفترة هو ضجر مميز ومحدد: كنت أحب قراءة المجلات الأسبوعية، خاصة تلك التي كانت من توقيع «أرنولد غالوبين»؛ حيث يروي بالتفصيل إنجازات الشباب ورحلاتهم عبر العالم. منذ تلك الفترة صار عندي نفور من تلك الروايات التي تحكي عن مغامرات الكشافة، أو عن شباب ينتمي إلى تشكيلات منظمة. في المقابل، كنت أقرأ سلسلة «الكتاب الوردي» التي كانت تقدم قصصا عجيبة وساحرة (**أليس في بلاد العجائب، حكايات جزيرة آل مان...**)[84]. غير أنه الإعلان عن الحرب، اختفت هذه المنشورات (خاصة **بيفالو بيل** ونيك **كارتر** اللذان كان ناشرهما ألمانيًا). بعض المنشورات الأخرى تحولت: صار الكتاب الوردي ممتلئا بإنجازات الشباب البلجيكي أو شباب فرنسا الشمالية. أصبح «أرنولد غالوبين» يروي مغامرات شباب الفوج. كانت هذه القصص تضجرني إلى أبعد حد ممكن. أظن أن ذلك يعود أولا إلى نمطيتها: فكل أحداثها تدور خلال معارك بين الألمان والفرنسيين. ثم إن كل الغرابة التي كانت تحقق شعرية **جولة حول العالم في طائرة**[85] (الهند، الأدغال، الكونغو، سلسلة جبال الأنديز) اختفت كلها. لقد تم تغيير القماشات الملونة المتوحشة بزي الحقل الرمادي الألماني [بالألمانية في الأصل]، ومثَّلت الأرياف الشمالية الموحلة المتشققة ديكورا ثابتا. إضافة إلى أنّ تقززي من التشكيلات المُّنظَّمة – وهو ما جعلني لا أُقبِل أبدا على قراءة مغامرات **الكشافين الثلاثة** لـ «جان دي لا هير»[86]– يجد هنا ما يرضيه. لقد كان هؤلاء الأبطال الثلاثة من الضعف إلى درجة لم يكن بإمكانهم القبض على جندي وحدهم، وكانوا مجبرين على الاستعانة بنقيب أو رائد من قوات الجيش الفرنسي. كانوا مدعومين، مهيكلين،

84." الكتب الوردية "سلسلة كتب للأطفال لاروس. اقتباس لكتاب أليس في بلاد العجائب صدر في 1910: أساطير الجزيرة مان 1914.

85. أرنولد غالوبين حول ذكريات قراءاته الكلمات.

86. فيرنسزي 1913من خلال الكلمات قرأ سارتر مغامراته في مصنف بالرسوم.

مأمورين: ما عادوا يثيرونني إطلاقا. وكل هذه القيم التي يتم التفكير فيها جيدا، والتي كنت من قبل أتبناها وسط أولئك الناس الكبار صارت تضجرني بشكل مرعب، دون أن أقدر على الاعتراف بذلك. أعتقد أنه منذ ذلك الوقت وُلِد شعوري بالتقزز من الحرب؛ فقراءاتي في تلك الفترة تمثل أهم الأنشطة عندي وأفضلها. كنت طيلة اليوم أقرأ دون توقف. وهكذا يبدو أن تعدد مغامرات الحرب هذه استطاع أن يحزنني بشكل عميق، وإن حدث وصادف أن كتبتُ بداية رواية حرب، فأخال أن ذلك إنما بمثابة تقليد مُزعج؛ كما لو أننا نستهلك أنفسنا بعبارة تزعجك في فم شخص آخر.

حين وصلت إلى لاروشيل، عانيت من اضطراب في مفاهيمي الأخلاقية [87]. انتقلت في البداية من تحت سلطة جدي إلى سلطة زوج أمي، ولم يكن بين الرجلين أية نقاط تلاق على المستوى الأخلاقي. بعد ذلك صارت لي صلات بالغة الأهمية مع أترابي. وإلى حد هنا، كانت علاقاتي مع رفاقي تتم تحت الحماية الساهرة لعائلتي. وأي رفاق: وقحين، شرسين، داعرين، منشغلين بالجنس قبل كل شيء. أتذكر أنني ذات يوم أخذت دفتر استجواب «مدام بيكار» وملأناه بوقاحات وتفكهات؛ فلم يعد الأمر متعلقا بالثأر للقتلى. تبنَّيتُ وقاحة رفاقي كي يقدِّرونني، وفي نفس الوقت تبنَّيت العواطف النبيلة لعائلتي. شيئا فشيئا بدأت أبتعد عن «حالة الحرب» التي كاد زوج أميريد أن يجسِّدها فيَّ. هذا التطابق بين الحرب وزوج أمي كان كافيا لجعلها كئيبة، مضجرة، ومكدرة. لم أعد أهتم بها على الإطلاق. لم أعد أقرأ الجرائد، وكانت في داخلي ثقة عمياء أننا سننتصر. لا أذكر أبدا أنني تحدثت مع رفاقي حول الحرب. لم تفاجئني الهدنة ولم تخلف بداخلي أية بهجة؛ كان مجرد حدث مر في لامبالاة تامة. لذلك شغلت ذهني بالمسألة الجنسية أكثر فأكثر. في الـ 11 من نوفمبر، عندما كانت

---

87. تتوقف أحداث سيرة سارتر في الكلمات حين استقر بلاروشيل والتي تمثل منعطفا في طفولة سارتر.

[مدافع]الـ75[88] تطلق النار عند الشاطئ، دربني «بيلوتييه»[89] في الأحراش على ألعاب غير بريئة إطلاقا. في سنة 1919 شغلتني حالات تبكيت الضمير أكثر من السلم. كان لابد أن نتحمل لسنوات طوال خطبا رسمية حول أمجادنا القتلى والواجبات التي علينا القيام بها؛ أصبح الأمر مبتذلا وتافها. كلنا يعرف بتقزز تلك العواطف التي تحمسنا كي نكون شركاء في لحظة ما، ومثال على ذلك أنا خلال سنتي1914-1915. وكما هو الشأن في كل وقت، كان أساتذتنا مكلفين بهذه المواعظ؛ يتحالفون علينا من جهة للتعظيم الرسمي للأخلاق اللاتينة الإغريقية، ومن جهة من أجل نصائح الفضيلة التي ينشئنا عليها أهالينا. ابتداءً من سنة 1920 لم نعد نحلم بالحرب إلا بوصفها شيئا ميتا ومنتهيا كما كنت أراها دائما. أستطيع أن أقول، دون مبالغة، إنها لم تكن حدثا تاريخيا وماضيا، بل كانت أسطورة جماعية ولازمنية، مصحوبة بخدوش دينية. وفي المحصلة، هي خلاصة أخلاق الناس الكبار.

لطالما كانت هذه الأسطورة سببا في إخفاء التاريخ بالنسبة إليَّ. ذلك أني لم أفتح أبدا بعد ذلك كتابا يعالج تاريخ الحرب، عدا كتاب **تاريخ الحرب** لـ «كرابويو»، وكان ذلك منذ خمس أو ست سنوات؛ لأنني كنت أعرف أنه يستعرض، وبشكل دقيق، محاولة لتحجيم هذه الأسطورة. والحرب لم تكن بالنسبة إلي عموما سوى باقة فضائل للناس الكبار. وهي تلتبس مع كلمتي الواجب والوطن اللتين استهلكناهما بشكل فاحش سنة1919-1921؛ ووفق هذا الطابع لم تتحقق. لقد رفضت قراءة **النار** لـ «باربوس»[90]؛ حيث يعالج موضوعه من وجهة نظر مختلفة تماما؛ لقد كان مصابا بالعدوى. لم أقرأ **صلبان الغابات** لـ «دورجليس»[91]، ولم أستطع إنهاء **لا شيء جديد في الغرب**[92]. كل هذا يثير ضجرا لا يُحتمل: ما إن أحاول تخطي حاجز الفضائل

---

88. مدفع فرنسي بطلقات سريعة، تم ابتكاره سنة 1897، تم استعماله بكثرة خلال حرب 1914، وتم استعماله أيضا في حرب 1939.

89. أحد زملاء الدراسة.

90. النار، يوميات زمرة فلاماريون 1916.

91. ألبين ميشيل 1919.

92. رواية إريخ ماريا ستوك ديلامان وبوتيلو 1929.

الذي أقمته قدامي، يواجهني هذا الواقع الذي لم يحدث وأعجبني: انضباط التشكيلات المُنظمة، وهضاب سهول الشمال الموحلة. في الجملة، نفس رد الفعل تجاه كتب الحرب الموجهة لأطفال 1914. وفي المحصلة النهائية، ظلت الحرب بالنسبة لي، ولمدة طويلة، أسطورة مُجسدة بالضبط مثل المسيح لـ «كوشو»[93]؛ أسطورة قبل أن يتم إضفاء طابع الحدث عليها في الماضي. ولقد ذهلت عندما رأيت أناسا من عمري، مثل «فريدمان» في جاك آرون[94]، يتذكرون أحداثا محددة؛ صورا تحيل على الحرب. وحتى اليوم أيضا، حين أستعيد أيام صباي ومراهقتي في لاروشيل، أحتاج إلى الكثير من الجهد لأستعيد أنَّ ذلك كان «خلال الحرب»؛ حتى أنّ ردّ فعلي الأول ضد الحرب لم يختلف عن ردّ فعلي ضد أخلاق الناس الكبار. لا يشبه في شيء الرّعب الذي عاشه الكثيرون في لحظة ما عابرة. وبما أن هؤلاء الناس الكبار الذين يتحدثون عن الحرب، وخاصة أولئك الذين خاضوها، هم الذين أعلنوها، صرت أرتعب بسرعة من المحاربين القدامى. يُغضبونني لأنهم يزعمون أن لديهم حقوقا عليَّ. إنه جمع من الضجر، والواجبات، والفضائل المنتفخة، والخطابية التي يجب عليَّ أن أزعزعها. الخروج من الحرب هو الخروج من الفضيلة المزيفة، بالضبط كما نخرج من الدين أو من التزمت البروتستاني حين نفقد العقيدة. ما أريد أن أقوله هنا هو تفاهة الأسباب الأولى التي جعلتني أكره الحرب، غير أنه في تمرد متفرد كرهت الحرب أولا. فمثلا في سنة 1923 حين كنت مسكونا برعب مقدس، كنت في أول السنة التمهيدية لمباراة المدرسة العليا للأساتذة، ورفضت أن أوقِّع بيانا اشتراكيا ما، في جزء منه لأن الاشتراكية كانت تبدو لي «منظمة»، وفي جزء آخر من خلال ميل لا واع لأفكار زوج أمي. في مواجهة الحرب كنت إنسان المشاعر، أكرهها لأن سلطة الفضيلة تستولي عليَّ. هكذا هو الوسط العاطفي الذي تطورت فيه أفكاري حول الحرب. أفكار تلقيتها

---

93. قرأ سارتر في المجلة الفرنسية الحديثة لعدد سبتمبر مقالا لبول لويس كوشو «المسيح، إلاه أم إنسان».

94. جاك آرون 1(" سوف يأتي دورك') وجاك آرون 2 (" الوداع") روايتا جورج فريدمان في منشورات غاليمار 1930و1932.

كلها من الخارج. مفهومة وأتحمل تبعاتها دون أدنى شك، ولكنني تلقيتها. في سنة 1924 صرت ضد الحرب بتأثير من الرفاق («بروساديه»، «غيي» الذي كان يقول: «أفضِّل أن يعدموني رميا بالرصاص على المشي»). ثمة كتاب هام: **مارس أو الحرب المُحاكمة**[95]. لم تكن معارضتي للحرب يوما بناءة، كما أن ارتعابي منها لم يكن سلميا. فلم أفكر يوما أن أنخرط في حركة مهما كانت ضد التسلح، ليس أكثر من القيام ببعض الحركات التي تُلزِم (رفض أداء الواجب العسكري باعتراض واعٍ، إلخ). لقد كررت مثل الآخرين الحجج السلمية: «لا يمكن لانتصار، مهما كان، أنْ يَعْدِل قيمة حياة بشرية» – أو أيضا: «ولنفترض أن الألمان قد اجتاحونا، وماذا بعد؟». نردد كل هذه الشعارات دون أن نكون مقتنعين بها كثيرا، مصحوبة بشكل من الاستياء؛ لأنه لم يكن لهذه الشعارات أي تأثير على السياسة العامة. لم أكن أومن أيضا بالقابلية البشرية للكمال ولا للتطور، لقد كان من الصعب عليَّ حمل عبء أمل أن «لن تكون هناك حرب على الإطلاق». لا أعتقد أنني عشت هذه الحالة سابقا. ففي الحقيقة، كان موقفي الطبيعي مقَنَّعا بأفكار على موضة العصر، تهدف إلى رفض الحرب والجيش بصورة كلية، رغم الاقتناع الكامل بضرورة الحرب والجيش دائما. نفس الأمر عندما كنت أردد: «لا شيء يساوي حياة بشرية»؛ كنت مقتنعا جدا بما أقوله، لكنّ قناعتي كانت تقف بأرجل طينية لأنني لم أكن إنسانيا. كان الكثير من أصدقائي يعانون من رعب القتل، غير أننا كنا نتحادث، «**بول نيزان**» وأنا، عندما رحل الآخرون: ليس لدينا أي نفور من القتل، غير أننا نخشى أن نُقْتَلَ. في الحقيقة، ما تعلمته من دروس التحضير العسكري الأعلى، ثم فيما بعد خلال أداء الواجب العسكري، يتمحور حول إذلال الإنسان عن طريق الجيش. لقد أحسست بذلك بصدق في داخلي، وأغرقني في اليأس خلال وجودي بحصن سان –سير. لقد أدَّيْت واجبي العسكري بكل السلبية التي كنت قادرا عليها. لهذا السبب كانت تلك الفترة من أتعس فترات

95. تدوينة 1ص28.

حياتي[96]. غير أن هذا أوصلني إلى التعامل مع الحرب من وجهة نظر أخلاقية: فضيلة مُزيفة، إذلال حقيقي للإنسان؛ بل هي في واقعها تدمير رهيب. ومن هنا بدأت أرتاب من موقفي الشخصي في مواجهة حرب ما وخلال الحرب. ليس أكثر من ردٍّ فعلي ضد حرب ممكنة علما أنني لم أفكر إطلاقا في التخلي عن موقعي في الجبهة. عندما فكَّر «بروسودييه» و«غيبي» في ترك مواقعهما والفرار كحل ممكن، كنت أجيبهما متضايقا: «أنا مجرد مساعد، وبالتالي لديَّ الكثير من الفرص للخروج سالما من هنا. بينما لو تخليت عن موقعي، فحياتي كلها سوف تنهار». كنت مرغما، إذا، على الرواقية باعتبارها الموقف الأخلاقي الممكن، وكانت الرواقية الكامنة – بالنظر إلى أن الحرب كانت تلوح في أفق احتمالاتي –في حالة الحرب إمكانية افتراضية وثابتة لوجودي. غالبا ما كنت أُزينها بـ «رفض آلان». أن تكون رواقيا وتقول لا. وبطبيعة الحال، حين أتهيأ لقول لا في المستقبل، فإنما أقول لا لحرب 1914، لا لنفوذ الفضيلة لا للتفاهات والترهات، لا للإذلال.

وبطبيعة الاحال، كنت واعيا بهذه الفكرة وليدة امتحان الحرب «الكبرى»: لا وجود لحرب دفاعية؛ فليس هناك مسؤول واحد عن اندلاع الحرب –وهو ما يجعلني مطمئنا لفكرة رفضها. كانت حالة الفقر غير المريعة جدا التي تعيشها ألمانيا بين سنتي 1924و1930تشجعني في نفس الوقت على الاعتقاد أنه في حال اندلاع الحرب ستكون فرنسا هي المعتدي الأول. كان من السهل، إذن، الرفض على قبول أن أكون شريكا في الاعتداء. لكنني لم أربط، من جهة أخرى، أية صلة بين الحرب والإمبريالية والرأسمالية، خشية، أولا، من عمليات إعادة بناء التفكير الماركسي، ثم لأنني كنت تحت تأثير «آلان» الذي كان يرى الحرب هواية وليست لعبة منافع. كنت أراها إذن كما لو أنها جنون عابر؛ حيث يجب عند اندلاعها، كي أُعبِّر عن رفضي لها؛ أن أترفَّع، وليس مثل النتيجة النهائية لتطور سياسي واجتماعي كنت أحاول في كل لحظة أن

---

96. يروي ريمون آرون مدربه العسكري في حصن سان-سير قائلا: تلك الأشهر لاسباب قاهرة لم تترك لي ذكريات رائقة. لم يحدث أي شيء لكن العلاقة بيننا مقارنة بما كانت عليه في المدرسة تدهورت. مذكرات جوليار 1983.

أوقفه. وهو ما يتطابق مع وجهة نظري ويناسبني لعدة أسباب أخرى – فالنشاط السياسي لم يستهوني يوما، كما أني لم أنتخب أبدا. هو إذن موقف سلبي على جميع الأصعدة، بل إنه لم يدر بخلدي إطلاقا أن أموت في الحرب؛ على الأقل قبل سبتمبر1938[97]؛ وهو أمر معقول جدا، لأنها لم تكن بالنسبة لي سوى انتشار الضجر، والحماقة، والفضيلة. هي فترة بالنسبة لي يكون فيها تفكيري في حالة خمول، وعليَّ أن أتحمل ذلك رغم أن لها تبعات في المستقبل. ووضعت في الحسبان أن أعيش حالات كآبة عند عودتي (خاصة منذ سنة1933)، لكن هل كنت فعلا أعتقد في ذلك؟ ألم يكن مجرد خوف تنبئي؛ مالاناخوليا؟ في جميع الأحوال، ينضاف إليهذه الكآبة موقفي كإنسان حساس؛ وهو ما جعلني لا أنحرف بسبب أخطار الحرب في 1937، 38، 39. مناصروا السلم الذين كانوا إخوتي وجدوا أنفسهم سنة1928في بلبلة أخلاقية. بالنسبة إلي وجدت هذا الأساس القديم للرواقية، والذي كان مهيَّأً لي سلفا.

أصل إلى سنة 1938–1939في لحظة الأنشلوس [عملية عسكرية سلمية تم بوجبها ضم جمهورية النمسا إلى ألمانيا في 12مارس1938]، وفي ماي 1938 ارتجفت (ضغط ألماني على تشيكوسلوفاكيا). فمازال واقع الحرب بالنسبة لي محجوبا. لم أكن أرى فيه سوى قطيعة داخلية لحياتي الشخصية: وأقصد بذلك توقف كتاباتي، وخاصة قصف باريس. أتذكر أنني خرجت في ماي صحبة الكاستور للتنزه، وشعرت وقتها بكل هذه البنايات الأنيقة وهياكلها الخردوات وعوارضها، تخيلت خردوات مقصوفة وعوارض محترقة. ومن وقتها لازمتني صورة باريس «الهشة»، خاصة بعد سبتمبر. وشيئا فشيئا بدأت أنفصل عنها، فبشكل لامبالٍ بدأت أعشقها. ثم حلَّ سبتمبر: أحداث في كل من الرباط والدار البيضاء. انتظار كئيب في مرسيليا[98].كان

---

97. خلال الأزمة التي سبقت اتفاقيات ميونيخ: بدت الحرب تقريبا حتمية.

98. سافر سارتر خلال صائفة تلك السنة إلى المغرب. اندلعت أزمة السودات حين عودته إلى باريس في منتصف سبتمبر. للتذكير إن هتلر هدد بضم مرتفعات السودات أراض تشيكية تقطنها أغلبية ألمان. يستعرض سارتر في إحدى رسائله لدي بوفوار تحليلا معمقا للوضع العالمي متوقعا كل التطورات

ذلك في المارتيغ حين خمنت طويلا أنه يمكنني أن أكون مُشوها. كنا نجلس على ضفة القنال، كانت صافرات البواخر تدوي في أذنيَّ بشكل مريع، بينما الرذاذ يتطاير. كنا نتحدث عما إذا كان من الأفضل أن نعود مشوهين أو عميانا. من تلك اللحظة وإلى أغسطس سنة 1939، عشت ما يمكن أن نسميه اعتقادا تخيُّليا للحرب؛ أي أن كل التخيلات والمشاريع، كل هذا يأتمر وفق ما تمليه حالة الحرب، لكن العمق غير ملتزم، أو ملتزم تخييليا فقط. أنا منزعج لأن الكاستور لا تستطيع متابعتي في مثل هذا الاعتقاد التخييلي: أو هي لا تعتقد في ذلك إطلاقا، وتعيش بامتلاء في عالم سعيد من السلم – أو هي تعتقد تماما (وهو مستبعد)، وتتجاوزني لأنها تعاني قلقا حقيقيا. لكن ما يخفي عني وجه الحرب الحقيقي هو واجباتي نحو «فاندا»؛ لقد وعدتها أن أجعلها تأتي إلى باريس، لذلك فأنا أارتجف من أن لا يكون بمستطاعي الوفاء بوعدي. هذا هو ما شغلني بالأساس خلال شهر سبتمبر. بعودتي إلى باريس، كنت بين أمرين اثنين: إما أن أكون ميونيخيا أو معارضا لهم، وعليَّ أن أعترف، هنا، أنني لم أمتلك البتة الشجاعة الثقافية لأكون هذا أو ذاك. أقرف من الميونيخيين لأنهم بورجوازيون وجبناء، خائفون على جلودهم، على أموالهم ورأسماليتهم. لكن يبدو لي معارضو الميونيخيين مثيرين للرعب؛ لأنهم يحبون الحرب. لم أتعود بعد على فكرة هذه الحرب لأفهم لماذا يريدونها. لطالما كان المشكل الوحيد عندي يتمثل في هل من الممكن تحملها أو تجنبها بكل ما يتطلبه ذلك من قوة (إلى درجة تخلي الجنود عن مواقعهم في الجبهة، أو إلى عمود الإعدام)، وإن كنت فضلت الانقياد الرواقي، فلن أعاني على الأقل من حالات تبكيت الضمير. وفي مقابل كل هذا يظل الوضع مريبا: وفي آخر الأمر فإن ألمان السوديت [البوهيميون الألمان، من الألمان العرقيين الذين يعيشون في بوهيميا، وصار جزءا لا يتجزأ من تشيكوسلوفاكيا] يريدون أن يدخلوا ضمن ألمانيا،

الممكنة (رسائل للكاتستور سبتمبر 1938 الجزء1 ص210) سوف يكون الأسبوع الأخير من هذه الأزمة إلى حدود اتفاقيات ميونيخ موضوع روايته الإرجاء والجزء الثاني من دروب الحرية.

وفي آخر الأمر لم تفِ تشيكوسلوفاكيا بوعودها نحوهم[99]. في نهاية الأمر، لم نكن على أهبة الاستعداد.

في جميع الأحوال، في تلك الفترة استقرت في ذهني حالة الحرب بشكل دائم. لوحدي مع «سي إكس» في سبتمبر[100]، ثم بعد ذلك مع الكاستور، أدركت الحرب وحريتي إزاء الحرب، ولكني سوف أشرح ما يعني ذلك. في جميع الأحوال، هناك شغل بطيء يعْتَملُ في داخلي، يجعلني أشعر أكثر بوعيٍ حر ومطلق بأن حياتي أصبحت أكثر التزاما، وأكثر محتملة، وأكثر عبودية إلى درجة أن أظهر حياتي الراهنة والتي أتعلق بها جدا، والتي أعتبرتها وجودي الخاص، على أنها تجربة ضمن تجارب أخرى ممكنة، مسنودة ومُدعمة ومُتَجَاوزة بوعيٍ. كم من مرة خلال هذه السنة جَعَلَنا أفق الحرب، أنا والكاستور، «وجوديين»، وبالخصوص ذات مساء من مارس، بعد إلحاق التشيك، في ذلك المطعم الصغير بساحة دي فيكتوار. على هذا، فإن قراءة «هايدجير» التي كانت مشروعا بالنسبة إلي، تُخضعني كثيرا. ذات مساء، خلال عيد الفصح ونحن نهبط جبلا بنيس إثر اجتياح الإيطاليين لألبانيا، فهمت الظرف البدائي للوجود –خلال– الحرب، وشعرت به، واستعرضته أمام الكاستور. لا يُفكَّر تقريبا في هذا الظرف بسبب تعقيده: يجب في نفسالوقت أن ندرك: (1* أننا لا نعرف ما الذي سوف يحدث للأنافي العالم (تشوه، أو موت، أو مجرد إرهاق)؛ (2* أننالا نعرف ما الذي سوف يحدث للعالم حول الأنا (هزيمة –ظهور إيديولوجيا جديدة– اضطرابات اجتماعية). لكن مادام التغيير في النهاية يفترض أن شيئا ما يستمر، والأنا والعالم يوشكان هنا على التغيُّر في نفس الوقت، ولكن كل واحد على طريقته، فمن الممكن تصور هذه الحركية الشاملة واللامنطقية. بعد ذلك بوقت في أفينيون، ثم مؤخرا في كركاسون فيالـ 16 من أغسطس، كنت مع الكاستور نناقش إمكانية أخلاق وأصالة من أجل الحرب ومن خلالها. سوف أتحدث عن ذلك هنا أو في وقت

---

99. ربما هو تلميح للضمانات التي قدمتها الحكومة التشيكوسلوفاكية الجديدة لأقلياتها إثر الحرب العالمية الأولى.

100. تدوينة2 ص43.

آخر، فالحرب التي عرفتها بوصفها نفوذا أسطوريا للفضائل المحافظة، ثم، من خلال قراءاتي، كما لو أنها زلزال لا بشري ومُرَوِّع الأحشاء، مثل شيء قاس جدا على الإنسان، والذي في النهاية يُذلُّه، تصبح، على العكس من ذلك، قلقا يمكن استثماره بشكل جيد لصالح إمكانية فهم وجودها في العالم. تعلقت كل أفكاري هذه السنة بحياتي الموزعة ثلاثيا، هشاشتي الغريبة، وسعادتي الغامضة، كل هذه الأشياء التي سيرتها الحرب. هكذا هي تفصح عن نفسها كما لو أنها طريقة وجود في العالم، وهي الفرصة السانحة للإحساس وفهم هذا الوجود في العالم. وبما أنه شيء طبيعي، قمت ببعض الجهود البسيطة لقبولها كحدث مستقبلي محتمل ومستثار من خلال قرارات بشرية، بما أنه يمكن استثمارها جيدا كظرف عام للواقع البشري. شرحت للكاستور أن هذه الحرب مثلا لن تكون شبيهة على الإطلاق بحرب 1914؛ حرب كسل ستكون كل الأمم مسؤولة عليها، لكن سوف يكون لي هذه المرة ما أدافع عنه، ومن ذلك حريتي ككاتب ضد الأيديولوجية النازية. وقد ردت الكاستور على هذا فورا قائلة: «أنت، نعم من الممكن، لكن ما الذي يمكن أن يدافع عنه راع السيفان؟ وهل يمكنك أن تقبل هذه الحرب من أجله؟ [101]». وهو ما لا يمكن الجدال بخصوصه. قلت في وقت آخر ونحن بخوان لي بين، بعد أن ألقيت نظرة على هذا الحشد شبه العاري والمُبَقَّع، أنني اعتقدت دائما أنّ الناس جاؤوا إلى هذا العالم من أجل السلم، لكن عند تأمل هذه البشرية لا أراها تستحق السلم أكثر من الحرب؛ وهو ما لم تقبله مني أيضا. كانت هذه المحاولات تهدف في العمق إلى أن أتخلص من رفض الرواقية لـ«لاشارتييه»[102]؛ لأن هذا الرفض لا يبدو أنّ الظروف التاريخية قد تثيره، ومن جهة أخرى يمنعني أن أعيش وأفهم الحرب باعتبارها أصالة. وفي الأخير، من الجيد جدا أن نرفض الحرب؛ غير أنّ هذا يعني كذلك الوقوع فيها بشكل أعمى. يتحدث «آلان» في مارس عن المنظومة العسكرية، ولكنه لا يتحدث عن الحرب. لقد وجدت

---

101. وهو يستعيد " راعي سيفان"اختلق سارتر في الإرجاء شخصية لويس الضخم مُجنَّدا خلال أزمة السودات.

102. كنية الفيلسوف آلن.

نفسي إذن في مفترق طرق، بين الرفض الرواقي الذي علمتني كل مفاهيمي الأخلاقية أن أرغب فيه، والأصالة. كنت أبحث عن كيفية التخلص من أحدهما لحساب الآخر. أعتقد أنني بدأت أفهم الآن: تكمن طبيعة الحرب في أن تكون كريها والرجال الذين يعلنونها هم مجرمون. من ناحية أخرى هي حادث تاريخي؛ احتمال من الممكن دائما تجنبه. لكن ما أن يتحقق هذا الاحتمال حتى تصبح وجهة نظر مُفضَّلة كي يُحقق الإنسان ويفهم وجوده في العالم (لأن هذا الوجود في العالم أصبح مهددا). وأفضل مما قلتهأن الحرب هي الوجود في عالمالإنسان، إنها الواقعية البشرية نفسها كما يمكن رؤيتها من زاوية الهشاشة، والعبثية، واليأس؛ ولكنها من هنا بالذات ظهرت وبرزت. يجب أن نعيش الحرب بلا رفض، وهو ما لا يعني ألا نكرهها؛ فطبيعتها تجعلها كريهة. علينا أن نعيشها في الكراهية والأصالة. في المحصلة، ارتبط تغيُّر وجهات نظري بالآتي: أتعامل مع الحرب باعتبارها فوضى لابشرية تنهار على الإنسان. أنا أدرك الآن ما معنى حالة كريهة، ولكنها مرتبة وبشرية؛ إنها طريقة للوجود في عالم الإنسان.

يُعلموننا هذا الصباح على الساعة الحادية عشرة أننا سنغادر مساء اليوم. إلى أين؟ دون أدنى شك إلى بروماث على الحدود. حركية لافتة. موزع البريد البدين صاحب الحاجبين الغليظين الأسودين بادرنا بالحديث قائلا: «ولو يا صاحبي! فنحن سنصعد حيث الخط الأول؛ هذا كل ما في الأمر». حدث صغير مبهج ومهم: لم أتصور الأشياء بهذا الشكل، كنت دائما أغبط مصير أولئك الذين «يصعدون نحو الخط الأول»، لكن لم أفكر أن ذلك ممكن أن يحدث لي. قلت له متعمدا شيئا من النزاهة: «نعم ولكن سنكون على بعد عشرة كيلومترات من الجبهة»، «نعم، وهو ما لن يمنع أن تقع علينا من حين لآخر شظايا». كان بعضا من الاهتمام البطولي الذي هدَّأه «ميستلر» قائلا: «لا داعي للاهتياج، فنحن لا نعرف أصلا إن كنا سوف نغادر. أنتم مستثارون جدا». زد على ذلك أنه حسب ما نقله إلينا جوَّال على دراجة نارية من معلومات، سنذهب فعلا إلى عطالة، وإنما نحن نترك مكاننا للإنجليز [103]. (في الحقيقة سنذهب إلى

---

103. فرقتان بريطانيتان نزلتا على الأراضي الفرنسية في 3 أكتوبر 1939.

إتينهايم على بعد 12 كيلومترا من ستراسبورغ، والسبب وضع القيادة العليا في مكان محمي بقرية لا تكون على الطريق الرئيسة. لكن إيتينهايم هي في الأساس على الطريق الرئيسة). إحساس بالمغامرة مازال متواصلا. ليس هناك رسائل من «فاندا»؛ وهو ما يشعرني أنني منسي وقاحل. استولى علي هذا الإحساس لأكثر من ثلاث ساعات: مغامرة وتخل. انطباع قوي ومعتم. ثم جاءني «بول» فجأة برسالة ساحرة منها. ستارة مبهجة. في هذه اللحظة أنا سعيد جدا. لا رسائل من الكاستور.

حرب شبح: أعلمنا أحد صانعي المتفجرات أن الجنود الذين يمدُّون الأسلاك الحديدية الشائكة عند مدخل جسر كاهل سمعوا الألمان خلال الليل يقولون لهم بلغة فرنسية سليمة: «ما الذي تفعلونه؟ لا لارغبة لنا في القدوم إليكم». وبما أن الجنود الفرنسيين واصلوا عملهم، قام الألمان بإنارة المكان لهم بواسطة أضواء كاشفة. ومن المؤكد أن كل هذه المحادثات تمت تنفيذا لأمر ما؛ دائما نفس المخطط، فصل الفرنسيين عن الإنجليز. بل إن البرنامج الفرنسي بشتوتغارت[104] بالأمس انتهى بهذه الكلمات: «أيها الفرنسيون، لقد أمر «هتلر» جنوده بعدم الهجوم، وعدم إطلاق النار عليكم. نحن في وضع دفاعي، لا نريد الحرب ضد فرنسا».

إلى حد الآن تبدو لي الحرب نقائض لكل ما أحبه، لكل ما أسميه شعرا. ثم اكتشفت بشكل خفي شعرا في الحرب. في البداية، وبينما أنزلتنا سيارة قديمة وصغيرة في حقول زيتون ليلا بدلف في إيتيا، كان عندي إحساس أنها سيارة مُصادرة ونحن ضباط بصدد القيام بمهمة ما[105]، لم أستطع معرفة أسباب هذا الإحساس، لكنني أمسكت من خلاله بالروابط الجديدة بين مشهد ممزق محروم من معناه الهادئ والمتأمل، وهذه الشاحنات المملوءة بجنود سوف يقومون بتدميره. شكل من الارتباط في الموت والجثمان. منذ هذه الواقعة، أصبحت عبارات: البندقية خلال الحرب – ليالي الحرب في ستريزا-باريس الخلفية (والمقصود طبعا حرب 1914)

---

104. تم إنشاء (راديو شتوتغارت) منذ إعلان الحرب من طرف غوبلز وزير الدعاية، كان يبث برامج باللغة الفرنسية يوميًّا.

105. ذكريات صائفة 1937

تتنفس شعرا بالنسبة إليَّ أنا: كل هذا يثير في داخلي لذائذ خفية في المدن المغطاة بملاحف، وشبيهة بتلك الزوارق المتنقلة شبه المفككة غداة المعارض وتحت سماء خريفية. في محصلة النوع: رسومات تجريدية، مشروبات دافئة من نوع رمبو[106]، كل هذا مصحوب بمعنى هادئ، حزين ولابشري، استعادة الهدوء. أرى في هذه اللحظة مدينة على ضفة بحيرة الماجور، في البرد أوراق شجر ميتة تحت أقدام قلة من المتنزهين في السواد، كل الفنادق الكبرى مغلقة ومقفرة، الماء رمادي وبعض الجنود المنتصبين عند منعطف الشارع.

لم أتحدث بصوت عال من شدة الخوف الرهيب (لكن في الخيال) الذي تملك بي ذات يوم في غرفتي بلاون؛ لأنني قرأت مرة عندما كانت الحرب تبدو قريبة جدا، كتاب هيلينا زينا سميث **ليس أكثر هدوءا**. كان وصفها[رهيبا]لجنود احترقوا بقاذفة لهب: وجوهم شبيهة بطراوة عجل مشوي.

السابعة والنصف - الانطلاق نحو إيتانهايم.

إيتاينهايم، الأربعاء4 أكتوبر 1939

عند السادسة والنصف اجتمعنا صحبة موظفين في ساحة الكنيسة في انتظار الشاحنة التي سوف تُقِلُّنا إلى إيتانهايم. لم تأت أية شاحنة. كانت هناك حافلة متوقفة في الساحة، غير أنها مخصصة للضباط. مر بجانبنا ملازم وألقى سؤالا دون أن يتوقف: «هل تنتظرون الشاحنة؟»، ثم أرسل ضحكة شخص يعرف أنفي الأمر كله خدعة ثم، قال: «إن لم تأت الشاحنة عند السابعة إلا عشر دقائق، عليكم أن تصلوا إلى المخرج الجنوبي، ومن هناك سوف يسلكون بكم الطريق نحو إيتاينهايم على القدمين»، ثم اختفى. استولى على الموظفين ومرافقي الضباط وجوم، وانتفض «بول»

---

106. تلميح لفصل في الجحيم لرمبو (هذيان1):" أحبُّ الرّسوم الغبية، على الأبواب، ديكورات، أقمشة مهرجين، لافتات مخطوطات شعبية مزخرفة.. أحب الصّحاري، البساتين الملتهبة، الدكاكين الذابلة، المشروبات الدافئة..."

غاضبا وهو يقول: «يجب عليهم أن ينقلونا على متن الشاحنة، لن أتحرك من هنا». غمغم «بييتر» من شدة الارهاق: «أعاني من فتق، لا أستطيع المشي أكثر من 20 كيلومترا». كنت قرفا منهما، رغم أننا كنا نرى قوافل عديدة من الجنود المطاردين يقطعون 35 كيلومترا في غبش الظلام مشيا على الأقدام، ويطرقون الأرض بقوة. كنا محمَّلين [بالأثقال] بشكل مرهِق جدا إلى درجة أني شعرت ببهجة غريبة إزاء الجهد الذي يجب أن أقوم به. هذا الالتزام الغريب: علي أن إِقوم بأكثر مما ينبغي لأشعر بالحرب أكثر ما يمكن. غير أنّ رفاقي في العادة يكبحون جماحي (كما لو أنهم مساعدو قلعة «كافكا»). ولعلني فرح لأنهم كبحوا جماحي. قدم الملازمان «مونو» و«بيناتو» والنقيب «مونييه»، وشرعنا في التفاوض معهم، فأرسلوا «العريف كورسي» ليرى التعقيد. في تلك الأثناء قال «النقيب مونييه» بود: «بإمكانكم أن تصعدوا حافلة الضباط». صعدنا من الباب الخلفي في الحافلة المعتمة وتكدسنا في خلفيتها، وسمعنا صوتا ساخرا يهتف: «هوهو! أعتقد أن هناك من أخطأ في العنوان». واتضح أن الصوت للملازم قصير بشاربين، وعلى ضوء مصباح كهربائي رأيته: كان له وجه قذر، يضع نظارتين بإطار حديدي. كان يقف مع ملازمَيْن آخرين يتهامسون بشكل مفضوح. قال أحدهم متحيرا: «إن لم نكن نحن الذين أخطأنا العنوان». وارتفع صوت غليظ آخر يقول: «ولكنها حافلة الضباط؟». شرح لهم «بييتر» أن «النقيب مونييه» هو الذي أمرنا بالصعود فيها. هتف صوت: «أي نقيب؟ مونييه أو برونييه، آه، لقد فهمت...». ثم سلموا بالأمر في حرقة وقال أحدهم للآخرين: «هل أخذتم على الأقل أقنعتكم؟»، ثم قال بنبرة مقرفة ارستقراطية: «وبما أنهم سمحوا للجنود بالصعود في الحافلة، فلماذا لا يصعد فيها مرافقوننا؟». حينئذ صعد نقيب وهو يقول مبتسما في وجه أحد الملازمين: «هاهو الجانب الودود لوجه بيينير». هتف «بييتر» بشكل صاخب: «قائدنا يجامل دائما (رغم أنه في حقيقته يدمدم ضد الملازمين) هناك أماكن شاغرة في مقدمة الحافلة». رد النقيب الفض المحسن: «المقدمة؟ لماذا المقدمة؟». أردف «بييتر» مُوضِّحا: «لقد حشرنا أنفسنا في مؤخرة الحافلة كي لا نضايقكم». قاطعه النقيب متأففا: «لسنا هنا في الكوميديا الفرنسية، ليس هناك رخام

ولا قن دجاج». ضحك الملازمون الثلاثة بشكل ساخر. وفي الأثناء، أطل الملازم «ز» بمزاج غريب قائلا: «أصدقائي، هناك أماكن في حافلة فرقة المشاة». تنهد الملازمون الثلاثة في ارتياح، واندفعوا يغادرون الحافلة متسارعين كي يفلتوا من الجنود. أؤكد إننا لم نشعر بوجودهم. جعلني هذا أفكر في أولئك الأثرياء الأمريكيين الذين غادروا شارعا بأكمله في نيويورك؛ لأن عائلة من السود استقرت في أحد المباني. دمدم «بيتر» مصدوما من شدة الشعور بالإهانة: «أوه لا! كنت أرجو أن أقول لهم: ربما نشعر بأنفسنا في حياتنا المدنية أفضل منكم سيدي الملازم». ثم استقر في آخر خلفية الحافلة ليشعر بارتياح أكثر. كنت قد جلست على مقعد، ظهري إلى السائق، ومددت ساقي على الكرسي الصغير المتحرك قبالتي. بعد انتظار طويل، تحركت الحافلة ببطء شديد وسط الظلام. إنها لبهجة. تجاوزنا ببطء قوافل الظلال السوداء المتحركة؛ إنهم الجنود المطارِدون. هنا وهناك التماعة حمراء لسيجارة؛ رأيت خلفنا الأضواء الكاشفة لسبع أو ثماني سيارات تسير متقاطرة. توقفات متعددة. في إحدى هذه التوقفات، أرسلت إحدى السيارات أضواءها الكاشفة، فعكست على ميكا النافذة الخلفية ظلا متقافزا لشخص يمشي، ثم أخذ هذا الظل يتعاظم، يتعاظم إلى أن أصبح عملاقا غير قابل للقياس.

وصلنا إيتاينهايم على الساعة التاسعة صباحا. أنزلونا رفقة ثلاثة مرافقي ضباط في مخزن بالطابق العلوي، مفروش بالقش وبه سريران كبيران. أخذنا السريرين؛ إثنان في كل سرير. النوافذ مهشمة، كلب ينبح، الشارع يغلي بصخب وقع خطى الفرق العسكرية، أوامر، ضحكات. من حين لآخر نور ضوء كاشف يباغت نافذتنا. قفز «بول» إلى جانبي، أما «بيتر» فقد كان يسعل، يعطس، يكشط حنجرته. ثلاث أو أربع مرات يدخل علينا جنود وبأيديهم مصابيح كهربائية يضيؤون المكان مطالبين بأماكن لهم فنطردهم. بهجة مصبوغة بمالانخوليا متكدرة قليلا، تصاحب عادة التنقلات العسكرية. كل شيء شديد البرودة، شديد الحزن، هل سيأتي غد «الاشتياق والتعلق» [بالإسبانية في المصدر]. لكنّها بهجة عدم الارتياح. نمت جيدا.

قالوا لنا هذا الصباح: «أهالي إيتاينهايم من أسوء الناس سمعة في كل الراين

السفلي؛ فمن المستحيل أن تجد شيئا ما». ورغم ذلك، على الساعة الحادية عشر، حصلنا في نزل العجل الذهبي على «التعلق والميل» [بالإسبانية في الأصل]، رفقة ثلاثة أفراد من مصلحة البحث العسكري. قمت بنقل كل صناديقنا على نقالة (8 رحلات). استمتعت بالتفكير: لو فقط رآني «غبي»، من المؤكد سيكون لديه شعور ماكر، أن يراني بهذه السحنة العسكرية أدفع نقالتي. في منتصف النهار، تفرغت للكتابة في قاعتنا الصغيرة بينما كان رفاقي ينتظرون المرق.

الخميس 5

قرأتها في آخر الأخبار [بالألمانية][107]:

«بالنظر إلى الظروف الحالية، هناك خشية من انتشار وباء الكَلَب بسبب الكلاب العديدة السائبة».

«ويجدر التذكير هنا أن القانون يُلزم كل من يملك كلبا مصابا بالكلب، أو هناك شكوك حوله، أن يقتله فورا ويحرر تقريرا في ذلك يودعه بالبلدية أو مركز الأمن. وتُعلم هذه الجهة بيطري المصلحة القضائية، ونيابة المقاطعة. على أنه لا بد من المحافظة على جثة الكلب إلى حين قدوم البيطري. ومن جهة أخرى، فإن كل كلب مجهول في الجهة غير مرافق بسيده يُعتبر كلبا سائبا ولا بد من القبض عليه. وإن كان هذا الحيوان صعب الترويض، فلابد من القضاء عليه فورا». أتخيل هذه الكلاب السائبة في ستراسبورغ المقفرة (تدوينة 13 أكتوبر: رومانسية. فمازالت في ستراسبورغ شرطة ومصلحة طرق).

بالأمس عشت كامل اليوم في شكل من أشكال الغمِّ وانحراف المزاج. كنت أشعر بالبرد. لم تبد لي هذه القرية الغنية والمُجَففة بالطريق الرئيسة التي تشقها مُضيِّقة. رغم ذلك استغربت عند الصباح لأني شعرت بها غير معنية بالحرب، بل شعرت غياب الحرب؛ بضيعاتها البيضاء والثرية، بساحاتها الشاسعة وشرفاتها الخشبية، بكرومها

107. جريدة ألزاسية: آخر أخبار ستراسبورغ.

العذراء. غير أنه لم يكن ثمة داع إطلاقا للاستغراب؛ فنحن من جئناها بالحرب. نحن المصابون بالطاعون نحمله معنا حيث حللنا، شرُّنا معنا ونصيب الجميع بالعدوى. لقد غيرنا فجأة معنى هذه القرية الأنانية الغنية، الهادئة. هذا المخزن الذي نقطن فيه نحن الثمانية من مختصي الأحوال الجوية، وأربعة من مرافقي الضباط، لقد دمرنا معناه فجأة، قطعناه عن امتداداته اليومية (فلقد كانت، ودون أدنى شك، غرفة خدم أو عمال الضيعة). لقد جعلنا منه مبيتًا. كل هذه الامتدادات هي عسكرية صرف، مع ما سوف تأخذه في صبغتها النهائية من كونها أداة للوجود في العالم بهدف التدمير. وحين سنغادر هذه القرية سوف تستعيد هدوءها الموسر، وليس هذا الأقل استغرابا في هذه الحرب الشبح: يشعر الجنود في هذه المنطقة أنهم متطفلين وناقلين للعدوى. لم تدمر الحرب أي شيء. نحن لا ندافع عن أي شيء: نحن نفرض حربا على قرى ثرية لا تطلب منا أي شيء.

حدَّثني جندي يرتشف قهوة بجانبي قائلا: «هل تعلم يا صاحبي، أنا أبلغ من العمر 39سنة ووضعوني مع أناس أعمارهم من الـ 29 إلى الـ 30سنة؛ ليس من العدل في شيء هذا التصرف، لا يجب أن أكون في الخط الأول؛ أبو زوجتي في الخلف بمصنع للذخيرة يقبض أجرته كاملة؛ من 15 إلى1800 فرنك في الشهر، أما أنا فلا أقبض سوى 10 وحدات من الفرنك في اليوم. لا أقول هذا من باب الغيرة، ولكن حين أرى هذاأقول: هذا ليس عدلا، ألا يجب أن يقبض عمال الخلف مثلما نقبضه نحن في اليوم الواحد».

باقة من موسيقى سنوهويت والأقزام السبعة في راديو نزل العجل الذهبي، صرير، ضجيج طفيلي. لكن حين انبعثت تلك الموسيقى (التي كنت أعتبرها ذابلة وتافهة)، وصلتني الآن كالتماعة نور في الليل، وعد بانتهاء كل شيء وأني سأعود كائنا إنسانيا. لقد تطلب الأمر خمسة عشر إيقاعا، ثم توقف كل شيء[108].

---

108. تم أول عرض لفيلم بلانش نيج والأقزام السبعة انتاج والت ديزني بفرنسا سنة 1938.انتشرت أغاني هذا الفيلم عبر الإذاعة في كامل أنحاء فرنسا وصارت على كل الشفاه. النغمة التي سمعها سارتر ذلك الصباح هي لأغنية سوف يأتي أميري ذات يوم.

لقد عرفت لحظات بهجة عارمة منذ أن تم تجنيدي، ورغم ذلك كل ذكرياتي في سانتراي، مارموتييه... مسمومة كما لو أن كل اللحظات التي عشتها تظهر سمومها حين تمضي؛ فكلها تتصف (حتى بهجة مساء الثلاثاء) بلمعة مزيفة ومرتفعة الحرارة – شيء ما جاف وملعون.

مزاجي اليوم رائق فاق الروعة. هناك حديث عن قرب رحيلنا إلى صاروبروك. لعلها مجرد مزحة. ربما حقيقة أيضا: قد نحتشد مع الجميع هناك في انتظار الضربة القاسية[109]. ها نحن ذا، إذن، سأكون عند الخط الأول. مجرد شعور بالتطفل ولكن في الحقيقة هو فرح مشوب بشيء من الغمِّ. فلم أتعذب بعد من الحرب جسديا. أفكر في هذا وأنا أستمع لـ «هانتزيغار» مساء أمس وهو يقول لي إنه كان بدورية حراسة في شاحنة ليلة الاربعاء إلى حدود الرابعة صباحا: «لم يكن من الممكن أن أمد ساقي، كنت مجمدا من البرد». لابد لي أن أعيش هذا: أن أشعر بالبرد الحقيقي. عذاب الجسد وفي نفس الوقت تحرره؛ ذلك أن التعَذُّبَ لا يعني أي شيء. أقصد أن إحساسي بالبرد أشعر لا أهمية له بالنسبة إلى الحياة. ثم ماذا بعد؟ قد أُصَاب بالتهاب رئوي وبذات الرئة، ثم ماذا من بعد؟ ليس مهما ذلك. يتخذ الألم والمرض في الحياة المدنية أبعادا تستوجب التوقف: كالعجز عن الوفاء بوعودي والذهاب لمواعيدي، لا أستطيع الذهاب لعملي، لا أستطيع القيام بما قررت فعله...لكن المرض في الحرب لا يدمر أية إمكانية عندي؛ ذلك أن كل إمكانياتي تدمرت. الحرب مرض أحمله في داخلي منذالـ 2 من سبتمبر. ولن يكون التهاب الرئة سوى مرضا دخيلا. في الحرب أنا في أي مكان، أنا لا أحد، وفي أي زمان. وجسدى بؤس مجهول. لكن كل هذا (على جسدي)، أخمنه فقط؛ حالة سيئة أتدرب من خلالها أن أحس بها: أعاني منذ الأمس من برد متواصل وقاهر؛ نزلة برد قوية.

---

109. هناك بالفعل جبهة بجهة لاصار لكن لم يكن هناك اي هجوم اقتحامي. تداولت الصحف خبر إن الجيوش الفرنسية تنوي اقتحام المنطقة.

محنة رواقي(يتبع)

كان من المستحيل عليَّ أن أفتعل التعاظم: يبدو أننا سنرحل لمحور هادئ أبعد قليلا عن هنا. وفيما يخص البرد فلقد انتهى –أنا نفسي ذهبت للبحث عن الفحم لإشعال المدفأة.

تم التخلي عن ترحيل السكان الألزاس، فاستقبال اللاجئين كان بدرجة من السوء لا توصف. تم عزل والي الدوردوني.

الجمعة 6 أكتوبر

كل الفرقة العسكرية رحلت هذا الصباح. ضجيج أُصوات ومجموعات تمشي. حلم «بول» أنه صعد قلعة تنهار وشرع في الصراخ بجانبي. بقيت هذا الصباح وحدي في إتنهايم. جندي وحيدأحرس الآلات التي سوف تأتي شاحنة عند المساء لتنقلها. شعور غريب بالمتعة والأمانة؛ فقدري مرتبط بشدة بالقسمة لكي أشعر بالحرية. يبدو لي أني بقيت في الخلف. غير أنني بعد قليل، وحين يتمُّ إجلاء آخر جندي، سوف أذهب للقيام بجولة في الشوارع تحت رذاذ المطر لأرى كيف يعيد الهدوء تشكيل هذه القرية ببطء بعد اضطراب صورتها السلمية. الآن رحلت عنها الحرب، ستذهب بعيدا إلى برومات. لم يكونوا زنوجا الذين أخذوا مكاننا في «مارموتييه»، بل مبتهجون[110].

مما قرأته في يوميات «جيد» تعليقا على كلمات «باريس» التالية: «ما الذي أحبه إذن في الماضي؟ حزنه، هدوؤه، وخاصة سكونيته. فما يتحرك يضايقني» ردود الفعل التالية: «هل من الممكن أن نتخيل اعترافا مثل هذا؟ فكرة تطور ممكن للإنسانية لا تمس تفكيره. بالتواصل مع هذه الصفحات، فهمت بشكل أفضل كيف اجتاحتني فكرة التطور واستولت عليَّ». (13 يوليو 1931).

---

110. جنود لمؤسسات منضبطة من مثل " الباط داف"

أمّا أنا، وخلال قراءتي لملاحظات «جيد»، فهمت وشعرت مرة أخرى أنّ فكرة التطور هي بالنسبة إلي رسالة موت كبرياء لاشك في ذلك. بهذا المعنى أقبل النسبية في الفضاء؛ في شكل تبادل- لكن ليس النسبية الزمنية. أتخيل جيدا هذه الرؤية الجيدية للعالم: أن يرى المرء نفسه من خلال زاوية نظر فترة زمنية مستقبلية، مثل شيء نسبي، تقريبية لكن - ضمن تقريبيات العصر - كما تلك التي اقتربت أكثر من كل ما سنكتشفه، وما سنفكر فيه من بعد. ثمة هنا إهانة أساسية، طريقة في الضياع أيضا، تسمح بالتواجد في المكان المناسب. ولقد أصاب في ذلك من جهة ما. لكنني لم أعد أشعر أبدا أن زمني يشبه المطلق، لا أتخيل هذا المستقبل الذي لن أكون موجودا فيه. لقد بدا التطور دائما كما لو أنه كلام فارغ، ثم جاءت، بطبيعة الحال، الحجج الفلسفية من بعد - إضافة إلى أنّ هذه الفكرة تغلّف تناقضا شكليا. من المؤكدأنني أتصور بشكل معتم أن هناك مابعد سيظل إنسانيا، لست مثل بعض اليهود الذين يتعامون عما سيحدث لهم بعد حياتهم. بيْد أن الأمر يبدو مثل وسط بشري غامض وغير محدد؛ حيث يمكن أن يتردد الصدى لبعض الوقت، وإلا ذاكرتي على الأقل؛ ذكرى تلك الأشياء التي أحببتها، المبادئ التي آمنت بها. إذا استوجب الأمر أن يموت كل الناس في نفس الوقت الذي أموت فيه، سيكون ذلك موتا لمرتين. لكن يكفي أن تستمر الإنسانية لزمن غير محدد، وأن يكون هناك، بعدي أنا وقبلي وحولي، نوع من سُمْك الرجال. لن أتساءل أبدا عما يفعلون. ولهذا السبب بالذات أفكر قليلا في تغيير الحالة الراهنة للأشياء عوض معاناتها، وهو ما يبدو لي آخر كلمات الحكمة، معاناتها وفهمه. وفي الحقيقة لا أريد لي أن أضيع. هذا النفور الذي سوف أشعر به لما أتعاطى المخدرات، هذا الذعر الذي استولى عليَّ حين اعتقدت أنني جُننت [111]، هذه

---

111 حقن سارتر نفسه في بداية 1935 بحقنة مسكالين لمجرد التطفل العلمي. كان بصدد دراسة الصورة الذهنية وفق هوسرل (يوضح من خلالها إن الصورة ليست " محتوى وعي "لكنها " حركة تنص في جسديتها على شيء مفقود أو غير موجود ") تخشى أن يتم النظر إلها من خلال الخصوصية الظاهرة للصورة المهلوسة والتي تتسلط على الوعي (انظر التخيل الحوليات الجامعية بفرنسا 1936) الهلوسات التي تنتج عنها مرعبة وحادة القسوة؛ لقد اعتقد سارتر نفسه لشهور عديدة أنه مجنون. سوف يأتي ذكر ذلك في الدفتر الثالث من خلال التأويل الذي يقترحه بخصوص هذه الأزمة.

الاستحالة أن أكون فعلًا شيوعيًّا، كل هذا يتأتّى من استحالة أولى: لا أريد القفز على الخطوة، أية خطوة؟ سيكون هذا واضحا وجليا إن قلت إنه من السهل علي أن أحتمل الخنادق والمخاطر المستمرة للموت، على أن أتخلى عن موقعي في الجبهة. أن أتخلى عن موقعي في الجبهة فذلك يعني نكران عالم وفترة وحقبة زمنية –أن أحارب في الخنادق فذلك يعني قبول تلك الحقبة الزمنية؛ معاناة زمني. المتخلي عن موقعه في الجبهة يستنجد بالمستقبل، وأنا لا أريد أن استنجد سوى بالحاضر. في الحقيقة، ورغم أنني مسكون بعمق بفكرة المجد، فلا شيء أشد غرابة عندي من فكرة «أن أربح قضيتي عن طريق النجدة» [112]. ولاشيء يكون أشد قسوة عليَّ من عزلة ما؛ من ما وراء ما. وهذا هو تفسيري لموقفي من الحرب: أعتبرها مرضا، بل هي المرض ذاته. لكنني لا أخطط لاجتثاث هذا المرض من جذوره؛ فليس لدي سوى أن أعانيه. يحتج «بول» يوميا وهو بجانبي ضد هذا المرض، إلى درجة أنه يتلذذ حين يسوء الوضع. إنه متمرد على الحرب، وأنا أريد أن أعانيها وأفهمها، خشية أن أضيع، خشية أن أستنجد بالمستقبل للتخلص منها. أنا شخص محافظ، أريد أن أحافظ على العالم كما هو، ليس لأنه يبدو لي جيدا – بالعكس إني أراه نذلا – ولكن لأنني داخله ولا أستطيع أن أدمره إلا إذا قمت بتدمير نفسي معه.

«جيد»، **يوميات**، 2 **أغسطس** 1931

«ما أن نقبض على الإنسان باعتباره مسؤولا، وليس الله، لن يكون من الممكن الظفر بحصتنا من اللاشي».

صائب جدا. ولهذا السبب شبهت الحرب بمرض لا بد من معاناته وأنا أرحل في الـ 2 من سبتمبر. إنها عبثية. لقد نبهتني لذلك الكاستور وقالته لي، بل وتقريبا بهذه الكلمات بالضبط، إن كل ما تعلمته من وقتها هو أنه بما أن الحرب تحدث من خلال

---

112. حسب عبارة اندريه جيد: كم من فنانين كبار لا يربحون قضاياهم إلا من خلال طلب النجدة اليوميات ص720.

ناس للناس، فهي إذن واقع بشري، وليس شيئا يهوي على الناس من الخارج، مثل رعد غبي، لكنه تحوير منظم وخفي لوجودهم. إنه أحد الوجودات الممكنة للواقع البشري. لا يجب معاناتها كما لو أنها مرض جرثومي يعذبني دون أن أكون شريكا له، ولا يجب اتهامها كما لو أنها نتيجة الإرادة النحسة لبعضهم. لابد أن أنظر إليها، ليس باعتبارها مرضا أصابوني به، ولكن أنا هو المرض. الحرب هي أنا [113]؛ هي وجودي- في -العالم، هي العالم بالنسبة إلي. هي وجودي -من أجل-الموت، وجودي -من أجل-الحب... هذا لا يعني إطلاقا أنه من الممكن أن نلغي إمكانيتها، لكن أن نلغي فقط إمكانية واقع بشري معين.

البورجوازيون ضباط. القرويون وكثير من العمال جنود. أنا لا هذا ولا ذاك؛ على هامش في الحرب كما في السلم. فأنا، إذن، أقرب مني للبورجوازي. لا تدمر الحرب الطبقات الاجتماعية، بل بالعكس تقويها.

متروك من فرقتي على الطريق مثل غائط؛ يولد احترامي البشري من جديد ما أن أكون وحدي. ويغيب طيشي العسكري في غموض شحصيتي؛ لأنني لم أعد مجهولا، فأنا الجندي الوحيد الآن في القرية. ويبدو لي أنّ كل القرية تدفع عنها بعيدا وبكل قواها هذا الشاهد الوحيد عن الحرب.

بالأمس قلت لـ «بييتر» و«بول»: «بما أننا في الحرب، لمَ لا نعيشها إلى أبعد حد، سيكون ذلك ممتعا». رد «بول» بسرعة: «لو تفوهت بهذا في ثكنة كليبر بنانسيلهشموا لك وجهك. لقد أراد أفراد الزاد11 إنزال «ماكسيم دوكمب» المذيع لأنه كان يردد

---

113. يريد سارتر مواجهة الحرب ربما لأنه يريد أن يستبق ذلك فلا تقع عليه مثلما حدث لجنونه سنة 1935 كابوس غريب عنه لا يستطيع إلا الإفلات منه وعدم مواجهه لم يكن التوازن الذي استعاده كاملا في جملته.لم يكن قد نجا نهائيا من اضطراباته في أوت 1939(رسائل للكاستور) ولقد أدرك في مناسبات عديدة أزمات داخلية (رسائل 29 فيفري و19افريل 1940)وبالتالي فإن شيئا ما مثل حرب 1914 يمكن ان تندلع في داخله شبيهة بهزال أو تقحُل، هذه الحرب المرعبة بالنسبة لهؤلاء ؛ والصحف التي تقوم باجترارها حسب الرغبة كل هذا لا يتيح له فرصة نسيانها. يجب الاستعداد منذ الان لتحمل الصدمة.

علينا أن ننتظر من الحرب انفعالات نادرة». أقول ذلك هنا لأن هذا الدفتر سوف يصبح مشاعا بين القراء، و«ماكسيم دوكمب» هذا غبي أحمق، وأتمنى لو أن خازوقا يخترق أعماقه ويمنحه الانفعالات النادرة التي يستحقها. لم أكن أريد أن أقول هذا، لكنه لا جدوى من رفض عيش الحرب بما أنها في كل مكان، أو سنكون شبيهين بـ «بول»: فرار مضطرب وتدقيق أمام واقع يضغط عليم من الجهات.

أثارتني بالأمس رسالة الكاستور الممتعة إلى أبعد حد (أحب أن أراها عند هذه السيدة[114]، كنت أعيش معها). بعض خمر أبيض أتى عليَّ، كنت شبه ثمل. عندي حياتان؛ التي أحياها هنا، وتلك التي أحياها هناك بالوكالة. مهمة الكاستور أن تحيا من أجلي، وهي على وعي شديد بذلك. الكاستور هي الكمال.

ما أريده (تبعا لردود فعل سابقة): أن أكون الأكبر مع وسائلي العادية. أعرف أن هناك كِبَرا آخر يبتكر وسائله الخاصة. وأحيانا أمام هذه الحرية المتناهية المعطاة لي كأي إنسان، أحس أنني متهم؛ لأنني لا أستعمل هذه الحرية بشكل جيد. ما أن نقتنع بوسائلنا البسيطة نصبح رواقيين.

يبدو لي وأنا أكتب كل هذا أنني أتخلى عن وجهة نظري النقدية في الصفحات الأولى لمتابعة مجاملة تلاطف نفسي. وجب الحذر.

في يومياته لـ 18 مارس1936 التي غفلها«ف» يكتب «دابيت»: «لقد سحبت بعض الخيوط وراهنت؛ يجب أن أدفع الثمن، سارق مسروق، غشاش مغشوش». هذا ما يجب أن أقوله إن صفعتني «فاندا» خلال هذه الحرب.

أغلق هذا الدفتر، سوف أخرج للتنزه أناالمصاب بالطاعون في هذه القرية، يجب أن أحمل أجراسا. أشعر أنني وبش نجس؛ وهو ما يُبهجني. بالمناسبة يبدو أنه تم إعدام مُبتهجين اثنين رميا بالرصاص قبل يوم أمس. قبل لحظة الدخول إلى مارموتييه؛ وهو ما يعد أهالي مارموتييه بالكثير من المتع. أتخيل أنه مع شيء من السادية فهذه المدينة الصغيرة الجميلة التي أحسنت استقبالنا، أصبحت الآن مرتعبة ونوافذها مغلقة.

---

114. تدبونة 6 ص24

خيبة: بقي بعض الجنود الذين تتم تعبئتهم في شاحنات. الجنود عنيدون مثل القمل، لكن لا نرى في الشارع الرئيس سوى النسوة على عتبات بيوتهن. في المارشال فيران، أصبح من السهل مشاهدة مدنيين ورجال بدينين في مآزرهم، يركبون صفيحة حصان وهم يلقون بشتائمهم. صاحت الديكة (بدا لي أنها لم تفعل ذلك بالأمس). إنها عيناي التي تتصفح كل شيء بطيء في الحرب. بهجة. توقفت بالقرب من الكنيسة أتأمل النصب التذكاري للموتى: مُخَيِّب للآمال. عدت مُلطَّخا بسيارات المدنيين. يُعاد تشكيل معنى القرية في تردد: لقد استشعرت ذلك فجأة، غير أن ذلك كان متأخرا.

استأنست بهذا الدفتر. كنت في الأيام الأولى أضع قفازات حين أكتب فيه.

«المُساعد كورتو»، فتى جميل هزيل بوجه قاس مُرَوِّع كما لو كان راهبة متدينة؛ فمن الممكن أن تقرأ على ملامح وجهه أنه لا يفكر في نفسه إطلاقا. من أقواله: «كل الذين يذهبون للحرب على أمل العودة منها ليسوا رجالا». (لكنه قال أمامي: «أريد أن أكون في خط الهجوم الأول وسأعود؛ لأنني سوف أمر من خلال طلقات الرصاص».) من أقواله الأخرى وهو يمر مع «النقيب تيبو» البدين أمام حصان ميت فيغتمُّ قائلا: «آه؛ هذا يفطر قلبي! من الممكن تعويض الرجال فلدينا الكثيرون منهم، أما الحصان فإنه يُكلِّفنا خمسة آلاف فرنك». ومع هذا حساس، انفعالي مثل امرأة، قلق في علاقاته مع الضباط الآخرين: مستعد أن يُصعِّد الجدل معهم لأبسط مزاج سيئ. صحته جيدة دائما؛ فلديه دائما لثام.

خدعة مكشوفة: كل فترة تجنيدي ضاعت هباء لو انتحبت على الحرب. الوسيلة الوحيدة لتجنب هذه الفكرة غير المحتملة للوقت الضائع، هو أن أرى في الحرب إمكانية تطور؛ أي أن أبحث عن إمكانية العيش في أصالتها. فكل موقفي إذن سوف يكون دفاعيا؛ وهذا الوجود للحرب يقع اختراعه لحاجيات السبب الأول، وهو ما لن يعني من ثمة فكرة مزيفة.

في الطريق إلى بروماث، ضوء الأرض كاشف ينير السماء من خلال الأرض في فجر غريبة متقلبة وجليدية في السماء، ضباب ملتمع تنعكس الأشجار عليه منكسرة

كما لو أنها ظلال، ثم يمتصها فجأة في أنوارها. في الوسط قريبا من الضوء الكاشف دوران آلي وفظ لباعث الضوء مهتاجا تقريبا، وفي الأثناء كانت شاحنتنا تتجاوز على الطريق المعتمة مئات المدفعيات المتوقفة بأضوائها المطفأة ومغطاة بطرابين الأشجار الغليظة، إلى درجة أن هذه الطرابين كانت تخدش غطاء شاحنتنا. توغلنا في غابة صغيرة، ومن خلفنا في البعيد عند كل التماعة من كاشف الضوء تبيض الجذوع وأطراف الغابة. أما أوراق الأشجار فظلت سوداء بلون الحبر الأسود.

ما أفكر فيه أحيانا: لم آمل من حياتي أي شيء سوى السعادة. لقد جلبت لي الحرب تجديدا. ليس من الممكن أن نأمل شيئا آخر سوى أن نشكرها.

مارموتييه: تتأسف علينا. اثنان من المبتهجين اغتصبوا وقتلوا صاحبة محل جزارة. تم إعدامهما رميا بالرصاص.

السادسة والنصف مساء: رحيل إلى بروماث.

بروماث، السبت 7 أكتوبر

قرأت في يوميات «جيد» بخصوص باعث الوعي (4 يناير 1933): «هناك القليل من الشجاعة في دمج خطوات على ترك المجموعة». لتطبيق ذلك في حالتي: سوف أظل في «المجموعة» إن كان المقصود من هذا ليس فقط المجتمع بل العالم كما هو. بالنسبة إلى المجتمع، أفكر دائما ضد هذا المجتمع لكن ضمن آفاقه.

أهمية استعمال هذا الدفتر: يخلصني من الراهن. لعلني بدونه كنت سوف أكتب شيئا آخر غير روايتي. لكن يكفي أن ألقي فيه أول انطباعاتي الناضجة جدا كي تظل روايتي هي اهتمامي الرئيس.

الأحد 8 أكتوبر

بول اشتراكي مناهض للعسكر، لكنه موظَّف أيضا، والجانب البيرواقراطي في

طبعه يلتصق بجانبه البيرواقراطي في الجيش. حبه للأوراق والوثائق، انعدام المبادرة عنده، خشيته من المسؤولية في الحياة المدنية التي قد تعرضه للسخرية؛ كل هذا أصبح هنا ما يشبه الفضائل. هو يضا يساهم في التجمد الجثثي للأوامر؛ يطبقها خشية مع كل الغباء الممكن، ومن هنا، رغم أنه مُحتج ضد الحرب والجيش، يحمل في داخله طاعة عمياء. فعوض أن يطيع يوما بيوم، فإن خضوعه استبصاري-على الطريقة العسكرية. ويتعلق الأمر هنا بميزة مدنية: فزعا، متشائما، ملازما للبيت. يفكر في كل تبعات خرجة عائلية، إفطار بالخارج، مشي. يحتاط من كون عدائي. يصبح هذا الكون العدائي في الجيش مبعث حيرة وونزوات عند المشرفين. يخشاهم كما يخشى عسر الهضم أو الإدارة المدنية للمعهد الذي يدرس به: باختصار كما النخب. هكذا يرغبون أن يتم التصرف معهم. ولهذا صارت هذه المناهضة للعسكر أهم شيء مُنظَّم بالنسبة للأعراف.

لكن هذا الاستبصار يخفي فيه، في نفس الوقت، الطابع العميق للوجود في الحرب؛ وهو أن لا يكون له مستقبل. يدفع قدامه مستقبلا نحيفا بعض الشيء في إمكانياته القلقة التي هي أقل من إمكانياتي، والتي هي تحذيرات عليه أن يتوقَّى منها: فإذا كان عليه أن يمر بغرفة الغاز عند الساعة 14 فعليه أن يتناول غداءه بخفة، ويسأل في كل مرة أن سيأخذونه؛ إن عرف اسم مكان التخييم، يندفع نحو الخريطة ويقيس بعده عن الحدود. لقد ظل مدنيا من خلال شكوكه، رغم أنه فقد (ربما لم نمتلكها إطلاقا) إنسانيته المدنية. من المؤكد أنه شخص مرعب بالنسبة لزوجته. رغم أنه اشتراكي، إلا أنه ينحرف (هذه الحرب انهيار لتوقعاته الدقيقة، رغم أنه رفضها خمس سنوات متشائما)، لا يدري بمن يلوذ: تواضعه الشرس البيروقراطي مثله وشكه اللامتناهي يمنعانه من أن يتخذ موقف رفض اشتراكي. مقتنعا، يبحث بحرقة عن تناقضات الصحف، مشككا في الخسارات في أعداد الجنود والطائرات، معتبرا أنها أخطر بكثير من المصرح به. يعيش في حالة من التوتر الذي ليس سوى مبالغة موجعة لتوتره المدني. لم يستطع أن يتأقلم مع الحرب، لا من خلال رفضها ولا من خلال قبولها. يُطَوِّف، يخشن طبعه. لا يفكر في تصرفه إطلاقا، يرضيها دفعة واحدة ويشجعها: إن

كشفناها له، يصرُّ عليه، يتفلت، يغتاظ أو يعترف بتواضع أنه متشائم؛ وهوما يعفيه من محاولة التغير طالما أنه أمر واقع. لا يريد أبدا أن يعيد تركيب نفسه مجددا أو يعترف. ناهيك عن العقد المرعبة التي يعاني منها في داخله (مشيه خلال النوم، أحلامه – وهي نفس الأحلام دائما – أحلام اختناق، انهيار، حياؤه قدام النساء، طابعه المراوغ –بييتر يسميه طالب لاهوتي). دونية، تواضع، خشية من العالم. يعاني من صمم في إحدى أذنيه؛ وهو ما يجعله يصرُّ على صممه؛ فلا يسمع إلا ما يشاء. يستحوذ عليه جسده، ليس لأنه هزيل، ولكن ذهنه منغرس بعمق في لحمه: شهياته المتثاقلة، مشيته التي تشبه مشية الإوز، القدمان إلى الخارج، رائحته الحامضة، رائحة قدميه التي يعترف بها ببساطة. كل هذه الحركات تخفي جسده المتطلب، وتكبح توتره: تنطلق بفخامة شفوية ودقة مزيفة، لكن عند بداية بلوغ الهدف، تتغير إلى شبه انحرافات وتتفكك. لا شيء أكثر دلالة من مشاهدته وهو يجلس إلى الطاولة يتناول كأسه. في الأول يتعلق الأمر باستعراض رياضي: يمتد ذراعه استعراضيا بالتركيز على وقفات في وضعيات مختلفة كما لو أنه يفكك حركة ما أمام تلامذته، ثم، وحين تقترب اليد من الكأس، تظهر اهتزازات متدافعة وتحسسات تائهة لأعمى. لا تُظهر حركاته المتعددة خلال المحادثات مع الآخرين أي شيء، هي حركات تدرب عليها من المُخاطِب الذي يركز على خطابه. وهي في الأخير تخفي وتغطي تفكيره بتوجيهه نحو التهذيب. إيمائيته، ابتسامته المتفهمة والمائلة لا تتزحزح إلى الأبد: تعبير أستاذ يصغي إلى شكوى أم تلميذ. شيء ما لاحظته أيضا عند الكثيرين ممن يتوترون بسرعة، ولكن فهمته فقط عند «بول»، بإمكانهم أن يثيروا توتر الآخر لأنهم يؤدون بشكل دائم إيمائية الهدوء. لكن في اللحظة التي تتحقق فيها هذه الإيمائية؛ هاهي مُتضايقة. لقد تم تجريبها بآلاف الاهتياجات المحلية الصغيرة. وبالتالي يستعيدون إيمائيتهم بدون أي يأس أو تعب؛ مثل سيزيفالذي تهدِّئ الصخرة منتمرداته المحلية. يُفرغون أعينهم من كل نظرة، بل يذهبون بعيدا ويفتعلون الهدوء السعيد، يضعون أياديهم على سيقانهم – وشيء ما في وجوههم يقول: فلنكن عقلانيين، شيء من الهدوء، عند هذه اللحظة بالضبط تشرع قدم في الرقص وأعناقهم تتنقل بهم، تتقافز أجسادهم وكل شيء يبدأ

من جديد. وللأسف يعيدون الكرَّة مرة أخرى.

حين يمنحون لـ «بول» -الذي يمتلك شهية متوحشة - إمكانية تناول طبق آخر يرد بنبرة لا يمكن تقليدها: «نعم بودي المزيد، أرغب في ذلك». ها أنا ذا أرى ريبته في إخفاء رغبته الحيوانية وجعلها بشرية؛ فلقد نطق الجملة بطهر وتخلص، كما لو أنه لا يعلق أهمية كبرى على هذا المناب الثاني - لكن وكما لو أنه أيضا من الطبيعي جدا أن ينال هذا المناب الثاني وتقريبا بنفس النبرة. وفي نفس الوقت يعمُّ وجهه نوع من الهدوء، كما لو أنه يتخذ مسافة تجاه رغبته ويتأملها بهدوء. ما أن ينطق بجملته حتى يلقي بنفسه على إنائه ويشرع في ملئه بكميات كبيرة. إن لم يمنحوه أي شيء فسوف يتساءل بنفس هذه اللامبالاة الكيّسة: «هل مازال هناك القليل من الكرنب؟». عثرت في موقفه من التغذية على هاوية عميقة في أسلوبه: لأن هذه الحاجة الكبرى التي تُقرفه شيئا ما، هو لا يقبلها تماما ولا يكبحها نهائيا: هو يقوم فقط بتغطيتها، ويُزِهرها.

عاجز على التأقلم: يتحدث مع جزار القرية الصغيرة بدقة معلم.

عاجز علم النفس: هو نفسه يعترف أنه يرى الوجوه بشكل عام ولا يستطيع التمييز بينها، لذلك غالبا ما يخلط بين الأجساد.

يجذب الشقاء برائحة بؤس حامضة غريبة قد تُبْهج الكوارث كما الكلبة الشهوانية التي تتناسل. يعاني من ست أو خمس مصاعب في حذائه.

لم أره على الإطلاق مبتهجا، لم أسمعه أبدا يمنح جمله نبرة ضاحكة. يُفزعه كل ما هو جديد، يرعبه، يظهرعنده متكدرا بغلاف غامض من الشقاء. يسجله عنده بـ: «آه!» المخصصة للوم أو الخوف. رغم أنه توقع الأسوأ، لكن الحاضر لا يُطمئنه إطلاقا: يصلح له وسيلة لتوقع الأسوأ.

حلمت هذه الليلة أنهم كلفوني بترويض كلاب، وقد جلبت معي للغرض حزام معطفي المصنوع من شعر الجمال. أنا نفسي وجدت هذا السلاح غريبا، حتى إنني في عمليات ترويضي السابقة كنت أستعمل سوطا. دخلت دون أي خوف لأني أعرف الكلاب. لاذ الأول وهو ينبح بحجرته. فكرت: «هذا قد فهم الأمر». تقدم الثاني

مني مبرزا أنيابه؛ لقد كان كلب الحراسة هو الأشد توحشا. عالجته بضربات بحزامي على أنفه فاستكان. وفي نفس الوقت انتابني إحساس غريب أنه ليس وديعا فعلا؛ لأن هناك شيئا آخر يتم إعداده، إنه ينتظر ليجعلني في وضعية سيئة - إضافة إلى ذلك فقد انتبها (أوقيل لي) إلى إنني أخطأت في استعمال الحزام؛ حيث إنني ضربته بطرف الحزام القماشي، وكان من المفترض أن أضربه بالطرف الذي ينتهي بحلقة حديدية. انزعاج. في تلك الأثناء خرج من المخزن حيوان ضخم ومهتاج سوف أسميه ضبعا، رغم أنه بدا لي أكثر توحشا وألقى بنفسه فوقي. ألقيت على أنفه سلاحي العاجز، لكنه ظل يتقدم مني وسط الانتصار الساخر للكلاب. خفت كثيرا إلى درجة أنني أفقت من نومي.

تأويلي الوحيد لهذا الحلم هو: الكلاب المُرَوَّضة- في العادة أقل إثارة للذعر -تمثل مختلف مضائق الحياة العسكرية التي بلغتُ حدها الأقصى. لكن الظهور المفاجئ للضبع، والذي تنتظره بفارغ الصبر كل شخصياتي حلمي، هو عموما الحرب: قصف، مجازر لم أرها بعدسوف تأتيني وتنال مني. وفي المحصلة، رمزية هذا الحلم: تعتقد أنك خبيث لأنك لم تفقد توازنك إلى الآن، غير أن هذه ليست سوى حربا للضحك. انتظر قليلا الحرب الحقيقية وسوف تموت خوفا. إذن هي خشية من أن أفقد موقفي الأول من الحرب. هنا أيضا، رغم «فرويد»، أجده حلم خوف وليس فقط حلم متعة. وبالفعل، فهذا الخوف كامن في داخلي ليس بشكل لاواع، ولكن غامض غير واضح: (1* بطابع من اللامبالاة وعدم الثقة في نفسي؛ (2* لأنه إجمالا وليس نسبيا لن أرى أبدا ساحة الوغى وسأكون دائما على مسافة من القصف. أما استعمالي الرديء للحزام فهو يرمز، حسب رأيي، إلى تقاعسي في أداء واجبي العسكري. انعدام الترتيب عندي هو الذي أدَّى إلى سخرية رفاقي مني. شاهد «بيير» متاعي الأمس وقال لي: «إنه لشيء مخجل!». هو دون أدنى شك شعور بالإثم مُعتِم: «ذلك أنني أتصرف بشكل رديء جدا؛ لأنني قليل الالتزام -لا أستطيع تحمل الوجه الحقيقي للحرب». بالمناسبة، أتذكر أنني قمت بحركة غضب ضدي حين لمحت الضبع: فلو كنت أشد حزامي من الطرف الحقيقي، فمن المؤكد سيكون الحزام

سلاحا جيدا ضدها - لكن في الوضع الراهن فالحزام لم يكن سوى لعبة تدعو للسخرية، وكنت عاجزا عن شدها من الطرف السليم للمواجهة[115]. أتذكر أني لما استفقت -مازلت في منتصف الحلم -كان «بول»، الذي ينام بجانبي، يشخر بصوت هائل؛ شعرت بتفوق حاد عليه: فأنا حين أكون خائفا في الحلم أستطيع الاستيقاظ والخروج منه، بينما هذا المريض بالسرنمة يظل حبيس كوابيسه ولا يستطيع الخروج منها. وتساءلت أليس من الممكن أن يكون المسرنم دائما في كابوس -أو شقاء.

اليوم تضايق الضباط. التقيت أولا بـ «النقيب مونييه»، ثم كان لي لقاء بعد ذلك بـ «الملازم أولريخ» في النزل. كان الاثنان يشتكيان من انزعاجهما. قال أولريخ: «الأسوأ أننا لا نعرف لماذا نحن هنا؟»، غير أنه أردف بعد قليل وهمس في حذر: «طبعا، طبعا، نعرف لماذا نحن هنا، ولكننا كالواقع في الفخ». غريب أن هذا يحصل أيام الآحاد فقط (انظروا الأحد الماضي)؛ كم يشتكي الناس ويشعرون بالضجر. لمأشعر اليوم أنه الأحد؛ مجرد صباح مثل بقية الصباحات.

الإثنين 9 أكتوبر

الرأس ثقيل. الذين ضيفوني (الزوج مُجَنَّد في الهندسة المدنية، وحارس مستشفى مجانين في حياته المدنية، رجع إلى بيته بدون رخصة لأنه يوم أحد). جعلوني أحتسي الكثير من النبيذ الأحمر. وصلتني بالأمس رسالة من «فاندا». توقفت عند هذه الجملة التي تركت في داخلي إحساسا سيئا: «رغم كل شيء أحبك بقوة، لكنك تجعلني كوكبية قليلا». أفكر أن تضيع مني. ما بعد حرب بدونها. بطبيعة الحال فالوجود بالحرب يستوجب فقرا شاملا. مرة أخرى هذا الصباح «قطعت أخلاقيا معها». انفصال. دائما هو نفس الغش. سوف تتحمل شخصيتها انكسارا شاملا منذ اللحظة

---

115. هل إن الرغبة غائبة فعلا عن هذا الحلم وفيما وراء الانشغالات العسكرية، أليس هو في علاقة مع الحياة العاطفية " في تجزئتها الثلاثية"، للحالم، وهوما كان موضوع سؤال لمرتين في هذا الدفتر الأول.

التي شعرت فيها أنها لا تحبني، إلى درجة أن لاتنتظرني. ولأنها منكسرة، فأنا لا أتعلق بها ولست آسفا على ذلك. يبقى أنه يساورني انطباع أنه ينقصني أفق، لقد ضاق أفقي، وحاضري فيقاعة هذه المدرسة واقعي جدا. سلم معتمة. انتهيت للتو من الفصل العاشر. لا رغبة لي في بدء الفصل الرابع عشر. يتعلق الأمر بـ «بوريس» و«إيفيش»[116]؛ وهما يتطلبان مني خفة مزاج غير متوفرة لدي الآن.

ما ينفرني أكثر في هذه الحرب هو العزلة دون وحدة، كما أرى ذلك بالضبط في حالة عامل في مصنع. أستخلص من ذلك أنه عندي نفور بورجوازي. امتلاك اشتياق، أو الرغبة في امتلاك ذلك لتأسيس حرية، ذلك ما يتبقى مني من عاطفة بورجوازية التملك. يلزمني بعض الأمتار المربعة لأكون حرا ولأكون أنا نفسي.

في الحقيقة أنا لم أر شيئا من الحرب: هذا ما فكرت فيه بالأمس. كل ما أكتبه هنا هو بفعل القوة، إنها أحلام وفراغ.

سوابق موروثة: الأب توفي من أجل فرنسا: هذا ما وجدته مكتوبا في السجل الشخصي لـ «بول».

«مهارة كبيرةأن نقول لأنفسنا إنّ ما يضجرنا يربينا»؛ هذا ما قرأته اليوم في **يوميات** «أندريه جيد» (**اليوميات** 1902، ص130) وما حاولت أن أقوله يوم الجمعة ص96.

رسالة غرامية من «فاندا». «أضع هذا جانبا» بما أنني أعرف جيدا أنها ليست مغرمة إلا بتبكيت ضميرها.

---

116. شخصية بوريس مستوحاة من جاك لورين بوست، وشخصية إيفيش من أولغا وفاندا كوزاكيفيتش (بوريس وإيفيش أخ وأخته في الرواية) بمزاج من يشعر بنفسه مغدورا ولهذا نفهم لماذا صعُب على سارتر، هذا الصباح، أن يجد في الأختين كوزاكيفتش رؤية رومنطقية. خلال ذلك وحسب الرسالة التي أرسلها في نفس اليوم لسيمون دي بوفوار كتب صباحا وعند الظهيرة حول بوريس وإيفيش:" إنه لأمر سهل وممتع ".

الثلاثاء 10 أكتوبر

هناك سبعون جنديا من فرقتنا في المصحة بسبب التعقيبة [سيلان ناتج عن تعفن في الأعضاء الجنسية].

أعتقد أنني غير محتمل مع رفاقي لاستحالة أن أعاملهم باحترام. عادة ما أتفاعل معهم بازدراء. تصنُّع أخلاقي: أعتقد أنني مكروب شيئا ما. سأحاول أن أكون أكثر لطفا. في الحقيقة لن أغفر لهم أنهم ليسوا بورجوازيين مثلي. سأكون ذائبا في التواضع والبساطة مع عمال.

أفكر أن شخصا كاثوليكيا يبحث عن خلفيات تقطيب الوجه «عمقا يتعذر سبره» سوف يُؤكد مصرّا على بساطة «بول». ناهيك عن أنه يُصرُّ على تصرفه ما أن يتم انتقاده؛ فهو من خلال هذا التواضع، من خلال هذا الاعتراف بحرقة بؤسه يُمكن إنقاذه. اليوم ظهر «هانتزايغر» عاريا، أو شبه عار، عند الصنبور الذي نجلي بواسطة مياهه أواني الأكل. «أنا أيضا مثلك»، قلت له ذلك بشيء من الحيوية لإخفاء ضيقي من ظهوره العاري اللاواعي والشاحب جدا، «لا أستطيع أن أغتسل إن لم أبق عاري الجذع إلى حدود الحزام. لا أستطيع فهم هؤلاء الناس الذين يزيحون رقبة القميص ويغتسلون بطرف الغسيل» (كان يمكن أن أضيف أنني لا أغتسل كل يوم، رغم كل ما قلته الآن). أما «بول» الذي كان يتابع المشهد وهو يغتسل في كامل ثيابه فقد قال بلطف: «مسموح لك؛ لأنك فخور بجسمك الجميل، أما نحن المُشوهون...»، لكنني لا أراه مُشوَّها كثيرا. من المؤكد أنه يعاني من بنيته الجسدية، وانتهى به الأمر أن يقبل التعايش معها. من المهم الإشارة لصبيانية «بول» نادرة الظهور؛ فهي لا تبرز إلا عندما تمكنه انهزاميته من هذنة. وقتها، يشرع في رمي قطع أوراق ملفوفة علينا، أو يخفي عنا أحزمتنا. غير أنه غالبا ما يكون كيِّسا في طلب الغفران. لقد وبخته لأن أواني الأكل لم تكن مغسولة بشكل جيد. لم يعرف كيف يقترب مني مجددا، وفي الأخير انتهى بالوقوف خلفي خفية، وقام بقلب جفنة مملوءة بالماء على رأسي.

في رد لي على سؤال الكاستور: تستغرب كيف أن عالم الواقع البشري هو بهذه

الشساعة في آفاقه. ألم يكن من الممكن أن تكون في عالم بنسب بشرية؟ الرد[117]: النسب البشرية هي تلك المتعلقة بالنشاط البشري، وليس بالوعي. إنسان الوعي يدافع عن هذا الوعي مثل العالم، وهناك وجود في إنسان الوعي في نفس وجوده في العالم. لكن تخلي الإنسان -وهو ما أثاراستغراب الكاستور- يتأتّى من الوعي يبتكر مثالا نهائيافي عالم لا متناهٍ. ومن الممكن أن نبرهن أنه لا يكون إلا بهذا الشكل. وبالفعل، فالوعي كما نحن نتصوره حدسيا بعد تخفيض ظاهراتي[118] يغلف بشكل طبيعي اللامتناهي.

هذا ما يستوجب فهمه أولا. لايمكن للوعي أن يوجد إلا إذا أحال على نفسه (قصدية: إدراك منفضة، ذلك يعني إحالة على لاحق لهذه المنفضة)، وبقدر ما تحيل على نفسها تسمو بها. لا يمكن لها أن توجد إلا من خلال سموها، ولا يمكنها أن تسمو إلا من خلال اللامتناهي. لكن في نفس الوقت، كل تجربة [بالألمانية في المصدر] هي وعي ملموس وحاضر منتهٍ. وفي المحصلة هو شبيه رقم مخصوص في سلسلة الأرقام، لا يوجد إلا من خلال هذه السلسلة التي تغلف فيه السبب، ورغم ذلك فهو ليس سوى رقم محدود في السلسلة اللامتناهية. بمعنى آخر لا يمكن للوعي المحدود أن يوجد إلا من خلال تساميه اللامتناهي. هنا يكمن الأصل الأول للتخلي. لا يمكن أن يكون هناك تخلّ عن الإنسان المنته في عالم منته، لكن هناك فقط تخصيص. يصبح الإنسان متملكا لعالمه كما يؤمن بذلك الرواقي. أشك أنه تم فهم فيزياء الرواقيين كما ينبغي (أي ما قبل الأنطولوجيا مُدرَكة كما لو أنها إمكانية أساسية) من قبل المعاصرين والرواقيين أنفسهم. أتصور أنها ظلت معلقة في الهواء كما هو شأن كل فيزياء منتهية للعالم الإغريقي (إضافة إلى أن هناك في كل وقت فيزائيون لا منتهون عند الإغريق: أبيقور مثلا. ولهذا السبب، فالأشياء المنتجة عن طريق التفكير تتطور بشكل مواز مع

---

117. أعاد سارتر كتابة التحرير الفلسفي التالي مع شيء من التحويرات في رسالته بتاريخ 11 اكتوبر.

118. في مصطلح هوسرل هو:" إخراج وضعية الوجود التي تنتمي لجوهر الموقف الطبيعي من اللعب "كي يكون رد الفعل حول البنيات الجوهرية للوعي المحض المتسامي ممكنا.

التفكير [119] ليس ثمة شيئ الا يغلف اللاتناهي وعالم الأشياء اللامتناهية. من غير الممكن تصور شيء مهما كان منته؛ فذلك توقف للوعي. كل شيء منته في عظمته يصبح لامنته في تصاغره...غير أنه في هذا العالم اللامنتهي، كما أشرت إلى ذلك في تحليل نفسي، يحتاج الوعي إلى وجهة نظر منتهية. وجهة النظر هذه هي الجسد: لامتناه إن نظر إليه الآخر بوصفه شيئا، منته إذا أحس جسدي أنه لي. نجد إذا على مستوى الأشياء تناقض المنتهي واللامنتهي، لكن هنا لم تعد مبتكرة بل مُتَحَمَّلَة؛ فهي تناقض بين أشياء والشيء نفسه. بمعنى أن المنتهي واللامنتهي يتعارضان هنا، وأحدهما يدفع عن نفسه الآخر عوض أن يتكاملا كما يفعلان ذلك على مستوى الوعي المتسامي. وبالتالي، فالإنسان الذي هو أنا هو في نفس الوقت الوعي الأسير في الجسد، والجسد نفسه والأفعال- الأشياء للوعي والثقافة -الشيء وعفوية ابتكار أفعاله. وبما أنه كذلك، فهو في نفس الوقت متخل عنه العالم ومبتكر لتساميه الخاص اللامتناهي. كل أفعال الإنسان يقوم بها الجسد عن طريق الجسد تتسجَّل في لا متناه مزدوج: لامتناه الكِبَر، ولا متناه الصِغَر. ومن هنا فإن اعتبار الأشياء أدوات يؤدي إلى اعتبار التخلي عنها. فما لم ينتبه له «هايدجير» هو أن لانهائية العالم تمتلئ أداتيته. من هنا جاء استغراب الكاستور في بوانت دي راز: فعندما تدرك جبلا، فذلك لأنك استعملته، تفكر في استخدامه؛ أن تتسلقه لمجرد المتعة أو لتذهب للجهة الأخرى... لكم يبعث فينا ابتعاد النجوم من دهشة – المجاورة لذعر «باسكال». ذلك أن إدراك النجوم يتضمن حتميا محاولة استعمالها، والتي تصطدم بأن هذه النجوم «خارج الاستعمال» – وهذه الفكرة الأخيرة متأتية من تسامي اللامتناهي للوعي اللامتناهي. لم ينتبه «هايدجير» إلى أن عالمه من أجل الإنسان –والذي هو أداة ما قبل الوجود –طافح تماما وأعزل بسبب العالم من أجل الوعي غير المُعَدلاستقبال الأداتية؛ وعليه تنزل الأداتية. والصراع بين الأداتية وغير الأداتية؛ أي بين اللامتناهي والمتناهي، هو سبب

119. نواز (في اليونانية) فعل التفكير ؛ نوام (في اليونانية) موضوع التفكير.

التخلي الإنساني. فمن خلال الوعي المتسامي تمَّ التخلي عن الإنسان في العالم[120].

بخصوص ما كنت أكتبه: نفتقد أحد سعاة البريد، إنه الموت إذن. إن لم يوجد الوعي إلا من خلال تساميه، سيحيل إذن على لاتناهيه الخاص. غير أن حدث الموت يجر إلى توقف في الإحالة اللامتناهية. في كل لحظة، لا يكتسب الوعي معناه إلا من هذا اللامتناهي، لكن حدث الموت يوقف هذا اللامتناهي ويجرد الوعي من معناه. إلا أن حدث الموت لا ينظر إليه بنفس الطريقة التي ينظر بها إلى التسامي اللانهائي للوعي. فهذا الأخير يعاش؛ أما حدث الموت فيتم تعلمه. نحن لا نعرف إلا موت الآخر، وبالتالي فإن موتنا موضوع عقيدة. وهكذا، ولأختم هذه النقطة، التسامي هو الذي ينتصر.

اليوم هو اليوم الثالث على التوالي الذي لم تصلني فيه رسالة من الكاستور. لحظة كرب أخرج منها بالحسابات: الرسالة الأخيرة منها وصلتني يوم كذا ونحن في يوم كذا إلخ. ..انزعاجاتي بسبب تأخر رسائل «فاندا» هو مجرد حلم. أما انزعاجي من تأخر رسائل الكاستور فجدي. العالم كما أحسه بدون الكاستور هو صحراء (ليس لأني اعتقد أنها ماتت، ولكن ببساطة ليس هناك رسائل، وأنا أعيش عالمها وعالمي من خلال الرسائل).

في هذا العالم الاشتراكي للحرب (ملابس اشتراكية، نوم جماعي في غرف صغيرة، أكل جماعي) نتعلق بالحيِّز الفردي للأشياء التي نملكها فعلا. أعشق غليوني، قلمي، ولاعتي، سِكِّينَاي، مصباحي الكهربائي. هذه هي الأشياء التي أملكها بمفردي. ورغم ذلك، لا أمتلك الكثير أيضا في حياتي المدنية.

أخشى أنّ نشاطي الأخلاقي لا يتطلب أن أعثر عليَّ كثيرا، بل فقط في أن أتغير؛ أوظف كل حماسي لـ «رؤيتي قادما»، غير أني لا أتخذ الكثير من الحلول معتقدا أنني،

---

120. يحاول سارتر وضع مخطط مصالحة بين هوسرل وهايدجار حول علاقة الانسان والعالم وهو ما سوف يتابع الاشتغال عليه في الدفتر القادم الذي لا أثر له للأسف (رسائل إلى الكاستور بتاريخ 30أكتوبر).

عبر الشيطان، سوف يكفي أن أعاكسني كي لا أقع في نفس الخطأ مرة أخرى. غير أن هذا غير صحيح. وكما قال ذلك «أندريه جيد» في مكان ما: لا يكفي الاحتجاج ضد الحرب لإيقافها.

معارضة شيطان «أندريه جيد» ضد حيل اللاوعي الفرويدي. إثبات أن تفوق «أندريه جيد» على «فرويد» ينبع من أنه نهائي هنا؛ في حين أن الآخر آلي.

«بالنسبة إلي- قال بيتر بافتخار - ليس هناك أية امرأة أحبتني لنفسي. لقد نلتهن كلهن بأموالي».

سوف أقول بصوت عال إن رفاقي بورجوازيين؛ وليس هذا صحيحا تماما: «كيللر» ليس بورجوازيا. وأعتقد أن صراعنا الداخلي الذي يجعلنا في تعارض معه هو صراع طبقي (رغم أنه كان ذكيا ولطيفا ورفيقا جيدا... ولكن بالضرورة عليه أن يكون كذلك، وفي المحصلة نطلب منه أكثر من أي شخص ينتمي إلى طبقتنا). أمّا بخله - والذي قد يكون مجرد ادخار وتوفير -والثقل في طريقة كلامه، وشهيته لما هو دسم في الأكل وللخمر الأحمر السميك، كل هذا يصدمنا أولا، ثم إنه يرتبط بالفروق الطبقية.

أتعود على حالتي الراهنة ولا أفكر كثيرا بشأنه.

الأربعاء11 أكتوبر

اليوم كتبت الصحف تفسيرا عن الأخوة التافهة بين الألمان والفرنسيين على الحدود. لقد كان ذلك تبعا للأوامر (يردد «بانكارت» في غابة فارندت: نحن لا نخوض حربا ضد الفرنسيين. وقد نقل مباشر عبر الإذاعة لخطاب «هتلر» عبر مضخمات صوت هائلة).

الحُجَّة الشهيرة لـ «أبيقور»: لا تذعروا من الموت، لا يهم إن ظلت أشغالكم غير مكتملة بما أنكم لن تكونوا هنا للتألم منعدم إكمالها - هذه الحجة التي نالت رضاي زمنا طويلا لم تعد تعني أي شيء. هو يقترح العودة إلى الأنا الأنانية لـ «روشفوكو».

ولهذا السبب فحب الأنا هو أساس علم النفس الأبيقوري. ولكن حين نباشر عملا معينا، فما يهمنا هو نجاحه «في العالم» وليس نجاحه بالنسبة إلينا نحن. وللحقيقة، فإن كل مشروع الغاية منه وعملية متابعته إنما تتم من أجله هو على أساس العالم. والموت توقف المشروع، كل مشروع. غير أن موتنا نفهمها على أساس العالم. فليس تفكيرا فقط -كما يرغب في ذلك أبيقور- مثل فناء العالم بالنسبة لنا (مرفوقا بفنائنا الذاتي)، ولكن مثل فنائنا في العالم الذي يستمر. وليس هذا مجرد وهم، ولكنه موقف طبيعي. وبالفعل فلا يمكن للوعي المتسامي أن يستمر إلا إذا وضع بعين الاعتبار لا نهائية العالم، وفي الأثناء فطبيعة معلوماتنا حول الموت تستوجب أن ندرك أن الإنسان هو الذي يموت، وبالنتيجة هي أنه كائن متداخل اجتماعيا في العالم. لهذا السبب فإن نظرية «هايدجير» لتحديد الموت صحيحة: «لا يجب تحقيق أي حضور في العالم»؛ فهي تبقي الأبواب مفتوحة لاقتراح استمرارية العالم، بشكل تُلغي معه فكرة الموت – أو بالأحرى حدس الموت -الإنسان بين الوعي والعالم، على طريقة الاختزال الظاهراتي. ويبقى وعي عارٍ بدون وجهة نظر في مواجهة عالم عارٍ. الموت حدث على مستوى الإنسان وليس على مستوى الوعي (وهو ما لا يعني أنّ هذا الوعي لا يجب أن يفنى، لكنه فناء غير مُدرَكٍ).

صحيح أننا نموت في كل لحظة، غير أن هذا الحدث الأزلي لحياتنا مخفي – أو بالأحرى هو افتراضي. ليس بإمكاننا أن نحقق موتنا إلا عبر تحول وجودي، والذي هو حقيقة وجود من أجل الموت.

أحاول رسم «كيللر» وهو يقرأ للعثور على حوافز هذا التعبير الخارق للعادة للغباء. لا تنجح يدي في رسم ذلك، لذلك سأحاول أن أصفه: الحاجب مرتفع، والتجاعيد على الجبين حائر، العين الصغيرة شبه مغلقة، تقريبا ضاحكة، تسترها الرموش الطويلة حيث التعبير الشهواني المعاكس لاندهاش الجبهة والحاجبين العصي على الوصف: عين تخفي نفسها. الأنف الإغريقي الجميل، منحوت جيدا وخال من أي تعبير، مع شواطئ ضوئية مثل بيانو عتيق مهمل في سقيفة. مقطع من اليمين للفم وهو يتذوق في تأمل، ويجترُّ أحيانا، يقوم بحركات خفيفة. الغليون مغروس في الفم،

وشبيه بأنبوبة في المِؤخرة – والخدُّ مُدَوَّر أوه! إنها مستديرة بشكل جميل وفاحش بأناقة بل داعر أحيانا والذي شطب كل هذا الجهد في الاهتمام. ثم هذه العطفات الرخوة للعنق. خلف العطفتين أيمن الرقبة. قبعة عسكري تغطي الجمجمة وتنزل إلى مستوى الأذنين ولا تشارك في هذا العناد الثخين الذي يُلوِّن الحيرة الضاحكة والشهوانية الفاحشة للمظهر عموما. هاهو، قلبي صاف الآن: أن تكتب يعني لا شيء على الإطلاق. لا يمكن أن نبيِّن بالكلمات سوى ما هو متحرك خلال الفعل من خلال إشارة خفيفة. هل نكد إذا إننا نصف: «يقول كيللر بمزاج غبي جشع...» هاهو ما يمكن أن يكون أفضل من كل الأوصاف.

محادثة مُطَوَّلة مع «ميستلر»، ألزاسي ضخم وهزيل، تجاعيد مقطبة ونظارات. رأس صلبة وقوية على الطريقة الألزاسية. نتفق حول نقاط كثيرة بشكل جيد؛ نتفق على فرضية أننا سنكون «ملاعين» إثر هذه الحرب الشبح. نتفق أننا نعيش في ظل نظام فاشستي –وما يكبح الحرب هو الثورة التي سوف تعقبها. غير أنني بمجرد ما أتجند وأكتشف الحقيقة، أشعر بهذا الاشمئزاز الخفيف؛ هذا الانطباع بالفحش اللطيف الذي يستولي علي كلما ولجت قليلا في الحياة حميمية شخص ما. لا أحب إلا العلاقات السطحية والمتوترة قليلا؛ فقد أشعر بالرغبة في التقيؤ ما أن يكون ثمة تفاهم وتعاطف. أتذكر ما يقوله زيورو: «سارتر مناهض للمثلية». في جميع الأحوال، أتحمل الحميمية الجسدية للرجال (يتغوَّط «بييتر» بجانبي، يضرط «كيللر» بالقرب مني – يتعرون، إلخ) أفضل من حميميتهم الثقافية والأخلاقية، رغم أني كنت منجذبا دائما إلى جمال الرجال وذلك بكل شرف. يقول «بييتر»: «هناك نساء نخرج معهن لأننا فخورون بذلك، وهناك نساء أخريات نضاجعهن ونحن نستحي من ذلك». وهؤلاء الرجال الوسيمون الذين أنجذب إليهم إنما لأخرج معهم: «غيبي»، «ماهو»، «نيزان»، «زيورو»، «بوانافيه»[121]. هنا بالذات هناك شخص جميل، ضخم، بشعر أبيض يثير دائما تطفلي. لكن مع كل هؤلاء تبدو لي الحميمية غير متوهجة؛ أليس هذا الخوف الغثياني من الصداقة نوعا من المثلية المُقَنَّعة والمغلقة؟

121. زميل قديم لسارتر أصبح من أصدقائه.

يقول «ميستلر»: «لشدَّ ما يُنفرني هذا الشيء الذي يضعونه في القهوة أو الخمر لتهدئة مشاعرنا». متفاجئا سألته: «من الذي قال لك هذا؟»، رد قائلا: «كل الناس تشتكي من البرد». قلت له أشعر أنه لا بد من هذا الاضطراب الكلي الذي هو الحرب كي يقطع الناس مع الأمل والذكريات، ومع الرغبات الجنسية. قال: «لابد من القيام ببحث في الأمر»؛ لم أصدقه في الحقيقة. لكن أن تتجذَّر هذه الأسطورة يثبت كم أن الناس تشعر أنها جريحة. لقد فقد الناس الكرامة الإنسانية لدرجة تخيلهم أنهم لا يمكن تسوية مشاكلهم الجنسية إلا من الخارج على هوى القيادة العليا. هاهم مغتصبون حتى في حميميتهم الأكثر سرية، يرون أنفسهم محتقرين، وخاضعين جدا بما أنهم يواصلون احتساء الخمر مع العصير: «لا بد من ذلك». لسنا بعيدين كثيرا عن الشعور بالاحتقار الناتج عن الهلوسة بتأثير المضطهد حتى في الذهن. «يسرقون منه أفكاره»، ولكن «يسرقون منا رغباتنا». مجرد التفكير فيه هذه الثانية يرعبني بقوة؛ رغم أنها قائمة الذات. المُنبهات التي يتم خلطها بالقهوة خلال حرب 14 أثناء الهجمات. حين يشعر الرواقي أنه بالإمكان النيل منه فيما «يخصنا»[122].

الأكثر مدعاة للحزن هو بلا شك أننا نعيش حياة كسولة مُقززة ونحن نتأقلم معها؛ كسالى كما الأبطال.

لا رسائل من الكاستور اليوم (أربعة أيام ولا أية رسالة). تائه إلى اليوم الذي أعلمني فيه ساعي البريد بصول حوالة بريدية لي بمبلغ 500 فرنك. هي الوحيدة التي يمكنها أن ترسل لي ذلك؛ فهي بخير إذن.

خزي آخر – توصلت وحدي إلى استنتاج هذا الخزي. الورقة التي تمت تلاوتها علينا خلال التقرير، والتي تدعونا بكل بساطة إلى الوشاية: تسجيل أي كلام انهزامي أو مناهض للحرب أو مشبوه نسمعه وإيصاله إلى السلطات، مع وصف الشخص

122. " الرأي، الميل، الرغبة الاشمئزاز كل هذا يتوقف علينا وفي كلمة واحدة كل الأعمال الذاتية؛ الجسد، الثراء، شهادات الاحترام، المسؤوليات الكبرى، هذ لا يتوقف علينا، وفي كلمة واحدة كل الأشياء التي ليست هي أعمالنا الذاتية. "إبيكتيت ترجمة بيبان الرواقيون مكتبة لا بلياد غاليمار 1962.

الذي تفوه به، «والندوب التي على جسده» يضيف التقرير بكل بساطة. وقد تمَّ تلقي هذا القرير بسخرية بالغة، غير أنه – دون شك – تم استيعابه بشكل جاد. ما الذي نحسد عليه الألمان؟

وصل «ميستلر» هذا المساء مع «كورسييه» إلى مكتب الضباط؛ حيث مناوبتي للحراسة أثناء كتابة هذه الكلمات واستعدادي للعمل. ردد عدة مرات: «فلنذهب، نحن نزعجه!»، قهقهت عاليا بصوت أحمق وبهذه اللامبالاة في الإجابة التي لاحظتها عند أمي. (في بعض الظروف أقول أنا أي شيء أو نلفظ أصواتا غير منسجمة؛ إذ يبدو لنا من المهم أن نملأ وقتا ما بضجيج أصواتنا)، غيرأنني لم أعثر على الكلمات المناسبة للرد على «ميستلر» الذي غادر بتحفظ ملحوظ؛ إما بسبب سيرتي، أو بسبب محادثة بعد الزوال؛ نوع من أنواع استعادة التحفظ والكتمان.

شعرت اليوم أن كل شجاعتي، وهذه الرغبة في تجربة الحرب يتأتيان أساسا من ثقتي في أنني مفهوم، ومدعوم، ومقبول من الكاستور. وإن حدث وافتقدت هذا الرضا، فكل شيء سينهار، وسأتجه نحو الانحراف، حتى هذا الادعاء الأخلاقي الذي تحدثت عنه أول أمس، والمتأتي مما أعرف أنها تقاسمني فيه وجهات نظري.

الخميس 12

«كان لديه ذلك النوع من الكبرياء الذي يجعلك تكشف الحركات الجيدة كما السيئة، تبعا لشعور بالتفوق مُتَخَيَّل». لم أجد عبارة في مقدمة كتاب أكثر ملاءمة عدا هذه. عثرت عليهاوقد ذكرها «ألبير موسيه» في مقدمة [رواية] **الأبله**[123]. هي لـ «بوشكين» (عبارة لاوجين أونغين).

مزاج سماوي هذا الصباح. يبدو لي كل شيء خفيفا وعميقا، وشعريا. كنت معطرا من الداخل. أتساءل إن لم تكن هذه الحالات التي تنتابني بشكل طبيعي–والتي لا تظهر لي تابعة للمجال الأخلاقي – في عمقها مماثلة لتلك التي يراها «أندريه جيد»

123. رواية دوستويفسكي ترجمها وقدَّم لها ألبير موسييه (بوصار 1930ثم غاليمار 1934).

بمثابة «الأخلاق العليا». إنها لسعادة وبهجة بريئة في الفقر. إن كان لا بد من البحث عن دافع نفسي، سأرى فيما عشته هذااليوم تـأثير الأسباب التالية: توتر مرده لقضاء ليلة البارحة في مناوبة الحراسة؛ إذ أزعجتني العظايات ولم تتركني أنام، كما أنها شكل من التحرر يرتبط بما وصلني من أخبار الكاستور- لكنه تحرريبقى متلهفا لأن هذه الأخبار غير مباشرة، مرفقة بأمل أن تأتي أخبار أخرى عند ظهيرة هذا اليوم، فرحتي لا توصف باستلاك كتاب **الأبله**. انطباع بهشاشة هذه الحالة، اضطرابات خفيفة: ترتعش يداي، وهناك ضبابية فضية في عينيَّ. أخشى أن أقع بعد الإفطار في قذارة ثخينة وكئيبة كما يحدث عادة إثر الحالات شديدة الحيوية، متحركة وحادة عند الصباح.

من خلال عبارة «بوشكين»، قررت أن أتحدث هنا وبشكل واضح عن فكرتي حول كبريائي.

لم أكن يوما عند «خط الجبهة»، وقد لا أذهب هناك إطلاقا. غير أنني أعرف عن ذلك الكثير جدا لأثبت هنا ما يلي: الحرب أفضل مئة مرة من احتمال البؤس. ولا يأتي أحد ليقول لي بعد الحرب: «لقد خضت الحرب وأنا معتاد على القسوة. لقد عرفت من هو أشد صلابة من هؤلاء البؤساء. في صارابروك، حين كانت كتيبتي...». هذا ليس صحيحا؛ يعيش رجل الحرب في مجتمع؛ بينم يفرض البؤس العزلة. لرجل الحرب خمسون أسطورة تحت إمرته كي يزين صدره بالنياشين؛ أما البؤساء فليس لديهم أي شيء. يمتلك رجل الحرب الأمل، أما اليائس فيأس. لقد فقد الاثنان الكرامة الإنسانية، غير أن رجل الحرب أضاعها بشكل جمعي، والبائس أضاعها لوحده. هناك منفذ وحيد لرجل الحرب: الحلم الكسول والمُلِحِّ أن يكون بطلا، وليس للبائس أي شيء سوى الموت. وأخيرا، فالبورجوازي الذي يخوض الحرب يظل بورجوازيا. ليس هناك إلا الجنون يمكن مقارنته بالبؤس.

شهيتي للعظمة لا يمكنها أن تتكيف إطلاقا مع كبريائي الغيبية؛ لأن هذه الأخيرة، كما سوف أشرح ذلك من بعد، ليست سوى استراحة، ليست سوى يقين بلا بهجة أو حزن دون اعتبارو ضعي البشري.

إنها كبرياء على مستوى وعيِ المتسامي. عوض أن تكون هناك عظمة بشرية فقط. العظمة تخلّ مُستحوَذ. كنت أعلم ذلك حين كنت صغيرا؛ كنت أرسم التخلي الذي يخصني – في حكايات أعرف فيها نفسي من خلالها- جراء ابتكاري لوضعيات أكون فيها منهارا، غير معروف، متهما جزافا، مهملا من الجميع. أحتفظ في هذه الظروف بصمت كريم، رافضا الدفاع عن نفسي. ويالها من فرحة حين تتم تبرئتي. العظمة مُتأصلة في طبيعة الإنسان، وليس له من معنى إلا في الوجود- المُتَخَلَّى -عنه -في- العالم. هذا هو معنى فكرة «باسكال»: «الإنسان شبيه بنبتة البوص؛ الأضعف في الطبيعة، إلخ» وتحتفظ في تألقها بالضعف كعنصر جوهري. يتعلق الأمر بتصور تجسيمي بالأساس؛ ومن يرغب في العظمة، فعليه أن يُلبس الطبيعة البشرية بأفضل ما يمكن. الله ليس كبيرا، غير أن المسيح كبير. حين أحلم بالعظمة، يبدو لي أني أنحط من هذا السلم اللابشري للوعي المتسامي، لكي أجسد الإنسان الذي أنا عليه.

عندما كتبت ملاحظات حول الحرب والبؤس، كنت أفرك يديَّ (من الممكن فهم ذلك أخلاقيا) راض عن نفسي تماما. شيء ما مثل هذا الإحساس البشع: «رغم أنك في الحرب، فها أنت تمتلك من القوة غير المستعملة لتشتكي بؤس الآخرين؛ أنت شخص شجاع». بعد ذلك بقليل راودتني فكرة (حيادية) لأسجل هذا التفاعل في دفتري، لا لشيء إلا لأهميته النفسية (وهو ما أسميه وعيا مسموما)، غير أنني خشيت منه واضطررت لتجنبه. ليس لأنني كنت خجولا أمام الكاستور أو خجولا مني، ولكن هذا الدفتر للعموم. ثم إنني قررت أن أفعل ذلك. لكن كلما راجعت هذا القرار ظهرت لي أن فكرة العودة للرواية ليست غريبة عني، بل سيكون رائعا ومثيرا لقارئ مجهول لهذا الدفتر، كما لو أن هذا القارئ يقول: «هذا معطى». أخيرا، أودع هذه التفاعلات بكل صدق مع ارتيابي الوحيد في أن تكون صحيحة تماما.

الجمعة 13

هذا الخجل العجيب الذي يستولي عليَّ كلما دخلت مطعما. هذا الانطباع الثابت والمستمر بأنه لا يجب أن تكون ضالا لأنها الحرب. ليس هو تبكيت الضمير تجاه

الكاستور التي ترسل لي المال، ولكنه الزهد. نفس الشيء حين أستفيق صباحا فأنظر بازدراء إلى «بييتر» الذي يظل في فراشه إلى الثامنة. دون أدنى شك هي نتيجة غريبة لهذه الرواقية التي لا أعرف اليوم هل مازلت أفضِّلها أو عليَّ أن أتخلص منها لحساب الأصالة.

بإمكانه أن يتخلص من رفاقه الآخرين في أية لحظة، إنه تحريض وضيع على التضامن. غير أنني لا أستطيع: كم هم حقيرون، ربما كنت سأفعل ذلك مع آخرين، لكن هؤلاء يجعلوني أخجل بسبب هذا التضامن غير المقبول: مركز الإحصاء. بسبب عدم قدرتي على مساعدتهم، أعيش مغامرتي وحيدا في الحرب؛ وحيدا وبلا رفاق.

الآن يتضح ما أفكر فيه حول الحرب؛ إنها قذارة لا بد من رفضها، لكن يجب رفضها حين نكون في السلم (القيام بكل شيء من أجل تجنبها)، وليس ونحن في خضمها. حين تندلع، يجب الغوص فيها؛ لأنها تسمح بأن نحيا وجوديا. هي طريقة لتحقيق الوجود. حقارة الإنسان «تحرير الوعي المتسامي» قطيعة مع «الحياة»، حضور الموت، وغموض الفرد والمكان. أن نحياها بهذا الشكل، يعني أن نحياها وكأننا لسنا أبطالا. لكن ليس فقط معرفتها، خوضها وخوض الحرب مع أنفسنا؛ أن نكون من أجلنا. من الطبيعي أنها تجربة بالنسبة إلي؛ ولكن لأي غرض؟ أحتفظ بالأسطورة المدنية للحكمة «الصفاء الملتمع»، إلخ، ووهم «لا بد من أن تكون قادرا على تجاوز هذا الأمر». ولكن، أليست الحرب وحدها تكفي؟ ليس بإمكانها أن تندمج ضمن حكمة سلم لاحقة. ليست هناك حكمة حرب. لقد جلبت الرواقية السلم معها إلى الحرب. وبالأساس، لا يمكن للحرب أن تصلح لأي شيء بما أنها تدمير صاف. إنها تجربة متميزة، وتقتصر على نفسها فقط. ومثال ذلك أن الشجاعة في الحرب– وهي شجاعة مؤطرة– لا يمكن أن تكون إطلاقا دليلا على شجاعتي في حال السلم. (مثل ما يحدث في حريق بصفة عامة: في تلك اللحظة أنا وحدي). وعلى العموم، فالوجود في الحرب من وجهة نظري هو حياة ثانية أتيحت لي في عالم آخر، والتي يجب عليَّ أن أعيشها بامتلاء دون الارتباط بالآخر (أقصد عالم حياتي الأساسية المدنية)، والرواقية بالأساس هي أخلاق سلم، من المستحيل تطبيقها في الحرب؛ لأن الرواقية تتضمن

الوهم المخادع للكرامة الإنسانية: كيف يُمكن للمرء أن يكون رواقيا في حال انعدام هذه الكرامة؟ وكل هذا ليس حقيقيا إلا بالنسبة للجندي، وما الضابط سوى حشرة للافتراس، معدوم الوعي نهائيا.

إنني أرى جيدا ما أطلق على هذين الشهرين بعد مدة: سأم مزعج.

لا أعرف التواضع، وبالرغم من ذلك أعترف بأخطائي بدون مراوغة؛ لأنه ليس لي أي تضامن وقتي مع نفسي. هناك شيء ما – عميق وحيوي في نفس الوقت – في التواضع مصدره أنني أعيش أناي التي في الماضي. هذه الأنا المُتَّهمة هي بالأساس هذه الأنا التي ترى الخطأ. ربما ثمة هنا صدق أكثر وشجاعة أقوى، شكل من أشكال استمرار نحن أنفسنا علينا أن نتحمله. غير أن كل لحظة من حياتي تنفصل عني مثل ورقة ميتة. ليس إطلاقا لأنني أعيش في اللحظة الراهنة، ولكن لأنني أعيش في المستقبل؛ بسبب هدفي الذي لكي يكتمل فهو يفترض حياة تامة. بسبب هذا الوهم الحاد للتطور الذي يشغلني منذ مراهقتي، بما يحدثوني عن أناي، أفكر: إنني أفضل منه. هل من أحد يذكرني بغلطة البارحة. سأعترف بها بكل شكر لأني أعتقد أنني لن أقع فيها مستقبلا. بصفة عامة، لسبب واحد يتمثل في أنه بيني وبينها حاجز زمني. لا أؤمن إطلاقا بتطور الإنسان وعاداته – أو على الأقل ذلك لم يعد يشغلني – غير أني أؤمن بتطوري الفردي. كما أرى أنه من القسوة التفكير في أني أقل شجاعة وأقل ذكاء، إلخ. أن أسمعهم يتفوهون بذلك البارحة أو في أي وقت فهو بمثابة الجرح والانقباض. أتحدث عما فعلته بدون أي ود، بدون أي جهد تقريبا لفهمه. أتركه للضحك وأضحك منه. لن أدافع عنه إلا في اللحظة التي أرى فيها من يهاجموه يجدون ملامح مشتركة فيه معي. لذلك أعتبر نفسي دائما إلى هذا اليوم كما لو أني في أعلى مستوى من حياتي. وفي نفس الوقت، ومن خلال الاعتراف بأخطائي، أسلخ الإنسان بداخلي لأتموقع في الملعب المطلق للمتفرج المحايد، المخصص للحَكَمِ. هذا المتفرجِ هو الوعي المتسامي الذي لا يمكن تجسيده، والذي يشاهد إنسان«ـــــه». حين أُقيِّم نفسي فإنما أقدمها بنفس تلكالقساوة التي أقيم بها الآخر؛ فبالفعل كنت

حينها أنفلت مني. بل إن فعل تقييمي لذاتي هو (اختزال ظاهراتي)[124] أنجزه بلذة بما أنني بهذا الشكل أستطيع بأقل التكاليف التموقع أعلى من الإنسان بداخلي. أنا أتحيَّن الفرص من أجل القليل. وقد حدث لي أن اعترفت من تلقاء نفسي ببعض الأخطاء التي قمت بها خلال شجار ما، واستغربت بشدة فيما بعد من مُحدثي الذي رغم هذا الاعتراف مازال مستاء مني. كنت أرغب أن أقول له: «ولكن، لم أعد أنا، لم أعد أنا نفسي». وبطبيعة الحال، فذلك ما يجعل من نظريتي حول الحرية بديهية، والتي هي طبعا شكل من الإفلات من الذات عند كل لحظة. لم يحدث لي أبدا أن ندمت، ليس على طريقة بعض الأرواح المتشبعة بتضامن شديد –رغم الزمن– معها لتثبت بشكل مطلق ما كانت قد أثبتته سابقا، ولكن من خلال تدبير «لتركي»، لأنظر لنفسي بازدراء بارد – في الماضي – دون أن أشعر بأناي الحاضر مشغولة بالمسألة. أتركني (مِن ضميري الداخلي) تماما كما نترك شريكا لنا. وإن كنت أتحمل تبعات أفعالي أمام الآخر–وهذا على الأقل ما أقوم به دائما، وهو ما أنا متأكد منه – فذلك مع انطباع بأن أدفع ثمن ما يقوم به غيري. مثال ذلك؛ بماأنني أعرفأنني في حرب، أسخر من ذاك الشخص الذي كنت عليه، والذي لم يكن يعرف كيف يتوقعها– والذي كان يرتعب منهادون أن يتوقعها. وإني لأسخر لأنني، بجعل أناي الحاضرة تتمدد في الماضي، أشعر أن أنا الحاضر هذه، والتي تعرف أن الحرب سوف تندلع في الـ 3 من سبتمبر، كانت دائما تعرف ذلك. وهو ما يمنحها تفوقا بارزا على هذه الأنا التائهة بعدالـ 2 من سبتمبر، والتي لا تزال تشك في الحرب دائما.

من هنا طابع آخر لتواضعي الظاهر: يحدث أن يمدحوني بسبب قيامي بحركة ما أو التفكير بطريقة معينة، غير أنني أحتج قائلا إنني ففي آخر الأمر لم أكن مُوفَّقا بشكل جيد. ذلك أن اللحظات الأقوى أو الأرفع في حياتي السابقة لم تعد تهمني منذ انقضائها. يتجه ميلي الطبيعي نحو الحط من شأنها بما أني أطمح أن أكون أفضل مما كنت سابقا. هذا التضامن مع الآخر، المؤثر للغاية عند «ستاندال»، يبعده عن مساره في رسم أفضل لحظاته لأن يُبخسها حين يتحدث عنها؛ وهو ما يجعلني مخذولا. وهذا

---

124. تدوينة 2ص113.

كله في جزء منه سبب إشهار حياتي. كل شيء ينفصل عني فأعطي الكل للكل؛ لأنني منفصل عن الكل. نوع من العزلة عند جؤجؤ[مقدمة السفينة في معناها الحرفي] ذاتي نفسها. وهو ما نتج عنه أن الكثيرمن الانفعالات كانت عندي مرفوضة أو هكذا أظن. [125]

يصلح كل ما سبق أن يكون مقدمة لما سوف أقوله عن كبريائي. إنها كبرياء قاحلة جدا، مقفرة جدا، لا شيء فيها يجعلني متكبرا بأتم معنى الكلمة. رغم أنه يختلف بشكل كلي عن هذه الكبرياء البائسة والمكلومة لأولئك الذين لديهم كبرياء وليس لديهم القدرة لدعمه [126]. كبرياء اللاشيء: ليس لذكائي الذي لا أفكر فيه إطلاقا، ليس فيما أكتبه وهو ينفصل عني ولا أستطيع ولوجه مجددا؛ ليس بأناي بما أني أرفض التضامن معي أنا نفسي. يحدث لي أحيانا وأنا متأثر بالموسيقى أو الخمر، أو بعض الظروف الاستثنائية، أن أحدث نفسي قائلا: «إنني نابغة» وأسكب دمعة، تماما مثلما كان يحدث في القرن الثامن عشر. غير أن معابر هذه الأحاسيس الزائفة تنتهي بسرعة إلى طريق مسدودة، وهي ليست الأساس الفعلي لكبريائي، بل غالبا ما يخامرني إحساسأنني دون تطلعاتي بكثير حين أنسب لنفسي هذا النبوغ. بل هو انحطاط أن أفرح بذلك. وليست هذه الكبرياء شيئا آخر سوى افتخاري لامتلاكي وعيا مطلقا في مواجهة العالم. فهذا الوعي هو في حقيقته ليس شي آخر سوى الافتخار بامتلاكي وعيا مطلقا في مواجهة العالم. فتارة أنا منذهل لأنني وعي، وطورا لأنني عرفت عالما بأكمله، وعي يتحمل العالم؛ وهذا ما أتباهى به. وفي النهاية، فإنني حين أطيل

125. في عمر 18سنة كتب سارتر في " دفتر ميدي":" لقد بحثت عن أناي؛ وجدتها تتجلى من خلال علاقاتي مع أصدقائي، مع الطبيعة، مع النساء اللواتي أحببتهن. وجدت في أناي روحا جماعية، روح المجموعة، روح الأرض، روح الكتب. لكن أناي بالمعنى الحقيقي، هي خارج الناس والأشياء، أناي الحقيقية غير الشرطية، لم أعثر علها. '(كتابات الشباب).

126. في نفس هذا الدفتر لفترة الشباب كتب سارتر:" ليس من الضروري أن ترى نفسك ذكيا، أو جميلا أو قويا لتكون مفتخرا بنفسك. يمكن للمرء أن يرى نفسه حيوانا ومفتخرا بنفسه. الكبرياء ميل يتغذى من نفسه. لكن الكبرياء التي لا ترتكز على الايمان في قيمة إخلاقية أو ثقافية لافتة ينتج عنها الحساسية، الحياء، الشر."

محاكمتي بدون انفعال، فإنني أعود إلى تلك الحالة البدائية من تحمل العالم. لكن، هل يمكن القول إن حالة تحمل العالم يشترك فيها جميع الناس. وبشكل أكثر دقة، هل تضطرب هذه الكبرياء بين تفرد كل وعي والعمومية التي يتميز به الشرط الإنساني؛ إنني متكبر لأنني مطلق. فجأة تصبح هذه الكبرياء المُحصَّنة بعيدة المنال. ذاك الذي فقد صفاته «الاجتماعية»، فقد قوته، وجماله، وذكاءه وحتى فضيلته مؤهل لليأس والضعة لأنه يقبل دفعة واحدة مقارنة الآخر وتقييمه. غير أنني طرحت موضوع كبريائي من تقييم الآخر ومن أية مقارنة، طالما أن ما يجعلني فخورا وما يجعلني متفردا بشكل لا مجال لمقارنته (رغم أن كل شخص في نوعه هو متفرد)، وما لا يخضع لتقييم الآخر هو وعْيِي الذي يجعل من وجود الآخر ممكنا. كبرياء الكوزاكيفتش [الأختان «فاندا» و«أولغا كوزاكيفتش» اللتان كان سارتر مغرما بهما] اليائس، الذي يضعهن في جسدهما، في سحر جمالهما، في لطافتهما، مواضيع تافهة وقابلة للمقارنة. ضعة الكوزاكيفتش في مواجهة أخطائهما، لأنهما تتحملان تبعات الأنا. أما أنا فلم أكن يوما وضيعا أو يائسا لأنني لم أكن يوما فخورا بنفسي، بل متكبرا بوعي؛ تماما في مقام الكوجيتو الديكارتي. كبرياء غير منفصلة عن الوجود، عن الضمان المطلق للوجود. كبرياء بما هي شكل من أشكال وجودي. وهذه الكبرياء هي التي كانت تهمس لي ببساطة عندما كنت في سن الثامن عشرة أنني لن أموت. وهو ما ترجمته وقتها بقولي: «شخص مثلي لا يجب أن يموت» -وهو خطأ طبعا؛ إذ كان من الأجدر أن أقول: مطلق كهذا لا يجب أن يغيب. مثل هذا الضمان للوجود لا يتضمن خشية ألّا يوجد. وليس هذا دليلا؛ لأنه يرجع ببساطة إلى القول إن الوعي لا يتصور فناءه. ولكن قد يقال إن للجميع وعيا، لماذا إذن ليس للجميع نفس الكبرياء؟ أتصور أن وعيِي أنا يوجد في قلب وعيٍ مُضاعَف يتحمل مسؤوليته عوضا أن يضيع في الخارج؛ لهذا السبب أسميه ميتافزيقيا. عند هذا المستوى هو لا يختلف عن تفاؤلي الميتافيزيقي، ولا عن إيماني بمصيري؛ فكل هذا يشكل واحدا فقط.

تبعات كبريائي: ارتيابي المتواصل من أن أكون أخلاقيا (حسب مبادئي) لا يهدف إلى تربيتي، بل يهدف إلى أن أستحقني. في المحصلة، لديّ إيمان عميق وغامض أنني

بلغت، بطبيعتي، درجة من الكمال الأخلاقي الذي لم يعد متبقيا أمامي سوى أن أستحقه من خلال أفعالي.

استحوذ «بول»، بطبيعة الحال، على ثرثرات «ميستلر»، وادّعي أنهم كانوا يضعون له البرومور [محلول كيميائي مخذر] في قهوته في حصن سانت سير (1934)؛ وهو ما جعله يفقد قدراته الجنسية في أول رخصة عاد فيها إلى زوجته. ونتيجة لهذا، كان يحرم نفسه من القهوة كلما اقترب وقت عودته الى منزله؛ وهذا ما يجعله شقيا.

الاثنين 16

ليس هناك من «زوايا ظل» عند «دوستويفسكي» كما لو أنه علم نفس جبري بما لا يدع مجالا للإيمان به [127]. فليس هناك بالفعل تقسيم توبوغرافي للشخصيات من خلال وجود سهول ومرتفعات وعرن. غير أنه وفي قلب كل تجربة يحدث التسمم. يسمي دوستويفسكي هذا التسمم «التفكير المزدوج»؛ بما يعني أنهيتم إنجاز حركة ما لأسباب متعارضة: في نفس الوقت أسباب متسامية، وأخرى خسيسة. قدم «كيللر» للاعتراف لـ «ميشكين» تواضعا، غير أن هذا التواضع مسموم برغبة استعمال هذا الاعتراف لاستلاف أموال. يبادل روغوجين صليبه مع «ميشكين» ويباركه من خلال أمه، ليوطِّد صداقة أخوية[128]، غير أنه قرر في نفس الوقت أن يقتله، كما أن مظاهر صداقته هي في نفس الوقت حواجز في داخله تقف بينه وبين القتل. بقراءة جيدة يبدو أن الأول هو المحرض الأعلى؛ أولا بسبب الطيبة الأصلية عند الروسي – والذي هو عند «دوستويفسكي» شكل من أشكال الحد القومي للطيبة الاصلية عند الإنسان عموما – وثانيا لسبب أعمق بكثير ويبدو أنه الدافع الأساس لكل مقارباته النفسية: إن اللا اهتمام شيء طبيعي في الإنسان؛ وهو ما يجعلني أخلص من هذا كله إلى أن

---

127. التحليل النفسي عند سارتر جزء من علوم النفس الحتمية (نظرية "الآلة النفسية، باستعمال "الآليات "، الخ).

128. للتذكير هي شخصيات الأبله لدوستويفسكي.

«دوستويفسكي» هو نقيض «لاروشفوكو». إن الأنانية، والعودة إلى المنفعة ليس محتوى بدائيا في الرغبة، بل إنه يعلوها وإلا ليس هناك تسمم، بل وحدة عميقة. غير أن رد الفعل الفوري للشخصية تجاه رغبته يسممه؛ فما أن يستعيد الوعي برغبته، حتى ينزع عنها صفتهاالطبيعية. ونزع صفة الطبيعية عنها يفسح المجال لتعزيز الطهارة الأصلية للرغبة؛ لا لشيء إلا لأنها ترفق في طياتها في إطار تركيب غير عقلاني، تأويلا آخر لأغراض هذه الرغبة. يتمُّ كل شيء كما لو أن الشخصية حذرة من نفسها، وحذرة في نفس الوقت من الآخر، وكما لو أنها ترى كل شيء فيها شرا. غير أن هذا التأويل للشر نَيِّءٌ بشكل عميق؛ أي أنه يصبح قادحا للحركة. ليس تماما مثل الرغبة البدائية (والذي هو ليس نيئا ولكن معيش) بل يشبهها تقريبا. بل يُمكن أن يتحول إلى رغبة، كما لو أن الشخصية غالبا ما قول: «وكيف يمكنني أن أظفر بشيء من هذه الرغبة غير المهمة؟». يُثبت لي كل هذا أن «دوستويفسكي»، عوض أن يكون صيادا ما للاوعي، كما كنا نعتقد، فهو أساسا روائي الوعي النفسي. يمسك بشخصياته وقت تفاعل الوعي مع نفسه فقط، في لحظة رد فعل الوعي على نفسه. ولأن رغبة ما لا يمكنها أن توجد إلا إذا كانت واعية بنفسها؛ يعني مضاعفة، فالتسمم يكون موجودا. وما هو طبيعي أن الرغبة تتضاعف ولا يمكنها أن توجد بدون صورة مُحَرَّفة لها. وأخيرا، تنساب الصورة المُحَرَّفة للرغبة (أعترف هنا لـ «ميشكين» لأقترض منه خمسين روبلا) في هذه الرغبة نفسها، وما عادت الشخصية تعرف نفسها. ليس هناك إذن -كما يرى هذا الغبي «موسيه» مترجم الكتاب وصاحب مقدمته- «ازدواجية شخصية»، ولكن هناك ببساطة وعي ولعبه العادي[129]. ولا وجود هنا لما يسمونه «روسي جدا»، هو فقط ضرورة جوهرية. هذا ما يشدني عند «دوستويفسكي»؛ فعادة ما يخامرني إحساسأنني لست قبالة «قلب» أو «لاوعي عميق» لشخصياته، بل بوعيهم العاري مُعَرْقَل من نفسه ويصارعها بشراسة. وفي هذا السياق، مثلت «أر بي»[130]

---

129. هكذا وصفها في الوجود والعدم (غاليمار 1943)؛ مقدمة والفصل الأول من الجزء الثاني " الحضور في الذات".

130. زميلة سيمون دي بوفوار بروان مصابة بهذيان الهوس الشبقي لويز بيرون في " قوة العمر".

المجنونة بدون أن تدرك «دوستويفسكي» بشكل لافت جدا؛ حيث تقول بكل بساطة: «ها أنا إذا أضع قبعتي وأنزل معكم لاقتناء الجرائد وقراءة الإعلانات الصغيرة» (إنها تُعلِمنا باستقالتها من عملها، وأنها بصدد البحث عن وظيفة أخرى). تتقدم بعض الخطوات، تلقي بقبعتها على الأريكة وهي تردد: «لا، لن أخرج، كل هذا كان مجرد كوميديا». ثم، تائهة ويداها على وجهها: «يا إلهي! أين المفر؟ فما قلته منذ حين هو أيضا كوميديا». ولكن ليس لأنها كانت مجنونة هي تتقمص «دوستويفسكي» بهذا الشكل - ولكن لأن جنونها اتخذ مؤقتا شكل احتياج هائل للنقاوة؛ وهو ما جعلها تكتشف التسمم الجوهري للوعي. احتياج هذه النقاوة يتفق مع الذات، مع المجموعة؛ وهو موجود عند «دوستويفسكي» أيضا؛ إنه مثاله الأعلى. ومن هنا يتوقف عن أن يكون روائيا أو عالم نفس، ليتحول إلى مهذار مزعج. فالأمير «ميشكين» مُرْهِق، والأكثر إرهاقا منه موجيك الرجل الفاضل في روايته **المراهق**. وحين يقول لإحدى شخصيات **الأبله** إنه كان من الممكن أن نفعل أشياء أفضل لـ «ناستاسيا فيليبوفنا»، أفكر ما الذي كان يمكن أفضل مما فعلته هي؟ أي موقع سوف تحصل عليه في روسيا القديسة التي يحلم بها؟ أليست أفضل وهي بهذا الشكل، شغوفة، ممزقة تقاوم ضد شغفها، ضد وعيها المتسمم عند كل مستوى من المقاومة، ثم ينتهي بها الأمر أن تموت منتصرة بنفسها (لم تتزوج «ميشكين»). بالنسبة إلي هذه هي العظمة والفضيلة. فالخير لا يمكنه أن يكون سوى الشر الخاضع- خاضع بشكل مؤقت، وإلا فإنه مجرد كتاب عاطفي صبياني[131].

ذهبت أول أمس رفقة «بييتر» إلى المصور الفوتوغرافي. في الصباح قلت لـ «بول»: «هل تأتي لتلتقط لك صورة؟». نظر إليَّ بلطف شاحبا، ساخطا - فهمت أنه يجدني منطلقا ومتآمرا شيئا ما: «لا، طبعا لا، لن ألتقط صورة لي، لست مبتهجا بالحالة التي أنا عليها الآن لويز بيرون ولا أرغب في تثبيتها. لا أريد أن يكون عندي في بيتي صور جندي». قلت له: «أنا أفعل ذلك ليتفكه الأصدقاء». رد بنبرة فيها عتاب وتفوق:

---

131. اسم أطلق على أعمال تدَّعي التهذيب وباهتة الأسلوب، على طريقة أرنو بيركين (1774-1791)مِلف كتاب صديق الأطفال.

«أؤكد لك أنه لا زوجتي ولا أمي سوف يعجبهما ذلك. هي فترة من حياتي أريد أن أنساها إن عدت إلى بيتي». أجبته: «إنه الحمق بعينه، فمهما فعلت ولو حتى استطعت أن تدفن أغلب الفترات لن تستطيع أن تنكر أنها تركت بصماتها عليك، ثم أنت لن تكون نفس الشخص بعد هذه الحرب، زد على ذلك أنك مُجبر أن تعيشها يوما بيوم. سكت. نعم، هذا ما يحدث: لا يريد أن يترك نفسه تعيش هذه الحرب، أن يحققها. غير أنه عاجز في نفس الوقت عن رفضها، تماما مثل «آلان». ولذلك هو ينكرها في كل لحظة؛ ينساها أو يحاول نسيانها. والموقف الوحيد المناسب حسب وجهة نظره؛ أنها بلوى، بلوى مُخطَّط لها وتظهر بشكل جلي. «بول» هو أرمل السلم».

في هذه الأيام الأخيرة أصبح شديد التوتر. قال إن زوجته تعودت أن ترسل له رسائل كل يوم، وها قد انقضى أكثر من اثني عشر يوما بدون خبر منها. قال: «حين يكون للمرء، مثلي أنا، يقين لامعقول بعدم العودة...». قلت له: «أوه إلى أي درجة لا عقلي! لأن كل المؤشرات تشير بأنك سوف تعود». غير أنني أستمتع في أوقات أخرى بمداعبته قائلا بأنه سيكون القتيل الوحيد من بيننا، وأصف له جثته وهو ميت بكل بدقة.

قال لي: «لا شيء يبرر هذه الحرب، لابد من قبول هيمنة ألمانيا على العالم».

كان يجب علينا البارحة أن نضع الحشايا والأغطية على الأرض. (على أن ننام بالتناوب؛ واحدا على خشبة الباب، والآخر على الحشية فوق العارضة.) نزعت حذائي وقلت له: «انزع حذاءك، قد تمشي فوق الأغطية». قال لي: «سأفعل ذلك، لكن بعد قليل». «ولماذا بعد قليل؟» أجابني بكل ضعة: «لأن رائحة قدميَّ نتنة». «ولكننا استحممنا هذا الصباح». «أوه لن يؤثر ذلك كثيرا: أغسلها جيدا في الصباح، فتتعرق في المساء»، «ولكن في جميع الحالات عليك أن تخلع حذاءك، أن تخلع حذاءك كل مساء». «نعم، ولكن بشكل خفي جدا حين يأخذك النوم».

خلال الليل كانت لديه رغبات قاهرة للتبول. يتحمل آلاما فظيعة لكي لا يوقظ صاحبة المنزل. لكن عند الصباح كان مكتئبا ويخبرنا أنه أصيب بـ «انتفاخ المثانة». نصحته أن يتبول إذن من النافذة. تردد ثم قال: «من الأفضل أن أحمل معي حوجلة

الاستبار؛ نملؤها وفي الصباح نفرغها». ردعته عن ذلك فبوله حمضي. استسلم للأمر وتبول البارحة من النافذة. رائحة بوله جعلتني أستفيق من نومي. سمعته يقول بشكل خجول: «لقد نفذت ما قلته لي أنت».

ما يزعجني، حين أتحدث عنه، هو هذا المزيج من العناد الماكر، والنزقية، والتواضع المسيحي – تواضع القديسة «ماري ألاكوك».

أنا و«بييتر» مختلفان بشأن تصرف «كيللر» الذي لا يفعل أي شيء. «بول» متضايق من ذلك؛ حيث يقول: «أرجوكم تحدثوا معه»، «ولأي سبب؟»، «قد نقضي هنا سنوات طويلة معا. وأنا أتفق معكما أنتما بالأساس، ولكني أُفضّل الحفاظ على المظاهر».

حيلة معروفة جدا عند «ميستلر»: يستعمل تشاؤمه السياسي ليطمئن نفسه، قال: «إنهم يسخرون منا، يا صاحبي، كل هذا الذي يحدث مجرد تمثيل. سوف يُعدُّون في الكواليس سِلما للاستسلام، وسوف يعيدوننا بعد ذلك، بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، إلى بيوتنا مثل الملاعين». هل سيظل متشائما إلى آخر لحظة بهذا الشكل، عابسا ومعتما؟ هل سيستطيع أن يأمل دون أن يبتسم؟ يحتفظ، في جميع الأحوال، بمزايا نظرته للحالة التي نحن فيها.

عبارة ساحرة لـ «فاندا» أدونها هنا لأني أتساءل دائما إن لم تكن تعبِّر نفس وجهة نظري: «وفي الأخير، حين نتأمل الناس فردا فردا، نتساءل: يا للخسارة، لقد خضنا الحرب معهم».

الثلاثاء 17

خرجت هذا الصباح لوحدي على الساعة السادسة من عند مضيفتنا. (بول يقوم بمناوبة حراسة في المدرسة). كان المطر يتساقط، مطر عنيد يعد بالكثير. سماء داكنة بالكامل. رائحة حطب يشتعل في الشارع، رائحة لم أتنفسها إلا في برلين –وهنا. انطباع عن خريف ألماني. ذكريات غائمة عن خريف 1933 ببرلين. خريف ألماني: أكثر قسوة، مسلوخا أكثر، وأكثر قفرا من خريفنا. غابات متجردة أشجارها من

الأوراق، أغصانها صهباء وسط ريف بلون أردوازي أكثر عاطفية أيضا. الخريف الألماني هو بوتسدام. الخريف الفرنسي هو فرساي.

كتبت لي الكاستور بالأمس أن لديها تذمرات عديدة بخصوص «بوست»؛ فبسبب مزاجه السياسي السيء أصبح غير نشط على الإطلاق كما قالت – تقريبا–وهو أمر جيد بالنسبة لنا إن قبلنا الحرب دون أن نشتكي منها كما لو أنها بلية. لكن إزاء الشباب الذين سيأتون من بعدنا – وخاصة «بوست» دون البحث عن الجيل بأكمله –فنحن متهمون؛ ففي النهاية لا شيء يثبت أنه سوف يعتمد بنفسه هذا الموقف اللامبالي الرواقي؛ ومن جهة أخرى فهو لا يستطيع أن ينتخب أو يقوم بأية حركة ما. لم أضع في حسباني إطلاقا أشياء مثل هذه؛ فكرت أن تكون لي إزاء «بوست»، و«دي روليه»، و«ليفي»[132] التزامات فردية، ولكن ليس بواسطة ما هو عمومي أو المجتمع – وحتى السياسة أيضا. ورغم ذلك، فهذا صحيح وأفترض أنه من هذه الأفكار التي تأتي مباشرة إلى ذهن أب، لأن الوظيفة الأبوية تدمج الأجتماعي فورا في العلاقات مع الولد.

وبهذا الشكل، أنا واضح جدا فيما يخصني: أكره الحرب، ولكنني منذ سنة 1920 إلى سنة 1939 لم أرفع ولا أصبعا لإيقافها، وها أنا ذا أدفع اليوم فاتورة عدم توقعاتي بأن لا أشتكي من أي شيء، رافضا الغيظ الشديد أو اليأس، ومتحملا تبعات ما لم أعرف وما لم أرغب في تجنبه. لكن أنا متهمإزاء «بوست». ومتى أخطأت؟ هنا تكمن المفارقة: ليس الآن زمن هذه الحرب، وليس أيضا طبعا قبل سنوات حين لم يكن من الممكن تجنب الحرب، ولكن عندما كان يبدو حلما مزعجا منذ أن بدأت أستعمل عقلي وأصبح لي رأي سياسي. وماذا يعني هذا إن لم يكن، طالما أن الحرب ممكنة، وخاصة في زمن السلم، وجودا من أجل الحرب عند الإنسان منذ ولادته. سوف يقولون لي هناك وجود–من أجل –الإنقاص، أو وجود –من أجل – العرض النسبي، بما أنها أسئلة يمكن أن تعترض كل واحد منّا. غير أني لم أكن أريد أن أذهب

132. تلميذ سابق لسارتر صديق لبيانكا ب.

بعيدا في التحليل، وها أنا سأفعل. نعرف جيدا أن الحرب هي بنظام آخر مختلف، وما أفكر فيه هو أنها من نظام الأشياء العظيمة اللاعقلانية: والولادة، والموت، والبؤس، والألم، ويجد الإنسان نفسه ملقى في كل هذا وهو إزاءها يعترض أو يمتنع، غير أن هذا هو أيضا التزام [133]. أتذكر محادثة بيني وبين الكاستور في مطعم الكاسكاد بمارسيليا إثر مشاجرة مدرسية بين «ليفي» و«بيانكا». بعد قراءة بداية **عصر العقل**، تتمسك «بيانكا» بعقلانية الإجهاض، وبالعكس فإن إنجاب الأطفال هو اللاعقلي؛ لأننا لا نعرف ماذا نفعل. رد «ليفي» مؤكدا أنه حين نجهض امرأة لا نعرف ماذا نفعل أيضا. فكرت «بيانكا» وقتها في أن التعفف موقف حكيم. واتفقنا أنا والكاستور أنّ التعفف موقف ملزم تجاه اللاعقلاني الذي هو الولادة، كما هو الشأن بالنسبة إلى الشيئين الآخرين. منذ اللحظة التي نصير فيها مجنسنين، يصبح كل موقف – بما في ذلك العفة– بمثابة اتخاذ موقع من المسألة: ومهما فعلنا، فنحن وجها لوجه أمام هذه مسألة ما قبل الخلق هذه؛ فهناك وجود لنخلقه من الممكن إخفاؤه ولكن ليس نزعه، وإننا نحن، نحن أنفسنا، مهما كان الموقف الذي نتخذه نصبح مُولِّدِين. نحن لا نستطيع لا التملص من السؤال ولا عقلنته. وكل لحظة من حياتنا، حتى تلك التي نخصصها للعمل أو للعب، هي اتخاذ موقع تجاه المسألة الجنسية، بما أنه متاح لنا أن نخصّص تلك اللحظة للحبّ وللتّوالد. ونفس الشيء بالنسبة إلى الموت وللبؤس. وأرى الآن أنّه نفس الشيء بالنسبة إلى الحرب. كل لحظة في حياتي، حتى في السلم، هي وجود –من أجل– الحرب متملصا، مستورا، مختلفا غير أنه وجود من أجل الحرب في جميع الأحوال.

وهكذا، ومثلما قال «ريلكه» أنه لكل واحد منا موته؛ فنحن نقول إن لكل واحد منا حربه. له حربه حتى وإن كان مثل «دابيت» الذي مات قبل أن تندلع. الوجود – من أجل– الحرب وضع مستمر للواقع البشري، وهو ما نسميه السلم. هذا الوجود –من

133. بداية ظهور فكرة الالتزام كما يفهمها سارتر وهي في اتصال دقيق مع تصوره الفلسفي للحرية وسيكون لها الدور الذي نعرفه في حياة الكاتب (تقديم الأزمنة الحديثة 1اكتوبر 1945، مستعادة في وضعيات 2 غاليمار 1948).

أجل- الحرب لا يمكن أن يتغير إلا بالوجود-في- الحرب. وهذا الوجود-في- الحرب مرتبط بما هو عليه «الوجود – من أجل». وذاك الذي رفض الحرب، مثل «بول»، ستكون له حربه، وسيتم الرمي به في حرب مرفوضة. وذاك الذي طلب الحرب وتمناها مثل «المساعد كورتو»، سيتم الرمي به في حرب مرغوبة، ومطلوبة. وذاك الذي، مثلي أنا خشيها دون أن يعرف لا كيف يدفعها عنه فعلا ولا كيف يتوقعها، هذا سيتم إلقاؤه في حرب -بلية، ثم سوف يكتشف شيئا فشيئا الحقيقة ويعتبر الحرب غلطة بشريا، مثل غلطته الشخصية. أنا خاسر-في- الحرب. من الممكن أن تأتي حقبة تاريخية تكون فيها الحرب من الماضي. لن يبقى منها الكثير، مثل العبودية، مجرد تراث بشري؛ وبسبب هذا التراث لن يكون هناك من معنى للسلم الأبدي إلا من خلال رفض هذا الإرث، مثلما أن رفض الحرب سيكون أيضا وجودا-من أجل- الحرب للإنسان. ومهما يكن الأمر فأنا حاليا ملتزم تماما في حقبة حيث المعنى يحاول ببطء وبمشقة أن يفكر في الحرب. حقبة خاضعة، ممزقة مهمتها ليست إلغاء الحرب، بل وجود يحقق الوجود-من أجل-الحرب. إذن فليس صدفة بالنسبة لي أنا أن أوجد في هذه الحقبة. كل شيء يحدث كما لو أنني اخترته. أريد أن أقول لا يجب الهزل مع ألعاب الذهن هذه التي تشتهيها كثيرا أذهاننا الجميلة. نتساءل من سوف يكون «ديكارت» 1939. أولا لم يكن «ديكارت» هو «ديكارت» إطلاقا، ولم يكن ثانيا «ديكارت» القرن السابع عشر. لم يكن شمع عسل مأخوذ من الجبح مباشرة، كما لم يكن مادة بلاستيكية دوّن عليها اليسوعيون والمتدربون تعليماتهم، لكنه اختار القرن السابع عشر ليكون «ديكارت»، هو صنيعة القرن السابع عشر وجوده-في-العالم، وجود-في- القرن. كان قد تشكَّل «وجودا – من أجل» القضايا المعاصرة، إمكانياته وطبيعته أيضا كانتا على قياس إمكانيات القرن. وبالتالي، وبشكل مواز، أنا اخترتني في القرن العشرين. وكي أتحدث مثل «هايدجير»، فلقد أعلنت عن نفسي لنفسي من أكون من خلال القرن العشرين وقضاياه. وتبعا لذلك، لا يمكنني أن أوجد إلا «من أجل» هذه الحروب التي يحيط بها القرن العشرون خاصرته. لست مُطْلَقا إلا لأنني تأريخي. إليكم ما أريد أن أقوله: إن اعتبرنا أنني أتحمل التاريخ، فإنني

إذن لست سوى نسبية. وإن فهمنا بالعكس، أنني أتشكل في التاريخ، فها أنا ذا إذن – في موقعي– مُطْلَق. ولكن هذا يتضمن، بالتأكيد، وجودا– من أجل – الحرب، وجود –داخل – الطبقة (لإنكاره، لكرهه، أو للقبول به)، إلخ. هاهي الحرب الآن تعلمني كل ما قد غفلت عنه سابقا.

لو حدث وخرجت هذه السطور للنور، فإنني لا أريد لأولئك الأغبياء سيئي النوايا أن يخلطوا بيني وبين «جوزيف دي ماستر»[134]، أو «هنري لافادين»[135]. أكرر مرة أخرى هنا أنّ الحرب عار وعبثية لا يمكن أن تحدث إلا من خلال كسل الناس وجبنهم، وما أعاتبني عليه مما جاء في الصفحات السابقة هو أنني لم أفعل شيئا لدفعها؛ وهو ما لا يعني أن الوجود–من أجل – الحرب هو بنية أساسية للواقع البشري.

الحكمة لازمنية، عكس الأصالة التي لا يمكن أن تُحرز على نفسها إلا في التاريخية ومن خلالها. هذا ما يقوله «هايدجير» تقريبا. لكن من أين يأتي إذن هذا التوقف بين الحكمة والأصالة، بين اللازمنية والتاريخ؟ ذلك أننا لسنا فقط واقعا بشريا كما يعتقد «هايدجر»؛ بل نحن وعي متسام يتشكل واقعا بشريا.

يذكر «غرين» (الجزء الثاني ص120) بشكل سيء وغبي هذه العبارة الممتازة لـ «كوكتو»: «كتبنا تكرهنا» [136].

---

134. بحسب جوزيف دي ماستر " الحرب ربانية في ذاتها"بما إنها قانون من قوانين العالم ". (أمسيات سان بيترسبورغ1821اللقاء 7).

135. صاحب مِلفات خفيفة الروح فانتاستيكية تتخلها حوارات وقطع مسرحية مشهورة (1859-1940)، بدت كتاباته منذ بدايات حرب 1914جادة وداعية لتهذيب الأخلاق. نشر منذ 1920رواية في سبعة أجزاء درب الخلاص (دار بلون للنشر) رسمت التحولات الإخلاقية للمجتمع ما بعد الحرب. غير مستبعد أن يكون سارتر اختار كعنوان عام لثلاثيته الروائية " دروب الحرية "بإحالة ساخرة من كتاب لافيدان.

136. يوميات جوليان غرين 17نوفمبر1937 صدرت في مارس1939 منشورات بلون.

مغامرة ليلية قصيرة. كنت في مناوبة الحراسة بقاعة الضباط، فاستحوذ عليّ النوم. كان رأسي تحت الغطاء ليحميني من العضايات. أفقت على الساعة الواحدة والنصف على وقع فرقعة هائلة خشنة مُحددة، ممسرحة تقريبا. أزحت أغطيتي عني ولمحت الورق الأزرق الذي يغطي النوافذ يُشعُّ بضوء متقطع. ليل، وضوء أزرق. ليل. خمس أو ست فرقعات. قمت ومشيت على أطراف أصابعي إلى النافذة ثم فتحتها. في الخارج مطر ينهمر بغزارة ويلطم بلور النوافذ. ذهب في اعتقادي لوهلة أنه قصف مدفعي. توتر مبتهج. كان ذلك صوت الرعد، ولم يستدع الأمر وقتا طويلا لأعرف ذلك. عدت للنوم مجددا. بل إن العاصفة سرعان ما هدأت كما بدأت. لم تمض على ذلك عشر دقائق حتى سمعت وقع خطوات ثم انفتح الباب في سواد الظلام. دخل أحدهم، لمحت الاستدارة الشاحبة لمصباح جيب. قلت له: «من هناك؟»، «العقيد»، «مساء الخير سيدي العقيد». انتصبت واقفا. في الأثناء، عثر على الزر الكهربائي وعم الضوء المكان. حيوي جدا، مقوسا شيئا ما كما لو أنه خرج للتو من علبة. وبنفس عبارته المهذبة قال بصوته المتكسر وهو يعدل نظاراته: «هل من رسائل؟»، «لا سيدي العقيد»، «هل سمعت تلك الفرقعات؟»، «نعم، خمنت أنه الرعد». همهم وهو يرفع كتفيه: «لقد خشيت أن يكون ذلك قصفا، كنت نائما، ثم ذهبت إلى النافذة...». أضاف بكثير من الطمأنينة في صوته: «لقد سمعت لأكثر من أربع سنوات صوت القنابل التي تنفجر؛ صرت أعرف صوت المدافع الآن». كنت أرتدي قميصا وبنطلونا وجوربين، جلست كمن يتهيأ لوضع حذائه. أوقفني: «انتظر، سوف أجري مكالمة هاتفيه للاستعلام». أمسك الهاتف وشرح لي وهو يدير الأرقام: «لقد بدأت المعركة، وعلينا أن ننتظر كل شيء». كنت جالسا على كرسي أنتظر أن يردوا على اتصاله. كنت مستمتعا متلهفا، شيئا ما انطباع لاواقعي. صورة انفجار صاروخ أمام العيون. «ألو، هل هو الرعد؟ ماذا (متضايقا شيئا ما، ولكن محافظا على هيئته المهذبة الأولى) أنت تأمل أن يكون مجرد رعد؟ لكن هذا لا يكفي، عليك أن تعرف». قطع الخط ثم أعاد طلب 15-20 (بي سي البطاريات عند الخط): «ألو، هل كل شيء هاديء؟». ردوا

عليه بنعم لأنه التفت في اتجاهي بتردد أكثر وقد تقوَّس جسده أكثر من قبل وأشد اضطرابا: «فليكن، هذا أفضل، لكن عليك أن تعرف، من الممكن أنهم أخطأوا، لقد بدأت المعركة وغدا يتلون عليكم أمرا من الجنرال «غاملين» يشبه أمر جوفر يوم المارن»[137]. تصاغرت محاولا التقليل إلى حد الغيبوبة من شاهد خيبة أمل هذا العجوز. تغابيت وغمغمت: «ذلك أفضل، ذلك أفضل». وهو ما لم يمنعني أن أروي الحكاية لجميع الناس هذا الصباح. متلهف لمعرفة مشاعر اليوم. في محصلة الأمر، أعتقدَ الرعد قصفا. لقد كان هذا الحدث الصغير ثمينا جدا لي؛ لأنه يمثل وعد شجاعة بالنسبة إلي، مثَّل عندي شكلا من أشكال الارتياب. هل سوف أظفر بذلك حين يستوجب الأمر؟ يبدو أنه نعم مادمت قد اعتقدت أن المفرقعات متأتية من انفجار قنابل أو صواريخ (خاصة أثناء المكالمة التليفونية للعقيد)، غير أنني في الحقيقة كنت أشعر (ليس وديا كثيرا) بالاستمتاع المهم. غير أنه رغم هذا كله إشارة غامضة.

من «بولهان»، عن المجلة الفرنسية الحديثة، أكتوبر، في «عودة إلى1914»:

«كم هم حكماء جدا أولئك الذين يرحلون اليوم –وأعتقد بحكمة نيرة، دون أدنى شك أشدُّ نباهة، وأشدُّ صوابا. صامتون: دون صراخ ولا فضول... «هذا وحده واضح، قال أحدهم: حزن أولئك الذين نتركهم»، وقال آخر: «يبدو أنه عليَّ انتظار مشاعر لن تأتي فيما بعد».

لكم أذهلني رد الفعل الأخير. يشبه شيئا ما حالتي. أنتظر وأنا أصطاد الحياة، وأنا أفكر في تحقيق الوجود–في– الحرب كما ينبغي. لكن كل فقرة «بولهان» صائبة، كما لو أنها الجزء الأول من مسرحية؛ حيث 1914 هي بروفتها العامة. يعرف الممثلون

137. لا شك إن العقيد الشيخ أخذ مأخذ الجد عبارة الجنرال غاملين " نداء للجيوش الفرنسية "التي قالها في 14 أكتوبر (أربعة أيام قبل ذلك): " بين لحظة وأخرى يمكن أن تندلع حرب يتحدد من خلالها مرة أخرى في التاريخ مصير فرنسا. البلد، العالم كله عيونهم مصوبة نحوكم. شدوا على أنفسكم: استعملوا أسلحتكم بالشكل الأفضل تذكروا المارن وفردون. "لكن ذلك ليس في علم الغيب، لأنه ومنذ 16أكتوبر تراجعت القوات الفرنسية عن مواقعها الأولى ولم يعد هناك مجال لهجوم قريب بالنسبة للقيادة العليا.

دورهم، فلا أثر للوجل على وجوههم ولا للحماس. ولم يعد المجهول بالنسبة إليهم كامنا لا في التقنيات ولا في النتائج، بل في مشاعرهم الخاصة. إنهم يبحثون عن أنفسهم، وهناك شيء ما يريدون فهمه-لم يعد متعلقا لا بالسياسة ولا بالحياة الاجتماعية-فقط بالحرب؛ وهم أنفسهم في الحرب. يبدو أننا هرمنا ولم تعد تناسبنا الحرب، بالمعنى الذي نقول فيه أيضا هذا الأدب تقادم ولم يعد يناسب الحب؛ أي أنها أصبحت فيما وراء جاذبيتها، فيما وراء أيضا الفكرة البارعة لبعض الكُتَّاب، ولم تعد بالنسبة لها سوى موقعا جماعيا أو مجرد نقطة انطلاق. هناك جاذبية للحرب، جاذبية الرعبالتي نعانيه اليوم دون أن نأخذ حذرنا منه. كل هذا معروف وتافه. نزيحه لنبحث، في الخلف، عن شيء ما أكثر عريا، أكثر انسلاخا: ألا وهو جوهر الحرب.

للإشارة لهذه الحرب، أو لبدايتها، هناك هذه الكلمة (أكثر سعادة من «حرب شبح») «حرب مفقودة».

لا بد من العودة إلى عبارة تدمير بما أن هدف الحرب هو أن تُدمِّر. وحتى لا ننخدع: أولئك الذين يدعون أنهم يخوضون حربا دفاعية هم أيضا يهدفون للتدمير. بإمكانه أن يمسك يد خصمه فيشلُّها عن الحركة دون أن يثير ألمه، غير أنه لا يجب أن نحاكم الدفاع في الحرب وفق هذا التماثل المخادع. يهدف الدفاع إلى تدمير وسائل التدمير التي يستعملها العدو؛ وهكذا هو تدمير شامل. الحرب الحديثة بوتلاتش [كما هي في المصدر، وتعني حفلة يقيمها زعيم من الهنود الحمر في أمريكا الشمالية لإعادة تنصيبها، وتتميز بتوزيع هبات على أتباع الزعيم، ويتم فيها تدمير بعض ممتلكاته]: فذاك الذي بإمكانه أن يتحمل أكثر تدمير ممتلكاته هو المنتصر. بل ومن الممكن جدا أن نتصور حربا حيث كل عدو يقوم بنفسه بتدمير رجاله وثرواته. وفي نهاية هذه المجزرة، سوف يقول أحدهم: لم يعد بإمكاني المواصلة، بينما سيقول الآخر: باستطاعتي أن أكمل؛ وهذا الأخير هو المنتصر طبعا. وبالتالي، يجب مقاربة هذه الفكرة بمعزل عن التدمير، طالما الحرب أكثر تعقيدا، وطالما أنها مقاومة من أجل التدمير. يجب أن ننتبه أولا إلى أنه لا يتم تدمير إلا ما هو مرتَّب: حيوات أو أدوات. يجب أن أقتصر اليوم على فهم ما معنى تدمير أدوات. لا يتم تدمير صخرة، أو كومة

من الرمل، أو أرض بائرة – رغم أنه من الممكن تذويب صخرة بالديناميت، أو تفجير أرض بائرة بقذائف مدفعية. (وفي نفس الوقت نقوم بتدمير شيء ما؛ سنرى بعد قليل ماذا نُدمِّر) – ولكن يتم تدمير منزل لأنه أداة. ولكن ما معنى أداة؟ إنه مجموع مركب من وسائل مُنْجزة يشير بدوره إلى منجزات وهكذا دواليك إلى آخر طرف الكون، وفيما وراءه نعثر على ذلك الذي تشير إليه عموم الأدوات؛ أي الوجود -في- العالم للإنسان، وهو قبل كل شيء وبكل دقة الوجود-من خلال- الواقع الأداتي. كل ما يدركه، وكل ما يفهمه يخدم المسألة. والأهم أنه يفهم نفسه أولا فيما وراء الأدوات ومن خلالها. فهو دائما عند أفق الواقع الأدواتي؛ يجد نفسه هناك، مثل ذاك الذي يسكن منزلا، ذاك الذي يطرق بمطرقة، إلخ. وفي فعل الطرق بالمطرقة يحقق العالم ونفسه من وراء العالم وفيه. والطبيعة عندما تكون متاحة له –يمسكها باعتبارها أداة. ويرى الجبال «قابلة للتسلق»، والبحار «قابلة للتجاوز»...وفق هذه الظروف، من السهل رؤية مخطط التوقف عن التدمير وهو يحدث انقلابا في الوجود-في- العالم للإنسان. بل إن الجنون المدمر للحرائق لا يهدف فقط إلى الأداة التي يدمرها –مثل كومة الحشيش التي تشتعل فيها النيران- هناك هجوم ضد الإنسان من وراء هذه الكومة، ليس كما يقال عادةرمزيا؛ أي أن تدمير الأداة الهدف منه قتل الإنسان، ولكن بالأحرى هو تدمير للشرط البشري للإنسان. لا يتعلق الأمر ببهجة الانهيار، بل ببهجة اللابشرية؛ بتعرية الطبيعة البشرية الثاوية داخل الأداة. وبالفعل، فاللامستعمل يقترب من الطبيعة العذراء التي يدرسها العالمدون أن يمتزج معها. الطبيعة اللابشرية التي يحصل عليها من خلال التجريد هي اللعب الصافي للحتمية. يحافظ الشيء اللامستعمل، مهما كانت عودته لهذه الحتمية النقية، على عفونة الأدواتية. يمتلك شيئا ساحرافي منتصف الطريق بين طبيعة الإنسان وطبيعة العالم. أسلوب ساحر لشيء يحرق نفسه على قارعة الطريق. غير أن الإنسان في الحرب لا يوجد ببساطة في عالم من الأشياء المدمرة، كما لو أنه يتجول في مقبرة سيارات أمريكية، فهو نفسه وسيلة «للتدمير أيضا». الأشياء المُدَّمَّرة التي يدركها يعلم أن نهاية الأنشطة البشرية تتمثل في تدميرها. أما تلك التي مازلت صالحة للاستعمال فهو

يدركها من خلال تدميره لها. يدركها قابلة للتدمير. لكن هذا الفهم وهذا «الانشغال» الجديد هما أكثر تعقيدا من انشغالات الإنسان المسالم: بالفعل فلفهم شيء قابل للتدمير، لا بد من التعامل معه كأداة «لإنكاره-كما-هو». لا يعني هذا أن الأداتية يجب أن نعالجها موضوعاتيا، بل في الفعل التدميري الذي تتصف به التدميرية وليس موضوعاتيا فقط. لابد أن نشير إلى أنها بنية تتكون من لحظتين: هذا كل ما في الأمر. وبالتالي، إنْ كانت المعرفة الجيدة بالمطرقة، خلال السلم، تتوقف على الطَّرْق، فأهم معرفة لهذا الشيء الجديد الذي هو المطرقة -في- الحرب، هي تدميره؛ يعني أن تتوقف عن أن تطرق، وهو ما يفترض أساسا فهم الطرق. فقد يكون هناك تدمير جيد وآخر سيء؛ أما التدمير الجيد فيُصيب الأداة في مفصلتها، وأيضا في وسطها ونهايتها. كذلك يتم استعمال الأشياء في الحرب على أنها زائلة: حيث نصادف معناها في السلم أولا، ولكن بشكل متخفٍّ وهش، وقريب من التلاشي، وما يكشفه هو فراغ أسود، اللأدواتية الشاملة، واللامبالاة الشاملة للطبيعة الحتمية. غير أن ما يُعقِّد الأشياء هو أنه لتتم عملية التدمير، لابد أيضا من أدوات. هكذا نحصل على ترتيب مُعقَّد لوسائل لها غايات محددة، وفي، الأخير، نحصل على العالم. لكن المعنى الأخير لكل هذه «الإشارات» هو تدمير كل غاية. في الظاهر، نحن نتعامل مع أدوات شبيهة بكل الأدوات: فلها طريقة استعمال، ووظيفة، لكن حين نتتبع «إشارتها» بالنظر، فسوف نصل عاجلا أو آجلا إلى التدمير. مثال ذلك البريد في الجيش: يعملون على تحسين خدماته ليصبح سريعا ومنتظما؛ لماذا؟ ليستلم الجنود رسائلهم في أقرب الأوقات من ذويهم؛ لماذا؟ لكي يزداد حماسهم لخوض الحرب؛ أي للتدمير. على غراركذلك، لنعتبر أن هذه الأدوات التي سوف يتم تدميرها هي نفسها مدمرة وصولا إلى القائد الأعلى، بما أنهم هم الذين سوف يعمل العدو على تصفيتهم بدرجة أولى (هجوم مضاد، طلقات مضادةللمدفعيات...)، وكلما كانوا مدمرين أكثر، كانت طبيعتهم تدميرية أكثر. عموما، هم مُدمِّرون بأشياء تشبه أنفسهم، بارجة ببارجة، مدفع بمدفع، طائرة بطائرة بشكل تحمل معه في داخلها علامة مضاعفة للتدمير: مُدمِّر ومُدَمَّر، أداتيتهما بين الاثنين.

لو اعتبرنا الآن أن الحرب تندرج ضمن عالم السلم، سنرى أن كل أشياء السلم تخضع لتحوُّل كامل: أغلبية الأدوات تصبح مُدمِّرة، أما الباقي فيصبح مدمِّرا ومدمَّرا (بيت مفخخ، جسر مفخخ، إلخ...). حتى الطبيعة نفسها (الغابات، الأشجار، إلخ...) تخضع لهذا التحوُّل؛ تفقد أداتيتها العامة لتتحول تدريجيا إلى اللامبالاة. وما كان موقعا للتنزه، أوللفلاحة إلخ، يطمح للاقتراب من الفضاء النقي، أصبح ملاذا للاختباء، لتموقع المدفعيات، للمراقبة، إلخ. وبالتالي، فأنا في الحرب في أقل حركاتي التنفسية، في أشد دلالات حركاتي، في الطريقة التي أمشي بها، فاتحا عينيَّ وأشاهد، أقوم بتدمير العالم. فمن الجانب الآخر لهذا العالم-الموجهـ- التدمير، وجدت نفسي كما لو أن هذا العالم -الموجه لـ - التدمير وُجِد له. أنا موجود في عالم للتدمير وموجود- لتدمير هذا العالم. لكن لو توقفت الأشياء عند هذا الحد، سوف أكون مجرد مُدمِّر، بل ولابد من الاستماع لهذا الوجود المدمِّر، ليس كما لو أنه شهوة لحريتي- وليس كما لو أنها نكبة لمزاجي- ولكن لأنه ضرورة أساسية لشرطي البشري؛ وهو ما يعني أنه على هذا الوجود- المُدمِّر سيتم تطعيم مزاجي الخاص وشهواتي. نفس الشيء في السلم، فإنه على أساس الشرط الإنساني (الوجود-من أجل - الموت، إلخ) يظهر مزاج كل شخص. التدمير لايتوقف هنا فقط: فالإنسان في هذا التدمير أداة مدمِّرة - ومدمَّرة. يتوقف عن كونه واقعا- بشريا لأنه يفقد إمكانياته الذاتية (مادة بشرية). لكن – هل هناك ما هو أشد دقة لفهمه- هذا الفقدان لكل إمكانيته هو في حد ذاته إحدى إمكانياته. ينعكس وجوده- من أجل – التدمير على تدمير كل الإمكانيات البشرية في داخله. فهذا المُدمِّر هو هنا للتدمير من خلال تدمير نفسه في عالم- من أجل – التدمير. وهو ما يعني أن شرطه هو أن يكون مجرد شيء. وأسلوب وجود-في العالم كما كل واقع- بشري، هو بالضبط أن يلقي بنفسه في قلب هذا العالم، مثل حجرة أو نهر. وفي النهاية، هو جزء، على مستوى الأداة، من عالم الأدوات التي يرغب في تدميرها؛ لأن موت جندي يُنظر إليه كما لو أنه تدمير أداة.

إلى أين يوصلنا كل هذا؟ إلى العدم؟ لا، ليس التدمير هو الفناء، وإنما هو لا أنسنة الإنسان والعالم. يصبح الإنسان والعالم، أو بالأحرى يجعلان من أنفسهما، أشياء

جامدة إزاء الوعي المتسامي. ها نحن نعثر الآن على الاكتمال العبثي للوجود الفظ قبالة الوعي اللاإنساني والعبثي. اكتمال في كل شيء. عالم مُنظَّم يهدف انتظامه إلى إنكار نفسه بالاكتمال العبثي للوجود؛ باعتباره واقعا إنسانيا يهدف إلى أن يكون شيئا، وإلى أن يصفي، من خلال هذا، الوعي المتسامي. هكذا هما إنسان الحرب وعالمه. لكن لا يجب الاعتقاد أن هذا التشيُّؤ للإنسان ولا أنسنة العالم سوف ينجح؛ فهي فقط تمثل الإمكانيات النهائية والثابتة لإنسان الحرب. إنه موجود من أجل التشيُّؤ حيا لا لوعي المتسامي، وسط عالم يحتاج إلى إعادة تنظيمه.

تقاصف مدفعي طيلة هذا الصباح، لعله من جهة ويسمبورغ.

من المستحيل عدم التفكير في أنه هجوم ألماني بدأ منذ حين. أحس أنني متعلق بهذا العالم الذي يريدون تدميره؛ تأكدت أنني أنتمي إليه. من المستحيل عدم الإحساس بروابطه. هذا العالم الذي ندمره، عالم السلم هذا، فيه كنت إنسانا. كل تدمير جزئي هو بشكل ما تدمير لي.

غريب: أن نحمل سلاحا للدفاع عن عالم ما (جمهورية فرنسا ما بعد الحرب بحقوقها وأيديولوجياتها)، ورغم ذلك نعلم جيدا أن حمل السلاح في حد ذاته يدمِّر العالم بشكل مؤكد. ما ندافع عنه هو ميت أصلا. أنا هنا للدفاع عن حياتي منذ سنة 1919 إلى سنة 1939، غير أن حياتي هذه ما إن أصبحت هنا حتى انزلقت في الماضي. إن انتصرنا، نكون قد دافعنا عن عالم سنصنعه فيما بعد؛ عالم سيكون ما سنكون نحن عليه، عالم ليس بإمكاننا أن نتوقعه. لهذا فإن جنود 1914 دافعوا عن جمهورية 1920 ضد ألمانيا الإمبريالية. أولئك الذين حملوا السلاح في حرب 1870-1914 دفنوا هذه الأسلحة بأيديهم.

[المجلة الفرنسية الجديدة]: «هنري بورا»: «حرب سنقوم بها كما كنا نفعل عادة، صغيرة، صفحة للكتابة. إنه لشيء مزعج، لكن يجب القيام به. نعم، حرب

غريبة...»[138]

لأنه ليس لدينا ما سوف نربحه، بل فقط الدفاع – ضد الأسوأ–عن حالة أشياء لا تُفرح أحدا، نتكيف معها حسب العادة، ولن تبقى حية لترى السلم.

مصادفة: يعتمد مورياك هنا («خمسون سنة[139]...») كلمة «كيرنسيا» هذه التي تأتينا من «همنغواي»[140].

الخميس 19

على إثر متابعته لاستبار، جاء «النقيب مونييه» وقدَّم لنا شرحا دقيقا جدا، أنهاه بهذه الخلاصة قائلا: «مات أربعة جنود». رغم أنني كنت أريد سماع ذلك غير أنه ضايقني. ففي المحصلة لست جنديا بل مراسل حرب، ومراسل الحرب مغلوب على أمره. مرّرْت مزاجي السيئ لـ «بييتر» مُفسرا له أنه بالغ كثيرا في إيلاء أهمية كبيرة لواجبه؛ لأننا حين نرى ما يفعله والبساطة الساخرة لواجبه، فإنه يظهر في مظهر الأحمق. يتجنب «بييتر» الجواب بنعومة. تمصرت فجأة وقحا مشمئزا وقلت: «لقد وضعوني هنا ولا يهمني، إنني مخفي، وماذا بعد؟». شرح لي «بييتر» كما لو أنه يتحدث مع شخص لامرئي، من خلال تنازلات متفاوتة وتمييزات دقيقة [باللاتينية في الأصل] خلاصات واختزالات تتمحور حول أن الأمر عادة ما يتم هكذا في الجيش. باعتبار سوء الحظ الذي لازم رواقيا بليدا؛ فقد كنت بمزاج رائق جدا هذا الصباح، وها أنا ذا الآن في أسوأ حالاتي. لقد كنت أعرف أنه ليس لي ما أفعله، وأن هذه المؤسسة المعنية بمركز الإحصاءات كارثية، وأنه لديَّ مخبأ يحسدونني عليه وغير مبرر. كنت أعرف هذا جيدا، وما كنت أريد أن يعرف الآخرون ذلك. وها أنا ذا أتأرجح بين الوقاحة ونبل روح وجودية. صرت أتقزز من هذا الدفتر كما لو أنه هذيان سكران، غير أنني

138. في ركن " مزاج الشهر "للمجلة الفرنسية الحديثة أكتوبر 1939 بتاريخ 5 سبتمبر. نلاحظ عبارة " الحرب الغريبة "مستعملة قبل يومين بعد إعلان الحرب، في علاقة مع العقلية التي اتسم بها الفرنسيون في الحرب.

139. نص لفرنسوا مورياك منشور في المجلة الفرنسية الحديثة أكتوبر 1939.

140. موت عند الظهيرة غاليمار 1938.

لن أرمي به لأن لدي روح جامع صفحات. صار هناك الآن الكثير من الصفحات المكتوبة لما أفعله هنا وما أراه. من المستحسن لي أن أرى الحرب في الخلف. مع العلم أنني كنت متهيئا فكريا لهذا عندما بدأت كتابة هذا الدفتر. كنت في الصفحات الأولى من هذا الدفتر لا أهتم بنفسي إطلاقا، غير منشغل بهذا الاهتمام الخفي للمحارب الذي كنت أشعر به في داخلي. ثم إن نتيجة الانكباب على هذا الدفتر كانت سيئة، وكان من المفروض أن أتوقع ذلك؛ إذ إنني تعاملت مع الأمر بجدية بالغة. لقد بدا لي حقا أن علم النفس الكلبي عاجز وأنا أمارسه. لقد كان كله رواقيا؛ وهو ما أوصلني إلى الوجودي. وهو بالأحرى دفاع؛ طريقة في قول: «إنني منخفض»، مثل «الليبيديف» في رواية «دوستويفسكي» **الأبله**، ويجيء رد «دوستويفسكي»: «كما لو أنه عليك أن تقول هذا لتنجو من القضية». الخلاصة: «خجول لأني لم أكن جندي مُشاة».

لم تُكتب الفقرة السابقة بصدق كامل؛ لاشيء فيها غالط، لكن كل شيء متصنع. كنت أشعر أني أكتب. أمر بيوم هو بمثابة المصيبة، ولكن رغم ذلك واصلت كتابة روايتي هذا الصباح. عليَّ أن أنعزل اليوم وألا أفكر في أي شيء.

وأنا أتناول فطور الصباح جاءتني فكرة بينما «بيتر» يحدثني عن أسرته: في جميع الحالات، بما أنك خجول جدا من أنك لست جندي مشاة، لم لا تنخرط في المشاة؟ وداعبتُ فكرة أن أنضم إلى المشاة، رغم أني أعرف نفسي؛ فلا يمكن أن أقوم بأدنى حركة لتحقيق ذلك. لماذا؟ بسبب روايتي؟ لو ارتكبت هذا التغيير فذلك يعنيأنني أفضل الحياة على روايتي، ومن خلال وجهة النظر هذه أشعر بنفسي عاجزا. ناهيك عن أنني أجد الحل دائما: هو إنهاؤها؛ وهو ما سوف يوصلني إلى شهر يناير - فبراير، ثم أنضم بعد ذلك مباشرة للمشاة. لكن هناك شيء آخر: هناك الكاستور. من البديهي أنه ووفق ما يقتضيه ارتباطي بها أن أنقذ جلدي. إني أتخيلها الآن وهي تقرأ هذه السطور؛ سوف تلطمني صارخة: «أيها الأحمق الصغير، قرد حيوان». من جهة هو واجب إلزامي لأنني وهبتها حياتي، ومن جهة أخرى بشكل غامض: لا أعرف لماذا أنا هنا أصلا. ليس للدفاع طبعا عن الوطن ولاعن الحضارة؛ بل في أفضل الأحوال للدفاع عن حريتي (خاصة أنني لا أعرف طريقة أخرى لذلك)، ومن

المستحسن في هذه الحال أن أظل هنا. هذا ما يمنحني فرصة التلذذ بحريتي التي أدافع عنها. ثم لست في الحقيقة جنديا متخفيا: لا أفعل أي شيء، إنني سلبي، وهذه حصتي. إنني على بُعد عشرة كيلومترات من خطوط المواجهة، ومن الممكن في كل لحظة قَصْفُنا؛ ثم من الممكن أن أكون غدا بـ «رين». فقط بما أنها حريتي التي أدافع عنها -إن كان لي ما أدافع عنه- مازلت أستطيع- وبفضيلة هذه الحرية نفسها- تفضيل الأصالة وخوض هذه الحرب بشكل أقوى. عموما هو الغموض في هذه الورطة. لست أرى جيدا- عدا بطولة متلهفة- ما قد يفرض عليَّ أن أبحث عن الأسوأ؛ أن أتصرف مثل الآخرين غيرأنني لست إنسانيا. ومن الجانب الآخر هناك واجب إلزامي، بما أن الكاستور تفكر في الانتحار إن لم ترني أبدا. طيب. لكن، ألست سعيدا جدا لتحمل هذا الواجب؟ ومهما كان متأصلا، ألا يصلح أن يكون لي مبرِّرا؟ (141)

لقد تمنيت أن أكون جندي مشاة. فليكن. لكن لو حدث وكنت كذلك لوضعوني في معسكر بـ «بار لو دوك»، مثل «بوست». إذن لتمنيت وقتها أن أكون عند خط الجبهة، ولو كنت عند خط الجبهة، لربما يضعونني في محور هادئ وهكذا دواليك. في النهاية، إنني أحلم فقط بمبرر لوجودي هنا بشكل بطولي؛ وهذا في حد ذاته حمق. أذكر تلك التوصية الحكيمة جدا للمرأة القمرية(142) لزوجها المجند في سبتمبر 1938 : «افعل ما يأمرونك به وإلا سوف تتعرض لمضايقات، لكن لا تطبق الكثير

141. لم يكن لأزمة الوعي هذه وجود: ففي جميع الأحوال كان سارتر " عاجز عن أداء النشاط"هل نسي ذلك؟ فمنذ طفولته كانت هناك ودقة تغطي عينه اليمنى، مما جعله لا يبصر بها: أما عينه اليسرى فهي قصيرة النظر. بعضهم كان مصابا بنفس عاهته تمت إعادتهم. نلاحظ كم إن حبه لنفسه متأثر بهذه العاهة: وفق تقييم الجيش، فهو " غير صالح "(انظر لحواره مع جاك لورين بوست في أفريل 1937رسائل إلى الكاستور. .. الجزء الأول ص95-96)مفارقة الكبرياء : اتهامه لنفسه بالجبن في جميع الأحوال يسمح له بإنكار إنه أحول، أو نسيان ذلك ربما أخفاه عن " رفاقه" (عينه الميتة بالكاد تظهر كذلك وشلل القزحية لا يمكن اعتباره مجرد حول). وإلا كيف نفسر أن بياتر، الذي لا يفوته شيء لم يقترح عليه لم يعارضه في أنه لا يملك أي فرصة للانضمام إلأى إحدى وحدات القتال ؟ لقد رأينا (ص44) أن سارتر واع جيدا بميله القوي للإنكار.

142. كنية لشابة عرفها سارتر ست سنوات من قبل هي وزوجها ببرلين (ماري جيرار قوة العمر).

من الأوامر». بطولة نفاذ الصبر، الأمل في الأسوأ. الدافع الحقيقي الذي سوف يجعلني أتحرك هو أمل أن أعثر على أصالة حقيقية. وفيما يتبقى فهو ليس سوى حالة ذهنية لمترشح مرفوض-والذي هو أنا عادة: لقد اجتزت اختباري هذا الصباح ووقعت، هذا كل ما في الأمر؛ وهذا ضايقني. هذا مايتبقى من كل الحكاية؛ هذا وشيء آخر ثمين: فكرة- لم تأتني من قبل أبدا -أنني في النهاية، ومتى أرغب في ذلك، يمكنني أن أنضم إلى المشاة؛ ما سوف يجبرني أن لا أكون جادا كثيرا، وأن أقبل بصراحة وضعي عوض الحلم ببطولة في مكان آخر. لا يجب أن أكون جادا جدا.

كتب هذا في الساعة الواحدة بعد الزوال وخمس دقائق. بشوش. لكن نصف قارورة خمر وكأس مارك ليس غريبين عن هدوئي. أيتها الأصالة الجميلة أين أنت؟ حين نكون، نكون بسطاء- حمقى شيئا ما- أما حين لا نكون أبدا، فإنه رواق المرايا، ننخدع ونكذب إلى ما لا نهاية[143].

الجمعة 20

شيء غريب، لقد عشت حالات بهجة متعددة ومتنوعة، وأحيانا طافحة منذ ال ـ2 من سبتمبر، ولا يكاد يمضي يوم دون أن أشعر ببهجة ما. غير أنني حين أتذكر حالات البهجة هذه التي تبدو لي طبيعية حين أشعر بها، حين أتذكرها تبدو لي كابوسية. هي بهجات لكنها محمرة بلهيب الجحيم، خاصة أن كل شيء يحدث الابتهاجات والباقي على إيقاع مُهَلوِّس. غير أني لم أعش هذا الايقاع، ربما ينكشف من خلال لحظات مختزلة، لكنه بقية الوقت يظل ملطخا، مدهونا بعجينة الوقت المعتادة. هذا ما اعتقدتأنني قلته في الأول من أكتوبر في الصفحة 58[144]، حول هذا النوع من التوتر اللاواعي ضد الإغراء المستمر لليأس. هو ما حوَّل هذين الشهرين

143. هل فكر سارتر إن المأزق الذي يشغله منذ قليل (الانضمام للمشاةمن عدمه) هو مغشوش وعن سوء النية كان موجودا ذلك الصباح – إشارة ستكون لها أهميتها حين يقترح في الوجود والعدم شرحه الفينومونولوجي للوعي.-

144. يتعلق الأمر بصفحات دفتره انظر الصفحة 70.

الرائعين اللذين عشتهما بشكل رائق، إلى ركض جهنمي (وهي بالضبط مشية إلى محرقة بين حاجزين لأشخاص مكشرين يضربون على الصنج). غير أنني لم أعد أتوتر على الإطلاق. ولقد بدت لي بشكل مماثل كل المواقع مُنفِّرة (المقصود مواقع عسكري)، رغمأنني لا أفكر في أي شيء إزاءها، أو بالأحرى أني استمتع بها. دون أدنى شك سوف أقف حاجزا مرة واحدة وإلى الأبد ضد أي إحساس مُكَدِّر، قذر أو كئيب تجاه الأشياء. لم أكن أراها بوضوح، رغم أنها كانت هنا لي أنا. لقد كانت موجودة في فهمي الأول ما قبل الوجودي؛ كل موضوع، كل شيء بدا لي منخرطا في التنظيم المعقد «مُدَمِّر- مُدَمَّر». كنت أفهمها كما هي، غير أنه من الضروري اتخاذ الحذر مما أفهمه. ليس لذلك أي تأثير لجعل الحس الأول بالأشياء لاواعيا، ولكن لجعله بسيطا فقط. كنت في مواجهة هذه المواضيع المُكدِّرة والكئيبة التي لا تبوح بنفسها كما هي، أجرِّب رقصات بهجة ومزاج رائق يغطيها بحجاب رقيق ولمَّاع. كل شيء تغير منذ بروماث: أريد أن أتأمل عالم الحرب بدون حجاب، غير أنه يكشف عن نفسه بشكل أقل الآن.

هذه الحرب هي حرب حكيمة بالمعنى الذي نتحدث فيه عن موسيقى حكيمة. تشبه فلسفة «برونشيفتش» تفكير حول التفكير[145]. لقد قالوا إن حرب 1914 برجسونية، على الأقل في بداياتها. لكن هذه الحرب هي حرب نقدية، يتم خوضها ضد حرب 1914؛ بدءا من تسيير العمليات إلى موقف كل واحد منها؛ كلها في تفاعل ضد حرب 1914. هذا الطابع الجديد، الانتظار المتضايق، الكآبة وبعض الأخلاقية التي قد يتصف بها المحارب، كل هذا هو ضد البطولة المبرقشة التي نالها في 1914. هذه الانتظارات الطويلة، هذا الاقتصاد في الرجال، هذه الانسحابات الحذرة وهذه الفخاخ التي تُعِدُّها القيادة العليا، كل هذا ضد المسالك الانتصارية التي أعدها في حرب 1914. كتمان (غير كاف إلى حد الآن)، حشو الدماغ واحترازنا

145. ليون برونشفيتش (1869-1944) من أشهر فلاسفة ما بين الحربين. درسه سارتر في المعهد الأعلى للمعلمين تخلى منذ تلك الفترة عن " مثاليته النقدية ". حتى صديقه بول نيزان كان معارض لهذه الفلسفة، فهي ضامن جيد للنظام البورجوازي (كلاب الحراسة رايدر 1932).

المبدئي ضد حشو الدماغ. وموقف المحترفين المنزعج من طريقة التشجيع التي لم تعد جريئة، والتي تعبر بشكل لا شكل له: نحن لا نشجعكم، هل تعرفون، هم لم يشجعونا. مثال ذلك يقول «بِيرو» في غرنغوارعدد 12 أكتوبر 1939[146] [مجلة أسبوعية سياسية أدبية فرنسية تابعة لليمين، كان «جوزيف كيسيل» أحد المشرفين عليها]: «فلنوفر على أولئك الذين يحاربون دروس المثابرة التي آلمتنا كثيرا في السابق». وقد تولد الستغراب «بورا»، الذي هو نفس استغرابنا: «الحرب الغريبة»، من الاستعادة الدائمة لحرب 1914 ومقارنة حرب 1938-1939بها: حرب 1939 ستكون بالنسب لحرب 1914 كما حرب 1914 بالنسبة إلى حرب 1870(أفكار مجازر قيامية، 2000 طائرة في سماء باريس، إلخ. جاء بعد الفكرة النقدية: «لن تكون حرب 1939 أشد وحشية من حرب 1914، سوف تكون حربا أخرى». غير أن هذه الفكرة النقدية والتاريخية تأتي مصحوبة بميل دائم لتقييم هذه الجِدَّة من خلال عودة إلى حرب 1914. باختصار، هي حرب مُعادة (1914، حرب إسبانيا، إلخ)، التي تشبه حرب الخياطين الأولى. نبحث عن هذه المفاهيم (حرب «اقتصادية» – «حرب صناعية») وهو نفس ما قاله «بولهان» (المجلةالفرنسية الحديثة، أكتوبر): «حتى لا يمنعوننا من التفكير في الحرب [147]». هذه الفكرة التاريخية (والفينومنولوجية) والقاضية بأن لحرب 1939 مفاهيمها الخاصة وأصنافهما (الأخلاقية وغير ذلك) هي بالفعل فكرة جديدة؛ إذ إن حرب 1914 كانت بالأخص يشعرون بها. والفكرة الحذرة، أيضا، أن مفاهيمها يتم طرقها شيئا فشيئا ويجب انتظارها. (عبارة لأحد المجندين ذكرها «بولهان»). في المحصلة، هو موقف تجريبي لكل شخص إزاء الحرب. نلاحظها ونحن نخوضها.

غير أنّ طرق المفاهيم صعب جدا. ضد من نحن نحارب؟ ضد النازية؟ ولكن

146.في مقالة بعنوان " ثقيل السمع "لهنري بيرو حول خطاب هتلر في 8 أكتوبر. هنري بيرو وهو(1885-1985) روائي وصحفي ومحرر بصحيفة غرنغوار السياسية –الادبية الاسبوعية وقد كان يهاجم الديمقراطية وانجلترا واليهود في السنوات التي سبقت الحرب.

147. في " عودة على 1914"

هناك فاشية مقنعة تحكم في فرنسا منذ أكثر من سنة. فكرة الحرب الإيديولوجية كانت فيما قبل الحرب. في الحقيقة نحن لا نجد كتلة ديمقراطية ضد المحور؛ نحن لسنا أعداء لإيطاليا. وفي المقابل، نخشى أن نكون أعداء لروسيا السوفياتية. ثم ما معنى النازية اليوم؟ هل هو كتاب كفاحي لهتلر [بالألمانية في المصدر] [148]؟ هل هو روزنبرغ؟ هل هو «ريبنتروف» [149] [وزير خارجية ألمانيا من سنة 1938 إلى سنة 1945]؟ هل هي ديمقراطيتنا التي تلغي الغرف[البرلمانية] وحرية التفكير [150]؟ هل نحن نحارب ضد حفنة من الرجال؟ «هتلر» وجماعته؟ في الحقيقة هناك شيء ما من الرحلة العقابية في هذه الحرب: («أيها الألمان، نحن لا نقصفكم أنتم». منشور للقوات الجوية الملكية البريطانية). غير أنّ هذا سيؤدي إلى الخروج بسلم سريع، بحكومة تعوض «هتلر». ولذا يعتقد الكثير من الناس في فرنسا وإنجلترا أنه لا يمكن تحقيق سلم طويلة المدى إلا بانخفاض القوة، وربما تجزئة ألمانيا. ويرتكزون على حقيقة لا تقبل المنازعة تتمثل في أن ألمانيا هي في نهاية الأمر ديموقراطية اختارت «هتلر» حسب البرنامج الذي اقترحه. رغم ذلك، فكل هذا لا يحدث عندنا إلى درجة الكراهية. وإن نحن دخلنا الحرب للدفاع عن بولونيا التي وقع اجتياحها، فما معنى أن نخوض حربا ضد ألمانيا التي استحوذت على نصف بولونيا –وليس ضد روسيا

148. كُتبت ما بين 1925و1927.استطاع الفرنسيون أن يقرؤوا نسخة أصلية منذ1934.

149. تعلق الصحف الفرنسية بكثرة ' خلال هذه الحرب الغريبة، على الاختلافات والصراعات بين كبار الشخصيات النازية، خاصة الفريد روزنبرغ ويواخيم فون ريبنتروب. للتذكير فالأول ذو أصول جرمانية بلطقية " دليل ثقافي "للحركة منذ1923، ومن جهة أخرى هو رئيس مصالح الحزب الشوعي للشؤون الخارجية منذ 1939، نصير الامبراطورية الشمالية الكبرى تحت سلطة ألمانيا، أما الثاني فهو وزير السؤون الخارجية للرايخ.

150. منح قانون تنظيم الأمة زمن الحرب في تاريخ 18 جويلية 1938 دالادييه إمكانية تسيير الحكومة عن طريق مراسيم: زيادة على ذلك بما إنه كان مرتابا من فاعلية الحكومة، تولى منذ 14سبتمبر 1939الاشراف على عدة وزارات، اتهمه اليسار واليمين باستغلال النفوذ. من جهة أخرى تم إنشاء المفوضية العامة للإعلام في 29جويلية 1939 يسيرها جان جيرودو مؤسسة منبوذة خاصة لتوجهاتها الشرهة نحو الرقابة.

التي استحوذت على النصف الآخر؟ لأن حكومة بولونيا لم تطلب مساعدتنا ضد روسيا؟ دعابة: لم تطلب لأنهم قالوا لها ألا تفعل. لأننا نُفضِّل أن يكون لنا عدو واحد. لكن هذا ما سوف يزيد من توتر الحيرة الإيديولوجية للحرب. بالفعل، لا يمكن أن نقول إننا دخلنا الحرب ضد تقطيع بولونيا، بما أننا نقبل بهذا التقطيع في نفس الوقت الذي نرفضه.

ولماذا نحن نتحارب؟ للدفاع عن الديمقراطية؟ لا أثر لها. للمحافظة على حال الأشياء قبل الحرب؟ ولكنها كانت الفوضى الكاملة. لم يعد ثمة أحزاب ولا إيديولوجيات متناغمة. في كل مكان هناك امتعاض اجتماعي تسيِّره رؤوس الأموال؟ غير أنه ليس لهم ما يربحونه من هذه الحرب. لقد حاولوا إيقافها بقدر ما استطاعوا؛ ذلك أنهم هم صناع ميونيخ؛ لقد قبلوا بتقسيم تشيكوسلوفاكيا خوفا من الشيوعية. في سبتمبر 1939 كانت مصلحتهم متوقفة على «إنقاذ صورة هتلر»، كما صرَّح بذلك رئيس ديوان في أغسطس 1939. هم يهابون «ستالين» أكثر من «هتلر»، وهاهم الآن في حرب ضد «هتلر» وليس ضد «ستالين»؛ فهل يخوضون الحرب لإلغاء رأس المال؟ طبعا ليس هذا هو هدف الحكومة. ومن هو الجندي الذي خرج للحرب بهذا الأمل؟ هل نحارب لندافع عن أنفسنا – أي لندافع عن فرنسا ضد ألمانيا – هل نعود للأسس القديمة للحروب الفائتة؟ غير أن «هتلر» قال مائة مرة إنه لا يريد مهاجمة فرنسا. ودون أدنى شك، لا يجب علينا أن نفتخر بذلك لأن دورنا سيأتي عاجلا أم آجلا. فواقع الحال يقول إنه فقط لا يفكر في ذلك الآن. نعم، ولكن يجب التفكير في المستقبل. مما لا شك فيه، إذن، أننا نقوم الآن بحرب اتقائية. بعد الإعلان لأكثر من مائة مرة أننا لن نخوضها. «إن لم يعلن هتلر الحرب علينا سنعلنها نحن عليه»؛ عبارة قالها إنجليزي للـ «النقيب مونييه»، وها نحن في الأخير قد هاجمنا «هتلر»؛ حبًّا في بولونيا؟ دعابة كئيبة. لماذا بولونيا؟ حليف غير وفيّ، خاننا في سبتمبر 1938[151]. بلد غير ديمقراطي يتبنى أفكار الملحمة الهتلرية؟ وليس تشيكوسلوفاكيا، صديق وفي،

151. للتذكير إن بولونيا دعمت المطالب الألمانية في سبتمبر 1938 وساهمت في تقسيم تشيكوسلوفاكيا إثر اتفاقيات ميونيخ من خلال استحواذها على منطقة سيليزيان في تيشين.

جمهورية اشتراكية. لأنه كان كاف! ألم يكن كافيا حين اجتاح الجيش الألماني براغفي مارس؟ نعم، ولكن الآن فقط يدخل في برنامجنا إعادة بناء تشيكوسلوفاكيا. هل نحن واثقون من قدرتنا على ذلك؟ ألم يقل الإنجليز أنفسهم سنة 1938 إنه، وحتى في حال الانتصار، فلا قدرة لهم على إعادة بناء هذه الدولة؟ وهل من الممكن في الوقت توحيد السلوفاك مع تشيكوسلوفاكيا؟ وإعادة السودات؟ من الذي بإمكانه أن يتوقع خريطة السلم؟ ثم لا أحد يحب البولونيين في الحقيقة رغم عن مواقف الصحافة. بعضها لا ينشغل بها، وبعضها يقول: إنهم همج نالوا ما يستحقونه. كما يقول مذيعو راديو شتوتغارت: لنخض حرب إنجلترا[152]. لكن لماذا إنجلترا تريد هذه الحرب؟ هل يمكن تبنّي هذه التوليفة الساحرة المشهورة اليوم: نحارب للدفاع عن السلم؟ عدم خوض الحرب تلك هي الوسيلة الوحيدة للدفاع عن السلم. إنهم يحاربون للدفاع عن الثروات، عن الحرية، عن الأمّة وليس عن السلم. السلم المستقبلي؟ هذه العبارة مألوفة: فإثر كل حرب هناك دائما سلم. وتظل التوليفات الغامضة: انتفاضة النقمة... وضع حدًّا لتهديد العالم...إلخ. ..إلخ. ها قد عدنا للعواطف، وبارحنا مجال المصالح والأفكار. «لا تحدثوني بعد الآن عن المصارف أو رؤوس الأموال، عن الاقتصاد، ومقاومة الطبقية كما لو أن كل هذا عقد سياسي. الأمر متعلق بالشراهة، بالحنق، بالكذب مثل ما يحدث في رواية. متعلق بالرعب، بالحلفاء، بالوطن مثل ما هي أغنية»[153]. نعم، هو كذلك، غير أن الحرب ليست رواية ولا أغنية. ونتيجة لذلك، ليس لنا غير أن نثمّن صمت أولئك الذين رحلوا دون حماس - فلا يستطيعون أن يفعلوا غير ذلك- تاركين للمدنيين الروايات والأغاني، محاولين أن يفكروا بشكل ذاتي في هذا الواقع القاتم الذي يتشكل من خلالهم ورغما عنهم.

لا يمكن القول إننا نحارب لأننا لا نقبل هيمنة القوة. لو قبل «هتلر» بحل سلمي لقضية دانتزيغ، ما كان يجب أن تحدث الحرب، وكنا صدّقنا ملحمة تشيكوسلوفاكيا والنمسا. هكذا تكون القوة الصافية حقا من خلال تصرفنا.

---

152. " يعطي الانجليز آلاتهم، ويعطي الفرنسيون صدورهم "ليتموتيف رلديو شتوتغارت.

153. هذا ما كتبه بولهان " عودة على 1914".

لا يجب المزج بين أصول هذه الحرب، التي سوف تكون جلية بالنسبة إلى المؤرخ، ملحقة بأسبابها غير الواضحة التي من أجلها حاربنا، كما أشرت لذلك سابقا. بالفعل، يجب التفكير في الحرب باعتبارها حدثا، شأنها شأن حقيقة دالة وشأنها شأن قيمة. ما لا يمكن الإمساك به هو قيمة هذه الحرب المتفردة.

قال الملازم مينو أمام السكريتاريين إنه في حال طالت الحرب، فإنهم لن يجدوا مواقعه السابقة عند عودتهم. اضطراب السكرتاريون، سُحنات للقيس. هكذا أمضوا السلم خوفا من الحرب-والحرب تخاف من السلم-من هذه الناحية أنا محظوظ لأنني موظف.

رغم ذلك أنا في الخط الأول على مرمى من مدفع العدو؛ على بعد 10 كيلومترات من رين. سوف يطلقونعلينا الرصاص فورا إن أرادوا، غير أنهم لا يطلقون أبدا.

السبت 21

الأسلوب التجريبي والنقدي لهذه الحرب بسيط جدا من الممكن تفسيره: إنه فيسنة 1914 حدثت أول حرب شمولية؛ أي حرب تزعزع الأمة إلى حدِّ جذورها وتوشك أن تستهلك رجالها إلى آخر فرد منهم. الحروب الفرنسية في القرن التاسع عشر تمَّت بجيوش مهنية و-باستثناء الأخيرة- خارج فرنسا: في إسبانيا، في الجزائر، في اليونان، في غريمي، في إيطاليا. لم تتأثر الحياة القومية بالحرب، كانت الحرب محسوبة بتكاليف استعراضية؛ فهي الضرورة الفخمة والاشهارية لأمة قوية. شارك فيها الأفراد ماديا بشكل قوي. لقد كانت بالنسبة لهم مهمة دائمة: ضريبة الهيبة. لا يعرفون أشياء كثيرة حول الحرب، بل لم يكن هناك شيء مهم للتفكير بشأنها: هي وسيلة ديبلوماسية، هي حل يتدخل حين تصل المحادثات إلى نقطة مسدودة، هي فرصة للبطولة بالنسبة للجنود القدامى. لا تتعارض الحرب إطلاقا مع السلم، كما لو أنها نظام اجتماعي أو أي نظام آخر. بل إن الأمة كانت دائما في حالة سلم داخل حدودها وتخوض في جهة ما في الخارج حربا قد تصل أصداؤها البعيدة أحيانا إلى الداخل. كذلك، ذكريات

الحروب القومية للثورة، حارقة جدا زمن «لويس فيليب»، ثم شيئا فشيئا ازدادت حِدَّة وأصبحت ظاهرة طبيعية للمجتمع، ترافق النظام السياسي دون أن تحدث تحويرا عليه. لقد كانت شيئا ما يشبه منتوجا ثانويا فخما وبراقا في مجتمع مُنظَّم. لم تُحْدِث حرب 1870 تحويرا في العرض العام: لقد كانت هزيمة، لكنها هزيمة تشبه تنظيف المكان في هذا النوع من الحرب. ضريبة الحرب التي دفعتها فرنسا من السهل على صاحب بنك أن يقرضها قيمتها. قلة من الموت، حرب وحيدة، حصار طويللباريس لكنه غير قاتل. بلد سرعان ما يقف مجددا. حقود لكن غير مُصاب. والحقيقةأن هذا الحقد ذاته والغليان القومي الناتج عنه كان ظاهرة جديدة في فرنسا. لم يكن هناك الحقد في سنة 1815. وربما هو إحساس بالخلاص فقط. والإهانة التيلا يمكن إلا أن تطالنا حين نشعر بها خلال اجتياح ما، تتحول إلى كراهية مكتومة ضد البوربون. لن يغير هذا الحقد بشكل حسي وجهة نظر الرأي العام الفرنسي. في الأثناء، كانت الحكومة تنظّم جيشا قوميا وتهيئنا، أو توهم بذلك، لحرب شاملة. غير أنَّ الأذهان لم تكن مستعدة. لقد دخلنا حرب 1914 بذهنية 1860. وقد وفرت بورجوازيتنا دون أدنى شك الرجال – بينما في السابق وفرت النقود. غير أن هؤلاء الرجال ذهبوا إلى الحرب وهم ينظرون إلى أنفسهم مثلما كانوا ينظرون إليها قبل خمس وعشرين سنة؛ جنودا مهنيين. ينضاف إلى هذه العواطف البالية خشية ما من الألمان، وكراهية هي بالفعل كراهية قومية. على هذا الأساس ظهرت الحرب وزعزعت كل شيء، غير أنهم لم يجدوا الوقت ليفكروا فيها وهم يخوضونها. لقد بعثرتهم حداثة عواطفهم وقوتها، بالكاد أطلقوا صراخات الغيظ. وهذه الحرب الهائلة، اللامفكر فيها، هي ما بعد الحرب التي بدأت تجترها.

لقد اجترنا هذه الحرب لمدة خمس وعشرين سنة، لقد فكرنا فيها، في كل تمفصلاتها، خضناها من موقع الرعب، وخشينا أن تعود كما هي في المستقبل. وفي نفس الوقت، كنا نعرف أنها لم تنته، وأن سلم 1918 لم يكن سوى هدنة ونحن نُعد أنفسنا ضده: لا يجب تركها تفلت هذه المرة، الانقضاض عليها، التفكير فيها وقتلها. وهاهي هذه الحرب تأتي، آثار الحرب الكبرى (لهذا السبب أتخيلها أقصر مدة وأقل

قتلى). من الممكن أن نقول إنها منتظرة لا تباغتنا، وفي نفس الوقت، حالفنا الحظ؛ إنها «غير موجودة». سلبية الألمان المؤقتة - نتيجة خطأ تكتيكي- لم تمنحنا فقط الوقت لكي نتجند ضدهم، ولكن أيضا أن نتجند ضد الحرب. لقد وضع «شارلروا» في 14 الأفكار في طريق منحرفة. ليست هناك أية هزيمة يمكن أن تُحرِّف ذهننا: نحن مجندون أيضا للتفكير في أخطر الكوارث. لقد وبخوا كل الذين قاموا بالحرب منذ سنة1918 إليسنة 1939: لقد وبخوا القواد، وبخوا من هم في الخلف، وبخوا المشرفين على السلم، وحتى المحاربين وبخوهم ومازالوا يوبخونهم إلى الآن. لهذا تنتفع الحرب العالمية الشاملة الثانية من الأولى. لكن تأكدوا من أنه لن يكون نفس الجنود ولا نفس القواد ولا نفس الديبلوماسيين ولا نفس المحاربين. إنهم بالكاد بعض الناجين من 1914 من أمثال «دورجوليس»، يركض بين صفوف المجندين يفرك يديه وهو يصيح: «لم يتغيروا، لم يتغيروا». علينا أن نترك لهم هذه المتعة[154].

لذلك فإنه مهما فعلت فأنا وُلدت لهذه الحرب. منذ طفولتي كنت -من- أجل - هذه الحرب. ليس لأني أخوض الحرب (لا أعتقد أن جنود 1914 كانوا «من - أجل- الحرب»؛ لقد تفاجؤوا بها)، ولكن لأنني عشت بكل قواي، بدون مكابح، بدون تراجع الأعوام الخمسة وعشرين الفاصلةبينهما. لقد جعلت نفسي من أجل الحرب. حتى هشاشتي نفسها قبالتها، رفضي السيئ المتحمس الذي أعارضها به، والطريقة التي أستقبل بها، مثلما يفعل الآخرون، كل المناشير التي تعارض حرب 1914، هي طريقة للوجود -من أجل- حرب1939. ومعارضتي للفاشية وللنازية، ثمرة تلك الفترة، ما كانا هنا إلا ليوفرا لي مبررا ملائما لخوض الحرب، في حين أن رفضي للحرب كان رفضا لحرب 1914 وليس لحرب 1939. في النهاية فإن معنى سنوات 1918-1939 يبرز اليوم: إنه بين الحربين، ولكي أكون شغوفا جدا بتلك الفترة، كنت أنا من بين كل الآخرين، رجل ما بين الحربين. وما أدراني أن

154. "كنت واثقا إنهم لا يريدون التغيير، معطف أكثر سمكا وثوبا آخر مضحك، لكن هنا أيضا لا شيء يشجع، أرغب أن أعود شابا لأصبح صديقهم. 'رولان دورجيليس غرنغوار 12 أكتوبر 1939 في مقالة بعنوان "عودة للجبهة".

السحر الذي أجده في أنوار باريس، سأجده في هشاشة المنازل والشوارع، ولا يحظى بمعناه إلا من خلال عالم مهدد بالحرب. وجودي- في- العالم يتضمن الحرب بوصفها إمكانية أخيرة وذاتية لهذا العالم: إمكانية أن لا يحقق حضوره أمامي، وأن يتم تعويضه بعالم آخر، وناس آخرين، ومدن أخرى، وأخلاق أخرى. كم من مرة لازمني وسواس رعب التدمير (تدمير بأسراب الطائرات الحربية، بالمدافع الرشاشة، كوارث، اجتياحات)؟ كم من مرة، وخلال النزهة، انتابتني مشاعر رعب مفزعة لا لشيء إلا لأن الشوارع بدت لي عامرة، وتخيلت ضمائر حية تنزف؟ كم من مرة استولى عليَّ الرعب قبالة هذا الأسلوب المؤقت لهذا العالم الذي أعيش فيه؟ لقد عشنا كل هذا، فلنقرأ **يوميات غرين**، أو تلك التي كتبها «دابيت»؛ إنها نفس مشاعر الرعب. أعرف جيدا فيما يمكن أن ينتقدني الآخرون: لو لم تحدث هذه الحرب؟ هل سوف تفسر الماضي بالمستقبل. لو مات «هتلر» قبل أن يقرر اجتياح بولونيا، لن تخوض هذه الحرب. لن تكون إنسان ما بين الحربين –وعلى الأقل لن تستولي عليك مشاعر الرعب. غير أنني سوف أجيب إنه في التاريخ بالفعل المستقبل هو الذي يشرح الماضي؛ ذلك أن كل ماض لا وجود له إلا إذا كان له أفق لمستقبل ما. معنى مخاوفي هو الحرب القادمة التي كنت أهابها لأنها كانت في أفق كوني كما لو أنها إمكانيته الأخيرة. وهذا الخوف من الحرب يساهم بشكل ما من جهته في الإسراع بقدومها – وأن تأتي كما هي. وإن كنت كثيرا ما أدفع عني وجودي- من – أجل- الحرب، فذلك لأنه لا يعجبني تماما، كما لا يعجبني وجودي- من- أجل- الموت؛ غيرأنني لا أستطيع الافلات منه: يمكنني أن أحوله فقط إلى وجود-غير أصيل-من أجل الحرب، وهذا الوجود- غير الأصيل – من أجل الحرب هو علامة الفترة؛ لأننا كنا كثيرين في هذه الحالة، ولأنه يساهم في تحقيق الحرب؛ بل يجذبها.

لقد كشفت لي الحرب تاريخيتي. (لعب طبيعي للمصادفات تمت تهيئتها لذلك في الأزمنة الأخيرة من قبل «آرون» و«هايدجر»، لكن هل هي فعلا مصادفات؟ أليست هي الوضعية الأوروبية التي جعلت من «آرون» رجلا حازما، ودفعته لكتابة هذا

الكتاب وكتابته بذلك الشكل[155]، وأنا نفسي أليس الضغط الكبير للتاريخ-كما سماه «بول نيزان» -هو الذي دفعني لقراءتهم، ولأن أرى نفسي وفق طابعي التاريخي؟).

أسلوب عالم ما بين 18-39: لقد وضع نفسه في مقام المُدمَّر؛ مُدَمَّر بالثورة، بالحرب. (عكس الركود السعيد لـ 1900). ولم يكن العالم يقدم نفسه مُدمًّرا فقط، بل كان يطالب بالتدميرية. لقد كان هذا أحد عناوين انتصاره وشاعريته. كان يعرف أنه عابر ومؤقت، كان يبحث أن يرى نفسه من وجهة النظر التي سوف يقيمونها من خلالها حين يكون مُكَفَّنا. لم يعد يؤمن بنفسه؛ كان موسوسا بذكرى حرب 1914 والخشية من حرب 1939. كان يسمح لنفسه بعدة أشياء لأنه يعرف أنه سوف يموت؛ ولقد عشت هذه الهشاشة بشغف بالغ. كنت أعرف، كنا نعرف، أنه سيندثر. يبدو لي أن قلة قليلة من الناس أحبت زمنها في الماضي مثلما أنا أحببته؛ كنت شديد التعلق به. حين كنت في سنة1921 أتفسح رفقة «بول نيزان» في الشوارع الفسيحة، كان من الأدب أن نعشق الفترة اتي نعيشها؛ كنا نقول: «مطالبات بأضواء النيون وكشافي الأضواء والسيارات الصغيرة»؛ كانت كلمات ساحرة، كانت تُكتب بسرعة، وأعرف الآن المقصود منها: كان جهدا غبيا نحو الحداثة (ألم يقولوا إنه قرن السرعة – كان يريدون لغة خالية من النحو، تتماشى وسرعتَنا المائة والعشرين في الساعة). غير أننا كنا سُذَّجا وطيبي الضمائر: لقد تركنا أنفسنا بكل قوانا نعشق هذه الأضواء وهذه السرعات، لقد اكتشفنا الجاز ولكن مثل الفقراء: لم نكن نعرف كيف نرقص. لقد كنا نفكر أنه بإمكاننا أن نعيش مغامرات حب عجيبة علي إيقاع البانجو، غير أنه لم يكن موجها لنا؛ كنا صغارا جدا، شاحبين جدا، فقراء جدا. كان للجاز بالنسبة لنا جمال فظيع وجنسي ممنوع. كنا نسمع بانحرافات فاتنة (كنا نحن نقيمها هكذا) لمن هم أكبر منا سنا، غير أننا لم نكن نملك لا الجرأة ولا الوقت ولا العفو الضروري للسماح لنا بذلك. كانت كل هذه الحياة اللافتة للنظر بعد الحرب بالنسبة لنا ساحرة خارج إمكانياتنا. حلم. رغم أن هذه الحياة نفسها تهب سحرها لكل ركن من أركان

155. المقصود هنا رايمون آرون في مقدمة لفلسفة التاريخ الصادر في السنة المنقضية.

باريس[156]. كل حياتي كانت معطرة بما بعد حرب اختلست النظر إليه من خلال ثقب مزلاج؛ ثم لقد ماتت تلك الفترة بكل ما فيها: زنوج، ناطحات سحاب، عربدات جنسية جماعية، جنس حر وتراجيدي، بانجو: كل هذا أصبح مبتذلا وتافها، لكنه بقى راسخا في ذهني لأنني أحببت بشغف في كل مكان في باريس، في مينيمونتان، في مونمارتر، في مونبارناس. كان هذا في تلك الفترة التي انقضت. رأيت كل حياتي من خلالها، كان زمنا ضائعا، ليس بالنسبة إلي، ولكن من خلال رغبتي في استعادته عبر الآخرين. أولئك الذين عاشوه بكل امتلاء نجوا منه (السرياليون، «ميشيل لايريس»، إلخ). ثمّ ظهر شبان صغار قساة دون رحمة («بيتي جان»[157]، «ماكسانس»[158]، إلخ) سمحوا لأنفسهم أن يكونوا قساة جدا تجاه هذه الرقة الميتة.لكن أنا –نحن– كنا من جيل بينهما. صغار جدا على ما بعد حرب، كبار جدا على الحرب التي بعدها. صغار جدا لكي نتلذذ بما بعد الحرب، شيوخ طاعنون في السن لكي نقيمها بموضوعية وقسوة: في النهاية هي ما بعد حربنا. بقيت متأثرا بهذه الفترة؛ فكل حياتي وكل كتاباتي تعكسها وأحاول أن أبعث فيها الحياة مجددا. لذلك، فإن هذا العالم الذي عشته حين كنت في العشرين من عمري، بدا لي أشد هشاشة بما أن لطافته الثمينة ماتت؛ واليوم ماتت مرتين.

أعتقد أنني عشقت زمني كما عشق آخرون وطنهم بنفس الاستثنائية، بنفس

---

156. كتب سارتر وعمره 18 سنة: كان الاثنان يذهبان معا للأيام الصفية ذات البهجة الجميلة يبحثان عن جمال الناس وحجارة مفترقات طرق المدينة المعروفة. وكان كل شيء بالنسبة إليهما عجيبا: إشارة ضوئية، المرور الصامت لرولس رويس كل هذا كان يملؤهما بالدهشة والحبور مثل الظهور المباغت لساحرة. ..'' كتابات الشباب ".

157. أرمان بيتي جان معاون في المجلة الفرنسية الحديثة أقل من سارتر ب 8سنوات. زميل دراسة في بيفي. انحاز ضد السلميين في سبتمبر 1938 وحاول في كتاباته اليومية أن يحدد نوعا جديدا من النضال: نشر في نفس تلك السنة الحديث وقربه (غاليمار. سلسلة محاولات)." نعثر فيه على ذلك الحماس وتلك الحدة يمكن من خلالها معرفة صفات الشباب الحقيقي الدائم. "(نقد مارسيل أرنو المجلة الفرنسية الحديثة سبتمبر 1938. من الغريب أنه أصبح مناصرا لحكومة فيشي إبان الاحتلال.).

158. جان بيار ماكسنس (1906-1956) ناقد في غربنغوار، نشر سنة 1939 حكاية العشر سنوات من 1927-1937.غاليمار.

التزمت، بنفس التحيز. وأمقت الفترات الأخرى بهذا العمى الذي يجعل الآخرين يمقتون الأمم الأخرى. لقدانهزم زمني.

كثيرا ما انتابتني فكرة أن شيئا ما كان على وشك أن يولد بين 1920-1925: لينين، وفرويد[159]، والسّريالية، والثورات، والجاز، والسينما الصامتة. كان بإمكان كل هذا أن يتعلَّق. ثم كل شيء تبع مصيره المتفرِّق. وطالما صارت الأشياء منعزلة، كان من السهل إذن قصف رقبة كل شيء. هي لم تصنع عالما إلا في ذاكرتي.

في المحصلة، أريد أن أفكر في هذه الحرب (باعتبارها شرطنا) ضد الميكانيكية، ضد الصدفة، ضد المادية. وهي طريقة أخرى لأحمي نفسي منها.

الأحد 20

بيتر: «هل هناك كرنب مُملَّح ومخلل هذا الصباح؟»

كيللر: «لِمَ؟»

بيتر: «كان الأحد الماضي متوفرا».

يرفع «بول» رأسه وبنبرة أنيقة: «هل تعتقد أن الأشياء هنا تُدار بشكل دوري؟»

كشفت لي هذه الجملة معنى الاستياء الخفيف الذي يصيبني خلال حوارات المهندسين والفيزيائيين. تذهب في الاتجاه المعاكس للغة الأدبية والاجتماعية التي تقوم بالتشبيه. تتمثل الأناقة عندهم في التحدث من خلال الصور- كما هو الشأن عند الكاتب أو الإنسان رفيع التربية- غير أن هذه الصور ترتكز بالأساس على تقديم العالم البشري تحت طابع العالم الفيزيائي. من هنا: التأثير «المُضحك» لهذه اللابشرية للإنسان- إمكانية حفظ دقة مفردات اللغة العلمية وصرامتها في مجال واسع جدا. حرية استعمال عبارات حكيمة بأناقة ساخرة. بطبيعة الحال، تشير النبرة إلى أنهم ليسوا أغبياء، غير أن هذا يجعلهم يشعرون بالفخر.

---

159. توفي فرويد في المنفى أربعة أسابيع قبل ذلك، قريبا من لندن.

«الملازم مونو»: «قلة هم أولئك الذين فهموا. لم أجد سوى واحدا منهم وهو العريف الذي قال لي: لم أكن أفكر بأي شيء يخص الحياة في سبتمبر1938، لدي زوجة وولدان؛ هكذا دون أن أخطط لذلك. تم تجنيدي وقلت: جيد؛ ها أنا ذا فهمت الآن. خلال عودتي دفعت زوجتي للتدرب على مهنة الحلاقة؛ وقد تطلب الأمر ستة أشهر. بعد ذلك، خصصت كل مدخراتي لأقتني لها محلا للحلاقة. في الـ 20 من أغسطس، قبل إعلان الحرب بقليل، شرَعَتْ في العمل فيه؛ والآن أنا مطمئن». يخلص «الملازم مونو» إلى الخلاصة التالية: «وبالتالي فمن يفعل مثل هذا الأمر هو رجل فعلا؛ لن أقول متفوقا، لأنه ليس متعلما، ولكن هذا ليس مهما...».

يتأرجح التمرد من الأسفل نحو الأعلى. لكن الأساليب الضعيفة والمنضبطة تعاني من ضغط حاد جدا، تتثقل عليها السلطات كما لو أنها عبء هائل، يفيض تمردها على الجانبين ومن حولها بشكل متساو. يعلم «المساعد كورتو» أن أباه يحتضر. يطلب رخصة لزيارته، غير أنها ترفض. لا شيء أسهل من تكليفه بمهمة إلى نانسي؛ حيث يقطن أبواه. قالوا له لا مجال لذلك. يعود مغتاضا وهو يصرخ: «حين أرى هذا. ..حين أرى هذا». انتظرنا انفجارا لغيظه ضد رؤسائه، غير أنه تردد وقال: «والآن، طالما ليس هناك تكليف مهمة للإتيان بالأوراق الناسخة من نانسي، كما جرت العادة في بقية الأيام، سوف أراقب كل شيء، وبالنسبة إلي سوف أقول لهم عفوا فالأوراق الناسخة موجود في المحل القريب ببروماث.»

هو لا يتصور أصلا أنه من الممكن أن يتمرد على رؤسائه. ينحرف تمرده عن ثوابته. ولئن أحدث فضيحة بخصوص تكليف بمهمة غير رسمية، فإنه يبحث عن تدمير أمر التكليف دون أدنى شك، والمستفيد الوحيد من تصرفه هو مساعد الضابط فقط؛ يحتاج إلى ممثل رمزي في مستوى ما تعرض إليه من ظلم لا يستطيع أن يوبخه في الرتبة التي هو فيها. كما يختار البدائيون تماما ممثلا عن الجريمة لتدمير الجريمة في شخصه. لاحظت سابقا نفس التعامل لدى «الرقيب أول نودين». يبدو لي أن هذه الثورة المُجهَضة والمنحرفة للمفكرين الجيدين هي التي استعملها النازيون لتبديل الكره ضد اليهود، عوضا عن أن يكون ضد الرأسمالية. ثورة منزوعة التاج ولا تجرؤ أن تقول

اسمها. «تجذير الجماهير»؛ أي تعليمهم الاتجاه الحقيقي للثورة.

ثلاث ملاحظات مهمة لـ «طارو» (باري –سوار21 أكتوبر):

«ها قد تم شحننا إلى حرب قد تشبه حرب القرن الثامن عشر أكثر منها حرب 1914؛ واحدة من تلك الحروب بضربات خاطفة وفترات طويلة راكدة أو، بين عمليتين، يتم الاستيلاء على أحياء شتائية. ..».

«على طول ما يقارب الـ 300 كيلومترا، يقيم خط ماجينو حراسته المسلحة، ويجعل لجنوده الذين يؤثثونه وجودا يدفعنا إلى التفكير بشكل أقل (مثلا) في ظروف جنودنا بـ دووُمون مقارنة ببحار على متن مركب هالك...».

تحليل أحد الضباط: «لا يتعلق الأمر بربح هذه الحرب، بل بربحها دون خسارة كبيرة في عدد جنودنا. لسنا أغنياء جدا لدفع تكاليف مجازر. حرب نخوضها بخسائر متتالية حتى ولو كانت منتصرة، فهي حرب خاسرة...».

هذه الملاحظات الثلاث ذكرتني بذلك الشعار الايطالي (أيام كانت إيطاليا شرسة، محبة للحرب): حتى وإن هزمتنا فرنسا سوف ننتصر عليها أيضا؛ لأننا أكثر إخصابا. خبر مهم. نسبة الولادة في الحرب تُعتبر كما لو أنها حقيقة متوقعة إحصائيا.

حرب مفقودة. حرب شبح. أحد الضباط الذين التقوا به الطارو يسميها: حرب صينية.

الاثنين 23

إفطار مع حارس سجن (كليرفو دان لوب) في ملجئنا: جندي قصير أشقر ومجعد بأنف خانس أفطس، وفم ضاحك مغلق. أصدقاؤه (أحدهم قاتل في مسلخ، يشتغل هنا في مسالخ الجيش) يهزأ به لكن دون بغضاء: «احزروا من أية جهة هو!». وبما أننا لم نكن نعرف قال: «هو من جهة قريبة من هنا؛ حيث لا يمكن أن نذهب إلى أبعد»، «من لاغيوتين؟» تساءل «بيتر». «لا، قبلها». «عليك أن تكتب رواية، قال الآخر، هل تعرف ديو ديونيه؟»، «ديو دوننيه؟» قال الجندي القصير. «هل تعلم، قال آخر،

منذ سنتين! كان ديو ديونيه يقضي الأشغال الشاقة رغم براءته؛ تم الحكم عليه مع عصابة في بونُّو». «لا، رد القصير، إنه ليس من جهتنا». غرق الجميع في الضحك: «إذن لقد صافحتهم بحرارة وأنت تغادر المكان!»، «قل! هل جعلتهم يتألمون، أيها الدنيء». ردبجدية: «عندنا نحن لا يتألمون، يتألمون لأنهم عفَّنُوا الحرية». وارتفع أصبع: «الحرية هي أولى الخيرات؛ لأنه الخير الأهم والأفضل عند الإنسان». لم يستغرب، بل انهمك يأكل بنهم بالغ. انتهز قاتل المسلخ فرصة التفات الآخر والتقط شريحة لحم البقر من صحنه. أخذ قطعة اللحم في يده، ليس بكل يده، ولكن بأطراف أصابعه بشكل مهذب وفني يغطي إياها بشكل من النعومة. بدا أن لديه معرفة مخصوصة بها، مثل بحار في البحر. أعلمنا أنه احتفظ لنا بكِلية عجل تركها «على طاولته في المرحاض»، وسوف يعطيها ليتم طبخها في الملجأ. وفي الأثناء، مازالوا يهزِئون بالجندي القصير: «هل الجنود الذين يتصرفون بشكل حسن، يصبحون فعلا حراسا بدورهم؟»، «لا تقل له هذا، هكذا صار حارس سجن». يسخر منه بشكل مائع. لكن حين ناداه القاتل بالمسلخ «يا حارس السجن الفائق»، قال له بنعومة: «لاتناديني هكذا»، «ولكن لديك اسم هناك؟»، ورد الآخر بتواضع: «ينادوننا مراقبين».

آنذاك، أوشكت المحادثة أن تتحول خشنة شيئا ما؛ إذ قال أحدهم: «إذن أنت مُوظَّف»، «نعم، أنا موظف»، «سوف تستلم أجرتك الشهرية إذن بينما نحن نتبرَّزُ من أجل لاشيء»، «طبعا، أريد ذلك!»، «آه أيها الدنيء». إنهم يرون ذلك شكلا من أشكال التحايل أن يكون سجانا، غير إنهم يحسدونه على أنه موظف. قمت أنا و«بيير» باستجوابه، قال لنا إن قيمة سجن كليرفو، بمصانعه وورشاته المخصصة للمساجين والأديرة تُقَدَّر بمليارين. يوجد به ما يقارب 1800سجينا من المساجين العتاة! و180سجانا. من بين هؤلاء الحُرَّاس الـ 180، هناك دائما 60 في رخصة، و40 في العمل، و40في راحة، و40 في إجازة. «ما الفرق بين الإجازة والراحة؟»، «الإجازة امتياز، إن كان هناك حالة استنفار أو سجانون مرضى يمكن أن يلغوها لك؛ أما الراحة فلا يستطيعون إلغاءها؛ هي حقنا. يتنهد: «يا لها من مهنة! ليس لأنني

حضرت القداس مرتين متتاليتين هم هنا»؛ وهو ما يعني أنه ليس هناك فقط مرتكبوا الجرائم العتاة. فجأة برقت عيناه شراهة: «إنهم يأكلون جيدا». يحسدهم على تغذيتهم: «كل من يشتغل يأكل جيدا». «هل لديكم كل شيء هناك؟»، «كل شيء»؛ يقول ذلك بفخر. تساءل «بييتر» قائلا: «بارونات؟»، رد آخر في لامبالاة: «أنت تستهزئ، ولكنها الحقيقة، لقد كان عندنا الكونت دو». بل لقد شيد لنفسه في السجن جناحا خاصا من خمس إلى ست غرف. اعتقد «بييتر» أنهم يثيرون غيظه: «وهل سمحوا له بذلك؟ ليس نفس النظام إذن يُطبَّق على الجميع». هنا تدخل قاتل المسالخ بشكل عقلاني قائلا: «إنه أمر طبيعي يا صاحبي؛ فبمغادرته للسجن يعود ما شيده للدولة». ونحن نغادر المكان، شرعوا في الاستهزاء به مجددا: «قل لنا، هل صحيح أنه يتم إيلاج الأصبع في دبر السجين للبحث إن كان لا يخفي مدفعا رشاشا بجوفه؟»، رد السجان بسذاجة: «لم يحدث أن سمعت بذلك».

يشاع اليوم أننا سوف نحصل على رخصة كل أربعة أشهر، وسوف ينطلق الشروع في التناوب بداية من الأول من نوفمبر. أسعدني هذا. شيء من الانفعال المُبهِج؛ فهذا يجعلني أنتظر شيئا ما، عوض أن لا أنتظر أي شيء: تسيل الأيام فوقي بركة دبقة؛ لقد أغرقني الوقت. ربما من أجل لاشيء – لاشيء إطلاقا– في انتظار أن يتبدَّى لي الوقت قصيرا جدا.

بخصوص الشجار الذي دار بيني وبين «الرقيب أول نودين» هذا الصباح: فكرت في الحوافز والدوافع. سأحاول أن أوضح هذا عند المساء لما أكون في نوبة الحراسة.

ينفعني هذا الدفتر لأنه يدربني، إن أمكنني قول هذا، على التفكير عفويا. لقد كنت منهجيا إلى أبعد حد. لقد كان بإمكاني أن أكتب نظرية كاملة حول الحرب بسهولة، منطلقا من المبادئ للوصول إلى آخر النتائج. وعوض أن أضع أفكاري هنا كما تأتيني، لا أخفي أن هناك تناقضات فيما فكرت فيه حول الوجود –في- الحرب في يوم كذا أو يوم كذا. لكن الأمر سيان عندي؛ لا أريد أن أصوغ نظرية حول الحرب، إنما هي اكتشافات. والحق يقال، لم أكتشف أي شيء إلى حد الآن.

حرب مُريحة: تلك هي الكلمة التي لم يتجرأ الطارو على قولها في مقالته.

إشاعة أخرى: سوف نرحل إلى تركيا[160]. مصدر هذه الإشاعة أن فرقة مجاورة لنا من المارسيليين تمَ إرسالها إلى سوريا.

الثلاثاء 24

الحوافزوالدوافع

إليكم مخطط الحادثة الصغيرة التي جرت بالأمس: وصلت الساعة 7 و30 إلى قاعة المدرسة. أبصرت «الرقيب أول نودين» (الذين تعودنا أن نتبادل معه سبابا وشتائم بشكل ودِّي). قال لي بصوت منتحب ومُهدّد: «انظروا لهذا، انظر إلى متاعكوكل شؤونك! وهذا! وهذا يا صاحبي. لا بد من ترتيب كل هذا أو سوف يتم نكاحنا جميعا». أزعجني فأجبته (بنبرة بدت لي حادة): «أنت بهذا الشكل تجعلني أفقد عقلي، اهتم بأمورك، إن كان لا يعجبهم متاعيفإنهم سوف يسخطون عليَّ أنا، ولا شأن لهم بك أنت». عندها أصابه غيظ عظيم ودمدم: «لقدطلبت منك بكل لطف أن تعيد ترتيب متاعك، وهاأنت تهينني. يا صاحبي لقد كنت إلى حد الآن طيبا إلى حد الغباء معك، ولكن إلى هنا سيتغير الأمر، وسوف أجعلك تأكل القاذورات». أجبته: «أنت تتكلم مثل النقيب تيبو». إنه لشيء مقزز أن نكون أصدقاء عندما ترغب في ذلك، وتكون قائدا حين تكف الرغبة في الصداقة». شجار عارم. يؤاخذني الرفاق على تجاوزتي الخاطئة. ولأنني وجدتني محاصرا بهذا الجحود العام، جعلتني في مزاج النادم؛ وبالتالي تمييز الدوافع والحوافز في سيرتي وسيرة «نودين».

1 . نودين: **حافز**: يمكن للفوضى في القاعة أن تزعج أحد الرؤساء. سوف نتحمل جميعنا المسؤولية وخاصة المساعد والرقيب أول؛ فمن البديهي أن الحافز منطقي، بل هو مُدرك في فوضى القاعة. إنه هنا، خارج علينا، مرئي ومقلق. وبطبيعة الحال، ليس الحافز هو ما يضايقني. أنا بالأساس أعرف ما هو شرعي حين أجبت: «اهتم بأمور كإن كان لا يعجبهم متاعي فإنهم سوف يسخطون عليَّ أنا». أعرف أنني سيّئ النية،

---

160. أمضت فرنسا وانجلترا اتفاق تحالف قبل أربعة أيام.

بل إن نظرة واحدة على مكاني تجعلني أرى هذا الحافز بشكل جلي. ما الذي أعيبه إذن على «نودين»؟ بالتدقيق، إنه لم يقل ذلك بشكل «مهذب» كما يدَّعي؛ فهو لم يستعرض الحافز بشكل حيادي، ولكن لوَّنه بعاطفته الذاتية. هكذا ندخل مجال الدافع؛ أي الذاتية. يزعجني الحافز لأنّه متَّسخ بالذاتية، غير أنّه لا بد من أن أسوق ملاحظة في هذا الصدد: ليست الذاتية المطلقة لـ «نودين»، التي لا يراها إلا هو، هي ذاتية لي أنا، بل إنها ذاتية موضوعية أيضا بشكل من الأشكال بما أنه يمكنني أن أستدعي شخصا ثالثا ليلاحظ ذلك («هل لاحظتم بأية نبرة حدثني!») إنها ذاتية ثاقبة في الأشياء، في مزاج الرأس، في نبرة الصوت. تُطلعني هذه الذاتية على الدوافع (من الممكن أن أكون مخطئا طبعا؛ فالأمر يتعلق بمعرفة نسبية).

الدوافع: أقرِّب ملاحظة «نودين» من ملاحظة أخرى تمت البارحة في شأن «بيتر» لأنه عاد متأخرا (وبعض السوابق الأخرى). لن أضيف أشياء أخرى لألخص أنه ذو طبع نَحَّاب، متطلب، خواف. أتذكر في نفس الوقت أنه أبدى غيرته البارحة من «بول»؛ بول الموظف الذي يستلم مرتَّبه الشهري في الحرب؛ ففي الصباح في حدود السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وأنا في طريقي لتناول إفطار الصباح، عاب علي بنبرة مداعبة أنني «أعيش عالة على الدولة». أتخيل جيدا أنه أدرك فوضى متاعي بعقلية عدم الحرص. لن يستدعي الأمر المزيد من توضيح أن الحافز، الذي ينخرط إلى حد الآن في الواقع، صار مقطوعا، معزولا، مفصولا عن الواقع، وتبخر مدعوما بعاطفة «نودين» فقط. في المحصلة أن انزعاجي يتأتى من اتهامي له أنه تحدث عن خوف، وعن غيرة، وعن حرقة، وعن اهتمام، إلخ، وليس من أجل الترتيب الجيد للغرفة، ليتَّقي مزاج أسياده السيئ، إلخ. عوض أن تندغم حركة «نودين» ضمن سلسلة النهايات المنطقية، هاهي تلتصق بسلسة المسببات. لقد بدت لي هذه الحركة أشبه بعبثية وكذب، بما أنه يشير إلى نهاية، لكنها ليست نهاية لهذه النهاية.

منذ الآن، وقبل المرور الى امتحان الحوافز والدوافع عندي- وهو ما سيكون أكثر تعقيدا- يمكن أن نستخرج بعض الحكم.

ما هو الحافز؟

أستنتج أولا هوية الحافز وما سوف أسميه الوصف الفني للحركة. ترتكز هذه الحركة على إبراز لحظات الفعل ومعانيها: الطريقة التي ننشر بها الخشب، والتي نقتطع بها الحطب من أجل إعداد طبق في المطبخ، إلخ. يُسمى المصنف في الأوصاف الفنية/ التقنية موجزا فنيا. غير أنه من الممكن أن نسمي هذا الموجز الفني، في النهاية، مصنف الحوافز. بالفعل، كل حافز يُغلِّف الإشارات الضرورية لتحقيق نهاية. مثال ذلك: حين يعتبر «نودين» فوضى متاعي حافز او من واجبي أن أصلحه، فإنما يعتبره كذلك هو من وجهة نظره الشخصية وبمعناه المخصوص. ليست هذه الفوضى أي فوضى؛ بل هي فوضى في قاعة درس على صلة بالطاولات والمقاعد، على صلة بترتيب بقية الأمتعة، على صلة بالانضباط العسكري. تخطط هذه الفوضى في الجوف لترتيب ما. تحصر فوضى ركام بعض الأشياء على الطاولة من إمكانية أن تكون مرتبة تحت نفس الطاولة. لذلك ليس الحافز شيئا آخر سوى الإمساك الحدسي بترتيب ما، قبل التخطيط للأشياء، والذي يستطيع أو يجب أن يتحقق فنيا/ تقنيا من خلال النشاط البشري (كيف يمكن النظر لفوضى متاعي من خلال وجهة نظر ظرفنا العسكري؛ وهو ما يتضمن وضعها مرتبة، ولكن وفق وصفات فنية/ تقنية مخصوصة، وصفات عسكرية...).

لنعتبر أن هذا النّظام ما قبل التخطيط للأشياء هو تركيب من عاملين (1* طبيعة الأشياء وعاداتها، والروابط المنطقية بين طبيعتها. عروق الخشب، مقاومة الحجر، طيات القماش، إلخ؛ (2* الهدف النهائي من النشاط. لكن يجب الملاحظة أن التركيب صلب بما أن الطبائع المميزة للأشياء تنكشف عند الغاية النهائية في حركة النشاط ذاته. من خلال فعل قطع الحطب، ينكشف معنى أنه يجب شقه؛ وبالتالي شق عروقه. وهذه العروق لن تمنح نفسها معناها الموضوعي بشكل آخر مثل الوحدة الرئيسة لضربات الفأس. ناهيك عن أن الحافز لن يكون معزولا؛ بل يحتوي في داخله على حوافز أكثر امتدادا، ولأكمل، هو حافز أخير- أو بالأحرى نهاية أخيرة لم تعد حافزا، بل هي الوجود-من أجل-الإنسان. مثال ذلك: حين يريد مني «نودين» إعادة ترتيب متاعي من حولي، فهذا الحافز هو في اتجاه وضعية أكثر عمومية. المقصود منها:

إننا عسكريون. لكننا عسكريون في «الحرب»، لأن للحرب متطلبات غير تلك التي موجودة في السلم، إلخ. في النهاية يحيل حافز ما على عالم بأكمله، وعلى وضعنا في العالم. إن الحافز هو القبض الموضوعي على بنية واقع في الوجود-في- عالم الواقع البشري وأيضا من خلاله. توجد طبيعة الشيء في الحافز، غير أنها، وكما هي عليه، تشير لطبائع هي بدورها تشيرأخيرا للشخص ومحيطه والإنسانية. لا يمكن معرفة الحافزمن خلال الإدراك فقط، بل يمكن مقاربته حدسيا من خلال الشخص كلية؛ حيث يعرف، ويعاش، ويتصرف، ويتألم في ذات الوقت.

لن نستخلص من كل هذا أنه ذاتي و«في الداخل»؛ لأن التوضيب الشامل والمعقد للحوافز ليس شيئا آخر سوى العالم كما هو حين يتكشَّف للواقع البشري- وليس لك أنت، وليس لي أنا، وإنما للواقع البشري. موضوعية الأشياء هي في أن تكون صالحة للاستعمال، أن تشتمل في داخلها على حوافزها؛ أي أن تكشف نفسها كإشارات نحو استعمال ما، وتتعامل معه وفق الظرف. من البديهي أن يختلف الحافز حسب الوضعية، لكن الأشياء تكتشف أنواعا مختلفة ومتكاملة حسب الوضعية. فالحافز إذن هو تركيب للعلاقات الرابطة بين مجموعة من الأشياء المُحدَّدة والمملوءة بالطبيعة، تركيب مكشوف في ضوء وضعية ما، ويشير بذلك إلى ما وراء هذه الوضعية. هو موضوعي ومُدرك في الفعل نفسه لعيش الوضعية (المقصود أن أي شخص في مثل هذه الوضعيات يستطيع – أو بإمكانه بعد تربية ما- أن يحصل على نفس الحوافز). لذلك فالحوافز في الخارج حقائق موضوعية مثلها مثل الأشياء نفسها، مثل القيم تماما. والحوافز الأعلى قيمة هي في الخارج أيضا، كما الحقائق الرياضية. حين يقول «آرون» مثلا: «الحافز الذي دفعني لدراسة التاريخ يتمثل في أني كنت أريد أن أفهم معنى أصول حزبي (حزب اليسار). يتعلق الأمر ببنية موضوعية ومتسامية للثقافة البشرية»[161]. يصارح نفسه بأن حزبه يجب أن يكون مفهوما؛ وهو لا يعني سوى إحدى بنيات فعل العيش داخل حزبه. الحزب الذي يمنح نفسه له كما لو أنه والطبيعة التاريخية والثقافية للحزب مكشوفة تحت ضوء الوجود-داخل- الحزب؛ وهو ما

---

161. انضم رايمون آرون في الحزب الاشتراكي في 1925 أو 1926 منذ مذكرات جوليار 1938.

يتضمن أن هذا الحزب مفهوم من التاريخ. لابد من أن يتم تسجيل هذا موضوعيا في مصنف «لفهم الأحزاب». سيكون بمثابة وصفة فنية/ تقنية. غير أن الوصفات الفنية/ التقنية هي حوافز ميتة؛ بينما الحافز وصفة معيشة على ضوء وضعية ما.

ما هو الدافع؟

لا يمكن للتمعن في حال «نودين» أن يوفر لي إشارات كافية حول الدوافع. لابد من العودة لي أنا، لكن بإمكاني أن أحصل على بعض المعلومات. استنتجت في الأول أن انزعاجي لا يقوم على الحافز. في العمق، أجدني متفقا مع «نودين» حول الحافز؛ بل إني أدرك بوضوح هذه الفوضى. وإن ادَّعيت أن الخطأ يقع عليَّ أنا وحدي، أعرف جيدا، في اللحظة التي أقول فيها ذلك، أني سيء النيِّة. إذن يمكن لمحادثة أن تجعلنا متفقين. لا: فما أقلقني قبل كل تمعن في الحافز، ما أوصلني لوضع إلحاحه في الشكِّ هو الطريقة التي أدمج فيها الحافز في المسألة؛ ولنقل بأكثر وضوح: إنها الطريقة التي افترضت من خلالها بسرعة أن الحافز حضر في ذهن «نودين». هي إذن النبرة والظروف التي أحالتني على إدراك الحافز، وطريقة إدراك «نودين» لهذا الحافز هي التي وضعت هذا الحافز في محل ريبة بالنسبة إلي. لكن ماذا يعني كل هذا؟ هل يعني هذا بالنسبة إلي أن الحافز مجرد مبرر. يمكن أن نصدق ذلك من خلال جمل من هذا النوع (كان بإمكاني أن أتفوَّه بها): «لقد فعل هذا لإثارة غيظي». في الواقع، لا أفكر في هذا بما أنني بالأساس أعترف بصلاحية الحافز. فقط أحلت أشياء مرئية للعين كي يراها هو. كما لو أنهم يقولون لي: ينظر هذا الرجل إلى زنبقات جميلة، فأجيب: نعم، ولكن لديه عينان نذلتان. وهوما لن يكون عبثيا، حين نفكر فيه، حتى إننا نصدقه للوهلة الأولى (لا نتحدث عن نظرات ملوِّثة). لذلك، لن يكون الدافع شيئا آخر سوى طريقة إدراك الحافز. في المحصلة، سيجيب عن سؤال: لماذا يرى؟ بـ: ولكن لأن له عينين. وعن سؤال: لماذا تَمَسَّك بهذا الاتصال الموضوعي بالحوافز؟ بـ: لأن له دافعا ما.

غير أنه ما دام بإمكان العين أن ترى ما هو مرئي ولا ترى نفسها، فكذلك هو الدافع؛ طريقة إدراك الحافز لا تتميز عن أسلوب الإدراك؛ فهو إدراك للحافز وليس للإدراك. هل هو إذن غير واع؟ سنرى ذلك من خلال معالجة دوافعي وحوافزي. ما يمكن أن

نراه منذ الآن، أنه يمكن أن يكون الحافزا بديهيا وصحيحا لنفس الفعل - والدافع مُوبَّخٌ وتافه. يحدث كل شيء كما لو أن عالم الواقع-البشري هو اتصال لا نهائي للحوافز، لاقتطاع أحد هذه الحوافز أو إيقافه والإمساك به في استثناء عن الحوافز الأخرى، لابد من عضو بصري. هذا العضو البصري لابد أن يكون مخصَّصا لكل إمساك حدسي للحافز؛ وهذا هو الدافع. ومن هنا تظهر خلاصة فورية صالحة: ليس هناك حافز بدون دافع. من هنا التفسير المزعج لنوع من الجدل الفارغ والمخرج الجدلي: يقدمون حافزا، ودون التفضل بمعالجته، يُتهم الدافع مباشرة. ومن الامثلة على ذلك مثل الشيوعيون؛ حيث نقدِّم لهم حافزا بعدم الانخراط في الشيوعية أو الحذر من حركتها، وإن تعذَّر دحض الحجة يجيبون: تقول هذا لأنك بورجوازي. معهم حق: لأنني فعلا بورجوازي(دافع) لا أريد أن أنخرط في ديكتاتورية؛ لأنها تصنع بروليتاريا (حافز). غير أنَّ القضية ليست هنا. كان يكفيهم أن يكتشفوا ذاتية الدافع ليصلوا إلى الذاتية. (وبالتالي عدم صلاحية) الحافز. لكن، في الواقع تبقى ضرورة إثبات ذلك. هذا هو إذن تقريبا ما فعلته في مشاجرتي مع «نودين».

2.أنا: ما يهمنا الآن في المحصلة خاصة، هو النظر فيما هو دافع الداخل. الدافع هو أنا نفسي، متوجسا في مركب عاطفي-نشط- عرفاني لمعيش الحافز. يتعلق الأمر بنوع قصدي، مركب، وخاص. حين أرد الفعل بشكل حيوي على «نودين»، إنما أرد الفعل على موقفه، على نبرته التي تفضح (وفق ما أعتقد) غيرته، حقارته المُدقَّقة وخوفه. نفهم جيدا أنني أمسك حدسيا سيرته، ولكن ليس إطلاقا عبر فهمٍ حياتي وبارد، كما لو لم أكن أنا نفسي معنيا. إنني أفهم سيرته باعتبارها حافزا لإثارة سخطي، ولأن أردَّ عليه بقوة. وهوما يعني طبعا-لأنه لا يمكن تخيل أنني قيَّمتُ تصرفه بشكل بارد وفيما بعد شعرت بالسخط-أنني من خلال سخطي ومن خلال أجوبتي الغاضبة اتخذت موقفا يمكن تسميته ردا. طبعا لم يكن الحافز مدروسا، لقد ظل حول «نودين»، بل كان «نودين» ذاته. كذلك هو تصرفي، فقد تفاعل كما لو أنه فَطانة كاشفة للحافز، يتكيَف معه هذا الحافز بشكل يصبح فيما بعد هو مبرره، بشكل يصبح معه الحافز وحدة موضوعاتية لتصرفي ولدلالته. وإن أردنا بشكل عام العثور على حافز منسيٍّ لتصرف سابق، يكفي استعادة هذا التصرف في الذاكرة: هو يحمل معناه في داخله. ليس هذا صحيحا دائما، لكن

التصرف فقد شيئا ما، إنه كلام مبهم أضعنا مفتاحه. هذا الإدراك لموقف «نودين» من خلال هذا المركب؛ حيث تلعب الحركة أهم الأدوار فيه (من خلال الطرق، ندرك الأفضل في طبيعة المطرقة - «هايدجير») لا يمكن أن تظفر بشيء منه سوى وعي غير مطلق [162]؛ لأنه إدراك لموقف «نودين». ليس هناك في الوقت الحاضر سوى وعي بالموقف لتوبيخه، ومعاقبته، إلخ. هل هذا الوعي إذن هو نفسه دافع حركتي نحوه؛ فهي في بنيتها العقلية [163] إدراك ذاتي للحافز. فليكن. لكن ماذا لو لم يكن للوعي من ذاته سوى وعي غير مطلق، في هذه الحالة لن تعرف نفسها. يبقى ضرورة اللجوء إلى وعي انعكاسي مُسيَّر وفق الوعي-الدافع. يعلمني هذا الوعي الانعكاسي مثلا أنني حاضر الآن بغضب، إلخ. يكشف لي بشكل ما ذاتيتي. غير أن هذا الوعي غير ممكن دائما، وحين نعمل أغلب الوقت على تقييم تصرفنا، نجد أنفسنا في حضرة لعب أفعال منقضية لم يكن من الممكن معالجة رد فعلها. وإذن؟ إذن يبدو أن تصرفي ذاته، باعتباره موضوعا مرئيا، يمكن إدراكه عبر الحواس (بمعنى أسمع فيه كلماتي في الوقت الذي أنطقها، أو أرى بعض حركاتي حين أقوم بها) يحمل في داخله معنى ثان، كلٌّ مدروس ثانوي مُعطى لي في نفس الوقت مع الكل الأول أو الحافز. بهذا المعنى نقول لشخص ما: «أنت لا تصغي لنفسك». أو «انظر لنفسك في المرآة». مثال ذلك، هناك الكثير من التحامل أو الشدة في جوابي.

قال لي رفاقي إن نبرتي كانت قاسية وحادة في الشتم. بإعادة النظر في تصرفي، واستعادتي لصوتي على ضوء أقوالهم اكتشفت حقا أن هناك قسوة جارحة في نبرتي، بل في كامل موقفي. بل إن بعض الجمل التي تفوهت بها بدت لي (بدت لي منذ أن سمعتها) غير ملائمة. مثال ذلك: «اهتم بما يعنيك».

هاهي إذن مجموعة من العلامات التي يمكن تأويلها. ما الذي أمتلكه من أدوات لفك شفراتها؟ أمتلك آراء الآخرين؛ تلك المخزنة في أيامي السابقة («غيي» - «الكاستور») لصالحي، وأيضا إعادة النظر في الوضعية بعد حدوثها بقليل. تُقدّم لي إعادة

162. أو بدون موقف (في جهة ما): وعي لا يعود على نفسه ليطرح وجود ما هو واع به. وما هو موضع السؤال هنا هي لا يطرح نفسه بنفسه باعتباره وعيا بموقف نودين.

163. انظر صفحة 114 تدوينة 1.

النظر هذه، الحافز الصافي-لكنه ميت. لم أعد هائجا، لن أدرك الحافز من خلال الحركة، بل سأدرسه ثم سأقيمه. يمكن للمسافة بين الحاجز، كما ظهر لي بدم بارد، وما هو بالنسبة لي حين عشته أن تُقدِّم لي الحافز[164]. كيف يمكنني في هذا الظرف استعمال مجموع هذه المعلومات لإعادة بناء الحافز؟ يجب أولا- أول ما استحضرته في ذهن -أنأستعيد أقوال «غيي» و«الكاستور»؛ أنا سيّئ المزاج دائما عند الصباح، فالأمر يتعلق جيدا بمعلومة خارجية؛ لأنه طالما أنا لوحدي، فهذا المزاج السيء لن يبدو لي إلا كحالة شعرية شريكة معي. هذا ما أسميه سابقا وجودا «داخليا». غير أن مجرد رِؤية أحد الرفاق يُخرجني عن طوري. لكنها في تلك اللحظة، هي بالنسبة لي حدس لأسلوب الرفيق، وليس لمزاجي الخاص. على هذا سوف أضيف، متابعا غوايتي في إعادة بناء الدوافع، أني كنت في مناوبة حراسة البارحة ولم أنم جيدا. ها هو إذن دافع أول: إنني سيّئ المزاج كل صباح، إضافة إلى أنني لم أنم جيدا البارحة. غير أننا نرى أن هذا الدافع الوحيد المتوقع يتركب من طبقتين في الدلالة مختلفين جدا ولا يمكن هضمهما. الطبقة الأولى هي تأكيد من «الكاستور» و«غيي». وهي بالنسبة إلي طبعا معرفة عن طريق السماع، ولها على الأقل معنى نفسي، وترتكز على ملاحظة عامة ملموسة وحدسية تعود «الكاستور» و«غيي» أن يكرراها بشكل متجدد متى أرادا. والنتيجة هي استنتاج بائن (بالمعنى الذي أشار إليه «ياسبرس»[165]؛ الارتباط: نعاس عند الصباح – سوء مزاج؛ وهذا بالفعل نوع يمكن تفهمه. الآخر ارتباط سببي: أن أقول إنني في مزاج سيّئ لأنني لم أنم جيدا البارحة لا يستوجب أي فهم، ولكن مجرد مسلَّمات فيزيولوجية ونهائية (من نوع: حين لا نأخذ حصتنا من النوم كاملة يسوء الأمر؛ حين يسوء الأمرتسوء علاقتنا بأنفسنا ونصير بمزاج سيّئ، إلخ). الإثارة النفسية لـ «غيي» و«الكاستور» قابلة للفهم؛ لأن يقظاتي الصباحية مُدرَكة بشكل منطقي (عينان متوردتان، شعر أشعث، حركات تائهة وغير متلائمة). يُشكِّل هذا كلاّ ينضاف إليه مزاجي السّيئ (خشونة – عدم تفاعل، إلخ). والجميع يفهم هذا كله. الارتباط بين نوم سيّئ – مزاج سيّئ (مثل أوجاع المعدة – مزاج سيّئ، إلخ) هو استنتاج بسيط (بل هي غرامة بكفالة) لمتتاليات متواصلة. رغم أن الدافع المتكون من

164. يبدو إنه؛ كنا ننتظر هنا دافعا وليس حافزا.

165. كارل ياسبرس هو بالأساس مؤلف علم النفس المرضي العام 1928.

معلومات ذات طابع مختلف واستقراءات متعددة يمكن قبوله كما تم تصوره فيزيولوجيا ونفسيا. سوف يقبل به الجميع؛ وسنرى بعد قليل ماذا يعني ذلك.

لن أقتصر على هذا الدافع الأول فقط، سوف أكتشف أنني خرجت إلى الحرب بفكرة أن أكون رجلا بين الرجال؛ أنا الذي عشت عشر سنوات من حياتي بين النساء ومعهن. أن أكون رجلا بين الرجال يعني هذا بالنسبة إلي أن أكون صلبا. تفكير غبي، لكنني لم أفكر في هذا بعمق أبدا، هي فكرة كامنة في داخلي. أن تكون صعبا فمن الطبيعي أن ذلك يعني: أن لا أشتكي، لا يجب تجنب الضربات القوية بسبب الجبن-ولكن أيضا: أن لا تترك أحدهم يدوسك بقدميه. بل لقد اكتشفت شيئا من الفظاظة بداخلي في سياق علاقاتي مع رفاقي الثلاثة. هذه الفظاظةهي التي أظهرتها هنا. ماهي العلامة الموضوعية في تصرفي هذا الصباح، والتي يمكن بناءً عليها أن تسمح لي بهذا التأويل؟ في الحقيقة شيء من الاندفاع للتحامل، شيء من فقدان التوازن الفوري، كما لو أن شيئا ما في داخلي كان يتهيأ للانفجار وينتظر الفرصة. إنْ بدا لي «نودين» سمج الطباع، كنت سوف أقول: إنني كنت متهيئا للتحامل عليه؛ وهو ما نسميه عادة أن تكون «ساخطا» على شخص ما. لكن، وللتوضيح، فـ «نودين» الشيطان الأكبر، الشرس السائب، كان يبدو لي دائما ودودا. أستخلص من كل هذا، إذن، أنني كنت ساخطا على كل الرجال. إن رغبت في ذلك، سوف أكمل هذا اللهو الصغير فأوسع دائرة تأويلي ملاحظا أنني أقصد بهذه القسوة كل علاقاتي مع الشباب المحيطين بي في المدرسة العليا [للأساتذة]. كتبت وقتها رواية بطلها اسمه «فريديريك»؛ وهو نيتشوي قاس وكان «غيي» يسميني **«فريدريك المهيب»**[166]. رأيت فيه شيئا ثابتا من طباعي. وإنْ أردت أن أذهب أبعد من هذا، وللقيام بتفسير من نوع التحليل النفسي، أستطيع ملاحظة ما يلي: 1 *إلى حد السنة الرابعة، كنت الطفل المدلل للنساء والابن النابغة، من النوع اللطيف والمفكر، صحبة رفاق صغار مثقفين، ونفس الشيء نوابغ؛ (2 * كنت في سن الرابعة أيضا معرضا للضرب والهزيمة بشدة من صغار «أشداء» في لاروشيل. آلام-أوجاع لمدة سنتين. بعد ذلك، حين وجدت نفسي في باريس، تماسكت وشرعت في الدراسة في قسم الخطابة

166. عنوان هذه الرواية: هزيمة؛ مستوحاة من العلاقات بين الشاب فريديريك نيتشة وريتشارد فاغنر. ..كتابات الشباب.

[167]، وتعمدت أن أكون غليظا: «حتى لا يتكرر الأمر». يتعلق الأمر إذن برد فعل دفاعي، ومن موقع كبرياء طفل عانى في وقت ما من الآخرين أنداده؛ وها هو الآن يتصرف بفظاظة، ولسوف يحتفظ كل حياته بهذه الفظاظة الشرسة والمتحدية تجاهالرجال، وهذه العزيمة في أن لا ينال منه الآخرون. فليكن. غير أن هذا التفسير يفقد نسبيته وهو يتوسع. في نقطة الانطلاق الأولى هناك علاقة نسبية للفهم بين فظاظتي تجاه رفاقي وتحاملي المندفع على «نودين». فهذا مقبول شيئا ما. لكن يجب ملاحظة أن الحافز «فظاظة» تجاه الرفاق، مع التفسير الذي يوضحه، (أن أظهر لنفسي أنني مرتاح مع الرجال كما مع النساء)، هو نفسه مبنيٌّ باعتباره وحدة موضوعاتية ثانوية لبعض تصرفاتي. هناك إذن هنا بناء من الدرجة الثانية. إن التقارب بين فظاظتي في المدرسة العليا وهنا هو تشابه محض وله قيمة تماثلية محض: تشابه في الوضعيات (المدرسة العليا-الحرب: حياة الأديرة وسط الرجال) تشابه في التصرفات؛ ومن هناك أستنتج عنصرا ثابتا [في سلوكاتي]. لكن الفروق هي أكثر وضوحا (في المدرسة العليا لم أكن في خطر، كنت محاطا بمجموعة من الأصدقاء الذين أحبهم؛ كما أنني كنت لا أزال وقتها في ميعة الشباب. أليس منبع هذه الفظاظة من مجرد تهور الشباب، إلخ). أخيرا، إنْ عدت إلى مرحلة مراهقتي، سأغادر ميدان وصف الدوافع إلى تفسيرها. ومهما كانت عدواتي من حيث المبدأ ضد الأسباب النفسانية، فها أنا ذا أدمج المادة السببية للتحليل النفسي: مركب نقص -دفاع نفساني-تعويض إلخ. (وبطبيعة الحال من الممكن الذهاب إلى الأبعد أيضا). ها نحن هنا مجددا في حضور دافع هو في الظاهر واحد، غير أنه في الحقيقة مركب من عدة طبقات ذات علاقات دالة: الأولى هي ارتباط قابل للفهم -والثانية هي استقراء قائم على التشابه (محض تعميمات لترددات غيركافية أصلا) -والثالثة هي تفسير سببي قائم على نموذج آلي للتفاعلات السيكولوجية (دفع، نقل، إلخ يمكن أن تتشكل من خلال قوى). ليس هناك تجانس داخل الدافع[168].

وفي الأخير، هناك اقتراح ثالث حول الدافع تقدم به «بول» خلال المحادثة التالية.

167. أو الفصل الأول في المعاهد.

168. تحليل بأكثر عمق للحوافز والدوافع في كتاب الوجود والعدم الجزء الرابع الفصل الأول غاليمار 1943.

الدفتر الثالث

نوفمبر-

ديسمبر 1939

بروماث-مورسبرون



12 نوفمبر (يتبع)

«... [كما] لو أن مجموع شخصيته تمَّ حملها بدون نقلها من مكان إلى آخر. كان الأمر يتعلق بالنظر أكثر منه بالتنفس، بالأفكار أكثر من الأعضاء. لاشيء، لا في الداخل ولا في الخارج يتيح أن يُدرَك بنفس الطريقة التي كان يُدرك بها في الماضي[169]».

يبقى أن جغرافيته، روحه المجتمعية وطبيعانيته القياسية، يجرانه إلى إفساد هذا التأثير عليه: «الخوف من الخنادق منتوج محلي، مثل قَملة الخنادق لا تتكاثر إلا عند الخط الأول». هذا ما يمكن تسميته بالغباء: أية حاجة يمكن أن تدفعه ليجعل من هذا الخوف جهازا مستقلا بذاته، شبيه بدودة تحتاج إلى ظروف مناخية متميزة لتتكاثر؟ في حين أنه فهم تقريبا -فهم تماما لحظة- أن هذا الخوف كان العضو؛ المعنى الذي من خلاله يدرك الإنسان عالم الخنادق.

---

169. مقولة لجول رومان (استهلال لفردين الجزء 15 ناس العزيمة الطيبة فلاماريون1938). الفقرة من كتاب رومان تبدأ هكذا:" أظهر جرفانيون تغيرا في حالته. انفعال خاص جدا سرعان ما عرفه لأن له تجربة سابقة معه. كما لو مجموع..."بداية هذا النص مذكورة في الدفتر الثاني المفقود.

الصفحة 12 (نفس المصدر): «اكتشف الرؤساء أنه لكي نهاجم ونعطي لأنفسنا فرصة الانتصار، فلا يمكن لأية ندرة في المادة، لأي كمال تقني للأداة اعتباره شيئا زائدا، ولن يكون كاف للدفاع. بالعكس، فالمواد الأشد بساطة، والأشياء الملقاة هنا وهناك، وحيل قديمة مثل العالم، وأكسسوارات منحطة في ابتذالها تبرز بوضوح مواردها: الأرض المحفورة برفوش بسيطة، والحقائب، والصناديق المملوءة بالحصى أو بكتل تراب، والأغصان المضغوطة في الصلصال المعروك، والأسلاك الشوكية».
بصفة عامة، هذا ما دوَّنته في الدفتر السابق: التدمير يدمِّر نفسه. إنْ أردنا تدمير المُدمِّر (طلقات المدفعية المضادة)، نقع في فخامة الوسائل التي تحمل في ذاتها موتها الخاص. لكن إن أردنا أن ننجز عملنا بوصفنا رجالا؛ أي نتفادى التدمير، فالقليل من الوسائل كافٍ – مثل ذاك الملاذ البسيط جدا الذي يقينا من الريح العظيمة جدا. ينزع التدمير الاصطناعي من خلال نفسه ليصبح شبيها بقوة طبيعية (تبديد القذائف، إلخ)، وينزع مثل الطبيعة نحو تعويض الصدفة واللايقينية بفخامة الوسائل وعدد الحالات. بما أن التدمير أعمى فهو إحصائي.

لكل حاضر مستقبله الذي ينيره ويغيب معه؛ يصبح مستقبلا- ماضيا:

لكن أين هي مستقبَلات الزمن الماضي؟

هذا هو معنى العبارة الشهيرة: «كم كانت الجمهورية جميلة تحت حكم الامبراطورية! [(170)]». بعد 70 سنة، مستقبل الزمن الماضي للإمبراطورية الميتة هو الجمهورية، ولا نقصد بهذا إطلاقا جمهورية «جول فرري» و«غامبتا» [«ليون غامبيتا»، سياسي فرنسي عن الحزب الجمهوري 1870]؛ بلهي جمهورية أخرى، كانت مستقبلا فقط وحافظت على صفتها المستقبيلة وهي تنزلق في الماضي. كنت في يوم من أيام الربيع الماضي أتنزه بسانت-كلود على طول السكة الحديدية، فأبصرت محطة القطارات؛ أرصفتها، سككها، وسقف فراغرمادي مرتفع الحرارة لقطارات الضواحي. عشت لمدَّة زمنا ماضيا: سنتان قبل الآن، أصيبت الكاستور بذات الرئة

170. مزحة شهيرة قذف بها ألفونس أولارمؤرخ الثورة حوالي 1885.

وتم نقلها إلى عيادة سانت-كلود، كنت أذهب لزيارتها كل يوم. كان ذلك عند نهاية شغفي بـ «أولغا». كنت متوترا قلقا. أنتظر كل يوم اللحظة التي سوف أراها فيها، ولم أكن أعرف أي قرب مستحيل فيما وراء تلك اللحظة. ذلك الحب المستحيل، كان هو مستقبل تلك اللحظات النى أقضيِّها في محطة قطارات سانت كلود منتظرا القطار. وبالتالي فقد عشت ذلك الزمن في هذا اليوم من الربيع الأخير بشكل شاعرى طاعن وناعم. غير أن ما أحياه مجددا، هو مستقبله في ذلك الزمن. ما أعيد مشاهدته مجددا هو سانت-كلود في اتجاه باريس، في اتجاه مونبارناس للقاء «أولغا». وها أنا ذا اليوم لدي مستقبل آخر، آمال أخرى، وقصص حب أخرى[171]. لاشيء أشد إثارة للانفعال من تلك اللحظة التي أتجاوز فيها مستقبلي الحي، باريس والناس الذين ينتظرونني في أفق سانت-كلود، لأتأمّل لحظة هذا المستقبل الميت. وبالفعل هومستقبل ميت أكثر منه متابعة لحاضر منذثر، كنا ذهبنا نبحث عنه في روان السنة الماضية أنا والكاستور.

حين رحلت في سبتمبر، كان لكل لحظة مستقبلها اللانهائي والبعيد: نهاية الحرب. وهذا المستقبل البعيد والمتفلِّت يجعل من الحاضر ثقيلا؛ فكلما كان المستقبل خفيفا أصبح الحاضر ثقيلا. ثم يتلاشى هذا المستقبل شيئا فشيئا، لم يعد لي سوى مستقبل يومي ثم بعض العلامات: الزيارات، والرخصة القادمة؛ وهذا كاف ليجعل الحياة محتملة جدا.

الاثنين 13 نوفمبر

عبارة رائعة تلك التي نسبها «جول رومان» إلى «مايكوسين»؛[172] (ذاك الذي لا يحب الفرنسيين ولكن يعشق بعمق باريس): «الرجال مثلهم مثل النحل، قيمة منتوجهم أفضل منهم».

---

171. رسالة إلى الكاستور بتاريخ ذلك اليوم؛ الجزء الأول.

172. في استهلال لفردين.

يستولي على كل واحد منا، مساعد كان أو رقيب أو جندي، إحساس خجول عند قراءة رسالة أو استعادة ذكرى؛ حيث يشرع في الحديث عن أصدقائه، عن ماضيه، عن حياته المدنية. يقع كل هذا في صمت قبريٍّ. البقية يكتبون، ينظرون عبر النافذة غير مهتمين إطلاقا. يبدو صوت الشخص الذي يتذكر نحيفا، ثم ينتهي بالانطفاء تماما بسبب استهلاكه، أما الشخص فيظل ممنوعا، ميتا. ترتسم على شفتيه ابتسامة غامضة متضايقة، ثم يلتفت ويعود إلى العمل.

يتحدث كل من المساعد، والرقيب- أول «نودين»، والجندي عن السفر. يتحدث ثلاثتهم عن الرحيل بشكل بطولي؛ وهي بطولة تدفع بداخلهم الحماس.

قال المساعد، الرجل العسكري الساخر: «بإمانك يا صاحبي» هانغ «أن تذهب وتعترف في أي وقت شئت».

هانغ: «ولماذا أعترف؟».

نودين: «هل تعرف ماذا قالت زوجتك؟».

المساعد: «أنا لا أعترف؛ فلم أرتكب ذنوبا».

نودين: «أمّا بالنسبة إلي إن اشتعلت هناك، فسوف أذهب للاعتراف».

هانغ: «أين ستذهب؟»

نودين: «بالطبع! للاعتراف».

المساعد: «لا حاجة له إلى ذلك». ثم أضاف بلهجة وقار مصطنع محاولا التحكم في كلماته: «هناك خرق عام لكل شيء أثناء الحرب. لسنا في حاجة إلى اعتراف: مهما كانت عقيدتك أو حزبك فسوف تذهب مباشرة نحو السماء».

هانغ: «أوه! هو فردوس محمد إذا!»

انخرطوا في ضحك عام، ثم استمتعوا بفكرة أن «الرقيب-أول تيبو» البدين استحوذ عليه الخوف

هانغ: «يريد أن يأتي معنا للمراقبة».

نودين: «سترى! سترى!».

هانغ: «آه لو يأتـي، أتمنى لو تنطلق الطلقات».

أنا: «نعم، بشرط أن لا يطلقوا عليك أنت -ولا عليه هو لأنه لا أحد يتمنى موته – ولا موت أي شخص».

هانغ: «نعم، على بعد مائة مترا».

نودين، بنبرة حادَّة: «لا يجب تمنّي الموت لأحد».

المساعد: «سترى أيها البدين: حين تنفر قذيفة على بعد عشرين مترا منك، سوف أقدم له كرسيا وأقول له: يا «تيبو» البائس، اجلس فإنك تبدو مريضا».

تحدثوا عن الأعمال الشريرة للبدين، وفسر كل واحد منهم الحيل التي سيفعلها له في يوم من الأيام.

نودين: «أوه، لكن! هناك شخصان أو ثلاثة هنا، لا أريد أن أذكر أسماءهم؛ هؤلاء، سوف أنال منهم! هناك أوراق ضدهم، كل شيء مدوَّن ضدهم. لا يقولون أي شيء لأن في الأمر خطورة بالغة، غير أنهم يضايقوننا كثيرا، سوف ترى! سوف تخرج الأوراق، وما عليه إلا أن يجرد من رتبته ويحلق رأسه».

هانغ: «الأشرار عادة ما ينالون جزاءهم في الأخير».

نودين: «نعم يمكنك أن تقول هذا: حين تكون شريرا فعادة ما ينقلب الأمر ضدك».

الثلاثاء 14 نوفمبر

البارحة شعرت بألم في عيني وتوقفت عن العمل. في تلك اللحظة قال لي «بييتر» إن أحد أصدقائه كتب: «إنا مدهوشون وموجوعون من عدم الفهم ومنغيرة البعض». أزعجني هذا لأنفس الشخص كتب له نفس الجملة حرفيا منذ شهر. إنه تاجر في مركز للدفاعات الجوية على بعد خمسين كيلومترا من باريس في بلد ما. ينام الجماعة في

الوحل. على بعد 500متر من مدفعيتهم، هناك ما يقارب ستة منازل وبقالة. عثر هذا الشخص وأحد أصدقائه، وهو نادل مقهى بالكوبول، على امرأة جيدة يقيمان عندها وتطبخ لهما مقابل مائة فرنك في الشهر؛ فلا يتناولان فطور الصباح، ولا وجبة العشاء، ولا ينامان مع بقية أصدقائهما. إضافة إلى هذا، وبما أنهما على مقربة من باريس، فإن أخ نادل المقهى يزورهما مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع جالبا لهما دجاجة وبعض قنينات الخمر الجيد. زارته صديقته وقضى بصحبتها ليلة؛ وهوعادة ما يتلقّى هدايا فاخرة. وبعد كل هذا، يستغرب ويحزن لإثارة غيرة أصدقائه. أدليت برأيلـ «بيير»، ولم أجرؤ على إضافة أن هذا الشخص لو امتلك عُشُر المرح المهم والكريم الذي يمتلكه «بيير»، لو شارك أصدقاءه هداياه الفاخرة باحتداد ودي، لو أظهر صور صديقته واقترح المساعدة، متحدثا عن شؤونه بشيء من الحيادية النقدية، لكان فعلا سيكون مكروها. ردَّ «بيير» مستفَزّا: «هل تريد أن يكون هذا الشخص محروما من فراش خاص به، وامرأة، وأكل من أجل سعادة هؤلاء متبلدي الذهن الذين معه؟» أجبت: «طبعا، نعم»، وأعتقد أن ما صدمه ولم يستطع صياغته والتعبير عنه بشكل واضح هو أن وجود هذا الشخص مع متبلدي الذهن يفترض واجبات إضافية. قال: «نظريا هو شيء رائع، غير أن التطبيق...أنت تعيش نظريا، أما أنا فإنني تاجر؛ رجل عملي». قلتله: «اترك الآن لمرة أخيرة حكايات النظرية والتطبيق، لستَ عمليا، لا أقل ولا أكثر مني، فأنت في حاجة إليَّ». سرعان ما قدم «بيير» حجة أخرى متوقعة أكثر من الأولى: «في جميع الأحوالأنت لست كذلك». كان بإمكاني أن أجيبه: «ولنفترض أنني لست كذلك وأنني خنزير، لست أتحدث عني، ولكنيأتحدث عما يجب فعله». (ومن المؤكد أنه كان سيجيبني قائلا: جميل جدا أن نقول يجب فعل شيء ما، غير أنه من السهل أن لا نفعله، إلخ). غير أنني كنت متعبا وتركت نفسي أُجَرَّ في ساحة الاتهام والمنافحة- الساحة التي لا أشعر فيها بالارتياح على الاطلاق؛ لأنه ليس من عادتي الحديث عن نفسي، ولأن كبريائي تثور حالما يضعونني في قفص الاتهام، أجبت إذن: «لو أتيحت لي الفرصة أن أكون برفقة جنود المشاة[173]، سوف

173. الجنود المشاة، مصطلح في الجيش.

أفعل ذلك بالتأكيد، غير أن الأمر مغاير هنا».«بدأت أعرفك، قال «بييتر»، أنت لا تريد من يزعجك، تقضي كامل اليوم وأنت تكتب، وحين ترغب في الذهاب لتناول الأكل وحدك في المطعم، لا تعلمنا حتى بذلك». قلت له: «لأنني مع بورجوازيين، لا أريد أن أذهب ليضايقني بورجوازيون، وفي النهاية ليس عندي ما يمكن أن تروه».
هنا أخذت المحادثة منعطفا مفاجئا؛ فقد تساءل «بييتر» بشيء من الحدَّة المفاجئة: «لكن مادام تواجدك مع بورجوازيين يقرفك إلى هذه الدرجة، لماذا تبقى معهم؟».
بالفعل لماذا؟ أساس المسألة هناهو دائما نفس المشكل الاجتماعي الذي تحدثت عنه ذلك اليوم؛ دائما ذات لايقيني العميق. أجبت بالطريقة الأسهل والأشد كارثية: «لأنني في سنة 1929 ارتكبت خطأ بانضمامي لمصلحة الأرصاد الجوية؛ وهذا غباء أعترف بذلك». قهقه «بييتر» صائحا: «هههههه، أنت نذل إذن!». مغتاظا إلى أبعد حد من انتقادهم لخطأ متقادم جدا، ومن طريقتهم لدفعي للتضامن مع الشخص الذي كنته سنة 1929، أجبت برعونة: «لن تحاكمي بسبب حماقة ارتكبتها سنة 1929!».
كانت كبريائي هي التي جعلتني أتحدث، شعوري بالتطور، وتلك الطريقة في عدم التضامن مع ما كنته في القديم. أتوه في الحيرة كلما بدا أن أحدهم مصدوم باستمرارية أنايَ. بطبيعة الحال أنجذب للجواب اللاذع المتوقع: «هل تعلم لمن تشبه أنت؟ لذلك الشخص الذي سرق قطعة شوكولاطة، وبعد ثمانية أيام شرع في أكلها بشراهة وهويقول لنفسه: إنني سارق، نذل وأشعر بتبكيت الضمير. أمّا أنا فلأني أكثر صراحة منك، اعتمدت على الواسطة [في تعييني]، وأنا راض عن النتيجة وأقول ذلك». أنا: «لا أعرف لماذا تسمي هذا صراحة: أنت تخفي عن نفسك أنك مذل». بييتر: «لست نذلا. آه! في مجتمع تسود فيه العدالة، إن ارتكبت خطأ لحسابي يمكن أن أشعر بالندم، لكن في هذا العالم –هنا، أحدث نفسي أنني لست استثناء، وأن هناك خمسمائة ألف موصى عليهم مثلي، أني إذا لم أكن هنا في هذا المكان، لاحتله شخص آخر غيري. بينما أنت تقول عن نفسك إنك نذل، وهو أكثر فطنة، لكنك تستغل مثلي مزايا مصلحة الأرصاد الجوية. شخص يقول: «إنني نذل، ثم مَن سيرفض مثل هذه المزايا، ذاك الذي سينضم إلى المشاة، سوف أقول عنه إنه شخص صادق. لكن ماالذي يثبت أنه

شخص صادق». قال بييتر: «ثم هناك شيء ما يزعجني فيما قاله سارتر : إن سلكت هذه الجهة، عليك أن تضع نفسك في مستوى المعدمين. أنا: «لا، ولكن على مستوى الجماهير». بياتر: ثم هناك شيء آخر؛ أنا صريح بشكل دائم، سعيد أن أعلم أن زوجتي أعادت فتح محلها وهي تشتغل بشكل جيد. فهنا أيضا أنا محظوظ، لكن أنت أكثر حظا مني؛ إذ تستلم راتبك بانتظام. خلال كل هذا، هناك أشخاص لا يمتلكون من أين يتدبرون لقمة العيش، باستثناءع ُشُر فرنك في اليوم، وليس لنسائهم سوى تلك الإعانات العائلية. لماذا لا تمنحهم راتبك الشهري إذن؟ بول: «أتفق معك تماما». أنا: «هذا أمر آخر، هناك مزايا السلم ومجتمع تم بناؤه وفق هذه المزايا. لا يتعلق الأمر خلال السلم بشخص يتخلى عن مزاياه؛ وهو ما يعني قطرة ماء في البحر، ولكن أن يقاوم من أجل إلغاء كل هذه المزايا (وأنا أقول هذا، فكرت في أن حضور بول الاشتراكي يدعوني إلى بلوم وزيرومسكي»[174]، وعندي خلفية غامضة بخصوص جلب بول إلى صفي). ما أريده هو عدم إضافة مزايا جديدة، مزايا الحرب؛ وهو ما لا يأخذه بعين الاعتبار أي شخص. وما لم ينتبه إليه أحد هو أن المحادثة انحرفت بشكل خطير لغير صالحي بسبب رعونتي: اقتصرت على القول إنه في كل وسط عسكري مخصوص، يجب ملاءمة مستوى عيش الفرد مع المستوى المتوسط. غير أن الفكرة خلال النقاش تغيرت. يتعلق الأمر بمشاركة مصير الأقل حظا لكل من ينتمي إلى المجتمع العسكري: أن لا نملك فراشا متنقلا إن كان الآخرون لا يملكون ذلك – عدم استقبال الزوجات إن كان الآخرون على الجبهة ممنوعين من ذلك، إلخ؛ وهذا يرتبط بشكل غير واقعي بلزوجة الفكرة الأولى وعدم صلابتها: فبالأساس هو مظهر فقط. وبالتالي، ولأنني فكرت بشكل سيّئ، وصلت للدفاع فجأة عن المبالغة في هذه المبادئ: أن نعيش مصير الأشد بؤسا. أو ربما أني أدرك بشكل معتم حضور مبدأ هذه الفكرة الجديدة؛ هذه إنسانية «غيي» مدعومة بشكل جيد، لكنني لا أشاركه فيها. لا يقنع هذا التفريق بين مزايا الحرب ومزايا

174. جان زيرومسكي (1890-1975) منشط بنزعة (الحرب الاشتراكية) في قلب الفرع الفرنسي للعمالية العالمية. محرر الصفحة الاقتصادية والاجتماعية في" الشعبي."

السلم «بول»؛ فقد حرك رأسه وسكت. وفي الأثناء، استرسل«بيير» في إثبات أنني أستمتع بعدة مزايا: عندي فراش -وقد وفره لي هو -أتناول إفطاري في المطعم، إلخ، أعرف ذلك طبعا. استعدت الهجوم مجددا، لكن ومنذ تلك اللحظة، كنت مصدوما: أريد أن أنال من «بيير»؛ لأني أريد أن أنال منه من خلال غرور مجروح، غير أنني في العمق كنت أعرف أنه نال مني. قلت له: «لقد كنت دائما أقل قيمة من المسألة، لقد تخليتَ عما حدثتك عنه بخصوص الوعي، وكان ذلك خطأً مني، مدعيا أنها كانت مجرد كلمات وموقف بسيط – نعم. ما الذي يثبت لي أن ما تقوله حقيقي؟ ربما كان ذلك مجرد تفاعل مسرحي». كان قد أعطى ظهره إلى جهاز التسخين، محمرا، فصيحا، قلت له (كنت جالسا في مكاني): «انظر لنفسك وقل لي من هو الممثل المسرحي هنا، أنا أم أنت؟ (سوء نية؛ فليس هذا هو السؤال، لكنني كسبت نقطة ضده لأني جعلت «بول» و«كيللر» يقهقهان بصوت عالٍ). كان بإمكانك أن تشير إلى أنه لاشيء يثبت مصداقيتي، ولكن ليس أن تتوقف عند هذه العبارة؛ لأن حوارنا لا يفقف عندها: ليس بإمكاني أن أثبت لك ذلك، وهو ليس أكثر من أنك لا تستطيع أن تثبت أن وعيك الطيب صادق. لكن، إن كنت تريد فعلا أن تناقش مسألة، فبالعكس عليك أن تقبل بفرضية هذه المصداقية ومناقشتي على هذه الأرضية؛ فلا تنقصك الحجج». ذكرت له بعضها، واثقا أن هذه الحجج سوف يخدمني بها ثانية بما أنني أنا الذي وفرتها له: يعتقد أنني أمتلك أجوبة جاهزة. في حين أنني لا أمتلك أية أجوبة جاهزة. أضفت: كل ما في الأمرأنك غير قادر على فهم ما معنى: التفكير في نفسك. لئن قلت لك في ظرف معين إنني تصرفت كنذل. اكتفيت باختزال كل هذا في مجرد كلمات. ألم تر كم وفرت من جهد لتقييم نفسي. سأفسر لك طريقتك في التفكير: أنت ترى أنني لست نذلا خمسمائة ألف شخص هم أنذال مثلي، أنت تفلت منك وترى نفسك شخصا وحيدا متفردا، تطمئن لمجرد أنك ترى نفسك ضمن طبقة اجتماعية بعينها. أنت أقل من اختبار الوعي. أليس هذا صحيحا؟ ألم أفحمك؟ هو: «أنت فطن، طبعا، ها قد أفحمتني». أنا: «لا يتعلق الأمر بالفطنة؛ ففي ذلك اليوم كان النقاش بنفس المستوى حين كنا نتحدث عن الزواج: كنت أتحدث من موقع القيم والتفكير، أما

أنت فكنت تتوقف دون انقطاع عند مستوى الكلمات والأفعال». بيير: «من الآن فصاعدا سأتحاور معك سوف ألعب على الكلمات». هكذا، أجهز عليه تدخلي الأخير وأسقطه: لفتُّ انتباه بول و ميستلر اللذين دخلا القاعة قائلا: «ألا ترونه! لا يمكن التفاهم معه». ضحكات من هنا وهناك. «أوه، قال لي، أنت دائما على حق». إنها التاسعة ليلا، لذلك غادرنا المكان. تحدثنا عن شيء آخر. كنت متوترا ولم أكن على سجيتي؛ لأن انتصاري علي «بيير» كان ظاهريا فقط؛ ذلك أنه في العمق قد نال مني في الحقيقة. وهو يقف على عتبة مكان إقامته، قال لي بمكر: آه! سوف تجد الآن فراشا وثيرا؛ هذه امتيازات رائقة». قلت له: «أنت تعرف جيداأنني نمت على القش ولا يهمني الأمر، وكم من مرة عوضتك في مناوبة الحراسة – وكنا في مارموتييه ننام جمعا على الأرض». ورغم ذلك، حين عدت و«بول» إلى الغرفة التي ننام فيها، شعرت بنفسي مثيرا للسخرية وشبيها بأحدى شخصيات «دوس باسوس» (ريشار)[175]، واستعدت الحكاية بأسلوب الكاتب: وتحامل سارتر قائلا إنه من الضروري أن نعيش في الفاقة لأننا كنا في حرب، واتهم بيير لأنه حصل على تزكية. ثم أعلن أنهم كلهم أنذال بمن فيهمهو نفسه، وأنه يجب أن ينام على القش أو في الوحل مثل الجنود في الجبهة. دقت الساعة التاسعة بالضبط وكل واحد عاد إلى مرقده. حيا سارتر مضيفته واستلقى على فراش جيّدٍ بلحاف ريش على القدمين. وسيكون ذلك ثقيلا على دوس باسوس. بقيت أجوب الغرفة، منزعجا قليلا أريد أن أستعيد المسألة مع بول لأنه يمتلك أفكارا؛ وهو ما يمنحني فرصة أن أخذعه وأطمئن بخداعي له. يصغي إليَّ مترددا، مجاملا، غير مقتنع، فالمسألة تعنيه في الحقيقة شخصيا؛ فهو اشتراكي مناهض للحرب؛ وبالتالي ينعم بامتيازات من خلال الحرب (موظف، أرصاد جوية، إلخ). أُطْفئت الأنوار وبقيت مدة غير قصيرة مستيقظا قبل أن أستسلم للنوم.

يقدم هذا الفصل الفكاهي أكثر من معلومة عنِّي وعن كل من بيير، و بول.

عن بيير. يبدو، على ضوء هذه المحادثة، شبيها بأجمل نموذج للعقلانية اللا أصيلة،

---

175. كتب سارتر سنة 1937 مقالة يوافق فيها هذه الرواية في صدر في المجلة الفرنسية الحديثة بعدد أوت سنة 1938 في علاقة مع ما كتبه جون دوس باسوس 1919.

هو شبيه تماما بـ«نحن» [غير المحددة] الهيدجرية. نموذج مكتمل لدرجة أنه ليس غبيا، ولديه الرغبة في الحديث والتفكير بعقلانية. إنه ثرثار لكن يشبه في ذلك اليوناني: يضع مبادئ ويستخلص منه نتائج، يعالج المسلك مقدما فرضيات ثانوية، ويرفع الاعتراضات على أطروحته التي سرعان ما يدحضها، ثم يقدم تنازلات لمنافسه المفترض ليحيد به عن منهجه ويخرج بخلاصة في الأخير. هو ليس المثل الذي يمكن أن لا نفهم ما يريد تحليله قبل أن يشرع في الحديث، بل يحدث أن نعبر عما يريد تحليله في ثلاث كلمات، بينما يستغرق هو ربع ساعة لطرحه ولا يهمه ذلك كثيرا؛ فهو غير معني بالإقناع أو التعليم، بقدر ما يريد أن يستمتع أطول وقت بالتوافق مع طريقته في التفكير. يبدأ أطروحاته دائما بـ: لا، لكن هذه اللا ليست بالفعل استنكارية لجملة منطوقة سابقا من أحد المنافسين وتمثل تعارضا مع تفكيره؛ بل هي لا عدمية مخصصة لنسف كل ما قيل سابقا؛ سواء كان صحيحا أو خاطئا، لإعادة المحادثة إلى نقطة البداية والبدء من جديد. بل يحدث أحيانا أن يكرر ما قيل له ويحلله مبتدئا بلا قطعية، كما في هذا المثال الذي احتفظت به لأنه نوعي: أنا: بول فوضوي، هو: «لا، فما يميز بول أنه من النوع الذي يخاف، الفوضوي...». يستمتع بالأخص في استخدام عقله التطبيقي: مبادئ الحركة، المخطط، المشاريع، التفاصيل، إلخ. يفسر مشاريعه، وعادة ما ينهي كلامه قائلا: «هل فهمت؟ هل فهمت... المسألة!»، مع وقفة مختصرة بين فهمت والمسألة. لكلمة مسألة هنا معنى مضاعف لـ كلمة لطمة، ومشروع، والأشياء المتناقش حولها؛ فهي مادة معقولة، كما نرى في عبارة «معالجة المسألة». ذلك أنّ هذا العقل اليهودي، الذي ينزع نحو الشجار، هو عقل اجتماعي: يحتاج إلى جمهور يسمع. هذا الجمهور ضروري؛ فهو وحده يمكنه أن يُحوِّل التمرين الصافي والبسيط للمنطق إلى «مسألة» هناك. ثمة لعب واهتمام وتهذيب في الخطابات المنطقية. كما أن صفة الاجتماعي مبرره من خلال المادة التي تنطبق عليها: عادات وتقاليد، وعلم نفس إشهاري، وتهذيب. وهو عقل بورجوازي يفكر في الناس لا الأشياء، رغم أنه ليس غبيا ولا عاجزا أمام أداة يقوم بإصلاحها أو يستعملها.

يبقى أنه ليس عقلا يعود إلى نفسه، ليس لأنه يجهل التجريد، بل لأن كل ما يشبه

فكرة أو تقييما غير معروف عنده. ليس لأنه لا يفكر أو لا يقيم، ولكن حالما يشرع في تقييم تقييماته أو التقييمات عموما، ينسف فيها المبدأ الكوني والصفة المطلقة. هذا ما تدل عليه خطاباته بالأمس. بدايةً فتفكيره يختزله في مجرد كلمات. أقول إنني نادم. نعم، إنني أقول ذلك، لكن ما الذي يثبته؟ إنني أفهم هنا – وهذا ما شتت تفكيري- أنه يُقدِّر أن هناك أفعالا قد تثبت ذلك. لئن طلبت الانضمام إلى المشاة، فإن فكرتي صلبة وصالحة قانونيا. لكن هذه الحركات حين تحدث بدورها، فإنه يفسرها حسب مزاجه. فالشخص الذي ينجز عملا ما بأي شكل كان، من الطبيعي أن يتصرف كما يشاء. لقد صدمني في البدء من خلال طريقته التي حاول من خلالها الاستدلال على أن البطولة مسخرة: أولئك الذين نسميهم أبطالا مزاجهم هو الذي دفعهم لممارسة أفعال ما– أو لأن المناسبة أتيحت لهم. ليس للحجة أية قيمة، غير أن ما يهمني هو الميل لاختزال أي إلزام أو إجبار في ظاهرة طبيعية. بطبيعة الحال فإن الأمر هنا متعلق بأخلاق المنفعة؛ فبما أن كل واحد يتبع مزاجه، فذلك يعني أن كل واحد يبحث عن مصلحته. لكن المشكلة أنه لا يريد أن يعترف بالمزاج الفردي لكل واحد، فهو مطلق مرة أخرى، وهو معقد جدا بالنسبة إليه. فلا يوجد بالنسبة إليه إلا أشخاص. والأشخاص تم تكوينهم من خلال تقاطع الطبيعي الموروث والنشاط المهني. لن يقول هو هذا: «بول» خائف –لكن: «بول» هو الشخص الذي يخاف. ليس انطلاقا من فظاظة أصيلة فيه تجعله يختار الحيل الأكثر فظاظة بشكل غريزي، ولكن من خلال حاجة داخلية فيه تجعله يتموقع ضمن أصناف بيِّنة. لذلك أنا بالنسبة إليه «البوهيمي»، المونبارناسي»، إلخ. ذلك أنه يفسر ردود أفعالي برمَّتِها من خلال طبعي البوهيمي، ومهنتي الثقافية. هذا الصباح، وبالعودة منه إلى محاورة البارحة، فسَّر لي كيف يفهم وضعيتي، حيث قال: «عليك أن تفهم، أنا وأنت لسنا من نفس الفصيلة، أنا تاجر، وأنت كذلك تاجر، غير أني أغلق دكاني عند السابعة والنصف، ولست مدينا لأحد مهما كان بحياتي الشخصية، بينما أنت يظل دكانك مفتوحا ليل نهار؛ ولهذا السبب أنت مدين للجميع بحياتك الشخصية. من جهتي، يمكنني أن أبقى في الأرصاد الجوية وأقول إني فرح، وهذا لا يهتم به أي كان. أما أنت إن دوَّنت هذا في

كتبك، فلن يقبل عليها أحد. ولذا، مفروض عليك أن تقدم تضحيات للأفكار، كما أقدم أنا تضحيات في ما عندي من مدخرات بضائع». هكذا، فإن التفكير والأفعال، بما أنهما منبثقان عن المزاج الذي ينتج أساساعن الوراثة والمهنة والمحيط، فكل شيء غارق في نسبية كونية. تُختصر الحجة الصادمة بالنسبة إليه في نجاح فني. قد نهنِّئ عاملا، لكن التهاني نفسها تتحول إلى نجاح عرضي وفردي. لن يقول أبداإنه اقتنع بحجة ما وأنها حجة جيدة، غير أنني فطن جدا. يضيع هو نفسه متقصِّدا في هذه النسبية، يذوب في الاجتماعي. شبيها بالكائن اللا أصيل عند «هايدجير» الذي يقول: نحن نموت، كي لا يقول: إنني أموت. ليست له من علاقة مع نفسه إلا عبر المجتمع: يتحدث عن نفسه بنفس النبرة التي يتحدث بها عن الآخرين، لكن بحنان أكثر. يقول: أنا الشخص الذي...كما لو أنه يتحدث عن «بول»، وهو ما يفترض دائما أنه يتحدث عن نفسه عبر الأصناف. إن دافع عن نفسه ضد تهمة – لأنه لا يتصور إطلاقا أن يتم اتهامه- يستنجد بالصنف الذي ينتمي إليه، والذي يتلون حسب الوضعية قائلا مثلا: «هناك خمسة آلاف شخص مختبئ مثلي، وإن لم أكن أنا هنا لكان شخص آخر مثلي هنا». هذه التبادلية لـ «مختفي» تقلل في عينيه، في نفس الوقت، خطأه ولامسؤوليته باعتباره فردا. وعلى العكس من هذا، يعتبر نفسه، وبشيء من الفظاظة، كما لو أنه صاحب حق. غير أنّ الأمر يتعلق بحقوق اجتماعية في مجتمع ما، والقانون في يده لضمان حقوقه –وتلك الحقوق التي يمنحها له القانون. لا يحلم أن تكون له حقوق أخرى: وإن لم يعثر عليها حيث يعتقد أنها موجودة، فلن يلحَّ، غير أنه يُرجع كل عصارتها إلى أولئك الموجودين، هو دائما عند منتصف الطريق بين المستغل للقانون والمواطن في واجباته. يترافق كل هذا مع العمى الكامل للقيم: فهو عاجز عن تمييز الأمر الواقع للشيء. إن حدثناه عن قيمة العلاقة الحرة فهو يجيب قائلا: «كل اللواتي عرفتهن انتهينَ إلى الزواج أو...». وحين أقول له إن على صديقه أن يضع نفسه في مستوى الحياة العادية لرفاقه، يردُّ: «أنت لن تفعل مثل هذا الشيء». وهذا لاشيء لأن هذا النوع من الجواب عفوي عند الجميع. لكن ما لا أحتمله هنا إنه، رغم كل جهودي التي أوفرها من أجل أن أوضح له قيمة الأمر ورغم أنّه يفهم بشكلٍ

عقلانيٌ التميز الذي أقوم به أثناء التحليل، فهو لا يستطيع تبني ما وضحته له في خطاباته ويعود بعد دقيقتين إلى نفس الحجج القديمة. فردانية ضائعة في «النحن»، نسبية اجتماعية وتسامح كوني. عقلانية التهذيب، عمى القيم عنده، ههذا هو أساس لا أصالته. ينضاف إلى اهتمامه اليهودي، إلى حاجته للمصافحة بحرارة، إلى أن يقدم خدمات بكرم حقيقي ليعتر ذلك بعد مدة مزية، إلى تطفله للثرثرة، إلى حاجته للاحتكاك بالكل وخاصة أصحاب المراتب العليا، تمثّل هذه الملامح ما أسميه دون تردد «الراديكالية -الاجتماعية». ما يصدمني أكثر إن لا أصالته خالية من الثغرات، عكس أغلبية الناس. هي منظومة لعالم متناغم وبلا نقائص. هنا يُطرح بشكل جيد سؤال الكاستور: «لكن بما إن هذه اللاأصالة متناغمة، ما الذي يثبت إنها أقل قيمة من الأصالة؟» والحقيقة أنّ مقاربتها النفسية على طريقة روشفوكر تنتهي لتتحوّل مربكة، ليس منها هي ذاتها، لأنها كبيرة جدا ولكن لأنها تقترح عليك مقاربة أخرى بنفس المنهج. بعد كل هذا ألست أكتب هذا الدفتر لأنني مفكر محترف، إلخ. دوخة التفسير باعتماد الأسباب. وبالفعل لقد تلقيت رسالة من ب تقول فيها إنّ أحدهم واسمه أولمان ولا أعرفه ولم أسمع به إطلاقا مُبرَّز في الفلسفة قال: «تُعَفِّن رواية الغثيان لسارتر أستاذ الفلسفة».

حول بول. إنه لاشيء، لكنه فتنني. على إثر محادثة الأمس. كان يحاول الزحف المتواصل داخل فراشه المتنقل، كنت قد استلقيت على خشبة الباب. كنا نثرثر فقلت له: «حين يكون المرء ضابطا، حتى وإن كان اشتراكيا، حتى وإن كان طيبا مع جنوده إلى درجة الضعف»، فذلك يعني أنّه شريك. أبدى لي موافقته بخصوص ما قلته، وقال مفكرا: «حتى وإن كان عريفا!» قلت بشكل مُهذّب: «أوه! عريف. ..»- «نعم! نعم! حتى وإن كان عريفا. هل تعلم أنّني صرت عريفا رغما عني، ولم يكن هناك إمكان آخر في نانسي وقد كانت زوجتي معي. قبلت برتبتي العسكرية الجديدة وأخفيت ذلك عن زوجتي. بقي إنه لما قدم رجال الأمن لتغيير عقد تجنيدي، كنت بالبيت وقتها. فاستلمتها زوجتي. ولك أن تتخيل ماذا فعلت بي حين عدت إلى المنزل!».

هذا ما يمكن الحديث عنه مطولا حول مراءاته وعلاقاته مع زوجته. طلب مني عنوان المجلة الفرنسية الحديثة، كي تستطيع زوجته مراسلتهم لاقتناء الجدار والغثيان لكن هذا يضايقني بشناعة لأني أرى فيها مجاملة من زميل. قلت بارتباك: هل تعرف، لست ملزما. ..، فقال لي هانئا جدا: بل نعم، بل نعم! سيسعدني كثيرا أن تقرأ لك زوجتي، وأقرأ لك خلال حصتي القادمة. أخبرني خلال هذه المحادثة أنّه اشتراكي من لمّا كان عمره 15 سنة، وانخرط في الفرع العالمي للعمالية العالمية [حزب سياسي فرنسي تأسس سنة 1905على إثر انصهار الحزب الاشتراكي الفرنسي ووالحزب الاشتراكي العمالي الثوري] سنة 1920 أمتعني ما قاله لأنّه كان قد أخبرني منذ شهر ونصف قائلا: «ايه. أنا متعاطف فقط ولست من الحزب». أتوقف عند هنا اليوم، لم أعد أستطيع التّفكير لأنّ عينيَّ تؤلمانني. اليوم، عندي أفق ضيق واستحالة تركيز أفكاري، لأنه أصبح من المستحيل عليَّ التركيز في شيء ما. ينتابني إحساس أنّني بين جدارين معتمين على يميني وعلى يساري وبين هذين الجدارين انبهار بصر المشكال. إحساس بأنّ أفكاري لا تمنحني سوى سطحها وتنزلق وتغوص قبل أن أمسك بها. رغم ذلك فمزاجي رائق جدّا.

الخميس16

بالأمس؛ لم أكتب أي شيء في هذا الدفتر لأن عيني تؤلمانني كثيرا. من حسن الحظ أنني أرى بأكثر وضوح ما سوف أقوله عني. سوف أقوله حالما يتيسر لي ذلك. اليوم سوف أدون مغامرة بول[176]. لقد كان عليه أن يوصل رسالة على دراجة هوائية. كان منشغلا ومغتما. قلنا له: «ضع قبعة واحمل معك بندقيتك». ذلك ما يفترضه النظام. ما إن سمع عبارة احمل معك بندقيتك؛ انفجر في هياج متوتّر، وذلك من عاداته التي لا تصدر عن شر ولكن عن خوف. قال: «آه! بندقية، لا! لن أذهب إذن. أرفض

---

176. الفقرة المتعلقة بالحديث عن بول تحدث عنها سارتر في رسالة إلى الكاستور في نفس ذلك اليوم الذي قال فيه سارتر إنه لم يكتب أي شيء بسبب آلام عينيه.

الذّهاب». وفسّر أنّه يعاني من اضطرابات في القنوات الهلاليّة، ولن يستطيع أن يتمالك توازنه على دراجة هوائية وهو يحمل بندقية. في النهاية أعطاه العقيد مسدّسا قديما. لا يفوتني أن ألاحظ هنا أنّ هذا المسدس غير ملقم بالرّصاص وغير صالح للاستعمال. وهو ما أوحى لـ «بياتر» برعب حقيقي: «هاي! هاي! لا يجب أن تلعب بهذا!».

انطلق بول واضعا خوذته على رأسه. بعد انقضاء ساعة. عاد، وهو يدخل رأيت أولا الخوذة والنظارات ثم وجهه رماديا متسخا كئيبا. جانب كامل من جمازته وبنطلونه ملطخ بالوحل. كانت يده اليسرى تنزف دما، أما يده اليمنى فبانت متورمة. أراد تجنب سيارة فانخلعت سلسلة الدراجة وسقط إلى الأمام على وجهه ويديه. بدأت أفهم دور الرهاب من نفسه في كره الحرب وفي اضطرابه. إنه لشيء هائل فعلا أن يحتفظ المرء بتوازن روحه وبامتلاك جسد وديع لا يقول أي شيء. غير أنّه وهو يمضي في مهمّته تملكه انطباع أنّه تم التخلي عنه لجسده فقط، هذا الجسد الذي ليس بإمكانه أن يتحكم فيه إلا أثناء السلم، في الظروف المتاحة جدا والذي ما إن تم رميه في الحرب وسط أشخاص ذي طبائع خشنة، تشقلب وقام بحيل كارثية وانتقم من الشخص الذي كان يتحكم فيه أثناء السلم.

«ليس هناك ضحايا أبرياء في الحرب» جول رومان.

استمتعت بالأمس لاستلام بطاقة بريدية من بول نيزان.

الجمعة 17

مازلت عيناي تؤلمانني. أستسلم للحيرة والتوتر لأنّ هذا الضّيق لا مبرر له. لا يتعلق الأمر بتصنع موقف إزاء اضطراب اجتماعي بل بتحمل ألم يومي معتاد دون حيرة. إنّه لأمر صعب. ظلت أفكاري ضبابيّة شيئا مّا تفتقد للوضوح؛ بسبب خطأ إقدامي على تجميد عينيَّ. ضروري هذا الوضوح بالنسبة إلي للتفكير في ألمي بشكل أشدّ وأصفى، كما يجب أن أفعل مع ألم في اليدين أو في الكبد. عندي انطباع أنّ حقلي البصري ضاق بسبب ستائر حديدية مزعجة. رغم ذلك أعتقد أنّني اشتغلت على

روايتي. بعينين مغمضتين، أكتب مسودات. لكنّني أنفر من الكتابة في هذا الدّفتر بأحرف صغيرة -كما هو الشأن في تغيير الأحرف الكبرى ولفضاء بين الأسطر (هوس الناشرين). وهو ما ينتج عنه نوع من كسل التفكير والعجلة المتحمسة لإنجاز الاحتياجات اليومية، تلميع الحذاء، كنس قاعة المدرسة؛ إلخ. .. ممّا من شأنه أن يعفيني من التّفكير والكتابة. ها أنا ذا، أثرثر أكثر من اللزوم. رغم أنّي أعلم أنّ لديَّ أشياء متأخرة في هذا الدفتر. خاصة الملاحظات التي يجب أن أدونها بخصوصي فيما يتعلق بمحادثة يوم 13، وبخصوص تعريف الوجود- في – القسم وخلاصة ردود فعلي السياسية. لكن اللامبالاة العسكرية التي ينغمس فيها كلّ الرفاق تساعدني على الكسل، من السّهل أن تعيش هنا دون الشّعور بالضّجر النّاجم عن عدم القيام بأي شيء، فلا شيء يستحقّ الانتظار، بسبب الحرب. وجع العينين لا يطاق، والحيرة طاغية، بعد أن توهّمت التّخلّص منها، وفضلا عن منغّصات الحرب، هناك انشغالات الحياة المدنية: الخشية من فقدان البصر، الخشية من عدم القدرة على الكتابة، إلخ. كلّ هذا على نمط الاعتقاد الخياليّ، طبعا، أنا لا أجلدني غير أنّ مزاجي غير معتدل كعادتي به.

ما رغبت أن أقوله تحديدا، هو أنّني بمناسبة يوم 13، قد تسنّى لي وأنا في برومات كونت أن أرى موقفا لمهرّج أخلاقيّ، أمرا هو أشبه ما يكون بإصلاح الأخلاق عبر الضّحك، عدت يومها إلى بيت مضيّفتي بحماسة منقطعة النّظير، جادّا إلى أبعد حدّ، وأنا أحدّث نفسي: يجب أن أنضمّ إلى صفوف المشاة. ولكنّني اعترضت على هذا القرار المباغت فجأة، إذ لا ضير ممّا أنا عليه، إنّني أقوم بالتّهريج، وهذا كلّ ما في الأمر. إنّني أجيد الأمر- وأبرع فيه.

لم يكن ما مرّ بي أكثر من تعارض أخلاقيّ، وضربا من التّمزّق بين ما أنا عليه، وما أصبو إلى تحقيقه، بدأ الأمر بتقديم لائحة من الملاحظات، رميت بها إلى نقد رفاقي وإلى تقويم سلوكهم، لعلّني كنت حادّا بعض الشّيء لاذع اللّسان والعبارة، ولم يكن من ذلك بدّ، لم أستطع أن أصدّ نفسي، فأطلقت لكلماتي العنان، لم أكن في محصّل أمري أكثر من ذات صريحة، واجهت الآخرين بحقائقهم، دون مصانعة، أو تهيّب من ردود

أفعالهم، ولم تكن غايتي الإصلاح بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، فأنا أبعد ما أكون عن تلك الغاية، بل إنّني أبعد ما أكون عن أن أصلح نفسي، غير أنّ أمرين لم أكن أستطيع أن أصمت إزاءهما، أو أن ألتزم الحياد، لقد صارا يزعجانني بشكل عميق، يتعلّق أوّلهما، بما يطبع شخصيّة «بول»، من تشتّت، تجاوز كلّ الحدود، ومن خوف غير مبرّر، وأمّا الثّاني فيتعلّق بشخصيّة «بياتر»، وما يطبعها من عجب بنفسه، بطريقة ظاهرها ناعم، وباطنها جشع وتضخّم في الأنا، جعله يرى في كلّ ما يأتيه من أفعال، عظمة موهومة، ويرى أنّه في كلّ ما يفعله، يحدث فانتازيا مثيرة. لك أن ترى ذلك حتّى في وقفته منتظرا أن يتزوّد بالخبز. فهذا الرّجل البدين يلعق نفسه مثل قط. وليست الطّرقات الدّبقة لفمه أثناء المضغ سوى أدلّة على انقياده دون ضابطة إلى نفسه، فلا شيء يقيّد حركته أو ينظّمها. سأكتفي بهذا القدر من الملاحظات حول بياتر، وإن كان ما جئت على ذكره غيضا من فيض عميم، ومحصّل ما أردت التّأكيد عليه، هو أنّ سلوكاتهم لا تروقني، بل إنّها تثير حنقي واشمئزازي، وليست توجيهاتي ناجمة عن أحكام مسبقة، وإنّما هي توجيهات جديرة بالاعتبار، فدوافعها نبيلة، وهي لا تتقصّد سلوكاتهم الظّاهرة للعيان، وإنّما تتقصّد أسبابها العميقة ودوافعها الكامنة، إنّها تروم الاستئصال، والاجتثاث، إذ أريد لهما أن يواجها نفسيهما، وأن يذهبا بعيدا في مواجهة حقيقتيهما، دون أقنعة. هكذا إذن أسمح لنفسي أن تتمادى في التّقريع، مستمتعا بالأمر، رغم ما يحيط به من حرج، قد يسيء البعض فهمه وتقديره.

وخلافا للآخرين فإنّ ما يصدر عنّي من ملاحظات قاسية، يجد القبول من لدن ميستلر، بل إنّه لا يخفي استمتاعه، ولا يجد حرجا في التّعبير عنه، إنّه يجد في سخريتي عمقا لا ينتبه إليه الآخرون، وينظر إلى مضامينها فيما تحمله من أبعاد، ومثل هذا الاستحسان يشعرني بالغبطة، وبأنّ ملاحظاتي لا تخلو من عمق جوهريّ، [عبارة استعملها رابليه في كتابه غارغانتيا 1534] وربّما أصبحت فظّة، عبر ضرب من الانحراف الجماليّ.

أنا مهرّج أخلاقيّ، هكذا يمكنني أن أختزل نفسي، وأن أتصالح معها دون رفض أو نفور، أستطيع بما أنا عليه أن أتحدّث دون قيد، متخلّصا من كلّ أشكال الخوف

الّتي تتربّص بكائن مثل «بول»، إنّني واثق من نفسي، وواضح معها، أعرض أفكاري وأعرب عن غضبي، أسمّي الأشياء دون مداهنة بأسمائها، ربّما كنت شرسا في نظر بعضهم، ولكنّني مطمئنّ إلى الدّور الّذي أؤدّيه. لقد جعلني الضّجر كائنا اجتماعيّا، وكوميديّا، ولعلّني أحتاج إلى استفراغ شحنتي من الهيجان، حتّى أبدو في مقام آخر ذلك الكائن الوديع الطّيّب والأليف، الّذي يحظى برضا النّاس. وقد وجدت فيما أنا عليه شكلا من أشكال الاستمراريّة بين رفاقي، فلأنّهم قد أصبحوا مصدر إزعاج فقد صار من الضّروريّ أن أتسلّى بوجودهم، أي أن أؤدّي أدوارهم بعبارة، «مونتاني». أحوّل حضوري رفقتهم إلى عرض كوميديّ، متذرّعا باستحسان «ميستلر»، أمنح نفسي مبرّرا للذّهاب بعيدا في الأمر، فأصنع منه احتفالا دائما في حياة بلا احتفالات.

لا أشعر بالذّنب، ولست بصدد تقديم اعتذارات، فأنا أفسّر، وأحاول استيضاح الأمر، إنّني أوصّف ما يحدث، دون دوافع أو غايات، ولا أجد أنّ ما حدث يوم ال 13، كان خطبا جسيما، لقد استطعت أن أتدارك تناقضي بسرعة، وأن أرى الأشياء بوضوح أكبر. إنّ ما أنا عليه هو عين الصّواب، وقد عدت بحماسة أكبر إلى ملاحظاتي أوزّعها دون قيد أو شرط، أقصف بها الآخرين عشوائيّا غير عابئ. وأعتقد أنّهم قد استأنسوا الأمر، ولعلّهم يردّون ما يصدر عنّي إلى حدّة في طبعي، لا إلى ما أبشّر به من أفكار.

شاركني اليوم إفطار الصّباح جنديّ مطارد، قادم من الخطّ الأوّل. حدّثني أنّ الألمان على بعد 250 مترا، وأضاف: «كانوا في الأيّام الأولى يلعبون على العشب، يعزفون الأكّورديون والهارمونيكا، غير أنّهم بعد أن أطلق مغربيّ منّا الرّصاص على أحدهم منذ ثمانية أيّام، فأرداه قتيلا، كفّوا عن اللّعب، وعن العزف، وصاروا لا يغادرون مخابئهم إلّا ليطلقوا علينا وابلا من الرّصاص».

ختم قائلا بمرارة: «ثمة دائما من يرتكب الوقاحة ليدفع الآخرون الثّمن» هي جملة كثيرة التّردّد كلّما اقترف جنديّ سكران أمرا يحمل صاحب البار على إغلاق محلّه، لفظاعته.

لديّ فضول أن أحيط علما بمعدّل أعمار المجنّدين، لا لشيء ولكن لأنّهم بدوا لي

أكثر عددا من أولئك الّذين شاركوا في الحرب الأخيرة، وأنّ معدّل أعمارهم أكثر ارتفاعا. وعلى أيّة حال فإنّ ثلثي فرقتنا على وجه التّحديد، من فئة ال 23، فيما يتكوّن الثّلث المتبقّي، من فئات تعود إلى جيش الاحتياط منذ 1912، و«بول» من بين هؤلاء هو الأصغر سنّا إذ يبلغ ال 29، وبناء على ما تقدّم فإنّ المعدّل العمريّ لكامل الفرقة هو ال 36، إذ تتراوح الأعمار بين ال 30، وال 47، وقد عرفت بأنّها فرقة المتقدّمين في السّنّ مقارنة بغيرها، ومن المتاح أن تتعثّر بشخص منها خاض الحرب السّابقة. ومن هؤلاء ساعي البريد صاحب الحاجبين الغليظين.

خلافا للآخرين فإنّ النّهاية المحتملة للحرب خلال شهر، ستكون بالنّسبة إليّ مصدر يأس وإحباط، ولأنّني قد انخرطت في أجوائها فبي رغبة أن تأتي على الأخضر واليابس، أن تشهد أوجها وعنفوانها قبل أن يأفل نجمها.

السبت 18

عيادة طبّيّة في مشرب الجعة هذا الصّباح، اصطلحوا على تسميتها بالإلحاق، تعرّيت شأني في ذلك شأن الرّفاق جميعهم، لقد ألزمونا بأن نتبوّل في كؤوس البيرّة. وبينما كنت في ذلك الوضع المريب أحاول الامتثال للوضع، وأنا أتقدّم ستّ جنود، ينقّبون في السّجلّات، انتابني انطباع أنّ هناك من يرمقني من الخلف. لم يكن عري الرّفاق بالأمر العاديّ، ورغم ذلك فقد وجدته مألوفا، مؤخّراتهم وفقراتهم، انحرافاتها، وتعرّجاتها، الكرش الضّخمة بينما النقيب يُملي على مساعديه: سُمنة س-م-ن-ة". انتابتني قناعة أنّني كنت أراهم عراة دائما، وسكنني اعتقاد أنّنا نعيش في عري تامّ نواريه بسترات وتبانات زرق متّسعة. كانت الأعضاء الذكرية تُلقي بظلالها الكئيبة في هذا الجمع الشيّق. متجعّدة، لاغبة، خجولة. تحاول دون جدوى الاختفاء بين الشّعيرات. والنقيب يجسّها بإصبعه الأنيقة وهو يردّد: «اسعل». وقتها فهمت وأحببت جملة أندريه بروتون، وأحببتها: «سوف أكون خجولا جدّا أن أظهر عاريا أمام امرأة، وذكري غير منتصب» ليس هناك مجال لمناقشة مثل هذا الأمر، فهي مسألة لياقة.

قمت بجولة في الرّيف مباشرة بعد العيادة الطّبّيّة، ولا أدري كيف تسلّلت إلى ذاكرتي جولة الدّكتور فاوست حين التقى الباربيت. كنت أتقدّم رفاقي. شعرت بقرف خفيف لكثرة ما شاهدت من بساتين. لكن ما المقرف في هذا؟ أعتقد أنّ الأمر متعلّق بما هو جنسيّ. في الحقيقة كنت أبالغ في اتّهام نفسي، لقد كان مجرّد تفكير عفويّ وعرضيّ. ربّما كان لرائحة البول تأثيرهافي هذا المقام. كان بول «بول» يفوح بالحموضة وقد انتبهت لذلك. هو نفسه كان كامدا ورماديّا غير أنّ أساليب جسده ميّتة.

الاثنين 20

قضى كلّ من الجنديّ هانغ والرّقيب نودين كامل الصّباح في معاتبة نفسيهما، لم يكونا في الجبهة وقد تمّ التّعامل معهما باعتبارهما مختفيين.

كاسو 48[177]: متحدّثا عن أجواء 48: «ما يمكن اعتباره هنا في بدايته هو، الإيمان، فبه ينفصل الإنسان عن عقائده، وعن أديانه، حتّى تتمّ له القناعة بالدّين الّذي من خلاله يكشف نفسه لنفسه كنوع، وكإنسان كونيّ، على حدّ عبارة المتصوّف الليونيّ بالانش»[178] أو «كوجود جمعيّ» بعبارة سان سيمون. «الإنسان كما يقول السان –سيمونيين كائن دينيّ يتطوّر. للبشرية مستقبل ديني» مصلحة الجنس البشري (يؤكد لامارتين) مرتبطة بالجنس البشريّ نفسه». (صفحة 43)

هذا هو أساس الإنسانيّة: الإنسان يعتبر نفسه نوعا. أحاكم هذا التقليل من قيمة الطّبيعة. نوع مصيره متوقّف على اجتياح العالم وإعادة ترتيبه: الإنسان الكونيّ كما يحدّده بالانش. قبالة، أولئك الذين يعرِّفون الإنسان باعتبار العادات والتّقاليد، ملامح عن طبيعته. يقوم الإنسان بالحروب دائما، العدالة هي قانون الطّبيعة، بعبارة موراس [شارل موراس صحفي (1868-1952) شاعر ناشط سياسيّ متأثّر

---

177. صدر في ذلك الوقت عن كتاب 41 لجان كاسو (غاليمار سلسلة تحليل الثورات).

178. بيار سيمون بالانش (1772-1847).

بالفلسفة الوضعيّة منظّر للوطنية الكليّة] ووضعيّته الزائفة التّجريبيّة. وفي الأخير يُزجُّ به في كلّ حالات الوعي السّياسيّ: الإنسان باعتباره نوعا بيولوجيًا مع مصيره كنوع – الإنسان باعتباره حقيقة وضعيّة يمكن تعريفها من خلال التّجارب.. لاشيء يظهر مدى أهمية المحاولة عدا ما قام به هايدجار، واهتمامه السّياسيّ؛ تحديد الطّبيعة الإنسانيّة كبنية جماليّة، كشموليّة تفتقد للجوهر. من المؤكّد أنّه في زمن ديكارت، كان من المستعجل تعريف الذّهن عبر طرائق خاصة بالذّهن ذاته. لكن وحتّى بهذا الشكل يتم عزله أيضا. وكلّ المحاولات اللاحقة لتكوين الإنسان الكامل من خلال إضافة شيء مّا إلى الذّهن باءت بالفشل لأنّها لم تكن سوى عمليّات تجميع. طريقة هايدجار وأولئك الّذين سيأتون بعده هي بالأساس طريقة ديكارت: مساءلة الطّبيعة البشرية بطرق تختص بها الطّبيعة البشريّة/ معرفة أنّ الطّبيعة البشريّة تعرِّف نفسها من خلال السّؤال الّذي تكوّنه عن نفسها. يبقى أنّ ما نضعه دفعة واحدة لا يتمثّل في الذّهن وليس هو الجسد ولا ما هو نفسيّ، وليس هو البعد التّاريخيّ، أو السّوسيولوجيّ، أو الثّقافيّ، وإنّما هو كلّ ما تقدّم مجتمعا، إنّه الشّرط الإنسانيّ باعتباره وحدة لا مرئيّة، يتوطّن فيها سؤالنا، وتتحدّد ماهيّته، تكون موضوعا له. وإذا كان من خطأ أو قصور في المثاليّة فهو تفريطها منذ البداية في البعد الذّهنيّ، وانشغالها عن أسباب حضوره بالكلّيّات، شأنها في ذلك شأن المادّيّة والطّبيعانيّة، اللّذين، سلّما باعتبار الإنسان كائنا متمحّضا لطبيعته، وقصرا النّظر إليه على أساس أنّه جزء من تلك الطّبيعة.

إنّ تصوّر الإنسان كنوع طبيعيّ، يعدّ خطأ جسيما، باختزاله الكينونة الإنسانيّة في بعد واحد، دون الانتباه إلى حقيقته الجوهريّة، لقد كان من الضّروريّ التّركيز على الحقيقة الإنسانيّة، باعتبارها شرط الوجود الإنسانيّ، سواء في العالم، أو فيما يعيشه من وضعيّات خاصّة. لقد كان لفكرة النّوع البشريّ، آثارها السّلبيّة، فقد أحدثت ضررا لا يصدّق، كانت له تداعياته، ومن ذلك أنّ «ألكاستور» نفسها، قد نبّهت في إحدى المحادثات إلى انبنائها في السّلسلة اللّا متناهية للزّمن على مرجعيّتين، في علاقة بظهور النّوع البشريّ في الماضي، أو في المستقبل، وبغيابه في المقابل، وفي علاقة بما يشهده العالم من فتوحات علميّة كبرى، ومن تيّارات فكريّة ومدارس أدبيّة، غيّرت نظرتنا إلى

العالم وإلى الإنسان، وبما هو قائم من احتمالات مزعجة باعثة على الضّجر، من قبيل، انطفاء الشّمس، واصطدام أحد المذنّبات بالأرض.

يعاني «بياتر» من الإسهال، إنّه يبحلق بعينين كبيرتين بائستين، كلّما نظرت إليه، وهو كثير التّذمّر، يفعل ذلك بكثير من الجشع، ويجد فيه نوعا من المتعة، الّتي حرمته منها.

رسالة من بولهان: «يستوجب القائد مارشا آلن في بيته، بشكل مهذب جدا»[179]، بمجرّد أن وقعت عيناي على عبارة «سلم» في المنشور، وقّعت دون أن أقرأ البقيّة.

لم تشهد الحرب انفلاتا، يضاهي ما هي عليه الأيّام، أفتقدها بحدّة، لأنّني في غيابها لا ألوي على شيء، ولن يبقى من معنى لوجودي هنا.

صدر في الجريدة الرّسميّة قرار يخصّ المعتقلات في فرنسا، ومن المرجّح أن يتمّ عزل الموظّفين دون محاكمة ـ فما الّذي يريدون لي أن أدافع عنه، إذا لم يكن الحرّيّة؟ (14).

كتبت ل «بولهان» رسالة غبيّة، لم أرسلها، ولكنّني قرّرت أن أنسخها من باب الشّماتة هنا، فقد وجدتها ذات طابع روحيّ. أستقرّ اللّحظة بقرية صغيرة، حيث أشتغل على روايتي: إنّني حرّ تماما ووحيد جدّا: قد يضايقني في خلوتي أن يطلق الألمان نيرانهم علينا، ولكن سيكون في ذلك إيذان باندلاع حرب جديدة، وسيكون سارتر على حدّ عبارة فوديل، سارتر آخر[180]. إنّ هذا الأمر لشبيه بقضية أوستريك[181] وبفلسفة برونشيفيغ[182]. ليس هذا من باب التّكريم لشخصه، ولكن

---

179. مثل جان جيونو اتهم آلن بتوقيع منشور داعية السلم لويس لوكوان الّذي تمّ توزيعه في سبتمبر 1939. كان عنوان هذا المنشور سلم فورية.

180. تلميح لجملة وردت في مقال نقدي لجان فوديل حول قصة الجدار صدر في عدد أكتوبر 1939 بالمجلة الفرنسية الحديثة:" وماذا لو لم يضحك رغم ذلك (إيبيطا)؟ [بابلو إيبيطا الراوي والشخصية الرئيسية في قصة الجدار لسارتر] كيف يمكن الشك في ذلك إذا سيكون حتما إيبيطا آخر وتكون الجدار قصة أخرى وسارتر سارتر آخر."

181. فضيحة مالية حدثت في الجمهورية الثالثة (1929).

182. تم تفسير هذه المقارنة في الدفتر الأول ص151.

لكلّ فترة حربها الّتي تستحقّها. لقد بلغني أنّ بتيجان قد أصيب، وقد منحت الخطب ما يستحقّ من العناية، ولم أكن أتصوّر حدوث الأمر بشكل مغاير، ليكون بيتيجان، ببتيجان آخر. ولو أخذنا بعين الاعتبار عدد المصابين يوميًا، لأدركنا كم هو محظوظ، ومثل هذا الأمر يعزّز إيماني بالقدر[183]. بحبّ كبير استلمت المجلة الفرنسية الحديثة الّتي أرسلتها لي. وبدهشة كبيرة قرأت حوليّة كايردال [حوليّات كان يكتبها الكاتب والشّاعر أندريه سواريس، صدرت في كتاب عن دار غاليمار أعيد طبعه عدّة مرّات]. وإنّني لأتساءل ألايوجد من بإمكانه أن يلتمس عند السّيد سواريس؟ هذه الحرب صغيرة جدّا ومتقنة جدّا، وساذجة قبالة مثل هذه اللّعنات. لقد مررت مثله ناحية روتنبرغ وبدا لي أنّ الصّبية الصّغار يسخرون منّي: وهو ما يتعلّق بنوعيّة النّاس[184]."

رسالة عبثيّة وسمجة، ولكنّها ليست بسيطة، أو غير ذات أهمّيّة، متى نظرنا إلى الأمر، في سياق ما يذيعه عنّي من أخبار مهينة وما يسبّبه لي من أذى، فمن الطّبيعيّ أن أخلع عنّي طيبتي وبساطتي، في مقام الرّدّ على بولهان. أحاول أن أكون مختصِرا وقاطعا بشيء من التّهذيب. مسايرا ما تدّعيه المجلّة الفرنسيّة لنفسها في علاقة بالمتلقّي، مانحا إيّاه ثقتي المزيّفة. وأعتقد في هذا السّياق جازما أنّ بولهان لن يدرك من

---

183. في نظر جان بولهان، سارتر وبتي جان هما كتاب المستقبل كتب في أوت 1938 لروجيه غالوا:" بودي لو يتكون في المجلة الفرنسية الحديثة ما يمكن تسميته لجنة: سارتر، بتي جان وأنت. "يبرز سارتر هنا شعورا غريبا للتنافس الأخوي إزاء بتي جان وهو ما يوحي أنّه يعتبر بولهان في تلك اللّحظة بمثابة أبيه.

184. لم يكن سارتر القاريء الوحيد للمجلة الفرنسية الحديثة المجند الذي تثيره حوليات أندريه سواريس في 18 نوفمبر كتب جان غرينييه لبولهان:" إن ما يكتبه سواريس هو دون أدنى شك صائب: التعبير أخرق ويدعو للاعتقاد أنّ كاتبه أحمق. "يشتم سواريس هتلر بنبرة هيجان نبوي ناعتا إياه بالحيوان القيامي وكذلك جميع الألمان صغارا وكبارا و" شعب الضباع والنمور ". يشعر غرينيه سارتر وآخرون أنّ " حوليات كايردال"هي أشبه " بحشو دماغ"خاصة وأنّ المعركة لم تندلع بشكل رسمي. وانتهى الأمر ببولهان – الذي لا يشارك الآخرين نفس الرأي حول الحوليات –إلى تحذير سواريس من الاحتجاجات التي أثارتها الحوليات بين قراء المجلة: " لا أستطيع أن أخفي عليك. ما يكتبه بالخصوص أصدقاؤنا في الجبهة؛ فمنذ الأمس بلغتني ثلاث رسائل تقول: نرغب أن يتحدث سواريس بأقل حدّة عن هتلر وعن الحرب..."كراريس جان بولهان غاليمار 1987 رسالة 22 نوفمبر 1939.)

الوهلة الأولى المقارنة الّتي أجريتها بين الحرب وفلسفة برونشيفتش. يستوجب الأمر شرحا ميسّرا لبعض الكلمات والإحالة على ما تتقصّده من دلالات، ولكنّني أترفّع عن ذلك، لأنّني أثق فيه بشكل مزيّف، مراهنا على أنّه سيفهم شيئا مّا، وأنّه سيعتمد بالتّوازي على تفسيرات متعارضة، من شأنها أن تمنح جملتي أثناء كتابتها عمقا شهيّا وضربا من الغرابة. يدخل هذا الرّهان في باب تعميم منظومة تزييف الثّقة وإيصالها إلى كلّ القرّاء الممكنين، الّتي تروّج لها المجلّة الفرنسيّة الحديثة، مع ترك حرّيّة التّصرّف في صنع الحواشي النّقديّة. صار يزعجني الحديث المتكرّر لبولهان في كلّ رسائله عن بيتيجان، فقد أكّد لي في رسالته الأولى ما كابده فيلقه من صعوبات، وأنبأني في الثّانية بإصابته، إنّه بطل المجلّة الفرنسيّة الحديثة ولا أحسده على ذلك أو أغار من نجاحه. ولكنّه يحرص في رسائله على نوع من التّشويق، الّذي زاد عن حدّه، يدفعني إلى مواجهته بكثير من التّهكّم والسّخرية، سلاحي الوحيد في معركة لا رابح فيها، ولا خاسر.

ثمة ما هو أشدّ ممّا تقدّم، فأنا أشعر عميقا بولادة حقوق أريد أن أخنقها. هي حقوق جديدة. حقوق المحارب، ولنقل بكلّ تواضع إنّها حقوق المجنّد. هناك شكلان لحقوق المجنّد: -متعارضان. الضّرب الأوّل منها هو تلك الحقوق الصّافية وهي أبعد ما تكون عن شخصي المتواضع، من قبيل، المطالبة بإعجاب المدنيّين واعترافهم، بما يشعر المرء بأهمّيّته فيخيّل له أنّه بطل. الجندي الذي تمّ استدعاؤه قبل الحرب، لقطع رخصته في 15 أوت يمدّ ساقيه على مقعد في عربة القطار ويردّد: «نحن الّذين سيقتلوننا». وفي مقابل ذلك نجد الشّعور بماهية أخرى، ذلك أنّ المدنين ينكرون عليهم حقّ الحديث عن الحرب، سواء ذكروها بسوء أو بخير، فلا يحقّ لأحد الحديث عنها إلّا إذا خاضها. ولأنّها حربي فم حقّي أن أقلّل من قيمتها، وأن أترك المجال للآخرين حتّى يروها مرعبة، لأنّهم لم يخوضوها، من حقّي أن أقلب نظام اللّعبة، أن أضع نفسي في صفّ الضّعفاء ضدّ الأقوياء، فقد كان يفترض بالنّظر إلى قناعاتي أن أكون بينهم، أن أكون في صف الزّوجة ضدّ الزّوج، في صفّ الطّفل ضدّ العائلة، في صفّ التّلاميذ ضدّ الأساتذة. وخشية من أن أكون جزء من نخبة متزوّدة

بحقوقها، نخبة «المجنّدين»، أشعر بميل يولد في داخلي لأكون في صفّ المدنيّين ضدّ المحاربين بما يسعفني لأقول لهم: «لا تكونوا طوباويّين، واهمين، فالأمر ليس بالقسوة الّتي تتصوّرون، ليس عليكم أيّ واجبات نحونا» لن يكون هذا سمجا جدّا لو كنت محاربا بالفعل. لكنّني في النّهاية، لست محاربا بل مجرّد مُجنَّد. لو كنت محاربا لذهبت بعيدا في هذا الميل الدّاخليّ، ولكن لأنّني لست كذلك تماما، فليس عليّ سوى أن ألجم فمي.

الثلاثاء21

بفضل كاسو أمسكت بالمنطق الحقيقيّ وبالتّطوّرات الجدليّة لفكرة الإنسانيّة الّتي حدّد ظهورها خلال ملكيّة جويلية. يُذيب الذّهن التّحليليّ للقرن الثامن عشر التّجمّعات في الأفراد. الثّورة الفرنسيّة، ثورة تحليليّة نقديّة، بمعنى أنّها ترى المجتمع كما لو أنّه عقد بين الأفراد. يعاود الذّهن التأليفيّ الظّهور مع ماستر وبونالد، في تعارض صريح مع الذّهن النّقدي، الّذي يعتبر التّحليل تدميرا للفكرة، ومثال ذلك أنّ الذّهن التّحليليّ الّذي يرى في الملك شخصا مّا جالسا على عرش. يدمّر فكرة الملك، والملكيّة في تقدير الذّهن المحافظ، ومن الممكن ترجمة الانتصار النّظري للذّهن التأليفيّ في السّياسة بانتصار التّفكير المحافظ على التّفكير الثّوريّ. يصبح المجتمع تحت سلطة تراتبيّة الأشكال غير القابلة للانحلال. إن تمكّنت القوة الثورية من قلب المؤسّسات الملكيّة، ذلك أنّ الذّهن التّحليليّ استطاع أوّلا أن يذيبها بنسف معناها. لأنّه باختزال هذه المؤسّسات في عناصرها الأولى، يفراغها من معناها القابع في شموليّتها غير القابلة للانحلال. يتشكّل عند المحافظين والثّوريّين تحت تأثير النّظريات الرّسميّة الكبرى انفصال بين الذّهن التّحليليّ والذّهن الثّوريّ. تظلّ الدّوافع لتغيير البنية الاجتماعيّة وتحتدّ لكن من الضروري تغيير الحوافز.

لقد تمّ تهشيم الذّهن التّحليليّ، وما تبقّى منه احتكره اللّيبيراليّون الفولتاريون. سوف تطلب المعارضة الجديدة من الذّهن التّأليفيّ توفير حوافز. يستعمل المحافظون الذهن التأليفيّ حين يعلنون أنّ الكلّ غير قابل للتّحويل إلى عناصره- وبالتّالي

فالمجتمع غير قابل أن يتحوّل إلى أفراد. لن يفكّر الثّوري أبدا مثلما كان يفعل سنة 1789 في المطالبة بحقوق الفرد. تخلّى عن هذا التّصوّر الباطل للعالم والتانخنغ[185] التّحليليّة الّتي تمّ إنهاك أداتها الأساسيّة. لن يعارض الكلّ بعناصره، ولا المجتمع بأفراده. بالعكس سوف يبحث عن تأليفيّة أكثر اتّساعا تلمُّ مختلف المجتمعات بداخلها، بشكل يسمح لهم أن ينقدوا كلّ واحد من هذه المجتمعات لتمرّدها على الكلّ الجمعيّ. لقد تمّ العثور باكرا على الموضوع التأليفيّ، متمثّلا في الإنسانيّة، غير أنّ عبارة الإنسانيّة هذه تحتمل أكثر من معنى. ويتمحور المعنى الحديث على أنّه لم يتمّ إماطة اللّثام عن الشّرط الإنسانيّ لكلّ فرد. تبعا لذلك، فالإنسانيّة هي بالضّرورة الكلّ التّاريخيّ للنّاس الّذين عاشوا، والّذين يعيشون والّذين سيعيشون. وهو ما يسمح للثّوريّ والمحافظ، على حدّ سواء أن يتقاطعا في معارضة ملكيّة أو قوميّة، لما يجمعهما من مشترك إنسانيّ.. وها هي الإنسانيّة آخذة في السّموّ بتاريخها، من اللّحظة الّتي وقعت فيها تسمية الإنسانيّة والتّفكير فيها ككلّ. ليس هناك من تاريخ إلّا في الإنسانيّة. من الممكن أن ينفتح هنا أيضا باب على الشّرط الإنسانيّ.. التّصوّر الوحيد المتسامي بالتّاريخ الّذي عثر عليه هو: النّوع. وهذا المفهوم للنّوع وفّرته له البيولوجيا. وهي مصحوبة بالضّرورة بالفكرة الإضافيّة للكرة الأرضيّة، بما أنّ النّوع يتحمّل شرطه الذّاتيّ. ويكمن هنا تقهقر مضاعف: ذلك المتعلّق بالشّرط الإنسانيّ وبالعالم في الكرة الأرضيّة. غير أنّ ما يؤسّس للمفارقة، رغم أنّه مشترك في الجملة، أنّ التّصوّرات المتقهقرة لم يتمّ النّظر فيها بعد. يعدّ التّقهقر تاريخيّا سابقا على المفاهيم والمفاهيم المضادّة. فالأصالة موجودة قبل الأصالة. ومن خلال فكرة النّوع، تمّ إلقاء الإنسان خارج نفسه، وليس في العالم وفق المعنى الهيدجيري، ولكن في قلب العالم، وبالتّحديد على الأرض. وخجل ارتباطه بالعالم مُسْتَشْعر، لكن تحت شكل متقهقر للتّعايش بين الأرض والكون الفيزيائيّ. بهذا المعنى يمكن لبالانش الحديث عن فكرة «الإنسان الكونيّ»، وما يقع في سلسلتها من تسميات وأفكار، من قبيل فكرة الحيوان الكونيّ، وفكرة الوجود-في- العالم. وفكرة «المصير الأرضيّ للإنسان»، وفكرة

185. الرؤية الكونية.

عمل/ أو حركة الإنسان على الأرض. فكرة السّان- سيمونيين: يجب على فكرة استغلال الإنسان من قبل الإنسان أن تتبدّل إلى الإنسانيّة للكون. كتب كوربون[186]: «الأهمّ دلالة على ظواهر الحياة... التّأسيس المتطوّر لأداة العمل والزّيادة المتطوّرة للحركة الإنسانيّة في العالم». نرى هنا أنّه قد تمّ التّعامل مع العمل، وابتكار الأدوات كما لو أنّها ظواهر الحياة. لكن ليست من ظواهر حياة الأفراد: حياة النّوع. وفي هذا الصّدد يرى رينان أنّه: «لن تبدأ السّيادة الكبرى للذّهن إلّا عندما يخضع العالم المادّيّ بالكامل للإنسان[187]». ومن هنا يمكن الحديث عن كرامة العمل الّتي يحوز من خلالها النّوع البشريّ في كلّ يوم على المزيد من الكون، فيخضعه لإرادته. وعن قداسة العمل الّتي عبّر عنها لامارتين بقوله: «أووه أيّها العمل، أيّها القانون المقدّس للعالم».

لماذا القداسة؟ ببساطة لأنّ فكرة النّوع البشريّ لها وجهان: طابع بيولوجي وطابع دينيّ. بالنّسبة إلى الإنسان هو دين لأنّ كلّ فرد هو في الحقيقة «وجود مشترك» (سان سيمون) ويحيا دائما «في ركن من النّوع البشريّ» (بلانكي). الإنسانيّة بالنّسبة إليه وسط شهوانيّ وذهنيّ. فلا وجود له على الأرض إلّا من خلال الإنسانيّة. هو النّوع المحظوظ المطلق والمنتهي في ذاته. وفي هذا السّياق يُصرُّ «كاسو» ولديه مبرّر لذلك على هذا الطّابع الإنسانويّ: «من خلال الفعل الدّينيّ ينفصل الإنسان عن عقائده، عن دياناته ليرضى بالدّين، الّذي من خلاله يكشف نفسه لنفسه باعتباره نوعا...» (كاسو ص43): «**للإنسانية مستقبل دينيّ**» (سان سيمون). غير أنّ هذه الأديان تقهقرت شأنها شأن البقية لأنّ موضوعها نوع. ثمّة هنا ما يشبه عنصريّة الإنسانيّة. من خلال تجنّب الاختيارية يصلح الطّابع الثّاني لفكرة النّوع، طابعه البيولوجيّ. اكتشاف القرن هو تطوّر الأنواع، وبالانش هو أوّل من استعمل هذه العبارة. سوف يجد التّطوّر الإنسانيّ ينبوعه في القوى الأشدّ صمما، والأشدّ عضويّة في النّوع، مستندا على التّحوّليّة. عوض أن يكون النّوع البشريّ فقيرا وسكونيّا كما كان عليه في زمن

186. أنتيم كوربون عامل توبوغرافي محرر بمجلة الورشة شهرية ذات نزعة اشتراكية دينية. تمّ تعيينه نائب رئيس المجلس التأسيسي لسنة 1848.

187. أرنست رينان مستقبل العلم أفكار1848 تم ذكره في 48 لجان كاسو.

لينينيّ، فهو يحمل في داخله مستقبلا غير متميّز، غير معروف أيضا ولكنّه مفعم بثروة عارمة. سوف نستعيد هذا العدم المتميّز والمحبّب لإله التّصوّف، ونفقده من خلال تقهقر المفاهيم الأولى وعدم أصالتها. وفي الوقت نفسه لا بدّ من تجنّب الهيام والاختياريّة: نحبّ الإنسانيّة وهي لا تعارض إلّا المجتمعات بأنظمتها السّياسيّة الّتي لم تتغيّر، إنّها هي نفسها. يقول كاسو في هذا الصّدد: «قريبا سيكون المستقبل هو المادة الحيويّة الّتي نكون منها نحن، بها نحيا ونتحرّك».

ينشأ عمّا تقدّم التّحول الجدليّ لفكرة النّوع البشريّ: عبادة المرأة باعتبارها الرّحم الكوني، باعتبارها رمز الخصوبة. فمستقبل الإنسانيّة منذور لها.

لذلك تتحوّل الفكرة التأليفيّة لجملة النّاس من خلال جدليّتها الذاتيّة إلى فكرة النّوع البيلوجيّ يسمو بتاريخه. تستدعي هذه الأخيرة الفكرة الإضافيّة لـ«الوسط الأرضيّ»، الّذي يتحوّل إلى «كون لغزوه». فكرة غزو الكون باعتبارها المهمّة الحقيقيّة للكائن البشريّ تجد موضعها في مضادّ الطّبيعة عند «كونت وماركس»، تمنح العمل كرامة تجد بدورها موضعها في تعريف «ماركس» للقيمة. تلتحق في الأثناء فكرة التّحوليّة بفكرة النّوع لتحارب الميل الذّاتيّ للجنس البشريّ الّذي يحتاج ويتثبّت. والفرد ضائع في قلب الجوهر البشريّ مثلما أنّ الإنسان السبينوزيّ ضائع في ربّه اللّامتناهي، لا يجد مشقّة في عشق كلّ هذه التأليفيّة الّتي يمثّل هو طرفا فيها.

المذهب لا يثبت لكنّه يترك أثره فينا. المثاليّة الإنسانيّة ولدت إنسانيّتنا و«أندريه جيد» في حدّ ذاته متأثّر بذلك. سوف أنسخ يوما مّا إحدى الفقرات الإنسانيّة الغريبة الّتي أوردها في يوميّاته، حيث يقول إنّ الله في المستقبل [188]. وإن بحثنا اليوم عن المبادئ السّياسيّة فلن نختار بالأساس سوى أربعة تصوّرات للإنسان. التّصوّر التأليفيّ المحافظ الضيّق: الحركة الفرنسيّة [189]، التّصوّر التّأليفي الضّيّق الشّبابيّ:

---

188. مثلما ورد في 20جانفي 1916:" ليس الله خلفنا، إنّه قادم. ليس في البدء' بل يجب البحث عنه في نهاية نمو الكائنات. إنّه نهائي وليس أوليّا. هو النقطة النهائية والأخيرة التي تنزع كل الأشياء نحوها كل الطبيعة في الزمن "انظر أيضا ص725 أوراق 1921(مكتبة البلياد).

189. الحركة الفرنسية حركة ملكية " الوطنية الكلية" مستوحاة من شارل موراس.

العنصرية الماركسية – التّصوّر التأليفيّ الموسّع: المثاليّة الإنسانية – التّصوّر التّحليليّ: الفردانيّة العدميّة. ولن نجد إطلاقا ما يعود في مرجعيّته إلى الشرط الانسانيّ، كمحدّد إنطلاقا من «الحقيقة – الإنسانيّة» الفرديّة.

نستهلك هنا كمّيات كبيرة من أوراق الجرائد (لتغطية بلّور النّوافذ، للاستعمال في المراحيض، الخ) لكنّنا لا نستعمل جريدة اليوم على الإطلاق، وكيللر هو من يدافع عن ذلك. رغم أنّ هذه الجريدة تكون قد قرئت من قبل وأعيدت قراءتها وتمّ التعليق على ما ورد فيها منتصف النّهار– وكلّ واحد مقتنع أن لا جديد فيها – وإن افتككناها، ينتزعها منّا عنوة وهو يدمدم ساخطا: «لا يمكن استعمال هذه، إنّها جريدة اليوم». كلّ جريدة عليها أن تنجز تربّصا لوقت عجيب بل ومتغيّر في قاعة المدرسة، في فترة هذا التّربّص تُعتبر هذه الجريدة ذابلة، منكسرة في صفتها كجريدة سقطت ضمن صنف الأوراق. حركة متقهقرة للمدّة الصّافية والتّقادم في السّنّ.

لم يكن كيللر بالخوّاف، وما هو بشاعر، ورغم ذلك فإنّه يظلّ ساهرا طول اللّيل، بعد أن يؤدّي مناوبة حراسته في المدرسة، بدلا عن الاستلقاء على فراش القشّ، والتّمتّع بالنّوم، ولم يتسنّ لنا أن نجد تفسيرا مقنعا فكلّما سألناه في الغد، عن ليله فيم قضّاه، تكرّم علينا بالإجابة نفسها، «قرأت الجريدة حتّى منتصف اللّيل، وفي الثّالثة سددت رمقي ببعض الطّعام، وفي الرّابعة تغوّطت» ولم يكن إصرارنا يجدي نفعا، فإذا ألححنا، اضطرب، وغمغم «أووه هناك أنوار». غداة حصة مناوبته يلوذ بغرفة وينام في مكانه يزعزع الصّمت بشخيره المتقطّع المتذمّر.

خريف

تقع الأوراق، ونقع مثلها

تموت الأوراق لأنّ الله يريد ذلك

لكنّنا نحن، نقع لأنّ الأنجليز يريدون ذلك

عند الرّبيع القادم لن يتذكّرنا أحد

لا بالأوراق الميتة ولا بالعراة الميّتين

سوف تمرُّ الحياة فوق قبورنا.

عثرت على هذا النّصّ مطبوعا على ورق مسنّن شبيه بورق الأشجار، تخترمه التّعاريق، واللّون الجميل للصّدأ. كان منشورا ألقته الطّائرات الألمانيّة على بعد مئتي متر من هنا والتقطه فلّاح. جاء به إلينا، فتداولنا قراءته واحدا بعد الآخر. تحت النّصّ رأس ميّت في خوذة. وفي الأثناء كان بياتر، من أنّ زوجته تعامله باعتباره رجلا مفقودا، وحدث أن كتبت له بشأن رسالة مستعجلة ذات طابع تجاريّ، ما نصّه «اكتب له أنت، بما أنّك لا تلوي على شيء فأنا لا وقت لديّ لأردّ على صاحبها».

الأربعاء22

جملة ممّا قرأت في 48 لـ «كاسو»: «الدّم لابدّ للدّم الغرائبيّ لفلورا تريستان ومصيرها[190] المغامر أن يلد في هذا البطل المهيب للفنّ والعدميّة، حفيدها بول غوغان صدمة غير لائقة». أشعر بمركَّب نقص صاف قبالة بول غوغان، فان غوغ ورمبو لأنّهم عرفوا كيف يتوهون، غوغان في منفاه، فان غوغ في جنونه وأمّا رمبو فقد كان أكثر جنونا من كليهما لأنّه عرف كيف يتخلّى حتّى عمّا كتبه. أعتقد جازما أنّه لبلوغ الأصالة لابدّ من أن ينهار شيء مّا. هذا هو في المحصّلة الدّرس الّذي تعلّمه أندريه جيد من دوستويفسكي، وهو ما سأجعله ثيمة تدور حولها أحداث روايتي القادمة. غير أنّني بمنأى عن الانهيار. إنّني مقيّد برغبتي في الكتابة. حتّى في الحرب أقع مجدّدا على قدميَّ لأنّني سرعان ما أفكّر في كتابة ما أشعر به وما أراه. لو أنّي أضع نفسي محلّ سؤال، فسيكون ذلك السّؤال، متعلّقا برغبتي في الكتابة، غير أنّني أنّ الأشياء الّتي نضعها على محكّ السّؤال تكون أكثر من غيرها مهدّدة بالانهيار، هناك ما يشبه الضّمانة القويّة والمزعجة في آن بالنّسبة إلى الآخرين، سواء أتعلّق الأمر بفاندا، أو بالمرأة القمريّة[191]، وهي ناتجة بالرّغم من كل شيء من أنّني أترك شيئا ما مني سليما،

190. في نص: العبقرية.

191. دفتر 1 ص149 التدوينة 2.

معافى، بغباء.

تخطر ببالي في هذا السّياق حكاية رواها نودين، مدارها أنّ أحد الضّبّاط الألمان كان على الجانب الآخر من «راهين»، يراقب الجانب الفرنسيّ بمنظاره، انتبه إليه ملازم فرنسيّ فأمر أحد الجنود أن يطلق النّار عليه، بيد أنّ لم ينصع إلى الأمر، وأحجم عن الفعل، ولمّا استفسره الملازم عن السّبب أجاب بكلّ ثقة «إنّه إنسان»، ولم يؤذني بأيّ شيء، لا أريد أن أقصف حياة إنسان. ولمّا يئس الملازم، وجّه الأمر إلى الجنديّ الآخر، فرفض مثل سابقه ولم يكن ثمة ثالث.

ولمّا يئس الملازم، من إقناع أحدهما، بأن يطلق النّار على الهدف، لم يجد بدّا من أن يحتال، فوجّه إليهما الجيث قائلا: «أطلقا النّار، في الوقت نفسه، حتّى يلتبس عليكما الأمر، فلا يعرف أحد منكما، من أصابه» فأذعنا، وأطلقا النّار كلاهما، ليقضي الألماني.

أن يكون «نودين» هو الرّاوي فهذا كفيل وحده، بتكذيب الحكاية، أو بالشّكّ في صدقها، لقد تلاها في كامل هدوئه، دون أن يظهر على ملامحه أيّ انفعال، لم يكن ساخطا قطّ ولا ناقما، لقد سردها مثلما يمكن أن يسرد أيّ خطب عاديّ، وإذا كان للأمر من أهمّيّة تذكر، فهو أنّه قد رواها، ولا شكّ أنّه قد نقلها عن شخص آخر، تلقّاها بدوره، عن راو آخر. وكان تفاعل المساعد مختلفا، فقد علّق على الحكاية بقوله: «كم هما محظوظان، هذا الجنديّان، لو كنت رفقتهما، لمنحتهما اثنتي عشرة رصاصة، ولن يتجرّأ أحد على اتّهامهما بسرقتها، فلم أجد بدّا من أن أعترض على رأيه، مبيّنا أن لا جدوى من تلك الطّلقات، ولا حكمة في إزهاق الأرواح، فردّ مجاملا، وهو يحاول أن يتخلّص من الموقف، لتعارضه مع أخلاقيّات القتال، ومضى محرجا، يشرح لنا على السّبّورة مبادئ تحديد الصّوت، والطّباشير في يده».

نودين كثير التّشاؤم من التّفاصيل بكيفيّة غريبة، ولعلّ الأمر ناجم عن عدم نضج، وعن ارتيابه من الحرب وعدم الاقتناع بها في بنيته اللّا واعية، وربّما قاده مثل هذا الوضع إلى توهّم أشياء لا وجو لها إلّا في خياله المريض، فلعلّه كان ينتظر من الطّائرات الألمانيّة الّتي ألقت مناشيرها يوم الأمس، أن تمطر المكان أقلاما قابلة للانفجار بمجرّد لمسها. ولم تؤت نفعا كلّ محاولاتنا في أن نفسّر له الأمور بواقعيّة، إذ

ليس يعقل أن يروّج العدوّ لفكرة السّلام، بشكل رمزيّ، ثمّ يأتي ضدّها، ليخلد في آخر المطاف إلى الصّمت المطبق، يجترّ تشاؤمه. وانتهى به الأمر إلى الخروج، بعد أن أوصد الباب بعنف، ليشير المساعد إلى الباب المغلق وهو يردّد في أسف: شخص بهذه الطّباع سيكون كارثة حقيقيّة على المدفعيّة.. فالقائد.. القائد الحقيقيّ..»، ولم ينه مقالته، حتّى فتح الباب من جديد، ودحل نودين مجدّدا، فتوقّف المساعد عن إتمام جملته، وبدا أنّ نودين قد تضايق وشعر بضرب من الاستفزاز الدّاخليّ، فواصل صمته، كاتما غيظه.

إنّ هذه الأشكال المقّعة لتمرّد نوين، تكتسي قدرا غير يسير من الأهمّيّة، إنّه دون شكّ متمرّد كسيح، وحسود متلولب مغتاظ، فلاح مُجنَّد، طال حسده العمّال، من مكث منهم ومن سعى إلى عمله في المصنع، ورقيب أوّل احتياطيّ، يحسد مساعدي الضّباط في الخدمة ممّن يحصلون على رواتب، وهو يحسد الموظفين الذين مازالوا يستلمون مرتَّباتهم.غير أنّ هذا الاستياء لا يذهب به إلى حدّ الثّورة، فهناك عوامل عديدة تكبحه وتشتّته:كاثوليكية، محافظة، امتثاليّة ملتزمة، غباوة، طيش، وعوامل أخرى من غير الممكن اختزالها في عبارة واحدة، وله مُركَّب نقص إزاء التّدريبات. وهو فضلا عن ذلك جبان متملّق، يصانع الآخرين.

في بداية الحرب قال نودين: «لقد تمّ تجنيدي ثلاث مرّات: في شهري سبتمبر ومارس من سنة 1938، وفي أوت من سنة 1939. لقد سئمت ذلك، لا يجب أن يطول الأمر أكثر من هذا. أريد الذّهاب إلى أبعد حدّ. أريد لهذه الحرب أن تشهد أوجها، ثمّ تنتهي فنرتاح». ها قد مرّت ثلاث سنوات، أصيب بخيبة كبرى بمناسبة صرف رواتب مساعدي الضّباط. وفي أوج مزاجيّته الآن، وفي أشدّ لحظات حنقه، ها هو يصرّح في حقد: «كلّ ما أطلبه هو أن أعود سالما وفي أقرب وقت». عدا هذا، هوشخص متين البنية، منتعش الجسد. يبلغ من العمر تسعا وعشرين سنة، شابّ جميل بخدّين محمرين، وصوت خافت رائق. قال عنه «بياتر» إنّه دون شكّ ديك قريته. عضلاته متينة، مع كرش منتفخة شيئا مّا، غمّازة أسفل ذقنه، فما لم يكن أحمر، فهو أزرق، بسبب اللّحية الكثة. طابع هزلي ومتشمم لجرو صغير، ماجن شيئا مّا

بقلب منفطر.

يمدّ «كيللر» كلّ مساء في حياته المدنيّة سلّما على واجهة منزله ويقوم بوصل خيطين إلى المولّد القريب منه، يسمح له ذلك أن ينتفع بالكهرباء بمعزل عن العدّاد. يفعل ذلك كلّ ليلة، فإذا أصبح، يأخذ سلّمه ويقوم بفصل الخيطين، وكأنّ شيئا لم يكن. وصار طموحه بعد الحرب أن يشتري قطعة أرض ويبني عليها منزلا. غير أنّه لن يستطيع الحصول على الغاز في بيته، لأنّ تكلفة الغاز باهظة. وقد أوجد لنفسه حلّا، فجعل لبيته موقدا كهربائيا يغذّيه بنفس الطّريقة السّابقة. «هذا من أفضل مزايا ضواحي باريس قال بول. هل تعلم أنّ كلّ الخطوط في أنابيب معدنيّة وسط باريس».

الخميس 23

جاء الجنود المقيمون في المناطق الّتي تمّ تهجير سكّانها، على كلّ شيء، فعاثوا في المكان فسادا، حطّموا وهشّموا، وتغوّطوا في الأسرّة، وهشّموا الخزائن بضربات الفؤوس. وقد وجب التّذكير بهذه المناسبة بأنّ فرنسيّي الدّاخل، رغم ما وجدوه من حفاوة من لدن سكّان الألزاس، الّذين أحسنوا استقبالهم، ووفادتهم، إذ سمح لهم البورجوازيّون أن يقيموا بشكل مجّانيّ، فعاملوهم كضيوف معزّزين، ووجدوا من لدن النّساء الرّقّة واحتفى بهم الأطفال، إلّا أنّهم ظلّوا يتحدّثون عن قساوة الألزاس، ويحدث أثناء تنادمهم أن يصيبهم الشّجى، فترشح كلماتهم أسفا وحزنا، يحدث هذا وهم يترعون كؤوس الخمر الألزاسيّ، ويأكلون الكرنب المملّح والمخلّل.

تساءل رقيب مثقّف في حزن وأسى: «ماذا تريدون، كان بإمكان هؤلاء النّاس أن لا يكونوا بمقدار ما كنّا عليه سنة 1918 من رقّة تجاوزت كلّ حدّ، من الرّائع أن نحترم عقائد الآخرين، وخصوصيّاتهم، لكن وجب قبل كلّ شيء أن يكونوا فرنسيّين». لقد آلم الجنود أن يسمعوا الأطفال وهم يتحدّثون الألزاسيّة، إنّهم يدرسون خلال كامل الأسبوع ساعة يتيمة مخصّصة للفرنسيّة، ويتلقّون فضلا عن ذلك ضربات السّخط على مؤخّراتهم. لقد التقوا كلّهم بألزاسيّ قال لهم: «لست فرنسيّا،

ولا ألمانيّا: أنا ألزاسيّ، ألزاسيّ فحسب». في إحدى حانات بروماث قال أحد الجنود السّكارى مستاء، وهو يرى الكاستور تقدّم اعتراضات: «أنت ألزاسيّة!»، ثمّ وهو يعاود هجمته مجدّدا: «هل أنت معنا أم معهم؟». يحدث لهم وقد أتخمتهم النّقانق، أن يحرّكوا رؤوسهم بحدّة متوحّشون! من المستحيل العثور على قطعة نقانق شائحة في كلّ بروماث! وفي يوم آخر قال أحد العرفاء، متأسّفا: «ها أنا ذا أقوله لك، إنّني جزّار، وتحدّثت مع جزّار من بروماث، هل تعلم ماذا يفعلون إذا، يكشطون لحوم الأبقار المصابة بالحمّى القلاعيّة أو السّلّ ويستعملونه نقانق. إنّهم يعدّونها بهذا الشّكل نقانقهم المشهورة في سترازبورغ». يضيف أحد المساعدين قائلا: «سوف ترون: الأجمل من كلّ شيء في الرّخصة ليس رؤية السّيّدة البورجوازيّة والأبناء، بل سماع فرنسيين يتحدّثون فرنسية فرنسا». نرى أنّ هذا السّخط المشروع يؤدّي بسهولة إلى التّغوّط في أسرّة المهجّرين. بل إنّ أمهات هؤلاء الفرنسيين الطّيبين وزوجاتهم، يجعلن الألزاسيين يرون من ناحيتهم أنّه ليس من الضروريّ عليهم أن يعتبروا أنفسهم فرنسيّين. بل يعاملونهم مثل الكلبات. كتبت لي بوبات [192] إن طَال سان-حيرمان-لي-بال يتجوّل في القرية ليعلن قدوم المهجَّرين وينهي خطبته المملّة بهذه الكلمات: «ولا تنسوا إنّهم رغم كلّ شيء فرنسيّون».

هذا الصّباح كنت وهانغ وبياتر وبول نتحدّث في السّياسة حول تنظيم أوروبا إثر الحرب. قلنا كمّا هائلا من الحماقات. كان نودين منزويا في ركن من القاعة يحاول كتابة رسالة، غير أنّ ضجيج محادثتنا منعه عن ذلك فحشرج قائلا: «لقد أزعجتموني، لقد أزعجتموني». حاول هانغ جلب اهتمامه لمحادثتنا دون جدوى. قلت له فجأة وهو يحاول أن يشدّ رأسه بكلتا يديه ليغيب عن العالم: «ألم تسمع بالخبر، لقد ذبح الألمان سجينا فرنسيّا بالقرب من ويسامبورغ». قام من مكانه وتقدّم منّي متشمّما: «من الّذي قال لك هذا؟» أجبته بشكل غامض: «أحدهم...» ثمّ أضفت بعض التّفاصيل: «كان ثمة سجينان، أصرّ أحدهما أن لا يعترف بأيّ شيء، فتمّ ذبحه، وأمّا الثّاني، فقد تمّ تهديد بأن يسكب عليه الوقود، وتضرم فيه النّار، فاعترف وقد أصابه الهلع بكلّ

192. كنية هيلي ندي بوفوار الأخت الصغرى للكاستور.

شيء». ساخطا، نسي نودين رسالته ودمدم: «آه الأوغاد! فليأتوا! واحدا ضدّ واحد، أريد أن أراهم، وسنرى إن كانوا سيذبحونني». عاد للجلوس في إحدى الزّوايا، ثانيا ذراعيه، وهو لا يكفّ عن تحريك رأسه، مرتعبا، هائجا، في حدّة يكسوها الرّضا: لقد حصل على وجبته من الرّعب هذا الصّباح.

يتحمَّل المساعد كلّ المحادثات منزويا في كبره ولا يعطي أيّ شيء.

مستيقظا فجأة هذه الليلة عند السّاعة الواحدة صباحا شرعت في التّفكير في الإرادة. كان يجب أن أفهم كلّ شيء غير أنّني اعتقدت أنّني قد تصرّفت قليلا في السّؤال.

أرى أوّلا أنّ التّصوّر الكلاسيكيّ للإرادة، فعل خاصّ ينبثق من قلب الوعي، ويصطدم بعقبتين.

أوّلا فعل إراديّ في نظر الوعي- الّذي يجب أن يكون وعيا بذاته-، ويجب أن يريد هو نفسه. أريد الذّهاب إلى باريس. حسنا. لكن إن كانت إرادتي مدفوعة من خلال رغبة، فلن تـكون إرادة أبدا، أو فعلا متخيّرا خارجا من قلب الوعي، إنّها بنية مدفوعة شبيهة ببقيّة البنى. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فستكون إرادتي المتعلّقة بالذّهاب إلى باريس، لا إراديّة. هذا عينه ما رآه «كانط» بشكل جيّد في نظرته لاسقلال الإرادة: إرادة تريد أن تكون جيّدة بمناسبة الفعل الّذي تريده. لن ينفع في شيء اشتقاق الإرادة من الأنا، وفقا لرؤيته، لأنّها تصدر عن معطى وليس مهمّا غيابه، لأنّه يحقّق استمراريّته، على طريقة الأنا العميقة لبرجسون، لتصدر الإرادة في جميع الأحوال بشكل طبيعيّ، فلا يمكن اشتقاق الإرادة من الأنا إلّا إذا تمّ اشتقاق الأنا من الإرادة. كذلك، هي الإرادة، مثل الوعي، تحيل على نفسها. وهي كما الوعي، إلّا إذا وقعت في سلسلة ردود أفعال إرادية مريدة ومُرادة. من الضّروري القبول بأنّ هذه الإحالة على الذّات تشبه البنية التّحتيّة للإرادة. يتعلق الأمر إذن بشكل من أشكال الحجّة الأنطولوجيّة للإرادة. تريد الإرادة نفسها كما تريد شيئا مّا. هكذا نحصل على بنية تحتيّة غير -أطروحاتيّة (كما هو الشّأن بالنّسبة إلى الوعي): إرادة (أن) أريد، والقصديّة الإراديّة المتعالية: إرادة مُرادة، أي أن أريد شيئا مّا. يبقى أنّ التّماثل مع

البنية النّوعيّة للوعي لا يجب أن يكون خادعا: أن يكون وعي ما هو وعي (ب) الذّات، لا شيء أفضل، ليس الوعي موضوعا للوعي في الوعي الأطروحاتيّ: لا يتعلّق الأمر هنا بمعرفة تفترض ثنائيّة موضوع -محتوى، بل بشفافيّة خاصة بالوعي كما شرطه الوجوديّ. بالعكس يبدو أنّ هذا الأريد المريد هو من النّوع المعرفيّ، أي أنّه يتكوّن في جوهرة من ثنائيّة. من المستحيل تصوّر الوحدة المتلازمة للإرادة وموضوعها إن لم نجتزئ الكلمات. وهذا لسبب بديهي، هو أنّ موضوع الإرادة هو المستقبل. هو نوع من الممكن حيث مادّته الأنطولوجية هي المستقبل. هناك إذن مدّة زمنيّة بين الإرادة وموضوعها، مهما كانت هذه المدّة. فكرة إرادة مرادة في البنية التّحتيّة لنفس الوعي هي ذاتها متناقضة. بالرّغم من أنّها تنطلق في منطقها من فكرة الفعل الإراديّ- إن لم نصنع منها تمشّيا محدّدا بصرامة (لكن يفقد الفعل الإرادي وقتها خصوصيّته- يصبح من المستحيل تمييزه عن الرّغبة، عن الشّغف، عن الآليات، الخ).

العقبة الثانية إن موضوع إرادتي هو على مسافة منّي من حيث تموقعه في الزّمن. وفي المقابل فإنّ الحرّية الّتي تضعها في الفعل الإراديّ، تمنعك من أن تريد عكس الزّمن.. تريد أن تتّخذ في غدك هذا التّمشي، لكن ما الّذي سوف يضمن لك أن لا تكون ضدّك؟ فإرادتك اليوم سوف تخيب غدا في الماضي، خارج الوعي، سوف تتحوّل إلى عظم وسوف تصبح بدورك متحرّرا منها: حرّا لاستعادتها لحسابي أو أن التزم ضدّها([193])، فالقسم ليس ضدّ الذّات ولا ضدّ الزّمن. أداء القسم للذّات، نموذج لجميع أنواع أداء القسم الأخرى، هو رقية سحرية لا جدوى من ورائها يحاول الإنسان من خلالها جعل حرّيته المستقبليّة فاتنة. بل هو لا يقسم إلّا عندما يشعر أنّ هناك أخطارا كي يخطئ أداءه للقسم. أداء القسم اعتراف بالوقوع في ضيق شديد.[194] إنّ كلّ فعل إراديّ من النّوع المذكور، ليس هو في أساسه إلّا شيئا آخر،

---

193. انتظرنا حسب السياق:" لحسابك أو تلتزم ضدها "انظر الدفتر 12 صفحة 450 والتدوينة 1.

194. تظهر هذه الجملة بشكل شاذ في هذه الحجاجية ليس كل هذا المقطع ربما مجرد تحليل فلسفي موضوعيّ. ألا يتساءل سارتر خفية هنا حول الأسلوب الارادي لبعض أفعاله، في حياته العاطفية

وضربا من الأداء المقنّع للقسم. ما أريده هو إرادة المستقبل. وهكذا نعثر على الثنائية إرادة مُرادة، بالفعل أنا لا أستطيع أن أريد إرادتي اللّاحقة. إن أدرت العينين.. إن أحكمت قبضة يدي وأطبقت فكيَّ قائلا: «أريد أن أكون وفيّا لها»، أريد في الفراغ، أريد زمرة من الإرادات المخصوصة التي توشك أن تفلت منّي. أسمّيها إرادات فارغة. هذا النوع من الإرادات – وهو النّوع الموجود بكثرة – في تشابه مع النّوايا الفارغة لهوسرل. أخشى أنّها لم تصلح كنموذج في التّصوّر الكلاسيكيّ للإرادة. تنفصل في مجرى الوعي وترافق بحدة قويّة، وهو ما يجعل منها دون أدنى شك عقيدة ممتلئة. لكن ينقصها اللّحم ليملأها، هذه الإرادة نفسها التي تبدو ظاهرة أولية ونحن محالون عليها. لقد انتبه أكثر من شخص إلى عدم فاعليّة هذه الارادات الفارغة الّتي جئناها من خلال الخيبة والشّكوكيّة، أن لا نمسك بالإرادة إلّا حين تكون وعيا يمتدّ على مدار الفعل كلّه، ومراحل تحقيقه. فليس هناك فرق بين الإرادة والفعل. ليس فعلي فقط هو ما يشهد لي عن إرادتي، لكن ومن جهة أخرى إرادتي يعرفها الفعل، إلى درجة أنّ الفكرة الملموسة في نهاية تطورها وثرائها، تصبح هي الموقف. إنّها الحلقة اللّانهائيّة: لا بدّ من محاكمة الأفعال من خلال النّوايا. لكنّ النّوايا في حدّ ذاتها تظلّ خاضعة للأحكام، مرتبطة بالأفعال ذاتها. الفعل في علاقته بالإرادة يعدّ سندا ماديّا، ومفسّرا، تماما مثل العلاقة الّتي تصل اللّغة بالتّفكير. ومن هذه الجهة فإنّ الفعل يمثّل الطّابع الخارجيّ للإرادة، الّتي تمثّل بدورها الموضوع الدّاخليّ الموحّد للفعل؛ ومثلما أنّه لا إمكانيّة لوجود إرادة دون فعل، فلا سبيل لوجود تفكير دون لغة. لست هنا

بالخصوص؟ مع الإشارة أنّه في 8 أكتوبر جدد "عقده" مع سيمون دي بوفوار لمدة عشر سنوات أخرى (رسائل للكاستور) وخاصة أقسم على الوفاء ل ب (رسالة 2سبتمبر إلى "لويز فردين" –بيانكاب الحقيقية) والتي استمر في كتابة رسائل حب إلىها رغم أنّه لم يكن متيقنا أنّه يحبها. بسماحه لبعض المقربين منه أن يقرؤوا هذه الدفاتر في الوقت الذي يكتبها، امتنع عن تدوين أحاسيسه وما يفكر فيه في هذا المستوى بشكل حر، الحذر من ايحاءاته لمشاعره العاطفية الحاضرة (فاندا) أو المنقضية (أولغا) – يؤكدها وينفيها في نفس الوقت –والتحليلات المحرفة التي يطلع عليها الكاستور جعله ينتبه لذلك. فيما يخص دور أداء القسم في العلاقات مع الآخر، الجزء الثالث من الوجود والعدم الفصل الثالث. انظر أيضا نقد العقل الجدلي الجزء الأول الكتاب الثاني (من المجموعة إلى التاريخ).

بصدد توبيخ الأخلاقيّين في محاكمتهم للنّوايا بالنّظر إلى النّتائج. وإذا كان لابدّ من ذلك، فعلينا أن نتوخّى الحذر، فوجود هذه الإرادات الفارغة، يحوّل الحذر إلى أداة لكشفها، ومجابهتها، ولإخراجها من ساحة اللّعب. رغم أنّي أعرف وبشكل بديهي، أنّي إذا دقّقت الآن في داخلي، فسأجد فيّ عددا من الإرادات المكتنزة والفعّالة، وهي ليست منذورة بالضّرورة للتّحقّق، والتّجسّد، ومن ذلك مثلا إرادة أن أحافظ على صلابتي، وصرامتي، وأن لا آسف على شيء، أو أن لا أستسلم لليأس، وأن أكون موضوع سؤال على الدّوام، أو أن أغادر بعد غد إلى بروماث أو مورسبرون، أن أنهي روايتي قبل أن أشرع في شيء آخر، أن أمسك هذا الدّفتر يوميّا، أن أكتب إلى الكاستور كلّ ثلاثة أيام[195]، وكلّ يومين إلى أمّي. هناك قرارات وجب تنفيذها قريبا: الرّدّ على بولهان، هذا المساء، إثر إغلاق هذا الدّفتر، والرّدّ على الكاستور وفاندا، إلخ، إلخ. وفي المقابل ثمة من القرارات ما هو مؤجّل إلى أوقات أخرى، تتعلّق بعودتي إلى الحياة المدنيّة، حين يعود السّلم. قرارات كثيرة لا أكاد أفعل من أجل تحقيقها شيئا يذكر، وليس لديّ ما يشغلني فعلا عن إنجازها. ولا يمكن في تقديري أن نعدّها إرادات فارغة، وما هي في الوقت نفسه بالأفعال الإراديّة الممتلئة، بل لعلّها أفعال منقضية في زمن سابق، وظلّت في سبات حتّى تعاود الظّهور مجدّدا. وليس الأمر متعلّقا بذكريات إرادات، وإنّما هي إرادات حقيقيّة، لها وجودها الخاصّ والمستقلّ، وتمثّل فضلا عن ذلك وجودي الذّاتيّ. قد يعثر كل واحد منا على إرادات شبيهة شرسة وعنيدة، ولكنّها رغم ذلك تأبى أن تتحقّق. هل إنّ الخطأ كامن في أنّنا عادة ما نعتبر الإرادة فعل وعي، مختصرا ومحدّدا زمنيا، أي، وبشكل أدقّ، إرادة فارغة؟ وهو ما يعود بنا إلى القول إنّ الوعي الّذي يكون في العادة لا إراديّا، يمكن أن يتّخذ في بعض الأحيان بنية الإرادة؟ غير أنّني لاحظت في الدّفتر الثّاني أنّه من المستحيل إضافة الإرادة إلى الوعي، إذا لم يكن متجسّدا منذ البداية. ربّما يلزمنا الأمر

---

195. كتب سارتر بشكل يومي طيلة هذه الحرب الغريبة وكتبت هي له أيضا كما اتفقا من قبل، قليلا ما تخلف أحدهم عن الكتابة للآخر. لماذا هذه الدقة إذا هنا؟ لأن فاندا قرأت الدفاتر دون أدنى شك. الرقم 3 بخط غليظ مضغوط من المؤكد تمت إضافته فيما بعد.

أن نعود إلى مذهب سبينوزا، حتّى نتعرّف على إرادة الوعي، أو عن الوعي بما هو إرادة. سأعمل غدا على أن أشرح ما يعنيه ذلك.

انتابني هذا المساء شعور مباغت أنّني بائس إلى حدّ مّا. لم يدم ذلك الشّعور، كان عابرا.

الجمعة 24

يعاني بول من أزمة أرق جديدة هذه الليلة. أخذ في الصّراخ فجأة: «هوه! هوه! هوه! هوه! أوووه!»، «الأووه» الأخيرة بطيئة، ارتجاجيّة، فضائحيّة. قلت:« بول!»، ردَّ بول بصوت نعسان: «ماذا هناك؟»، أنا: «بول!» فردّ وقد ارتسمت على محيّاه ابتسامة غامضة، لبقة، وبنبرة مخصوصة: «لا أعرف أين أنا موجود». وبدا كما لو أنّه مستمتع بما يكابده من ضيق، وواصل حديثه بشيء من الجشع المستتر: «لا! فعلا لاشيء!» ثمّ قهقه عاليا. قلت: «أنت في برومات». ردَّ متضايقا: «إيه! أعلم ذلك». فسألته: «لماذا كنت تصرخ؟»، غمغم بول بسوء نيّة: «أنا، صرخت؟» عمَّ الصمت المكان ثمّ سمعت أثاثا يتحرّك، صوت قماشة مدعوكة، وأشياء ثقيلة يتمُّ جرّها.. لهاث.

وجّهت له سؤالي مستغربا: «ماذا تفعل؟»، ردّ بول وقورا، مهانا: «لاشيء.. استيقظت فقط». وسرعان ما عاد يتنفّس بشكل قويّ على إثر ذلك، وتحوّل هذا التّنفّس إلى شخير. حدث فيما بيننا ضرب من الاتّفاق، أنّ «بول»، كان نائما خلال كامل المحادثة الّتي جرت بيني وبينه.

لنعد إلى الإرادة. تأكّد لي أنّ بنيتها الأساسيّة هي التّسامي، بما أنّها تهدف إلى الما وراء، وهو ما لا يحدث إلّا في المستقبل. فالإرادة تحتاج إلى العالم، حاجتها إلى مقاومة الأشياء، إنّها تحتاج إلى ذلك لا باعتباره نقطة ارتكاز، لتبلغ أهدافها، ولكن حتّى تكون ذاتها، فمقاومة ما هو واقعيّ يسمح بتمييز الممكن عمّا هو كائن، باعتبار الواقعيّ لاحقا لما هو ممكن. لا يمكن أن نقف على هذا التّمييز في عالم الحلم، وذلك

لطبيعته التّخييليّة، فما يتمّ تصوّره في الحلم يظلّ بمنأى عن الواقعيّ، وضربا من الوجود الحالم، فلا فارق بين أن تتمنّى أن تشرب في الحلم، وبين الحلم بأنّك تشرب. إنّ الذّهن يظلّ في هذه الحالة واقعا تحت سلطة قوّته الجبّارة في أن لا يريد. إنّه حتّى لا إرادة له في أن يستفيق. فحتّى يكون الواقع ممكنا عليه أن يقتحم أرض الحلم. ينسحب الأمر نفسه على ما يصل الذّهن بالحدوس الابتكاريّة، حين يذهب قصيّا، فإذا كان مجرّد التّصوّر كفيلا بأن ينتج الذّهن شيئا مّا بطريقة حدسيّة، متى لم يجد وجها من وجوه الاعتراض، ففي حوله أن يحلم بالله، متى تبدّد الفارق بين التّصوّر والتّحقيق. ولن يكون عندها من السّهل أن نميّز ابتكاراته من انفعالاته، سيظلّ بما هو قوّة مطلقة أسير نفسه، ولن يكون في مستطاعه أن يريد أيّ شيء، لأنّ الإرادة تتحقّق ضمن المحدوديّة، وتنتفي مع القدرة المطلقة. هكذا إذن تصبح القوّة السّماويّة الجبّارة معادلة للخدمة الذّاتيّة بطابعها الكلّيّ، إذ يندفع الله من ابتكار إلى ابتكار دون أن يقدر على «إحداث مسافة» مع نفسه ومع الموضوع. ليس هناك من إرادة إلّا منتهية وعند كائن منته، وانتهاء الإرادة لا يأتيها من حدّ خارجيّ بل من جوهرها نفسه. تكون المقاومة مشروطة بالإرادة، كما هو الحال مع مبدأ الطّبيعة. وبما أنّه لا يمكن تصوّر الإرادة لاحقة على العالم، الأمر الّذي سيضعنا في أحضان المادّيّة، أو أنّ العالم نتيجة حتميّة للإرادة، الأمر الّذي سيلقي بنا في الحدوس الابتكاريّة، ويلغي الإرادة، لا بدّ من تصوّر أنّ العالم والإرادة قد جاءا معا دفعة واحدة. فلا إرادة إلّا من خلال وجود مّا تمّ إلقاؤه في العالم، من خلال موجود متعيّن، العالم بما هو محرّر للوعي، وبما هو استثمار لأحلامه الخاصّة، من حرّيّته الشّاملة. إنّ الإرادة هي القوّة المميّزة للشّرط الإنسانيّ، إنّها شرط الوجود الّذي من شأنه أن يدفع الكائن إلى معانقة أهدافه، والظّفر بها، والحلم بتحقيقها ضمن واقع محدّد حتّى وإن بدت مستحيلة، تتحدّد الارادة من خلال الفارق الزّمنيّ الضّروريّ بين الهدف وتصوّر الهدف، وهي مشروطة بالوعي، وبرصد المنطلقات والغايات. تنتفي الإرادة عندما يتكرّم جنّيّ بأن يمنحني القدرة على أن أحقّق كلّ ما أرغب فيه، دونما جهد أو سعي، تنتفي بذلك المسافة الواجبة بين الإرادة، والقدرة، ويفقد الفعل هويّته، بل وجوده. هذا ما نجده

في المرويّات والحكايا الّتي تحيل الرّغبات البشريّة إلى مآلات تراجيديّة تقرّ بالعجز، وتثمّن المحاولة. تقدّم الإرادة نفسها كـ «وجود-في» العالم، هو «وجود- من أجل» تغيير العالم. كلّ ممكن مُراد هو في الحقيقة تغيير لوضعيّة معطاة، لا يمكن له أن يكون محلّ إرادة، إلّا إذا ظهر في أفق هذه الوضعيّة المعطاة بصفته نتيجة تطوّر ما لها من افتراضات نوعيّة. فالتّغيير لا يكون إلّا من خلال الإدراك، الّذي يعمل بطريقة تفاعليّة مع عامل الإرادة، ليحدّد وجهة التّغيير، وسماته. من الممكن مثلا أن ندرك أنّ النّافذة مغلقة، ولكنّ هذا الإدراك يظلّ أعزل، إذا لم نجعل منه ركيزة نخطّط عبرها لفتح النّافذة، عبر إمكانيّة معدّلة. وإذا لم يتووفّر شرطا الإدراك، والإرادة، فإنّ النّافذة، ستظلّ لا مفتوحة، ولا مغلقة، لن تكون بذلك شيئا محدّدا، ستفقد ماهية وجودها. ومتى افترضنا في المقابل عدم وجود النّافذة المغلقة، فلن تكون هناك سوى صور مشتّتة، لنافذة مفتوحة، أو مجرّد رغبة متخيّلة، هي ضرب من الانبثاق التّخييليّ للنّافذة المفتوحة، وهو في نهاية الأمر لا شيء. إنّ البنية الأوّليّة للإرادة، أن تكون متسامية، أفّاقة متطلّعة إلى المستقبل، فيما وراء العالم المعطى، فيما وراء اللّحظة الحاضرة. فالمعنى الحقيقيّ للإرادة، هو أن تكون نفسها، بالانسلاخ عن نفسها، بمفارقتها، وبإيجاد مسافة مّا، بإلقاء نفسها نحو المستقبل، بأن تعاتب ذاتها، فتنقلب عليها، وعلى سلطتها، ليكون المستقبل بناء على ما تقدّم شرطا لاكتساب العالم هويّته ومعناه ووجوده في الحاضر، ويوطّد هذا الأمر التّلازم الحادث بين الإرادة والإدراك. بما يعني أيضا أنّ الإرادة ليست فعلا فرديّا ينبثق في لحظة معطاة من السّلسلة الزّمنية، ولكنّها علاقة الوعي بإمكانيّاته الذّاتيّة.

يبقى أن أحدّد ما هي هذه العلاقة بين الوعي وإمكانياته. فإلى حدّ الآن نحن نتبع آثار هايدجير. لكن منذ الآن لن نستطيع اتّباعه. بالفعل فالدزاين[196] بالنّسبة إليه هو ببساطة إمكانيّاته الذّاتيّة. غير أنّه لن ينفعه في شيء طرح السّمو إن وقعنا في شكل من أشكال التّلازم. فالإرادة هي بالفعل، تلك القدرة التي يمتلكها الوعي للإفلات من نفسه. كلّ تلازم هو حالة حلم. بما في ذلك التّلازم الهايدجيريّ، بما أنّ الوجود يعثر

196. الواقع-الإنساني (ترجمة كوربين) أو بالأحرى بشكل أدبي أن نكون هنا أو موجود هنا.

على نفسه كإمكانيات فيما وراء العالم. وإنّني أفهم من ذلك جيّدا أنّ هناك زمنا بين الوجود المخطّط له والإمكانيّات المخطّط لها. لكن بما أنّ هذا الزّمن الّذي تتمّ قراءته بشكل عكسيّ، يفقد فضيلته الانفصاليّة، ولم يعد سوى جوهر وحدة الدزاين مع نفسه. إنّ امكانيات الوعي متسامية، فهو يدعمها ويضيف إليها، غير أنّها خارج هذا الوعي، تستخلص موضوعيّتها المتسامية من المادّة، ومن خلال ماهي مشدودة إليه. وهو بالأساس الموضوع القائم والمهيّأ للتحوير. أليست في محصّل أمرها موجودات خارجيّة لنوع مخصوص جدّا. فلنسمّه إذن «مطالب».

وتأتي من هنا؛ ضرورة الإصغاء إلى الأشياء الّتي تطالب بتحقّقها. هي خيارت لنا. لكن ماذا لو طلبت فقط، ألّا تكون مُرادة. نستطيع في الحقيقة تصور مطالب غير ممتلئة:[197] [باللاتينية في الأصل]. وفي المقابل توقظ فينا الثقة، أتوقّع تحقيقها. ويداخلني انطباع أنّني محظوظ بهذا التّوقّع. يتعلّق الأمر ببديهة تقترب مما هو كامل. الأشياء الأخرى المستقبلية -تلك التي هي غير مرادة- أستطيع أن أتوقّعها لكنّ إمكانيّتها هي في حدّ ذاتها فرضيّة. وفي المقابل فإنّ إمكانيّة الشّيء المراد هي يقين تامّ. ومثال ذلك أنّني يمكن أن أقلّل من أهمّية كلمة «يقين»، فلا أضع تحتها سطرا: وهوما قد يجعلني منزعجا بألف طريقة وطريقة. غير أنّني أعلم أنّ عدم انزعاجي، لن يحول دون ولادته ووجوده. لن يمنعني أحد من تشكيل كلمة أخرى غير هذه يكون لها الوجود نفسه للكلمة الّتي تمّ منع ولادتها. يمكن أن أفلس إذا وضعت كلّ ثروتي على الماء، في شكل بضاعة، أريد بيعها فيما وراء البحر، إذ يحتمل أن يغرق المركب الّذي ينقلها، وتغرق الحمولة كلّها، ولكن قد ينشأ الإفلاس عن التّنافس غير الشّرعيّ، أو لسوء تصرّف، أو لغير ذلك من الأسباب. هناك عدد كبير من الإمكانيّات والخيارات، بالمعنى التّأمّليّ، قابلة أن تتحقّق كلّها. وهو ما يعني أنّها تظهر عند أفق أفعالي مثل معناها. لقد أكّد هايدجير جيّدا على أنّنا لن نحوّلها إلى موضوع دراسة. ذلك هو واقع الحال، إن حوّلناها إلى موضوع دراسة فذلك يعني أنّنا قد شتّتناها،

---

197. من مونولوغ ميدي في التحولات لأوفيد: " إنني أرى الخير، أحبذه – وأمشي في إثر الشرّ. "(الكتاب السابع الأبيات 20و21).

وجعلناها مفاهيم أو صورا. حين نتحرك ونفعل نجعلها تنبثق بأكثر وضوح مهما كانت غير مسمّاة.

لذلك؛ فإنّ معنى وضعيّتنا، معطى في كلّ لحظة، من خلال الإمكانيّات- الخيارات، متلازمان مفكّر فيهما لإرادتنا وينتظراننا في المستقبل.. وهما ما يثيران ويشكلان إدراكاتنا. مع التّذكير أنّهما إمكانيّاتي من خلال معنيين: أولا لأنّها خياراتي الذاتيّة، كما رأيناها - ثمّ لأنّها الصّورة الموضوعيّة المتسامية لوجودي-في- العالم. بالفعل؛ إنّنا مدينون لهذه الخيارات بسبب حبّنا لأنفسنا. لقد أكّد هايدجير أنّ العالم «من هناك يعلن الواقع-الإنسانيّ عن نفسه ما هو». وهو ما يعني بالنّسبة إلينا أنّ هذه الخيارات موجودة، بالنّسبة إلينا وبالنّسبة إلى الآخر، بالمقدار نفسه، أي أنّ وجودها متحقّق بصيغة واقع إنسانيّ. يبقى أنّ الخطأ يكمن في الاعتقاد أنّ الواقع الإنسانيّ ممكن، وأنّه انعكاس لما وراء العالم، وهو ليس شيئا آخر إلّا واقعنا الانساني. وهو لا يمكن أن يكون إلا متساميا، لأنّه من الجهة الأخرى من العالم، فيما وراء الخيارات. الخيارات هي المتلازم المفكر فيه للمشاريع التي تتحقّق عبر الأفعال، حين يكون الواقع-الإنسانيّ معكوسا، بما هو الوحدة التأليفية للخيارات لأنّها غير موضوعة للدّرس، لكن يكفي التّفكير أنها وحدة خيارات متسامية لنفهم أنها هي نفسها متسامية. لا يمكن للوعي أن يفلت من تلازمه، لا يمكنه أن يكون موضوع إرادته الذّاتيّة إلّا إذا عكس صورته بشكل كامل على الجهة الأخرى من العالم. هكذا تتلوّن الخيارات التي تنتظر في المستقبل بالإنسانيّة. إنّها إمكانيّات إنسانيّة وإمكانياتي، توجد «عند مبتغى الإنسان». لكن من جهة أخرى تغيب ولن يصبح الواقع الإنسانيّ المتسامي إلّا شكلا فارغا لأنّه ليس سوى وحدة هذه الخيارات. هذا ما نسمّيه إنِّية أو ظلّا محمولا بالوعي لما وراء العالم - الّذي لاعلاقة له بالأنا، وحدة الوعي الرّادّة للفعل.

ينتج عن هذا أنّه يوجد فيَ كلّ لحظة بالنّسبة إلى الوعي عدد ما من الإمكانيّات الّتي هي ليست أكثر من حماقات، أي أنّها تظهر له تحت الشكل الّذي كنت بصدد وصفه. هذه الامكانيّات هي المتلازم المفكّر فيه لما نسمّيه إرادة الوعي، ولهذا ليست هذه

الإرادة شيئا أخر سوى الوجود- الخاصّ للوعي. يحدّد الوعي نفسه في كلّ لحظة باعتباره وعيا يمتلك بعض الإمكانيّات. يجب الإنصات إلى هذا وجوديّا: إنّه وجود الوعي وليس وجود الوعي محاطا ببعض الإمكانيّات، ولهذا فإنّ وجوده مختلف نوعيّا عن وجود أيّ وعي آخر، ومن هنا يكون للإمكانيّات طريقتها الخاصّة لإلقاء نفسها في العالم. ومن الطّبيعيّ أنّه مهما كان هذا الإلقاء واحدا، فالخيارات الّتي تظهر مفكّرا فيها يمكنها أن تكون متعدّدة بما أنّ هذا الإلقاء كاسر للأشعّة، ودليلا على تنوّع العالم. إنّها تشملنا جميعا، دون استثناء، بيد أنّها ليست موضوعا للدّرس. وعليه فكلّما حضر الوعي مثّل بالضّرورة إرادة إمكانيّات. والصّلة بين الوعي وإمكانيّاته واقعيّة بالأساس، إنّه رابط ملموس، بكيفيّة تتجاوز الصّلة بين الوعي والأشياء المدركة. يتحدّد الوعي في كلّ لحظة من خلال نفسه بالتّناول غير المدروس الّذي تميّزه تعدّديّة ملموسة للإمكانيّات - ويحدث ذلك ضمن ظرف محدّد، تمثّله المقاومة الكاملة للأشياء، في انتظامها، وذلك ضمن تراتبية تختصّ بها الحوافز الأدوات. هذا الظّرف ببساطة هو العالم مرتّبا بشكل كامل لخدمة إمكانيّات خاصّة بالوعي.

وفق هذه الشروط، نفهم أنّ ما أريده في كلّ لحظة هو تحديد ظرفيّ للعالم، فأنا ما أريد، وهذا الّذي أريده محدود بالقوّة. إنّني وجود مكتمل بالأساس ومسؤول بشكل كامل عنّي. سوف نفهم أنّ ما نسمّيه عادة فعلا إراديّا فرديّا، هو إرادة فارغة في اتّجاه إمكانيّات هي بالأساس ليست إمكانيّاتي، لكن أرغب فيها لأسباب متعدّدة (حالة أداء القسم) في حالة الإرادات الممتلئة، ولا يعني ذلك دراسة ما هو ممكن بشكل مباغت بما يفقد الدّراسة جدواها. في الحالة الأخيرة، بعيدا عن أن يكون هناك تعزيز بالخيارات، فإنّ ما نسمّيه إرادة ليس أكثر من تشتيت لإرادة الوعي. وهو تشتيت مؤقّت لا يلغي الخيار المشتّت، حيث التشتيت التخييلي لا يلغي الصورة المتخيّلة. ألست بهذا الشكل إرادة كاملة بما أنّني أريد ما أنا عليه. ولا إرادة مخصوصة يمكن أن تنبثق على هذا الأساس. أن أغيّر بعض إمكانياتي، فذلك يعني تغيير كلّ إمكانياتي في الوقت نفسه، تغييرا ظرفيّا، أي أنّني أريدني آخر. يأتي الشّيء باستمرار بل إنّ كل

تحوير ليكون مكثفا هو وجودي دائما وكاملا[198].

في المحصّلة؛ قبالة الوعي هناك في كلّ لحظة كلّية الواقع، جمعا أو ظرفا. وهذا الواقعي يتضمّن: الأشياء المدركة - الحاضرة- الخيارات- القيم- الخيارات الّتي هي ليست خياراتي، الإمكانيّات الّتي هي ليست إمكانيّاتي-، وقد تمّ تقديم بعض هذه الوقائع بشكل مدروس، وقدّم البعض الآخر بشكل غير مدروس، (الأشياء المدركة مثلا) ف ثمة وعي بكلّ هذا.

الخيارات هي المستقبل الواقعيّ، هي المعني لحاضري. غير أنّ هذا المستقبل، مستقبل العالم، في مقابل مستقبل الأنا المستقبل المتسامي عن الوعي.

سوف أحاكم شخصا بشكل صارم لاستعماله المبتذل للّغة ولن أحاكمه إطلاقا بسبب قتله لأمّه.

السّبت 25

حركة تعليمات في العلم: يوقظني «بول» هذه اللّيلة ب «هووو هووووهووو» المقولبة. غير أنّه يلتفت بغتة ويثغثغ متلعثما: «أعتذر!» يلتفت إلى الجهة الأخرى وينام مجدّدا. ما هو مثير حقّا للصّدمة، أنّه خلال الأشهر الثّلاثة الّتي جمعتنا، لم يشكل آخر، غير هذه ال «هووو هووووهووو! أووه!»، بدا لي ذلك أشبه ما يكون بشكل طقوسيّ مجمّد، هناك شيء مّا غير محدّد في هذه ال «هووو هووووهووو! أووه!»، كما لو أنّه توبيخ صادر عن صاحب سلطة، لا يخلو من التّكلّف والادّعاء، أو هو ضرب من العجز المقفر لشيخ هرم، أتذكّر أنّ جدّي في خرفه، كان يطلق صيحات مشابهة، حين كنت أساعده وهو ينتقل في غرفته، وكثيرا ما كانت تخذله ساقاه «هووو هووووهووو! أووه! أمسكني يا صغيري أمسكني»! شيء مّا جافّ فيه رجفة ونحيب. هذه الأووه! ختامية بالعكس تستعرض نفسها بشكل بديهي، كما لو أنّ الصيحات الأولى تلفت الانتباه إلى التّوبيخ النبوئيّ لكارثة قادمة. تتّخذ نسقا

198. سوف يحلل سارتر بأكثر وضوح علاقات الفعل الإرادي بالحرية في الكتاب الرابع من الوجود والعدم " أن أمتلك، أن افعل أن أوجد"الفصل الأول.

تصاعديّا متوتّرا، كأنّها تأنيب لطفل صغير يلعب بتحفة ثمينة، ولكنّ الكارثة تسبق التّنبيه، لتسقط التّحفة على الأرض مهشّمة. تتوالى صيحات «بول»، دون انقطاع، صيحات أبعد ما تكون عن البشريّة، لا تتوقّف إلّا بإيقاظه، لتبدأ الحركات فتراه ناهضا أو واقعا على أربع، أو زاحفا على كامل أرضيّة الغرفة.

إحدى الظواهر الغريبة لهذه الحرب التّقنية، هو إعادة زرع الألزاس المنهجة. لقد كان هناك سنة 1914 لاجئون، لكن تمّ انتزاعهم عنوة من أراضيهم تحت ضغط الظّروف. وعوض أن يتمّ تنظيم نزوح الألزاسيّين وتوزيعهم في شكل فرق عبر كلّ الأراضي الفرنسيّة، اعتقدت الحكومة الفرنسيّة أنّه من الأفضل نقل النّاس وفق بلداتهم وقراهم، في إجراء حذر يأخذ بعين الاعتبار التّوزيع التّرابيّ والإداريّ المحدّد لهم. كتبت الصّحف وهي تتعامل مع ما يحدث بشكل من أشكال الرّضا: «سترازبورغ (دوردونييه) هذا ما أوردته صحيفة «الأوفر». غير أنّ النّتيجة كانت عكس ذلك تماما، فبعد عزلهم، يقومون بتجريدهم، ويلقون بهم في وسط اجتماعيّ غير منسجم مع طبائعهم، وما توارثوه من تقاليد، وأعادوا بمرور الوقت زرع مجموعات صغيرة بممثّليها الإداريّين، دون أن يوفّروا لهم المحيط الملائم لممارسة عاداتهم وشعائرهم، ودون النّظر فيما يحيط بهم من أبعاد، تتعلّق بالمناخ، والجغرافية، وبالطّابع المعماريّ للمنازل، وأساسا بالثّقافة. أعتقد أنّ الشعائرية الاجتماعية يزداد سخطها وتصبح مسعورة بقدر ما ينقصها من أسس واقعيّة. يتعلّق الأمر الآن بمجتمع مّا دون أرض، حالما بروحانيّته عوض أن يمسك بها من خلال احتياجات الحياة اليوميّة الّتي لا تحصى. يثير كلّ هذا الكبرياء، كرد فعل دفاعي وضم مرضيّ للرّوابط الاجتماعيّة. ها هو مجتمع مسعور دونما أيّ رادع. كان من الجيّد في مثل هذه الحالة وضع النّاس على اتّصال مع أسر من ذوي الثّقافة العالية– مع الحضارة الصّناعيّة الّتي ينعم بها الليوننيه [نسبة إلى مدينة ليون الفرنسية] – مع مجتمع الجنوب الفرنسيّ. ألم يكن ذلك ممكنا. لكن ما الّذي فعلوه؟ لقد أرسلوا بهم إلى القرويّين اليموزينيّين [نسبة إلى ليموزان إحدى مناطق فرنسا]، آخر النّاس، المتخلّفون، المتبلّدون، الطّمّاعون الجشعون، البؤساء. وجد الألزاسيّون المأخوذون بعد بذاكرتهم

الثّقافيّة المنهجة والمنظّمة، المسحورون بذكرى منازلهم الجميلة، أنفسهم مهملين في هذه الأرياف، والقرى المتّسخة، في ضيافة هؤلاء النّاس الحذرين الشّاحبين، المتّسخين. يكفي مثلا مقارنة الضّيعات المبهرة لإيتينهايم حيث تتجمّع البنايات حول ساحة – الشّكل المتطوّر جدّا للمنزل الرّيفيّ– بهذه المنازل «كتلة على الأرض» و«كتلة على علوّ ما» لليموزيني، للإحساس بحجم الخيبة، وبحجم صدمة مشاعر المجموعات الألزاسيّة. سوف يزداد اشتداد الفارق أكثر بسبب من اختلاف اللّغات، ومن مركّب النّقص الّذي يعانيه الألزاسيّون تجاه فرنسا. مركب يجعلهم أشدّ حساسيّة. اصطدمت عاداتهم في النّظافة بعادات هذه المدن الصّغيرة، مثل ما حدث في تيفييه، منذ عشر سنوات الآن حيث تنتشر المزابل والفضلات في أحواض السّفن. أليست النّتيجة واضحة دائما: إنّ كلّ الكتّاب الألزاسيّين يصفون الليموزينيّين بالمتوحّشين. فللكلمة مرجعيّتها في كل الآداب، وهي تمثيل جمعيّ: «نحن نقيم عند متوحّشين». أما اليموزينيّون فيردّون الفعل بدورهم واصفين الألزاسيّين بالبوش. دون أيّ بغضاء خاصّة. وهوما نتج عنه بطبيعة الحال في البدء مشاجرات إلى أن صدرت مراسيم صارمة تنظيميّة في هذا الشّأن. وبطبيعة الحال فإنّ التجمّعات الليموزينيّة مع ما تحمله من أورام منتشرة في داخلها، واعية بطبيعة الصّراع، عاملة في السّرّ والعلن على تأجيجه، وهي مجتمعات معلولة تعيش ضربين متناقضين من الشّوفينيّة، والاستعلاء. وقد احتدّ الصّراع وعرف أوجه، فتنامى بسبب عجز السّلط عن معالجة أسبابه، وإحاطتها بما يجب من تنظيمات وقوانين. نصف المهجَّرين في مناطق كثيرة بلا أسرَّة. المرضى منهم بلا علاج. حدّثتنا مضيّفتنا عن حالة امرأة مُجبرة أن تمشي يوميّا إثنتي عشرة كيلومترا يوميّا من أجل الحصول على الحليب الضّروريّ لأبنائها. يركنون عائلتين أوثلاث في مخزن، فيعانون من الاختلاط: «لم نعد نجرؤ على تغيير ملابسنا، وابن تيريز(14سنة) دائما واقف هنا يرمقنا ونحن نستحمّ. رؤساء البلديّات الألزاسيّين هم أيضا متّهمون تماما مثل الولاة، إنّهم لا يهتمّون بأيّ شيء. أمّا السّكّان، فإنّهم يستثمرون بعض المدّخرات، فيكترون سريرا من القشّ، بعشرة فلسات، إلى غير ذلك من المظاهر المخزية. يتنهّد ميستلر قائلا: يفعلون كلّ هذا كي لا

يشجّعوا الاستقلاليّة. تماما، لكن ما هو أغرب كم ذلك، هو هذا التّواصل الفوريّ بين مقاطعتين بقيتا مكتملتين ومنظّمتين. وهو ما لم يحدث على الإطلاق. للتّسجيل في هذا الفصل المخصّص لإعادة زرع المهجّرين الضّخم الذي دشّنته روسيا لأسباب إقتصاديّة، وتابعته ألمانيا وإيطاليا لأسباب سياسيّة».

إنّ الاحتشاد المثير للاستغراب للألزاسيّين المهجّرين (قرية من ألف ساكن تستقبل ألفا ومئة مهجّر) ليس له من مبرّر سوى إرادة المحافظة على الأطر الإداريّة بشكل سليم (البلديّات، المقاطعات، الأطر الدّينيّة، المجمع الدّينيّ، إلخ) وعدم ترك الفرد (خميرة الثّورة) لنفسه.

الأحد 26

لاحظت أنّه بسبب حياء خبيث نوعا مّا، وغريب، لم أدوّن شيئا بخصوص تحوّلات مزاجي منذ سبعة أو ثمانية أيّام. لم أقدم على ذلك لأنّني لم أستشعر أهمّيّته. ولأنّه لم يكن مختلجا بالفعل. لكن، إن كان هذا الدّفتر حكاية شخص يخوض الحرب، ما هو بالأقلّ حظّا ولا هو بالأكثر سعادة، فمن الضّروريّ أن أعمل على تدوين كلّ تلك التّغيّرات بدقّة متناهية، وأن أكون أمينا في نقلها، ولعلّ السّبب الّذي جعلني أترفّع عن تدوينها، هو ببساطة أنّني لم أجدها ذات بال، فلا أهمّيّة لها، وهي لا تمثّل انتصاري. وفي الحقيقة، فإنّ وضعي منذ سبعة أو ثمانية أيّام كمحارب يثقل عليَّ. ليس هو الضجر، ولا الهيجان، ولا التّمرّد. هي تحوّلات غير محسوسة في العالم: لقد اختفى الرّفاه الشّاعري في بروماث. مدينة غادرتها نهائيّا. لقد حدّثونا كثيرا عن الرّحيل. لم أعد هناك، ولم تعد سوى ديكور بلا جاذبيّة. هي مدينة في جاذبيّتها بشكل ما، إلى قربها من خطوط الجبهة. هناك، ما هو ما وراء الشّرق، حيث الخطر والغرائبيّة. كلّ هذا اختفى؛ كما قال ميستلر بالأمس: «من ذا الّذي يفكّر في الألمان؟ من الّذي يتحدّث عن الألمان؟ من الّذي يخوض الحرب ضدّ الألمان؟» لعلّه المساعد وحده، من يعيش ذلك. غير أنّه شيء حرفيّ. لم تعد بروماث سوى إقامة محرومة من المعنى، مع شيء مّا معتم وبارد. فقدت بعض الاماكن تلك الجاذبيّة الاجتماعيّة والبشريّة الّتي تتميّز بها مثل

حانة الإكريفيس. في هذه الحالة ليس بسبب مزاجي بل بسبب الانكشاف التدريجي للحقيقة. في بادئ الأمر؛ تلك النّادلات العاهرات الجسورات، اللّواتي يحتككن بالجنود ويدعونهن فجأة إلى القبو، ليعدن من هناك وشعورهن مشعثة، وصاحبة المحلّ الماكرة والجميلة الّتي تشبه جاكلين دولباك[199] ثمّ حضور ذلك «الشّباب الذهبي»، جنود مشاة ومطاردون كانوا فراشات في الحياة المدنيّة، وكان أحدهم شابّا مدلّلا، كثير التّحدّث عن عشيقاته، من راقصات تابرين، وكان آخر، ممثّلا سينيمائيّا، غاية في الوسامة، ممتلئ بعض الشّيء. أقوم بكل هذا الجهد من أجل إعادة بناء حانة في مونمارتر، تلك النّخبة التي تُدار بأثمان (الأقل ثراء يذهبون إلى الأسفل قليلا مقهى-مخبزة)، هذا كلّه يمنح ذاك المقهى جاذبيّة غريبة، هزلية وفاسقة شيئا مّا. لكن وبما أنّني أتناول فيه إفطار الصّباح كلّ يوم، أعرف كيف تُدار فيه الأمور: خزي بورجوازيّ للسّباب الذهبيّ، ألاعيب شابّتين صغيرتين يتصرفان بحماقة المقيمين، عقليّة الرّبح التي تتصرّف بها صاحبة المحلّ. غير أنّ نوعية الحرفاء تغيّرت شيئا فشيئا، فعوضا عن الجنود، صار يزورها مساعدو الضّبّاط، ويتردّد عليها بعض القادة في أوقات معيّنة. للحانة الورديّة جاذبيّتها الدّائمة عند الصّباح، غير أنّ العادة تنهكها قليلا، لن أعثر على شاعريتها الطريفة إلا لاحقا في ذكرياتي. هاهي برومات الآن مجفّفة. قاعة المدرسة أشبه ما تكون بقفص، بقاعة عمليات وبالكتب الّتي تصدر اليوم. وفي الوقت نفسه أخذ المستقبل ينحت نفسه ويعذّبني. اختفت تلك الضّبابية الّتي رافقت شهر سبتمبر. فهناك بدءا رخصتي الّتي انتظرها، والتي تؤثث أيّامي بغريب الصّور: إقامة مُطوَّلة في عربات القطار المعتمة والباردة، باريس المظلمة نجوم بنفسجيّة عند منعطفات الشّوارع، كتلتها المسودَّة عند قدم ساكري كور، الخ. ثمّ إنّني رغم خجلي من أن أعترف بالأمر، بدأت أنتظر نهاية الحرب. أوه، إنّه اعتقاد خياليّ، إني أنتظر ذلك كما انتظرت في شتاء 1939[200] نهاية السّلم، لم أعد أؤمن بحدوث

199. ممثلة مشهورة في ذلك الوقت. من 1936إلى 1939وأدّت الأدورا الرئيسية في كل أفلام زوجها ساشا غيتري.

200. يجب قراءة ذلك 1938 على وجه الاحتمال.

ذلك. ولكنّني في مصّل أمري أجدني غير مرتاح بالمرّة، لمكوثي هنا في الحرب، مثلما كنت قبلها غير مرتاح لمكوثي في السّلم، بين 1938-1939. لقد خيّل لي أنّني خلال شهر أكتوبر، قد حقّقت نوعا من الاستقرار حيث أنا، ولكنّ زيارة الكاستور أعادت الاختلال إلى توازني. من خلال أملي في السّلم - وهي ليست بعيدة جدا- أشارك في ظاهرة جمعية، أو هكذا أعتقد. كلّ هؤلاء الرّجال الّذين سافروا معي كانوا في البدء شجعانا - لقد فسّرت وجهة نظري هذه في الدّفتر الأوّل- كلّهم، باستثناء اللّطفاء والرّقيقين عرفوا المغامرات السّيئة والجارحة للرّواقيّ. لذلك قرّروا أنّ الحرب سوف تستمرّ لستّ سنوات - وكانت هذه طريقة للغرق في رواقية أخرى. ما هو أكثر حقيقيّة، أنّ الأمر لايتعلّق ببطولة نفاد الصّبر لكن بصبر بشريّ طويل المدى يؤدّي إلى احتمال منفى يوميّ. كانت الصّحف تساعدنا إبّان تلك الفترة: والمقصود من ذلك إدخال الرّعب على الألمان. ردّت أنقلترا على الحرب المشهورة الخاطفة المخفقة تعلن استعدادها لحرب سوف تدوم لثلاث سنوات. وهو ما ردّ عليه هتلر في الدانتزيغ: خمس سنوات -عشر سنوات إن تطلّب الأمر ذلك. لم يكن الأمر بالطّبع في حاجة إلى ضبّاط حكماء، يحرّكون رؤوسهم يمنة ويسرة ويكتبون في الصّحف الموالية: سوف تكون طويلة، أطول ممّا نتصوّر. وكان هذا بمثابة الإشهار. إضافة إلى أنّها كانت طريقة للتّفكير عكس 1914. لم يكن يليق بهم الوقوع في الخطأ نفسه منذ ربع قرن، بأن يرسلوا جنودا في «فسحة حربيّة»، وربّما كان جديرا بهم أن يخطئوا في الاتّجاه المعاكس. بسبب هذا هذا الاعتقاد الضّبابيّ، وجدتني مع الآخرين، ثمّ إنّ تفاؤلي الشّخصيّ جعلني آمل في حرب قصيرة المدى. كنت قد اتخذت الموقع الأوسط وكرّرت بعزيمة: «لقد تركت لي احتياطيّا من الشجاعة إلى ربيع 1941». ثم؛ هاهي إشاعة حرب قصيرة المدى بدأت تسري بقوّة. أوّلا ها نحن هنا، وأحد الكهنة يقرأ في دهان الجزمات ويتوقّع سقوط هتلر في ديسمبر. ثم هي ردود فعل خفيّ لحكماء-هم أنفسهم أولئك الّذين يتوقّعون حربا طويلة المدى أو أشياء أخرى - بعضهم يتحدّث عن إمكانيّة عجيبة، ستنقلب بها الحرب قصيرة، وآخرون أكثر صراحة يكتبون «عندي قناعة تامّة أنّ الحرب سوف تكون أقصر بكثير ممّا توقّعنا لها». أمّا هنا فالأكثر

تشاؤما يلقون الأسلحة. يعود جزء كبير ممّا تقدّم إلى ما للبروباغندا الجديدة من تأثير (هل تمّ التخطيط لذلك؟ أليس من قبيل رفع المعنويّات[201]؟) ويرجع جزء آخر إلى أنّ هذا الصّبر الطّويل كان من الصّعب اكتسابه، والجنود يختنقون من الضّجر. كلّ هذه الذّهنيات ترسل لي صورة تفاؤلي وهاهو الأمل يعود مجدّدا. هذا هو الأقسى في كلّ شيء، لأنّ حياتنا اليوميّة، صارت عبثيّة وفقدت عمقها الإنسانيّ. وفقدت الحرب في الوقت نفسه جاذبيّتها الفاتنة. وسيكون السّلم في المقابل، احتيالا يفتقر إلى أيّ قيمة. وسوف نجد أنفسنا، مخدوعين، مكمَّمين بعد أن خسرنا سنة من حياتنا. مرّة أخرى لست أريد أن أقدّم هنا الأسباب الّتي من شأنها أن تبرّر مزاجي السّيّئ، ولكنّ وصف الأجواء العامّة، من شأنه أن يعكّر الأمزجة، وإذا كان من تغيير يمكن أن أميّزه في شخصي، فهو هذا النّزق المتزايد، وما يخالجني بخصوص فاندا، من احتدادات، ومن رعب عاطفيّ. فبالأمس مثلا استلمت عند السّاعة الثانية رسالة منها هذه نهايتها: «أتوقّف لأنّي لمحت جمجة بلين تظهر، يشدُّها بعض النّاس عند الممرّ لكنّ نظرتها مصوّبة إليَّ، تتّجه ببطء نحوي، بعناد سلطعون، إلى الغد». هذه النّهاية للمسلسل «الباقي غدا» دفعتني إلى ممرّ في نبوءة من الغيرة: كنت واثقا أنّه سوف تكون هناك حكاية بينها وبين بلين. على الفور كتبت رسالة لا يمكن إصلاحها، وانتهى بي الأمر إلى تمزيقها. عدت اليوم إلى مشاهد تحتوي أكثر ما يمكن من الفروقات اللّونيّة. غير أنّ هذه الأزمات العاطفيّة تكشف عن عدم توازن. وهل هو بسبب عضوي في جسدي: عيناي سليمتان ولكنّني أشعر أنّني لست بخير. وهذا الصّباح عادت عيناي تضايقني. فها أنا ذا مرة أخرى لا أعرف حالتي إلّا من خلال هذا الكدر الخفيف، من خلال التماعاته وكيف يلوّن الأشياء من حولي. هل كان لا بدّ من أن يكون مساء الأمس بالخصوص معتما: كنت أحترق من الغيرة، بينما كان «بول» الّذي تلقّى حقنة ضدّ الحمّى التّيفيّة متدثّرا بمعطفه الأزرق، يتجوّل طولا وعرضا

201. أغلب الصحف الفرنسية مبالغة في الصعوبات التي تعترض الديكتاتور النازي، خاصة بالخارج، تدفع بأمل " انتصار معجزة": حسب المؤرخ غريميو-بريلهاك لم تكن هذه الحملة مخطط لها مع السلط لكن كان مسموحا بها بشكل واسع (فرنسبو سنة 1940 الجزء الأول غاليمار 1990).

محمرا بائسا، وبعض قطرات من العرق تتصبّب من جبينه. وكنت من خلاله أشاهد رثاثة قاعة المدرسة. كان كل شيء معتما. لا أعرف ما الّذي حلّ بي هذا اليوم، أجدني على غير عادتي حادّ الطّباع، جافّا، وحيدا، مفردا، بلا أيّ شغف، انطفأت حماستي نحو هذه الحرب، وانقطع أملي في أن أشهد نهايتها قريبا. عندما أتأمّل حالتي في عمقها، يبدو لي أنّها أفضل الطّرق لاحتمال الحرب في الفترة القادمة. إنّ انشغالي بهذه الأمور، يدعوني إلى تدوينها، لأجد بعض التّوازن، منذ أيّام معدودات، تجتاحني حالات من الحساسيّة المفرطة، أو لنقل من الشّاعريّة المزيّفة، والعنيفة. وقد أعربت عن ذلك للكاستور في رسائلي الأخيرة، ومن الجدير الإشارة إلى أنّها قد استشعرت من خلالها ما طرأ على مزاجي من تغيّرات، لقد حدث ذلك قبل أن أنتبه أنا نفسي إلى الأمر.

وفي المحصّلة؛ فإنّ الحرب فكرة ملموسة، تنطوي داخلها على فكرة تدميرها، وتحقّقها، من خلال جدليّة ملموسة أيضا. وكما أظهر ذلك رومان، في اليوم الّذي تأكّدنا فيه من أنّ وسائل التّدمير تحتوي في حدّ ذاتها على تدميرها الذّاتيّ، وتكفي تهيّؤات محدّدة، بأقلّ ما يمكن من التّكلفة، وببدائيّة أكثر، لتجنّبها، لتنتهي وقتها حرب الرّجال، وتصبح البضائع محلّ تدمير. من غير المستبعد أنّ تطوّر وسائل النّقل في المستقبل، سيغيّر من طبيعة الحرب، ليكون الحصار غير ذي جدوى، لاسيّما إذا انتعش النّقل الجوّي. يتعلّق الأمر هنا بمدّ خطّ جوّيّ بواسطة الزيبلن [باللألمانية في الأصل وهو منطاد ألمانيّ تم استخدامه في الحرب العالميّة الأولى بصفته قنّاصا وأداة استطلاع، يعود اسمه لصانعه فريدناند فون زيبلن] لنقل المواد الأوّليّة بين روسيا وألمانيا) وفي هذه الحالة يمكن القول إنّه يمكن احتمال الحرب. ليس هذا بالسّلم ولكنّه الجدليّة الخاصّة بالحرب الّتي يجب انتظار إلغائها. سوف يتحقّق جوهر الحرب بشكل ملموس في اليوم الّذي تصبح فيه الحرب استحالة.

كلّفت «ميستلر» بإنجاز بحث صغير على عين المكان (ميستلر ألزاسيّ مقيم عند ألزاسيّين) حول ظروف اللّاجئين من خلال رسائلهم. تحمّس للأمر. بعد محادثاته مع مضيّفتنا وجاراتها قال لي إنّ رسائل اللّاجئين تدور أغلبها حول المتوحّشين الّذين

استقبلوهم، وقد أثارت في نفوس الّذين لم يتمّ تهجيرهم مشاعر الأنفة والخوف. بلادهم الغنيّة، المتحضّرة والخصبة، بما تتوفّر عليه من رفاهيّة وترف، تبدو لهم شبيهة بلحم فاخر وشهيّ عند حدود بلد فظّ ومتخلّف. يشعرون الآن أكثر من أيّ وقت برعب التّهجير. صارحتنا مُضيّفتنا مؤخّرا قائلة بلهجة صارمة: «لن أغادر حتّى ولو أجبروني على ذلك بالقوّة». أمّا العجائز اللّواتي التقى بهنّ مستلر فكنّ يكرّرن: «نفضّل أن يتمّ قصفنا على أن يتمّ نهبنا» ذلك أنّ التّهجير بالنّسبة إليهنّ هو النّهب. يشيعون حكايات أكياس مشبوهة، في محطّة سترازبورغ صدّرها «هوخغ» [بالألمانيّة في الأصل تعني الضّابط أو المسؤول] إلى زوجته وقد فتحتها السّلطات: عثرت بداخلها على ملابس داخليّة نسائيّة. (الضّبّاط- كبار المسؤولين) هم أكثر خوفا من الجنود. يتحدثون هنا أنّ ضابطا قدّم في مركز بريد بروماث ثلاثة صناديق لإرسالها لزوجته. أثار الأمر عاملات البريد وأصابتهنّ الحيرة ففتحن الصّناديق: المزيد من الملابس الدّاخليّة والقبّعات. هذه الحكاية الأخيرة غير واقعيّة إطلاقا، إذ أنّه يمنع على الضّباط _ناهيك على الجنود_ استعمال البريد المدنيّ. ولنفترض أنّ جنودا هنا أوهناك أرسلوا صناديق ملابس داخليّة لزوجاتهم، ألا يتعلّق الأمر بهؤلاء الستربورجواز الّذين سمحوا لهم بالبقاء بعض السّاعات في مدينتهم لإرسال أشياء ساخنة لعائلاتهم المهجّرة؟ وفي جميع الأحوال إنّ إشاعات النّهب منتشرة بشكل حادّ، والمحترمون الّذين يشيعونها متطفّلون: «هؤلاء المتوحّشون لا يملكون شيئا من مثل هذا، فالأمر ليس مستغربا» (مقتطف من كلام ابنة مدير محطّة الكهرباء الرّئيسيّة).

من شأن غياب أساس صلب، للأطر الإجتماعية أن يثير، إن لم أخطئ، أزمة تصوّف إجتماعيّ عند اللّاجئين. ليس هناك غياب للكهنة وللمجمع الدّينيّ غير أنّهما موجودان لتوظيف هذا التّصوّف لحساب الدّين. وفي الأثناء بدأت السّلطات المدنيّة بروباغندا معاكسة لفائدة الألزاسيّين الباقين في ألزاس. ليس مطروحا أن يثرثر الألزاسيّون (رئيس بلديّة، الكاهن إلخ..) اللّاجئون، على الهواء، ليشرحوا ما يعيشونه من ترف ورفاهية وما ينعمون به بين عمّال البناء. أبدا لا جدوى من ذلك، فالرّسائل وما تتضمّنه تقف حائلا دون ذلك.

حين دخل «ميستلر» قرأت له ما كنت كتبته. وجدت تدوينة الصّفحة السّابقة نوعيّة جدّا. في الحقيقة لم أقم بشيء عدا إعادة كتابة هذه الآراء، غير أنّني أضفت إليها من خلال الكتابة، صرامة ما كان يجب أن تتّصف بها. يصحح نفسه ويقول – والذي هو أشد أهمية: المهمّ أنّ هناك ذهان التّهجير والنّهب في برومات. غير أنّ مميزات هذه الإشاعات التي يتغذّى منها الذّهان ليست بدرجة كبيرة من الصّلابة والقوّة. فما هي إلّا مسودّات. تفتقر إلى الدّقة. الأحداث محجبة وغائمة شبيهة بمخطّط غامض. من ذلك أنّه ليس صحيحا أن يقال: إنّ جنديّا أرسل صندوقا مليئا بالملابس الدّاخليّة عبر البريد. لا، الأمر أشدّ غموضا وغرابة. فهذا من قبيل: «هناك صناديق ملأى بالملابس الدّاخليّة في مركز البريد». والرّابط بين الصّناديق والضّباط حسّاس جدّا. هو موجود لكن لن يصل إلى درجة أنّهم أرسلوها. ليس لديهم شيء ما هنا، هذا هو. إضافة إلى ذلك فإنّ الأمر لم يقل بعد، ولكنّه ناجم عن سوء فهم. ولو أردنا التّدقيق في هذه الإشاعة فلن نجد لها أيّ أساس. إنّه ضرب من الهذيان السّرّيّ، الّذي ينتظر ما يسوّغ له التّحوّل إلى حقائق. هذيان مشوب بحذر الألزاسيّين وحيطتهم، وبكثير من الخوف الخفيّ ومن التّردّد، ومن الحذر.. خوف بلا مبرّر.

نشرت الصّحف اليوم تصريحا لروزفلت؛ كأنّها تؤكّد ما قلته هذا الصّباح إذ يُصرِّح قائلا: «آمل أن تنتهي الحرب في الرّبيع القادم[202]».

يتلقى جندي المراسلة للفرقة 68 الذي يقيم بشكل مدني في سترازبورغ، العديد من رسائل اللّاجئين ببيرغوا. تتم معاملة الألزاسيّين هناك بشكل سيّئ جدّا، والسّكان هناك مستنفرون ضدّهم بشكل عدائيّ صريح، ويعتبرونهم السّبب في اندلاع الحرب. إن كان هتلر قد أعلن (؟) الحرب فلأنّه يريد بالفعل استعادة الألزاس لورين.

---

202. الصحافة التي كانت بالمرصاد لكل ما من شأنه تغذية الأمل في " انتصار معجزة "علّت من قيمة هذه الجملة التي وردت في خطاب الرئيس الأمريكي روزفلت بمناسبة [عيد الشكر الموافق ليوم الخميس الرابع من شهر نوفمبر في الولايات المتحدة الأمريكية).

الانتصار على النّفس قبل الثّروة. مقولة جيّدة جدّا. لكنّها تبرز بشكل جيد مكر الرّواقيّة. من الضّروريّ أنّني إذا تحكّمت بكلّ قواي، لمعالجة مسألة محدّدة، أن أفقد السّيطرة على أمر مّا، ما الّذي يعنيه التّخلّي، بالنّسبة إليّ؟ وإلى أيّ مدى يمكنني أن أثبت قيمة الشّيء، وأيّ صلة يمكن أن تنشأ بين القيمة المثبتة، وما أحمله من رغبات داخليّة؟ ربّما نعمد إلى بعض الدّهاء، في تحديد قيمة الأشياء، وقد تسعفنا الكلمات، في ها الصّدد، ولكنّ إثبات القيمة لا يمكن أن ينفصل عن الرّغبة الذّاتيّة. ولا شكّ أنّ رؤية الرّواقيّة، لا تعدو في محصّل أمرها أن تكون مجرّد خداع، لا يصمد أمام واقع العشق والجمال الأنثويّ، في عرج امرأة على سبيل المثال. لكن لا بدّ من أن نعشق تلك المرأة لنكتشف عرجها. عميان وصُمٌّ. هم الرّواقيّون. من حيث المبدأ، لأنّ النّهاية تبرّر الوسيلة. غير مهمّ إن كانت النّهاية مساوية للرّوح. في جميع الأحوال الرّواقيّ شخص يلوذ بالعنف والكذب مع نفسه ليبلغ هدفه. ما العمل إذن؟ لا بدّ من التّألّم والتّشكّي والبكاء، وعدم اللّجوء إلى كشف قيمة الأشياء. تفترض الأصالة أن نكون بكّائين شيئا مّا. الأصالة هي عين الوفاء للذّات. ما سأقوله عن الحبّ سوف أقوله أيضا عن الحياة. إنّه لمن القسوة مغادرة الحياة، وأحمق هو من يدّعي خلاف ذلك، مصطنعا اللّا مبالاة إزاءها، وعدم الأسف على مغادرتها. بشكل أو بآخر. مقطع رائع في الوصيّة الإسبانيّة **لكوستلر**[203]: «لقد ماتوا في الدّموع؛ الشّرايين، وهي في ضعف شديد تطلب النّجدة، مثلما يجب أن يموت الرّجال. فأن نموت فذلك أمر مهيب، لا يجب أن نحوّله إلى ميلودراما، زد على ذلك أنّ بيلات لم يقل «هاهنا البطل [باللّاتينيّة في الأصل ecce heros] بل قال ها هنا الإنسان. المهمّ أنّ هذا الضّعف الفظيع الّذي يكشف المعنى الّذي يقصده كوستلر من أن نموت، لن يمنعك إذا اقتضى الأمر من أن تموت. أذكر، كم حلمت دائما، في تلك الفترة حين كنت محاصرا برواقيّتي، أن أرسم بطلا نحّابا وجبانا، ورغم ذلك يفعل دائما ما يجب فقط، يهلك وهو ينتحب طالبا الرّحمة، دون أن يعترف بأيّ شيء. أمّا بالنّسبة إليّ فالحقّ أقول لكم، أنّهم في وضعية

---

203. الوصية الإسبانية عن دار ألبين ميشال.

مماثلة، سوف ينتزعون منّي الصّرخات رغما عنّي. سوف أحاول بكلّ قواي أن لا أبكي-لا أعرف- لكن مهزوما بالخوف والإهانة، سوف يقطع الخوف رواقيّتي ويكون مثل العقبة، غير أنّني سوف أحاول أن أكون رواقيّا دائما. من منطلق الكبرياء أوبِّخ نفسي، وبالأساس ما الّذي يوجد في هذه الرّواقيّة الجميلة عدا الخوف من الألم. بموجب الوفاء للنّفس، وموجب الوفاء للعالم؛ تفترض الأصالة أن نتألّم. لأنّنا أحرار-من أجل- أن نتألم وأحرار-من أجل-أن لا- نتألّم. نحن مسؤولون على شكل آلامنا ومدى كثافتها. من السهل جدا أن تكون مضطربا- من السّهل جدا أن تكون رواقيّا. غير أنّني خلال كلّ هذه الأوقات الأخيرة أكابد فكرة استحالة أن يظلّ المرء أصيلا. أفهم الآن خطاب شخص مثل ستيفنسون الّذي يقول إنَّ الحبّ هو أن تكون ذوّاقة للخوف، لأنّ الخوف هو الانفعال الأكثر كثافة -أكثر كثافة من الحبّ[204]. ربّما من الأفضل أن نقول: الأكثر أصالة.

إنّ الدّوافع الكامنة وراء كتابة هذه الصّفحة كثيرة، ومن بينها حدث في حياتي الشّخصيّة، لا أهمّيّة له فيما نحن بصدده[205]-، ومنها ما يحدوني دائما من رغبة متكبّرة، وغريبة، في أن أكون دائما في صفّ الضّعفاء ضدّ الأقوياء، فذلك يكسبني شعورا بأنّني أكثر منهم قوّة. ووجب القول إنّني أستشعر إزاء الّذين يكثرون من الشّكوى، والتّألّم ضربا من النّفور العفويّ، وغير العقلانيّ. لقد حرصت دائما على الالتزام بهذا الموقف، بكثير من الحذر، إزاء ما كنت أرصده من وضعيّات كثيرة ممّا يعيشه سكّان المدن، وهو موقف يمكن اعتباره وسط جحافل الشّكوى، وتافه الآلام، علامة دالّة على ما يميّزني من قدرة على الصّبر والكتمان في قلب الآلام الأشدّ فظاعة. كنت أعتبر نفسي بشكل سحريّ في أغلب لحظات حياتي كمن ينجز اختباراته، ويعود ليعاني أسوأ الأوجاع، دون أن ينبس بكلمة واحدة، محافظا على كبريائي. ولست في محصّل أمري، مضطرّا إلى أن أبرّر اصطفافي الدّائم مع أولئك الّذين لا يتأوّهون.

---

204. في نادي –الانتحار قصة ألف ليلة وليلة. يوميات جولين غرين يذكر هذا المقطع في 1فيفري 19

205. هل لهذا الحدث علاقة بفاندا؟ إذ، تلقّى رسالة منها بتاريخ 26 أعادت إحياء شكوكه في خيانتها (رسالة موجهة إلى الكاستور في نفس اليوم).

وليس اصطفافي مع المتأوّهين إلّا ضربا من الخدعة والتّمويه، إنّني أعضد ضعفهم فيما أزدريه من الدّاخل، وأنبش فيه بشكل حرّ عن قوّة مّا، عن أصالة تفرض نفسها عليهم دائما بسبب ضعفهم. وهذا دليل آخر عن هذه الصعوبة البالغة لبلوغ الأصالة، فكلّ توق إليها، محفوف بمزالق لا تخلو من أشكال التّضليل ومظاهر الانخداع.

علمت أنّ هناك مشروعا قبلي للتايمز يؤسّس السّلم على اتّحاد فيديرالي بين الشّعوب، «على هذا الأساس فإنّ مختلف الأمم الأوروبّيّة سوف تقبل بحدّ لاستقلاليّتها في الميدان الاقتصاديّ، الماليّ وحتّى السّياسيّ». لقد تمّ تقريبا حجب هذه المقالة في فرنسا، إذ تركوا حرية التصرف ل جو سي بارتو [صحيفة فرنسيّة مقربة من الحركة الفرنسيّة التي أنشأها موراس بدأت تصدر سنة 1930]؛ وبالعكس فلقد كتب فرانسيسك غي في لوب[206].

«لقد سبق أن ذكرنا ذلك، إذ أوصنيا الصّحفيّين الدّيمقراطيّين الّذين يحاولون التّدقيق في الخطوط الكبرى لأهدافنا من الحرب بالكتمان البالغ. عليهم توخّي التّحفّظ ليس فقط من أجل تاييد ما جاء في المقال الحسّاس للصّحيفة الرّسميّة التايمز، ولكن أيضا الابتهاج للتّطابقات الملحوظة بين بعض خطابات السّادة لوبرين، دالاديه، بول رينو[207] وغير ذلك من التّصريحات الأكثر دقة للسّادة شامبرلين وإيدين، وتصريحات لورد هاليفاكس أو السير نيفيل هندرسون.[208] ويبدو في المقابل أنّهم يتعاملون بشكل ليبيراليّ موسّع مع الكتّاب الّذين يرون من الملائم تطوير أقوى المصادرات ضدّ اتّفاقيّات 1919».

تبع ذلك اقتباسات في مقالات في بيتي باريزيان، الفيغارو ولوطون، جو سوي

---

206. في مقالة تحت عنوان " مصادرات اتفاقيات 1919" (الأحد الاثنين 19-20نوفمبر1939) يجادل فرانسيسك غي مؤسس الحياة الكاثوليكية (1924)ولوب نظريات موراس والحركة الفرنسية.

207. للتذكير فإن البير لوبرين رئيس للجمهورية الفرنسية وبول رينو وزير المالية وقتها.

208. أنتوني إيدين وزير الدومينيون [الدومينيون دولة مستقلة من دول الكومنولث البريطاني] في حكومة شامبرلين، لورد إدوارد هاليفاكس وزير الخارجية، السير نيفيل هندرسون السفير البريطاني بألمانيا إلى حدود إعلان الحرب.

بارتو، الخ [صحف فرنسية] لم يتم حجبها أو تمّ حجبها بكلّ قوّة. كان الأمر يتعلّق بمبادرات رقابة ثانويّة رجعيّة.

لا توجد اليوم أسباب وجيهة لأكون منشرحا: حكاية فاند، والألم المخيّم على عينيّ... الطّقس مغبرّ ومعتم، ثمّ إنّني مفلس تماما، ولا رغبة لي في الخروج. رغم ذلك كنت عند حدود منتصف النّهار والنّصف بقاعة المدرسة أتناول خبزا وشوكولاطة رفقة «كيللر»، وهو يلتهم بشراهة حبّات فاصوليا، نهضت نحو الجهة المقابلة، أسرّح البصر في السّماء، وفي مصاريع النّوافذ الحمراء للمنزل، وبينما كنت أفكّر في الأصالة وفي الحوار بين ماتيو ومارسيل[209]، باغتني فرح صلب ومتماسك، لم أتبيّن سببه. لقد عرفت الفرح أولا وقلّلت من الفرضيّات، فأنا لا أدين به لأحد غيري. ليس بسبب كبريائي، ولا بسبب ما تتملّكه الأشياء السّخيفة من شاعريّة، وليس بسب حنان قابل للنقاش. إذ لم يكن له أيّ احتداد هشّ. كان فرحا صبيانيّا رائقا، ولأنّه لم يكن ناجما عن دوافع محدّدة، فهو نقيّ.

إني أرى جيدا نقاط اختلاف عن هذه الأصالة التي أحاول أن أقرّبها منّي، عن النّقاوة الجيديّة [نسبة لأندريه جيد]. النّقاوة صفة ذاتيّة للمشاعر والإرادة، الّتي تكون نقيّة بقدر ما تتّقد به، لا شيء يدنّسها أو يخالط جوهرها، نقيّة ومجّانيّة. وليس لها من مبرّر إلّا من خلال نفسها وليست في حاجة للبحث عن مبرّرات أخرى فهي نفسها ونفسها فقط. بينما الأصالة ليست تماما هذا التّوهّج الذّاتيّ. لا يمكن فهمها إلّا انطلاقا من الشّرط البشريّ، المتعلّق بوجود مّا، له وضعيّته الخاصّة، الأصالة واجب يأتينا من الدّاخل ومن الخارج، في آن، لأنّ «الدّاخل» ليس في حدّ ذاته إلّا خارجا. أن يكون المرء أصيلا، أن يحقق وجوده-في-وضعيّة مّا بامتلاء، مهما كانت هذه الوضعيّة، بهذا الوعي العميق، إنّه من خلال التّحقيق الأصليّ للوجود-في- وضعيّة نحمل للوجود المطلق الوضعية من جهة والواقع- الإنسانيّ من جهة أخرى. وهو ما يفترض تدرُّبا صبورا، فالوضعيّة ستطالبنا، بالطّريقة الّتي نلقي بأنفسنا فيها،

---

209. المقصود هنا مشهد التفسيرات: استطاع ماتيو الاعتراف لمارسيل أنّه لا يحبها الفصل 17 من عصر العقل.

وتفرضها علينا، لنحدّد أنفسنا «وجودا –من أجل» هذه الوضعية. بطبيعة الحال ليست الوضعيّات مصنّفة بشكل نهائي، فديدنها التّجدّد في كلّ مرّة. ليست هناك سمة مخصوصة للوضعيات، ولن تكون.

قدم «ميستلر» يبحث عنّي. أريد أن أسألك بخصوص الآباء الجنود – هات – لقد لاحظت مثلك أنّهم يأسفون على أبنائهم أكثر من زوجاتهم. ما السّبب؟ - لكي يخفوا فشل حياتهم الزّوجيّة. منذ إعلان الحرب، وضعوا سطرا تحت حياتهم الماضية وشرعوا في الحساب. لقد انتهى كلّ شيء، وكلّ منهم يراجع ذاته، متسائلا: ما عساني أفعل الآن؟ فعلاقاتهم مع زوجاتهم تظهر لهم كما تبدو أنفسهم: بئيسن وفاشلين، تلك خيبتهم الكبرى. يعرضون عنها ويستعيضون بالتّفكير في الأبناء. ليس للطّفل بعد أيّ شيء، لا حساب معه. بالعكس، هو المستقبل. مستقبلهم أفضل من مستقبل آبائهم: ما بعد الحرب، الّتي عاشوها أطفالا. هي طريقة في التّفكير: لم تنغلق حياتي بعد ومازال الحساب لم يكتمل، هناك إرجاء. الطفل هو الإرجاء الوحيد لهذه الحياة الميّتة. - لكن، يردّ «ميستلر»، أليس هناك بلايا فرديّة خلال السّلم بإمكانها أن تحرّض شخصا مّا أن يفكّر بهذا الشّكل أيضا؟ - ربّما، غير أنّه ليس هناك تشابه في الأمر. خلال السّلم هناك نظام فرديّ، حياة شخص، ومرجعيّاته: الفترة الّتي يعيش فيها. من الممكن أن يتغيّر النّظام الفرديّ لكنّ المرجعيّات ثابتة. يتلوّن هذا النّظام بحسب المرجعيّات. ليس هناك إذن هذا التّوقّف الشّامل للحياة. بالعكس فما أن تندلع الحرب حتّى يتمّ رسم الخطّ، ليس فقط بالنّسبة إلى النّظام الفرديّ الّذي يتوقّف ويتجمّد بل بالنّسبة أيضا إلى المرجعيّات. لقد وقع كلّ شيء في الماضي، وبالتالي يمكن لكلّ واحد أن يحاكم حياته والفترة الزّمنية الّتي يعيشها، بكلّ ما أنجزه فيها، وما قدّمت يداه. هي الفرصة المناسبة ليكونوا أحرارا، غير أنّهم لا يريدون ذلك، إنّهم يخفون حرّيتهم التامة قبالة هذه الحياة المنقوصة، على مستوى الحبّ الأبويّ.

أرض الرجال لسانت اكزوبري[210] ترنّ بصوت هايدجيري جدّا: «ليس لمشهد

210. غاليمار 1939.

أيّ معنى أبدا، إلا من خلال ثقافة مّا، حضارة مّا، مهنة مّا (الصفحة14)» تغيّر الضّرورات الّتي تفترضها مهنة العالم وتثريه». «تظلّ العاصفة لا مرئية بالنّسبة إلى المسافرين العاديّين... وحدها السّعفات الكبيرة البيضاء تنتشر، موسومة بتعاريقه، بانطماساتها، مشدودة إلى شكل من الجمْد. غير أنّ رجال السّفينة يرون أنّ أيّ هبوط بالبحر ممنوع الآن. هذه السّعفات أشبه ما تكون بأزهار كبيرة مسمومة، بالنّسبة إليّ». (الصفحة 33، 34) الطّائرة آلة، لكنّها أداة تحليل! لقد كشفت لنا هذه الأداة الوجه الحقيقيّ للأرض. بالفعل لقد خدعتنا الطّرقات طيلة قرون... تتجنّب الأراضي العاقر، الصّخور الكبرى، الرّمال... طالما اعتقدنا أنّ هذا الكوكب طريّ وحنون، غير أنّ نظرتنا اخشوشنت، وتطوّرنا بشكل فظّ. تعلّمنا عن طريق الطائرة الخطّ المستقيم... ها نحن تحوّلنا إلى فيزيائئين. .. ها نحن نُقيِّم الإنسان على المستوى الكونيّ».

أقرأ «أرض الرّجال» بنوع من الانفعال. رغم أنّ أسلوبه القريب من باراس- مونتيرلان [كاتب فرنسي 1850-1972عضو الاكاديمية الفرنسية]، لا يغريني، ولا تروق لي تلك الرّقّة المتكلّفة، ولا تلك الصّراحة السّياسيّة، وما تنطوي عليه من تضرُّع جنائزيّ (« لقد قرّرت أن ترفض عودتك كم أنت بخيل يا غيوميه»)، ومن مدائح للعلوم وللحياة، ومن إنسانويّة جديدة: «أقسم لك أنّ ما فعلته، لن يستطيع كائن ما القيام به - هذه الجملة، الجملة الأرقى الّتي أعرفها والتي تموقع الانسان، تشرِّفه، وتؤسّس وتعيد تنظيم تراتبيّة حقيقية»، لكنّها مازالت تحتوي على مقاطع أخرى رائعة تثير دهشتي. ثمّ ليس هناك ما يمكن أن يجعل الأعين تدمع من خلال لحظة آسرة، عدا هذه القصص الّتي تروي أسفارا مُدوِّخة. لقد تأثّرت كثيرا منذ تجنيدي، وأنا أعبر مدنا ومشاهد طبيعيّة في العالم، لم أكن أعرفها - وكان ذلك مريرا بالنّسبة إليّ. غير أنّني هذا المساء، نادم لعدم زيارتي الأرجنتين، الصّحراء، وكلّ أصقاع العالم الّتي لم أعرفها، كلّ الأرض- وهذا النّدم أشد رقّة، وانصياعية، إنّه بلا أمل. إنّه «ألم طافح بالحنين[211]» يشبه السّعادة، يشبه النّدم عن حياة كان يمكن أن أحياها، زمن كنت

211. عبارة لسان اكزوسبري في أرض الرجال.

«ألف سقراط». في الوقت الحاضر لست أكثر من كائن وحيد، أواثنين أوثلاث ربّما.

الثلاثاء 28

يواصل «ميستلر» بحثه. هاهي الوقائع الّتي حصل عليها هذا الصّباح. يبدو أنّ قضيّة العمل ذات أهمّيّة بالغة. رد فعل لاجئ (أتى به مسينيّ [جندي من مدينة ميسين إحدى المدن الفرنسيّة] مجنّد هنا) كان نوعيًا إلى أبعد حدّ: «لعلّهم أرسلونا إلى هنا لنعلّمهم كيف يشتغلون»، ومن المؤكّد أنّ ردّ الفعل هذا كان بسبب الطّابع البدائي للأداوات والأشغال الفلاحيّة لهؤلاء «المتوحّشين» ها هنا ناس يفتخرون أنّهم يعرفون كيف يعملون، وهم على أتمّ الاستعداد لتعليم الآخرين ما يعرفونه، ولتقديم النّصيحة لهم. يبدو إذن، أنّ خيبتهم الكبرى حسب ما جاء في رسائلهم أنّهم لم يجدوا أين يوظّفون طاقاتهم الشّغليّة. فوق ذلك أتخيّل، أنّهم لو تمكّنوا من العمل لاستعادوا كرامتهم كرجال، ولن يشعروا أبدا أنّهم «حشد مهجَّر»، لكن لا يتمّ توظيفهم أو يتم توظيف قلّة منهم (رغم ذلك عليَّ أن أذكر هنا حتّى أوضّح الأمر ملاحظة بيريغوردان [نسبة إلى بلدة فرنسية بيريغورد] مجنّد ببروماث: بضيعة في قريته يتمّ تشغيل عشرة ألزاسيّين، يدَّعي أنّهم كانوا مضطربين بسب الطّريقة العصريّة والجديدة للأدوات – خاصّة منها العربات المجرورة. لكنّهم سرعان ما تعوّدوا عليها)، عموما فأغلبهم لا يعملون، يقولون: «في نهاية الأمر هناك مجنّدون أيضا من ليموزين. هناك أناس يجب تعويضهم. كيف لم يتمّ تشغيلنا إذن؟» يتعثّرون في الحذر الليموزينيّ، يفضّل الليموزينيّون أن يهلكوا في عملهم على أن يقوم به شخص آخر بدلهم. ها هنا طُعم الظّاهرة الاجتماعية: فلّاحون كبار متعبون من اللّاعمل، يخطّطون لشراء أراض في ليموزين. من المهمّ رؤية نتائج هذا المشروع إن تمَّ.

من جهة أخرى فإنّ عددا من العائلات الألزاسيّة في سانت جونيان قرفت الأكل البريغورديني (يأكلون من القاذورات والفضلات) قرّروا أن يجمعوا مع بعضهم مال اللّجوء. امرأة أو اثنتان من النّشيطات أكثر من الأخريات يتسوّقن ويطبخن. أؤكّد هنا على الميل لإضفاء الطّابع الاشتراكيّ على المال الّذي هو من مصدر اجتماعيّ.

يشعرون بألم أقلّ حين يجمعونه معا لأنّهم لا يشعرون أنّه مالهم الخاصّ. وليس هناك شكّ أنّ من حقّهم التّمتّع بمنحة العشر فرنكات يوميّا. لكن ليس لهم مع هذه العشرة فرنكات نفس العلاقة الشّرسة والمتحفّظة مع أموال ربحوها أو ورثوها. ويبدو لي أنّني أرى ولادة مخطّط إنتاج مشترك، من خلف هذه الوجبة الجماعيّة، هذا الميل نحو تصوّف اجتماعيّ كنت قد تحدثت عنه في يوم سابق. يلتقون، يتّحدون. ربّما عثرت الوجبة على تلك الطّريقة المقدّسة الّتي فقدتها من زمن. عموما؛ ولتعميم هذه المؤسّسة استدعى ألزاس سانت جونيان التّجمعات الألزاسية الأخرى من مناطق أخرى ليلتحقوا بهم. وتتدخّل هنا ظاهرة أخرى، تتمثّل في أنّ سلطات التّجمّعات الأخرى للألزاسيّين ترفض التّنقّل خارج مناطقها لتناول وجبات أكل. قد يكون لهذا الإجراء أسباب مختلفة، من ذلك أنّها قد تكون مجرّد مبادرة محلّيّة من إحدى البلديّات، شديدة الصّرامة والانضباط. أو لعلّهم لا يرغبون في أن تتشكّل تجمّعات أكبر على غرار المسيحيّين البدائيّين خارج الأطر الّتي حدّدتها الدّولة بدقّة، وقد يعزى الأمر أيضا إلى عدم رغبتهم أن يعلم ألزاس تجمّع ليموزيني ما يحدث في تجمعات مناطق أخرى. ممّا من شأنه أن يضاعف غضبهم.

وجب التّذكير أنّ ازدراء اللاأزاسيّين لنوعيّة تغذية اليموزينيّين يقابله ازدراء جنود المركز لنوعيّة أكل الألزاسيّين- شاهدنا ظهور بعض أنواع اللّحوم الّتي يعدّها يهود مهجّرون ويبيعون نقانق سترازبورغ، ونقانق كثيرة الدّهون.

الألزاس المهجّرون بليموج في حالة هيجان لعدم عثورهم على عمل، بينما محلّات الليوموزينيّين تشتكي من كثرة العمل، يقول أحدهم متأوّها: «إنّه بسبب هؤلاء الألزاسيّين، الّذين يأتون طيلة الوقت للتّبضّع ولذلك فنحن نتزوّد بالسّلع كلّ يوم». هانغ الّذي حدّثته عن بحثي، أشار لي أنّه يتلقّى رسائل من البستانيّ المهتم بحديقته ومن زوجة البستانيّ، وهما يشتكيان خاصّة من تعرّضهما إلى الاستغلال بطريقة غير إنسانيّة. والألزاسيّ محافظ متشدّد ولا يريد أن يغتاظ. قال لي: «أجبتهم أنّهم أسعد بشكل أفضل من لاجئي 1914 وليس عليهما أن يشتكيا، فقد كان يمكن للحرب أن تأخذ مجرى مختلفا». وفي جميع الأحوال ففكرة استغلالهما أزعجته. لكنّه رفع كتفيه

قائلا: ماذا تريد، هذا إنسانيّ جدّا».

يردّد المساعد مقطّبا حاجبيه: «يحيا البوم بوم! لي حساب لابدّ من تسويته مع جماعة البوش. كانت هذه العبارة في المرّات الأولى ذات طابع ارتجاليّ. وشيئا فشيئا تحوّلت إلى لازمة مكرّرة، وكان لا بدّ من البحث عن أسس لها، وهو ما تمّ. فأثناء تناوله لقهوته هذا الصّباح قال لي: «لي حساب لا بدّ من تسويته مع البوش، سوف أردّ لهم لطمات السّوط الّتي نلتها منهم، عندما كنت صغيرا. مهتمّا بشكل حيويّ سألته: آه أضربوك بالسّوط فعلا؟» – يعني، لا. أقمت في منطقة محتلّة عندما كنت صغيرا. وكان البوش يعطونني الشّوكولاطة لأهتف بصوت عال «فرانكرايخ كابوط». لم أكن أعرف الألمانيّة. كنت أصرخ. غير أنّ جدّي قال لي ذات يوم أمامهم: «لا ترفع صوتك بهذا. وقتها هدّدوني بالسّوط».

بالأمس؛ لام «بول» وهو في نوبة غضب «بياتر» على فقدانه الكرامة بسبب استجدائه الدّائم. ذلك أنّ بياتر يحبّ أن يطلب: خدمة، مزيّة، أيّ شيء. غير أنّه من الخطأ الجسيم الاعتقاد أنّ ما يفعله من قبيل الخساسة. بالعكس تماما، يمكن للمرء أن يؤوّل ذلك، باعتباره، ضربا من الجزالة، ومن مهارة الرّجل في التّعامل مع الآخرين. فهو يطلب لأنّه، يتقن الطّلب. يتكلّم، بأسلوب من يهيّئ مفاجأة سارّة لمحدّثه: «لن تعرفي، سيّدتي ما الذي سوف أطلبه منك؟» بما يثير البهجة في نفس المتلقّي، ويسترضيه. أويقول: «آه! سوف أزعجك مجدّدا. ..». ثمّة نوع من نبل الطّلب عنده. يحدث له أن يشرع في طلب مّا، لكن دون أن يعرف ما الّذي سوف يطلبه بالتّحديد: يفعل ذلك من أجل الاستمتاع فقط. وليس هذا هو الأهمّ. فالحقيقة أنّ الطّلب عنده شعيرة مقدَّسة من الدّيانة الإنسانيّة، احتفال عفويّ وشبه إقطاعيّ يُعِدُّ للحظة المساواة بين الطّالب والمتلقّي. يضع فعل الطّلب الشّخصين وجها لوجه في عريهما البشريّ. ينخرط «بيار» بكامله في طلبه: «ألا ترى من أنا، إنّني رجل كبقيّة الرّجال، ذو أنفة». وإن كان يحب أن يطلب من رؤسائه، فإنّما هو إيحاء منه أنّه يخاطب إنسانا. هناك شيء من السّريّة في طلبه، ومن الهمس، والالتماس والتبجيل: «لست أتغافل عن أنّك ضابط، لكن ما أرغب فيه، أرغبه من إنسان» وحين تتمّ تلبية طلبه –ومن النّادر أن لا

يتمّ ذلك- يكون بياتر سعيدا بشكل مضاعف- خاصة أنّ لديه إحساسا أنّ الملازم أو القائد لبّيا طلبه باعتبارهما بشرا لا أكثر. وعليه فإنّ الطّلب عند بياتر وحدة في الشّعور الصّوفي، متجدّد في إنسانيّته مع طلبات الآخرين. الوجه الآخر لهذا السّلوك أنّ بياتر معطاء، فالأشياء الّتي يظفر بها، عادة ما يفوّت فيها، بعفويّة وسماحة، دون أن يطلب منه ذلك.

حين استفقت هذا الصّباح، ألفيتني منشغلا بفكرة سانت اكزوبري المُطوَّرَة بشكل مفعم: «ليس لأيّ مشهد من معنى إلّا من خلال مهنة مّا». قال بول مقشعرّا: «ليس الطّقس باردا مثل الأمس». بالأمس هطل المطر. أحسّ أنّ هذا البرد الحادّ والحيويّ، لا يشبه في شيء ذلك البرد الّذي أشعر به أحيانا في غرفتي بنزل ميسترال بباريس، ذلك هو بردي. ماعون عملي هو برد، مهمّتي أن أقوم بقياسه الآن. هو محتمل بشكل كبير أكثر من البرد الآخر، لأنّني لا أتحمّله بشكل سلبيّ. لا يلسعني. يداعبني يخدشني بلطف. مثلما يلهو سنّور صغير معي. وفي الوقت نفسه ليس هو كما في حالات أخرى، بركة جليديّة سالت في الغرفة من خلال فرجات النّوافذ وتجمّدت هناك: هو دليل على جمال الطّقس. يتمُّ غلق مصاريع الشّبابيك في هذه الغرفة فيتسلّل من خلال النّور الأصفر للمصابيح الكهربائيّة، شعاع شمس، فجر جافّ وورديّ. لست في حاجة لفتح الشّبابيك، فأنا أنعم بجمال الطّقس واستفاقة هذين الجنديّين بعينين ورديّتين، لا كدر يشوب ما حولي من صفاء، هي استفاقة في الحقول، لا ولا أثر هنا للجدران. ليس لأنّها سقطت فهي مازالت في مكانها، غير أنّه ليس لها ما تفعله قدّام هذا البعد الآخر للبرودة، محيطي الجديد. سوف يكون هناك الكثير من التّغييرات المشابهة الّتي لابد من تدوينها، غير أنّني متكاسل، سوف أعود لكتابتها إن عاودتني مرّة أخرى. وقد فكّرت في إحدى هذه التّغييرات مرّة ولم يكن مصدرها مهنتي كراصد للأحوال الجوّيّة، لكن من ظرفي كجنديّ في الحرب. تخفي الآن السماوات الجميلة، الصّافية والباردة شيئا وبريّا مرتجّا يمتدّ بين أطراف الأفق مثل جناح فراشة: هي سماوات لغارات الطّائرات الألمانيّة. هذه طبيعتهم، ميزة مخصوصة لمشهدهم الطّبيعيّ، نراها كلّ صباح حين نرفع رؤوسنا. ليس هذا مدعاة للخوف

إطلاقا، لأنّ الطّائرات ليست شرّيرة، بل لم يعد هذا مهما على الاطلاق؛ إنّها هنا، السّماء مسمومة بشكل خفيّ، تماما كتلك السّعفات البيضاء الّتي تحدّث عنها سانت إكزوبري. وسماوات الأمطار هي على عكس ذلك حواجز صلبة تعزلنا، نكهة ما قبل السّلم. أمّا بالنّسبة إلى مضيّفتنا الّتي تخشى الغارات الجوّيّة، فإنّ معنى المناخ قد انقلب. تفتح مصاريع نوافذها وتبتسم للمطر كما كانت تبتسم في السّابق للشمس.

سهوت عن أن أقول إنّ البرد الصّباحيّ ليس مغامرة محلّية لي، ولرفاقي. برد يأتي من بعيد، وحاليّا من الأعلى مُحمَّلا بشاعريّة غرائبيّة مثل تحليق طائر نازح. ودون أدنى شكّ سوف تفكر الكاستور وهي تقرأ هذه السّطور[212] في برد رياضة الشّتاء الّذي كان رابطا إنسانيّا بين النّاس، ومحيطا إنسانيّا، ومادّة صلبة في الوقت نفسه، تدركها الحواسّ يمكننا لمسها باليد، بالجلد والوجه. هو أيضا كان محتملا، بما أنّنا نذهب للبحث عنه في الجبال، من أجل متعة الغوص فيه والشّعور بصفيره من حولنا، شبيها بهواء تثقبه قذائف.

من نوادر هانغ الّتي يضمن من خلالها الأصالة، أنّ كتيبة فرنسيّة فاجأها الألمان بالقرب من ويسمبورغ، ففرّ الجنود ووقع الرّقيب أسيرا، فتمّ نقله إلى أحد المعتقلات حيث قام ضابط ألمانيّ باستجوابه لمدّة نصف ساعة بلغة فرنسية جيّدة جدّا. تعمّد الرّقيب الغباوة غير أنّه خشي أن تتمّ سوء معاملته لإجباره على الاعتراف. قال له الضّابط الفرنسيّ بعد نصف ساعة: «طيّب، غادر الآن المخيّم وعد إلى بيتك ولا تضايقوننا أنت وكتائبكم».

نادرة أخرى: دائما بالقرب من ويسمبورغ؛ إذ عادة ما يتمّ السّماح للّاجئين بالعودة إلى قراهم لمدّة أربع وعشرين ساعة، من أجل حمل أغراض ضروريّة. ليستحوذ الألمان عندئذ على القرية. يرون المدنيّين منشغلين بتوظيب ممتلكاتهم فيساعدونهم على شحن الأكياس، ثمّ يتركونهم يغادرون. بدت لي هذه النّادرة الأخيرة سخيفة جدّا. لكنّ

---

212. أعاد سارتر نسخ المقطع المتعلق بالبرد مع اجراء تغييرات في بعض التفاصيل (رسائل للكاستور بتاريخ 28نوفمبر).

واقع الأمر هو أن يتمّ نشرهم هنا. يتمّ التّأكّد أنّ القلة القتلى أو الجرحى في هذا المحور كانوا في الأصل بشكل مّا ضحايا، نتيجة لطلقة نارية طائشة.

نادرة أخرى: قدّمت في إحدى اللّيالي الفرقة 65 للاستقرار في محورها. رفع ألمان في صبيحة الغد لافتة كبرى كُتب عليها: «مرحبا بالفرقة 65».

وفي المحصّلة من العاديّ اعتبار الإرادة وميضا لا يُحوِّر الجوهر الّذي يصدر عنه. بل بالعكس أعتبرها تحويرا شاملا ووجوديّا للواقع الإنسانيّ.

وكما لو أنّه تأكيد لما كنت قد قلته بالأمس، هاهو ذا ما قرأته اليوم في الأوفر عن فالوا[213]:

اعتمدت الأوفر كعنوان لها في نشرتها يوم أمس، عند منتصف اللّيل، هذه الجملة المقتبسة من خطاب السّيّد شامبرلين حول أهداف السّلم: «لن يتعلّق الأمر بإعادة رسم الخرائط الجغرافيّة وفق أفكارنا نحن كمنتصرين، لكن بمنح أوروبّا عقليّة جديدة». جملة رائعة، في انسجام تامّ مع تصريحات الحكومة الفرنسيّة المتكرّرة لأكثر من عشر مرّات، و«العقليّة الجديدة» الّتي يتحدّث عنها السّيّد شامبرلين هي دونما شكّ، عقليّة الحرّيّة، العدالة والسّلم».

في الأثناء دعت الرّقابة صحيفة الأوفر لحذف جملة رئيس الحكومة الأنقليزيّ.

«وها نحن نبذل جهدا لإضافة أنّ العنوان المحذوف تمّت صياغته بهذا الشّكل: لقد تدخّل الرّؤساء، في العدد القادم من الصّحيفة[214]».

خاتمة المقالة الّتي دون أدنى شك تُجرِّم الرّقابة الّتي يشرف عليها المسؤولون المرؤوسون حذفتها الرقابة.

---

213. جورج فالوا صحفي وسياسي فرنسي أسس حركة الحزم سنة 1925. ترك الفاشية وسوف يتم نفيه فيما لمشاركته في المقاومة توفي في معتقل برغن-بيلسن سنة 1945.

214. في خطابه المذاع ليوم 26 نوفمبر، نشرته الأوفر يوم 27 حدد شامبرلين أهداف الحرب" هزيمة العدو"، أهداف السلم" منح أوروبا عقلية جديدة تعالج عن طريقها الأمم التي تكونها الصعوبات التي تتعرض لها بتسامح متبادل ".

أنقل هنا هذه الرّسالة السّاحرة والسّاخرة من فاندا حول الأصالة: «إن أصبحت أصيلا فلن تكون أفضل ولا أسوأ، بل شيئا آخر. من وجهة النّظر الإجتماعيّة سوف تريد لحياتك الخارجيّة نجاحات كثيرة، غير أنّك سوف تكون شاعريّا في داخلك ألف مرّة، ونقيّا بشكل مذهل، وعوض أن تكتب، سوف تكون موضوع كتاب (وهو ما لا يعني لك أيّ شيء؟) وكما تقول أنت، أعتقد أنّه سوف يكون صعبا بشكل مرعب بلوغ الأصالة. كثيرا ما فكّرت أنّنا من عجينة أصيلة منذ الولادة. هو خطأ تنشئة لا دخل لك فيه. ثمّ أنت هيّأت نفسك، من خلال المعنى المعاكس، فكّرت كثيرا، تتعرّف على نفسك كثيرا، ثمّ تكتب. معتبرا نفسك وميضا للأصالة، والحال أنّ كلّ شيء يندثر حين نكتب. يضايقني شيء مّا، حين تعبّر عن ندمك من أنّك لست ذكيا وأنّك تضيع، في محاولة منك لتربح شيئا مّا من خلال ذلك. لن تستفيد بشيء من هذا؛ لأنّه لا يمكن تعلّم الأصالة. إنّني أرى هذا مثل شيء بلا محيط، وأنت تندفع خلاله هاو دون رغبة منك أن تجهد نفسك فيه كثيرا. والنّتيجة هي أنّك سوف تؤلّف كتابا رائعا من عدّة أجزاء حول الأصالة. وبالأساس عليك أن تتعاطى المخدّرات لتنجز هذا. الكتّاب الوحيدون الّذين بلغوا شيئا من الأصالة هو سرياليّون وأكثر، من أمثال رمبو».

عادة ما أتناول و«بياتر» خبزا بالشّكولاطة أو ببعض المصبّرات. أمّا بول و كيللر فيأتيان على ثلاثة أرباع اللّحم والخضر. بالأمس اشتهى بياتر أن يأكل شيئا من البطاطا، قال لكيللر: «سوف آخذ شيئا من البطاطا. – «طيّب»، غمغم كيللر. فانضرف بياتر، وظلّ بول و كيللر يأكلان. عندما عاد بياتر بعد عشر دقائق ليأكل حصّته من البطاطا ألفى الطّبق فارغا تماما. لقد أتوا على كلّ شيء. تساءل قائلا: «هل هذا كل ما بقي لي؟» ردّ كيللر قائلا ببرود تامّ: «لم يكن هناك الكثير اليوم».

بالفعل أنا لست أصيلا. كلّ ما أشعر به حتّى قبل أن أشعر به أعرف أنّي أشعر به. ولا أشعر إلّا بنصفه، وأكون وقتها منشغلا بتعريفه والتّفكير فيه. ليست هواياتي الكبرى سوى حركات أعصاب. فيما يتبقّى من الوقت، أشعر بشكل مستعجل وأكتب ذلك في شكل كلمات، وفي هذا الخصوص فإنّني أتعجّل شيئا مّا، أتقوّل شيئا

هنا، وها أنا ذا قد كوَّنت شعورا مثاليّا، جيّدا لتضمينه في كتاب مترابط. بإمكاني معرفة كلّ ما يشعر به النّاس، شرحه، ثمّ كتابته. لكنّني لا أشعر به. أقوم بالتّلميح لذلك، سوف يبدو للآخرين أنّني حسّاس لكنّني صحراء. رغم أنّني حين أتأمّل مستقبلي لا إجده مدعاة للنّفور: يتراءى لي أنّني قدّام جموع من الأراضي الموعودة التي لن أطأها. لا أشعر بالغثيان، لست أصيلا، توقّفت على عتبة الأراضي الموعودة. وعلى الأقل ها أنا ذا أشير لتلك الأراضي وبإمكان الآخرين أن يقصدوها. لست سوى دليلا، وهذا هو دوري. يتراءى لي الآن أيضا ومن خلال ما أشعر به، ما أتالّمه، إنّني الآن أمسك بنفسي في تكويني الجوهريّ، في طبائعي الخشنة في قفري، ليس من أجل معرفة نفسي، لكن من أجل معرفة كل «الطّبائع»، الألم، اللّذّة، الوجود-في- العالم. هذا هو أنا التضاعف المستمرّ والانعكاسيّ، هذا الاندفاع الجموح للكسب من وجهة النّظر هذه. أعلم ذلك جيّدا – وعادة ما يرهقني هذا الأمر. من هنا تأتـي هذه الجاذبيّة السّحريّة الّتي تمارسها عليَّ النّساء المعتمات الغارقات، فاند وأولغا سابقا. ثمّ هذه المتع النّقية الرّوح، المعروفة، المنكشفة، المنتشرة في رسائلي، الّتي تلهو بي من حين لآخر. لست سوى كبرياء وتجلّ.

الأربعاء 29

منذ 2 سبتمبر قرأت وأعدت قراءة:

قلعة كافكا، المحاكمة، إلى السّجن[215]؛ يوميات دابيت؛ يوميّات أندريه جيد، يوميّات غرين، أبناء ليمون لكينوا، شتاء قاس لكينوا[216]، أعداد المجلّة الفرنسيّة الحديثة، سبتمبر أكتوبر نوفمبر، مارس أو الحرب المُحاكمة لآلن، استهلال لفردين لرومان، فردين، 48 لكاسو، الفارسة إلزا[217] لماك أورلون، تحت النّور البارد([218])،

215. عبارة لسان اكزوسبري في أرض الرجال.

216. أعاد سارتر نسخ المقطع المتعلق بالبرد مع اجراء تغييرات في بعض التفاصيل (رسائل للكاستور بتاريخ 28نوفمبر).

217. جورج فالوا صحفي وسياسي فرنسي أسس حركة الحزم سنة 1925. ترك الفاشية وسوف يتم نفيه فيما لمشاركته في المقاومة توفي في معتقل برغن-بيلسن سنة 1945.

العقيد جاك، الجزء الثّاني من الأعمال الكاملة لشكسبير، أرض الرّجال لسانت اكزوبري، الوصيّة الإسبانيّة لكوستلر.

الخميس 30

بما أنّني لا أملك أموالا، ولا أرغب في أن أثقل شهر ديسمبر بالتّداين من «بياتر»، فلم أذهب منذ خمسة أيام لتناول الإفطار في الإكريفيس. لم يعد الطّبخ يلهمني أيّ رغبة. انتهزت الفرصة لأفطر نصف وجبة: فأتناول عند الصّباح خبزا وجبنا، وفي المساء خبزا وشوكولاطة، بالأمس لم أتناول أيّ شيء. آمل بهذا الشّكل أن أفقد الثّلاثة كيلواغرامات الّتي زادها وزني منذ سبتمبر. إلى درجة أنّني كشبت ثقبا زائدا في حزام خصري. إحقاقا للحقّ كان يمكنني الذّهاب لتناول وجبة الغداء، لكنّ رفاقي يترصّدون بي. لقد انتقدتهم كثيرا بسبب ضعفهم، وكنت غالبا ما أشعر بهم يقرفونني بقراراتهم الّتي يتّخذونها مئة مرّة، ويعيدون النّظر فيها مئة مرّة! سوف يكونون سعداء إن قبضوا عليّ بالجرم المشهود. لن أجعلهم يستمتعون بهذا. ولقد أوقع بول بنفسه حين أسرّ ل ميستلر ذات يوم بأمر يخصّني وأعاده هذا الأخير على مسامعي «إنّه (يقصدني أنا) ما عاد حادّ الطّباع منذ صومه الإراديّ»، يروق لي ما سمعته ويعلّمني: إذا لم أكن أضع ذلك بعين الاعتبار. لكن بالعودة للتّواريخ والأحداث المزامنة بينها وبين حالتي النّفسيّة، فهمت جيّدا أنّ حدَّة انفعالي لها صلة بهذه الأزمة العاطفيّة الغريبة الّتي ألقيت بنفسي فيها، والمتعلّقة بعلاقتي بفاندا. وهذه الأزمة نفسها سابقة على الحلّ الّذي اخترته بعدم الأكل. لقد كانت الأيّام السّابقة ليوم الأمس، شديدة القسوة عليّ، على المستوى العاطفيّ. لم أتّصل برسائل منها، وحين أجدني دون رسائلها أفضّل الصّمت. أشعر بضراوة غيابها، وتتضاعف وحدتي، تبدو لي حياتها في باريس غير واقعيّة. رسالة مّا، هي الانفجار المباغت لوعي صغير. خائنة ومنطلقة

---

218. في خطابه المذاع ليوم 26 نوفمبر، نشرته الأوفر يوم 27 حدد شامبرلين أهداف الحرب" هزيمة العدو"، أهداف السلم" منح أوروبا عقلية جديدة تعالج عن طريقها الأمم التي تكونها الصعوبات التي تتعرض لها بتسامح متبادل ".

وسط باريس التي أفتقدها بلوعة. حين أقارن ما كتبته اليوم بما كتبته يوم 26 أدرك جيّدا أنّني مررت بأزمة بؤس خانقة. لكن ولأنّني شديد الاعتداد بنفسي، فقد كنت عنيدا، في إصراري على قراري، أن لا أسف على حياتي السّابقة، ولا شكوى من حياتي الحاليّة. هذا اليأس الضّئيل الوقتيّ ألقى بنفسه عند أوّل درب عثر عليه: حيرة مرضيّة غيورة بخصوص فاندا – ليس لأنّه ليس لي – بل مازالت لا – أملك أيّ حوافز للحيرة. غير أنّني كنت سوف أتصرّف بطريقة أخرى مختلفة في زمن السّلم[219].

في جميع الأحوال لقد أغلقت على نفسي باختياري، وصمت عن الأكل. أوّل أمس قرأت كتابا ينسجم بشكل رائع مع مزاجي السّيّئ الّذي زادت من حدّته الظّروف الحاليّة: الوصيّة الإسبانيّة لأرتور كوستلر. الفائدة العاطفيّة التي أيقظها في داخلي التحقت باطنيّا بما أيقظ فردين لرومان.. ثمينة جدّا بالنسبة إليّ الآن تلك الكتب الّتي تتحدّث عن الفظاعة والبؤس والموت. لست أرغب الآن إلّا في قراءة مثل هذه الكتب. أن تغرق في الحرب، فهذا وحده كاف أن يجعل من هذه الرّوايات المعتمة حيّة وحقيقيّة. لقد قرأتها السّنة السّابقة بشعور السّخط المناسب، ولم تعنني وقتها في شيء، كان سخطي «نبيلا». لقد كانت حرب 1914 مخفيّة جيّدا ثم إنّ إسبانيا ليست هي فرنسا. أتخيّل أنّ أغلب البورجوازيّين من ذوي العزائم الطّيّبة لا يستطيعون التّعليق بأيّ شيء وهم يقرؤون الصّحف أو شهادات مشابهة لشكل من أشكال الأمن المتحضّر: لن يحدث مثل هذا في فرنسا –إسبانيا بلد متخلّف– أو أيضا: لقد ضحّينا كثيرا في بلاد البلقان، الخ. فالفرنسيّ دائما ما يعتبر فرنسا تقريبا شبيهة بعالم في قلب كون مختلّ، مشوّه وهائج. يضطرب الكون وتخترقه عواصف عدّة ولكنّ هذا لا يعني العالم. لكن اليوم ورغم أنّنا في حرب وهو ما يدفع هذا العالم لإعادة النّظر فيما يحدث

---

219. في رسالة إلى الكاستور في نفس اليوم (مؤرخة خطأ في 29نوفمبر):" ماذا بعد (...) لقد دونت نهاية أزمتي العاطفية في الدفتر، المزعج في الأمر، إن اكثيرين سوف يعتقدون إنني وضعت قناعا ليس لي ما اضيفه (بخصوص فاندا) فلا يستحق الأمر كل هذا العناء ولأا أن اقول (بخصوص بيانكا) إن الأزمة كانت أقوى حدة وسبب ذلك أنّي منذ سبتمبر إنني جمّلت فاندا وهي تماسكت جيدا بذلك التجميل الغ الغ. خلاصة الأمر أنّي متذبذب لم أقل سوى الحقيقة ولكن ليس كل الحقيقة.

على الأقلّ، أجدني منفتحا على هذه الكتب الكئيبة فهي تزيل عنّي شيئا مّا هذه الطبقة الرّقيقة من التّفاؤل المثاليّ. فالفرنسي هو دائما ذلك الشّخص الذي يقبل على أكل لحم العجل وينظر بنقمة شديدة لمن يدعوه لزيارة مسلخ حيث يتمّ قتل الحيوانات. لقد اقتربت من المسالخ. لقد بعث فيّ اليوم الأوّل للسّطو على مالاغا الشّعور بالرّعب والقهر تجاه هذه الحرب المتكاسلة والفظيعة، الّتي كانت تُدار على الأقلّ تحت الشّمس. في اليوم التّالي كنت مشغولا بالتّعداد المنظّم للحيل الّتي يخفي بها إنسان في خطر الموت الخطرَ ليشعر بالأمان، ليبدو في عيني نفسه شجاعا. لقد أحببت كثيرا تلك الملاحظة حول تصرّف النّاس عشية سقوط مالاغا: لديّ انطباع مزعج أنّ كلّ ما يحدث هو مجرّد سينما.. وكلّ شيء، بما في ذلك أنا نمثّل دراما بشكل ساذج مرضي دون وعي بالحقيقة الخادعة للموت. أحسّ كثيرا نوع هذه الحيلة من خلف هذه اللّاواقعية المرضية للموت. ثم حين تنتهي لحظة الدراما، حين يجب العيش مع الفكرة الدّائمة للموت، كلّ قفزة بطوليّة هي في أساسها خدعة؛ وحده الله يعرف أيّ طريقة هي للشّعور بالأمان. عموما؛ هي تعزية ساحرة، لننقّب بها أبدا في عريها الحقيقيّ، لكنّنا من جهة أخرى نتفانى من أجل أن لا نعرفها. هذه هي دائما خدع الرّواقيّ وهذه الطّريقة للشّدّ من الخلف، في اللّحظة الّتي نحسب فيها أنفسنا قد انطلقنا نحو شجاعة يائسة. كلّ هذا يوقظ في داخلي أصداء: ألم أستهلك في بداية هذه الحرب تقنية هذه التّعزية، معتقدا نفسي شجاعا؟ ومن هنا تشكّلت هذه الملاحظة: منذ صار العالم عالما لا أعتقد، أنّ هناك شخصا واحدا مات واعيا. حين أمسك سقراط بقدح الشوكران بين أتباعه كان على شبه قناعة أنّه يؤدّي أمامهم عرضا كوميديّا... لقد كان على يقين من اشتمال المشروب على سمّ زعاف، وأنّه ميّت لا محالة، لقد كانت رؤيته إلى ما يحدث مختلفة عن رؤية من أحاط به من أتباعه، الّذين ظلّوا بلا حراك، كان على يقين أنّ خدعة مّا تتربّص بالأمر. لتكون هذه إشارته الأخيرة: «لقد عملت الطّبيعة على أن تجعل الأشجار لا تنمو إلى حدود السّماء. أمّا تلك الّتي تتألّم فلا تنمو مثل الآخرين».

لا يتعلّق الأمر في تقديري بالطّبيعة، بل بنا، ونحن مسؤولون بالكامل عن هذه الخدع. بل هناك اعتراف من توفر ساعات من الأصالة: فالأغلبيّة منّا لا تخشى الموت

بل فقط أن تموت، وهناك لحظات نتجاوز فيها خوف أن نموت. نحن أحرار في تلك اللّحظات أحرار... رجال بلا ظلال مرفوتون من صفّ الأموات: تلك هي تجربة الحرّيّة المطلقة الّتي يمكن لإنسان مّا أن يعيشها.

وهذه الملاحظة أيضا: قرب الموت الدائم منا يثقل عليّ (حياتنا) وكلّ تجمّع يخفّف من وقعه. لقد تخفّفنا من كلّ مسؤوليّة، لقد سبق أن قلت إنّ كلّ حرب تصلح كمبرّر: تخفّف، تعذر الوجود هنا، والآن أرى الموت كذلك أيضا. طالما أنّه من الصّعب أن نحيا، دون أن نجد مبرّرا لذلك إطلاقا.

في المحصّلة، هذه الأزمة العاطفيّة هي مجرد تعرية، حفّزتها ظروف خارجيّة، بكلّ ما في كوني من أفق، ومن مستقبل، وفي الوقت نفسه، هي تعرية التّزامن المرعب، الّذي، ولحسن الحظ يظلّ مخفيّا عنّا أغلب الوقت. أتخيّل أنّه لو عشنا هذا التزامن هنا في كلّ أبعاده، فسوف نقضي أيّامنا ننزف مثل قلب مكسور، لكنّ أشياء أخرى من شأنها أن تواريه. ومن ذلك أنّ المدّة يتطلّبها وصول الرّسائل إليّ، هي ثلاثة أيّام، وهي نفسها المدّة الّتي يتطبّبها وصول ما أرسله، لتكون حياتي في الحالين طوفانا بين الماضي والمستقبل، فما تتضمّنه الرّسائل المرسلة أو الوافدة من أحداث منقض قبل أن يتسنّى الاطّلاع عليه. الرسائل التي أتلقاها هي أطراف من حاضر محاط بالمستقبل، حاضر – ماض محاط بمتقبّل ميّت. حين أكتب أتردّد بين زمنين: زمن الكتابة، وزمن القراءة، زمن في علاقة بي كمرسل، وآخر ذو صلة بالمتلقّي، لننتقل من اللّا واقعيّة، إلى ضرب من اللّا زمنيّة. بسبب هذا يتخذ حاضري الآن، حاضري المحايد بعض الألوان ويمكنني التمسك ببعض الأشياء، بقراءاتي، بصباحاتي الورديّة. ولا تبدو لي هذه الرّسائل علامات مُحيّرة لوجود حالات وعي أخرى ولكن كما لو أنّها شكل مألوف اتّخذته الحالات من الوعي لتسافر نحوي. حين أقرأ هذه الرّسائل، أمسك بحالات الوعي هذه أسيرة، في حلقة من حولي فلا يمكنها الإفلات منّي لترحل وتعكس سماوات أخرى ووجوها أخرى. لكنّ التّزامن يكشف فجأة عن نفسه، وهكذا تصبح الرّسالة خنجرا: فهي تفصح في الأوّل عن وقائع لن يكون بالإمكان إصلاحها، طالما أنّها قد انقضت، ثم إنّها تترك الجوهر يفلت، تمثّل هذه الحياة حالات وعي، حافظت

على حياتها في الرّسائل، أفلتت منها وتابعت حيواتها فيما وراء الرّسائل الميّتة، مثل أولئك الأحياء فيما وراء القبور. لا أعرف ماذا ساقول في مثل هذه اللّحظات: يتراءى لي أنّني أنا الذي صرت ماضيا، عاجزا بلا أيّ تأثير. لا أستطيع التّشبّث بمستقبلي من هنا، إنّه يبتلع نفسه. من هنا تأخذ حالة من التّوتر شكل الغيرة. لن أندم أبدا على هذه الأيّام الكئيبة. إنّها الحياة المفعمة؛ لقد جلبت لي هذه الأيّام على هامش هذا التّوتّر العاقر والشاق «آلاما رقيقة»، تلك الّتي تحدّث عنها سانت إكزوبري والأمسية الشّاعرية في 27، وقد جلبت لي أيضا التّجلّي الكئيب للوصيّة الاسبانيّة. ها أنا ذا ألقي بنفسي في التسليات، مدفوعا بلا توازني، باختلالي. لكن هل انشددت إلى هذه التسليات على الأقلّ؛ لمرّتين كنت شخصا آخر على الأقل.

تقول لي أمي إنّ مدام ماجدولين تصنع شرائط ذهبيّة لتزيين سترات الكهنة في الجبهة، وتمّت في الأثناء مصادرة ملابس الولّاة المطروزة، ملابس الأكاديميّين، فساتين الحفلات الرّاقصة، الأقمشة القديمة».

أقام المساعد بشكل ناعم عند إحدى النّساء الشّابّات (زوجها ألمانيّ أسير في إحدى المعتقلات) لكنّه يتعذّب و«لن يغفر لها أبدا لأنّها تنادي ابنها ويلي مثل البوش». يِؤكّد بشكل جازم أنّ الجنود الفرنسيّين في جهة يوسمبورغ قد نهبوا كلّ شيء.

عاد المساعد عند السّاعة السّادسة وأخبرنا أنّ روسيا هاجمت فنلندا[220]. يا له من خبر سيّئ.

الجمعة 1 ديسمبر

تأكّدت الإشاعة: تحدث بياتر مساء أمس مع مالكة غرفته، قالت: أعرف أحدهم ويمكن أن أكشف عن اسمه، وهو حارس في سترازبورغ وقد تمّت نقلته بشكل خاصّ لحراسة منازل المهجَّرين. يعود هذا الشّخص كلّ أسبوع هنا بصناديق مملوءة بالملابس الدّاخليّة والثّياب.

أمّا مالكة غرفتنا فقد حدثت المالكة الأخرى أنّها عند رحيلنا لن تقبل بتأجير غرف

220. خلافا للبلدان البلطيقية رفضت فنلندا السماح لروسيا بتركيز قواعد عسكرية.

بيتها إلا لضبّاط لأنهم يعرفون التّعامل معها.

قال لي بياتر : «لقد تحدّثت مع بول بشأنك مساء أمس. فلتحذر يا صاحبي، إنّك تشتغل ستّ عشرة ساعة في اليوم، كيف لا تريد مع كلّ هذا أن لا تكون نزقا؟» شاعرا بالفخر، فكّرت أوّلا أنّني لا أستطيع أن أعمل لأكثر من 13ساعة، وأنا لا أجلس إلى طاولتي إلّا عند السّاعة الثّامنة وأغادر المدرسة عند السّاعة التّاسعة صباحا، دون احتساب ساعتي تناول الأكل (من 11 الى الواحدة). دون شكّ؛ إنّي أكتب في دفتري خلال هاتين السّاعتين لكن بشكل أقلّ. بالإضافة إلى ذلك فإنّ بياتر جنيرال العمل يخلط بين اللّحظات الّتي أقرأ فيها روايات، وتلك الّتي أردّ فيها على الرّسائل. أحسب إذن أنّ عدد ساعات عملي الفعليّ هي بين ثمان وتسع ساعات. فليس صحيحا أنّني أقرأ وأكتب لمدّة تراوح بين العشر، والإحدى عشرة من السّاعات في اليوم، ولعلّ هذا ما يفسّر تعب عينيَّ.

وأنا أعيد تصفّح يوميّات أندريه جيد اصطدمت بما يسمها من طابع دينيّ. يبدو الكتاب في بعد منه، معالجة حجاجيّة للوعي، وهو في بعد آخر كتاب تأملات وتضرعات. لا علاقة لهذه اليوميّات بمحاولات مونتاني أو بيوميّات غونكور، أو تلك الّتي كتبها رينار. فالأثر في عمقه ضرب من المقاومة ضدّ الخطيئة. واليوميّات في هيئتها، وطريقة بنائها، تبدو للنّاظر خدعة مبسّطة، وسبيلا ميسّرة، لمقاومة الشّيطان.

مثلا: «لم أجد من نفسي ذلك القدر من التّواضع، إلّا حين أجبرني[221]، على كتابة صفحات، في هذا الدّفتر بشكل يوميّ، تمثّلني أيّما تمثيل، أشعر بها، وأجدها قريبة من نفسي، رغم يقيني من رداءتها[222] أتعلّق بهذا الدّفتر بشكل ميؤوس منه؛ جزء من صبري، يساعدني على أن لا أفلس». (7فيفري 1906). و(16سبتمبر1916). لن أفلح في ذلك، إلّا بجهد دؤوب غير منقطع، أستثمر فيه كلّ لحظة بامتلاء، ولن أبلغ ما أصبو إليه إلّا ببعض الحيلة، وبكثير من الدّقّة.

---

221. سارتر هو الذي يؤكد على الكلمة.

222. يكتب أندرية جيد: أعرفها وأحسها.

«لن أظفر بالمراد، إذا توهّمت أنّ كلّ ما أخطّه ذو أهمّيّة، كلّ ما عليّ هو أن أكتب كلّ ما يرد على خاطري في هذا الدّفتر، أن أودعه نفسي وأفكاري وهواجسي».

الدّفتر مَهمَّة يوميّة بسيطة، حتّى أنّنا قد لا نأخذ ما بين طيّاته، على محمل الجدّ، ونجابهه بشيء من الاستهانة، ويعود هذا الانطباع في بعد منه لشخصيّة «أندريه جيد»، بصفته كاتبا محترفا، ولما يسم الدّفتر من طابع جدليّ، يمثّل صاحبه. لكن تبقى العُدَّة دينيّة. من هنا تتجلّى صرامة هذا الدّفتر وللحظات طابعه المقدّس. وهو في الوقت نفسه، دفتر لكاتب كلاسيكيّ، يكدّ لإخراج كتاب هو في محصّله، إعادة قراءة، وتأمّل في إعادة القراءة. فلا طرافة فيه من هذه الجهة ولا إضافة، فضلا عمّا يسمه تدويناته من حرص على الجودة، حدّ القسوة، فلا عفويّة فيه، ولا يمكن اعتباره انعكاسا تلقائيّا لحياة مّا، إنّه بمثابة صلاة التّقدمة الدّينيّة والكلاسيكيّة، كتاب بحسابات أخلاقيّة، بصفحة للدّيون، وصفحة للمكتسبات. كلّ تدوينة فيه ليست مجرّد نقل وفيّ، أو شعور، إنّها في قرارتها، فعل تأمّل، فعل صلاة، وطقس اعتراف. وقد اتّضح لي البون بين ما يسم دفتري من خصائص وبين دفاتر جيد، فبينهما اختلاف بيّن ومسافة. إنّ دفتري في قراراته شاهد، وفيّ وحقيقيّ، بلا أقنعة، أو خلفيّات، وهو شهادة، لبورجوازي مُجنَّد في 1939، حول الحرب الّتي فرضوا عليه خوضها. أنا أيضا أكتب كلّ شيء في دفتري، لكن مع يقيني أنّ القيمة التّاريخيّة لشهادتي تبرّر لي ذلك. لنتّفق: لست كبيرا في هذا العالم، ولست أرى كبار هذا العالم، فلن يكون لدفتري تلك القيمة الّتي لجيرودو[223] أو شمصون[224]. من جهة أخرى لست في موقع متميِّز مثلا في خطّ ماجينو أو بالعكس في الخلف في المكتب 2 أو ضمن مراقبي الإعلام. أنا في قيادة – عليا للمدفعيّة على بعد عشرين كيلومترا من الجبهة، محاطا بصغار البورجوازيين أو متوسطي الحال منهم. ولهذا السّبب بالأساس فإنّ دفتري هو شهادة ذات قيمة عند الملايين من النّاس. إنّها شهادة رديئة وعامّة في الوقت نفسه. هنا تتدخّل خدعة أخرى للشّيطان كما يقول «أندريه جيد»: أتجاسر من خلال رداءة

223. جيرودو هو المندوب العام للإعلام، مكلف بمهمة الرقابة منذ 29جويلية 1939.

224. الروائي أندريه شمصون مكلف لدى القيادة العليا للجيش الخامس.

وضعيّتي، لم أعد أخشى أن أخطئ وأتكلّم بوقاحة عن هذه الحرب لأنّ أخطائي سوف تكون لها قيمة تاريخيّة. إن أخطأت واعتبرت هذه الحرب احتيالا، فهذا الخطأ ليس حماقتي أنا، إنّه تمثّل لفترة من هذه الحرب. هناك، آخرون أكثر أو أقلّ ذكاء منّي، أكثر أو أقلّ معرفة منّي تفاجؤوا مثلي، تحرّكوا، دون أن يكتبوا أو يستعملوا كلمات أخرى. لا يتطلّب الأمر شيئا آخر لإقناعي أنّ كلّ ما أكتبه مهمّ، بما في ذلك الاعتراف بكآبتي، وبما أعيشه من حالات كرب، كان «جيد» يعتذر عن كتابتها، سأكتب كلّ شيء، دون استهانة، ومن الضّروريّ أن أولي العناية بكلّ ما سأكتبه، من شجون، وتفاهات، ومن هواجس، وأمزجة، وتكهّنات سياسيّة، سأعود على تدويناتي موثّقا ومدقّقا، منسّبا لأحكامها، مخفّفا من مصادراتها. لابدّ من التّنسيب، ومن الابتعاد عن الإطلاق، بل إنّه لابدّ من النّسبيّة في كلّ شيء، في تفاصيل حياتنا، الأشدّ بساطة. لن يكون هذا الدّفتر ساذجا، وسيكون جريئا، دون أقنعة، هو دفتر ملحد ومتكبّر. من وجهة نظر أخرى وبذهنيّة مختلفة تماما هذا الدّفتر إعادة نظر لنفسي. وهنا أيضا يمكن أن يكون قريبا من الاعترافات الجيديّة. غير أنّ هذا ليس سوى مظهر. وفي الحقيقة فإنّ إعادة النّظر هذه لا أقوم بها منتحبا وبشكل وضيع، لكن ببرود وفي حال تطوّر. إنّها تسجيلات، وأنا أكتبها، يسود لديَّ انطباع –ماكر– أنّني تركت خلفي ما كتبته. لست خجولا من ذلك، ولست متباهيا به. هناك تقريبا دائما فارق بين اللّحظة الّتي أشعر فيها واللّحظة الّتي أكتب فيها. وبالتّالي فهي بالأساس إعادة توضيح، باستثناء بعض اللّحظات الّتي يأمر فيها الإحساس بالكتابة دفعة واحدة. وأنا أكتب أحاول تأسيس قاعدة صلبة ومُركّزة لمنطلقاتي. في المحصّلة هناك، عند البدائيين احتفالات لمساعدة الحيّ على الموت، لمساعدة الرّوح على مغادرة الجسد. لتدويناتي «الاعترافيّة» الهدف نفسه: مساعدة وجودي الحاضر على الجريان في الماضي، غرزه قليلا وقت الحاجة.. ثمّة هنا جانب من التّلميح، إذ لا يكفي أن نُبلِّغ عن واقعة نفسيّة كي نعيد تحويرها. لكن على الأقل ترسم خطوط تغيير ممكن.

تقودني كلّ هذا الملاحظات لمواجهة تكويني الأخلاقيّ بالتّكوين الأخلاقيّ لـ «جيد». ما أفعله. أنّني أحاول أن أكتب هنا هذا المساء وفي كلّ أيّامي هذه، ما سوف

يكون محاولاتي الأخلاقيّة المختلفة منذ كان عمري ثماني عشرة سنة وسوف أعمل على تحيين بعض الوقائع الأخلاقيّة الّتي اكتشفتها ويمكن تسميتها انفعالاتي الأخلاقيّة. بالفعل؛ أتخيّل أنّ كلّ واحد يحدّد بشكل حرّ طريقة التّأثّر الأخلاقيّ، من خلال ذلك يتمسّك بالقيم ويتصوّر تطوّره. مثال ذلك أنّه من المؤكّد أنّه قد كانت لي ومنذ نعومة أظافري أخلاق بلا ربّ – بلا خطيئة ولكن دون شرّ. سأعود لاحقا لهذا الموضوع..

في سن الثانية عشرة فقدت الإيمان. غير أنّني أتصوّر أنّني لم أكن أؤمن بشكل قويّ. كان جدّي بروتستانتيّا، وكانت جدّتي كاثوليكيّة[225]. غير أنّ مشاعرهما الدّينيّة كانت محتشمة ومتجمّدة؛ كان جدي يكنُّ احتراما مبدئيّا للمسألة الدّينيّة باعتبارها ظاهرة ثقافيّة كبرى، وكان هذا الاحترام مرفوقا باحتقار «باربايو [كنية للبروتستاني]» تجاه الكهنة. أعتقد أنّه كان ونحن على الطّاولة، يتهكّم بالكهنوتيّة، فتطرق جدّتي أصابعه وهي تقول «اصمت يا بابا». أقامت لي أمّي أوّل جلسة وحدة شعور، لكن أعتقد أنّها فعلت ذلك، دون قناعة حقيقيّة، احتراما لحرّيّتي المستقبليّة. كمن يختن ابنه، لأسباب صحّيّة، لم تكن لها ديانة محدّدة، وإذا كان لها من تديّن فهو غاية في الغموض، يعزّيها أحيانا حين يستوجب الظّرف، ويتركها بسلام. ليس لي ذكريات دينيّة على الإطلاق: لكنّني أتذكّر أنّني في الثّامنة قد أقدمت على إحراق ستائر القماش الرّقيق، والشّفّاف، للنّافذة، بولّاعة. وكنت أتصوّر أنّ الله الطّيّب يراقبني، ويبارك الفعل الحرائقيّ. أتذكّر أيضا أنّني قمت بسرديّة في مجال التّعليم المسيحيّ عند القسّ ديبيلدوس (في مقرّات مدرسة بوسييه) وفزت بميداليّة فضّية من ورق مُقوًّى. مازلت إلى الآن ممتلئا فرحة وحبورا حين أفكّر في تلك القراءة وفي تلك الميداليّة. لكن لا علاقة لكلّ هذا بالدّين. ذلك أنّ أمّي قد نسخت بخطّها الجميل ما ألّفْته، لقد تركت رؤية نثريّتي مكتوبة في داخلي انطباعا شبيها، بما يصيب الكاتب من إبهار، لصدور النّسخة الأولى من كتابه البكر. إضافة إلى ذلك فإنّ الميداليّة الفضّية ذات اللّون الرّماديّ اللّمّاع الجميل، قد تمّ

225. المقصود هنا أجداده من جهة الأم الشويتزير بالكاد بلغ سارتر شهره الخامس عشر لما توفي أبوه جان باتيست سارتر (سبتمبر1906)، عاش مع عائلة أمه إلى أن تزوجت هذه الأخيرة مرة أخرى في أفريل سنة 1917.

تلصيقها على الورقة الأولى من الاختبار. لقد كان لكلّ ذلك أثره الرّائع، والثّمين، زد على ذلك أنّ القسّ الّذي صحّح لي إنتاجي كان غاية في اللّطف، أشقر، في عنفوان شبابه، بيدين جميلتين[226]. لقد بحثت مطوّلا، فلم أعثر على شيء آخر بداخلي. صحيح أنّهم كانوا كثيرا ما يصحبونني إلى الكنيسة – لكنّ هذا الّذي أستعيده يؤكّد النّوع البورجوازيّ الّذي أنتمي إليه –فقط لسماع موسيقى جميلة، أرغن سانت سوبليس أو أرغن نوتر دام. إنّني أرى أيّ شعور روحانيّ رفيع تثيره وحدة الأشكال الأنقى في الفنّ مع الأشكال الأغلى للإيمان عند أمّي وجدّتي، والأهمّ ممّا تقدّم، أنّ جاذبيّة الموسيقى، هي الّتي كانت تغري النّسوة والفتيات، بما هو دينيّ، وأعتقد أنّهنّ لم يكنّ يعلمن إن كانت الموسيقى هي الّتي تهيّجهنّ، باعتبارها دينيّة أم أنّ الدّين هو الّذي يجلبهنّ، لما في الموسيقى من وحدة، وانسجام. يمتزج احترامهنّ للدّين بتعلّقهنّ الأكاديميّ بالقيم الرّوحانيّة. بالنّسبة إليّ، لم أكن أستمع إلى هذه الموسيقى، إلى هذه الرّياح القويّة المنتحبة التي تملأ فجأة فضاء الكنيسة. لكنّ هذه القداسات كانت مرتبطة في ذهني رغما عنّي بفكرة الفضيلة. وبما أنّني كنت متضايقا، عرفت أمّي كيف تهدّئني وهي تشرح لي أنّ صبيّا صغيرا مهذّبا عليه أن يظلّ هادئا مثل صورة خلال إقامة القدّاس. كنت أحقّق في داخلي هذا التّهذيب بأقلّ التّكاليف خلال كامل السّاعة الّتي يتمّ فيها القدّاس، لأستطيع أن أسأل أمّي فيما بعد وأنا متيقّن من إجابتها: «أمّي، هل كنت مهذّبا؟»، بل إنّني كنت ألتزم مكاني دون حراك متفاديا كلّ ما من شأنه أن يثير أيّ ضجيج، فلا أحرّك حتّى مقعدي ولا قدميّ أيضا. غير أنّني كنت أمقت الرّكوع فلي حدبتان شديدتا الحساسيّة في ساقي. ها هو ذا. إنّه لأمر هزيل. فالله موجود لكنّ ذلك لا يعنيني. ذات يوم في لاروشيل، وبينما كنت انتظر الآنسات ماتشادو اللّواتي يصطحبنني في الطّريق إلى المعهد، نفد صبري من انتظارهنّ ولملء الفراغ انشغلت بالتّفكير في الله، استغرقت في التّفكير، وتردّد في أعماقي صوت «هو غير موجود»، وكان ذو أصالة بديهيّة، ولا أعلم حتّى الآن كيف استخلصت تلك

---

226. تنتهي هذه القصة في كتاب " الكلمات" (1964) بشكل سيئ فهذا الانتاج لم يحصل إلا على الميدالية الفضية (ص84-85سلسلة فوليو غاليمار).

النّتيجة. ثمّ انتهت المسألة، ولم أعد أفكّر في الأمر. لم أعد أنشغل إطلاقا بهذا الإله الميّت، الذي شككت أنّه كان حيّا. أتصوّر أنّه لا يمكن العثور في داخلي على طبيعة دينيّة. لقد حسمت تلك المسألة نهائيّا منذ كان عمري إثنتي عشرة سنة. إثر ذلك بوقت طويل كنت أعالج البراهين الدّينيّة وحجج الملحدين. أعجبتني الأقدار وتناقضاتها. أعجبني أن أقول إنّ اعتراضات كالظّلم تبلغ الدليل الأنطولوجي لديكارت، لكنّ كلّ هذا لم يبد لي حيويّا مثل الشّجار بين المعاصرين والقدامى. أعتقد أنّني أقول كلّ هذا لأنّني مصاب بالأخلاقويّة وعادة ما تنهل الأخلاقوية من الدّين. غير أنّ هذا لم يحدث معي. بل لقد نموت وتربيت، عموما عند أولياء ومعلّمين كان أغلبهم أبطالا في الأخلاق اللّائكيّة الّتي استبدلوا بها الأخلاق الدّينيّة. أتوقّف هنا لأدوّن نادرة فاتنة لـ «كيللر». في حصن سانت-سير سنة 1921 حقنوه ضدّ الحمّى التّيفيّة وأعطوه ثلاثة قراطيس من الكينين، لاستعمالها إذا ارتفعت عنده الحرارة خلال الثماني وأربعين ساعة القادمة: «لم تؤثّر فيّ الحقنة بأيّ شكل من الأشكال، غير أنّني ابتلعت محتوى الأكياس الثلاثة، حتّى لا أخسرها»

أدِين هنا شيئا في صالح بياتر وكنت أريد كتابته من مدّة طويلة: فهو لم يتلقّ سوى تدريبا مختصرا وهو يعرف ذلك. وهو ينتهز هذه الفسحة الإجباريّة ليدرس الجبر ثلاث أو أربع ساعات في اليوم، دونما ابتهاج كبير ولكن بلهفة. أنا و ميستلر نسمّيه الملاك أو الطّفل الجميل. والحقيقة أنّه ملاك حقّا، في مهاراته شكل من أشكال البراءة، ولا أنكر أنّه يشيع من حوله ضربا من السّحر، وهو خال من أيّ عقدة ولا يطلب شيئا سوى أن يكون سعيدا. إنّه من مكان آخر. ومداعباته لنفسه تجعله يشبه السارافيم [مجموعة من الملائكة موجودة في الأديان الإبراهيميّة] وهو يداعب خدّيه بأجنحته- هذه السّاعات الّتي ينهمك خلالها في دراسة الجبر، هي رفض لإضاعة الوقت في الحرب، رفض للاستسلام، إرادة لاستثمار هذه البطالة؛ الرّفض الوحيد الممكن لنا للحرب. حين أقارن بينه وبين كيللر الّذي يتخم نفسه لأنّ الأكل مجّانيّ هنا، و بول هذا الجرذ المختفي وكلّ الآخرين، أجده فريدا، وجديرا بأن أقدّره حقّ قدره.

لست واثقا من أكون قد خطّطت أكثر من اللّازم حين أقول إنّ المسألة الأخلاقيّة

الّتي شغلتني إلى حدّ الآن، هي في مجملها على علاقة بالفن والحياة. سوف أكتب هذا، رغم أنّه لم يكن هذا ضمن السّؤال، بل لم يكن مطروحا للبحث أصلا؛ هو مطروح في سياق الأعمال الأدبيّة فقط، هناك ما تبقّى، وهو كلّ شيء: الحبّ، الصّداقة، السّياسة، العلاقات مع الذّات، لا أعرف ماذا آخر؟ ومهما فعلنا فنحن في قلب كلّ هذه المسائل. ما العمل؟ أعتقد أنّه من واجبي، ومن وجهة نظري، في حياتي كشابّ وكرجل، أن أظلّ وفيّا للحقيقة من خلال تمييز ثلاث فترات. الفترة الأولي ما بين 1921و1929 فترة التّفاؤل، زمن كنت «ألف سقراط». بقلب مبتهج كنت أفكّر في تلك الفترة أنّ الحياة فاشلة وأؤسّس أخلاقا ميتافيزيقيّة لإنجاز الفنّ. غير أنّني في العمق لم أكن مقتنعا تماما؛ فما هو حقيقيّ وقتها أنّني كنت على يقين من أنّه يكفي أن أتفرّغ للكتابة وسوف تمضي الحياة كما هي.. وتلك الحياة الّتي تتشكّل وحدها، قد كنت خطّطت لها مسبقا في رأسي: حياة كاتب كبير، كيفما تظهر من خلال الكتب. كان هناك في العمق هذه الثّقة العمياء السّحريّة: لتكون لك حياة كاتب كبير عليك أن تكون كاتبا كبيرا. لكن لتكون كاتبا كبيرا ليس هناك إلّا وسيلة واحدة: الانشغال بالكتابة فقط. كذلك؛ هذه الحياة المرضيّة المشدودة إلى خطّة مغرية، حياة ليسزت، فاغنار، ستندال، يُدين القدر لي بها إن صنعت كتبا كثيرة. تسلّل لي هذا التفاؤل من خلال طفولتي، ثمّ من خلال تفكير أرسطيّ (تفكير ناتج عن مفهوم قابل للتشاور): الكاتب الكبير له حياة كاتب كبير. ولذا يجب أن أخصّص كلّ جهودي لأكون كاتبا كبيرا. وسوف يأتي الباقي وحده. لو سألني أحدهم الآن ما الّذي أرغب فيه الأكثر: أن أؤلّف كتابا جيّدا أو أن تكون لي حياة رجل مهمّ، لن أجد الإجابة الصّحيحة. يتراءى لي أنّني كنت ممتلئا ظلمة تجاه هذه الحياة الرّائعة، غير أنّني كنت سوف أستحقّها فعلا من خلال إنجاز كتب جميلة. لا أقول هذا من وجهة نظر أخلاقيّة ولكن لتكون هذه الحياة فعلا لي. أمّا من حيث محتوى هذه الحياة، فيمكن تخيّله بهذا الشّكل: سوف يكون هناك عزلة ويأس، أهواء، مشاريع كبرى، وقت طويل للكرب المؤلم (غير أنّني سوف أقصّره في أحلامي بمكر، حتّى لا أكون شيخا طاعنا في السّنّ حين تقترب نهايتي) ثمّ الانتصار، بموكبه الإعجابيّ والكثير من الحبّ. أعترف في

خجل أنّ جان كريستوف[227] هذا القذر المُطهِّر جعلني أبكي فجأة حين كنت في سنّ العشرين. كنت أعلم أنّه كان تصرّفا سيّئا، وهو يعطي صورة مُنفِّرة عن الفنّ، وأنّها كانت حكاية فنّان كتبها أكاديميّ غير مثقّف، لكن على كلّ حال... كانت هناك طريقة لرفع الأصبع، في نهاية الفصل طريقة لقول: سوف ترون! سوف ترون! كريستوف هذا الصّغير، يتألّم، يتوه. لكن سوف تصبح آلامه وحالات تيهه موسيقى، وتستردُّ الموسيقى كلّ شيء- وهو ما يجعلني أصرُّ على أسناني انزعاجا ورغبة. في المحصّلة أردت أن أكون فيما بعد رجلا مهمّا كي أعيش شبابي، مثلما يمكن أن يعيشه رجل مهمّ. بل إنّني فرط ثقتي كنت أتصرّف كما لو أنّني سوف أكون فعلا رجلا مهمّا، وكنت واعيا جدّا من أنّني الشّاب سارتر، كما يقولون الشّاب برليوز، أو الشّابّ غوته. وأقوم من حين لآخر بجولة في المستقبل، لسبب واحد، هو أن ألتفت خلفي، وأنظر من الأعلى إلى شبابي من هناك بمتعة زائدة، فأحرّك رأسي قائلا لنفسي: «لم أكن أعتقد أنّ ذاك الألم سوف يخدمني إلى هذه الدّرجة»، ألتفت وأنا شيخ نحو شبابي وأحترمه بشيء من الحنان الممتلئ بالتّقدير. تركت هذه الإزدواجية في الشّخصية المتصنّعة علامات في دفتر كبير لا أعرف أين فقدته بين تدوينتين فلسفيّتين جافّتين. كنت أؤنِّب سيمون جوليفيه[228] وأنا أصيح: «أنت تؤلمينني كثيرا، لكن يضحك جيّدا ذاك الّذي يضحك الأخير، ذلك لأنّني مهمّ». في تلك الحالة كنت عادة مّا أتسلّى بتقييم عذاباتي العاطفيّة، تحت الرّعاية المؤسفة لجامعيّ متدرّب من نوع كوزيل، الّذي كان يحدّثني عن أشجان شيلّلي[229]، ولوفريار الّذي كان يحدّثني عن أشجان إدغار ألن بو[230]. لكن أتخيّل أنّه كان هناك فوق كلّ شيء ثقة فنيّة في المستقبل، وكان هناك أيضا هذا القرار البورجوازيّ الّذي يضع حدّا لما هو محتمل حسب رغبته، فيوقفه قبل الرّعب، قبل الكارثة. ثمَّ كنت جاهزا: فكلّ شيء كان ممكنا بالنّسبة إليّ طالما مازلت

---

227. رواية دورية لرومان رولانتم نشرها في البدء كراسات الكينزانبين 1904و1912.

228. كان لسارتر علاقة بها بين 1926و1928اسمها سيمون دي بوفوار (كاميه) في مذكرات.

229. طفولة شيللي ل أندريه كوزيل (باريس، بلود، 1910)

230. كتب إيميل لوفريار إدغار ألن بو حياته وأعماله دراسة نفسية مرضية 1904(منشورات ألكان).

صغيرا. بواسطة هذه الثّقة الصّلبة في نجوميّتي، أستطيع أن أؤكّد بكلّ طمأنينة أنّ الحياة هذا الجزء المفقود منذ البداية والمُفَكَّر فيه بحماس، هذه الكلمة لآميال يتحدّث عن موسى: لكلّ شخص أرضه الموعودة، يوم انتصاره ونهايته في المنفى.[231] سوف أقبل عن طيب خاطر النّهاية في المنفى، هذه النّهاية الّتي مازالت بعيدة، ثمّ تتيح لي هذه الفروق التّشاؤميّة أن أقبل يوم انتصاري دون أن أتراجع عن رأيي. طبعا؛ الحياة فاشلة طالما تنتهي دائما بخيبة. هناك؛ فقط يوم الانتصار هذا. مُحتَقر، يوم الانتصار هذا لأنّه ينتهي بخسارة هو أيضا. لكن؛ في الأخير إنّه هنا مثل شمس لا مرئيّة، تدفئ قلبي.

إنّها هذه الخدع، هذا التّشاؤم الّذي يغطّي تفاؤلي الأساسيّ ويخفيه، ما يسمح لي بمواجهة الفترة الأشدّ كرْبا والأشدّ خذلانا، دون أن تتغيّر مبادئي في الظّاهر. مازلت على قناعتي أنّ هذه الحياة جزء مفقود، غير أنّني هذه المرّة صرت مؤمنا بذلك تماما. وأؤمن بذلك لأنّني كنت أحتاج إلى أن أؤمن. ثمّة كذب هنا أيضا، فلقد فكّرت دائما أنّ رجلا مهمّا يجب أن يكون حرّا دائما. لا يتعلّق الأمر هنا بالحرّية البرجسونيّة للقلب، وليست أيضا تلك الّتي اكتشفتها مؤخّرا في داخلي، وهي ليست مجرّد دعابة، بل شكلا من أشكال كاريكاتور الحريّة الهيجليّة: أن أحافظ على نفسي حرّا لأحقّق في داخلي، ومن خلالي، الفكرة الملموسة للرّجل المهمّ. نخشى أن نصطدم برواقيٍّ أن نوقع أنفسنا في شرك، لكن لا بدّ من مواصلة الدرب بكلّ حزم. لقد كتبوا كثيرا حول حريّة هذا الرّجل المهمّ – حر–من–أجل – مصيره– الّذي يتّخذ بطبعه وجه الحتميّة لكل من يلتقي به في طريقه. أتذكر مسرحية غبية جدّا لمولوخ[232] تتوسّع في طرح هذا الموضوع، باختصار لقد امتلأ بها رأسي وقتها، وبطبيعة الحال كنت أفكر

---

231. بأكثر دقة:" من ليس له منا أرضه الموعودة يوم لذتهونهايته في المنفى؟ "لانصي 28أفريل 1852(هنري –فريديريك آميال شذرات يوميات).

232. على حد علمي توجد قطعتان مسرحيتان بهذا العنوان: الأولى دراما غير مكتملة لفريديريك هيبيل (1813-1863) والأخرى قطعة مسرحية من ربعة مشاهد لبوسا كدي سانت-مارك تم عرضها لأول مرة في الكوميديا – الفرنسية 21ديسمبر1928 وتم نشرها في " أوفر –ليبر"فيفري 1929.في هذه المسرحية الثانية البطل موسيقارعبقري يقوم بأعمال شرلعائلته.

بالخصوص في تأكيد هذه الحرّيّة ضدّ النّساء. وكان من الهزل التّفكير أنّهنّ سوف يطاردنني، بل كنت أنا من يطاردهنّ. هكذا، وفي بعض المغامرات الّتي خضتها، وبعدما راوغت كثيرا، لخداع فتاة، اعتقدت أنّه من واجبي أن أشرح لها بحياء شرس أنّه عليها أن لا تسيء لحرّيّتي. لكن خلال وقت قصير، وبما أنّني كنت طيّبا بالسّليقة، منحتها هذه الحرّيّة الثّمينة، قائلا لها؛ إنّها أجمل هديّة يمكن أن أهبها لك. لاشيء تغيّر في علاقاتنا، لكن إن كانت تلك الفتاة ساذجة كان يمكنها أن تدخل بامتنان – وإن كانت ماكرة سوف تتفانى لتكون كذلك. من حسن حظّي أنّ ظروفا خارج إرادتي تدخّلت أفقدتني شيئا من حماسي، وأعادت لي حرّيّتي العزيزة كنت أتسرّع لأهبها لفتاة أخرى. لكنني في إحدى المرّات وقعت في الفخّ. لقد قبلت الكاستور هذه الحرّيّة وحافظت عليها. كان ذلك في 1929 كنت غبيّا جدّا لأتأثّر بذلك: عوض أن أفهم الحظّ العجيب الذي حصلت عليه، وقعت في شيء من الكآبة. كنت قد غادرت في الوقت نفسه معهد المعلمين ذلك الوسط المتداعي والعنيف للرّفاق لأعيش وحيدا. وتصادف ذلك مع موعد أداء واجبي العسكريّ الّذي دفعني إلى أن أكون متواضعا – وهوما تخلّيت عنه مباشرة بعد انقضاء التّدريب العسكريّ. لكنّ هذا التّواضع انتهى من تنظيف كلّ قذارة المافوق بشريّ الّتي مازلت أحافظ عليها. فوق ذلك صرت أستاذا. قلت لنفسي إنّها أعلى من أن تكون ضربة قاسية. ذلك أنّني صرت بغتة سقراطا واحدا. مازلت إلى حدود ذلك الوقت أستعدّ للحياة: كلّ لحظة، كلّ حدث يجعلانني أتفتّح دون أن أهرم، يتعلّق الأمر ببروفات قبل عرض المسرحيّة. ثم ها أنا ذا أمثّل المسرحيّة. كلّ ما فعلته كان مع حياتي القادمة. لن أستطيع استعادة ضرباتي، كلّ شيء مسجّل في هذا الوجود الضّيّق والقصير. كلّ حدث يأتي من خارج حياتي، ثمّ فجأة يصبح حياتي، لقد تشكّلت حياتي بهذا الأسلوب. كنت مثل ذلك الصّينيّ الّذي تحدّث عنه مالرو في الفاتحون[233]، لقد اكتشفت متأخرا أنّ الحياة فريدة. بل أتذكّر أنّني حين قرأت هذه الجملة في «الفاتحون» صُدمت مثل لعب ثقافي مستحبّ لكن لا أتحسّس حقيقته في الدّاخل (كان ذلك سنة 1930). لم أشعر بهذه الحقيقة فعلا إلّا

233. غراسيه1928.

خلال السّنوات الّتي تلت، في 1931/ 32/ 33. ما أحسسته بشكل غامض، أنّه لا يمكننا أن نُشكّل وجهة نظر حول حياتنا ونحن نعيشها، فهي تأتي من خلفك وتجد نفسك فجأة بداخلها. ورغم ذلك لو نلتفت سوف نستنتج أنّنا مسؤولون على كلّ ما عشناه، وهذا غير قابل للتّرميم. كنت أشعر أنّني قد انخرطت بقوّة في اتّجاه يزداد ضيقا، أحسّ أنّني أفقد في كلّ خطوة إحدى إمكانيّاتي، كما يفقد المرء شعر رأسه. بالمناسبة بدأ شعر رأسي يتساقط – توقّف مدّة ثمّ عاد للتّساقط مجدّدا بإيقاع أكثر بطءا. حين كنت والكاستور بترو دي بوزول [مزار سياحيّ مشهور على هيئة صفيحة حصان جنوب غربيّ فرنسا] وانتبهتُ لذلك – أو بالأحرى لمحت الكاستور ذلك وندت عنها صيحة، كان ذلك بالنّسبة إليّ كارثة رمزيّة. بقيت غير معنيّ بفكرة الموت، لكن في المقابل كنت في تلك الفترة أتذوّق كل ما في الشّيخوخة من تراجيديا، وممّا لا يمكن إصلاحه. ولمدّة طويلة ظللت أُمسّد رأسي أمام المرايا. أصبح الصّلع بالنسبة إليّ علامة ملموسة على الشّيخوخة. بإيجاز، لقد تحمّلت بكثير من العناء، العبور إلى الكهولة. وفي الثّانية والثّلاثين من العمر، شعرت أنّني شيخ، وبأنّ حياة الرّجل المهمّ الّتي وعدت بها نفسي، غاية في البعد، ولم أكن راضيا حينها عمّا أكتب، كانت تحدوني رغبة أن يكون لي كتاب مطبوع، وإنّني اليوم لأشعر بمنتهى الخيبة، حين أتذكّر أنّني في الثّانية والعشرين، قد وثقت بمقالة لتوبفار[234] دوّنتها على دفتري، جعلت حينها دقّات قلبي تتسارع: «من لم يشتهر وعمره 28سنة عليه أن يتخلّى عن فكرة أي انتصار»، بالطّبع ؛ هي جملة عبثيّة تماما، لكن ألقت بي في الذّعر، فقد كنت في الثّامنة والعشرين مغمورا بعد إلى أبعد حدّ ونكرة، ولم أكن قد كتبت شيئا ذا بال، كان لا بدّ من معجزة لأكتب ما هو أهل للقراءة. قضيت عطلة بسنة في برلين[235]، عثرت

---

234. كاتب ورسام سويسري (1799-1846) مؤلف ردود فعل و قائمة فنان جنيفواى باريس ديبوشي 1884.

235. كان ذلك خلال السنة الدراسية 1933-1934" أقنع آرون سارتر إن الفينمونولوجيا تجيب عن تساؤلاته : تجاو التعارض بين المثالية والواقعية (...) تبعا لهذا قرر سارتر دراسة (هوسرل)و بتحريض من آرون قام بالتمشيات اللازمة ليأخذ مكان رفيقه في السنة القادمة بالمعهد الفرنسي ببرلين" (سيموندي بوفوار قوة العمر غاليمار 1960.

فيها على طيش الشّباب، وبعودتي، تسلّمت وظيفتي بشكل مرير كأستاذ في الهافر. أتذكّر أنّ ذلك قد كان في شهر نوفمبر، مفتتح السّنة الدّراسيّة الجديدة، كنت والكاستور في الهافر، نجلس بمقهى الموات قبالة البحر، كنّا نرثي أنفسنا مردّدين، أن لا جديد، ينتظرنا، كانت صداقاتنا محصورة في أسماء بعينها، غيي، مدام موريل بوبيت، جيجي[236]؛ وقد أصابنا السّأم من امتحانات الوعي المضبوط للمثقف، سئمنا الحياة الفاضلة والمرتبة الّتي نعيشها، سئمنا ما سمّيناه وقتها ب «بناء»، لأننا بنينا علاقتنا، على قاعدة الجدّيّة التّامة، بإخلاص تامّ متبادل، وضحّينا بأمزجتنا وبكلّ ما يمكن أن يكون في دواخلنا من اضطرابات متعلّقة بهذا الحبّ الدّائم والموجّه الّذي بنيناه. وفي الحقيقة كان بداخلنا نوستالجيا متعلّقة بحياة فوضويّة، تترك اللّحظة تمرّ في اضطراب قهريّ، متعلّقة بشكل من العتمة الّتي تحدث تعارضا مع عقلانيّتنا المستنيرة، متعلقة بطريقة في الغرق في أنفسنا والشّعور دون معرفة منّا أنّنا نشعر. كان أيضا شيئا من الوجود والأصالة نستشعره بشكل غامض فيما وراء عقلانيّة البورجوازيّ الصّغير. كنّا في حاجة إلى عدم التّوازن، كي يمكننا أن نقيس أنفسنا بعد ذلك ولمدّة طويلة. انتهى كل هذا بذلك المزاج الغريب، الّذي انقلب إلى جنون خلال شهر مارس من تلك السّنة نفسها. التقيت بأولغا التي كانت تحمل كلّ ما نرغب فيه وجعلتنا نحياه معها. هكذا كانت الحياة متفرّدة، ولم أظفر منها إلّا ذلك الوجود المعجن والمفقود حيث لا شيء من الحياة المجيدة الّتي حلمت بها، لرجل مهمّ، وانطلق وقتها العمل الصّغير الدّؤوب، الّذي اقتنعت خلاله أنّ كلّ حياة مفقودة مسبقا. كان الأمر أكثر سهولة ممّا اعتقدت، وممّا كنت أردّد. لم ينشأ ذلك عن غياب للحجج والمبرّرات الّتي كان في حولي ابتكارها، وإنّما كان من المرعب أن أتخيل أنّ هذه الحياة المرفّهة، والنّشوانة هي حياتي، الّتي سترافقني مثلما رافقت أناسا آخرين، خاضوها، في أزمنة مغايرة، وفي أمكنة مختلفة. الكاتب يعيش في مستقبله، ومن أجله، قد يتقاطع مع النّاس في حياتهم، ولكنّ له حياته الأخرى، الّتي يجب أن يدافع عنها، عن فرادتها. لقد كان راسين بورجوازيّا صغيرا زمن لويس الرّابع عشر، لكنّ هذا

236. صديقة هيلي ندي بوفوار (بوبيت) والتي من خلالها تعرفت إلها سيمون ومن بعد سارتر.

البورجوازي الصّغير كتب فيدر. لا يمكن إعلاء الإنتاجات الأدبيّة إلى مستوى الحياة، هي تفلت من الحياة، تسير خارجها وتبقى كذلك في الخارج دائما، وهي ليست ملكا لمن ألّفها، بل لقرّائها. ومن هذا المنطلق انتصرت للكاتب، للحياة الأخرى، وتعلّقت بالكتابة بشكل شره، فالهدف الوحيد من وجود عبثي هو، إنتاج أعمال فنّيّة بلا عدد، تفلت من هذا الوجود: ذلك هو تبريره الوحيد، وهو أصلا تبرير غير صائب، لن ينقذ بلغمه[237] المتكاثر. بالنّسبة إلى الحياة نفسها، لا بدّ من عيشها على طريقة امش-كما-أدفعك- بأيّ شكل كان. سوف أعيشها بشكل جيّد «بأيّ شكل كان» وإن تحجّرت.

خلال فترة جنوني وشغفي بأولغا كنت في أدنى مستويات حالاتي: عامان من مارس 1935 إلى مارس 1937. لكنّ هذه النّكبات كانت مفيدة بالنّسبة إليّ. لقد أزاح الجنون حدود المحتمل: في تلك اللّحظة تخليت عن تفاؤلي البورجوازيّ، وأدركت أنّ كلّ شيء يمكن أن يحدث لي مثل أيّ شخص آخر. ولجت عالما أكثر قتامة لكن أقلّ شحوبا. لقد أشعل شغفي بأولغا كلّ لوثاتي اليوميّة مثل شعلة بيك بينزان. صرت هزيلا مثل وقواق ولهان؛ وداعا لارتياحاتي. ثمّ عانينا أنا والكاستور دوخة هذا الوعي العاري والمتواصل، الّذي تراءى لي أنّه يحسّ فقط بقوّة ونقاوة. وضعته إذن لأوّل مرّة في حياتي، عند الأعلى. لقد أحسست بنفسي ساذجا وأعزل أمام شخص رغبت أن أعلّمه[238]. لقد استفدت من كلّ هذا. في تلك الفترة نفسها وبسبب هذا الشّغف بالضبط، بدأت أشكّ في الخلاص عن طريق الفنّ. بدا لي الفنّ دون جدوى أمام هذا النّقاء الفظيع القويّ والعاري. وبهذا الخصوص جرت محادثة بيني وبين الكاستور حيث بيّنت لي نذالة موقفي، وهو ما أنهى انشغالي بالمسألة الأخلاقيّة.

وفي تلك الفترة نفسها بالضّبط كنت في القاع – بدرجة من البؤس حتّى أنّني

---

237. استعملها سارتر هنا بصيغة المذكر.

238. يلازم حب أولغا الدفاتر. يحاول سارتر تحييد هذا المقطع في رسالته لنفس اليوم إلى الكاستور : " إذا، يا حبي، فكرت أنّه قدامك أنت، أيتها اللؤلؤة الصغيرة كان يجب أن أشعر بسذاجتي في تلك الفترة. "

قرّرت الموت بأيّ شكل – إثر سوء فهم– فالمجلّة الفرنسيّة الحديثة رفضت نشر رواية الغثيان، لكن تمّت الموافقة عليها فيما بعد، كما ظهرت قصّتي الجدار في المجلة الفرنسيّة الحديثة لعدد يونيو 1937. تعرّفت إلى فاندا وتمّت تسميتي أستاذا بباريس. وشعرت فجأة أنّ شبابا عميقا ولائقا يداخلني. كنت سعيدا ووجدت الحياة جميلة. ليس بسبب أنّه لا شيء فيها من حياة رجل مهمّ، ولكن لأنّها حياتي. سوف أشرح هذا مرّة أخرى. استعادت الحياة هذه المرّة خطى الفنّ، لكن بشكل متباطئ، خجول. أفكّر الآن أنّه لا يمكن للمرء أن يفقد حياته أبدا، وأن لا شيء يستحقّ. ورغم ذلك حافظت على كلّ أفكاري: أعرف أنّ حياة مّا هي معجّنة ورخوة، غير مبرّرة ولا محتملة. لكنّ هذا ليس مهمّا. أعرف أيضا أنّ كلّ شيء من الممكن أن يحدث لي، لكنّه سوف يحدث لي أنا فقط: كلّ حدث هو حدثي أنا فقط. لا أريد أن أتمدّد أكثر هنا. هذا التّقسيم إلى ثلاث فترات ليس إلّا تمهيدا. أردت أن أموقع تذبذبات أخلاقي في هذا الجوّ العاطفيّ. كلّ ما كتبته منذ حين يمثّل عموما وصفا للدّوافع. سأتحدّث عن الحوافز لاحقا.

السّبت 2 ديسمبر

أردت بالأمس أن أنبّه للجوّ العاطفيّ الّذي تشكّلت فيه المسألة الأخلاقيّة عندي. بمعنى أنّني قد كنت عادة مّا أجد لها حلّا. يكفي أنّني كنت دائم التّفكير في إنجاز «عمل» أي سلسلة من الكتب المترابطة ببعضها من خلال مواضيع مشتركة، تعكس كلّ شخصيّتي، فكل المستقبل أمامي. مع أنّني فكّرت في مختلف فترات حياتي، أجمها بألوان رومنطقيّة أحيانا، وأحيانا أخرى أتصوّرها في ظلال يوم قاتم. وكذلك كنت منذ طفولتي الأولى المحرومة. لم أتوقّف عن أن أكون كذلك. حياة مّا أي شبكة، حشد من العلامات المتباعدة الّتي لابدّ من تطريزها فيما بعد، وكلّا موجودا قبل أجزائه يتحقّق من خلال هذه الأجزاء. لا تبدو لي لحظة مّا شبيهة بوحدة غامضة تنضاف إلى وحدات أخرى من النّوع نفسه، هي لحظة تقوم على أساس حياة. هذه الحياة تشكيل نجميّ تلتحق فيه النهاية بالبداية. تمنح الكهولة والشّيخوخة معنى للطفولة والمراهقة. بمعنى مّا، أرى كلّ لحظة حاضرة على أساس أنّها حياة مكتملة، لكي أكون أكثر وضوحا يجب أن أقول: من وجهة نظر بيوغرافية، ومن موقعي أرى

نفسي كمن يجب عليه أن يردّ الاعتبار لهذه اللّحظة في البيوغرافيا، أشعر أنّه لا يمكن إدراك معناها الكامل إلّا من خلال التّموقع في المستقبل، وأخطّط دائما لمستقبل غامض يتيح لي أن أردّ لحاضري كلّ دلالته. كل هذه «الحياة»، هي طبعا معروضة قدّامي بشكل غير مدروس، ولقد كانت الموضوع الّذي سمّاه هايدجير «فهم ما قبل أنطولوجي». على الأقلّ أغلب الوقت: إذ يحدث لي أن أتخيّل أحيانا لحظات من وجودي المستقبليّ. هذه الطّريقة في أن ألقي بنفسي دونما أيّ تفكير منذ الطّفولة في «حياة مهمّة» مثلما فعل آخرون ألقوا بأنفسهم في إيمان كاثوليكيّ أو في الشّيوعيّة، منعتني دائما من حالات الحيرة وأزمات الوعي حين كنت أراني أجامل الكثير من رفاقي. كنت مضمونا، كان عندي إيمان الفحام [بما يعني إيمان العجائز]. أصرُّ على حقيقة أنّ هذه «الحياة» ليس لها من شيء مشترك مع المفهوم الشّعبيّ والبيولوجيّ للحياة، الّتي اختلطت فيها بشكل غريب أفكار الوعي، المعيش والقدر. حياتي هي مؤسّسة. غير أنّها مؤسّسة شجّعها الأرباب. أخشى فقط بسبب الهشاشة، بسبب الشّغف، بسبب الكسل، أن انقلب عليها، أن أتأخّر كثيرا هنا أوهناك في بعض اللّذائذ المضرّة. ولئن أخطأت حياتي فذلك بسببي. وبالعكس فإنّ مثابرتي وخشيتي من أن أتمادى في حرّيتي وحماسي المتوقّد، كلّ هذا يمنحني حقّا لا نزاع بشأنه لتحقيقها. عموما هي تشبه مسيرة: يدخل الشّابّ الألمعيّ بنكا حيث يقف حماة أقوياء، ومسيرته تتشكّل وحدها. لن يطلبوا منه شيئا آخر عدا التّطبيق- وأن يبرز من خلال كلّ أفعاله، استحقاقه لذلك. لم أُعِد النّظر في كلّ هذا، حتّى خلال تلك السّنوات الكئيبة، كان انهيار شبابي من الدّاخل، ومن الأسفل، أمّا الواجهة فظلّت قائمة، كلّ حياة مّا هي جزء شائع. لقد تعوّدت أن أقول: «لقد نلت كلّ ما أريده، لكن ليس بالطّريقة الّتي أريدها»، وكنت أحاول أن أقول من خلال هذا إنّ حياتي نجحت كما هو ممكن لحياة أن توجد، لكن؛ حياة ناجحة؛ ذلك لم يكن بالشّيء المهمّ، لقد نلت حقّا كل ما يرغب فيه خيالي السّاذج. وكنت حقّا خائبا في كلّ مرّة. لقد أردت للأحداث في حياتي أن تكون معلومة المآل قبل بدايتها. إنّها الخيبة الّتي عبّرت عنها بخصوص مغامرة كتاب الغثيان. بإيجاز، كانت فكرة الحياة تلازمني دائما حين كنت في معهد المعلّمين،

امتلكت وقتها الإحساس بالحرّية واللّامسؤوليّة تجاه الحياة، لم أكن أعمل أيّ حساب لضرباتي، بل كنت أستعدّ لها. عوض أن أقع فيها فيما بعد. هكذا يتّضح كيف تباعدت عنّي بعض المبالغات الفاتنة، اليأس السّيرياليّ، السّذاجة المسيحيّة، الإيمان الثّوريّ. لقد داخلتني مثاليّة حياة رجل مهمّ اقترضتها من الرّومنطيقية. شيلي، بايرون، فاغنار، هؤلاء هم الّذين كانت لهم هذه الحيوات الّتي اتّخذتها نموذجا. لعلّني كنت أرغب من دون أيّ اعتراض ودون أن أعرف أن أحقق حياة 1830 فيما بين 1921و1960. لقد كان هذا مخفيّا عنّي طبعا، فاقترضت أدواتي من هذا القرن: الماركسيّة، السّلميّة، ضدّ الفاشيّة، الخ. غير أنّ الشّبكة يعود تاريخها إلى زمن أنتوني[239]. لم يخطر لي على بال أن أجرّب أخلاق المتعة الصّافية أو السّعادة: لم يكن هذا من نصيبي. بالعكس سوف تتّضح وفق هذا البعد أفكار التّطور، أفكار المافوق بشريّ، نصيحة رفع المعنويّات الذّاتيّة، تتّخذ قيمة مخصوصة. لقد انتزعتها من أخلاقها الذّاتيّة وضمّنتها داخل إطار حياتي. لم يكن الهدف الأخير ابتكار المافوق بشريّ، أو تطوير الأخلاق، بل أن تكون لي حياة جميلة. كانت هذه النصائح موجّهة لي وغير صالحة إلّا لي أنا فقط، لمسيرتي، بما يشبه تماما ما سوف يقوله أحد حماة البنك الحارسين لذلك الشّابّ صاحب المستقبل: قم بزيارة لنائب المدير، واخدم فلانا فهو رجل مهمّ. وإن تساءلت الآن ماهي المعايير الّتي تسمح بمعرفة حياة جميلة، أرى أنّ حياة جميلة هي ببساطة تلك الّتي تغرق عيني قارئ مّا في الدموع حين يرويها كاتب سيرة حسّاس. لقد غرقنا حتّى النّخاع بما أسمّيه التّلميح البيوغرافيّ، الّذي يتطلّب تصديقه، أنّ حياة معيشة يمكن أن تشبه حياة مرويّة. من المكان الّذي أتموقع فيه هل وجدت كلمة «جميلة» بشكل آخر، في حياة ستاندال، بقصصه العاطفيّة البئيسة وضجره الطّويل في سيفي طافيتشيا؟ يكفي فقط أن نقرأ آربليه[240] أو هازارد[241] ولا يجب أن يغيب نظرنا عن دير بارما وتنقذ دير بارما حياة كاملة.



239. دراما لألكسندر دوما الأب.

240. بول آربيليه مِلف شباب ستندال شامبيونسنة 1919.

241. كتب بول هازارد حياة ستندال 1928.

ما جئت على شرحه، لم يكن مجرّد قول، بل أمرا ناجما عن إحساس حقيقيّ. وفي المقابل كانت عندي انشغالات أخلاقيّة واضحة: لم أكن أريد أن أكون كاتبا كبيرا فحسب، أو أن أحظى بحياة هنيئة لرجل مهمّ. كنت أريد أن أكون شخصا مّا «جيّدا»، كما كنت قد قلت ذلك سنة 1930 مع شيء من الطّهر. تنبع هذه الانشغالات الاخلاقيّة من مورد آخر، وليس بالتّأكيد من رغبتي في الكتابة وأن أكون رجلا مهمّا، وهي ذات صلة بحلمي أن أحيا حياة جميلة، وتتقوّم عليها. سوف أستحقّ الكثير من هذه الحياة لو عشتها أخلاقيّا؛ وسوف تكون البيوغرافيا أكثر ثراء، أشدّ غزارة، لو كان هذا الشّخص الّذي عرف كلّ شيء وأحبّ كلّ شيء بشغف وترك أعمالا مهمّة، لو كان هذا الشّخص قبل كلّ شيء شخصا «جيّدا».

إنّ حرصي على أن تكون هذه الميولات متأسّسة وفق رغبتي، جعلها خاضعة لها، مدّة طويلة، وتحت سيطرتها: سوف أكون متخلّقا من أجل تحقيق حياة أجمل، وليس من أجل الأخلاق في حدّ ذاتها. تضيع طبعا هذه التّبعيّة حين أفكّر في المسألة الأخلاقيّه أو حين أتصرّف أخلاقيّا. وتظل بقيّة الوقت في الخلف لا أوليها أيّ اهتمام. فيما بعد حين تقهقر شبابي أصبحت الانشغالات الأخلاقيّة ذات أولويّة عندي.

إذا استثنيت ما وسم حياتي في التّاسعة عشرة من فردانيّة مدمّرة، ومن طابع عدميّ، فإنّ ميلي إلى البعد الأخلاقيّ، قد أجلى عن نفسه، في مراحل لاحقة، بشكل واضح، وفي مستويات متعدّدة، غير أنّ «الغثيان» و«الجدار»، قد شكّلا لدى عموم القرّاء انطباعا سيّئا عنّي، لقد أردت فيهما أن أكون عاصفا ومدمّرا. كنت أبحث عن الأخلاق وفي الوقت نفسه عن الميتافزيقيا، ويجب أن أقول، بما أنّني سبينوزيّ في هذا الخصوص، إنّ الأخلاق لم تكن عندي شيئا آخر غير الميتافيزيقا ذاتها. لم تعنني أبدا أخلاق الواجب. أوّلا للأسباب الّتي استعرضتها في 5 نوفمبر: لقد كانت في عيني نسخة من زوج أمّي، لا سيّما أنّهم كانوا يقولون لي إنّ الأمر المطلق هو التّعبير عن استقلاليّة إرادتي، ولم أصدّق ذلك. لقد كنت أريد دائما أن تكون حرّيتي فيما وراء الأخلاق وليس قبلها، أردتها كما نوّهت عن ذلك في السّابق، في ذلك الزّمن الّذي كنت فيه طفلا مدلّلا. ثمّ إنّ أخلاق الواجب قابلة أن تنفصل عن أخلاق الميتافيزيقا،

وهو ما ينزع عنها حسب وجهة نظري جاذبيّتها الكبرى. إنّي أرى اليوم بوضوح أنّ الموقف الأخلاقيّ منذ سنواتي العشرين الأولي كان له في عينيَّ فضل أن أضفي على الإنسان كرامة إنسانيّة عالية جدّا. هذا ما قصدته أنا وبول نيزان سنة 1925 من خلال العبارة السبينوزيّة «الخلاص»ـ رغم ما يشوبها من التباس. أن يحقّق المرء خلاصه ليس بالمفهوم المسيحيّ للكلمة، ولكن بالمعنى الرّواقيّ: أن يرسّخ في طبيعته تحويرا شاملا يجعلها تمرّ إلى حالة القيمة المضافة الأساسيّة. لم أكن أعرف وقتها عبارة «الوجوديّ» الّتي أستعملها هنا، غير أنّني كنت أستشعرها. كنت ببساطة أحتاج إليها. لقد عثرت عند سبينوزا على فكرة التّغيّر الشّامل – ويمكن أن نجدها أيضا عند كانظ. أن تكون أخلاقيّا فذلك يعني أن تكتسب كرامة عالية في نظام الكائن، أن توجد أكثر. وفي نفس الوقت أن تعزل نفسك. لا أحد يمكنه أن يفهم الحكيم، وهو أيضا لا يفهمهم. وهذا التّغيُّر الوجوديّ يترسّخ نهائيا عند الحكيم ولا يتحرّك: «يمكن للحكيم أن يُفلس ثلاث مرّات». إنّ فترة حضانتنا في المافوق بشريّ هي الّتي أوصلتنا أنا وبول نيزان إلى هنا. ما معنى أن يتحمّل المرء نفسه إن لم يعبر إلى كرامة أعلى مقاما؟ أرى أيضا أنّ ازدراءنا للنّاس يأمرنا بأن ننسحب من بين صفوفهم، نفقد هكذا دفعة واحدة بشريّتنا. أرى أخيرا أنّ البحث عن الخلاص هو البحث عن مسلك العبور نحو المطلق. هذا البحث عن المطلق كان أسلوب حياة في تلك الفترة. المجلّات إيسبري وفيلوسوفي[242]. (مع فريدمان ومورهانغ) كانت السّيرياليّة تبحث على طريقتها عن كيفيّة لاقتحام تلك الفترة. غير أنّ هذا يشبه عندنا ميلا عميقا. لم أكن أجد ارتياحا لقراءة حجج عاديّة للنّسبيّة في مواجهة الفلسفات المطلقة في مجلة فلسفيّة. كنت في تلك الفترة واقعيّا، رغبة في الإحساس بمقاومة الأشياء وأساسا أن أعيد لكلّ شيء أسلوبه المطلق اللّاإراديّ. لا أستطيع أن أستمتع بمشهد طبيعيّ أو سماء إلّا إذا أدركت أنّهما كما أراهما بعيني تماما. أستمتع إلى أبعد حدّ، بشكل غير قابل

242. كان فيلوسوفي مجلة صدرت في أعداد محدزدو (ماي 1924-مارس1925) تمثل مشروعها " الاهتمام بالشعر، بالتحليل ونهضة الفلسفة " تلتها مجلة ايبسري صدرت في عددين وتوقفت (ماي 1926*وجانفي 1927).

للقياس، بكلمة حدس، وبكلّ الكلمات الّتي تشير إلى اتّصال فوريّ للذّهن مع الأشياء في ذاتها. وهذه الأخلاق الأولى الّتي قمت بتشييدها من خلال بعض سطور امتلاك العالم[243] كانت تأمر أن أستمتع من خلال الإدراك الحسّيّ لأيّ شيء. ذلك أنّ هذا الإدراك الحسّيّ المعالج بشكل احتفاليّ محترم، أصبح فعلا مقدّسا. قلت لنفسي يحدث لي أن أرى طاولتي بشكل معتبر وأردّد: «إنّها طاولة، إنّها طاولة. إلى أن تولد قشعريرة خجولة أعمّدها باسم البهجة. من هذا الميل نحو اعتبار الأشياء المدركة بشكل مطلق، أعتقد أنّ هوسا قد أجلى عن نفسه في أسلوبي، يتمثّل في تكرار هناك، يسخر منّي غيي قائلا: «يقولون إنّ جول رناركان ينهي كتاباته ب: تبيض الدّجاجة. أمّا أنت فسوف تكتب: هناك دجاجة وسوف تبيض». بالفعل: من خلال هناك أفصل بمتعة بين الدّجاجة وبقيّة العالم، أجعل منها مطلقا صغيرا مفصولا وثابتا، وأمنحه فعل التّبييض صفة خاصّة به. هناك شيء مّا معدّل يعجبني كثيرا في الدّجاجة تبيض، يجعل من الجوهر دجاجة ستلاشى في تعدّديّة من العلاقات والأفعال. باختصار؛ كنت أبحث عن المطلق، أريد أن أكون مطلقا، وهذا ما أسمّيه الأخلاق، هذا ما نسمّيه أن نقوم بخلاصنا. هكذا تدفع الأخلاق. لم أكن أؤمن إطلاقا أنّ الأخلاق تدفع. كانت الواقعية، في صراع مع المثاليّة تسعى أن تثبت الشّرّ فيما يخالفها من فلسفات، لكنني أتخيل أنّه كان ينبع من مصدر آخر: ينبع من اندهاشي أمام العالم، وما اكتشفته خلال تلك الفترة. كيف أقبل أنّ الكثير من الجاذبيّة، الكثير من المتع الّتي سوف أقتحمها، والكثير من الأخطار الجميلة كانت مجرّد ظلال، تمثّلات سيّئة التّجميع. لا بدّ أن يكون هناك شيء مّا لاقتحامه. كنّا جائعين مثل ذئاب ونحلم باقتحامات فظّة، باغتصابات. كان العالم أرضا موعودة وعلى ملحمتنا أن تكون

---

243. امتلاك العالم رواية لجورج دوهاميل صدرت سنة 1919 بفرنسا عن ميركور. انضم للجيش الفرنسي للجيش الفرنسي بوصفه جراحا. كتفاعل مع الرؤيا الكارثية للعالم التي فرضتها الأجواء خلال الحرب كتب محاولة بين سنة 1917و1918 فقرات من نوع :" ليس هناك من شيء في العالم لا يمكن أن يكون مصدرا للسعادة" أو " قل ما تكتشفه، ما تعرفه. فإنك تجعله يقينا فعليا نهائيا من خلال تأكيد امتلاكك.أن تشتغل من أجلك ومن أجل الآخرين. تعطي شكلا لكنزك، لائقا لمن يريد أن يطلع عليه " أثارت هذه المقاطه انتباه سارتر.

مطلقة.. كان في هذا العالم الواقعيّ شيء فظّ، لا أخلاقيّ وعار، يسخر من الأهل والأساتذة. لو لم تكن ألوان الأشياء مجرد مظاهر لكان لها كلّها أسرار، لن يعرفها العلماء. فلاقتحام العالم، ليس هناك من حاجة لاتّباع السلسلة والانتظام داخل الطّابور خلف الناس في المخبر، يمكننا أن نمتلك ذلك لوحدنا، يمكن أن نفكّر حول ذلك وحدنا. كنت أشاهد الأشجار والماء وأردّد في حماس: «هناك ما يجب أن نفعله، هناك الكثير مما يجب أن نفعله». وكلّ «نظريّة من نظريّاتي» كانت فعلا من أفعال الملحمة والامتلاك. ومن خلال إعادة تركيب كلّ هذا قطعة قطعة تراءى لي في الأخير. إنّني أخضعت العالم لي وحدي. إنّها كانت فترة واقعيّة جديدة عنيفة ـ غير أنّني حين أعدت قراءة بعض الأعمال الأدبيّة لتلك الفترة اصطدمت بجفافها الثّقافيّ. غير أنّنا لم نتعامل معها كما هي في ذلك الزّمن. كانت هذه الأعمال تحدّثنا عن جميع أنحاء العالم، عن القسطنطينيّة، عن نيويورك، وأثينا. يشطب «أندريه جيد» في يوميّاته الكتّاب الّذين يبحثون عن صور مهما كان الثّمن:" حقل محلوق الخضرة. لماذا «محلوق الخضرة»[244]؟». لأنّ «محلوق الخضرة» رقية سحريّة، لقد ابتكروا طريقة أخرى لقول «حصد»، ابتكروه قدّام الحقل، وهي ابتكار لفظيّ مساو للتّخصيص. كنت أضع صورا في كلّ مكان، بسكْر فظ. في الأسبوع الماضي وجدت هذا السُّكْر عند مدام أورلان حين أعدت قراءة كتابها عند الضوء البارد: «أمسك نورفيجي ورديّ وأبيض بكأسه الصّغيرة بين يديه المضموتين، كما يمسك بعصفور يريد تدفئته». يا إلاهي، ما الّذي تعنيه هذه الصّورة. هكذا يتمّ إرهاق الأشياء بضربات قويّة من الصّور في بهجة بربريّة. وابتكار الصّور هو بالأساس احتفاليّة أخلاقيّة ومقدّسة.

قلت سابقا، إنّ هذا البحث عن المطلق سوف يقودني إلى الوجوديّ، وللحقّ فإنّ فكرة الوجوديّ في حدّ ذاته كانت شاقّة جدّا لأبتكرها وحدها. ثمّ انقلبت عليها لسبب آخر. كان هناك وجوديّ يتسكّع في كلّ مكان من أنحاء عالمنا الصّغير. الاتّصال الأوّل بالفلسفة بالنّسبة إلى الكثيرين من الطّلبة تمّت ترجمته بالكثير من الدّهشة الوجوديّة والأصالة، غير أنّ هذه الدّهشة ظلّت غبيّة جدّا، قدّام الموت،

244. 20 أوت 1926.

الزّمن، وجود حالات الوعي الأخرى. الكاستور هي بدورها لم تنج لأنّها أصيلة أكثر منّي. عندما كان عمرها ثماني عشرة سنة كانت تجلس في متحف باللّوكسمبورغ على مقعد حديديّ ظهرها إلى الحائط وتفكّر: «أنا هنا، يسيل الوقت وهذه اللّحظة لن تعود مجدّدا». وهو ما يجعلها تقع في انذهال مشابه للنّوم. لذا فإنّ هذه الفلسفة الفقيرة هي في الواقع فلسفة أصيلة جدّا، هي اللّحظة حيث يغيّر السؤال السّائل. لقد كانت الكاستور وهي جالسة على مقعدها الحديديّ كائنا ميتافيزيقيّا صغيرا. لقد تحوّلت ميتافيزيقيّة بكلّ ما فيها، ألقت بنفسها في الزّمن، كانت تعيش، كانت الزمن. فقط أثناء اليقظة، كانت الكلمات، الكلمات الفارغة والصّاخبة تخون هذا التّحوّل الغريب: «هذه اللّحظة لن تعود مجدّدا». أجبر فقر هذا التّعبير الطّلبة الميتافيزيقيّين على اقتراض تعبير أكثر ثراء. وجدوا تعبير باريزي[245] ضبابيّا وعويصا، وتعبير برونكيفيتش[246] الهدّام، حاولوا التأقلم معها على قدر المستطاع والدّفع بانطباعاتهم تسيل عبر هذه الكلمات الجديدة، لكنّهم عجزوا عن ذلك. نتج عن ذلك نوع من البلاغة الفلسفيّة الّتي تخفي إعجابات كبيرة، هي طريقة في اجترار القضايا دون إيجاد حلول لها، مجرّد كلمات. ممّا أحدث هوّة كبيرة بين هذه السّاعات الميتافيزيقيّة وهذا الخطاب الكونيّ. أمّا نحن، نيزان، آرون وأنا فكنّا مخطئين جدّا بالنّسبة إلى هؤلاء النّاس البائيسين الّذين أدركوا معنى الفلسفة لكن تعوزهم الأدوات. لقد كانوا بالنّسبة إلينا أشدّ النّاس المكروهين، بسبب تفكيرهم الجبان ونزعتهم اللّفظية. وفيما يخصّنا فقد تموقعنا ضدّهم تحت علامة ديكارت، لأنّ ديكارت كان مفكّرا متفجّرا. لا شيء يثير اشمئزازنا أكثر من ذلك التّفكير الرّماديّ، هذه الإحالات، هذه النّشوئيّات والتّحوّلات، هذه القشعريرات البطيئة. هناك جمل من نوع «كن ما أنت عليه»، تجعلنا نَصِرُّ على أسناننا. كنّا نقضِّي كلّ وقتنا في عزل المفاهيم، وجعلها بلا أيّ اتّصال، وكلّ مفهوم منغلق على نفسه، كما فعل ديكارت حين فصل بين الجسد والرّوح فما عاد بإمكان أحد اللّحاق

245. جان باريزي (1881-1950) مؤرخ الأديان في كولي جدي فرانس كتب بالخصوص كتاب مشاكل تاريخ الديانة1935.

246. تدوينة 1صفحة 151.

بكليهما. وهكذا نقول ملء إرادتنا: «لا يمكن أن نكون إلّا ما لسنا عليه الآن. ولا يمكن أن نكون ما نحن عليه الآن». لذلك، وتحت تأثير ما أمسكنا به من تعريفات منضبطة، تخلّينا عن الأفكار الأنيقة والرّخوة، وشعرنا أنّنا نفكّر مثل ضربات سيف. هذا ما كنّا نسمّيه تفكيرا ثوريّا. وبالفعل فإنّ ديكارت برفضه الوساطة بين التّفكير والامتداد أثبت تحوّلا عقليّا كارثيّا وثوريّا، يفصل ويقطّع ويترك المجال للآخرين مسألة الخياطة. وها نحن في أثره نفصل ونقطّع. بقي لي شيء من تلك الفترة: من ذلك أنّني لشدّ ما قهقهت أمام هذا العنوان الخلّاب لشاردون: *الحبّ هو أكثرمن الحبّ*[247]. من المؤكّد أنّ هذا العنوان أحمق. خاصّة أنّ سخطي الدّيكارتيّ قد استفاق، فبالفعل إنّ الحبّ هو أكثر من الحب. فقط، كان عليه أن يقول ذلك بشكل آخر. لذلك تعوّد إدراكنا على عزل الأشياء ليجعل منها مطلقا مقرَّبة؛ يجزّئ تفكيرنا المفاهيم ويجعلها فاقدة للتّواصل، ونعطي لأنفسنا انطباعا أنّنا نفكّر بشكل بربريّ وهمجيّ، إنّنا ندرك بجشع حتّى الثّمالة. أن نفكّر، أن نفصل بين المفاهيم، كان ذلك يعني بالنّسبة إلينا أن نتحرّك باعتبارنا أخلاقيّين ومنصفين. من خلال هذه الأشكال من الرّفض كنّا نشترع الخروج من المفاهيم، وكان الأمر سينتهي بنا أن نصبح ميغاريّين [نسبة إلى إحدى المدن اليونانيّة القديمة الّتي سلّطت عليها أثينا عقوبات اقتصاديّة واجتماعيّة حوالي 432ق.م، من شعرائها تيوغنيس ومن شعرائها أقليدس، فيلون وستيلبون] لو أنّنا لحسن الحظّ لم نكن متشدّدين مع أفكارنا الذّاتية أكثر من تشدّدنا مع أفكار الآخرين. كان لابدّ أن نتّجه نحو تعدّديّة واقعيّة جديدة، وللبحث عن المطلق في الأشياء أعطيت ظهري للمطلق الوجوديّ بداخلي. رغم أنّي كنت أحسُّ في كنف الغموض بوعي مطلق وحرّ؛ بوصفي عاملا أخلاقيّا اعتبرت نفسي لا مشروطا. إنّه هذا التصلّب، مثل نظريّتي في الإمكان، الّتي قادتني لاعتماد أخلاق الخلاص من خلال الفنّ، وقد لخصتها في دفتر 8 نوفمبر[248]. غير أنّه بالإمكان

---

247. جاك شاردون الحب هو أكثرمن الحب أفكار روائي. باريس ستوك دولامان وبوتيلو 1937.

248. 8 نوفمبر وهو تاريخ ملائم للدفتر الثاني الضائع يتعلق الأمر هنا أيضا بأخلاق الخلاص من خلال الفن 1ديسمبر ص268.

ملاحظة على كم من مستوى أتحرّك: وبشكل رسميّ كلّ شيء هو إمكان وكل حياة هي ضائعة.. لم يكن من الممكن ابتكار أشياء جميلة إلّا من خارج الذّات. لكن رغم ذلك كنت مؤمنا أنّني سوف أحفل بحياة تعكس كلّ أعمالي، ولم أكن أبحث سوى عن الصّداقة، الحبّ، كلّ أشكال الشّغف، كنت أبحث عن جميع التّجارب. ولكي أستحقّ هذه الحياة الّتي أنتظرها – لكن بما أنّني لم ألتزم بها بعد، فإنّني مازلت أعتبرني حرّا– لم أر أنّه يكفي فقط أن أكتب، كان يجب أن أكون أخلاقيّا أيضا. كانت هذه الأخلاق بالنّسبة إليّ تحوّلا شاملا لوجودي وكانت مطلقا. غير أنّني بالعكس كنت في النّهاية لا أبحث عن المطلق في الأشياء إلّا بداخلي، كنت واقعيّا، لا أخلاقيا. وفي الوقت نفسه، ومن خلال صرامة المنصف البروتستانتيّ، اعتمدت تفكيرا قاطعا وقاس، يبعدني عن هذا المطلق الّذي كنته أنا نفسي، ويحصرني في ادّعاء معرفيّ فظّ، يستمتع بديمومته الخاصّة. كانت هذه الدّيمومة تتماشى على المستوى نفسه مع أشكال العنف الّتي أسلّطها على رفاقي بالمعهد. يجرّني كلّ هذا إلى تلذّذ عنيف لعالم كثير الصّراخ، ملوّن في تناقض كامل مع ما منحته لنفسي من خلال نظرية الإمكان. وانتهى بي الأمر إلى التّبشير بأخلاق نيتشويّة حول البهجة في حين أنّ كلّ بهجة، كلّ ديمومة يتّضح أنّها مستحيلة في عالم ممكن ومقرف، كنت قد اكتشفته.

خلال هذه الفوضى السّعيدة جرت سنواتي بمعهد المعلّمين. ثمّ جاءت السّنوات الكئيبة. وشيئا فشيئا باتت الأخلاق الجماليّة الّتي نسبتها لنفسي كمتشائم نبيل ذات اهتمام في عيني. لم يكن من المستحسن للإنسان الّذي عرف نفسه، واهتم بنفسه كثيرا، عليه فقط أن يكتب ويبتكر. رغم ذلك لم أتخلّ عن المطلق غير أنّه ومن خلال انزلاق طبيعيّ حادّ، يعود ويغطّي كلّ أعمال الإنسان. من الآن فصاعدا، ليس الإنسان إلّا مخلوقا عبثيّا، محروما من سبب الوجود، والسّؤال الأكبر المطروح هو مبرّره في ذلك. كنت أشعر أنّي ضعيف الشّخصية وغير ذي جدوى، وحده الأثر الفنّيّ يمنحني المعنى، لأنّ المنجز الفنّي مطلق ميتافيزيقيّ. هكذا ترتَّب المطلق مجدّدا لكن خارج الإنسان. لا قيمة للإنسان. في تلك اللّحظة صارت معارضتي النّظريّة للنّزعة الإنسانية أشدّ قوّة. أقول نظريّا، لأنّي في تلك الفترة كما سبق وأشرت، كنت أبحث

بشكل ماكر عن توافقات. وكما هو واضح، لقد كانت دائما أخلاق الخلاص، لكن هذه المرّة لم تكن هناك من نجاة إلّا من خلال اضطراب في القلب. قلت بأيّ مزاج مُقطَّب أدعم هذه الفرضيّة. لم أكن في العمق أواسي نفسي لفقداني «حياتي كرجل مهمّ». لأنّه كان لي أعداء أشدّاء: بيندا[249] لأنّ هؤلاء المثقّفين يشبهون شيئا مّا فنانيَّ، **إليميربورجيس**[250] فقد دعم نظريّة الخلاص هو أيضا، عن طريق الفنّ. حتّى بروست نفسه حيرني. كنت أكره بالخصوص تينيسون لأنّ هذا الكاتب الانقليزي – الّذي لم أقرا له سطرا واحدا– عاش من خلال علاقات جديرة بالإيمان، متطابقة تماما مع مواعظي: لقد كتب ولم يحدث له أيّ شيء. قلت للكاستور في هياج: «لا أريد بأيّ حال أن تكون لي حياة تينيسون»، في المقابل صدمتني الحياة المتكدّرة الشّاقة لسيزان بهيبتها. ودون أدنى شكّ فهذه هي الحياة التي يمكنها أن تزيِّن فرضيّتي. غير أنّني في الوقت نفسه أجد هذه الحياة قاسية. أن أكون مثل سيزان. نعم طبعا. إن شئنا. لكن لا أستطيع أن أتجنّب النّظر في طمع، للحيوات التّراجيدية واللّامعة لرامبو وغوغان.

ازدادت المسألة تعقيدا في تلك الفترة، لأنّني فهمت من قراءتي لشيللر أنّ القيم موجودة[251]. إلى حدّ تلك اللّحظة، كنت شغوفا بالمذهب الميتافيزيقيّ للخلاص، دون أن أتبيّن المسألة النّوعيّة للأخلاق. تراءى لي أنّ «وجوب الوجود» يمثّله الأمر المطلق، ولأنّني كنت حريصا أن أدفع عنّي هذا الأمر المطلق، فقد وجدت أنّني أدفع عنّي «وجوب الوجود». وازدادت المسألة تعقّدا، حين أدركت وجود طبائع

---

249. جوليان بيندا (1867—1956) ادَّعى انتماءه لطبقة المثقفين(فلاسفة، كتاب، فنانين وعلماء)" حيث كانت الحركة معارضة شكلية لواقعية التعددية "منعوا من خلال نموذجهم أوكتاباتهم الأهواء الجماعية – السياسات، القوميات، الديانات، الخ- أن تكون شرعية حتى ولو انتصرت بشكل مؤقت من أهم كتاباته خيانة المثقفين غراسيه 1927.

250. إليمير بورجيس (1852-1925) مؤلف " السفينة الشراعية"بارس ستوك 1904إعادة طبع 1922.

251. ماكس شللر (1847-1928) فينومونولوجي ألماني كتب بالخصوص طبيعة وشكل الود(بايو 1928) شكلانية علم الأخلاق وعلم الأخلاق المادي للقيم صدر عن دار غاليمار 1955 ولعل سارتر كان قد قرأه في الطبعة الألمانية(1913-1916).

مخصوصة، نسمّيها القيم، من شأنها سواء طالبنا بها أم لم نفعل، أن تعدّل ما آتيه من أفعال، وما يصدر عنّي من أحكام، فضلا عن أنّ طبيعتها هي «وجوب الوجود».
أجبرتني الكاستور في تلك الفترة نفسها على التّخلّي عن نظريّة الخلاص عن طريق الفنّ. لقد تخلّيت من مدّة طويلة عن التّفكير الدّيكارتيّ، ولم أعد أُعَوِّل من زمن طويل على «حياتي كرجل مهمّ» لقد انهار إيماننا الموحّد في قيم البناء بسبب حكاية كوزاكيفتش[252]. ولم يتبقّ لنا من خيار سوى أن نبدأ كلّ شيء من جديد[253].

الأحد 3

قال لي «ميستلر» هذا الصّباح بتعجّب: «إنّه لأمر مضحك، فلطالما اعتبرت الحرب حماقة كبرى، وها إنّني أستمرّ، لأجدها على العكس من ذلك، فرصة من أجل تطوّر كبير».

مسحت أغلب الصّفحات من يوميّات «جيد»، فترة بعينها، تراوح بين سنّي الأربعين والسّابعة والثّمانين، ممّت يجعلها يوميّات كهولة. يذكّرني هذا الكرّاس بغلاف مُزيَّن بالزّهور أطلعني عليه جدّي ذات يوم. سجّل عليه والده: الأحداث الرّئيسيّة للعائلة (التّواريخ، الأموات، الزّيجات، إلخ) -حكما أخلاقية ورعة - إرشادات يوجّهها لنفسه. ألا يمكن أن نسمّي هذا كتاب العقل؟ يبدو أنّ هذا الكرّاس قد تمّ انتقاؤه بأبّهة- وأرى أنّ «أندريه جيد» شديد العناية بانتقاء كرّاساته. فنشعر بدور سحري للكتابة: تثبيت الصّيغ والتّواريخ، والحفاظ عليها من النّسيان، منحها صفة العظمة. هذا النّوع من الدّفاتر مشتقّ من اللّافتات الّتي يثبتها ابروتستان على الجدران، مزيّنة بحكم ورعة، مثلما أنّ فنّ العريب، مشتقّ من فنّ آخر، هو زخرفة زجاج الكنائس. نجد في كلّ ما تقدّم، حضورا لفكرة النّقش، وللشّعور الصّوفيّ

252. المقصود هنا أولغا كوزاكيفتش، " البناء"يقصد به سارتر علاقته مع سيمون دي بوفوار.

253. للإشارة فإن سارتر قال صفحات مكتوبة في ذلك اليوم :" لم أفعل شيئا مهما اليوم(...) كنت متعبا شيئا ما قمت ببعض الخربشات فقط. للأسف فالموضوع كان مهما جدا؛ هي تلك تقلبات نظرياتي الأخلاقيّة "(رسالة للكاستور بتاريخ 2ديسمبر).

العميق، الذي يعود إلى أصول الكتابة. وأجد لهذا الشّعور حضورا مبالغا فيه، في يوميات «جيد»، لا يخلو من واقعيّة رغم تحضّره. وأعتبر أنّ هذا الشّعور السّحريّ المتديّن هو أصل الكلاسيكيّة: يحفر الكلاسيكيّ حكمة على الجدار. يغرزها في المادّة، ثم ينتصب أمامها متأمّلا. الكلاسيكيّة هي فنّ التأمّل الموجّه.

ومن وجهة نظر أخرى تعدّ اليوميات تدريبا عفويّا على الكتابة. التّدرّب على الكتابة دفعة واحدة. بما هي تطفّل على النّفس، ورغبة في أن نراها مفكّكة، حيث لا يجب أن يكون القلم عائقا بين الكاتب وبين الورقة. سر ستاندال الأعظم. .. هو الكتابة فورا... كما لو أنّ فكرته لا تأخذ وقتا لتنتعل حذاء ولتركض[254]. هذا الدّرب نحو التّفكير المسترخي والمجّاني، يُمكن لهذه القيمة المُكتسبة عن حقّ أن تقود إلى الكتابة الآلية –لقد قادت كتّابا آخرين. لكن يجب الاستسلام للضّياع و«جيد» لا يضيع أبدا. لا يتطلّب الأمر أكثر من الإرشاد. يريد تثبيت الفكرة عند الحدّ الأدنى، فلا تتجاوزه. فهو يشتغل ضدّ الكلمات وليس ضدّ الفكرة. بطبيعة الحال ففي الجانب المعارض لهذا الهاجس، هناك الانشغال المتواصل بالعمل، بالكتابة الدّقيقة والمنضبطة. هاهو ما يكتبه يوم 27جويلية 1914 بخصوص مخطوط لجاك إيميل بلانش: «كتبت هذا الصّباح ثلاث صفحات كاملة (من هذا المخطوط) –دون تغيير أيّ شيء، مكتفيا بترتيب بعض الكلمات والجمل الّتي تشتّتت مصادفة. هنات أسلوبه الخارقة للعادة أضاءت لي هناته في الرّسم: لا يعانق موضوعه؛ صفاته نافدة الصّبر: يرضى بسرعة. ما أن ينسخها يجعلها في أربعة مواضع، ويعتقد أنّه اشتغل عليها كثيرا». لكن أليس نفاد الصّبر هو الصّفة الأساسيّة لستاندال، وهذه الفكرة الّتي تركض حافية؟ لماذا نوبّخ هنا ما يعجبنا هناك؟ هل بسبب النّتائج؟ لكن هناك عنصر جديد يظهر: الموهبة أو التّمرين السّابق، وليس لهذا علاقة بما كنّا نتحدّث عنه.

الحقيقة أنّ هذه اليوميّات هي صورة عن تردّد «جيد» بين طابعين لحياته الشّخصية: التّوتّر والاسترخاء. الفعل المجّانيّ، الشّعور «الجيديّ»، فضوله الشّهير الّذي ترك

254. يوميات أندريه جيد 3سبتمبر 1937.

تأثيرا كبيرا على أدبنا، وفي الأخير رغبته في أن يضيع ليجد نفسه أفضل، هذه مظاهر طابع الاسترخاء عنده. العالم هو الّذي درّبه من هو. وبالتّوازي، إنّها الجملة التي كتبها بعجالة، في اللّحظة، هي الّتي علّمته فيما يفكّر. في المحصّلة يتعلق الأمر بإلقاء نفسك في الكون ليرسل لك الكون صورتك. بلوغ الفرد من خلال وحدة الوجود والحلوليّة. هذه الصّورة غير المنتظرة الّتي تمّ الكشف عنها، هي أيضا حصّة الشّيطان العظيمة. يبحث أندرية بالأساس أن يفاجئ نفسه في اللّحظات الّتي لا يعرف فيها أنّه يلاحظ نفسه. يبقى التساؤل فيما إذا كانت هذه الطّريقة في أن نضيّع أنفسنا، تضمن لنا فعلا أنّنا سنجد أنفسنا؟ يشكّ «أندريه جيد» في ذلك أحيانا. لذلك سوف يسمّيها (19 يناير 1912) الإزالة الإراديّة للذّات. وفي التّاريخ نفسه كتب: «التّسكّع المستمرّ للرّغبة-أحد الأسباب الرّئيسيّة لإتلاف الشّخصيّة»، والأوامر الّتي يأمر بها نفسه في ذلك التّاريخ المحدّد تعرّفنا على عادته المتسكّعة: «لا يجب الخروج أبدا دون هدف دقيق، المشي دون الالتفات إلى أيّ جهة مّا. اختيار أيّ مقصورة في القطار. نرى أيّ فضول لا متناه يتأسّس عليه هذا الشّغور الّذي يفتخر به في الأغذية الأرضيّة. لكن عليه أن يتمالك نفسه ويستعيد شخصيّته المركّبة: «خطر إرادة لا محدودة لإمبراطريّته. باقتحامه لروسيا كان نابوليون قد أوشك على خسارة فرنسا، وتحتّمت ضرورة ربط الحدود بالمركز. إنّه وقت العودة.[255]»، كما أكثر من استعمال عبارة «تمالك نفسه». هذه اليوميّات هي بالأساس آلة لاستعادة النّفس، وهي فضلا عن ذلك، سبب محفّز للتّوتّرات، لا للاسترخاءات. لهذا السّبب من النّادر جدّا أن يدوّن «أندريه جيد» مشاهد عاينها، وحوارات شارك فيها، أو أن يصف أناسا خالطهم، فذلك يدخل عنده في باب الاسترخاء، الّذي يحدث أن يستسلم له أحيانا، استسلاما مخلوفا بالنّدم. يبدو أيضا أنّه عادة ما يستعمل دفاتر أخرى لتدويناته الخارجيّة، غير أنّه أحجم عن نشرها.

ونجد أنّ «جيد» في يوميّاته، كثيرا ما يتكرّم على نفسه بمواعظ، من قبيل:

255. اليوميات 19 جانفي 1912.

«حتّى أكون متقشّفا أكثر، سوف أدوّن بدقّة جدول أوقاتي».

«السّابعة والنّصف، استحمام، قراءة مقالة صوداي حول آ.أس.»

«من الثّامنة والنّصف إلى التّاسعة: فطور الصّباح، إلخ[256]»

«11 يونيو 1914: أن أكرر على مسامعي كلّ صباح أنّ الأهمّ هو ما يجب أن نقوله، وهذا هو وقته الآن، إلخ».

في هذه اللّحظة بالضّبط تشبه اليوميات وبشكل مقرف الأعمال الأخلاقيّة للباستور فاغنار. نعثر فيها على حكم صبيانيّة من هذا النّوع: «لا يجب ازدراء الانتصارات الصّغرى، كلّما تعلّق الأمر بالإرادة، فليس الكثير سوى الجمع الصّبور للقليل.[257] «أي والله، نعم، ما رأيكم. ما الحاجة لكتابة مثل هذا، فليس هناك شخص لا يعرف ذلك. هو يكتبها لا بغاية تعليمنا، أو توجيه نفسه، لكن ليكرّرها على مسامعه، ليحفرها في داخله. هذه هي اللاّفتة البروتستانيّة المعلّقة فوق سرير النوم. إنّها الخدعة الصّغيرة الورعة، ذات الطّابع الأسريّ، بالنّسبة إلى الأذهان المتديّنة.

في المحصلة هناك تذبذب عند «جيد» بين تصوّرين للحقيقيّ: الحقيقيّ هو ما أنا عليه الآن (ما يسميه آلن التّفكير الجبان عند علماء النّفس)-الحقيقيّ هو ما يجب أن أكون عليه.

وأصبحت اليوميات في حدّ ذاتها واجبا. وأندريه جيد يعظ نفسه بمسك هذا الدّفتر. وإن لم يتمكّن من ذلك فلقد أتى إثما كبيرا. وعليه فإنّه إذ يدعونا لقراءته يستدرجنا للنّظر في إنجازه الشّاق لواجباته. ما إن نفتح الكتاب ندخل ملء القدمين في الأخلاق.

هناك مهمّة أخرى لهذا الدّفتر: يتيح ل«أندريه جيد» كتابة أيّ شيء، حين لا يجد نفسه قادرا على العمل، كي لا يفقد عادة الكتابة، ليحافظ على الحماس والسّرعة

---

256. اليوميات الأربعاء 31جانفي 1912.

257. اليوميات 19جانفي 1912.

المكتسبة. من هنا نقرأ ردود فعل من نوع: «عمل جيّد، من هنا صمت الدفتر» (18 يناير 1917).

هكذا أفسّر خيبة (وأنا واحد منهم) أولئك الذين تأثروا بقراءة يوميات ستاندال، جول رونار، آل غونكورو، حين يفتحون يوميّات أندريه جيد على أمل أن يعثروا على تفاصيل عن حياته، تفاصيل حول أسلوبه أو عن محيطه. يعود تاريخ خيبتي إلى زمن إقامتي في برلين، حدث ذلك وأنا أتصفّح اليوميّات، ضمن الأعمال الكاملة، لأقف على كلف جيد بالشّاردة والواردة، بما يكشف للنّاظر أنّ غايته لم تكن المعرفة، بل الإصلاح، إنّه يأخذ في أعطاف كتابه دور الواعظ، لا المفكّر. ليس على القارئ أن يكون في تبعيّة للكاتب، وأن يبارك تعاليمه، يجب أن نقرأ بعين محايدة ونبقى بالخارج، وأن نعيد النّظر في مبادئ الإصلاح. لقد ظلّ جيد رقيبا على نفسه، وعلى ردود أفعاله، كابحا لجماحه، ولم يكن يتقصّد أن يقدّم أفكاره بنقاء وبساطة، وإنّما كان همّه الأوحد، هو الأخلاق.

لا يجب أبدا قراءة جمل يوميات أندريه جيد على أساس أنّها إثباتات بسيطة، كما لو أنّها دالّة على شيء مّا: ما هي إلا أمنيات، صلوات، وصايا، أناشيد، توبيخات وتبكيت للضّمير. ليس من دليل سوى آمين غريبة، في آخر مقطع نعتقد أنّه معلومة صافية: «أدّعي منع أن يُقال عن شخص مّا إنّه يقلّدني أو يشبهني.. لا أريد أن يكون لي أسلوب. ..آمين.[258]" بالطّبع آمين هنا هي ساخرة. غير أنّه وهو يسخر منها يخون الارتجاف الخجول، ويخون الورع الّذي كتب به هذه السّطور هذه ال أريد ليست إثباتيّة، (ومثال ذلك، حين أسأل كيللر قائلا: «أين تذهب؟» فيردّ قائلا: «أريد أن أحلق ذقني») غير أنّ «جيد» مُريد، إنّه الإرادة نفسها. ها هو نفسه يقرُّ بذلك قائلا: «ما أن يقلّ الانفعال، فعلى القلم أن يتوقّف[259]»، وهو ما ليس ممكنا خارج اليوميّات – وما يصدمني أنّني في هذه اليوميات متضايق في حيائي، إن لم أظلّ على مسافة محترمة ممّا أكتبه.

---

258. اليوميات 7ماي 1912.

259. نفس المرجع السابق.

دور التمرين عند أندريه جيد بالمعنى الإغريقيّ: اليوميّات، تمرين روحيّ، قراءة الإنقليزيّة، تمرين أدبيّ، تمرين تفكير، تمرينات على البيانو (ودراسات). عادات مّا، هي أيّام تمرينات في كورفيل: بيانو، انقليزية، يوميّات. في حاجة كي لا يرخي اللّجام (شبيه شيئا مّا بتدريب الفتيات على النّسيج)، مساوية لرغبة مستمرّة للكسب. يعوّض التّمرين عنده المهنة. ما إن وصلت إلى هذه السّطور وقعت على هذه الفقرة ص389: «انشغلت في الأيّام الأخيرة بتوضيب مذكّراتي في محكمة الجنايات. أعتقد أنّها كانت تمرينا جيّدا[260]».

يوميّات أشدّ غرابة لأنّها تضمر أكثر ممّا تظهر، فقد ظلّت علاقاته. مع إيمانويل ميم طيّ الكتمان. ومن المؤكّد أنّ جيد قد حذف جزءا كبيرا قبل أن يسلّم عمله للنّشر، وأنّه بطلب من إيمانويل نفسه، قد أقدم على تمزيق العديد من الصّفحات. وإنّنا لنجد في العديد من المواضع امتناعه عن الخوض في الأمر، رغم أنّه سنة 1939، كان قد صرّح أنّه لن يسلّم أل «أنا مبتورة[261]»؟ أعتقد أنّه قد فعل ذلك بواعز دينيّ. هناك إذن تراتبية للمقدّس داخل روحه. إن كان الدّفتر مقدّسا فإمانويل أقدس منه.. لا يجب لمسه. لكن من جانب آخر إن استثنيا بعض التّلميحات لشغفه بإيمانويل في 1914- لا تستعرض اليوميات حياته الجنسيّة إلّا بما قد توحي به من عيوب واستياءات. نتحدث عادة عن الإثم المنعزل، وأرى جيّدا أنّ هذا الإثم هو من طبيعة الكسل، من الطّيش، من قلّة الحماس، من كلّ هذه الأخطاء الّتي نوبّخ أنفسنا عليها. يتعلّق الأمر بالأساس في هذه اليوميات بالعلاقات مع الذّات؛ هناك مجال لا يتطرّق إليه أندريه جيد إطلاقا، وهو العلاقات المبنية مع الآخر. دونما أدنى شكّ، كان سوف يتحدّث عن إيمانويل لو أُتيحت الفرصة. غير أنّه يتجنّب الحديث عن ذلك. تهبه غراميّاته شيئا من البهجة، ولكنّه يخفيها، رغم رغبته عميقا في أن يحكيها. وفي المحصّل فإنّ كلّ ما له علاقة بالآخر، بالنّاس، بالمجتمع، بالعالم، يأخذ طريقه إلى غايات إبداعيّة أخرى، باعتباره موادّ أدبيّة، يمكن استثمارها، ولهذا السّبب يستثنيها من كتاب

260. اليوميات 2جويلية 1913.

261. اليوميا ت26جانفي 1939.

العقل. وفي الأثناء فهو ينسى نفسه ويضع أحيانا مخطّطا لبورترية، أو يحكي طرفة. غير أنّه يفعل ذلك في سياق توبيخ لنفسه، لأنّه يخسر وقتا أكثر من اللّازم في المجتمع، أو لتنشيط عرض كئيب لأيّامه. يتعلّق الأمر إذن بيوميّات عليها رقابة شديدة، بلا تداعيات. فإذا وجد أنّه يستسلم للهذيان، فإنّه يمزّق. أتذكّر أنّ دابيت يوبّخ نفسه بقسوة في يوميّاته، حين يقع تحت إغراء التّمزيق. لكنّ «جيد» حين يوبخ نفسه هنا، فذلك طبع أصيل فيه.

في 15يونيو 1916 كتب قائلا: «قد مزّقت عشرين ورقة من هذا الدّفتر. ..الورقات الّتي مزقتها يمكن القول إنّها ورقات مجنون. تماما فنحن يسكننا فضول لمعرفة جيد المجنون. يبقى أنّه يظلّ كلاسيكيّا حتى وهو في حالات تبكيت الضّمير، في حالات التّخلّي المندهش: حين لا يركّب، يختار. ثمّ وفي قلب هذا الدفتر يتحرّر على كل هذه اللحمة المنتوج الأشدّ ابتكارا، الأشدّ تحضّرا في كلّ ما سبق من اختبار الوعي: الشّيطان. كان لابدّ من إهداء هذه الدّفاتر للشيطان، فهو يستحقها جدا.

خرجت صحبة ميستلر لتناول فطور الصّباح في الليون دور. شرح لي كيف كنتُ سببا في أن يتغيّر نهائيّا، لقد رحل في سبتمبر يائسا وها هو الآن هادئ أو شبه ذلك، لقد فهم أنّ هذه الحرب حدث في حياته. كان يتحدث متلعثما وخجولا وهو يشكرني. وأنا أشرب الحليب شعرت بدوري بالخجل. ثمّ كنت مبتهجا لأنّ ما قاله ميستلر عن نفسه هو إثبات تجريبيّ لأفكاري الأخلاقيّة الجديدة. لكن يلازمني في الوقت نفسه هذا الانطباع الغريب أنّ هذا لا يعنيني أنا، وأنّني مجرّد ممثّل يؤدّي دورا كوميديّا، مجرّد مهرّج يستغبي العالم.

فقرة رائعة في أوراق:1914-1913

«ذاك الّذي يحتجّ سيفعل فيما بعد، ضرورة معرفة- التّخلّي، حكمة الحياة. (يمكن أن يكون هذا الرّأي أخلاق اللّطف). تبدو لي عبارة (أخلاق اللّطف) غنيّة وعميقة. تؤطّر جيّدا انشغالاتي الرّاهنة: من الممكن أن يكون الخضوع من أخلاق اللّطف (هدوء حزين، كآبة مضيئة وهانئة، إلخ). كذلك الرّواقية. لقد جرّبتها طيلة هذه

الأشهر الثّلاثة. المذهب الطّبيعيّ. هناك شيء من الطّبيعيّة عند أندريه جيد، شيء من الثّقة في فضائل الطبيعة العارية (أن تكون أنت نفسك دونما أيّ اتّفاق مسبق، التّكيّف مع العالم مثل عضو مع محيطه)، وهو ما يعذّبه دائما فيتساءل إن لم يكن بإيحاء من الشّيطان. أخلاق الواجب. كلّ ما يخفي هذه الصّيغة المخجلة للطّابع الكانطيّ: ليس لي من حقّ سوى القيام بواجبي. .. في الأخير لست أرى سوى أخلاق الأصالة للإفلات من انتقاد اللّطف (أقصد الأصالة وليس الطّهر).

كتب مورياك في الفيغارو بتاريخ 02 ديسمبر: «السّؤال الأبديّ الّذي يُقسّم الفرنسيين دائما، سواء تعلّق بشجار داخليّ مثل قضية درايفوس، أو التراجيديا الإسبانية، أو بالحرب مع ألمانيا، يمسّ علاقات السّياسة بالأخلاق[262]». أعتقد أنّني أفهم الآن وأشعر ما معنى الأخلاق الحقيقيّة. إنّي أرى كيف ترتبط الميتافيزيقيا بالقيم، الطّبعية بالازدراء. حرّيّتنا وشرطنا في حياة وحيدة ومحدودة بالموت، رخاوتنا بسبب أنّنا بلا ربّ ولسنا خالقي أنفسنا وكرامتنا، استقلالنا الذّاتيّ الفرديّ وتأريخيّتنا. سوف أفسّر هذا غدا أو بعد أيّام، أريد أن أفكّر فيه أكثر. لكن على الأقلّ هذه المرّة هي أخلاق شعرت بها وطبّقتها قبل أن أفكّر فيها.

لقد تركت نفسي على رسلها بعض الوقت، لكنّني هذه الأيّام استعدت كثافة الأيّام الأولى للحرب.

الإثنين 4 ديسمبر

غدا صباحا نرحل إلى «مورسبرون». هذا الصّباح وبينما أنا اشتغل؛ حالة من الهيجان الهائل من حولي، الرّفاق وثلاثة من ميم. ألف. ميم[263] وهم بصدد الانهماك في ترتيب أمتعتهم. شجار وسباب.

لا ليس الرّضى بما يحدث لك. هذا كثير وليس أكثر. أن تتحمّل تبعاته (حين تدرك

---

262. مقتطف من مقال دوري تحت عنوان " ديبون وديرون."

263. مصلحة استعلامات المدفعية.

أن لا شيء يمكن أن يحدث لك إلّا من خلالك)، أي أن تتحمّله وحدك، كما لو أنّك حصلت عليه بقرار، والرّضى بهذه المسؤوليّة، هو أن تجعل منها فرصة لتطوّرات جديدة، كما لو أنّه من أجل هذا السّبب حصلت عليه. ليست هذه «كما لو أنّها» كذبة. يتأتّى هذا ممّا لا يُحتمل من الشّرط الإنسانيّ خطأ الذّات وبلا أسس، بطريقة أنّها ليست حكما على ما يحدث لها غير أنّ كلّ ما يحدث لها لا يمكن أن يحدث لها إلّا من خلالها وتحت مسؤوليّتها[264].

الانطلاق من هاتين الفكرتين:

1_ الإنسان امتلاء لا يستطيع الإنسان أن يغادره.

2_ يجب فقدان أيّ أمل. تبدأ الأخلاق حين يقف التّرجّي (حياة مستقبلية، قابليّة بشرية للكمال، الخ)

كلّ واحد مسؤول بالكامل عن حياته.

العالم حاضر بكلّ شموليّته في كلّ لحظة من حياتي.

لا عذر لنا أبدا، لأنّ الحدث لا يمكنه أن يصيبك إلّا إذا كانت إمكانيّاتك الذّاتيّة قادرة على احتماله.

يقوم كيللر بجمع قاذورات الآخرين، خاصّة تلك الّتي يتركها الضّبّاط – عدد من كونفرانسيا[265]، نسخة من روفي دي دو موند [مجلة العالمين]، رواية قديمة أهملها هانغ لأنّ قنّينة دواء للسّعال انقلبت عليها فتعفّنت – يضع كلّ شيء في كيس أمتعته دون التّثبّت فيه، وهو يقول مرّة: «هذا لزوجتي»، وأخرى: «هذا لابني، سوف أحمله له خلال الرّخصة القادمة»، ما يجذبه هنا هوكلّ شيء مازال «صالحا للاستعمال»،

264. هنا بدأ تصور سارتر عن الحرية يتخلص من الرواقية- من أجل ذلك علينا أن نستعيد، أنّ الانسان حر، راض بما يحدث له من خلال مجريات الأحداث في العالم والتي ل قدرة له عليها، لا يهتم إلا بما " يتعلق به هوفقط"، حكومة أهوائه. الوجود والعدم الجزء الأول. الفصل الأول وبالأخص الفقرة الثانية " حرية وافتعال: الوضعية".

265. صحيفة الجامعة للحوليات أسستها إيفون صارساي.

فيأخذه، يحوم حول صناديق القاذورات، سلال، أوراق، وعادة مّا يعثر على ما يمكن اصطياده.

لست مدانا لأحد بأيّ شيء- وخاصّة أنّه ليس لك أيّ حقّ تجاه القدر. كلّ شيء هو في الأصل هبة، لأنّك تمثّل دائما شيئا زائدا إزاء العالم. قيمة ميتافيزيقيّة لمن يتحمّل حياته أو أصالة. ذلك هو وحده المطلق.

نرحل غدا عند السّاعة الخامسة إلى مورسبرون. عبر محاور. يبدو أنّ الضّبّاط لا يحتملون كثيرا أبعاد هذه المسؤوليّات الجديدة.

عادة ما يقول «بياتر» بعد أن يتحدّث لبعض لحظات مع أحد الضّبّاط: «لقد ثرثرت»، وهويفعل ذلك لإثارة الاسترسال الخفيّ لمحادثة بين الرّجال.

الثّلاثاء 5 ديسمبر

ينهي الرفاق توضيب أمتعتهم عند الرّابعة صباحا، بينما كنت أدوّن في الأثناء الفقرات الأساسيّة لمقالة عن***في روفي دي دو موند [مجلة العالمين] لعدد 15 وت 1939 : «السلم–حرب[266]».

بالتّقنية العسكريّة المتوفّرة الآن، لا بدّ من مئات الدّبّابات وأكثر من مئة طنّ من القذائف، لقطع الطّريق عن المقاومة المضادّة الممتدّة على طول كيلومتر واحد بشكل نهائي، بواسطة فيلق واحد مخفيّ بشكل جيّد ومغطّى بالأسلاك الحديديّة... على حدود ضيّقة مثل الّتي في أوروبّا، ضيّقة جدّا بالنّسبة إلى العدد الهائل من الجنود المتقدّم في شكل كتل، مندفعة من أجل الدّفاع من خلال التّحصين المستمرّ، وليس هناك إلّا القليل من الأمل لوضع التّدابير اللّازمة (المتعارضة) موضع التّطبيق. ..لا يمكن أخذ القرار إلّا بعد نجاح عدّة عمليات هجوميّة، على حساب جهد هائل

266. العوان الدقيق للمقالة:" شكل جديد للصراعات العالمية، سلم-حرب".لم يتسنَّ لنا تحديد المؤلف -أو المؤلفين – لهذه المقالة والمشار إلهم ب ***: التصورات المُعبَّر عنه هنا تشير بشكل غريب إلى الكولونيل ديغول وأصدقائه الخلَّص الأوائل –الكولونيل ناشين خاصة- وكذلك بول رِنو وزير المالية وقتها الذي قاد حملة معهما ضد موقف فرنسا من الانتهاكات المتكررة لهتلر.لوسيان ناشين ما قبل التقديم ل دراسات ثلاث لشارل ديغول بيرديه-ليفرر1945، ومذكرات بول رِنو المجلد 2.

يستوجب تفوقا رقميا وعسكريّا معتبرا. إن لم يتمّ الأمر وفق هذه الخطّة، لن يكون هناك من حلّ للصّراع إلا من خلال الانهيار المعنويّ والمادّيّ لأحد المتقاتلين. سوف تتّخذ المقاومة في الحالتين شكل مقاومة للموت، مخلّفة العديد من الخسائر والخراب بشكل يجعل من ظروف السلم الأكثر ملاءمة عاجزة أن تعوّضها أو تصلحها...

«يقود التّصوّر الكلاسيكيّ للحرب إلى شكل من الصّراع لا يستجيب أبدا إلى إمكانيّات أوروبا الحاليّة، وظروفها[267]. فهذه الأخيرة -أوروبا- لم تتعاف بعد من البلبلات الّتي لحقتها بسبب الحرب العالميّة. هي في حاجة إلى السّلم لتتشكّل من جديد، وتعيد ترتيب اقتصادها وفق وسائل الإنتاج الحديثة... من جهة أخرى فإنّ أغلب الأمم الأوروبّيّة ترفض بشكل قطعيّ فكرة الحرب... هذه القناعة هي مبدأ رئيسيّ يميّز الحقبة الزّمنيّة الّتي نمرّ بها.»[268]

«كيف يمكن حلّ الصّراعات بين الأمم في مثل هذه الظّروف؟ طرق جديدة تفرض نفسها علينا... يظلّ المشكل قائما: يستوجب الأمر إجبار دولة للانحناء للالتزامات الّتي يتمّ فرضها عليها»، في كلمة واحدة أن يتنازل. بإمكان الحرب أن تغيّر الأشكال لكنّ مادّته الرّئيسيّة تظلّ كما هي عليها.

عاجزة على تصفية الخصم بشكل نهائيّ ومرّة واحدة، تهدف الحرب الجديدة إلى إقناعه بالتّنازل على مواصلة مقاومة دون جدوى. تهدف إلى حركة حاسمة تليها حركة مقتنعة بالقوّة... يبقى... أنّ السّياسة سابقا لا تتوفّر إلاّ على هامش ضغط ضعيف جدّا... فأبسط خطأ في التّصرّف، أقلّ مبالغة قد تؤدّي إلى اندلاع الحرب. فالّسياسة لا تشتغل إذن إلّا من خلال فروقات في المؤامرات والتّوافقات. أمّا اليوم فالوضعيّة مختلفة تماما: شبح الحرب الشّاملة قائم دائما والخشية الّتي توحي بها تقود إلى أن لا نرى فيها سوى حلّ لليأس، ولن نلجأ إليها إلّا في أقصى الحالات. عجز الحركة العسكريّة حول جلد الأمم شديد الحساسيّة (أنشليس، سودات، تدخّل في

267. سارتر هوالذي يؤكد على هذا الجزء من المقالة.

268. في النص الأصلي " وظيفة مقتنعة " سارتر هو الذي يؤكد.

إسبانيا، معركة روسيا – اليابان ل كوانغ-تشيو-فينغ)[269]... من الممكن مضاعفة أمثلة لهذا النّوع من الصّبر العجيب الّذي أثبتته الأمم، مقارنة بتوتّرها القديم.

«لذلك ومن خلال انقلاب مفاجيء، فإنّ هذا النّفور من الحرب الشّاملة يسمح باستعمال عنف يتجاوز بالخصوص إطار التّقاليد الدّيبلوماسيّة... لم يعد السلم كما الحرب مثلما نتصوّرهما، لكنّها حالة بينهما نسمّيها حرب-سلم»[270]

«تستند الحرب- السلم على فكرة استثمار الخشية من الحرب- الكارثة لفرض ضغوطات أهمّ من قبل، مع تجنّب خلق توتّر كاف لدفع العدوّ إلى حرب شاملة.

يتمثّل العنصر الأول لكلّ تدبير في تقييم قيمة «اللّحظة النّقديّة»، فيما وراء ما يفضّله العدوّ، فإمّا الحرب الشّاملة أو التّنازل..»[271].

تمّش متميز: حرب سياسيّة، أي التدخل في شؤون السّياسة الدّاخليّة للبلد المعارض. بهذا الشّكل نهاجم مباشرة المراكز العصبيّة الّتي يعتمد عليها التّنازل. (ليدوندورف، حرب شاملة: الالتحام الرّوحيّ للأمّة عامل أساسيّ للانتصار).

3 حلول:

ينجح العصيان. بلوغ الهدف. تقبل الحكومة الجديدة بشكل تلقائيّ كلّ الشّروط المفروضة.

لا ينجح العصيان إلّا جزئيّا (إسبانيا، فلسطين): حرب أهليّة أو تدخّل.

العصيان يفشل تماما. في حالة ظروف عالميّة مناسبة: تدخّل مباشر (السودات). أو نغسل أيادينا (مقتل دولفيس).

---

269. تلخص هذه الجملة نص المقالة.

270. يقترب هذا المفهوم مما قاله بول رينو، مكتسب من قناعات ديغول الذي كتب قبل عام ونصف فيما يتعلق بإعادة التفكير في الجيش الفرنسي ودوره في السياسة العالمية:" لقد دخلنا إلى المنطقة غير الدموية للحرب (...) المسافة (الصناعات العسكرية الأمانية والفرنسية) هي انتصارات أوهزائم هذه الحرب الصامتة (...)وليست التراجعات الديبلوماسية سوى ظلال هذه الهزائم على السجادات الخضراء للندوات. "(باري –صوار عدد 1نوفمبر 1937، مذكرات).

271. بقية المقالة غير مذكورة بشكل حرفي لكن ملخصة.

حرب اقتصاديّة:

الأسلوب الماكر نفسه، لكنّ تطبيقه في الحرب-السّلم[272] لم يعط نتائج نهائيّة. ذلك أنّ الحرب الشّاملة تتطلّب إعادة ترتيب شاملة بدورها لكلّ الاقتصاد في جميع قطاعاته لتوفير الحاجيّات الهائلة الّتي ولّدتها، ويكون من الضّروريّ التّقليص في الاستهلاك المدنيّ إلى أقلّ مستوى، وتعويض النّقائص بالتّوريد. لذلك ففي نهاية التّحليل لا يمكن للجهد أن يتواصل بنفس الكثافة، إلّا إذا امتلكت الأمّة موارد ماليّة أو قرضا كافيا، ومسالك اتّصال حرّة... لقد قادت هذه الاعتبارات منظّري ما بعد الحرب إلى منح قيمة محترمة للموارد الاقتصاديّة لبلد في تقييمه بحسب قدرته الحربيّة. .. كانت هذه الفكرة أصل تنظيم عقوبات بإشراف من المجتمع الأمميّ. لقد قاد تطبيقه ضدّ إيطاليا إلى فشل كامل. الأسباب: لا يمكن للعقوبات الاقتصاديّة أن يكون لها تأثير فعليّ إلّا ضدّ أمّة تخوض صراعا يتّخذ صبغة حرب شاملة. وبالتالي لم تكن هذه هي حالة: اقتحام اثيوبيا... فلم تكن إلّا حربا بجهود محدودة... لم تتمكّن إيطاليا أبدا من تحقيق اقتصاد حربيّ... لقد تم تطبيق العقوبات خلال اقتصاد سلميّ.

بجانب الحصار هناك أشكال مختلفة للمقاومة الاقتصاديّة (دومبينغ، الخ)[273]

استعمال متواصل للقوى العسكريّة:

أ -تحت شكل التهديد.

ب -تتدخل للمساعدة في صراع داخليّ.

ج - عمل عسكريّ مباشر. كثير الحضور ولكنّه ضيّق ويتّخذ طابع ضربات بسيطة، لمساعدات معلنة تتخذ طابع المباغتة[274].

---

272. في النص الأصلي:" سلم-حرب.

273. تأخذ فقرة حول الحرب الديبلوماسية مكانها هنا في المقالة.

274. تطالب المقالة فرنسا بالاستعداد لحرب شاملة، بعث "حملة عسكرية قوية ذات قدرة هجومية فائقة، مستقلة عن الجهاز الدفاعي،. .متناسبةمع التوجهات السياسية ويجب عليها بخلاف الجهاز الدفاعي أن تكون مستعدة دائما دون اللجوء إلى تجنيد جزئي. تستطيع أن تمالرس تحركها بدون آجال وخاصة دون لفت نظر الرأي العام " وتخلص المقالة إلى إنه بهذه الطريقة وحدها يمكن لفرنسا

وصلنا إلى مورسبرون، تمام السّابعة، وقد تمّت دعوتي إلى مركزيّة الهاتف، في غرفة كبيرة تغصّ بالغادين من الضّبّاط والرّائحين، فضلا عن ضبّاط آخرين، كنّا نعوّضهم. كان الفريق ذا تشكيلة شبيهة بفريقنا، فهذا الملازم هو النّظير للملازم بيناتو؛ وهذا القائد هو نظير عقيدنا، وأمّا نحن المكلّفون بالإحصاء فلم يكن لنا من نظير. فاتي الضّخم الأصهب بنظّاراته ومزاجه المدقّق ولحمه الحيّ، وهناك آخر هزيل وشاحب بلحية كثّة. كنّا ننظر بفضول وعدوانيّة إلى هذه الصّور الّتي تشبهنا، يخالجنا شعور غامض بالتّضامن مع ضبّاطنا ضدّ ضبّاطهم. بدوا بطباع متنافرة. أحدهم ملازم، متحدّث لبق قادم من باريس، قال لعقيده: «هجوم دائم سيّدي العقيد! - وماذا يقولون في باريس؟» - يقولون إنّهم يزعجونهم بعدم الهجوم لأنّ هذه الحرب سوف تدوم طويلا؛ ولا يجدون هذا غريبا، باريس عند اللّيل بكلّ أنواره المطفأة، ويريدون أن نقضي على أنفسنا بسرعة كي ينتهي هذا الكابوس- في النهاية غمغم قائد آخر هذا بالضّبط ما نفكّر فيه. يتملّكني شعور خفيف بالأهمّيّة لأنّهم كلّفوني بهذه الآلة المريعة الّتي لا تتوقّف عن الرّنين مع عشرات البطاقات والملفّات. غير أنّني كنت شديد الانزعاج لأنّني مضطرّ للرّدّ على أكثر من مائتي مكالمة في اليوم، ولا أجد الوقت للعمل. حالات من الحيرة: هل سأظلّ طول الوقت في هذا العمل؟ أقنع بول أن يحتجّ: إنّني إحصائيّ ولست عامل المقسم التليفونيّ. أكتب هذا على كرسيّ أثناء راحة قصيرة ومن حولي غادون ورائحون دون توقّف.

هذه السلم- الحرب الّتي تحدث عنها بذكاء *** تسمح لنا بفهم ما سيأتي من حياتنا / الحرب -السّلم. المقطع بلا معنى مهما قلّبته.. وهذا يتعلّق بسببين: (1_ لا تريد ألمانيا الحرب. هي تتمسّك قبل كلّ شيء بهذا الشّكل من العلاقات الدّوليّة،

أن ترد على " التحركات التي تحاول أن تسحقها من خلال تحركات مشابهة"هذا المقطع الذي لم ينسخه سارتر هنا لكن يفكر بشأنه (انظر في موقع آخر) هو قريب مما يفكر فيه شارل ديغول منذ سنوات. فحسب رأيه إن لم يكن بإمكان فرنسا أن ترد الفعل حين احتلت ألمانيا المنطقة المنزوعة السلاح برياني في 7مارس 1936لأن " بسبب عدم بعث جهاز مختص ولديه السلطة، والنتيجة، الإجابة فوريا، أي بلا أو بتجنيد خلال الاحتلال من خلال الاحتلال، على الضفة اليسرى لراين " رسالة الملازم -عقيد شارل ديغول لبول رينو 12جويلية 1936 دفاتر جوان 1919-1940 بلون 1980.

السّلم- الحرب وهو ما يناسبها بشكل أفضل. لقد لعبت مباراة على غاية من الأهمية في بولونيا ولم تستطع تحديد النّقطة الحسّاسة. فالمباراة تتمّ بالنّسبة إليها، دائما على مستوى سلم-حرب، ترفض الحرب الشّاملة لأنّها غير قادرة عليها (2_ لكنّ القوى الدّيمقراطيّة منشغلة أساسا بتطبيق العقوبات. هي متمسّكة باتّفاقيّة جينيف، والتّقنية السّلميّة للعقوبات، كما في الحرب الإيطاليّة الحبشيّة [حرب توسّعيّة استعماريّة ما بين 1935-1937 دارت في أثيوبيا]. يتعلّق الأمر هنا بمعاقبة الجاني. غير أنّها تعرف من خلال تجربة أثيوبيا أنّه لاستعمال ثمار العقوبات الاقتصاديّة ضدّ أمّة مّا، لابدّ من إجبار هذه الأمّة أوّلا على أن تستعدّ لحرب شاملة. ولذلك فالجيوش الفرنسيّة على الحدود الألمانيّة ليس لها من هذف سوى إجبار ألمانيا على تحقيق اقتصاد حرب يجعل من الحصار فعّالا. بشكل تظلّ معه الحرب الشّاملة الشّبح الّذي يحرّكه المتقاتلون، كنت في وقت حرب-سلم. ما الّذي يفعله هتلر حين يهدّد بالنّزول في انقلترا، بغارات جوّيّة على لندن، إلخ. إن لم يوقظ شبح الحرب الشاملة؟ واللّاجئون، السّكّان المحلّيّون الّذين بدؤوا التّعوّد على هذه الحرب، يخشونها، يخشون الحرب الحقيقيّة، كما لو أنّهم في سلم. أمّا عن التّمشّيات في حدّ ذاتها، فلم تتّغير: بقيت القوّة العسكريّة في حالة استنفار؛ الحرب الاقتصاديّة تدعمها حرب سياسيّة، كلّ واحد من المتقاتلين يُعوِّل على فوضى تسود بلاد العدوّ الآخر، لكي لا يستعمل قوّته العسكريّة ويحافظ عليها. تبقى إمكانيّة البحث عن قرار في ساحات حرب بعيدة ببلدان تغيّر محمية بحواجز تحصينيّة، حيث تتواجه قوى مُصدّرَة[275]. لو أنّ القوّات الألمانيّة مثلا اقتحمت رومانيا وأرسلنا نحن قوّات دعم هناك، ففي هذه الحالة تتّخذ الحرب صبغة الصّراعات القديمة (الّتي حدثت ما قبل 1914)، أو كما يقول جول رومان، وحده المهزوم يقرّر أنّه مهزوم- مثلما قرّرت روسيا بعد تسوشيما حين أعلنت أنّ اليابان قد هزمتها. هذه الحرب هي إذن من جهة: عقوبات جينيفيّة واقتصاديّة ضدّ سلم-حرب، ومن جهة أخرى تمثّل الهاجس المشترك للمتقاتلين، وهو عدم الوصول إلى إعلان الحرب. ولئن بدت حرب غريبة، فذلك لأنّ الأعداء، يتحرّكون فيها، قبل كلّ

275. صفحة 301التدوينة 3.

شيء من خلال هاجس عدم خوض الحرب.[276]

الأربعاء 6 ديسمبر

شيئا فشيئا تعوّدت على الاستعمال الآليّ للتّليفون. بدا لي الأمر في النّهاية سحريّا، الأجنحة الّتي ترنّ كلّما وقعت، البطاقات الّتي كلّما أدخلتها في ثقب، تدفّقت منها أصوات، وأساسا ما كنت عليه الشّاهد الوحيد، من مكالمات مطوّلة. لقد وجدت متعة في ذلك، وتملّكني إحساس بالقوّة، كما لو أنّني ساحر يصدّق أدواره الخادعة. يبقى أنّ السّخّان، الّذي كان يشتغل على مقربة منّي، قد أحدث لي دوارا برأسي. شرعت في لحظات الاستراحة النادرة في قراءة التّربية العاطفيّة لفلوبير. كم هو سمج ورديء. أيّ حماقة، إنّه عمل يحكمه التّردّد، في كلّ مفاصله، حكاية وعظيّة منقوشة على الرّخام. نرى زولا يثقب من خلال أسلوب برناسيّ وبليد. إنّه غاية في الغباء، لا روح فيه، ولا فكرة، بأسلوب عقيم، لا تتوفّر فيه أدنى شروط الإتقان، وصفه جامد، عاجز عن الرّسم، وعن التّصوير، ينقل الأشياء بحياد، وجملته ثقيلة متبلّدة، وهنة، حين تريد الإصرار على موضوع، ومثال ذلك ما نعاينه في وصفه للآلات: يذوب الصّخب في هسيس البخار الّذي يتسرّب من بين لوحات معدنيّة تمّ تغليفها كلّها بسحابات بيضاء، بينما كان الجرس في المقدّمة يرنّ بشكل متواصل هذا الصّخب الّذي يذوب – وكيف أمكن للبخار أن يتسرّب من بين لوحات معدنيّة؟ يرتجّ الجسر تحت وقع اهتزاز داخليّ، تحت؟ أراد أن يقول إنّ اهتزازا صغيرا تصاعد من خاصرة باخرة فمسّ الجسر. سطحيّة الأفعال (يسيء فلوبير عموما استعمال الاستعارات الإيحائيّة

---

276. ينصح سارتر سيمون دي بوفوار في رسائله بتواريخ 5و6 ديسمبر قراءة" هذا المقال اللفت ل*** والذي جعله يفهم أسباب وطرائق هذه الحرب. "لقد وجد نفسه إذا معجبا بالتحاليل المشتركة لشخصية معروفة بدعوتها للحرب من طرف أغلبية الرأي العام الإعلامي و ملازم-عقيد سيكون له ذاك المصير الذي نعرفه، والآن هو يقف ضد الفرضيات العسكرية الرسمية من خلال حملته لإعادة تنظيم الجيش الفرنسي في شكل جيش هجومي وهو ما جعله يتعرض لازدراء وصد القيادة العليا العسكرية.

بسبب عدم تمكّنه من انتقاء اللّفظة الدّقيقة: تنساب الحوافّ، تتصاعد الطّرود، يذوب الصّخب). غالبا ما يستعمل مبنيّا للمجهول بتأثير سيّئ جدّا: وُضع الشّال على الكتف[277]، استعمال مُقلق للفعل في صيغة الاستمرار (ما يعلنه آل غونكور) لإنجاز لوحة وإغراق ما في المشهد من تسيّب في شكل تكرار شاعريّ مساو لمسافة بعد في العجيب. ركضت الآنسة مارت نحوه وتعلّقت بعنقه، وجذبت شاربيه. هذا ما أسمّيه الفعل في صيغة الاستمرار على الطّريقة الفرجيليّة[278] أمّا المثال النّوعيّ (أعتقد أنّه من خلال تذكّر مبهم لفرجيل وهوصادم - نيزيس وأوريال[279]): ألقى عليه فريديريك نصف معطفه على كتفيه، متغطِيان به هما الإثنان؛ متخاصَران يمشيان جنبا إلى جنب. نلاحظ أنّ اسم الفاعل يسبق في كلّ مرة اسم مفعول خَصلة الأسلوب: فعل بارد شاحب.

من أمثلة التّهاون في استعمال الأفعال: تستريح طاقة جبّارة في عينيه بلون الأخضر المزرق. ليس من قبيل الصّدفة إذن أن يكون فلوبير مفتّشا عنه في هذه الموصوفات ومهملا في هذه الأفعال: يعالج هذا البرناسيّ المشهد ويهمل الحدث. يظلّ الحدث بالنّسبة إليه فضائحيّا: أكره الحركة الّتي تزعج السّطور. لكنّ جمله هذه هي تماثيل ضخمة بأقدام طينيّة: تتفتّت في كلمات لأنّ المفاصل غير متماسكة. لقد أخضعت الحضارة الصّناعيّة في عهد لويس فيليب والحركات الاجتماعيّة لسنة 1848الأذهان لحديث عن الأشياء (الآلات والأدوات، إلخ)، والأسلوب الّذي وجده فلوبير تشكّل على مدى طويل وببطء من خلال وصف العادات والنّاس. يحاول فلوبير أن يترجم. يتعلّق الأمر بالحديث عن الأشياء من خلال المحافظة على الأسلوب. نقائص فلوبير هي الّتي دفعت آل غونكور إلى ابتكاراتها اللّفظية. في المحصّلة؛ فلوبير عدوّ

277. بأكثر دقة أصل الجملة هكذا "وُضع الشال خلف الكتف".

278. مضوا مكتئبين في عزلة الليل (إينياد الكتاب السادس البيت 268.

279. إينياد الكتاب التاسع هناك تشابه في بناء الأبيات 182 و183 مع جمل فلوبير المذكورة؛ من الممكن ترجمتها كما يلي : يجمعهما حب واحد، مجتمعان ينقضان على أنفسهما في المعركة :- وفي ذلك اليوم كانا يقومان بنوبة الحراسة جنبا إلى جنب."

البورجوازي لويس فيليب، هو نفسه بورجوازيّ وفنّه إنتاج صناعة 1848. إنّها البورجوازيّة الصّناعيّة الغريبة، عن ثقافتها، عن مهنها، عن نفسها، عن النّاس عن الأشياء الّتي تسيطر عليها، لكن تريد أن تعرفها عبر خصلات ثقافيّة، عبر شكل كلاسيكيّ. سوف يصبح الخدر الذّهنيّ اللّاحق مجرّد تعميم، تخلّ عن بعض المتطلّبات. من المهمّ الإشارة إلى أنّ الإصلاحات الّتي اقترحها ماكسيم دي كامب بطلب من فلوبير كلّها متحفّظة، أي أنّ المقصود من ورائها إنقاذ نقاوة الأسلوب. بما أنّ فلوبير حسّاس جدّا في هذا الأمر.

الخطأ الجسيم في التّربية العاطفيّة، ذلك أنّ هذا الكتاب يمكن أن يقرأه عامل المقسم التّليفونيّ للمركز، يقرأ جملة، يتوقّف، يعود إليه، إلخ. ليس هناك أيّ تيّار يمكن أن ينقطع. بالعكس أتخيّل أنّ قراءة غير متقطّعة سوف تكون مملّة بلا رحمة. كلّ جملة تنعزل وحدها ويتوجّب التّخلّص منها للمرور للجملة الّتي تليها.

أدوّن هنا بعض الأمثلة لضعف الفعل عند فلوبير:

لقد كان دائما متهيّجا، وفي هذا الحماس الطّبيعيّ والمصطنع في الوقت نفسه الّذي يشكّل الكوميديّين

تجعله قبّعته بأطرافها المشمرة معروفا عن بعد، وسط الزّحام

يدسّ روحه في بياض هذا اللّحم النّسويّ

تتابع البيوت (وهو أمر مشكوك فيه بواجهاتها الرّماديّة، نوافذها المغلقة

شعر بشكل من ولوج كلّ الذرات في جلده (!!!).

صروح غير مرئيّة كانت قد جعلت من نفسها عتمات متضاعفة.

هناك ابتذال في استعمال النّعت عند الكثير من الكتّاب الشّباب يسمح بتوقّع الصّفة حين يكون الموصوف معروفا. مثال ذلك الوادي ضاحك دائما. الضّعف الفطريّ للفعل عند فلوبير يؤدّي إلى ابتذاله، وهذا مروع جدا خاصّة حين يتضمّن الموصوف – وهو ما يحدث غالب الأحيان – دلالة الحركة حيث أنّ الفعل يلتصق بالإسم كما لو أنّه صندوق نورماندي ضخم. مثلا هناك ريح خفيفة لأنّ هناك غائمة، وغير محدّدة،

لا تستبق متابعة وتنتهي الجملة بالقوّة. مثال آخر عند فلوبير: غلّفه هواء رطب. هاهي مرّة أخرى إحدى تلك الزّوائد الضّخمة وغير المفيدة. عادة ما تنتهي جملة فلوبير هزيلة. وكم من خداعات نورماندية مزعجة. مثلا: عرف نفسه على حافة الموانئ كي يحذف فعل كان.

عربة يجرّها حصانان عند الأعلى تنتظر فريدريك مورو حذو محطّة القطار: لم يكن الحصانان على ملك أمّه، أي أنّ حصانا واحدا من إثنين على ملكها، غير أنّ فلوبير امتنع عن كتابة جملة بهذا الثّقل. النّتيجة أنّه ارتكب غلطة في الفكرة أشدّ ثقلا. لأنّ الحصانان ليس على ملك أمه، هذا يعني أنّه لا حصان من الإثنين على ملكها.

مثال نوعيّ لشدة ركاكة جمل فلوبير، من خلال ضعف حيويّة الفعل:

حصل على كفاءة خارقة للعادة لا يعرف مصدرها.

وجهه يمنح له نفسه في المرآة.

التهرّؤ الخفيّ لهذا الرّخام: كلمات الرّبط: أو، أم، وإلا، في، من، ك، على، إلى، ب، من خلال، حيث، المستعملة في معاني غامضة للرّبط (خطأ شائع سوف يعتمده كلّ الطّبيعيّين والواقعيّين).

مثل: تملّكت به إحدى تلك الارتجافات الّتي تصيب الرّوح حيث يتراءى لك أنّه تمّ نقلك إلى عالم أعلى.

تضيء الفوانيس على خطّين مستقيمين

وأدوات العطف والإبدال التي تتساوى في المعاني لأنّ، مهما يكن، بما أنّ، إلخ

سينيكال، مستجوبا، صرَّح...، الخ.

بيليران... معتقدا أنّه عثر على حجّة. ..

تعوّض هذه الإبدالات بالأساس فعلا، لا نتيجة مشهد. ودائما هذا الفشل:

يتمّ استجواب سينيكال فيصرّح أنّ...

يعتقد بيليران أنّه عثر على حجّة و.

الفصل الخامس من التّربية العاطفيّة: «كان اللّقاء شاقّا... لم يجد وصلة ليُدخل أحاسيسه. تصلح الوصلة للوصل وليس للإدخال».

حدث تغيير عميق منذ انتقالنا إلى مورسبرون. النّزل الّذي أقمنا به، كان أشبه ما يكون بمقرّ عامّ، ذي طابع كلاسيكيّ لزمن الحرب، لم يكن مريحا بالمرّة شأنه في ذلك شأن مدرسة بروماث. وقع تجميع كلّ المصالح فيه. ينام الجنود والضّبّاط في النّزل، يتناول العقيد فطوره الصّباحيّ في إحدى قاعات الأكل – وهناك يفطر الضّبّاط أيضا حول طاولة مستديرة يغطّيها قماش مشمّع صُفِّفت فوقها أطباقهم مع حلقات مناديل، نقشت عليها أرقامهم بالسّكاكين. النّزل في مكان منعزل على حافّة الطّريق – يبعد نصف كيلومتر عن مورسبورن – يشير إلى كلّ الطّرق المتناقضة للسّلم والحرب. يبدو من الخارج نزلا عاديّا، من الدّرجة الثّانية، ويبدو أنّ زوّاره كانوا ينتمون إلى فئات متوسّطة، لقضاء حوائج تتعلّق بالتّأمينات الاجتماعيّة، وبالتّعاونيّات، أو للعلاج، غير أنّك ما إن تدلف إلى النّزل، حتّى تقف على مظاهر الإهمال، لترى بعينيك العفونة المتكدّسة، وتخال أنّك في مكان مهجور، خانق للأنفاس. تشيع الغرف رائحة الفقاع. وقد ازدحمت بشكل لا يحتمل بركام الأثاث العسكريّ، أمتعة، معاطف عسكريّة، أكياس ورغم ذلك يطوف فيها عفن البؤس المدنيّ. حشايا سميكة، ونوابض العارضة اللّطيفة تحت الغطاء الأحمر الكبير للأقدام مثل تلك الّتي يستعملها مرضى المفاصل. أوراق الجدران بزهراتها ممزّقة ومتّسخة، أكثر مدنيّة، وفردانيّة من جدران المدرسة المطليّة الّتي لم تجد الاشتراكيّة العسكريّة أيّة مشقّة للاندماج بينها؛ تذكِّر هذه الغرف – بشكل كاذب – بغرف النّزل البيئسة والمبتذلة لعمّال باريس. تحوّلت قاعة السكرتاريين بالفعل إلى شيء مخصوص وفرديّ تذوب فيه مختلف طبقات المعنى. هي قاعة مستطيلة ومتّسخة جدّا تفتح على الطّريق الواسعة، وتطلّ عليها من أعلى من خلال فتحة بلّوريّة طويلة. ينزل السّقف الخشبيّ المشدود بأعمدة ناتئة عبر منحدر حادّ من القمّة إلى الفتحة. تمّ طلاؤه بالأبيض غير أنّ الأوساخ حوّلت لونه إلى رماديّ. عند المساء تقع تغطية الفتحة بالأغطية والسّجّادات بما يمنح المكان انطباعا شرقيّا: خيمة، جلود حيوانات، عسكرة- فيوقظ بشكل

شاسع، شاسع فكرة ترف تتاريّ. الصقت بالحائط طبقيّة، خزانة من خشب البلوط بمرآة وصوان صغير قصير من نوع بول [أندريه شارل بول نجار ومصور فرنسي عاش في القرن السادس عشر] تغطّيه لوحة رخام. طبيعة ميّتة شديدة القتامة وإعلانات: سوزي، ماندارين، ليثيا، برنو الإبن، ديبونيه، ماء كارولا صالح للشّراب، دولفي. وفي إطار مذهّب على ورق كبير لونسون الأب والإبن، ريمس بصدد احتساء كأس. لكن عند الأسفل تمّ تعليق لوحة اردوازية سوداء تتأرجح من مسمار: نوبة الحراسة: ميستلر-بلانتون: هانتزيغار. الكلمات مسطّرة بالطّباشير. احتلّ سخّان ألمانيّ من نورمبرغ وسط القاعة. انتصبت قبالة نافذة الفتحة سبع طاولات مستطيلة الشّكل عليها آلات رقن، ملفّات، صناديق، جذاذات: القيادة العليا. لكن إضافة إلى ذلك هناك قبالة الطّاولة الأخيرة، طاولة صغيرة مستديرة مغطّاة بسماط أحمر وأبيض. وعلى هذا السّماط كأس كبيرة بساق بها أزهار سوسن اصطناعيّة، وهو وحده يمثل مطعما. مطعم لروّاد معتادين مع نوعيّة طبخ بورجوازيّة جيّدة. مشاجب متعدّدة على الجدار قرب الباب. أقنعة غاز، معاطف كاكي تتدلّى من المعالق تُشيع المصابيح الخمسة المغطّاة بالجرائد نورا عائليّا خفيفا. نسيت شيئين غريبين، كلاهما ميكانيكيّ، غير أنّ انتماءهما للأشياء الميكانيكيّة كانتماء مهرّجي بيكاسو للنّاس، خيوط تليفونيّة تتدلّى على شكل محزن من السّقف، شبيهة بشعر شاحب وملبّد بالقاذورات – وفي وسط السّقف تدلّت مروحة تشرع في الدّوران بشكل عنيد كلّما أطفأنا أو أضأنا المصابيح – سرياليّة في هذا الفصل مع الصّعوبات التي نلاقيها من أجل التّدفئة. – ومن قاعة أكل الضباط تصلنا روائح أطعمة لذيذة.

حدثننننني إذا... وبياتر ردد بصوت يستدعي الاهتمام إملاءات. لم ألحظ غير الاهتمام لكنّه اليوم انحنى يساررني وهو يقول: هل تعلم، لقد التقيت ديبوا. وأخذنا في الثّرثرة وحّثننننننني..... شعرت بالإشراقة. أكمل ضحكة اشتركيّة. يأخذ الإملاءات ويحبّها، لأنّ لها رائحة بشريّة. كيفما كانت إن ارتبطت بشكاوى المكتبيين أو بطريقة إعداد النّقانق في الألزاس. ما هي إلّا إملاءات رجال، وهو ينفّذ مهمّته بوصفه رجلا عندما ينقلها من مكان إلى آخر. هناك إذن وحدتان بشريّتان: هناك من

كان حاضرا أثناء الإملاءات، وهناك من كان حاضرا أثناء نقل الإملاءات، قال ديبوا «حدثني»... ويصبح صوته متوقّدا ويطرف بجفنيه الثقيلين، إنّه سعيد.

هذا الصّباح أزعجني لأنّه يريد حتما أن يكون كلّ الجنود الّذين يلتقيهم من الفرقة 109، لأنّ له صديقا من الفرقة 109، خاطبني في المطعم قائلا عليك أن تنظر هناك، مشيرا إلى جنديّ يحمل بوق الصّيد فوق شعارات الشّرف. يقول ذلك بشكل حيويّ: إنّه 109، أؤكّد لك أنّه 109. يريد دائما أن يعرف النّاس والأشياء، وإن أعوزته الوسيلة، يبتكر صلة غير مباشرة بينه وبينهم. تلك هي طريقته للابتسام في وجه للعالم، والانفتاح على الأحداث بلطف، يثبت تفاؤله.

إنّه مريض اليوم، ملاكنا، أجنحته مدعوكة. يشعر بدوخات. يعود إلى القاعة ورقبته مدسوسة في طوق معطفه، لقد بدا لي مدهوشا جدّا وساذجا. لا يؤمن بالألم، وأنّه من الممكن التّألم لهذه الدّرجة. بل إنّه لا يتوجّع أبدا كان أبي مثلي تماما، خلال احتضاره، لقد ظلّ يتحدّث معي طول الوقت، وخلال بعض الثّواني يدير رأسه. لا يقول شيئا أو يقول فقط: أوه قلبي، قلبي! ثم يواصل حديثه كما لو أنّ شيئا لم يحدث – ممّ كان يعاني؟ – التهاب رئوي. وأمام حيرتي: أووه إنّني متأكد أنّه كان يتألّم أكثر منّي...– ولكن أنت لا تتألّم؟ – لا، فقط، أشعر بدوخة.

في كلّ مكان، في المدارس، في مراكز البريد، في البلديّات هناك مراحيض للنّساء وأخرى للرّجال، يقصد الضّبّاط مراحيض النّساء، يضعون عيها يافطة للضّبّاط. يمنحهم هذا هيئة آنسات يناسبهنّ زيّهن بخصورهنّ الضّيقة. أريد أن أقبل فكرة أنّ الضّبّاط هم العنصر الأنثويّ في الجيش.. ونتزنبر عليهم [من زنبور ذكر النحل] بجزماتنا الثّقيلة ومزاجنا المتخدّر، فنحن الذّكور. لكنّ بياتر كان يدخل مراحيض الضّبّاط وفي قلبه حنان كثير، بل وفي مؤخرته أيضا.

تمّ توضيب المطبخ المتنقّل على بعد مئتي متر من النّزل، غير أنّ العقيد دوليين طالب بإبعاده لأنّ منظر الجنود يتنقلون بجفناتهم يفقده شهيّة الأكل.

لم أدوّن هذا في بروماث. كان هناك جنديّ صغير كسول في الإكريفيس، له وجه

شاحب تؤطّره أذنان كبيرتان يقول بمزاج عنيد يائسا: حين عاد أبي سنة 1916، كانوا يدفعون بي بين ذراعيه ويقولون لي: ها هو أبوك أمّا أنا ففكّرت: من هذا السّيد؟ هاهو دوري الآن، سيفعل ابني الشّيء نفسه، سيطرح السّؤال نفسه. لن يعرفني. سوف يأتي الشّيء نفسه.. سوف يأتي الشّيء نفسه

ما يجعل من بياتر وهو يتلو إملاءاته ساحرا، ويضفي على شخصيّته الكثير من الحيويّة، والصّوفيّة، تصديره إيّاها حين يسبقها بشكل أدقّ بهذه العبارة يقولون. إنّه يحبّ أن ينسب الأشياء والأقوال، إلى ضمير جمعيّ، إلى الهم، محتفيا وهو يفعل ذلك بالأصيل.

الخميس 7

سوف أشرع في ترتيب أفكاري حول الأخلاق.

السّؤال الأوّل: الأخلاق منظومة النّهايات؛ لأيّ نهاية يجب على الواقع – البشريّ أن يتحرّك؟ الجواب الوحيد: نهايته الذّاتيّة. وليس هناك من هدف آخر أمامها. لنسجّل أوّلا أنّه لا يمكن أن نفكّر في كلّ نهاية إلّا من خلال وجود هو إمكانيّتها الذاتيّة. أي أنّها ترسل نفسها نحو إمكانيّتها الذّاتيّة في المستقبل. لأنّ نهاية مّا لا يمكن أن تكون متعالية كما ينبغي على من يطرحها كنهاية، ولا تكون محايثة تماما. فإن كانت متعالية، فلن تكون ممكنة. وإن كانت محايثة، سوف تكون حلما غير مرغوب فيه (انظر في نفس هذا الدّفتر الخميس 23نوفمبر). يفترض اتّصال العامل بالنّهاية رابطا ما من نوع الوجود-في -العالم، وهوما يعني وجودا بشريّا. المسألة الأخلاقية تخصّص بشريّ. تفترض إرادة محدودة – ليس لها من معنى خارجها إطلاقا، لا عند الحيوان ولا في الذّهن الإلهيّ. لكن، للنّهاية فوق ذلك نوع وجوديّ خاصّ جدّا: لا يمكنها أن تكون وجودا معطى، وإلّا سوف تتوقّف فجأة عن كونها نهاية. لكن لا يمكنها أن تكون في المقابل افتراضا محضا بمعنى أنّها مجرّد تعال ممكن: سوف تفقد فضيلتها الجذّابة. تمتلك وجودا مطلقا ومستقبليّا. سوف يعود من المستقبل إلى الواقعيّ –

البشريّ كمطالب بالتّحقّق من خلاله في الحاضر. من هذا المنطلق فإنّ وجودا خالدا ومتعاليا مثل الله أوالإرادة الإلهية، لا يمكنه أن يكون نهاية بالنّسبة إلى لإرادة البشريّة.

غير أنّ الواقع -البشريّ محدود من كلّ جهة بنفسه، وبالهدف الّذي يقترحه، هذا الهدف هو الواقع البشريّ نفسه. لا يمكن السّيطرة على عالم إلّا من خلال تقنية، ثقافة، ظرف؛ وبدوره فإنّ هذا العالم يتخوّف، فيستسلم مثل بشر، ويعود إلى الطّبيعة البشرية. تلك الأزهار المسمومة الّتي شاهدها سانت اكزوبري من طائرته، رسمتها الرّياح على البحر، من خلال مهنته كطيّار أدرك أنّها مسمومة. غير أنّ سمّها يرسل له مرّة أخرى نظرة إجماليّة عن الواقع- البشريّ، لأنّها مسمومة للإنسان فقط. لقد كنت كتبت في الغثيان: الوجود امتلاء ليس بإمكان الإنسان أن يبرحه ولن أعدل عما قلته. غير أنّه يجب إضافة أنّ هذا الامتلاء هو امتلاء بشريّ. الكائن البشري امتلاء وجوديّ يعثر عليه الواقع البشري بقدر ما يمتدّ البصر في الأفق. يعثر الإنسان على مشروعه في كلّ مكان، لا يعثر إلّا على مشروعه الخاصّ. وفي هذا السّياق ما يمكن أن نقوله بعمق عن أخلاق بلا ربّ، كلّ أخلاق هي بشريّة، حتّى تلك التي ينظّر لها علم الأخلاق، كلّ أخلاق هي تصميم من الواقع -البشريّ بما في ذلك أخلاق المسيح. غير أنّ هذا لا يعني أنّه يجب على الأخلاق أن تكون ذات منفعة اجتماعيّة أو فرديّة، حيث ينظر الفرد إلى نفسه باعتباره نهاية، وليست أيضا نزعة إنسانيّة تتمدد، بمعنى أنّ الناس، مكوّنات فرديّة للبشريّة، يصبحون نهاية بالنّسبة إلى الإنسان. هذا يعني فقط أنّ الواقع- البشريّ وجوديّ بطبعه، وعلاقته بالوجود هي القيمة الّتي تمنحه الحرّيّة. هذا ما يعبّر عنه هايدجير حين قال إنّ «الإنسان كائن الأبعاد». لكن علينا أن نفهم جيّدا أنّ هذا الوجود- القيمة الذي يشكّلنا كقيمة لآفاقنا، ليس أنت ولا أنا، ولا النّاس، ولا جوهري البشري (بالمعنى الّذي يقصده مذهب السّعادة الأرسطيّ)، إنّه الإرجاء الدّائم التّحرك جهة الواقع- البشريّ نفسه (دون تفاضل في الوقت نفسه بيني، وبينك، وبين الجميع)، يوجد الواقع البشريّ بتدبير من ذاته. وهذه الذّات بنوع وجودها الخاصّ (مثلما ينتظرها في المستقبل لكي تتحقّق من خلال حرّيتها) الذي هو قيمة. ليس هناك من قيمة للواقع- البشريّ سوى الواقع-البشريّ نفسه. والعالم هو

ما يفصل الواقع-البشريّ عن تصميمه. ليس هناك عالم بلا قيمة. الأخلاق شيء من اختصاص البشريّ، لا معنى لها إطلاقا بالنّسبة إلى الملائكة أو الله. يجب أن يكون الفرد منفصلا عن ذاته بواسطة عالم، يجب أن نريد، يجب أن نكون محدودين، لكي توجد المسألة الأخلاقيّة. لقد تحدّث كانط عن اليمامة الّتي تفكّر في التّحليق أعلى، وأنّه من الأفضل لو يقع إلغاء الهواء الّذي يشدّها. يطبّق الصورة من خلال الآستعمال التّصنيفيّ. هناك الكثير ممّا يقال حول هذه النّقطة. لكنّ الصّورة تستمدّ كلّ قوّتها حين نطبّقها على الأخلاق: يعتقد الإنسان أنّه بإمكانه أن يكون متخلّقا أكثر لو واساه الظّرف البشريّ، لو كان إلاها، لو كان ملاكا. لا يضع في حسابه أنّ الأخلاقية، مشروطة ببشريّته.

لكن إن كان الواقع- البشري نهاية ذاته، إن كانت الأخلاق هي القانون الّذي ينظّم من خلال العالم الصّلة بين الواقع - البشريّ ونفسه، سوف ينتج عن ذلك أوّلا أنّ الواقع-البشريّ غير مدين بأخلاقيّته إلّا لنفسه فقط. كتب دوستويفسكي: لو لم يكن الله موجودا، لكان كلّ شيء متاحا. هذا هو الخطأ الأكبر للتّعالي. إن كان الله موجودا أو غير موجود، فإنّ الأخلاق شأن بين النّاس فقط، ولا دخل لله فيه. بالعكس فإنّ وجود الأخلاق أبعد من أن تبرهن وجود الله، يبقى جانبا، لأنّه بنية شخصيّة للواقع- البشريّ. وينتج عنها بدرجة ثانية أنّه لتحديد تعليمات هذه الأخلاق، ليس هناك من طريقة إلّا بتحديد طبيعة الواقع- البشريّ. يجب الحذر هنا، أن لا نقع في الخطأ الّذي يتوجب اشتقاق القيمة من الحدث. لأنّ الواقع -البشريّ ليس حدثا.مكتبة .. سُر مَن قرأ

من وجهة النّظر الّتي تشغلنا فإنّ ميزة الواقع- البشريّ أنّه يعلّل نفسه بنفسه، دون أن يكون مؤسّسه الأصليّ. وما نسمّيه حريّته، هو لا شيء طالما أنّه لا يعلّل نفسه بالوجود. فلا شيء يمكن أن يحدث له من الخارج. ويتأتّى هذا من أنّ الواقع-البشريّ هو قبل كلّ شيء وعي، بمعنى أنّه لاشيء إن لم يكن وعي وجود. وهو يعلّل تفاعله الخاصّ مع الحدث بالخارج والحادث في داخله، إنّه هذا التّفاعل. بل هو لا يكتشف هذا العالم إلّا بمناسبة تفاعلاته الذّاتيّة. بهذا المعنى هو حرّ في أنّ تفاعلاته والطّريقة

الّتي يظهر له بها العالم يعودان بالنّظر له تماما. لكنّ الحرّيّة التّامّة لا يمكن أن توجد إلّا لوجود مؤسّس لنفسه، أي مسؤول عن افتعال نفسه. ليس الافتعال شيئا آخر إلّا إمكانيّة أن يوجد في العالم عند كلّ لحظة واقع-بشريّ. إنّه حدث، غير مُستنبط من أيّ شيء، كما هو، ولا يوصل إلى أيّ شيء. وعالم الأخلاق، الضّرورة والحرّيّة، كلّ هذا معلّق في هذا الحدث البدائيّ والعبثيّ. لو نعالج أيّ وعي مهما كان، لن نعثر بداخله على أيّ تابع. لكنّ حقيقة أن يكون هناك وعي يعلّل بنيته الخاصّة فهذا متعذّر تبسيطه وهو عبثيّ. كل وعي يتضمّن في داخله الوعي بأن يكون مسؤولا على نفسه ومسؤولا على أن لا يكون علَّة وجوده. ليس هذا الافتعال خارجا، ولكنّه ليس داخلا أيضا. ليست سلبيّة شيء مخلوق ومُسْنَد، لكن ليس أيضا الاستقلال التّام لفكرة أنّه سبب نفسه [باللّاتينيّة في الأصل]. لكن إذا اعتبرنا الأشياء بشكل أفضل، سوف نرى أنّ هذا الافتعال لا يعني أنّ الوعي يمتلك تأسيسه من شيء آخر غير نفسه، من الله مثلا - لأنّ كلّ تأسيس متعال للوعي يقتل الوعي بيديه نفسها، حين يتسبَّب فيه. ذلك، فقط، لأنّ الوعي يوجد دون تأسيس. إنّه شكل من العدم يختصّ به الوعي فقط، وهو ما نسمّيه المجّانية الدقيقة جدّا، غير المحسوسة، موجودة هنا، ممتدة على طول الوعي في اللّامكان وفي كل مكان. يمكن تشبيه هذه المجانية بسقطة في العالم، وتشبيه علل الوعي بشكل من التّسريع إلى درجة أنّ الحجرة حين تقع تكون حرّة في الاستسلام لنفسها. بلغة أخرى، إنّ سرعة السّقطة مرتبطة بالوعي وليس بالسّقطة نفسها. على مستوى المجّانيّة تندمج إمكانيّة الموت من أجل الوعي. ومن هذا المنطلق فهي ليست إحدى إمكانيّاته الأشدّ حميميّة، كما يدَّعي ذلك هايدجير. لكنّه ليس أيضا ممكنا من الخارج. موت الوعي والافتعال شيء واحد. ليس هناك وجود-من أجل- الموت بالمعنى الهادجيريّ، لكنّ كلّ وعي مرتعد بالعدم وبالموت، دون أن تمتلك حتّى القدرة على التّلفّت نحو هذا العدم لتتأمّله في وجهه.

البنية الخاصّة للوعي، هي أن يلقي بنفسه إلى الأمام في العالم للإفلات من هذه المجانيّة. لكنّها تلقي بنفسها بعزم منها لتكون في المستقبل تأسيسها الذّاتيّ. ونقول إنّ الواقع- البشريّ يوجد بتدبير ذاتيّ منه، وهذا يعود للقول إنّ الوعي يلقي بنفسه نحو

المستقبل ليكون تأسيسه الذّاتي. أي أنّ الذّات تعكس من وراء ذلك العالم، على الأفق، مايشبه مستقبلها نفسه، في تلميح حين تكون مستقبلا، ستكونه هذا المستقبل باعتبارها تأسيسها الذاتي لنفسها. هذا التلميح متعال وهومتأتّ من أنّ الوعي، الّذي هو حرّ بشكل أساسيّ من إمكانيّاته، هو تأسيس لوجوده القادم، دون أن يستطيع أن يكون تأسيسا لوجوده الحاضر. لقد رأينا الوجود القادم، دون أن يكون للوعي أيّ تعال مدرك حسّيّا. وجود قادم للوعي، لم يعد، في هذه الحال من الوعي. والنتيجة إنه نسبي لها. هذا ما نسمّيه إرادة. لوصفي هنا علاقة بما فعلته يومي الخميس 23والجمعة 24. ما يفلت من الوعي هنا، إنّه، حين يصبح هذا المستقبل حاضرا، هل سوف يكون تماما كما يجب أن يكون تماما، سيكون وعيا، وهو ما سوف يترتّب عنه أنّه سوف يستخرج علّته من نفسه، مرتعبا في الوقت نفسه من المجانية والعدم.

هكذا فإنّ القيمة الأوليّة والموضوع الأوّليّ للإرادة هو: أن تكون تأسيس نفسك. لا يجب انتظار هذا كما لو أنّها رغبة نفسيّة بلا جدوى، ولكن مثل بنية متعالية للواقع- البشري. هناك سقطة أصلية وجهد نحو الخلاص البشريّ بيد المسيح، وهذه السّقطة مع هذا الجهد يمثّلان الواقع- البشريّ. الواقع - البشريّ أخلاقيّ لأنّه يريد أن يكون تأسيس نفسه. والإنسان هو كائن الأبعاد، ذلك أنّه بقدر المستطاع، يكون تأسيس نفسه. الإنسان وجود يهرب في المستقبل. إنّه يبحث من خلال كلّ مؤسساته، لا على أن «يحافظ على نفسه» كما يقال عادة، أو أن يتناسل ولكن ليؤسّس نفسه. وفي نهاية كلّ محاولة ها هو يجد نفسه: مجّانيّا حدّ النّخاع. من هنا تكون هذه الخيبات الهائلة إثر كلّ جهد، أو انتصار، إثر الحبّ. من هنا جهد الخالق، والتّجلّي الأقل للرّغبة، وشعور التّملّك (في كلتا هاتين الحالتين: هناك ترحيل للأشياء: الشّيء المخلوق يمثّل رمزيّا الواقع- البشريّ المتأسّس على ذاته، والشّيء الممتلك يمثّل رمزيّا الواقع- البشريّ مملوكا من ذاته. الحبّ هو جهد الواقع-البشريّ ليكون تأسيس نفسه عند الآخر. من هنا الأصل العميق لإحساس الفرد أنّ له حقوقا: يتمثّل الحقّ في تغطية افتعال الواقع-البشري من خلال إدراكنا كموجودين-يوجدون-لأنّ-لنا- الحق-في- الوجود. لكنّ هذا الإدراك الذّاتيّ كموجودين بحقّ لا يمكن أن يتمّ إلّا بمناسبة أشياء

مخصوصة ندّعي من ورائها أنّ لنا عليها حقوقا.

هكذا فإن منبع كلّ قيمة هي القيمة المطلقة، هي جوهر الوجود أو طبيعته، بما هو تأسيس نفسه. هذا الجوهر يمثّل جزءا من الطّبيعة البشريّة لكن في حدود مشروع فقط، في حدود قيمة مؤسِّسة. ويختلف الواقع-البشريّ عن الوعي الصّافي في أنّه يعكس قيمة أمام ذاته: هو الوعي معلّلا نفسه في اتّجاه هذا الهدف.

الحياة هي الشّيء المتعالي والفيزيائيّ يبنيه الواقع البشريّ بحثا عن تأسيسه لنفسه. في الأثناء فإنّ البحث عن المطلق هو أيضا هرب إلى الأمام. تأسيس الجوهر للمستقبل، يعني الهرب من المجّانية المعطاة من الحاضر. يضيع الواقع البشريّ وهو يحاول أن يتأسّس. الحياة بالنّظر إلى سرّيّتها، ليست شموليّة سوى في الظاهر، ينخرها الموت بالمقلوب، الحقّ كذبة دنيئة. يُنكر الحبّ نفسه من خلال الغيرة أو هو مأخوذ باستحالة الوجود من أجل الآخر بما هو تأسيس للواقع- البشريّ. يظلّ الواقع- البشري سجين اختلاقه غير المبرّر، مع نفسه عند أفق بحثه، في كلّ مكان.

يحدث أن ينال منه الإرهاق فيتخلّص من عذاب الحرّية معتذرا عن اختلاقه، أي إنّه يحاول حجب حقيقة أنّه محكوم عليه بصفة متواصلة أن يكون علّة نفسه بما أنّه ليس تأسيس نفسه. يتخلّى، يجعل من نفسه مجرّد شيء، يتخلّى عن إمكانيّاته، فلن تكون أبدا إمكانيّاته الذّاتيّة. يدركها كإمكانيّات خارجية شبيهة بالأشياء. فالحرب مثلا قد بدت لكلّ واحد منّا في السّنة الماضية كإمكانية خارجيّة، تحرّر ميكانيكيّ يفلت من كلّ واقع-بشريّ مخصوص، كما تفلت ثنية السجادة من الكرية الّتي تدور فتوقفها. نسمّى هذه الحالة واقعا-بشريّا مهتزّا، لأنّه يحقّق نفسه كاهتزاز بين الإمكانيّات مثل قطعة خشب بين الأمواج.

غير أنّ هذه الحالة هي نفسها غير أصيلة. غير أنّ الواقع -البشريّ يحجب نفسه هنا لما ناله من إرهاق، بما أنّه محكوم عليه أن يعلّل نفسه بنفسه. ويعلّل نفسه ليحجب ذلك. يستقيل، يجعل من نفسه شيئا، لكنّه يحقق هذه الاستقالة. وهذه الاستقالة نفسها ليست سوى حلقة في مسلسل بحثه عن الجوهريّة. يستقيل للإفلات من إلزاميّة القيم، لتحقيق الجوهريّة بوسائل أخرى. سوف يرفض مثلا تحمّل تبعات

حدث بحجّة أنّه يرفض المبدأ الّذي يقوم عليه. من وجهة النّظر هذه فإنّ الشّخص الّذي يحمل وعيا مهزوزا هو بول حين قال لي ذلك اليوم: أنا جنديّ؟ إنّما أعتبر نفسي مدنيّا متنكّرا في زيّ جنديّ. سيكون الأمر ذا دلالة مهمّة لو أنّه لم يتصنّع أن يكون جنديّا، رغم أنّه، كذلك، بسبب رغباته، إدراكاته، انفعالاته. أن يكون جنديّا، يعني أنّه يضع في حسابه أوامر رؤسائه، ليطيعها، وبالتالي هو شريك بيديه تحملان البندقيّة، بساقيه، جنديّ في إدراكاته، انفعالاته ورغباته. يعاند أن يفلت ممّا يفعله وهو ما يلقي به في خضمّ حالة من الرّعب البائس والفاسد.

إنّها هذه الحالة من البؤس، الّتي يمكن أن تكون حافزا كي يعود الوعي إلى الرّؤية السّليمة لنفسه ويكفّ عن الهرب. لا يتعلّق الأمر بالنّسبة إلى هذا الوعي بالبحث عن قيمة أخرى غير الجوهريّة، وإلّا سوف يتوقّف عن أن يكون وعيا بشريّا. القيمة الّتي سوف تنسب له موقفه الجديد تظلّ قيمة نهائيّة: أن يكون تأسيس نفسه. لن يتوقّف أيضا عن إثبات هذه القيمة وأن يريدها وعيا إدراكيّا، بعد[280] هوسرل لا يتوقّف عن طرح العالم. إنّه في الاندفاع الأوّل نحو الجوهريّة يجهد الواقع-البشريّ حافز-القيمة ليستعيد نفسه. وبالفعل بإمكان الوعي المهتزّ، وبكلّ حرّيّة، أن يحقّق أصالته التّامّة جهده لتأسيس نفسه. وليس هذا فقط لأنّ الأصالة تصبح بالأساس قيمة متفوّقة على نقيضها، كما تصلح أيضًا جهدا رديئا وغير فعّال بتطهيره من كلّ الحركات. هكذا تصبح الأصالة قيمة لكن ليست قيمة أوليّة، تمنح نفسها كوسيلة لبلوغ الجوهريّة. تلغي ما في البحث من هرب. غير أنّ هذه الأصالة مقترحة فقط. فالوعي وحده يمكنه أن يعلّل بالقيام بالتّحوّل.

ما هو هذا التّحوّل؟ البحث عن تأسيس متطلّب لتحمّل تبعات ما نؤسسه. فلئن كان فعل التّأسيس سابقا عن الموجود الّذي نؤسّسه، كما هو الحال في فعل الخلق فمن باب أولى أن يستمرّ الصّعود في فعل التأسيس. لكن، إن تعلّق الأمر، كما هو الحال فيما يشغلنا الآن، بجهد تأسيس ما هو موجود فلا بدّ أن يستبق الصّعود التأسيس، مثلما

---

280. معلقة ("وُضِعت بين قوسين "عند هوسرل) الدفتر1الصفحة113التدوينة2.

يكشف حدس ما نؤسسه. وفي جميع الأحوال، فإنّ تحمّل التّبعات لا يعني إطلاقا القبول، رغم أنّهما في حالات أخرى يتماشيان معا. حين أتحمّل تبعات أيّ شيء، يكون تحمّلي للقيام بشيء معطى لما أتحمّله. هنا، أتحمّل من أجل التّأسيس. رغم أنّ تحمّل التّبعات يعني وضع الأمر في الحساب، المطالبة بالمسؤوليّة. لهذا فإنّ التّحوّل المتصاعد الّذي يقدّم نفسه كقيمة من أجل الوعي ليس شيئا آخر سوى حدس الإرادة الّذي يتمثّل لوضع الواقع البشري ضمن حسابه. من خلال هذه الاستعادة يصبح الواقع-البشريّ مكشوفا لنفسه في وضع تفهّم غير مدروس. والواقع -البشريّ مكشوف ليس لأنّنا نعرفه من خلال مفاهيم، ولكن لأنّه مُراد.

لكن حين يقدّم الصّعود نفسه باعتباره قيمة أصالة، فذلك يعني أنّ وجوده قبليّ. لا تلزم القيمة عموما، الحرّيّة البشريّة، إلّا بالقيام بما هي بصدد فعله. يعلّل الوعي نفسه بنفسه، هو حرّ إلّا في اكتساب حريّة أن لا يكون حرّا. لقد رأينا أنّه لا يتخلّى عن إمكانيّاته إلّا بعد اكتسابه لإمكانيّات أخرى. بإمكانه أن يتحقّق بشكل حرّ شبيه بالأشياء، لكنّه لا يمكن أن يكون شيئا. كلّ ما يحدث له يحدث له من خلاله، إنّه قانون الحرّيّة. لذلك فإنّ الصّعود الأوّل الّذي يمكنه، بل يجب عليه أن يحقّق الواقع-البشريّ من خلال الالتفات إلى نفسه، هو صعود حريّته. نتذكّر بالفعل أنّ الوعي المهتزّ كان وعيا يعتذر عن افتعاليّته. لكن يجب معرفة أن لا دخل للافتعال هنا. إنّ الافتعال هو ما رمى بي هنا في هذه الحرب. لكن ما هي الحرب بالنّسبة إليّ، الوجه الّذي سوف تكشف لي عنه، ما الّذي سوف أكونه أنا نفسي في الحرب، كلّ هذا سوف أكون إزاءه بشكل حرّ وسوف أكون مسؤولا عنه. هناك شيء لا يُحتمل هنا، لكن لا يمكن التّشكّي منه بما أنّه زئبقيّ. هكذا أنا مجبر على تحمّل ما يحدث لي. وهو ما أتاح لي ولادة المفهوم الدّينيّ للاختبار الّذي أرسلته لي السّماء. لكن برفضي للاعتذار وتحمّل تبعات حرّيّتي فإنّني أمتلكه. إنّني أتحمّل تبعات كلّ حماقاتي، كلّ حالات جبني، كلّ أكاذيبي. ليس كما يقول القدّيس: إنّه لكثير ياإلهي، إنّه لكثير. غير أنّه دائما لا شيء كثير. ففي اللّحظة الّتي أستسلم فيها، و يسطو عليَّ الجسد، حين أعترف في خضم آلامي الجسديّة أنّني أريد أن أحافظ على السّرّ؛ فإنّه من خلال أنا نفسي، من خلال

الوعي الحرّ لألمي أقرّر أن أعترف. يقول جول رومان إنّ المهزوم في الحروب القديمة يقرّر هو نفسه أنّه مهزوم (ذلك أنّها لم تكن حربا شاملة، ومازال المهزوم يمتلك الموارد والرّجال والأسلحة والثّروات). إذا وبموازاة هذا، فأنا دائما من يتوجّب عليه تحمّل مسؤوليّة اعترافي بهزيمتي أو التّوقّف، أنا الّذي قرّرت أنّني لن أستطيع المضيّ أبعد، وكان يمكنني أن أمضي إلى ما هو أبعد. لكن في الأخير إن اعترفت ولم أقدّم أيّ اعتذار، سوف تصبح حرّيّتي ملكي، أتحمّل دائما هذه المسؤولية المرعبة.(281)

تصاعديّة حرّيّتي يجب أن تكون مرفوقة بتصاعديّة افتعاليّتي. أي أنّه يجب عليَّ أن أريدها دونما شكّ، أريد من أجل تأسيسها. لكن سنرى ماذا سوف يكون مصيرها. ما معنى إرادة افتعاليّته؟ ذلك يعني أن نعترف أوّلا أنّنا بلا حقوق ولا اعتذارات. لا أعترف بأيّ حقّ أن يحدث لي شيء ما لمّا يحدث. وهنا أيضا، لست أفعل سوى أن أريد ما هو موجود، كلّ ما يحدث لي هو أسلوب مزدوج: فمن جهة هو معطى لي بفضل افتعاليّتي ومجّانيّتي – ومهما كان فهو أكثر بالنّسبة إلى ما هو لي، بما أنّ وجودي في حدّ ذاته معطى – ومن جهة ثانية، فإنّي مسؤول عن ذلك بما أعلّل نفسي بنفسي من أجل اكتشافه، كما أخطأته في الأعلى. والنّتيجة أن ليس لي أيّ حقّ أن لا يحدث لي هذا إطلاقا. ومثال ذلك الحرب.(282)

281. يمكن تلخيص جوهر تصوره للحرية كما يعرضه سارتر في الوجود والعدم في هه الصفحات. سوف نلاحظ إنه لم يعتمد إلى الان مصطلح من أجل- الذات للإشارة إلى وجودالوعي (الذي ليس له في ذاته تأسيسه الخاص) ولا المعارضة في الذات/ من اجل الذات (وجود الكائن / وجوود الوعي) لا يبدو له الالتفاف من خلال سؤال الوجود ضروريا حين يسأل نفسه عن إمكانية الأخلاق. لا يتطلب الأمر سوى تحديد شروط أي تصرف بشري. لنشير في الأثناء إنه وهو ينسخ لدي بوفوار (مع تحويرات أخرى) جزءا مما كتبه هنا، يعوض " هكذا إن القيمة الأولية المؤسسة للطبيعة- البشرية هي منبع كل القيم، ان-يكون-موجودا-من أجل- ذاته-تأسيسه – الخاص" (رسا له للكاستور 9ديسمبر).

282. الدفتر لارابع مفقود (من 8إلى 16ديسمبر).

الدّفتر الخامس

ديسمبر 1939

مورسبرون.

. .. ولقد حكّكنا الرأس قليلا. يتعلّق الأمر أساسا بالنّوم، والأكل وعدم الشّعور بالبرد. فقط. وما من سبيل إلى غير ذلك... كلّ ما كنت قد تخيّلته من خلال القصص والكتب، أقلّ ممّا يحدث في الواقع. إنّما نحن بالضّبط حيوانات. ما لا يمكن تصديقه.

أسعى لمواصلة الكتابة في يوميّاتي كلّما كان ذلك ممكنا، وليس الأمر متاحا في كلّ الأحوال، وإذا فاتنب أن أدوّن أمرا، فأنا على يقين من بقائه حيّا في الذّاطرة، فلا شيء ينسى، ممّا أعاينه، أو أفعله.

«حين أفكر أنّ هناك أناسا في هذه اللّحظة نفسها، في المقاهي، في المطاعم، يعيشون مدنيّتهم بامتلاء، في تمام أناقتهم، وأنّهم يستعدّون للذّهاب إلى النّوم، في فراش وفير، لست أحسدهم على ذلك، ولكنّ مجرّد تصوّره، يجعلني أضحك، فخيالي لا يسعفني أن أتمثّل الأمر، حقيقة ملموسة، فحتّى لو اقترح عليّ أن أعيش دعتهم، ورفاههم، بشيء من السّحر، فإنّني سأقبل لكن دون مبالاة، أو حماس، فلم يحدث لي أن كنت يوما في وضعيّة مماثلة[283].»

---

283. رسالة من جاك-لورين بوست (مجند) إلى سيمون ديبوفوار وهذه الأخيرة أرسلتها إلىسارتر يوم 11ديسمبر. حيّرت هذه الرسالة سارتر الذي بدا لأه بوست شبحا " في لامكان وضائع"، لم يكن سارتر

الأحد 1

شفتا بياتر متيبّستان منذ خمسة عشر يوما، بسبب حمّى خفيفة من التّخمة أو هكذا خُيِّل له. يرضك بهما بلسانه كامل اليوم ليبلّلهما قليلا. على الأقل كان هذا هو السّبب في البداية. لكن شيئا فشيئا، أصبح الأمر عادة عنده وتحوّل عند بياتر إلى فسق حقيقيّ. فهو يلحس شفتيه الآن ليلمس نفسه، كما يتلامس الصّبية الصّغار عبر الديوب، يمنح نفسه هذا الاتّصال المخاطيّ الرّقيق مثل مصنع سُكَّر. وهو يستمع إليك، متّخذا مظهرا خفيّا وشهوانيّا، مقدما شفته العليا في شكل مزراب، ساحبا شفته السفلى داخل فمه، مثل راش يستدرج صبية صغيرة إلى بيته، يمتصّها، يرتشفها، ولكي تستجيب لندائه تنتفخ وتنغرز داخل الفم هائلة ومتورّمة –وهناك – الله وحده يعلم ماذا يحدث له هناك، ألسنة ومداعبات مقشعرة، وهناك يعضعضها قليلا، غير أنّني أعتقد أنّ أهمّ المتع، الشّهوة الأشدّ بدائيّة هي، ذلك الخدر اللّذيذ الّذي يحصل من وضع المُخاط العاري، المنشيّ على مُخاط آخر مثل وضع تينة جافّة فوق أخرى – وتمرّ اللّذة من مُخاط إلى آخر، مثل زيت ثقيل بمفعول التناضج، وحتّى يكتمل الالتذاذ لابدّ أن يكون مصحوبا بصوت. يجعل بياتر نفسه محاطا بحشد من الأصوات الخافتة، الجافّة أو الرّخوة، الميلوديّة أو نحيبيّة أو مبحوحة شيئا مّا، إنّها مثل تلك الأغنية الأبديّة والملائكيّة لصوت مستسلم لنفسه. وأثناء استمنائه بشفته يصدر آلاف الاصطفاقات الدّبقة، يستحضر رضاعات جشعة، لعاقات، ميام –ميام لرضيع، لهاثات ذكر أثناء الجماع وحشرجات مفعمة لنساء، ثمّ تعود الشّفة للإطلالة من جديد فاحشة ورخوة، ملتمعة بالرّيق، متدلّية قليلا، ضخمة أنثويّة، مرهقة من السّعادة. يرعبني حين أراه يفعل ذلك، حين أرى على وجهه هذا المظهر الخفيّ والمتغنّج لطفل فاسد ومتدلّل، يرعبني بعمقه العضويّ والصّبيانيّ لنرجسيّته. بل إنّه بممارسة هذا اللّعب الصّغير كسب حبّة ضخمة ممتقعة ملتمعة على قاعدة شفته السّفلى، وهاهو هذا الصّباح بائس تماما. مازال يلحس شفته قليلا، لأنّه عاجز تماما أن يسيطر على نفسه

يتفق مع بوست في نفس الرأي: عدم اهتمام الشاب بالحياة المدنية لم يكن لم يكن حسب رأيه سوى قفا اهتمام عظيم بحياته الجديدة.

ويكبح جشعه بكثير من الحذر ودونها متعة.

استدعى بيار رفيقا له، التقى به صدفة، كان على سفر بغاية التّجارة، وهو يقيم على بعد ثلاثة كيلومترات من هنا. إنّه صيّاد وليس الأمر بمستغرب حيث يوجد. حين غادرنا بياتر، للحظة قال لي هذا الرّجل بثقة تامّة جعلته يخفض صوته بثلاث نبرات: آه أبوه كان نورا! أمّا هو! فهو ذكاء! حدّق من خلال نظرة متضايقة تطالبني أن أبدي إعجابي بالقوّة، وكنت سوف أفعل ذلك بالتّأكيد، لو كنت عرفت والد بياتر. لكن ما العمل؟ قلت: نعم، نعم، لقد قال لي ذلك. .. محمّلا صوتي الكثير من الاحترام بخصوص رأيه في بياتر. غير أنّ هذا لم يكن كافيا. إد واصل الرّجل حديثه قائلا: يمكنك أن تطرح عليه أيّ سؤال فلديه طريقة للإرضاء، لم أعرفها عند أيّ شخص آخر غيره. وهو على أيّة حال، الرّجل الوحيد الّذي عرفته، إنّه هرقل. هل رأيت، انظر إلى هذه الطّاولة، بإمكانه أن يهشّمها بقبضته. ويمكنه أن يطرق حائطا، لقد رأيت ذلك بأمّ عينيّ، كنت وقتها صبيّا بعد، رأيته يضرب جدارا، ورأيت الجدار ينهار!

أحبّ تخيّل هذا الأب الأسطوريّ، من خلال ابنه، هذا الملاك الضّخم الجشع. فهو بولونيّ عمل بالجيش الرّوسيّ، وخلال 1889 كان جنديّا في سوتنيا [مصطلح عسكريّ سلافي يعني فيلقا من 100إلى 150جنديا]، لطمه ملازم قبل مغادرته للجيش بشهر، فما كان من أب بياتر إلّا أن لكمه، وتركه مطروحا على الأرض. تكفّل مجلس الحرب بالنّظر في القضيّة، غير أنّ الطّبيب العسكريّ الّذي اتّخذ من الأب بياتر صديقا، قال له: كلّ ما يمكنني أن أقوله لك أيّها الأحمق البائس، أنّني استنتجت أنّ طبل الأذن قد أتلف، بسبب لطمة الملازم، وحملك الألم الشّديد، على أن تردّ الفعل بغضب جنونيّ. عاد الأب إلى غرفته سكب رح الملح في أذنه. وكانت النتيجة أن حفظت السّلطات العسكريّة القضيّة، وتمّ تسريح الأب بمنحة. استقرّ بعد ذلك في باريس سنة 1900 أمّا عزيزي بياتر فلقد ولد سنة 1902. أقامت عائلة البياتر نهج الروزييه، أمّا الصّغير فيرتاد مدرسة ساحة دي فوزج؛ كان زملاؤه في المدرسة أشدّاء يحلمون بالذّهاب للرّقص بنهج ذي لاب، بعد الدّوام، وللسّيطرة على البنات الخاضعات. كان بياتر يتحدّث بتلقائية ويقول: آه نهج دي لاب، لم يعد الآن كما هو،

قديما كان حقيقيّا فعلا... وغالبا ما يقوم بالحراسة مقابل فلسين، بينما يؤدّي زعماء الباستيل الكبار الفارو في الحديقة العموميّة، يلفّون سيقانهم بأغطية من شدّة البرد. جاءت الحرب فاختفى هؤلاء التينور شيئا فشيئا، وأصبح زملاء بياتر يتشبّهون بالرّجال الكبار؛ والأكبر سنّا فيهم كانوا يُشغِّلون امرأة أو اثنتين تحت إمرتهم. ظلّ بياتر يتبعهم إلى المواخير حيث يتدرّبون على الكلام بصوت عال. من حين لآخر تحدث شجارات بينهم. كان كلّ هذا، يُجمِّل لي في البداية هذا الجسد القويّ بشاعرية لا يستحقّها إطلاقا. فهو أوّلا من بولونيا والمصير الشبيه بمصير اليهودي «ب»[284] واليهوديّ «بياتركوفسكي». تشابهت المصائر لكن بمستويات مختلفة. تخلى ب عن المواصلة وغادر فيبان ليلتحق بقريب له صائغيّ بباريس، وحين توفّي هذا الأخير تولّى مع إخوته إدارة محلّ المجوهرات. أما بياتركوفسكي فقد أقام بنهج دير وزييه وارتقى بصعوبة في الأعمال التّجاريّة، انتقل بعد ذلك ليستقرّ بنهج فوبوغ -دي-تومبل. ثمّة هنا قدر مّا، يهوديّ وبولونيّ، أحسست به من خلال بيانكا، وأثارني عند بياتر. ففي البداية، حين كنّا نعتقد أنّ الحرب جادّة. كان بياتر الحذر كعادته يردّد قائلا: اسمي بياتركوفسكي، لكن بودّي أن تنادوني بياتر، فإن وقعت أسيرا عند الألمان واكتشفوا اسمي البولونيّ، سوف يذبحونني فورا. كما إنّي أحسّ من حوله شاعريّة يتميّز بها حيّ في باريس أحّبه، كما لو أجمل مكان في العالم. لا أذكر عدد المرّات الّتي تسكّعت فيها مع الكاستور، مع فاندا، مع أولغا، مع بيانكا، مع الفتى بوست، في نهج دي فرانك-بورجوا، في نهج فييبو دي تومبل، في نهج دي ريفولي، خلف معهد شارلماني، في نهج دير وزييه. أحمل مئات الذّكريات، قهوة صغيرة معتمة، بنهج دير وزييه، قبالة بائع يعرض بضاعته من الأمتعة العتيقة في الهواء الطّلق، حيث كنت أحتسي الروم مع فاندا، أو ظهيرة صيف ثقيلة أتفسّح خلالها عائدا من لاون، مع أولغا، في تلك الأنهج الضّيّقة المظلمة لمّا كانت مشاعري نحوها حيّة، لم تنطفيء بعد. وذات 14 جويلية، لا أعرف أيّ أمسية قاتلة بالضّجر صحبة ف، أين اكتشفت غير بعيد عن نهج روزييه ممرّا ساحرا مغطّى، توقفت عند جانبيه سيّارات الفصول الأربعة. كلّ هذا أحاط

284. المقصود به أب بيانكا وقد استوحي منه سارتر شخصية ميم بيرنانشارتز في روايته الإرجاء.

عندي بياتر بهالة - كم كنت قد ظلمته! - إضافة إلى أنّه كان محاطا في نظري بهذه الهالة، لأنّه أقام بهذا الحي الجميل الّذي كنت مجرّد سائح فيه، وأقام فيه يهوديّا بين اليهود، وغد من أولئك الأوغاد الصّغار الّذين يتسكّعون نواحي ديبون دو لا باستيل، فهناك شيء آخر أعمق، أكثر سرّيّة: كانت مراهقته مرتبطة بباريس الشّاعريّة والعجيبة لحرب 1914، باريس الّتي هي في حالة ترقّب، فما قبل الحرب، شبيه بما بعدها، حيث الضّغوطات من كلّ جهة، وحيث الرّعب، كانت باريس أشبه ما تكون بغاز مبرّد ومضغوط، تكفي ضغطة مكبس ليتحوّل إلى سائل. ومن الضّروريّ في هذا السّياق أن أعترف بكلفي وإعجابي بالغازات وتحوّلاتها الكيميائيّة، منذ المرحلة الثّانويّة، بدت لي تلك العوالم مذهلة، وكنت أطرب لأحاديثهم، عن بعض الحالات الّتي تكون عليها هذه الغازات، لا مرئيّة، مخفيّة بالعوارض الصّلبة لجسم المكبس، فلا هي صلبة ولا هي سائلة، إنّها في حالة وسيط. بدا لي هذا عجيبا ومضلّلا، مثيرا للذّهن. بدا لي شبيها بمخطّط ثقافي للالتباس، الّذي يثير استنكار النّسقيّ (رغم أنّني نسقيّ)، هذا الالتباس الّذي يستنجد به هايدجير ضدّ هيجل، لقد أمكن لي من خلال التّجربة الفيزيائيّة أن أقف على فكرة الحالات الملتبسة. إنّ باريس الحرب السّابقة بدأت تظهر لي حديثا شاعريّة، وبالأساس حين بدأت تلتمع من خلال نارها الكئيبة بين حقبتين ميّتتين 1900-1914و1918-1939، وحين تعلّمت أن أحلم قليلا من الخلف فإنّما للإفلات لحظة من ضغط القدام. لقد بدا لي في التباسه تحفة صغيرة معتمة سهرانة، ويجب أن أقول إنّ بياتر ساهم بشكل كبير في الكشف لي عن سحرها، فقصصه عنها يُشعِّث شعرها مثل مبنى كبير غامض متروك للصّبية الشّرّيرين. لقد حدّثني عن أرامل الحرب اللّواتي يمارسن البغاء في ثياب الحداد، غير أنّ ذلك بقي بالنّسبة إليّ حدثا تاريخيّا أدبيّا، مجرّد علامة من علامات السّلوكيّات. لكنّ بياتر فقد عذريّته مع امرأة منهنّ. سلَّم صندوقا إلى أحد الحرفاء ومضى ينتظر الحافلة في جهة مّا من نواحي كليشي، وكانت هذه المرأة تنتظره بدورها. صعدا معا شارعا حزينا، مظلما وطويلا في مونمارتر، وكانت تتفوّه بأحاديث سوقيّة وجنسيّة. منحته نفسها في غرفة أحد النزل مقابل مائة فلس، غير أنّها رغبت في أن يبقى معها ملتصقا بها وهي تردّد

قائلة: ابق، ابق، أمّا هو فكان يرغب في الذّهاب. لم يكن يعرف هل كانت تبحث عن الحنان والمتعة بدرجة أولى، مع القليل من الفائدة الماليّة، أم أنّها كانت واحدة من أولئك الخبيرات الإيروتيكيّات الحزينات. هكذا، استفاد من كلّ شيء، من هذه الذّكريات، ومن هذه الأجواء. رأيت صورة له قديمة – عندما كان عمره عشرين سنة- وهو يجلس في زورق على شاطئ البحر، هزيلا وجميلا بعينين مخمليّتين جميلتين وجفون ثقيلة بأهداب امرأة. يتّصف بالشّجار والعنف. حين بلغ العشرين من عمره حصل على الكثير من الأموال وهذا أمر كلاسيكيّ، يتناسب تماما مع ظروف ما بعد الحرب – يقول: كنت فيما مضى ثريّا. سيّارة، نساء، كما أصيب بالتّعقيبة [مرض يصيب العضو الجنسيّ] ويتذكّر ذلك من حين لآخر. أعتقد أنّه يبالغ أحيانا في سرد مغامراته السّابقة. ولكن من الضّروريّ أن أتساءل، عن الأسباب الّتي حوّلته، إلى كائن برقّة جشعة، وبتحسّس استمنائيّ، وبهذه اللّا أصالة المتطرفة –الاشتراكية.

لقد سبق أن ذكرت في الدّفتر الثّالث أنّني سأدقّق في وصف نفسي، أثناء انهماكها بفعل مّا، ولا أدري ما إذا كان الظّرف مناسبا للقيام بهذا الأمر، لأنّني مازلت أرى من حولي أشياء صغيرة، تعيقني، شبيهة بتلك الأشياء الّتي تتحوّل بين يدي مكانس ساحرات، تنمّي في داخلي لذائد أوّليّة، تهيّجني، وتنسف كلّ خططي. ليست الأشياء بالنّسبة إليّ آلات ولا هي كائنات حيّة، وإنّما هي أشياء معطّلة، تحتفظ في سلوكيّاتها، بشيء من الذّهن الماكر، ولكنّها تحجب هذه الإرادة السّحريّة، من خلال تصنّع عنيد، ولطالما لازمت حذري منها، ففيها ما هو مضحك دائما، ديدنها أن تتبعثر كلّما سعيت إلى جمعها، وإذا أملت عنايتي إلى تفصيلة، باغتني الكلّ، وإذا أقدمت على أيّ تغيير لعنصر من العناصر، تجلّى على الكلّ، خارج كلّ توقّع. إنّ ما رغبت اليوم أن أشير إليه، ليس بعيدا عن منطق الفعل، إنّه الطّريقة الّتي أكون من خلالها وفيّا لقرار اتّخذته، ومثال ذلك أنّه يمكنني القول عموما إنّني كنت وفيّا بالأمس وكذلك اليوم، لقراري أن أتناول وجبة أكل واحدة في اليوم، وأن لا أتناول الخبز وأن لا أشرب. غير أنّ النّظر إلى هذا الانتصار عن قرب يفكّكه إلى هزائم صغيرة متميّزة، كما هو الشّأن بالنّسبة إلى المعارك الّتي حين يتمّ النّظر إليها عن قرب، فهي دائما هزائم بالنّسبة إلى

المنتصر. فما إن اتّخذت القرار، وجدتني أردفه باستثناء، مداره أن أتناول القليل من الخبز عند فطور الصّباح، إدراكا منّي لعدم قدرتني أن ألتزم بما ألزمت به نفسي. حين نريد اتّخاذ قرار مّا، لا بدّ من القيام بجولة من حولنا، وتفقّد إمكانيّاتنا. فمنها ما هو صلب مثل صخرة ويجب تدويرها، ومنها ما قد تشكّل كتلا رخوة لزجة، ولا بدّ هنا من القيام بجهد، فهذه الإمكانيّات لا بدّ من تقويتها. فطور الصّباح عندي بمثابة صخرة. بالنسبة إلى وجبة منتصف النّهار فيمكنني الاستغناء عنها، بشكل جزئيّ، أو كامل، كأن أكتفي ببعض الخبز، أو بالسّلطة دون خبز، أو أن أظلّ صائما ليوم أو يومين. كما أنّه يمكنني أن أظلّ ليلة أو ليلتين دون نوم. عندما كنت مغرما بأولغا عادة ما كنت أظلّ واقفا لأكثر من أربعين ساعة. لكنّني أجد صعوبة كبيرة في التّخلّي عن فطور الصّباح. لا أعرف لماذا، هي ساعة أكون فيها بدائيّا وسيّئ النّيّة، أريد أن اكون فيها وحدي مع نفسي، لكن لا بدّ لي من مبرّر لذلك، المبرّر هو قدح القهوة، والخبز المطليّ بالزّبدة. أشعر كلّما حظيت بهما، أنّني في السّماء، أشعر أنّني طيّب وشاعريّ. لا أحبّ الرّفقة في تلك اللّحظة. بل إنّني أحتمل الكاستور بصعوبة. يحدث لي حين كانت تنتظرني في الرالي، أن أدخل قهوة الترو موسكيتار وأبتلعها مع الكرواسن لكي أغنم بلحظة مع نفسي وأحلام الليل. تكون فكرتي في تلك اللّحظات حيويّة لطيفة، فأحكي لي قصصا، أعثر على أفكار. يوم يبتديء بإفطار جيّد هو يوم باذخ. وحين بدأت في السّنوات الأخيرة أستفيق عند السّاعة الحادية عشرة، لأنّني نمت الرّابعة صباحا، أفضّل تناول قهوتين في اليوم وكرواسن على أن أنتظر ساعة أخرى وأتناول اللّحم. أتخيّل أنّها طريقة لإطالة الصّباح. حتّى هذه الأيّام الأخيرة، أريد أن أحصل على صباحي. في بروماث عذّبت بول النّوّام الكبير، بضبط المنبّه على السّادسة صباحا، بينما من المفروض أن نستفيق السّابعة، من أجل متعتي الوحيدة أن أذهب على درّاجة هوائيّة، وسط البرد، وأتناول قطعتي خبز ممتلئتين وأشرب عصير هندباء في حانة لاروز، كم كانت لحظة ساحرة. يأتي ميستلر في نهايتها ليدخل الاضطراب عليها بالحديث عن هايدجير. شعرت وقتها بقرصة في القلب لّما أدركت أنّ هذا الإفطار الصّباحيّ فسد. إذ يجب أن يكون مصنوعا من قهوة وخبز أو (كرواسن). كم

أصرّت فاندا دون جدوى، أن أتناول عوضا عن ذلك شايا وغلالا. كنت أفضّل أن أسبقها صباحا إلى لقهوة البوست، جادة روششوار وألتهم كرواسن خفيّة.

(إنّني أتحدث عن هذا بشيء من الرّضا. أشعر أنّني مضحك قليلا وودود شيئا مّا، كنت استمتع بنفسي). باختصار؛ هزيمة صغيرة أولى. أذكّر أنّ تعسّفية قرارتي شيئا آخر تماما. أقف كلّ الخمس أو الأربعة أشهر أمام المرآة لرؤية كرشي وأتأسّف. قرّرت في تلك اللّحظة أن أتّبع حمية قاسية عصيّة عن التّحمّل. انتابني الذّعر من أن أصبح بدينا متأخّرا: حين عدت من ألمانيا كنت بوذا صغيرا. يشد غيي بطني بكلتا يديه من خلال صدريّتي الصّوفيّة كي يبرز لمدام موريل أنّني كنت محروما تماما، وكنت أضحك بارتياح فلم يكن يضايقني على الإطلاق أن أكون سمينا. لكن حين عرفت أولغا، اعتبرت البدينين مرعبين وبدأت أخاف أن أصبح البدين الأصلع القصير. للحقّ كان يمكن أن أنتبه لذلك لو كنت أراقب نفسي، غير أنّني لم أكن أفعل ذلك. لقد ترجّتني تلك السّيّدة والكاستور أن أتّبع حمية معتدلة ومتواصلة. غير أنّني لا أستطيع أن أراقبني دون ضعف – كما أنّني مستعجل للاطّلاع على تأثيرات حميتي. لذلك أختار دائما الجهة الأقصى، وأفضّل أن أتعذّب قليلا، إذ يتراءى لى أنّني أشعر بتطوّر هزالي من خلال احتجاجات معدتي. وبطبيعة الحال فإن ضغطت قليلا على نفسي بشكل قاس، يسود عندي انطباع أنّني سيّد نفسي، وأنّني حرّ. قالت لي مدام موريل مرّة: «أنت تحبّ أن تتقوّى على نفسك لتفعل ما لا رغبة لك فيه». أجل إنّه أمر مؤكّد، لا أنكره، شهر من الإرغام، وأنا أتملّاني في المرآة، طامعا في رصد التّطوّرات، أراقب وزني في تلك الموازين الأوتوماتيكيّة التي يضعها الصيادلة أمام أبواب صيدليّاتهم، فإذا بدا لي أنّني قد بلغت النّتيجة المأمولة، أعود لممارسة حياتي العادية غير مبال، منقطعا عن مرآتي، ضاربا عرض الحائط بكلّ الحميات، إلى أن لاحظت بما يدعو للاستنفار، أنّني قد بدأت أسمن، بشكل أكثر من ملحوظ، لقد تقدّمت بطني بشكل مفزع، لأهتمّ لأمرها مفكّرا بجدّيّة فيما يجب عليّ اتّخاذه من إجراءات، للحدّ من انتفاخها. هناك ضعف في القرار نفسه، في قساوة هذا القرار، في تطرّفه. ومن الجدير الإشارة إلى أنّني قد دوّنته هنا كي أعلن عنه، كما أفعل ذلك في العادة، ليس من

قبيل التبجّح لكن لقطع الجسور وللالتزام به أكثر. بل هناك خلفي مخطط تخيللي، وهو أنّني عادة ما التزم بتنفيذ قراراتي إلى أقصى حدّ: إنّه لذعر مقدّس من أولئك الّذين يقرّرون فجأ التّوقّف عن التدخين لمدة ثلاثة أشهر، وما أن ينقضي يوم أو اثنتان حتّى يعودون بسرعة، أيّ جهد مهدور! لقد عبر عن ذلك بشكل جيّد سينكلير لويس في بابيت[285] وقد أصبح بابيت بالنّسبة إليّ نموذج معبّر عن هؤلاء الجبناء. ما أريد أن أظهره هنا أنّني في طريقتي في التّعامل مع قراراتي، لا أختلف عن هؤلاء في طريقة استسلامهم.

إذا مضيت لتناول فطور الصّباح وحدي في مطعم المحطّة، وبما أنّ قراري مازال حديثا يطفو على السّطح، احتفظت بنوع من القناعة العميقة والسّعيدة غير المؤطّرة، أنّني سوف أتناول فطور صباح شهيّا دون إكراهات. أشرب وآكل حسب رغبتي. ما إن وصلت إلى هناك، تذكّرت ما عاهدت به نفسي هذا الصّباح، قبل أن أخرج وبدا لي الأمر استحالة منطقيّة. قلت في نفسي: آه؛ لقد نسيت أنّني لا يجب أن أشرب ولا أن آكل خبزا. في نفس تلك الحالة الّتي نكون عليها حين نقول لأنفسنا: نسيت أنّ فلانا (الذي ذهبت لزيارته) لا يكون في بيته عادة يوم الإثنين. فورا وبشكل طبيعيّ جدّا لأنّني أعتبر هذا القرار استحالة منطقيّة من خلال إيماني السّاذج، بحثت عن الوسائل الّتي تساعدني على الانقلاب عليه – تماما مثلما نبحث بعد أن نتذكّر أنّ فلانا ليس في بيته عادة يوم الاثنين، عن وسائل الاتّصال به: في مكتبه، عند أهله، الخ. لم يأخذ منّي هذا التّفكير أكثر من ثانية واحدة؛ اكتشفت على إثرها مباشرة ما هو أخطر بكثير وأشدّ رعبا: الغياب التّامّ للمنطقيّة في هذا القرار. لئن كان كيركيغارد على حقّ حين عرّف القلق بأنّه دوار الحرّيّة، فليس دونها رعب قليل اكتشفته مرّة أخرى بالأمس صباحا، من أنّني كنت حرّا تماما في رفض قطعة الخبز الّتي وضعتها النّادلة قدّامي على الطّاولة وحرّا لوضع القطعة في فمي أيضا. لا شيء في العالم قد يمنعني من فعل ذلك ولا أنا. لأنّ المقاطعة لا تعني الامتناع عن، فالمقاطعة هي ببساطة الاختلاف عن، البقاء معلّقا، النّظر دون انتباه لإمكانيّات أخرى. في فكرة الامتناع عن، هناك صورة

---

285. منشورات ستوك ديلامان وبوتيلو تقديم بول مران 1930.

الذّراع الغليظة الّتي توقف ذراعي. غير أنّني لا أتوفر على ذراع كابحة، لا أستطيع ترويض نفسي، ففي داخلي حواجز بيني وبين إمكانيّاتي- فذلك يعني التّنازل عن حرّيّتي ولا أستطيع القيام بذلك. كل ما يتبقّى لي هو إمكانية ترقيق داخليّ لحريّتي ينهشها الدّاخل حتّى تنهار وتتشكّل مجدّدا في مكان أبعد باتّجاه شيء أخر ممكن. بشكل يجعل من وفائي للقرارات المتّخذة، وفاء غير محدود. لقد كانت طريقة ماكرة لإدماج الخمول برغبتي في أكل الخبز، طريقة مّا لأقول لنفسي بشكل رخو: أوه! هل يتطلّب الأمر كلّ هذا العناء لآكل خبزا! هل أنّني أرغب فيه بالفعل! هل سوف يمتعني كثيرا إلى درجة أنّني لن أندم على خرق عهدي؟ ها أنا ذا الآن بصدد الإفطار، طريّ على غير المعتاد مع انطباع سيّئ أنّني في شكل ضعيف بالمعنى الذي قصده كوهلر)[286] وأنّني جزء من كلّ مفتوح، بلا توازن. وأمّا ما ساعدني على تجاوز مسألة الخمر، فهو أنّه لم يكن مغريا، في هذا المطعم، فجودته دون المأمول، لونه ورديّ مهتزّ لا يفتح لي الشّهية، مع حموشة حلوة تذكّرني بطعم التفاح لا العنب. ورغم العزم على أن لا أشرب، لما أقنعت به النّفس من أسباب، فقد حدث ما لم يكن في الحسبان، ممّا لا نملك حين حدوثه إلّا الاستسلام للأمر وعدم إرهاقه بالمناقشة. تبتسم النّادلة في وجهي، تنصرف ودون أن يبدر منّي طلب، تباغتني بإبريق ملأته من البرميل، وتضعه بكلّ أناقة فوق طاولتي، كما لو أنّها تقول: ألا ترى أنّي أعرف ذائقتك. لقد كانت مبتهجة لمعرفتها بأذواق حرفائها، ولم أكن أملك الشّجاعة لأخالفها الرّأي. ها أنا ذا رفقة هذا الإبريق الممتلئ فوق الطّاولة، وكأس فارغة قبالة صحني. لكنّ الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ، لأنني إذا أحجمت عن الشّرب، فسيكون ذلك دافعا لاستغراب النّادلة، ولعلّها تحرجني بأسئلة من قبيل: لم تكن جيّدة إذن..، لن يكون ذلك لائقا، فما العمل؟ أن أشرب وأنا أفكّر: بإمكاني أن أشرع في تطبيق حميتي غدا، فمن المستحيل أن أشرع في ذلك اليوم، وأمام المستحيل يسقط كلّ شيء. أن أشرب احتراما للنّادلة؟ في المحصّلة وصلت إلى حلّ واستسلمت. ذلك أنّي قد اتّخذت قراري

---

286. فولفانغ كوهلر (1887-1967) أحد المؤسسين لنظرية الشكل، يدحض الارتباطية ويشير سارتر لأعماله في المتخيل. (غاليمار 1940).

كما لو أنّه لا توجد في العالم إلّا قارورة واحدة، كأس واحدة وأنا. لا يتعلّق قراري إلّا بهذه الأشياء المادّيّة في عالم ميّت: من جهتي لن أطلب إطلاقا قارورة خمر. لكنّني لم أتوقع أن يأتونني بقارورة دون أن أطلبها. لأنّني أخطأت في عدم التّفكير في هذه الفرضيّة، لم أتّخذ احتياطاتي في حال أنّ هذه الفرضيّة قد تحدث. كنت في مكان حديث وسرعان ما انهار التزامي. بل إنّني فكّرت بشكل مكتئب أنّني أزعجني بشكل حادّ من خلال هذا القرار التّعسّفيّ، دون أن أجعل الخادمة تحزن، فذلك ليس من بنود عقدي. ما يضيع هنا؛ أنّنا اتّخذنا قرارا باعتبار ما سيحدث شيئا بسيطا ولا نعرف فعلا ما سوف يحدث على أرض الواقع، وهو دائما أكثر تعقيدا. ما ينقذ هنا هو الخمول. أجّلت القرار لوقت لاحق، فقدت انتباهي ووجدتني أقرأ كولومبا على مئات المواضع من القارورة والخادمة. ثمّ، حين طُرح السّؤال مجدّدا، عثرت على مراوغة: أسكب القليل من الخمر في الكأس. هكذا حين ترى الخادمة الإبريق نصف ممتلئ فسوف تفكر أنّني لم أكن ظمآن، ولن تنتبه إلى أنّ محتوى الكأس يماثل تماما ما ينقص في القارورة. بل ولتجويد التّلميح سوف أبلّل شفتي. ها أنا ذا إذن أسكب الخمر في الكأس، مشهد ملتبس يتناسب تماما مع الوضعيّة الرّاهنة، من جهة مّا، غير أنّه من جهة اخرى يضعني ببساطة في وضعيّة الشارب المبتهج الّذي يسكب له كأسا دهاقا. ومن المؤكّد أنّ هذا الفعل المبرَّر بظروف خاصّة يمنحني رضا رمزيّا، يقلّد ما هو ممنوع عليَّ. ضعف آخر. وضعف أيضا هذه الرّخصة الّتي منحتها لنفسي بارتشاف رشفة واحدة، معتقدا أنّها لا تعني شيئا، بما أنّها لم تكن بسبب الظمأ، بما أنّها من أجل الحافز الجيّد، وليس بإمكاني أن أفعل غير ذلك. ارتشفت من الكأس لكن بتقتير، فلقد تملّكني الخوف أن أستسلم نهائيّا. خفت وتوقّفت. لكن في نفس الوقت أليس لي ما أفعله غير أن أشربه، حاولت أن أستمتع بذلك أكبر وقت ممكن، حوّلت انتباهي تجاه عصفة الخمر لطراوة السّائل في حلقي، متعة خفيّة وماكرة، مماثلة لمتعة طبيب ينتهز فرصة جسّ جسم مريضة بارعة الجمال، يترك يده تذهب حيث تشاء دون أن يوقف كشوفاته المهنيّة. ضعف آخر. وضعف هذا التوقّف المفاجئ. هذه الطّريقة في إعادة الكأس إلى مكانها خوفا من عدم الوفاء لكلمتي. في المحصّلة لقد تغازلت مع

الشّيطان، دون أن أمتلك الشّجاعة للغوص إلى أبعد حدّ. يذكّرني هذا في مقطع من يوميات أندريه جيد، (1917 صفحة 621): رغم ذلك لم أتداع تلك اللّيلة بالكامل في المتعة؛ لكن غير منتفع هذا الصباح من هذا النّفور الّذي تلا تلك اللّيلة، أشكّ أنّ المقاومة لم تكن سيّئة. نخطيء كثيرا بالدّخول في محاورة مع الشّيطان، فمهما قاومناه يريد دائما أن تكون الكلمة الأخيرة له.

الظّروف نفسها هذا الصّباح أيضا: فلقد كان لبياتر ضيف (وهو نفس الشّخص الّذي تحدّثت عنه سابقا)، لقد جلب قارورة خمر جيّدة، ألحّ أن أشرب، وكان من غير اللّائق أن أرفض ذلك تماما، شربت قاع كأس. لماذا أدون كلّ هذا بالتّفصيل؟ لأنّه من الخارج ورغم كلّ شيء هو فعل ناجح. فمن الخارج نرى شخصا قرّر عدم الشّرب، وهو فعلا لم يشرب في كل الحالات المذكورة إلّا جرعات قليلة غير مهمّة، لا تتجاوز ربع كأس، عوض أن يشرب كأسين ممتلئتين كما جرت العادة معه. لقد قال «إنّه لن يأكل خبزا وبالفعل لم يأكل». هو انتصار، ولكن على طريقة «بيروس» [جنيرال إغريقي وملك مقدونيا، كان معارضا لروما، انتصر في حروب كثيرة، غير أنّها كلّفته خسائر جسيمة]. سوف أحصل على انتصارات أخرى مماثلة لانتصاري هذا؛ ثمّ سوف أتعوّد على الأكل دون خبز أو شراب وهكذا أكون قد وفيت بكلمتي والتزمت بقراري. لكن ما أن يغيب كلّ هذا الخمول سوف يغيب الوعي أيضا، ويصير الفعل آليّا. لهذا السّبب حينما يمدحونني أحيانا، أشعر أنّهم يخاطبون شخصا آخر غيري. لا وجود لفعل دونما ضعف سرّيّ. لا يرى الآخرون سوى الأسلوب، لكنّني لا أرى سوى الضّعف. باختصار سوف أظلّ وفيّا على عهدي – ومن أفضل إلى أفضل – إلى أن يحلّ موعد الرّخصة. هذا ما نسمّيه امتلاك عزيمة. ها نحن نرى ما تساوي الذّراع [الذّراع وحدة قيس، والجملة مثل فرنسيّ، المقصود منه سوف يكتشف المرء قيمة المصاعب].

الإثنين 18

-يقول ماهو في رسالته الأخيرة – يقولون إنّ الرّجال لا يستحقون السّلم. هذا

صحيح. صحيح في هذا المعنى لسبب بسيط، لأنّهم يخوضون الحرب. لا أحد من الرّجال الحاضرين المجنّدين (لا أستثني نفسي) يستحقّ السّلم. فلو كانوا يستحقونها فعلا، ما كان يجب عليهم أن يكونوا هنا، رغم أنّ بعضهم مكره على ذلك، مكره على أن يتنازل عن حرّيّته. أرى جيّدا إنه رحل إلى الحرب لأنّه يعتقد أن لا خيار له. غير أنّ الاعتقاد محدّد. ولماذا قرّر هكذا؟ هنا نعثر على الدّوافع والشراكة بحيادية، بخمول، باحترام للقويّ، خوفا من الاتّهام – لأنّه قدَّر الفرص وحسب أنّه قد يخسر أقلّ حين يطيع عوض أن يرفض – من خلال شهوة للكارثة- لأنّ حياته لا تشدّه كثيرا (بهذا المعنى فإنّ نجاحه في حياته بما تسمح له به طبيعة الشّيء، ألا وهو الشّغل خلال السّلم. لقد رأيت من فاتهم أن يتزوّجوا، صرَّحوا في أكتوبر 1938 أنّهم يرون قدوم الحرب بلامبالاة، دون أن يفهموا أنّ وضعيّاتهم كرجال تاريخيّين تعطي وزنا ونتيجة لهذه اللّامبالاة وتقرّب الحرب – ليس إلى درجة أن تندلع، لكن لدرجة أن جعل منهم شركاء) – لأنّه كان في حاجة إلى كارثة هائلة ليتمّم مهنته كإنسان- من خلال الاهتمام، الحماقة، السّذاجة، التّحفّظ – من خلال رعب التّفكير بشكل حرّ – لأنّه كان ديك معارك. لهذا السّبب ليس هناك في الحرب ضحايا أبرياء. فهل كانوا كذلك عند بدايتها؟، بل سيعاودون الحرب مجدّدا لحسابهم بألف طريقة لكي يصبحوا شركاء في تفاصيل حياتهم العسكريّة. بشكل تأخذ معه أسطورة الخلاص هنا قوّتها الأخلاقيّة: تلك هي طبيعة التّأريخية؛ لن يتوقف الفرد عن أن يكون شريكا إلّا عندما يصبح شهيدا. الوحيدون الّذين لا يستحقّون الحرب هم الرّجال الّذين قبلوا أن يكونوا شهداء السّلم. أولئك هم الأبرياء، لأنّ قوّة رفضهم كبيرة، إلى درجة جعلتهم يتحمّلون البؤس والموت. فمن الحقيقيّ أنّهم بتقبُّلهم لنتائج رفضهم يتألّمون أبرياء من أجل الغير، يدفعون ديْن الغير. ليس هناك من طريقة أخرى ليتحمّل الفرد تبعات تأريخيّته إلّا أن يجعل من نفسه شهيدا ومخلصا. ذلك ما أعجبني عند كوستلر، ذلك الصّحفيّ الأجنبيّ الّذي تابع لحظة احتلال **مالاغا**[287]. يستقلّ مع أصدقائه إحدى السّيّارات ويذهبون في اتّجاه أليكانت وسط الفوضى العامّة. لكن عند أوّل ازدحام

287. وصية إسبانية.

سيّارات، وتعطّل للحركة قفز على الأرض وبقي وحده في مالاغا، كان لديه إحساس أنّه سوف يدفع الثّمن غير أنّه لم يخبر أحدا بذلك. سوف يدفع الثّمن بسبب الجنرالات الخونة، بسبب الجنود الّذين ينقلبون، بسبب الحكومات الدّيمقراطيّة الجبانة الّتي لم تتجرّأ على التّدخّل. يدفع لأنّه أحسّ بمسؤوليّته تجاه الواقع-البشريّ، ويريد أن يتحمّل تبعات تأريخيّته، كشريك أو شهيد. وقرارك هو ما يصنع التّاريخ. برفضي للحرب أكون قد دفعت من أجل الآخرين. بقبولها أدفع، أدفع أيضا، لكن من أجل نفسي فقط.

لم نعد نتحمّل مسؤوليّة الهاتف. لقد أرسلوا عبقريّا مختصّا يعوّضنا. وأريد أن أدوّن هنا على سبيل التّمرين والمثال، ولإعطاء الصّفحات السّابقة والصّفحات القادمة نبرتها الخصوصيّة، الميزات الأساسيّة لما يسمّيه ليفين[288] فضاء هودولوجيّ [دراسة الشّبكات التّواصليّة الموجودة في حياة شخص مّا]، أي تشكّل العالم كما يظهر لي من نزل بال في، الطّرقات الّتي تشقّه، الحفر، الفخاخ، الأبعاد. إنّه عالم، تسنّى لي أن أتملّكته. كان باردا في الأيّام الأولى وبلا حراك، وهاهو الآن ملكي؛ هذا الرّيف، هذا البرد، زاوية النّظر المميّزة، الّتي أشاهد من خلالها ما هو معروض حولي، فرنسا، ألمانيا، أوروبّا، كلّ هذا لي.. كيرنسيا. ها أنا ذا عند ذروة العالم، على سقفه عند أعلى هضبة، مرتفعات الآلب، تحاذيها عند الأسفل جبال البيريني، في تراتبيّة مذهلة، تتّخذ شكلها المبين على الخريطة. من المؤكّد أنّ هذا الارتفاع الّذي يستعرض نفسه على أنّه سقف العالم، يمثّل رمزيّا إرادتي للسّيطرة على الحرب. ها أنا ذا عند أعلى كتلة غرانيت من الهدوء، جميلة ومهيمنة، أقيم في الطّابق العلويّ من بيت مّا. أنظر بازدراء نحو السكرتاريين، من أعلى إلى أسفل، دوّامة ريح ثلجيّة حول المنزل: فالمنزل طورا باخرة ترتفع فوق موجة وطورا آخر هو منارة. يكون منارة عند المساء؛ حين أكون في الغرفة الّتي نقيم فيها وحدي، أحسّ أنّني في قلعة دائريّة. يعزلني البرد والرّيح. لطالما اتّخذت كلمة برد عندي الرّجع العاطفيّ صفاء، و عزلة. لقد ابتعدت ألمانيا، -لا أعرف لماذا؟

288. كورت ليفين (1890-1947) عالم نفس احتماعي مرتبط بالجماعة الألمانية لنظرية الشكل، هاجر إلى أمريكا سنة 1933.

في بروماث كنت أشعر بها ضدّنا ساخنة وسامّة. هنا- رغم أنّه بإمكاني رؤيتها حين يصفو الطّقس (الهضاب الرّماديّة للشّمال الشّرقيّ) - ليس لها سوى قرب تجريديّ. بل أنا عند طرف العالم، من خلفي الأحياء السّاخنة والصّاخبة، الرّجال والأراضي. من المؤكّد؛ أنّه تغيير اتّجاه الجبهة-الخلفيّة، الّذي يضغط عليَّ من الخلف نحو الخطوط الأماميّة. ويتراءى لي هذا التّغيير من خلال هذا المخطّط الشّاعري، وهو يتحرّك من بين كلّ التّخيّلات الصّبيانيّة؛ هكذا أفكّر: منارة عند طرف العالم، حدود الأرض [باللّاتينية في الأصل]. وضعيّة الطّليعة، هنا أيضا يظهر الرّمز. من هنا أيضا يظهر الفارق الهشّ في الاتّجاهات: تبدو لي الطّريق الّتي تمرّ من أمام النّزل، وتأتي من مورسبرون كما لو أنّها تمضي من الخلف إلى الأمام، بما أنّ مورسبرون هي الأخيرة متقدّمة على العالم (مازال فيها مدنيّون) لذلك هي تستمرّ في التّقدّم إلى الأمام نحو ألمانيا، نحو جبهة المواجهة. إنّها تتّجه نحو الشّمال بينما يكون خطّ الجبهة إلى اليمين. لكن بما أنّ الشّمال يمثّل عندي: الصفاء، الاعتزال، توقّف حياة، حدود الأرض، فإنّني أفكّر أحيانا أنّ الطّريق تتّجه نحو الشّرق، وأحيانا أخرى نحو الشّمال، لكنّ ألمانيا عند آخر الطّرف. ألمانيا تشبه بحرا مظلما ولا تمثّل خطرا كما سبق وقلت ذلك.

هذا التّقدّم الأخير نحو الخلف، مورسبرون أشعر به بعيدا، من خلفي، كما لو أنّه جوّ خانق مهدِّد، سام (مداري) لكن رماديّ: أوّلا لأنّ بياتر ذهب إليه في إحدى المرّات، وقال لي: «إنّه تزييف. ثمّ لأنّهم هناك يعاملوننا كجنود. هناك توجد مكاتب، توجد مصحّة يمكنهم فيها أن يجعلونني عاريا من أجل نعم أو من أجل لا، وأن يحقنونني عمّا قريب (الحقنة خطر، ليس بوصفها حقنة، ولكن بما أنّها توفّر راحة ب 48ساعة، ولأنّها تتمّ ثلاث مرّات خلال ثمانية أيّام فلا يمكن الحصول على رخصة خلال تلك المدّة). رغم ذلك فهناك في قلب هذه الزّهرة المسمومة، دم ساخن ومدنيّ»: أتخيّل قاعات بها بيانو أو أكثر -لأن هانتزيغير قال «إنّه سوف يطلب من رئيس البلديّة أن يقرضه ألبومات موسيقيّة». بين القرية ونزل بال في: تناثرت بعض المراكز المتقدّمة المعزولة: النّزل حيث يوجد مكتب موزّع البريد، والضّيعة الّتي يوجد بها المطبخ المتنقّل. أجدني قلِقا حين أرافق بول للحساء، أو حين أذهب لموزّع البريد

لاستلام طرد، لأنّني أمضي في الاتّجاه المعاكس، أعطي بظهري للاتّجاه الطّبيعيّ، الشّمال، أشعر بنوع من المقاومة تثير غيظ الهواء. في النّزل نفسه، هناك بالطّابق الأوّل ثقبان: ثقب ضوء وثقب حرارة، الغرفة الرّئيسيّة المخصّصة للإحصائيّين (قمرة القائد) – ثقب أسود تتسلّل منه الرّيح وتصِفرّ، ثقب جليديّ (لأنّ بياتر يترك النّافذة مفتوحة كامل اليوم): غرفتي. تصمد: نغرق فيها بتصميم مثلما نغرق في الماء البارد وأسناننا تصطك. شاعريّة لأنّها في شكل فتحة تطلّ على الرّيف: تدخل الأرض البراح من خلال النّافذة. في الخارج، البرد- الّذي هو مادّة، مثلما في الرّياضات الشّتويّة مادّة معدنيّة وصافية يمكن أن نلمسها، منذ الصّباح حالما نخرج مثلما نلمس جدارا معدنيّا جميلا. السّماء؛ رماديّة ثابتة، مع مجاري هواء يمكن أن نرسم بياناتها الخطّيّة. هذه السّماء الّتي يمكن أن نقسمها إلى طبقات. هي كفاءاتي على كلّ حال، موضوع معرفتي التقنيّة وما يهيمن عليَّ. امتداد لنفسي في الارتفاع وإقامة بعيدة عن التّناول. أعرف أنّ لها حتّى في الأيّام المشمسة، كما الحليب سوادها السّريّ والصّقيل. لأنّهم يتّصلون بنا كلّ يوم لمعرفة درجة حرارتها في الأعالي مثلا: –من 50إلى 8000.

ذلك هو مخطّط وضعيّتي الحاليّة: وجهات رمزيّة، اتّجاهات تعكس توجّساتي، انشغالاتي، مهنتي. متأسّف أنّني لم أقم بهذا العمل لفائدة برومات ومارموتييه؛ من فائدتنا أن نُثبِّت هذه المواقع المؤثرة لكي نستطيع مقارنتها. تظهر هذه الطّوبوغرافيا الكيفيّة الّتي يستولي بها الذّهن على المواقع لتهيئتها. أمّا الآن؛ إن أردت أن تحدّد بالضّبط في أيّ مستوى وجوديّ تتموقع هذه الجغرافيا، أقول إنّها في الأدنى عند مستوى ما قبل البحث. إنّه عمق تلك الصّخرة على حافّة البحر. لو أردت دراستها، سوف أقع في هذيان مجنون، غير أنّها ليست مادّة للبحث. هي في تلك الحركة الّتي أقوم بها، في نفوري من تغيير موقع الغرب حيث يجب أن يكون. لم يستطع بول في برومات رغم تجاربه المتعدّدة وضع الشمال حيث يجب. كان يشتكي من ذلك، يقول: لقد قمت بها يتوجّب، وضعت الشّمال في الغرب.

(مفهوم القلق[289]) لكيركيغارد: علاقة القلق بموضوعه، لها شيء هو اللّاشيء (أمّا نحن فنردّد بطريقة نموذجيّة إنّنا قلقون من أجل اللّا شيء). ..

من الواضح أنّه أثّر على هايدجير اللّجوء إلى الجملة النّموذجيّة، نحن قلقون من أجل اللّاشيء، وهي توجد كما هي بكلماتها في كتاب الوجود والزّمان[290] [بالألمانية في الأصل]. غير أنّ القلق عند هايدجير هو قلق -أمام- العدم، الّذي هو ليس اللّاشيء كما يقول جان واهل[291]: إنّه فعل كونيّ يتّضح بسببه الوجود، بينما هو يعني عند كيركيغارد: الـ قلق النّفسيّ بسبب لاشيء في الذّهن. هذا اللّاشيء في أصله هو الإمكانيّة. إمكانيّة مازالت في طور اللّاشيء، غير أنّها هنا الآن، مثل إعلان حرّية: فالّذي كان يسبح في عيني آدم البريء مثل لاشيء، القلق هو الآن مدمج بداخله ومازال لاشيء. قلق إمكانيّة السّلطة. ممّا قد يستطيعه، ليس له أدنى فكرة. .. وحدها معطاة إمكانيّة السّلطة مثل شكل أعلى للجهل، مثل التّعبير الأرقى للقلق....

قلق أمام العدم، مع هايدجير؟ قلق أمام الحرّية مع كيركيغارد؟ في نظري هو شيء واحد، فالحرّية هي ظهور العدم في العالم. قبل الحرّيّة، العالم امتلاء بما هو كما هو، فطيرة ضخمة محشوّة. بعد الحرّيّة هناك أشياء متخالفة، فلقد أدخلت الحرّيّة الإنكار. ولا يمكن للحرّيّة أن تُدخل الإنكار في العالم إلّا لأنّها مأخوذة تماما بالعدم. فالحرّيّة هي عدم نفسها. الواقع المفروض على الإنسان، هو أن يكون ذاك الذي يعدم واقعه المفروض. فمن خلال الحرّيّة يمكننا أن نتخيّل، إمّا بتحويل أشياء العالم إلى عدم، أو تبويبها معرفيّا. لأنّه من خلال الحرّيّة يمكننا تهيئة مسافة تأمّل في كلّ لحظة إزاء جوهرنا الذي يصبح عاجزا في العدم ومعلّقا، سلبيّا؛ تُعدُّ الحرية حلّا للاستمراريّة، هي انقطاع الاتّصال. هي مؤسّسة التّعالي، لأنّها تستطيع فيما وراء ما هي استشراف لما لم يكن بعد. في النّهاية إنّها تنكر نفسها بنفسها، لأنّ الحرّيّة مستقبل، وهي إنكار للحرّية الرّاهنة. لا أستطيع أن التزم لأنّ مستقبل الحرّية هو العدم. تبتكر الحرّيّة

289. ترجمه تيسو في تقديم دان واهل صدر في باريس سنة 1935.

290. الوجود والزمان قرأ سارتر هذا الكتاب في نسخته الألمانية (1927) قبل أشهر.

291. جان واهل (1888-1974) شاعر وفيلسوف مؤلف دراسات كيركيغارديه (أوبيبه 1938).

مستقبل العالم بتحويل عالمها الخاصّ إلى عدم. ولا يمكنني مرّة أخرى أن ألتزم لأنّ حاضري الّذي أصبح ماضيا سوف يتحوّل إلى عدم، ويخرج من ساحة اللّعب، ثمّ خلال حاضري الحرّ الّذي سوف يأتي. سوف أشرح مرّة أخرى أنّ صفات هذه الحرّيّة ليست شيئا سوى صفات الوعي. لكن بشكل أدقّ، فإن كان العدم قد أدخله الإنسان في العالم، فالقلق أمام العدم ليس شيئا آخر سوى القلق أمام الحرّية أو، إن شئنا، هو قلق الحرّية أمام نفسها. أبديت بالأمس قلقا خفيفا أمام الخمر، إذ أنّه لا يمكنني احتساؤها، ولا يجب أن أفعل ذلك، ولأنّ لا يجب تلك أصبحت من الماضي، فهي في تراجع، خارج الدّائرة، مثل الجوهر، ولا شيء يمنعني أن لا أحتسي. أمام هذا اللّاشيء أصاب بالقلق، فلاشيء يمكن فعله. وتلك العبارة الشّهيرة إنّني خائف من نفسي، هي بالضّبط قلق أمام اللّاشيء، بما أنّ لاشيء يسمح لي بتوقّع ماذا يمكن أن أفعل، هل يمكنني أن أتوقّع أنّ لاشيء لن يمنعني. هكذا يتّضح أنّ القلق هو تجربة العدم وليس ظاهرة نفسيّة. هي بنية وجوديّة للواقع- البشريّ وليست شيئا آخر سوى الحرّية واعية بنفسها، كما لو أنّها عدم نفسها. القلق أمام عدم العالم، أمام أصول الموجود، هي مشتقّة وثانويّة. تبرز هذه المشاكل على ضوء الحرّيّة. العالم بنفسه موجود ولا يستطيع أن لا يكون موجودا. بوصفه قائما لا يسمح باختزاله، أو باقتراح أمام له. ليس هناك من مشكل في أصل العالم إلّا بتأثير الحرّيّة على الأشياء.

كذلك هو الحجز الوجوديّ لواقعنا المفروض، إنّه الغثيان والتّخوّف الوجوديّ من حريّتنا، إنّه القلق.

الثّلاثاء 19

إذا كان القلق النّاجم عن الخطيئة، سبيلا إلى الخطيئة نفسها، فمن الضّروريّ أن نتساءل إزاء ما تحدثه الغلمة من ميولات فطريّة، فيما إذا كان المرء مذنبا أم بريئا، وكيف يمكن أن نحسبه في الوقت نفسه، مذنبا وبريئا، باعتباره أسيرا للقلق؟
(كيركيغارد الصفحة 122)

إنّ قلق المرء إزاء ما هو ممكن لا رغبة له في تحقيقه، قلق أمام العدم، الّذي يحول بينه وبين الممكن، من وظائفه إلغاء اللّا شيء بجعل الممكن منجزا، بدلا عن رفضه، وتحويله إلى ممكن خاصّ، ويكون ذلك دافعا إلى انخراط كامل للحرّيّة في الإمكانيّة، باعتبارها هدفا ومشروعا. ينجم عمّا تقدّم إلغاء اللّا شيء، وتحقيق الامتلاء، فالخطأ يقصي القلق مؤقّتا، ويحوّل الممكن إلى متحقٍّ، والفراغ إلى امتلاء. فالحرّيّة هي أن نفعل، وأن نقدم على الإنجاز، هي أن نسدّ المنافذ على اللّا شيء، فلا نترك له إمكانيّة أن يصدّنا عن الفعل، أو أن يجبرنا عليه، مع الاضطلاع في الحالين بشرط المسؤوليّة، إزاء ما أقدمنا على فعله، وما أحجمنا عنه. ويمكن السّيطرة على اللّا شيء وترويضه، عبر مسايرة داخليّة للدّوافع الكامنة لجعل الممكن متحقّقا، وسدّ فتحة العدم الّتي تفصلنا عنه. وتمثّل تلك الدّوافع جوهر الوجود الإنسانيّة، وتجلي عن نفسها عبر الفاعليّة، الحرّة، التّائقة إلى المستقبل. وتظلّ وظيفتها مقصورة على التّيسير.

متى كان الفعل واعيا فإنّ ذلك، يريحنا من واجب الاعتذار، ويحوّل العدم إلى شكل من أشكال الوجود، فالوجود مشروط بالوعي، وبالمسؤوليّة الّتي تمثّل حلقة بين الدّوافع والحدث. غير أنّ الممكن لا يستطيع أن يكون سوى تكثيف للعدم، بما أنّ وجوده باعتباره ممكنا لا يتمثّل في أن يكون متوقّعا، باعتباره واقعا واقعا قابلا لأن يكون، بل باعتباره واقعا سيكون. ففي استعجال الممكن عدميّة مّا، وهو لا يمكن أن يكون سابقا على الوجود. بل بالعكس. فالممكنات الأصيلة هي ممكناتي الذّاتيّة ويمكن أن تنجم عن واقع مفروض-بوصفه-وجودا -هو عدمه-الذّاتيّ. ترتبط ممكنات العالم بالأشياء عن طريق صلات خارجيّة، ومثال ذلك أن أقول من الممكن أن تنطفيء النّار- أن تهدأ الرّيح- أن تنكسر القارورة، وهي ممكنات ذاتيّة في محصّل أمرها، تكشف لنا عن ثالوث: عدم-ممكن-وجود، لكن في ترتيب جديد. هناك أولويّة للوجود ولا يظهر الممكن إلّا عند أفق عدم مّا. هل يجب أن يكون هذا العدم أيضا عدم وجود، هو عدمه الخاصّ؟

نرى أنّ الخطأ هو غواية لملء العدم مع الوجود. وهو نافد الصبر دائما أمام القلق، وضرب من هروب العدم في الواقعيّ.

الوعي إنقاص للوجود. الوجود-من أجل- الذّات تفتيت للوجود -في-الذّات. الوجود-في الذّات، وهو مرتعد بالعدم يصبح وجودا -من أجل -الذّات[292].

هناك أولويّة للممكن على الضّروريّ، كما لاحظه **كانط** بشكل جيّد، وهو الّذي يُعرِّف الضّروري: كائن ما يأخذه ممكنه إلى الوجود. وهو ما نسمّيه الموضوع الخاصّ للحرّيّة. فالحرّيّة هي العدم لأنّها تهدف إلى إلغاء نفسها بتحويل العدم الّذي تحتويه إلى عدم. مثاليّة الحرّيّة إذن هي ممكن يتحقّق دونما حاجة إلى معاضدة من المسؤوليّة، ممكن هو بالأساس اعتذار. الحلم الحميميّ لكلّ حرّية، هو إلغاء الفتحة بين الدّوافع والحدث. لنلغي من خلال التّفكير الفتحة، وليس لنا من أجل هذا أن ندرك الوجود الصّافي، بما أنّنا نحافظ على الفارق الزّمني بين الدّوافع والممكنات. لكن هاهي الممكنات تتحقّق من خلال تصوّراتها الخاصّة. بدءا من لحظة ليس هذا خطئي. فكلّ إنذار يستدعي الضّرورة. غير أنّ الضّرورة تظلّ قائمة على أرض القيم ولا تنزل أبدا على أرض الوجود. من خلال وجهة النّظر هذه نرى أنّها المثال الأعلى لكلّ الممكنات: أنّها واقع-مفروض، أي ذاك الّذي يكفيه أن يكون ممكنه الخاصّ ليكون وجوده الذّاتيّ: واقع-مفروض، هو فراغ من أجل-الذّات، يصبح ممتلئا ويكتسب تأسيسه الذّاتيّ. فالضّرورة صنف أخلاقيّ، ولا يمكنها أن تظهر كبنية للواقع إلّا بتأثير تمارسه الحرّيّة على الأشياء، ويمثّل الاعتذار أحد تجلّياته. ما هو ضروريّ لي، تقليص مصاريفي إلى الحدّ الضّروريّ الأدنى، فإذا لم لأفعل، فإنّ ذلك سيقودني إلى الاعتذار، بشكله المؤقّت أو الدّائم، وفي المقابل فإنّ تغييب الضّروريّ يمكن أن يتجسّد فيما أصطنعه من أعذار، من أجل سرقة أرتكبها. فالضّروريّ معياريّ بالأساس، لانفتاحه على كلّ الحالات الممكنة، ولإجازته استقالة الوعي.

من فرط ما نعيش في حالة دفاعيّة مع النّاس؛ ينتهي بنا الأمر أن نمتلئ رغم أنفسنا

---

292. الخطاب حول الوجود هوحديث اليوم. في الصفحات القادمة سوف يعمل على البحث عن أخلاق: من المهم معرفة ما المقصود بالوجود وبالواقع-المفروض قبل التساؤل ما يستطيعه الأنسان وما يجب أن يفعله. انظر الصفحات الأخير من كتاب الوجود والعدم التي سوف يشرع سارتر في كتابتها في المعتقل.

بأسلوب أيّ حركة يقومون بها، لا سبيل للإفلات من ذلك. الطّريقة الّتي يحمل بها بياتر الكرسيّ هي خاصّة به، وأجد بياتر كاملا فيها. يقترب من الكرسيّ بخطوات ذئب هائلة، منحنيا قليلا إلى الأمام، يتقدّم في صمت، راغبا على طريقة الأطفال، في أن يلاحظ كلّ واحد من الحاضرين كم هو صامت، ولكنّه في الوقت نفسه مستغرب من القيام بفعل يأخذ حيّزا من الزّمن، ورغم ذلك ليس له صبغة اجتماعيّة فوريّة. غير أنّه يتفادى هذا الاستغراب، هذا النّوع من الضّيق الّذي يمسك به كما لو أنّ الهواء يتخلخل من حوله، متمثّلا ما يقوم به من وجهة النّظر الاجتماعيّة. نشعر كما لو أنّه في محكمة، وينال براءته، محفوفا بالتّهاني على الطريقة السّعيدة والسّرّيّة التي حمل بها الكرسيّ. غير أنّه يظلّ بداخله شيء مّا شحيح وماكر كما لو أنّه يحتال علينا، وعلى كلّ حال هو يعرف أنّه يثير ضجّة. باختصار؛ هويعرف أنّه لن يتجنّب أخذ الكرسيّ من أجلنا، في الوقت الّذي نستغرق فيه نحن في القراءة أو في الكتابة. يمثل كوميديّا أخذ كرسي في الوقت الذي يأخذه فيه. كوميديا فاضلة لا تخلو من وعي: إنّي آخذ كرسيا، إنّه حقّي في أن آخذ كرسيّا. كلّ النّاس توافقني على أخذ كرسيّ. في الأثناء هناك شيء من الحنان في الطّريقة الّتي يقترب بها خفية من الكرسيّ، يتّخذ هيئة العجوز النّهمة الّتي تعدّ أطباقا شهيّة صغيرة، يمنح نفسه موعدا حنونا في المستقبل؛ وتنتظم بينه والكرسيّ مسافة عشق وهيام، وبرضا كبير عن نفسه، وعن الآخرين، وراض عن نفسه وعن غيره، يشدّ الكرسيّ بقبضته بمزاج جيّد ويهرول بخطى متقاربة نحو السّخّان، ليجلس قبالته.

هو ذا بالضّبط ما أريد الوصول للإمساك به، إنّه الأسلوب الّذي تتجلّى به أفعالي، في ناظر شخص آخر أعصابه متيقّظة، أزعجه منذ ثلاثة أشهر. ورغم خشيتي أن ذلك مستحيلا، فإنّني سوف أحاول.

يصبح الرّفاق شبيهين أكثر فأكثر بمساعدي ك [بطل رواية القلعة لكافكا] في رواية القلعة. لطالما أعطيتهم دروسا أخلاقيّة –يتقبّلونها بسحنات ماكرة دون أيّ اعتراض. ها هم في الوقت الحاضر يترصّدون بي أن اقع في أيّ خطأ، ويجبرونني على أن أكون ملتزما في تصرّفاتي. يسمّيني بياتر انتهازي حرب، فأنا أنتهزها لأكتب؛

يتّهمني أنّني أجرّب فيهم حججا، ومبادئ أخلاقيّة بما يوفّر لي مادّة للكتابة. يقوم بول، بدوره بهجوم عكسيّ، وينتقد سوء نيّتي، لأنّني كنت المبادر إلى نقد سوء نيّته. هما الإثنان يعطيانني بظهريهما حين أؤنّبهما، ويدّعيان أنّني إنّما أقول ذلك عن عنجهيّة محض، وفي الوقت نفسه يراقبانني. يا له من انتصار لهما عند أوّل زلّة أقوم بها. بالأمس فقط وبينما كنت أتناول وجبة الغداء مع بياتر، استغرب أنّني أرفض الخبز والخمر، أخبرته أنّني أتّبع حمية. واتّضح أنّ قائمة الأكل بالأمس تحتوي ضلوع عجل مع كرنب بروكسيل. كانت أصابع الضّلوع رقيقة، ولم أكن أحبّ كرنب بروكسيل. وتقريبا لم آكل شيئا. بل كنت أشعر وأنا أمضغ بعض القطع، أنّني أراكم الاعتذارات الّتي سأحتاجها مساء؛ كنت في وضعيّة ذلك القدّيس الّذي قال: «إنّه لأمر كثير يا إلهي، أمر كثير! نعم لقد قرّرت أن أصوم في السّماء لكن على افتراض أن أتناول وجبة متكاملة عند منتصف النّهار. فأنا أصلا لا آكل الخبز...»

إنّ إيجاد الأعذار المناسبة في الوقت الأنسب، فنّ، من شأنه أن يدفع طموحنا إلى رتق الصّلة بين الدّواقع والحدث، متناسين أنّ الصّلة بينهما ضروريّة، بحكم الحرّيّة، قد نغيّر موقع العدم لكن لا نلغيه تماما: نظلّ بلا عذر كما لو أنّ الأمر يتعلّق بشؤوون داخليّة قذرة. تكتّمت عن الأمر قدّام بياتر واحتفظت بما يجعله يعرف أنّني لم آكل شيئا، وهي الحقيقة الفعليّة. بدأت أشعر بالجوع؛ عند حدود الخامسة مساء، جلست قلقا على كرسيّ صغير لما يقارب السّاعة، ثمّ قمت، أخذت خبزة مستديرة وغرزت فيها سكّينتي: لقد أيقظ الجوع جراحي والحقوق الّتي وضعتها بعناية قيد الاحتياط منذ منتصف النّهار، بعثت حياة جديدة فيها. رغم أنّي أمقت الأعذار ولا أريدها أن تمسّ من كبريائي: وفي حالة ما تمّ الإمساك بي مخطئا أقول إنّه لا عذر لي- وفي حالة ما كان الاعتذار جاهزا كما هو الشأن بالنّسبة إلى يوم أمس، أخلع عنه صفة الاعتذار، وأرى نفسي صاحب القرار الأخير على مستندات القضيّة. يصبح الاعتذار وقتها وببساطة حجّة موضوعيّة أعالجها بتجرّد، مع الهاجس الوحيد أن أصمّم في اتّجاه المعنى الأفضل. وبالتّالي صرَّحت متوجّها لرفاقي: لقد تناولت وجبة قليلة عند منتصف النّهار، ولذلك قرّرت أن أمنح نفسي استثناء هذا المساء في مخالفة تعاليم

حميتي. قلت ذلك بكلّ براءة، قلته لنفسي قبل أن أقوله للآخرين، مأخوذا جدّا بحماقاتي الدّاخليّة الصّغيرة متّخذا احتياطاتي من حكمهم عليَّ. هكذا؛ كنت كمن عطّلته النّتيجة: صخب عال رهيب، انحنوا جميعا وشرعوا يقهقهون ويطرقون الأرض بأرجلهم وهم يلوّحون لي بإشارات وعلامات ذكاء. كان بياتر يريد أن يتكلّم لكن غلبه الضّحك. واستطاع بالكاد أن يرسل كلمات، المقصود منها أنّني أمثّل كوميديا، وأنّني لن أستطيع مقاومة شهواتي في الأكل. مازلت ممسكا بالخبز وسكّيني مغروس فيه، أجبت بكرامة لكن دونما ثقة، أنّني أكلت بالفعل قليلا عند منتصف النّهار. على ذلك ردّ بول الّذي لم يكن بالمطعم متوجّها لبياتر: هل حقا لم يأكل كثيرا؟، بنبرة قاض يسترشد. أجابه بياتر ولكنّه تغذّى بالطّبع، أصابني هيجان لكن ما العمل؟ شرعت في الضّحك وقلت: معكم حقّ، أنتم تبرزون لي ما يجب أن أفعله. آه! من حسن الحظّ أنّكم معي، على هذا الرّدّ وضعت الخبز، طويت السّكّين، ووضعته في جيبي وعدت أشتغل. انتظرت أن تتواصل قهقهاتهم، ولم أكن لأخلي في الوقت نفسه سبيل منافسي، سوف أتابع كما يقولون في معجم الملاكمة. لكنّهم تحيّروا لامتثالي وسكتوا تماما، بل إنّهم منحوني شيئا من الفاصوليا بعد الحساء يستعجلونني أن آكله. أعتقد أنّهم خشوا أنّني أجوّع نفسي بسبب غروري. رفضت كلّ شيء وبطبيعة الحال كنت أتضوّر جوعا. لكن بالنّسبة إلى فطور اليوم فليس هناك تراجع: بدا لي طبيعيّا أن لا أشرب مع الأكل وأن لا آكل خبزا. بل إنّه شبه طبيعيّ أن لا أتناول وجبة الغداء، أي أنّ زمني النّهاريّ الّذي تمّ اختراقه بالأمس من خلال حاجزين متوازيين، الغداء والعشاء انتهى اليوم بعادات حرّة؛ الظّهيرة تطفو ليّنة ما بعد الغداء، تشبع علما منكّسا أسفل ساريته، لا أنتظر ايّ شيء يقطعها.

هكذا ساعدني الرّفاق أن أكون حرّا.

كتبت لي الكاستور بتاريخ (السبت 21): أشعر أنّك مقطوع عن العالم أكثر من قبل مورسبرون، منغلق على نفسك[293] في العزلة. تبدو لي محشوّا بالعزلة، منغلقا

---

293. بالضبط: مختبيء.

تماما مع التّليفون)[294]. مع السّخّان الدّافئ وأفكارك الأخلاقيّة.

هل حقيقيّ ما تقوله؟ لا أعرف. يتراءى لي أنّني أتعوّد على الحرب، وببروماث حين قدمت الكاستور في بداية نوفمبر، وكان قدومها شبيها بقنبلة موقوتة، مفكّكة هدوئي لبعض الأيّام بعد رحيلها، وتصل بي في الأخير إلى تنفّس غراميّ لنهاية شهر نوفمبر[295] وأعتقد أنّه إثر الأزمة بسرعة تعافيت كعادتي في مثل هذه الحالات، بدأت أوّلا بالاهتمام بمشاغلي الصّغرى. والدّليل أنّني هادئ ومبتهج في هذه اللّحظة. في جميع الأحوال لا أفهم جيّدا شهر نوفمبر هذا، لقد حدثت موجة قهر غريبة.

وأنا أعرب صبيحة اليوم في هذا الدّفتر عن رغبتي في أن أمسك بأسلوب حركاتي؛ وقعت تحت تأثير المهووس بالتّحليل. رغم أنّني بقيت لأكثر من خمس عشرة سنة، لا أحفل بطريقة عيشي. غير مهتمّ بذلك على الإطلاق. كنت أتطلّع للأفكار والعالم وإلى قلوب النّاس. يتراءى لي أنّ علم النّفس الاستبطاني قدّم أفضل ما عنده مع بروست، حاولت بين سن 17و20من عمري إدراكه بهوس، لكن بدا لي أنّني أستعجل التّمرين، وأصابني الملل. ثمّ إنّ كبريائي غيّرت وجهتي. يبدو لي أنّ التّدخّل في الأشياء الخسيسة والصّغيرة يجعل منها كبيرة، إنّنا نضفي عليها قوّة، بما نوليها من عناية، لا تستحقّها. كان لا بدّ من الحرب، ومن مؤازرة الكثير من الدروس الجديدة، (الفينومولوجيا، التّحليل النّفسيّ، علم الاجتماع)، وقراءة عصر الإنسان[296] كذلك. من أجل تحريضي على رسم بورتريه شخصيّ، انطلقت جادّا في هذا المشروع بذهن نسقيّ، بشهوة الشّموليّة، وبكثير من الهوس النّفسيّ. أردت أن أرسم لي بورتريها متكاملا ما أمكن، مثلما أردت وأنا صبيّ صغير، أن أملك سلسلة بوفالو بيل ونايك كارتر، ومثلما أردت، بعد ذلك بزمن معرفة كلّ شيء عن ستاندال. هناك نقص في الانضباط عندي، فأنا أراوح بين لا مبالاة لا حدود لها، وبين انهماك مهووس. كنت

294. تستعيد سيمون دي بوفوار استعارة سارتر: مع الحيوان بشعرها الملبد.

295. بخصوص فاندا ردا على الكاستور بنفس اليوم:" أعتقد إذا إنني في فترة "استعادة"، هل تعرفين لقد كنت كذلك في إحدى المرات وبشكل أطول وفيما يخص حكاية لا علاقة لها بهذه، حكاية أولغا

296. لميشيل لايريس غاليمار 1938.

أنفر من اليوميّات وأفكّر أنّ الإنسان لم يوجد ليرى نفسه، وعليه أن يُثبِّت بصره قدّامه. لم أتغيّر. فقط؛ بدا لي أنّه لا بدّ من إعادة النّظر خلال المناسبات العظيمة، وحين نكون أثناء تغيير حياتنا، مثلما تطرح الأفعى جلدها، أن ننظر في هذا الجلد الميّت، هذه الصّورة المنكسرة للأفعى الّتي نتركها خلفنا. لن أستمرّ في الكتابة في هذا الدّفتر بعد الحرب، وحتّى إن واصلت ذلك فلن أكتب عنّي. لا أريد أن أكون ملازما لي إلى آخر حياتي.

ما قرأته منذ آخر إحصاء لقراءاتي[297]:

ماك أورلان: تحت الضّوء البارد.

بول موران: مفتوح في اللّيل[298].

ماريفو: مسرح مختار.

كولومبا.

فلوبير: التّربية العاطفيّة.

ماك أورلان: الفارسة إلزا.

كيركيغارد: مفهوم القلق.

دورجليس: صليب الغابة.

ما استملمته اليوم:

لوسيان جاك: دفاتر مولسكين.[299]

مورو: أصول حرب 1939.[300]

---

297. كلها باستثناء الأخيرين، هما إعادة قراءة.

298. عن دار غاليمار 1922وحسب رسائل إلى الكاستور من 12إلى 18ديسمبر إن ما قرأه هو مغلق في الليل (1923).

299. يوميات حامل جرحى شاب خلال حرب 1914غاليمار 1939.

300. غاليمار 1939.

ماك أورليان: رصيف الضّباب[301]

السّيّد ليونارد.[302]

ليزاج: الشّيطان الأعرج.

لاربو: بارنابوث.[303]

الأربعاء 21

تقديم رائع لجيونو لدفاتر موليسكين.

حين لا تملك الشّجاعة الكافية لتكون سلميّا فأنت محارب. السّلمي يكون وحده دائما.

يشكّل المحارب ثقته بنفسه، من تصوّره التّوافق مع العدد الأكبر، فالأغلبيّة تبعث الطّمأنينة في قلبه، وتحفّزه، وتهيل عليه الإحساس بالهيبة، هيبة عادة ما تكون على مقاسه. كلّ شيء مهيّأ له مسبقا. إن ارتجف شخص مّا ليكون [ربما] مجبرا على تجاوز الإنسان، فليتوقّف عن الارتجاف ويجعل من نفسه محاربا، أو، ببساطة أيضا، فليدع نفسه طوع الآخرين، وليستسلم، ليكون في أعينهم محاربا. كلّ لعب الحرب يدور حول ضعف المحارب... الجنديّ البسيط: ليس بالسّيّئ وليس بالطّيّب، سوف يتحمّل بلا أثر مصير المحارب إلى أن يأتي ذلك اليوم الّذي يكتشف فيه مثل بطل فولكنر، أنّه بإمكان أيّ شخص أن يجلس سهوا وبشكل أعمى في البطولة كما نتدحرج في فُتحة بالوعة متّسعة، وسط الرّصيف.

الدّفاتر في حدّ ذاتها رماديّة، لا تخبر بأيّ شيء جديد. طابع يرتدّ لحرب 1914 من خلال كلّ هذه الكتب. لم تعد تظهر في عيني، كما فعلت في السّنة الماضية، كما صورة الحرب، لكن كحرب مّا، مجزرة ما فوضويّة حدثت، لأنّ الجنرالات مازالوا لم يبتكروا

---

301. رصيف الضباب غاليمار 1927.

302. أخطأ سارتر هنا فالعنوان هو: ليونارد الأسود والسيد جان مولين غاليمار (1920).

303. بارنابوث: يومياته غاليمار (1913).

تقنية مّا كان يسمّيه الرّومان مليون رجل.

كتب فيل[304] مساعد ملازم مدفعيّة للكاستور: الوضع مستقرّ لدرجة أنّ البعض يرغب من حين لآخر أن يتغيّر. لكن ما أن يفكّروا أنّه، إن تغيّر الأمر سوف نتلقى ضربات، يستنكرون أقوالهم المتهوّرة ويفضّلون الوضع الرّاهن [باللاتينية في الأصل]، وهو ما يجعل أحدهم يعترض، قد يجبرنا الوضع الرّاهن أن نظلّ هنا حتّى الشّيخوخة. فيتغيّر موضوع الحديث. المسألة عويصة جدّا؛ وفي الأثناء فإنّ الأيّام آخذة في المضيّ.

لا أعرف جيّدا فيما يفكرون في الخلف، الصّحف ساذجة إلى درجة أن لا أحد يقرؤها، رغم أنّنا نقتنيها كما جرت العادة. ما نفكّر فيه في هذه اللّحظة يمكن تلخيصه في كلمة واحدة: لاشيء. ننتظر الرّبيع، نحفر ونختبئ تحت طبقات من جذوع الأشجار. ربّما نحصل على بعض الأفكار الشّخصيّة إن استطعنا أن نظفر أحيانا بالعزلة، غير أنّ الجنديّ لا يمكنه أن يكون وحده أبدا، وإن حدث وانعزل، سوف تتبلّل ساقاه.

باع بارنابوث كلّ ممتلكاته، قصور، يخت، سيّارات، ممتلكات شاسعة... بدعوى أنّه يحرم نفسه من ثروته. هذه الحركة مستوحاة من مينالك، التي هي لميشل في الأخلاقيّ [رواية لأندريه جيد] الجيديّة. هذه الكلمة أن يحرم نفسه جعلتني أحلم. ففي المحصّلة يتعلّق الأمر بالانفصال عن الممتلكات، بوصفها مظهرا حسّيّا للثّروة، والاكتفاء بالمظهر المجرَّد: المال. وهي هنا على شكل أسهم أو صكوك. ها هي في المحصّلة النّصيحة المعطاة من جيد ثمّ من بارنابوث. مقايضة الملكيّة الواقعيّة بالملكيّة الرّمزيّة، مقايضة الكنز- الممتلكات والمباني بالملكيّة – العلامة. ليس من قبيل الصّدفة أن يوصي أندريه بالشّغور. بالأساس فإنّ الحرّ الجيديّ، هو ذلك الشّخص الّذي لديه استيداع لرؤوس أمواله. وما أراه بوضوح أنّ أخلاق أندريه جيد هي إحدى

---

304. تعرف سارتر إلى ج.أ فيل وزوجته (المرأة القمرية) في المعهد الفرنسي ببرلين سنة 1933؛ فيل شاب مُبرِّز في الرياضيات.

الأساطير الّتي تسم عبور الملكيّة البورجوازية الكبرى -امتلاك حسّيّ للمنازل، الحقول، الأرض، البذخ الخاصّ- إلى الملكية المجرّدة لرأس المال. الصّبيّ النّابغة، هو ابن تاجر الحبوب الغنيّ الّذي يصبح مصرفيّا. كان أبوه يملك أكياسا من الحبوب، أمّا هو فيملك أكداسا من الأسهم، امتلاك اللّاشيء، غير أنّ هذا اللّاشيء هو رهن على كلّ شيء. لا تبحث عن ناثائيل [أحد أتباع المسيح] الله في مكان آخر، شرط أن يكون في كلّ مكان: يلقي بالملكيّة الماديّة الّتي تحدّ الأفق وتجعل من الله انطوائيّة على الذّات في الأعماق، قايضها مقابل الملكيّة الرّمزيّة الّتي سوف تسمح لك أن تستقلّ قطارات أو بواخر للبحث عن الله في كلّ مكان. وسوف تجده في كلّ مكان. يكفي أن تضع توقيعك على هذه الورقة الصّغيرة، في دفتر صكوكك. لست أبالغ: هذا بالضّبط ما يسمّيه بارنابوث الجيديّ صفحة 19: بحثا نشيطا عن الله. وجيد نفسه المسافر أحيانا، ورئيس الطّائفة الأبويّة بكوفرفيل أحيانا أخرى، هو أحد وجوه الانتقال من البورجوازيّة المالكة للقرن التّاسع عشر إلى رأسماليّة القرن العشرين. يجب ملاحظة أنّ غرابة القرن العشرين، كلّها جيديّة وذات دلالة رأسماليّة. بل لم يعد له المعنى الحقيقيّ للغرابة (الابتعاد عن البيت) تُفهم الغرابة قديما من خلال إحداثيّات ثابتة: الملك الّذي يكون تحت تصرّف البلد:

سعيد الّذي هو مثل أوليس، بعد سفر طويل[305].

تبدأ الغرابة المعاصرة بإثبات كلّ الإحداثيّات، وبموازاة بعضها إلى بعض. أي أنّه يمكن تبديل جنيه سترليني في كلّ مكان. ليس هناك أيّ زاوية نظر مميّزة لرؤية العالم. بما يعني أنّه يمكنك أن تعتبر الجنيه السترلينيّ قدرة شرائيّة مجرّدة مفكّكة على هواك إلى المارك، الفرنك، أوريس، بينغوس إلخ. الغرابة الكلاسيكيّة تتجلّى في صانع الحرير الليونيّ الّذي يرسل ابنه إلى الصّين ليتكوّن في اختصاص الحرير. الشاب وسط حياته الصّينيّة بقي ليونيّا: إنّه في الصّين ليكون ليونيّا أكثر من أيّ وقت مضى، لكي ينعم أكثر بعد مدّة بكنزه الليونيّ. الغرابة الرّأسماليّة ليس لها أيّ نقطة تعلّق: يتوه المسافر في

---

305. يورد سارتر بشكل خاطي ما قاله بيلاي:" سعيد الذي هو مثل أوليس، قام برحلة جميلة (الندامات).

العالم، حيثما كان فهو في بيته. من هنا هذا المظهر الجديد للغرابة الأدبيّة: جلب كلّ ما نراه في بنيات جمعيّة تحت المظهر المبرقش للعادات المحلّيّة، وإبراز أنّ الإكراه الكونيّ مشابه للرّأسماليّة في كلّ مكان. التّأكيد على المظهر المتصدّع، المحتضر للطّبائع واستخلاص تأثيرات شاعريّة (في حين أنّ الغرابة الكلاسيكيّة تستخلص تأثيرات شاعريّة من فيض الحيويّة العفويّ للعادات المحلّيّة)، أن يكتب لاربو في بارنابوث إنّ فلورنس مدينة أمريكيّة غريبة تمّ بناؤها وفق أسلوب عصر النّهضة الإيطاليّة. فهذا يتطابق بمعنى مّا، مع مشهد مسلمة محجّبة، تقود درّاجة منفرجة السّاقين، رأيتها يوما بين أغادير ومرّاكش؛ إنّها التّجسيد الأفضل للغرابة المعاصرة.

قضية غراف **فون سبي**[306] نموذج معبّر عن حجم الحذر والمكر لدى الحلفاء. يعلنون لجميع العالم أنّ رينوفن ولارك رويّال في انتظار البارجة الألمانيّة عند خروجها من الميناء. ثمّ يتمّ إغراقها. كان رينوفن ولارك رويال على بعد آلاف الأميال من هناك. للاقتراب من تراجعنا السّريّ عند بداية أكتوبر: شرع الألمان في التّقدّم وقد خدعتهم مقاومة بعض المراكز المتقدّمة، غير أنّهم وجدوا أنفسهم يتقدمون في الفراغ تحصدهم طلقات الرشّاشات. بالمقارنة مع حرب 1914، البطوليّة، الحرب بلعب مكشوف. فنحن سنخوض هذه المرة حرب النّصّابين والمخادعين، حربا ضدّ الشّرف العسكريّ. لقد فعل الألمان الشّيء نفسه، وأكثر: انتحار غراف فون سبي. قال هتلر **لروخنينغ**[307]: «ليس لي ما أفعله بالفرسان. والصّحف الفرنسيّة التي لا تخشاه على الإطلاق، كان لديها الجرأة لتنتقد موقفه السّلبيّ من تخلّي غراف فون سبي». لكن يجب أن نُبْقي أسطورة الشّرف العسكريّ لبعض الوقت في أعيننا. والحقيقة أنّ الحرب تُخاض ضدّه كما تمّ خوضها ضدّه في 1914. سوف يخرج منها منهارا إلى الأبد. يا

306. على إثر هجوم للحلفاء، لجأت هذا البارجة الألمانية الأى مونتيفيديو لأجراء إصلاحات. أذاع الحلفاء إن هم على استعداد لإجراء الإصلاحات غير القبطان غراف فون سبي أيقن إن بارجته ضاعت لم يخرج من الميناء أغرق البارجة وانتحر في 17ديسمبر1939.

307. الرئيس الأسبق لمجلس الشيوخ للدانتزيغ وصديق الفوهرر، هرمان روخنينغ أنقلب ضد النازية وهو مؤلف كتاب لقد قال لي التاريخ (كوبيراسيون باربس) كتاب 1939و كتاب ثورة العدمية (غاليمار 1939).

لحسن الحظّ. من المؤكّد أنّ هناك خدعات حربيّة، لكن هذه الخدعات لا تهدف إلّا لتدمير خدعات أخرى. سنتان أو ثلاث سنوات على هذه الشّاكلة ومفهوم الشّجاعة يتعلق بالسّلم، مفهوم الجبن في الحرب. ويبدو أنّهم يرونها وعلى هذا المظهر من الضجر العديم الهيبة في البلدان الأخرى. كتب لي تلميذي كريستانسون من النورويج: هناك خطّ مانيرهايم يدافع عن هلسنكي. تذكّر هذه المنطقة بحرب المواقع كما تعرفها أنت. وهناك نموت من الضّجر على الأقل بالمعنى المجازيّ. آمل في الأثناء أنّ تأليف بعض الكتب يشغلك قليلا.

الخميس21

مسحورا ببارنابوث. نبيل وظريف. شديد التّأثّر بـ أندريه جيد، الّذي تتسرّب مواضيعه في الكتاب إلى حدّ العظم. حتّى كلمة ورع موجودة فيه. ونقد البريزينن باسم الحياة: رفض الذّهاب إلى أوفيزي والغياب بمتعة في الصّراخ. لقد تمَّ تكويننا جميعا على هذه الطّريقة في السّفر. لقد قمنا بالتّدقيق كثيرا لزيارة باريو شينو ببرشلونة، الحيّ المخصّص في هامبورغ أو ببساطة أحياء العمّال بتراستيفير، الّذي قام الألمان بإحصاء المجموعات الموشّمة فيه قبل ذلك بعشرين سنة، البايديكر في اليد. نحن أيضا لنا بايديكر غير أنّها لا تُرى. وتلك الأمسية القليلة الّتي قضيتها بماخور في نابل أخذني إليه بحارة، حتّى ذلك كان سياحة عظيمة. في العموم، وجدت في الكتب وأجواء الوقت هذا النّزوع نحو دمقرطة الأشياء ذات القيمة، أكثر من 35 سنة، من معارك الأقلام والفضائح المشينة-الّتي تضع نفسها تابعة لمعركة الرّومنطقيّة لدمقرطة الكلمات. نفس العمل الّذي كان يتمُّ حوالي 1910 ضدّ غوبلنيز [مدرسة للصّورة] واللّوحات والعمارة النّادرة، وقد كان هو نفسه سنة 1830 ضدّ الكلمات المراجع القديمة. حين أتينا نحن كانت المعركة قد انتهت. لقد كسبنا حقّ التسكّع في مرافئ لندن، عوض الذّهاب إلى الرّواق الوطنيّ، حقّ الذّهاب لرؤية الرّقص الشّرقيّ في بوشبير بالدّار البيضاء، حقّ قضاء أيّام كاملة في الحانات القذرة التي تحيط ببرلين. نسافر بشكل طبيعيّ. نبحث عن الله في كلّ مكان، دون أن ندرك ذلك النّبل الّذي

غادر النّاس ليلوذ بالكلمات، والكلمات الّتي تلوذ بالأشياء، المطاردة في كلّ مكان. هذا النّبل قد غاب عن العالم. ديمقراطيّة رأسماليّة. لقد عثرت على كلّ هذا عند بارنابوث. وهو جيديّ بالأساس. رغم أنّي رأيت فكرة عنده بصدد التّشكّل ليست عند جيد وقد تحمّلناها كلّنا بعمق: فكرة أنّ للأشياء معنى. لابدّ من معرفة قراءتها. هذه الفكرة نجدها عند باريز، مفهومة جدّا وعقلانيّة، بما أنّها تؤكد على القول إنّ الدّراسات الثقافيّة [بالألمانية في الأصل] للإنتاجات البشريّة، كانت مشحونة بالمعنى، وإنّ هذا المعنى يمكنه أن ينكشف للفنّان. من المؤكّد أنّ هذا المعنى يتجاوز دائما ما وضعه فيه الحرفيّ عن وعي، لكنّها لم تكن متأسّسة على المقاصد الواعية للمبتكر. كان هناك معنى لأيغ مورث [بلدة فرنسية سياحية بجنوب فرنسا] باعتبارها إيغ مرث، لأنّ لا لورين بلد مخدوم، معنى لطليطلة لأنّ طليطلة هي إنتاج التّطبيق العشوائيّ والدّائم للنّبل الطليطليّ. ليس لحيّ شعبيّ هو ثمرة الصّدفة والبؤس من معنى. أندريه جيد مشغول تماما باحتلال أراض جديدة في الأدب ومنشغل أيضا إلى أبعد حدّ بلذائذه الحسّيّة، وقد أهمل هذا الجانب من المسألة. أحاول دون جدوى البحث في عمله عن مجهود للإمساك بهذه المعانى الهاربة والمنفلتة الّتي تقع خفية على سقف، أو في بركة. لكنّ الجيل الجيديّ عرف كيف يصنع القفلة. فالعمل الّذي اشتغل عليه باريز بوعي حول بعض الإنتاجات الأرستقراطيّة، طبّقه الجيل الجيديّ على أيّ شيء من حوله. فبالنّسبة إلى باريز طليطلة لها سرّها([308]) وحدها. بالنّسبة إلى مسافر 1925ليس هناك شيء في العالم يمتلك سرّا. يبحث عن بارنابوث عن المزاج الإيطالي؛ ينزل دوهاماي ذات مساء بكولونيا، يحدّث آرون عن رائحة كولونيا. يبحث دو لاكراتيل عن مفاتيح مدريد.[(309)] كلّ الوسائل جيّدة لكشف هذه الأسرار: تتساوى الأشياء الأشدّ فظاظة والأشياء الأفضل نبلا. يبحث بارنابوث مثلا عن الإمساك بالمعنى الإيطاليّ في ما ينشده كبار الشّعراء... المباديء المسيِّرة لتوحيد إيطاليا [بالإيطالية في الأصل وهي حركة اجتماعيّة، سياسيّة ثوريّة في إيطاليا

---

308. دم، شهوة وموت شاربانتييه وفاسكيل بارس 1894.

309. جاك دو لا كراتيل رسائل إسبانية غاليمار 1927.

بدأت سنة 1848]..، لكنّه يضيف: هذا أقلّ أهمّيّة من اللّون الورديّ المتكدّر في رسومات مرافئ نابل. وجدت نفسي في بارنابوث، أنا الّذي التهم المرطّبات الفاقعة، البرّاقة لحلويّات الكافليش، بالكاد تشمّمت بفمي هذه الرّائحة الإيطاليّة للوردي المتكدّر، للمنازل النابوليتية حيث الحيويّة الحزينة والمتيبّسة لحدائق أعاليس جنوة تدفع للإحساس من خلال العيون. بالنسبة إليّ يوجد السّرّ الإيطاليّ أيضا في كلّ شيء إيطاليّ، لمعجون أسنان بولونيا قرابة سرية بنثر دانوزيو والفاشية [غابريال دانوزيو كاتب وشاعر ومسرحيّ إيطالي معروف توفّي سنة 1938 يشار إليه بالشّاعر النّبيّ]. ما يجذبني عند بارنابوث أنّ هذا المنزع التأويليّ الهرمنوطيقيّ لا يزال متلعثما. يكتب معتذرا: إيطاليا هذه الّتي أريد أن أعثر فيها على الصّيغة النّهائيّة (عوض عوض تحسّس هذه التّوسيمات). .. لقد كدّست الكثير من الكلمات دون أن أتمكّن من جعل هذا المزاج الإيطالي جيّدا. لقد أنجزنا ما هو أفضل منذ ذلك الوقت – لكن لا شيء أنيق. يبدو ونحن نقرأ هذه الصّفحات أنّنا نميل إلى استشعار أدبيّ ساذج، مثلما نكتشف بعض أوصاف الطّبيعة في رسائل مدام دي سيفني. حتّى لاربو نفسه قام بما هو أفضل، ولكنّه لم يكن جيّدا تماما. بالنّسبة إليّ دفعت هيجان السّرّ – ضدّ باريز – في الغثيان إلى درجة الرّغبة في الإمساك بتلك البسمات السّرية للأشياء منظورة بمنأى عن النّاس. فرونكتين قدّام الحديقة العمومية، كان مثلي أنا تماما قدّام نهج نابلوتي: كانت الأشياء تثير عنده معنى، ولا بدّ من تهجية ذلك. وحين قرّرت كتابة قصص قصيرة، كان هدفي مختلفا تماما عمّا بلغته من بعد: لقد لحظت أنّ الكلمات الصّافية تدع مجالا لمعنى الشّوارع والمشاهد أن ينفلت – مثلما لاحظ ذلك بارنابوث. فهمت أنّه يجب تقديم المعنى وهو لا يزال ملتصقا بالأشياء، لأنّه لا ينفصل عنها تماما، ولإظهاره لابدّ من الاستعجال في إبراز بعض هذه الأشياء الّتي تحتويه، وتقريب الإحساس بتساويهما، بما يجعل هذه القوى الصّلبة تتدافع، وتمّحي في ذهن القارئ، مثل مسمار يكسر مسمارا آخر، ولا يبقي شيئا، في نهاية المطاف عند أفق هذه الفوضى المبرقشة، سوى معنى خفيّ وعنيد، شديد الدّقّة لكن منفلت إلى الأبد من الكلمات[310].

310. هذا ما عمل سارتر على الحصول عليه سنة 1951في كتابه غير المكتمل حول إيطاليا

وللإفلات من الرّوابط المنطقيّة، في غياب التّرقيم، يكون من الأفضل تجميع هذه الأشياء الممتزجة ببعضها من خلال حركة مختصرة جدّا. عموما؛ تمكّنت من كتابة قصص قصيرة من النّوع القريب من ك. مانسفيلد. كتبت اثنتين: واحدة حول النّرويج، شمس منتصف الليل[311]، الّتي أضعتها فيما بعد وأنا أتمشّى حاملا سترتي في يدي وسط إحدى الهضاب الجيريّة؛ وأخرى فقدتها تماما كانت حول نابل: اغتراب[312] وفي النّهاية قادني المنطق الخاصّ بجنس القصّة القصيرة، لكتابة الجدار والغرفة، اللّتين لم تكونا أبدا ضمن مقاصدي الأولى. بإيجاز؛ لقد دفعت بالاتّجاه نحو السّر لدرجة نزع الصّفة البشرية نهائيا عن سرّ الأشياء. لكن، أصرُّ على أنّ الغالبيّة العظمى للأسرار هي بشريّة. وأرى خاتمة تخمينات بارنابوث في الصّفحات الهيدجيرية في أرض الرّجال الّتي ذكرتها في دفتري الثّالث، حيثُ يقول سانت-إكزوبري تقريبا: لا يكتسب أيّ من الأشياء معنى، إلّا من خلال الحضارة، الثقافة، المهنة. نسجّل بذاك عودة إلى فكرة الوجود في العالم، الّتي يصبح العالم بموجبها مركّبا من المعاني، ممثّلا لهويّته المفترضة، يتراءى لي إذن أنّنا قلبنا صفحة جديدة في التّاريخ الأدبيّ شعور الطبيعة. بارّيز أو الأسرار، جيد أو دمقرطة الأشياء. لاربو وكلّ ما بعد الحرب أو دمقرطة الأسرار. وأخيرا هذه النّزعة الإنسانيّة الأكثر امتدادا لسنة 1939: عودة الحركة واعتبار المهنة أفضل عضو للإمساك بالأسرار. سوف أقول دونما تردّد إنّ حقبة لاربو، حيث يبدو أنّ هناك حدسا فنّيا للأسرار متاحا لأيّ شخص أخلص النّيّة، وساهم في التّجريد الرّأسماليّ الّذي تحدّثت عنه بالأمس. فالإنسان الّذي يلتقط الأسرار هو الإنسان المجرّد، الّذي يرتبط ارتباطا جديدا بعالمه، في زمن انهيار، البيت البورجوازيّ، وفرض الرّأسماليّة لشروطها، الّتي توجز الإنسان فيما يأتيه من عمل. ومن الواضح هنا حضور موجة نوستالجيّة نحو الفاشيّة. أعترف أنا نفسي أنّ في

الملكةألبيمارل أو السائح الأخير (طبعة بوستيم غاليمار 1991).

311. كتبها خلال رحلة سياحية للنرويج رفقة عائلته سنة 1935.

312. مستوحاة من رحلة إلى أيطاليا رفقة سيمون دي بوفوار. أعمال روائية مكتبة البلياد غاليمار 1981ملحق.

تفكيري الرّاهن شبهة فاشية (التّأريخيّة، الوجود-في-العالم، كلّ ما يقيّد الانسان إلى وقته، كلّ ما ينبت جذورا في أرضه، في وضعه). غير أنّني أمقت الفاشيّة ولا أستعملها هنا إلّا بمثابة قبضة ملح نضيفها لفطيرة، من أجل أن تظهر أحلى.

هذه المعارضة للعامل عند سانت-أكزوبري، على طريقة السّائح المجرد تتّشح بقدر من القوّة، إلى درجة أنّ المسافر (أي بارنابوث) يمكنه أن يرى الورود البيضاء للبحر، ووحده الطّيار يرى سُمَّها. ومن المؤكّد أنّ الإنسان المثقّف سوف يعثر على هذه المقاطع المباغتة حول صحراء أرض النّار، لباريس عند سانت أكزوبري، ولدى غيره من الكتّاب المعاصرين. وإذا لم ينتبه، فإنّه سيخطئ الفارق الأساسيّ، فبالنّسبة إلى بارنابوث، فإنّ النّرويج، فرنسا، إيطاليا هي أراض وثقافات وُضعت قطعة بقطعة، وبسبب من جمودها، تبعث على الانفصال. لكن بالنّسبة إلى سانت-إكزوبري، فإنّ الطّيّار يحقّق وجوده في العالم، من خلال فعل التّحليق، حيث تظهر البلدان كوجهات نهائيّة، يتحقّق عبرها موت الغرابة، فهذه الأماكن ذات الأسماء السّاحرة: بيونس أيرس، قرطاجنّة، مرّاكش، هي موضوعة بجانبه كي يستطيع استعمالها، مثلما هو الشّأن بالنّسبة إلى المسامير والمنجر فوق منضدة العمل. طنجة هي أوّلا، مرجع، وسيلة توجيه، مركز إذاعة، ثمّ هي مستودع أمانات، مهمّة محدّدة ضمن مهنة مّا. في الأخير؛ ما إن نقترب تتفتّح الوردة، وهاهي المدينة الصّفراء والجافّة بما فيه من إسبانيّين بائسين ومتكبّرين، والقائلين الجميلين. لكنّها ليست هكذا، بهذه الرّقّة، إلّا في الموضع الأخير، سانت-إكزوبري هو مضادّ-بارنابوث.

الأشياء بشرية بالضّرورة، ولا قدرة لنا عليها. تعلن الإنسان للإنسان. لكن لا يجب أن نفهم من خلال هذا، أنّ معناها البشريّ ركد فوقها بطبقات متتالية، في أثر الأجيال، في أَثَر الحياة الفردية. يكفي أن، نوجد، أن نلقي بأنفسنا في العالم مرّة، من خلال ثقب في العدم، وإلقاء واقعنا- المفروض في أفق الموجود باعتباره نموذجا للتّأسيس، حتّى يرسل لنا كلّ شيء، ويعلن لنا هذا الواقع-المفروض. لكن بكسر أشعّتها بعلامته الخاصّة. هكذا نتعلّم عن الأشياء. لكنّ المعاني البشريّة الّتي ترسلها ثقيلة، وغنية بجوهرها الذّاتيّ، ومن هنا فإنّ ما نقرؤه عن الأشياء لا يتوقّف فقط عند

كشفه لأنفسنا، فهذا يخلقنا. لا يجب الاعتقاد مثلا أنّنا نحن شكّلنا أوّلا الطّبيعة النّفسيّة: رخاوة ماكرة ومحيّرة، خساسة تتدَّبَّق بالافتخار المهتمّ وشهوة لاحتقار النّفس، إلخ. .. وتشكيل اللّزوجة بعد ذلك كصورة جسديّة للأسلوب الذّهنيّ. فهذا مدعاة للاعتقاد أنّ الصّورة دائما استعارة، محجوزة في العلاقات المجرّدة، إنّ أخلاق الحكاية مهيّأة قبل الحكاية. في الحقيقة ما إن ألقي بنفسي في العالم، ينتصب كلّ شيء أمامي بنظرة بشريّة قبل أن أعرف كيف أستعمله، وأن أفهم هذه النّظرة. تحيّرني اللّزوجة تلولبني قبل أن أتمكّن من معرفة أنّه يوجد عند النّاس خساسة متذلّلة ورخوة. ليس ثمّة هنا استشعار داخلي[313] [بالألمانيّة في الأصل] فيما بعد الطّبيعة، لكن بالعكس، هو قبل كلّ شيء شعور نفسيّ، قبل كلّ اسشعار داخليّ تجريبيّ، تُقدِّم اللّزوجة نفسها بوصفها صنفا وجوديّا، وتسمُّمها الثّخين والصّلصاليّ يوجّهنا نحو الآخر، بقدر ما ينفصل عن خلفيّة العالم البشريّ. بطبيعتها البشريّة تتلقّى اللّزوجة الصّنف الشّكليّ والبراغماتيّ، بمقاومة للإنسان، بمسافة بين الإنسان والإنسان، بالوسيلة المعتمدة من طرق الواقع-المفروض للّحاق به. غير أنّ طبيعتها الخاصّة تتكفّل بالباقي وترسل لزوجة-بشريّة. وهو ما يفسّر الاشمئزاز. الاشمئزاز هو اشمئزاز الإنسان من الإنسان. الطّفل الّذي يضع يده في زفت لزج ويسحبها اشمئزازا وهو يبكي، قام بتجربة بشريّة؛ ليس لأنّه اشتشعر خساسة الإنسان من خلال اللّزوجة، فلم يجرّب إلّا شيئا واحدا؛ لكنّ هذا الشّيء يسري في بنيته العميقة؛ فلها عمق غير متميِّز اختلطت فيه آلاف الممكنات المبهمة والبشريّة، آلاف الممكنات الخاصّة بذلك الطّفل. اللّزوجة مُلازمة. ومن هنا يصبح من السّهل الوقوع في التّأليه ثمّ في الإحيائيّة، لكنّ الطّبيعة ليست تأليهيّة ولا إحيائيّة. الأشياء ساحرة، لكن لأنّها ببساطة بشريّة، فلا حدّ لها. تخفي معان بشريّة نستشعرها نحن دون أن نفهمها. ليس هناك خساسة مخفيّة في اللّزوجة لكن هناك فقط لزوجة-بشريّة، لزوجة-من أجل - الإنسان، مرجع جميع الخساسات. واقع-مفروض لزج في أفق هذه اللّزوجة، وهذا الواقع - المفروض الّذي لا نفهمه نحن. نحن بأنفسنا. إمكانيّة لزوجتنا في اللّزوجة.

---

313. استشعار داخلي، تعاطف.

إمكانيّة أن نصبح لزجين بأنفسنا – أن نستشعر في قلق، دون أن نفهم أصلا ماهيّة هذه اللّزوجة. ومن هنا برزت ضرورة إجراء جرد إحصائيّ لهذه الأصناف الواقعيّة الّتي يأتي منها الإنسان ببطء إلى نفسه: اللّزوجة، المرونة، إلخ، إلخ[314]، سأقول بخصوص هذا الموضوع إنّني لا أرى بوضوح مّا كنت أخمّن فيه منذ مدّة طويلة: ما قبل الجنس. يرى الفرويديّون إنّ الحركة الّتي يقوم بها الطّفل الصّغير أثناء لعبه وهو يحفر حفرا ليست بريئة على الإطلاق. تلك الّتي تتمثّل في دفع أصبعه في ثقب باب أو ثقب حصان. قاربوها من تلك المتع الغائطيّة الّتي اتّخذها الأطفال شبيهة بحقن شرجيّة. وقد أصابوا في ذلك. لكن يبقى أساس السّؤال ملتبسا: هل من الضّروريّ ربط كلّ هذه التّجارب بالتّجربة الوحيدة للمتعة الشّرجيّة؟ يهمُّني أن أشير إلى أنّ هذا يفترض تخمينا عجيبا للغريزة، لأنّ الطّفل الّذي لا يفرج عن غائطه من أجل الاستمتاع أطول وقت بالتّبرّز لا يعلم أنّ له شرجا، ولا أنّ هذا الشّرج يشبه شيئا مّا الثُّقَبَ، أين يحاول أن يلج أصابعه. بمعنى آخر يُصرُّ فرويد على القول إنّ كل الثّقوب مشابهة للشّرج رمزيّا عند الطّفل، وتجذبه هذه القرابة بينهما– أمّا أنا فأتساءل، أليس الشّرج عند الطّفل موضوع غلمة لأنّه حفرة. فممّا لا شكّ فيه؛ أنّ ثقب المؤخّرة هو الأكثر حيويّة مقارنة بغيره، إنّه غنائيّ، يتغضَّن مثل حاجب، ينكمش مثل حيوان جريح، يسترخي وفي الأخير يفغّر عن فمه، منهزما وجاهزا للإفراج عن أسراره، إنّه الأطرى والأخفى من بين أشباهه، وهو كلّ ما نرغب فيه، لن أمانع إطلاقا أن يؤلّف الفرويديّون أناشيد حول الشّرج، لكن لا يعني ذلك أنّ عبادة الثّقب سابقة على عبادة الشّرج. وأؤكد جيّدا أنّه يهمّ شيئا فشيئا الجنس، إذ أتخيّل أنّه ما قبل جنسيّ أوّلا، أي أنّه يتضمّن الجنس في الحالة المتغايرة ثمّ يتجاوزها. أعتقد أنّ المتعة الّتي يجدها الطّفل في الحقنات الشّرجيّة (كثيرون أولئك الّذين يلعبون لعبة الطّبيب لمجرد الظّفر بهذه المتعة. أنا نفسي، لديَّ ذكريات قديمة في هذا السّياق: ترفع جدّتي ذراعيها للسّماء وهي تفاجئني في غرفة النّزل بسيليسبرغ بصدد إعطاء حقنة لطفلة سويسريّة صغيرة في ندِّي) ماقبل جنسيّة. متعة إيلاج ثقب. ووضعيّة إيلاج ثقب، هي نفسها ما قبل جنسيّة. نفهم من

314. انظر الجزء الرابع من الوجود والعدم الفصل الثاني:" عن النوعية بوصفها كاشفة للوجود.

خلال هذا أنّها ليست نفسيّة ولا تاريخيّة، لا تفترض روابط مُحقَّقَة أثناء التّجربة البشريّة بين الفتحات ومُتَعنا. لكن ما أن يولد شخص مّا، فالثّقب، الثّغرات، كلّ الحفر الّتي تحيط به تصبح بشريّة. العالم مملكة من الحفر. بالفعل أرى أنّ الثّقب مرتبط بالرّفض، بالإنكار وبالعدم. الثّقب، هو أوّلا ما ليس موجودا. هذه الوظيفة العدميّة تنكشف من خلال عبارات سوقيّة من نوع: ثقب مؤخّرة بلا أرداف، الّتي تعني العدم. معاملة عدوّ بثقب مؤخّرة بلا أرداف هو ما يعني تحويله إلى عدم. جعله عدما أحمق، صفرا. فمن الطّبيعيّ أنّ الأرداف تشكّل حواف الشّرج في المخيّلة الشّعبيّة. بل أشير أيضا أنّ الأذهان مأخوذة بفكرة عمق الثّقب، نتحدّث عن بئر الحماقة وحماقة بلا عمق. ثمّة هنا التباس مغري، جدل المنتهي في علاقة باللّا منتهي: نريد أن نعثر في كلّ ثقب عن عمق مّا – بما أنّ له حوافًا- لكن من جهة أخرى فالعدم لامنتهي، بما أنّه محدود بنفسه فقط. هناك إذن جاذبيّة للعدم، جاذبيّة للالتباس. من هنا لعبة الاختباء. الدّخول في مخبأ، فهو التّواري في ثقب، التّحوّل إلى عدم، التّطابق مع الفراغ الّذي يمثّل الثّقب. الحماية الذّاتية كما يقولون. بالانسحاب في اللّامرئيّ نحمي أنفسنا بالتّحوّل إلى عدم. هكذا يتّضح أنّ عدم الثّقب هو عدم الإنسان، موت وحياة في الوقت نفسه، إنكار ما هو اجتماعيّ. رأيت ذات يوم أمّا فرويديّة تحضن بعين حنونة ابنتها المختبئة تحت الطّاولة. لقد ذهب في ظنّها أنّ تفضيل الطّفلة لهذه المخابئ المعتمة هو حنين للعودة إلى حالة ما قبل الولادة؛ شعرت بالافتخار كما لو أنّ الطّفلة تطرق الباب للعودة إلى أصلها الحميميّ. أفترض أنّها كانت مستعدّة للإفراج عن ساقيها. غير أنّه مجرّد كلام فارغ. تنبع دوخة الثّقب ممّا يقترحه من تحوّل إلى العدميّة، يتهرّي من الافتعال. إنّه هو هذا العدم المغري فيما نسمّيه فعليا الدّوخة. الهاوية ثقب، تقترح الابتلاع، وغالبا ما يغري الابتلاع، مثل التّحول إلى عدم تصبح تأسيسه الحقيقي. من الطّبيعيّ أنّ إغراء الثّقب يكون مصحوبا بالتّدافع والقلق. غير أنّ عدم الثّقب ملوَّن، عدم أسود وهو ما يستدعي إلى الذّهن طبيعة أخرى. طبيعة الثّقب غامضة. وهو ما يمنحها صفتها المبهمة، العجيبة والمقدّسة. ولهذا السّبب بالضّبط لأنّها غامضة، هي تُخفي. ثقب النّهار، هي شقوق اللّيل. هناك شيء مّا في عمق اللّيل. الثقب مقدّس لأنّه

يخفي. بل هو المناسبة للتّواصل مع ما لا نراه. الوضعيّة اللّافتة لشخص بصدد التّفتيش في ثقب: أنّ يديه تصطدمان بأعداء ليس بإمكان عينيه رؤيتها. فعيناه مازالتا في مملكة النّور، لكنّ جزءا كاملا أعمى منه هو الآن في الظّلمات. لقد لاحظت في السّابق أنّ الثّقب غالبا ما يكون مقاومة يجب ممارسة القوّة معه للعبور. من هنا، هو أنثويّ. مقاومة للعدم، أي الطّهر. ومن البديهيّ أنّه انطلاقا من هنا يغري بالجنس (إرادة القوّة، الاغتصاب، إلخ) لكن، في نفس الوقت ففي فعل الإيلاج، الّذي هو اغتصاب، نقب، نجد الفعل العامل لسدِّ الثّقب. يعبّر الطّفل الّذي يحشو أصبعه في ثقب عن سعادة كبيرة لملء هذا الثّقب. كلّ الثقب بمعنى مّا تغري بشكل غامض أن يتم ملؤها. هي نداءات: ملء، انتصار الامتلاء على الفراغ، انتصار الوجود على العدم. يتعلّق الأمر هنا بفعل حرفيّ. التّعبير سدّ الثّقب، وسداد-ثقب، يشير الانشغال البشريّ بتحقيق الامتلاء – في تقابل مع دوخة التّحوّل للعدم. سدّ ثقب هو تحويل الفراغ إلى امتلاء، ومن هنا، الابتكار السّحريّ للمادّة الّتي تحتوي كلّ صفات الجوهر المثقوب. إذا سددت بالتّراب ثقبا في حائط آخر، فقد صنعت الآجر بالتّراب. من هنا الميل لسدّ الثّقب بجوهره الذّاتيّ، وهو ما يؤدّي إلى التّطابق مع الجوهر المثقوب، وفي النّهاية استعارة. الطّفل الّذي يلج أصبعه في حفرة في الأرض هو نفسه ذلك التّراب الّذي يسُدُّ، يتحوّل من خلال أصبعه إلى تراب. في عمق شعوذته نعثر على فكرة حرفيّة الدّمج، طابع بدائيّ للضّرورة. جسدان يندمجان إنّما خُلقا لبعضهما. يؤدّي الدّمج إلى الانصهار بشكل سحريّ. نلاحظ أنّ طبيعة الثّقب، ما قبل جنسيّة تتكيّف بشكل كبير مع استقطاب الجنس. حين يتمكّن الطّفل من التّفكير إنّه هو بدوره ثقب يتم إيلاجه، عكس ذلك بإمكانه هو أن يلج ويسدّ بلحمه الخاصّ ثقبا يحيا مخفيّا في جسم حيّ. لكن نرى أنّه بدلا من أن يمنح الجنس في علاقته بالثّقب، الجاذبيّة للطّفل، فإنّ الطّبيعة التّصنيفيّة للثقب تختزل في أنواع الثقب الجنسية، الفرج، الشرج، الفم إلخ. وهذا لا يعني إطلاقا أنّ الثّقب لايكون في حدّ ذاته موضوعا جنسيّا، لكن لا بدّ من ملاحظة (1* أنّ هذا الجنس غير مميّز، بل هو متأسس من مجموع الميولات البشريّة ومن الموقف البشريّ من الثّقب؛ (2* أنّ هذا الجنس لا يتوجّه بالأساس إلى

الثّقب بشكل اشتقاقيّ وبسب تشابهه مع الشّرج ولكن باعتباره مكوّنا لبنيته نفسها. الثّقب عضو أنثوي وغامض للطّبيعة، منير على العدم، رمز الرّفض الطّهريّ والمغتصب، فم الظّلّ الّذي يبتلع ويشابه، يرسل إلى الإنسان الصّورة البشريّة لإمكانيّاته الخاصّة، مثل اللّزوجة، مثل التفتّتِيَة. من الممكن أن يكون هناك تلذُّذ بشريّ لملء ثقب – ولا يكون ذا طابع جنسيّ، كما هناك تلذّذ بشريّ في كشط مادّة مفتّتة واستخراج أجزاء منها. لقد جعل الفرويديّون من أنفسهم شعراء الثّقب الجنسيّين لكن لم يفسّروا طبيعة جاذبيّة هذا الثّقب. للقيام بذلك لابدّ من رؤية ظلّ الإنسان معكوسا في شقوق الطّبيعة، وثغراتها[315]. أخبرتني الكاستور أنّها قد عانت رعبا رهيبا وهي تقرأ كتابا، أعتقد أنّ عنوانه المهرول في الدّغل[316]. وفيه حكايات رهيبة ومنها، ما يمكن أن نتأمّل فيها هذه القصّة الّتي تضع في النّور خصائص الثّقب: اكتشف سجينان مدخل نفق ضيّق ومظلم، استطاعا ولوجه وهربا، وهما يزحفان على أربع، وبدأ النّفق يضيق بقدر ما يتقدم فيه الفارّان، وفجأة وجد السّجين الّذي يتقدّم في الأوّل وكان مستمتعا وودودا، نفسه محاصرا بين العوارض لا يستطيع التّقدّم ولا التّأخّر، وفي هذه الأثناء ظهر بوا [أفعى ضخمة جدّا] وابتلعه بالكامل، رغم صرخاته اليائسة. طبعا السّجين الثّاني هو الّذي روى الحكاية وقد شهد ابتلاع البوا لرفيقه السّيّئ الحظّ. كلّ رعب الحكاية الّذي منع الكاستور من النّوم في الكثير من الأحيان متأتّ من أنّ الأحداث وقعت في ثقب. من المؤكّد أنّه لأمر فظيع جدّا أن يبتلعنا بوا، لكن حين تتمّ هذه العمليّة في الهواء الطّلق، فيمكن تصنيفها ضمن الأعمال الشّنيعة الّتي تتناسل في كتب الصّبيان الصّغار الّتي يقرِؤونها بعيون باردة، وهم يتناولون خبزا مطليّا بالمربّى. هذه الأحدوثة توقظ القلق الممتزج بالرّعب وبالغلمة في هذا الثّقب. ما الدّاعي للبحث هنا عن حكايات المؤخّرة؟ فالفصل يتحدّث بنفسه عن نفسه. أليس ذاك هو جوهر الثّقب. هذه الفتحة المظلمة الّتي

---

315. نفس المرجع السابق.

316. المهرول في الأدغال للويس جاكوليو صدر عن ماريون وفلاماريونسنة 1888تم ذكره في مذكرات شابة مرتبة سلسلة فوليو غاليمار صفحة72

نغتصبها، وتمنح نفسها أوّلا، الّتي هي عدم وليل، ثمّ تنغلق ثانيا ببطء مثل فم، مثل عضلة عاصرة وتحتوي على شيء مّا عميق بداخلها، وتخفي -ماذا؟ فتحة أخرى موهوبة بقوّة مفترسة ومحوّلة للعدم، بوا. ولست أعرف إن لم يكن في عمق ارتعاب الكاستور تلذّذ غامض، لأنّ هذا الابتلاع مشفوع بالإزدراء، فإنّ هذا الشخص المبتلع ببدانته من طرف قوى الظّلام، ففي هذا شيء من الرّضا للذّهن وللقلب.

بطبيعة الحال، فإنّ ما حاولت القيام به بخصوص الثّقب، يمكن القيام به بخصوص العشرات من الأشياء ما قبل الجنسيّة، بخصوص الإصبع، بخصوص الوضعيّات (وضعيّات بعض الأشياء بالنسبة إلى غيرها، تجميع، تراكب – وضعيّة متصارعيْن، وضعيّة محاربين، وضعيّة لاعبين وأخيرا الوضعيّات المتبادلة بين المرأة والرّجل خلال ألعاب الحبّ) لقد أردت، فقط التّنبيه للأصل البشريّ لمعنى الأشياء، نفهم من خلال هذا أنّ الإنسان ليس فقط سابقا على معنى الأشياء، ولكن أنّ العالم بشريٌّ، وفي العالم البشريّ وحده يظهر الإنسان. ولنؤكّد هنا بالفعل أنّ اللّزوجة لا تكون في بدايتها مطلقة، ثمّ تؤول إلى بشريّة، ولا يكون الثّقب في مقابل ذلك ثقبا، ثمّ يؤول إلى عدم غامض، قويّ مبتلع. من حدث واحد يتكوّن كلّ هذا باعتباره أشياء طبيعيّة وبشريّة، ففي غياب الإنسان وقدرته على التّحوّل العدميّ، لن تكون هناك لزوجة ولا ثقب، لن يكون هناك انشراح بالامتلاء المتغاير. بعكسه لعدمه في هذا الامتلاء يشير الإنسان من خلال الإنكار، إلى أنّ هناك ثقبا وهذه الثّقب هي ثقب–من أجل–الإنسان[317].

زارنا هذا المساء سائق العقيد كلاين. فقد تناهت أصواتنا المتعاية إلى سمعه وأغرته بأن يكون معنا، همست في أذن صديقنا بياتر، أنّ لضيفنا طبعا نسائيّا، ولم يرقه ذلك. وجدنا بيننا الدّفء، والضّوء، وأكرمناه بقطعة من الكعك، فأمتعنا قصصا. إنّه أوّل

317. كتب سارتر في رسالته إلى سيمون دي بوفوار بتاريخ نفس اليوم:" لقد عثرت أيضا على نظرية للعدم بقراءتي لكيركيغارد. عمل جيد، اعتقد إن دفاتري الصغيرة هذه افضل بكثير، لعلها أكثر فلسفية: لكن بدون تلعثم " (يلمح للدفتر الرابع وهذا الدفتر الذي هو بصدد الكتابة فيه، الدفاتر الثلاث الأولى هي بحوزة الكاستور).

شخص ألتقيه، ممّن تسنّى لهم مشاهدة وضعيّة القرى الّتي تم تهجير سكّانها، عن كثب. ذات يوم؛ وأثناء توقّفهم في إحدى القرى الحدوديّة، وبينما كان العقيد يتفقّد المدفعيّات، طلب من أحد العرفاء أن يفتح له إحدى المنازل ليطّلع على حالة الأثاث. وما رآه يستدعي التّأمّل: مرايا الخزائن مهشّمة، أثاث مكسور بالبنادق، ملابس منهوبة – تلك الّتي ما كان بالإمكان حملها فتمّ تمزيقها. قراميد السّقوف مكسّرة، لا أثر للأواني. احتسى الجنود ما شاؤوا في الأقبية وحين ثملوا وما عاد باستطاعتهم مواصلة الشّرب تركوا حنفيّات البراميل مفتوحة. القبو فاض بالخمر. «آلة خياطة مكسرة إلى قطعتين بضربات الفأس؟ رغم أنّها كانت من المعدن المذاب». قال كلاين ذلك، بأسى بالغ. عاد منذ زمن قريب بعض المُهجَّرين إلى قريتهم وبعض القرى المجاورة برخصة لمدّة 24ساعة ليحملوا بعض الملابس. انخرط أغلبهم في البكاء وهم يخرجون من بيوتهم يائسين؛ لم يعثروا على أيّ شيء. قدّموا شكايات لآمر الجيش. لكن ما العمل؟ لا ينتمي المسؤولون لفرقتنا، ولا للفرقة الّتي سبقتنا. هذا يعود للزّمن الأوّل لبدايات الحرب. كما قال بياتر بالضّبط، تمّ ذلك في وقت كنّا نعتقد فيه أنّ الحرب ستكون كارثة. اندفع الجنود للنّهب، معتقدين أنّه بعد قصف المدفعيّات، سوف يمَّحي كلّ أثر للنّهب، وأنّ المنازل سوف تنهار. ثمّ، ها قد صارت الحرب مللا متواصلا، انتظارا طويلا ومقيتا، ومنازل قائمة، منهوبة ومكتومة، قال أحد العرفاء: «هذا غير ممكن، غير ممكن إعادة المنازل بهذا الشّكل لأصحابها، سوف يحدث هذا الأمر اضطرابات. لا بدّ أن يقولوا لهم إنّ البوش هم من قاموا بالنّهب. ولتصديق هذا لا بدّ للبوش أن يهاجموا». يبدو أنّ الضّباط يعطون المثل. تمّ تفريغ عربات بهيرليشايم على أساس أنّها مشحونة بعتاد معطوب: واتّضح أنّها مملؤءة بملابس، آلات خياطة، أواني فضّيّة. من المستحيل معرفة ما إذا كان هناك مدنيّون يأتون للتّزود بأشياء ساخنة قد شاركوا في النّهب. فلديهم إذن بالعبور فقط لاشيء آخر. من المستحيل معرفة إن كانوا يكتفون بالذّهاب لبيوتهم فقط أم يدخلون بيوت جيرانهم الأثرياء أيضا. وحده رئيس البلديّة يمكنه أن يكشف عن ذلك، غير أنّ رئيس البلدية، غير موجود، فهو بليموزين. تحدّثنا عن سترازبورغ. قال إنّ أعوان

الأمن هناك بالعكس، منظّمون جدّا ومتشدّدون. اختفى شيخ أصيل من هناك بائع مطّريات في بيته ورفض تهجيره وبقي وحده في القرية، مكتفيا بالمعلّبات غذاء له. وفي ذات ليلة تجرّأ وأضاء غرفته. انتبه أعوان الأمن الّذين يقومون بجولة مراقبة للضّوء المنبعث من الغرفة فنادوا وصاحوا ولم يجبهم الشّيخ.. صاحوا ثلاث مرّات والشّيخ أخرس لا يردّ، خائفا من أن يقوموا بتهجيره بالقوّة. في المرّة الثالثة حين لم يتلقّ أعوان الأمن أيّ ردّ شرعوا في إطلاق النّار، ومنذ الطلقات الأولى سقط قتيلا.

الجمعة 22

ذهبت للحجّ في بفافينهوفن، مهد عائلتي من أمّي، إن لم تخنّي الذّاكرة. لقد قضيت فيها عطلة صيف 1913 عند خالتي كارولين بيدرمان[318] الّتي تمتلك مغازة لبيع الملابس الجاهزة، وهي أغنى من في المدينة (بالمناسبة، كيف لجدّي المتغطرس جدّا بخصوص النّبل الثقافيّ، أن يقتنع بالزّواج غير المتكافئ لأخته؟). أتذكّر بشكل غامض، أنّني شاهدت، بتلك المناسبة، الالتماع الفضّيّ لفيلق ألمانيّ يمرّ من تحت نافذتنا بموسيقى المزمار المتنافرة والحادّة. ببفافينهوفن؛ حدثت لي أوّل ذكرى أدبيّة. كتبت رواية مغامرات، من أجل فراشة، جالسا على مكتب وقد أعطيت ظهري للنّافذة. كان الورق الّذي أكتب عليه مرتّبا بشكل جيّد: كانت تحريزات أكثر منها سطورا: كلّ سنتيمترين خطّان متوازيان مسطّرين بعيدين بربع سنتمتر عن بعضهما، ومهيّأين لتحديد مجال خطّي التّلمذيّ من الأعلى ومن الأسفل، أرسى هذا في داخلي شعورا سيّئا بالبخل. كنت أقتني هذا الكرّاسات الصغيرة من عند روزينفلدر[319]، ورّاق بائس كان دكانه قبالة المغازة الكبرى لبيادرمان، كان يوفّر لي أيضا أقلاما وحلوى. وقد أرسى كلّ هذا علاقة غريبة في داخلي بين الأقلام والكرّاسات

---

318. أخت شارل شويتزر جد سارتر من الأم.

319. سيدخل شيء من الضطراب على هذه الذكرى فيما بعد: حين يكتب سارتر الكلمات. فروزنفلدر هذا سيتحول إلى بقال يسميه بلومنفلد (هذه الوراقة بلافتة " روزنفلدر" مازالت موجودة إلى اليوم الذي نكتب فيه هذه التدوينة.

والحلوى الّتي حين أمضغها أشعر أنّني أمضغ الأوراق. كانت هذه الحلوى في قلبي، مملّة بشكل خفيف، والأكثر من ذلك أنّها كانت جذّابة، حلوى العمل. كنت محشورا أغلب الوقت في هذه الوراقة وخالتي كارولين الّتي كانت بقرة عجوزا تشير لي بردود فعل سيّئة: لا تزعج السّيد روزنفلدر، بشراءات بالقليل من بفينغ [جزء من المارك الألماني]. للحقيقة؛ حسب ما أذكر أنّ السيد روزنفلدر، أصلع وحريص، بنظّارتين، لم يكن الشّخص الّذي يهمل بعض البيفنغ. عدت صحبة جدّي بعد الحرب إلى بفافنهوفن بين 1920و1921. كانت الخالة كارولين سيّئة دائما. أذكر أنّني كنت ألاعب ابن أختها الصّغير تيو في الحديقة، وابنة زوجها الّتي كنت أشاركها العزف على البيانو، وابنتها آنا المحنيّة الظّهر الّتي كانت تعلّمني أن أنطق[320]، لتستمتع بنطقي الفرنسيّ. أذكر أيضا جولة في قصر ليختنبرغ في عربة يجرّها حصانان. وفي طريق عودتنا تناولنا الغداء في مطعم شعبيّ: أكلت ابنتا خالتي ماتيلد وآنا كثيرا، على الطّريقة الألزاسيّة، ما جعل روائح الطّعام تلوّن وجهيهما. صدمني ذلك أو لعلّني، كنت أريد أن يصدمني ذلك: كنت في عمر من يفعل وحده مثلما يفعل ألن فورنييه، حيث، شعر أنّنا رقيقون لأنّنا نطالب من النّساء لطافة غير واقعية، وهو ما يسمح، إن كنت جميلا ومطلوبا من الآخرين أن تظهر قاس جدّا ومدلّلا معهنّ، كي يدفعن غاليا ثمن إثمهنّ إنهنّ من لحم وعظم، وإن كنت وغدا أن تقرأ لافورغ بمرارة كريهة.

لقد جرَّبت هذا النّوع من الرّقّة وفشلت فيه. كان اتّجاها ممكنا. واتّخذت أنا وبول نيزان الاتجاه الآخر تقريبا، عبادة الجسد. أتذكّر أنّنا نستمتع –من خلال موقف أيضا– بكليني حين نشاهد شقراء صلبة تمزق بأسنانها الجميلة ساندويتش باللّحم البارد. كان بإمكننا أنا وهو أن نكتب مثلما كتب لاربو: أرى أنّ هناك أشياء رائقة أكثر من مشاهدة امرأة جميلة بتنّورة قصيرة تأكل بشهية فائقة لحما طريا جميلا. [321] وربّما كان هذا النّصّ القصير منطلق محادثاتنا المتعدّدة بخصوص هذا الموضوع، في تطابق مع عقلانيتنا: الجسد هو الجسد، نعشق جسد المرأة، وعلينا أن نتقبّله كاملا، ليست هناك

320. كلمتان من الدارجة الأزاسية ربما تعنيان: دمية وضلع.

321. في بارنابوث. يومياته فلورنس. الأحد 30أفريل.

عيوب جسد. لا كلُّ مُتبَّل بوسم وثنيّ، طبعا: كانت تلك الحقبة الّتي كنّا نقرأ فيها أناشيد الجسد لمونترلين. بطبيعة الحال؛ كنّا غير متيقّنين أن نقع، من حين لآخر، في اللّياقة الملائكيّة وذكرى المرأتين بوجنتيهما الملتهبتين، هو ما أستدعيه في مثل هذه الحالات. كانت تصلح لي كضمان-ذهبيّ من أجل أحكامي. لأنّ همِّي الوحيد في تلك الحقبة، بما أنّني أبني بسرعة أكثر مما أؤسّس، أن أؤمِّن لي في كلّ حالة أتحدث عنها ذاكرة – ضمانا. أضحكت كثيرا، سنوات بعد ذلك السّيدة موريل، بإعلاني لها من خلال نبرة قاطعة، أختصّ بها ويسمّيها غيي نبرة فريدريك[322]: أمقت النّسوة اللّواتي يحمررن حين يأكلن. هذه كانت ذكرياتي الوحيدة المتبقيّة من بفافنهوفن. اعتقدت أنّني مجبر للحجّ إليها، لأنّني كنت آمل قليلا أن يكون هذا الاتّصال المفاجئ بمدينة عشت فيها لوقت مّا، سحابة من الذّكريات. ثمّ إنّ ذلك يجعلني شاعريّا، هذه المدينة الصّغيرة المتوارية في عمق ذاكرتي مثل مدينة يس [مدينة أسطوريّة في بريطانيا ابتلعها البحر] (أعتقد، أنّ هناك عملا ضخما في هذا الشّأن لرينان[323]). كان الأمر متعلّقا بجلب أسطوانة هيدروجين لمؤسّسة المناطيد، ورجوت من بول أن يرسلني لجلبها. ندمت على اتّخاذي لهذا القرار هذا الصّباح قبل أن أمضي، لأنّني ببساطة يجب أن أستنهض نفسي بالقوّة لأغادر مضجعي. ثمّ لابدّ، أن أضع القبّعة وأحمل البندقيّة وهذا يكدّرني. فليست هذه هي الأكسسوارات الّتي يحملها معه الحاجّ، يجب الاعتراف بهذا، كنت مغتاظا أن أرفض المهمّة في السّاعة الشّاعرية لإفطاري الصّباحيّ. انطلقنا تُقِلُّنا شاحنة أنا والضخم غرينر. كنت جالسا حذو سائق ألزاسي أربعينيّ، بشاربين، وكان غرينر في الخلف. طقس شديد الرّوعة، تماما كما قال جوزيف بريدوم دي كورسي، مع ضرورة أخذ النّفس للفصل بين الجمل، حين نتكلم طريقة لتمييز بوناوم ورجل ضعيف [يشير سارتر هنا على الجناس في كلمة homme

322. تلميح للبطل الروماني الذي كتب عنه سارتر في شبابه الصفحة 177 التدوينة1.

323." غالبا ما يتراءى لي إن في أعماق قلبي مدينة يس مازالت تدق أجراسها المصرة على استدعاء المؤمنين الذين لا يسمعون لأداء الواجبات المقدسة (...) خاصة باقتراب الشيخوخة، لقد غنمت من متعة خلال راحة الصيف بقطاف هذه الأصوات المتباعدة لأتلانتيد مفقودة "ذكريات الطفولة والشباب 1883(الأعمال الكاملة المجلد 2كالمان-ليفي1948).

وسوابقها من الصّفات *prudhomme* -رجل محتشم، *bonhomme* رجل طيّب]، تطبيق مهمل يقرّب الجملة الواقعة بين معقّفين ويدفع إلى سماع ما يجب سماعه، لكن ليس ما يفكر فيه المتكلّم- هذا موضوع للبحث من زمن موسيقى بيتهوفن. الكلمة عند كورسي هي الدّواء الأفضل ضدّ التّفكير. كانت الأرض شديدة الصّلابة شيهة بالصّخر، محفّرة وصفراء، بيضاء بالثّلج. شمس ساحرة، شاحبة تضيء القرى الّتي تستيقظ على مهل، ايبرباخ، شيوغوسن، نيدرمودرن، كان هناك في الحقول العديد من أحصنة بيرشيرون [نوع من الأحصنة الفرنسيّة المتميّزة بقوّتها] المشدودة لعربات المدفعيّات، غير أنّ الأرياف تأخذها لحسابها بتحويلها إلى أحصنة حراثة، وتحويل الجنود إلى فلّاحين. ريف شتائيّ جافّ وحادّ، كانت الحرارة أقلّ من تسع درجات. لم أكن أعرف شيئا. عثرت على مقهى للرّصد الجوّيّ ينطلق عند المساء في رخصة ويوزّع الشنابس. وهو ما دفع بي أن أهب مشروبي، وكذلك غرينر والسّائق أيضا. وهنا وجدت نفسي خلف شباك مؤسّسة الأرصاد الجوّيّة التّابعة للجيش. احتسينا الرّوم. خرجت ثملا شيئا مّا، وتسكّعت في بلدة كبيرة، ثريّة لكن حزينة، لم تعن لي أيّ شيء. اختفى كلّ هذا الماضي ولا شيء قد يبعثه من جديد. اشتريت مناديل -إسفنجيّة للقائد أورسيل، دفاتر مراسلات للملازم أولريخ. عند منعطف الشّارع وجدتني أمام مبنى ضخم بلون الصّلصال متداع، بأسقف من الأردواز في شكل أبراج صغيرة ومسنّنة: إنّها مغازة بيدرمان. هنا أيضا ألجمت ذاكرتي. دخلت، في الجهة المقابلة، حيث روزنفلدر واشتريت ورقا كما في السّابق. تمّ تحديث المحلّ، لكن لا يظهر منه الشيء الكثير، كان شديد التّكتّم على طريقة المغازات البروتستانيّة، لكن ممتلئا بالكثير من الأدوات اللّطيفة، دفاتر جميلة، كتب، أقلام... لكن، لا أثر للحلوى. حين خرجت عبثت قليلا قدّام مغازة آل بيدرمان. لقد توفّيت كارولين، وماتيلد أيضا، من المؤكد أنّه تم تهجير آنا (فهي تعيش بسترازبورغ. وتم تجنيد تيو، دون شكّ. وحده الشّيخ جورج بقي هنا، وهو عادة ما تتحدّث عنه العائلة وهم يمسّون جبهاتهم بأصابعهم، لم أرغب في الدّخول، رأيت أشكالا، وجه امرأة ظهرت فجأة والتصقت بالنّافذة؛ لا أعلم لماذا بدا لي هذا جارحا-لمدة ثانية. دون شكّ؛ هي الرّغبة الرّمزية

للولوج، ورؤية مدنيّين منشغلين بشؤون مدنيّة، وأن انغمس في القلب المعتم والرّقيق للسّلم، للحديث مع امرأة مّا. باختصار بي رغبة أن انصرف من هنا. عدت للمقهى حيث ينظرني غرينر. سلّمتني مصلحة الإرشاد كتلا من الجرائد ومنها لالوميار[324] بعدد15 ديسمبر، أين كتب إيميل بوفيه[325]: أشكّ أن يصبح السّيّد سارتر يصبح روائيّا كبيرا، إذ يبدو أنّه ينفر من الاصطناعيّ، وفي الاصطناعيّ يكمن الفنّ. يُخشى إنه، إن أخذ الأمر بجدية بالغة، فوسائل التعبير الّتي يمتلكها، من الضّروريّ أن تكون مغشوشة، لن يتخلّى عن الأدب لصالح الفلسفة، التّصوّف أو التّبشير الاجتماعيّ.

تركني هذ الرّأي مبهوتا: لم أكن أنتظر على الإطلاق أن ينسبونني إلى التّصوّف. وفيما يخصّ التّبشير الاجتماعيّ. ليطمئنّ السّيد بوفييه. وأي فكرة غريبة هذه الّتي شكّلها عنّي، إذ اعتقد أنّني أنفر من الاصطناعيّ. والله، إنّي لأعلم جيّدا، أنّه لابدّ من الكذب في الرّواية لتكون حقيقيّة. غير أنّني أحبّ هذه الاصطناعيّة، فأنا كاذب حسب الذّوق، وإلّا لم أكن لأكتب إطلاقا. لقد أزعجني رأيه قليلا، لاسيّما أنّه قد تناسب مع إحدى هذه المصادفات الّتي تعوّدت عليها، فهذا الرّأي جاء بعد ما وصلتني رسالة من بيانكا تقول فيها إنَّ ليفي يفضّلني روائيّا على أن أكون فيلسوفا، لأنّه ينقصني الخيال. في مقطع آخر من هذه المقالة ينتقد السيد بوفييه نسياني أنّ الرّواية تسلية. هو الّذي قال هذا. إنّي لأتّفق معه أن يكون موضوع الرّواية غير واقعيّ. لكن لا بدّ أن تكون هناك منفعيّة أكبر من أن نخلص إلى أنّ الرواية، تسلية في ذاتها. هو نفسه في فصل مدائح يعلن أنّ في كتبي سمك جميل للحياة معروض في انعدام حياء هادئ. جملة ضايقتني أكثر من كلّ ما ورد في هذا المقالة: «حين نتحدث عن سمك حياة أفكر في رابليه، والكرش الذّهبيّة لغروميلينك»[326]، ماذا أعرف؟

324. الأسبوعية الاشتراكية لجورج بوريس وجورج كمبول.

325. أستاذ وناقد أدبي

326. أخرج لويس جوفي هذه القطعة المسرحية لحساب كوميديا الشان إيليزي سنة 1925. فرناند غروميلينك (1886-1970) مؤلف الكوكي البديع.

عن الحياة عندي، غير أنّني مثلا شخص كئيب مثير للضّجر. شخص خشن بخيل؟ وليس لانعدام حيائي أيّ هدوء. بل هو ليس أصلا انعدام حياء -. عند هذا الحدّ دفع غرينر ثمن ما احتسيناه، ودفع السّائق دورة ثانية، ثمّ جاء دوري لأدفع أنا أيضا وعدنا مبتهجين. الرّيف أصهب، والشّمس أكثر اصفرارا. إنّه منتصف اللّيل. لا أفهم جيّدا هذه السّمعة التي منحوها لمنتصف النهار، بحجّة أنّه لا يعطي ظلالا للأشياء[327]، العدالة الحقيقيّة، عدالة الذّهن المتنافرة، تلك الّتي تكون عند الصّباح الباكر. بعودتنا إلى مورسبورن، شبه متعتعين، مستغربين بشكل غامض أنّنا سوف نقضي ظهيرة كاملة بهذا الشّكل، تأسّفت بمرارة على عدالتي المبتهجة هذا الصّباح؛ قال لي السّائق: «أحبّ أن يكون لي أصدقاء، فذلك من طبعي، هل يمكنني أن اقضي نويل عندك؟» - طبعا. غير أنّني أُعوِّل على بول وكيللر للتّرفيه عنه. لأنّه بالفعل لم يتبقّ على نويل غير يومين. أغلب الأشخاص هنا يولونه الكثير من الأهميّة، فبالنسبة إليهم هو فرصة للحسرات. نويل هو من تلك اللّحظات في السّنة حيث تشعر العائلة أنّها الأشدّ انغلاقا، فهذه الرّائحة هي الّتي يتحسّرون عليها. بما أنّ الإدارة العسكريّة منشغلة على معنويّات الجنود أعدت لهم مفاجأة صغيرة في ذلك اليوم. وستكون هناك شجرة نويل مخصوصة لنا في مطعم المحطّة. قد أذهب إلى هناك. أريد أن أرى نويل الجنديّ. لكن سوف يكون في شكل سائح. جلب لي بالمناسبة زجاجة نبيذ جيّد من بفانهوفن لأنّ غدا هو عيد ميلاده. سوف نحتفل به جميعا، وسوف تكون هناك كعكة كبيرة. على أن يحتفلوا بعيد ميلادي في 21 يونيو، شرط المعاملة بالمثل. إنّي أجد هذا مسخرة ومؤثّرا.

رسالة من بولهان. آراغون مازال مأجورا في فيلق العمّال (بعض المنتحرين) يصرّ على أنّ الاتحاد السوفياتي، بينما نحن نتظاهر بذلك، تضغط كل يوم على هتلر من قريب[328].

---

327. نفكر في عبارة بول فاليري " منتصف النهار" في " المقبرة البحرية."

328. للتذكير لقد ساند آراغون الاتفاق السوفياتي -الجرماني، قائلا ُن الاتحاد السوفياتي أمضت على هذا الاتفاق لتحقيق السلم.

السبت 23

الحرارة أقل من عشر درجات. برد جذّاب ومانع للعفونة، شبيه ببرد التّبنيج الموضعيّ، اللّحوم المثلّجة، الغازات المسالة.

نستدلّ بالجليد على حقيقة الأمر في طريقنا، الأشياء أصغر بكثير وأكثر وضوحا غير أنّها تبدو منفصلة عنّي في هذا المحيط الكاسر للأشعّة. وأنا أهبط الطّريق الجليديّة ذاهبا لتناول إفطاري الصّباحيّ في مطعم المحطّة؛ أشعر أنّ قدميَّ تنغرسان في الزّجاج. أصبحت المقاهي مخصّصة الآن للجنود عند الصّباح، أعتبر نفسي محظوظا أنّني أتناول غدائي في مطبخ المطعم، على قماشة مشمّعة متّسخة، وسط الصّخب الكبير للماء والرّائحة الزنخة للّحم (إنه هنا ذلك اللحم وراء ظهري، مزق من اللّحم الورديّ المخضرّ مع عظام مزرقّة تشبه العيون) مشدود على عصا، تتمدّد من حافة حوض الغسيل إلى حاشية النّافذة، نقانق سميكة مسودّة تتجمهر مثل الدّود. أجري محادثتي الصّباحيّة مع مضيِّفي المحل: طبّاخ أكل الضّبّاط، الجزّار العسكريّ الّذي ينتظر شاحنته لجلب اللّحم من مفترق الغجر، الصّيّاد بقبّعته، بوجهه الطّويل الحصانيّ، الذي عادة ما يأتي لأخذ أصحاب الرّخص الّذين عادوا عبر الحافلة. الجمل نفسها دائما –غير أنّها دائما محسوسة، وهو ما يحييها ويبعث فيها شيئا من النّضارة. لاذع، هذا الصّباح، وبنا حنين إلى بيوتنا. – وشاحنتي لم تأت ما الذي يفعله السّائق – أووه السّخانات. ..– انظر ذلك الضّخم يتبع مؤسّسة هيبو، السّائق، كان من الضّروريّ الاستنجاد بسيّارة بالأمس لإصلاح عطب سيّارتنا، لقد جرُّوها لأكثر من نصف كيلومتر ولم يشتغل محرّكها. ينظرون جهة كتبي: لديك دائما ما تقرؤه؟، وأعتذر بحياء: ليس لي ما أفعله غير ذلك، ويعذرونني بحلم، بل يشجّعونني كما يفعلون مع طفل صغير: معك حقّ؛ بما أنّك تستطيع... يمرّ من حين لآخر أبله المطعم، طويل وهزيل بوجه مغطّى بالهشيم، وهويضحك هازئا. ذات يوم قصدت ما يسمّونه هنا مبولة، على الطّريقة الألمانيّة. كان أحد أبواب المرحاض مفتوحا: رأيت إحدى الخادمات تواسي نفسها، جالسة في ارتياح وتنّورتها مرفوعة إلى فوق. كان الأبله جالسا على كرسيّ صغير خارج المرحاض يقشّر البطاطا ويحادث المرأة. ما أن لمحتني

المرأة تمتمت عفوا، وأغلقت الباب بقوّة.

الرّسالة الثّانية من بوت[329]: ما جعلني أستغرب - وهو ما صدمني منذ أيّام قليلة، لكنْ لا نفكّر في ذلك كثيرا هنا - هو إلى أيّ درجة تبدو الحياة الّتي أعيشها هنا طبيعيّة. لقد تملّكنا بعض الاستغراب الخفيف في البداية... غير أنّنا تجاوزناه بسرعة - ولايتكرر هذا الاستغراب إلّا في مناسبات قليلة جدّا. المزعج أنّ هذا الاستغراب عاودني هذا المساء على إثر الانتهاء من قراءة رسالتك. أعدتها في المغلّف ملقيا بضحكة غبيّة وما صدمني هو الغباء. هذا هو ما يذهلني في هذه اللّحظة. إلى أيّ درجة تبدو لي حياتي عاديّة. لم نعد نستغرب من الوحل، لم نعد نشعر بالبرد، فمن الطّبيعيّ جدّا أن ننام على القشّ وفكرة غسل اليدين هي الّتي أصبحت تبدو لنا غير عاديّة. الوضع الّذي يشبه الجادّ في الحياة المدنيّة هو هنا الضّنى. لا يذهب أبعد من هل تدرك هذا؟، ولسنا نشعر على الإطلاق أنّنا متكدرون أو متضايقون أحسّ أنّني وحيد وحقير. لا أعرف لماذا أقول حقيرا، لأنّني طبعا لا أمتلك حكما أخلاقيّا، لكن يبدو لي من الجيّد أنّني أحسّ هذا. بقيّة الوقت، ننهق ونقول حماقات سيّئة، ندخّن ونحلف. أخشى أنّني أعكس التراجيديّ، ليس هذا ما أقصده على الإطلاق. ليس تراجيديّا فهذا قبيح، لكن ما هو موجود خاصّة أنّنا لا نصل إلى إثارة غيظنا. قلت لك إنّني أحسّ أنّني حقير لكنّ ذلك ليس صحيحا. لم نعد نحسّ بأيّ شيء، نمتلك معارف لكن لا تفيدنا بأيّ شيء. في هذه اللّحظة أنا لست حزينا. لم أعد أبدا حزينا ولا متعبا. حين أكتب أنّني متعب فذلك غير صحيح، فأنا ببساطة فارغ ومخبول: عادة مّا يحدث هذا، لكن لست مخبولا من التّعب - فأنا مخبول فقط. أعتقد أنّ ما ينقذني هو ما يعنيني الآن، ما أراه السّاعة، واثق تماما من ذلك وأشعر أنّني منتفخ بالاهتمام. لا أعرف هل قلت لك كيف هما لافيس وفالا، مثلا. انّهما يضرطان من التّكبّر - وليس بطريقة قذرة لأنّهما يشعران أنّهما مهمّان. إنّه تكبّر ساذج أن ترى نفسك، هما اللّذان لم يخرجا أبدا من حفرتهما، ليشاركا في حدث عالميّ عن قرب، وبشكل نشيط. يجعلهما هذا يستمتعان، ويتحمّلان كلّ شيء بجدّيّة. في نهاية الأمر، هو الشّيء نفسه بالنّسبة إليّ،

---

329. في الأصل هي موجهة لسيمون دي بوفوار.

ولقد أدركت ذلك حين رأيتهما. لأنّني في هذه اللّحظة أشعر أنّني أرى الهائل والمخلّد. كتب لي أخي الكيميائيّ أنّه غير سعيد بالعودة إلى هذه البيوت، لأنّه يشعر أنّه قد فقد شيئا مّا شبيها ببوانت دوراز، أثناء العواصف [نتوء دراماتيكيّ للرّياح العاتية والقوية بغرب برتاني في فرنسا]، لقد سخر منّي بفظاعة؛ لم يكن مخطئا كثيرا. سوف أتذكّر ذلك، لاعتقادي في أهمّيّته.

هل تعلمين أنّني بمزاج رائق دائما؟ هذا ما يسود إحساسي منذ أن صرت في الغابة، باستثناء الصّباح لأنّهم يضايقوننا، ولكنّهم أصبحوا قليلا ما يضايقوننا الآن. إنّه مزاج رائق مغفّل لكن لا يهم...

طبعا؛ لا شيء يحدث. نستفيق عند الثّامنة، نشتغل قليلا في المعتقلات وترتيبات الكوخ، نذهب لتناول الحساء (وفي المساء خلال اللّيل أشغال رهيبة)، ذهبنا للاستحمام خلال هذه الظّهيرة، كان لابدّ من أن نقطع أكثر من أربعة كيلومترات وسط الوحل. أمّا الدّوش فأقسم لك أنّه كان مشهدا حقيقيّا، هل قرأت ذكريات بيت الأموات؟ فكل ما يقوله عن عقلية المساجين المؤبّدين ينطبق على الجنود أيضا. كلّ ما يقوله عن علاقات هذه الفئة من النّاس مع بعضها، علاقاتها بالعمل، ينطبق علينا أيضا بأموالهم القليلة، بسجائرهم، طريقتهم في التّكيّف مع الضّيق، ينطبق علينا دون تغيير أيّ فاصلة، رغم أنّه يتعلّق بالرّوس. بل يصعقني أنّ الأمر متشابه تماما. أعتقد أنّه منذ اللحظة الّتي نكدّس فيها النّاس مع بعض سوف يكون الأمر نفسه. نفس الشّيء بالضّبط، هذا كلّ شيء كوميديا، ومواقف، ودوار[330]

كلّ ما يقوله صحيح. هو صحيح أوّلا لأنّ الحرب كما يقول جيونو، تلعب على ضعف المحارب، أي على خمول مّا للقلوب، وميل مّا لإعادة كلّ شيء نحو طبيعته. خمسة عشر يوما من الحياة في الحرب تغيّر إحداثيّات العالم. كتب بارنابوث بخصوص زيارة قام بها إلى سجن في فلورنسا: شاهدت من خلال شبابيك الزّنزانات مئة مرّة

---

330. كان بوست مجندا في أعماق الأردين سوف يحكي عن تجربته في الحرب التي كانت أقسى من تجربة سارتر في آخر المهن غاليمار 1946.

نفس الشّخص، بيرو ببذلته المخطّطة بالأصفر والأخضر، مستندا إلى العارضة نفسها، تحت مستطيل نهار أزرق صاف. يبدو لي أنّ العقاب غير مجد، وما هو غير مجد، مؤدّ إلى العقاب. لقد اتّخذت الحياة هنا هذا الشّكل وانتهى كلّ شيء. هذا ما يسيطر عند المساجين الّذين هم نحن، بيرو كاكي أو أزرق بحريّ: لقد اتّخذت الحياة هذا الشّكل، وانتهى كلّ شيء. وعند هذا المستوى من الحياة نبحث عن أنفسنا، بنفس الفظاظة السّابقة بمتع صغيرة، ومواقف. مثل بوست لم أر من حولي منذ اندلاع الحرب سوى مواقف ودوار، وكما يقول ذلك بشكل جيّد فإنّ النّبتة الصّغيرة الكاسرة تبحث في الأرض الصّلبة بفظاظة وتتماسك. ثمّ تعيش هناك. ثمّ، إنّه من الصّحيح، عند بعض المستويات كما يقول كوستلر[331] تقريبا، فالحزن يلتفّ حول نفسه لتتهاوى. ليس الحزن قابلا للنّموّ اللّانهائيّ: مثل عالم أينشتاين فهي غير محدّدة، بتجاوزنا لدرجة معيّنة نخرج منه، ولكن نقع مجدّدا في أوّل حزن، عالم الحزن غير محدود ونهائيّ. ثمّ إنّه من الحقيقيّ جدّا أنّ الحرب توفّر مبرّرات. فكلّنا لدينا مبرّراتنا لوجودنا هنا، لما لا نفعله، لضجرنا، لالتماس آلاف الرّخص الصّغيرة الجبانة، كلّنا نشعر بهذا الإحساس، كما قال هو، «إنّنا نشارك في حدث عالميّ». وبالفعل لقد شاركنا دائما في الأحداث العالميّة. لم تمض أيّ لحظة دون أن نكون تاريخيّين، غير أنّ الحرب تجعل كلّ واحد منّا يشعر بتأريخيّته الخاصّة. وبالتالي فإنّنا مشتقّون من قائمات أشغال شاقة غبيّة، فرضتها حماقة المساعد الأوّل، المُجِدُّ والتّطبيقيّ، وهي حماقة تتناسب مع كائنات تاريخيّة. لعب مغَفَّلين: خلال السّلم، يمكننا الحصول على هذا الصّنف، وقتها كان يُمكننا تجنّ ب الحرب. غير أنّ السّلم تعود، مع فرصة أن يشعر كلّ منّا أنّه خارج الزّمن ؛ كلّ أزمنة السّلم إلى حدّ الآن مجرّد انتصارات.

ما هوصحيح في تقديم جيونو، أنّه يفسّر ميل الإنسان إلى الحرب، والهيبة، والسّهولة، بما يجلبه من السّهولة ذاتها.

عاد كيللر من رخصته. نسمع خطاه الثّقيلة والمتباطئة على الدّرج، يدخل بمزاج

331. في وصية إسبانية لنتذكر إن أرتور كوستلر يحكي إقامته في السجون الفرنكية أثناء حرب إسبانيا.

مبتهج، ثابتا وهادئا، انزلقت الرّخصة عليه دون أن تترك أيّ أثر. استثارة لمجرّد رؤيته لأنّه عائد من باريس لكنّه منزعج أيضا، لأنّه ترك باريس خلفه مسدودة، بمكتبتها الكبيرة المُكثّفة. لقد كان هناك، وشاهد، لقد شاهد كلّ شيء كما كان يمكنني أن أشاهد، لقد كان في اتّصال مباشر مع هواء باريس، مع الشّوارع، مع الأنوار. كان هذا الاتّصال كلّيّا؛ رغم خشونة طبعي لن يكون بإمكاني أن-أكون-وسط الأشياء مثله. كلّ باريس معطاة له، وقد اختار هو ما لا يمكنني أن أفعله وهذا كاف لأن تكون هذه التّجربة الهائلة أن تكون-بالدّاخل، أن تبقى باريس خلفه، غير مستعملة، ضائعة. رغم أنّها كانت موجودة.

يقول إنّ كلّ المسترخصين العائدين من باريس بكلّ قواهم ضدّ الشبّان المختفين في المعامل. كل فريقه لم يكن سوى صرخة حنق. وما كان يزعق بشدّة أكثر هو مجنّد فقد إصبعين، من يده اليسرى في الحرب الأخرى، وتلقّى رصاصتين في الرّئة. مازال لديه 65 بالمئة من قدراته. ورغم ذلك جنَّدوه. كان يدخّن، ويقسم قائلا غدا سوف أجعل من نفسي ذابلا شاحبا، قريبا منه كان عامل ميترو وهو في الوقت نفسه ملاكم قديم تكسَّرت أصبع يده اليمنى في مباراة ملاكمة بلندن، وأرادوا تقويم الأصبع فرفض التقويم قال: «لأنّني سوف أفقد عملي».

عند محطة وسائل المواصلات العامّة، إبّان الانطلاق؛ كان هناك مسترخص سكران يضجّ. اقترب منه ملازم شابّ وندهه: انتظم داخل الصّفّ مع الآخرين، ردّ السّكران قائلا: عندما كنت هناك في الأعلى لم يأمرونني بالانتظام في الصّف وشرع يتناقشان، فصاح الملازم وقد شعر بأنّه يفقد سيطرته: عليك بالطّاعة أو سوف أستدعي الحرّاس وأسحب منك رخصتك. تكتّل كلّ المسترخصين حول رفيقهم وصاحوا في الملازم قائلين: فليأت الحرّاس سوف نرمي بهم على سكك الحديد. صمت الملازم، وانصرف دون أن يعاود أمره.

عدا هذا، إنما هي حكايات عن ثمن الحياة، زيادة ثمن الزيت والقهوة. يتحدثون كلهم بصوت هاديء ولامبال مع تقطعات طويلة وغير متوقعة بين الجمل.

سرت شائعات بمحطّة وسائل المواصلات العامّة، أنّ قطارا ينقل مسترخصين

حاد عن السّكّة بشومون. شعرت بالنّفور من سخط المسترخصين على المختبئين بالخلف. الشّيء نفسه دائما: فسخطه لا يعرف أو لا يريد أن يعلو حيث يجب. فيقع على أندادهم. لا يريدون رؤية التّمرّد المخزي للحرب إلّا من خلال المزايا الصّغيرة الّتي يتمتّع بها ناس مثلهم. رغم أنّهم يعانون من الحرب، ويتضايقون، إنّهم لئيمون – وهذا بسبب هيجانهم- لأنّهم يعودون مرّة أخرى للحرب. لكن عوض أن يهنّئوا بعضهم البعض، لأنّ هناك من أتيحت له الفرصة أو لديه من المكر ما يسمح له بالإفلات، فإنّهم يريدون أن يسحبوهم للغرق معهم. بمعنى آخر إنّهم يتمنّون الحرب للغير، وهم قادرون على فعل ذلك ويستحقّون. كلّما تقدّمت، رأيت أنّ النّاس تستأهل الحرب ويستأهلونها، زيادة بقدر ما يخوضونها. مثل خطيئة آدم بالضّبط، فكلّ فرد يستعيده لحسابه بحرّيّة حسب كيركيغارد. إعلان الحرب الّذي هو خطأ بعض النّاس نحن نستعيده لحسابنا مع حريتنا. هذه الحرب كنّا نحن أعلنّا هذه الحرب في لحظة أو أخرى وعوض أن نكفِّر عنها، عوض أن يقول كلّ واحد منّا إنّها حربي، ويحاول أن يعيشها، يهربون منها كلّها من خلال مواقف، يرفضونها عن سوء نيّة، تماما؛ كما نرفض خطأ ارتكبناه. يغطونه بحجاب الطّبيعيّ والعاديّ.. وكلّ هؤلاء الأوغاد ينتفعون من ذلك زمن السّلم، واحدا بعد الآخر بإضفاء هالة براءة الضّحيّة على أنفسهم، وإكليل غار المحارب القديم.

لقد عرفت عموما مختلف أشكال النّاس في هذه الحرب: متأخّرون وتائهون كما يقول لانسون في كتابه[332] أولئك الّذين يعاودون حلم حرب 1914–1918 وهم في ملاذ دافئ – أولئك الّذين لا نخوض الحرب من أجلهم، في أقصى الجهة المقابلة مازلت مقتنعا أنّ هذه الحرب خدعة شديدة الإحكام نفّذتها الحكومات مع مرؤوسيها، غير البعيدين عن الاعتقاد بأنّ هناك تفاهما سرّيا بين هتلر، ستالين، دالادييه، شامبرلين- أكبر المستائين، وأغلبهم انطلقوا بموقف أنّهم لم يستطيعوا التّماسك وقد جعلوا من أنفسهم باعة بالتّفصيل للاستياء، لأنهم ظلّوا في اللّايقين

332. خصّص غوستاف لانسون في كتابه تاريخ الأدب الفرنسي (الطبعة الأولى 1894هاشيت باريس) فصلا تحت عنوان " متأخرون وتائهون "لبعض كتاب السابع عشر من مثل أغربا دوبينييه وفوتير.

الّذي يحرّك المبادئ العامّة لتمرّد مّا، وهاهم يهتزّون مضطربين من شكوى إلى أخرى، ويلوذون بالتّشكّي – استعاد الموظفون و بعد وقت من الضّياع عاداتهم المدنية الصغيرة، يتحدثون عن رخصهم القادمة باعتبارها إجازات خالصة الأجر، متعلّقين بركام أوراقهم القديمة وبعاداتهم الصّغيرة- كان كورسي يدخّن البيبه عند المساء في فيراندا النّزل وهو يقول في ابتسامة فخر منتشية، جاعلا الكلمة الانقليزية بين معقّفين : فنحن لدينا عموما غرفة معيشتنا – وهي ترعبهم. [333]

333. الدفاتر الخمسة التالية مفقودة (من 23ديمبر1939 إلى 31جانفي 1940

الدفتر الحادي عشر

فيفري 1940

مورسبرون-باريس- بوكسفيللر

يتخيّل بول[334] أنّ المهنة تجمعنا، إنّه أحد هؤلاء الأساتذة، والموظّفين الّذين يشعرون بجاذبيّة نحو رفاقهم. كان يمكن أن نتقارب، أن نناقاش أسئلة مهنيّة، لنؤكّد وسط هذه الحرب خلود الذّهن. غير أنّني أعيب عليه أنّه أستاذ، قبل على نفسه ما لا يليق بمقامه، وسمح اها أن تكون بحكم خطّته آمرة ناهية. لست أشعر أنّني أستاذ على طريقته. في كلّ مرّة يحاول فيها بول أن يجذبني إليه، تصدّني أشياء كثيرة ممّا يشكّل عالمه، عن الاقتراب أكثر منه: غذاؤه، الرّفاق، زوجات الرّفاق، النّقابات، أقداح الشّاي والمحادثات مع النّسوة، الرّوحانيّة الاجتماعيّة، خوف الناظر وكراهيّته... فأبعده عنّي بكلّ قواي. وهو من جهته، ينتبه لمقاومتي، ويفسّرها لنفسه على طريقته: ابن معلّمة، زوج معلّمة، أستاذ مُجاز. نعرف ذلك التّفوّق المُقرّز للنّخبة الّذي يتظاهر به المبرّزون أمام المجازين. وبالمثل فإنّ أغلب المجازين لا قيمة لهم أيضا؛ في كرههم، في غيرتهم، في ادّعاءاتهم، هناك رغم أنفهم اعتراف بهذا التّفوّق، فلم يرتفعوا أبدا إلى درجة الاحتقار.. أحاول ما استطعت أن لا أبدي لبول ما لديّ من تحفّظ. تحدّث بياتر ذات يوم عن الفرق الفلكيّ الّذي يفصل بين القائد أورسيل، وهو صناعيّ ثريّ،

---

334. بعض صفحات هذا الدفتر أتلفت بفعل الرطوبة. وما هو مسطر يشبه كلمات قمنا أعادة كتابتها بشكل تقريبي من اليقين.

وبين الملازم مينو وهو مهندس صغير تافه، فقال بول بنبرة ساخرة وخانعة: «عموما هو الفرق نفسه الّذي يفصلني عن سارتر وذلك اليوم حين كنت أبيّن لأحدهم أنّه غبيّ، تدخّل بلطف: ألا تعتقد يا سارتر أنّ مخالطتك الاستثنائيّة لطلبة معهد المعلّمين جعلت منك صعب المراس؟»، وهو ما حاججته عليه قائلا إنّني لم أخالط تقريبا طلبة معهد المعلّمين، لكن هذا يكشف بوضوح الطّريقة الّتي، يراني من خلالها، ويحدّد على أساسها موقفه الأرعن منّي، إنّه يحاكمني من خلال مسلّماته، وقناعاته الثّابتة، أظهرت له احتقاري بسبب فكرته. وهاهي البنية الحقيقيّة لعلاقاتنا في قلب المجموعة: فمن جهتي أشعر بنفور مشمئزّ تجاه الجامعيّ الّذي هو في عمقه، كرامة خانعة وحذرة لا تصل دونما شك إلى درجة الغيرة المرضيّة ولكنّها بالتّأكيد جريحة. إنّني فخور جدّا، أصرّ كثيرا على النّخبة، الّتي أنتمي إليها وهذا الافتخار الزّائد يدلّ أنّني محدود في مهنتي. قلت هذا، رغم أنّه، حين يكتشف من حوله ظاهرة فيزيائيّة صغيرة مضحكة، لا يستطيع أن يمنع نفسه عن الالتفات نحوي ليشركني إيّاها، تاركا بياتر و كيللر جانبا، ليحقّق لبعض ثوان، هذه الوحدة الثّقافيّة، الّتي كانت له دون أدنى شكّ مع أستاذ الجغرافيا لقسم الرّابعة، فقد كان يتيح له فرصة الشّعور بحقوق الذّكاء. غير أنّه لا يقع في المكان الملائم إذ أنّني لا أفهم أيّ شيء في الفيزياء وهذا لا يعنيني. انتبه لذلك وأكّده من خلال فكرة أنّني أفعل ذلك احتقارا له. لكنّ البنية الأساسيّة لعلاقاتي مع بول، الّتي تشكّل محورا لعلاقتنا، فأمر آخر. يمثّل بول السّلطة. فهو خجول لكونه رئيسا، ومن جهة أخرى يريد أن يمارس سلطته بألف طريقة ماكرة، ليس رغبة في التّسيير بل خشية من المسؤوليّات الّتي تستوجبها. لذلك أقاوم، لا احتمل أن أُقاد؛ إذ يكفي أن يأمروني لأغضب، وهوس الاستقلال هذا يدفع بي للعثور على الأمر المخفيّ أو المغلّف في ملاطفات بول. وكلّما كان مُغلّفا أكثر زاد غضبي أكثر. وطبعا أرفض أن أطيع. غير أنّ رفضي لا يزعج بول بسبب خوفه من المسؤوليّات، ليس أكثر. يعارضه في ذلك دائما أنّه نادم بكلّ حرّيّة عن كونه رئيسا، ونتيجة لذلك فهو شريك معي حين أقاومه. يُقاوم بول بسوء نيّته، وقد تمّت مهاجمته في معنويّاته. هذه هي علاقتنا الأساسيّة، تلك الّتي تخترق مجموعتنا العضويّة. إنّه

رئيس خجول لكونه كذلك، ويريد رغم ذلك أن يُطاع من خلالي، غير أنّني جنديّ غير منضبط، لا أريد أن أطيعه وأستنجد يالاشتراكيّ فيه ضدّ الرّئيس. حول هذه العلاقة الباردة والمزمنة (لن يستسلم هو، ولن أستسلم أنا) تنتظم كامل المجموعة. ولقد تخيّلت بالفعل بها أنّه ديمقراطيّ أن أقاومه، عبر الاستنجاد بالأغلبيّة، فأستثيرها ضدّه: بياتر المسالم بطبعه، الّذي يزعق قليلا ضد بول لكن مثل زوجة ضدّ زوجها، في غير مبالغة، يحدّق فيه بعينين كبيرتين، في غضب يخالطه اللّين، متحفّزا بالجماعة، ليذعن بول إذعانا ماكرا، يتخلّى خلاله عن سلطته إلى حين. وهو لم يخطئ في تقديري حين سمّاني ب المعارضة.

هاهو في الأثناء يجتهد في تشكيل قوى معاكسة بطريقة ماكرة، لا تتملّك مشروعيّة الأغلبيّة، ولكنّها مجعولة لعزلي، والإساءة إليّ أمام الرّاي العامّ، لأنّني قلّدت نفسي وصيّا على وعيهم الأخلاقيّ، دون أن يطلبوا منّي ذلك. حدّثت نفسي بضرورة أخذ الحيطة، فهممتربّصون بي ينتظرون زلّة، أو وقوعي فيما نهيتهم عن فعله من الأخطاء، ليكون في ذلك حجّة عليّ، إنّهم يترصّدونني في كلّ ما آتيه من حركات، وفيما أنطق به من أقوال، بقيادة لصيقة من بياتر. غير أنّ بول يتحيّن الفرصة المناسبة ويقف إلى جانبه فجأة، مع تدقيق صغير أو عقلنة مّا، حين يشعر أنّ مساعدة ما ضروريّة. أمّا كيللر فيظل محايدا أو ينصرف لحال سبيله. مجموعتنا أشبه ما تكون بمنصّة متحرّكة تميل طورا إلى اليمين وطورا آخر إلى اليسار، بكريّات تدور من جهة أو أخرى حسب الانحناء الّذي يمنحها الحركة المسنودة بالتّوتّر الدّاخليّ، في اتّجاهي أحيانا، وفي اتّجاههم أخرى. وهو ما يحدّد الدّور الرّئيسيّ لبياتر، السّهل، المستنقع، الّذي يقلب الهيئة كلّيّا حسب ما يفرضه الوضع، إمّا بالقاء نفسه عندي أو في اتجاه بول.

لكن هناك علاقات أخرى: بياتر-أنا. شيء ما مشترك بيننا: تَطلُّعُنا الموحّد للخارج. وبشكل ما نحن أقدام كاذبة ترسلها مجموعتنا نحو العالم، ينمو في المطاعم، المقاهي، وعند الآخرين. وبعد ذلك هناك رغمكلّ شيء، باريس، الّتي هي مشتركة بيننا، وثمة مشترك آخر، وجب الاعتراف به على خجل: المال. ليس لأنّ بول يملك من المال ما هو أكثر منّي، لكن لديه رغبة مخيفة للادّخار تمنعه من تسليفي، إضافة إلى

أنّه ينتظر الإفلاس بعد الحرب. من هذا المنطلق نمثّل، أنا وبياتر، الشّباب الذّهبي والمجنون الّذي يبذّر الأموال. حين نعود للمجموعة نفجّر فيها الكثير من الطّلقات. هذه العلاقة وما تتميّز به من التّبذير والخرجات تحدث كلّ يوم علاقة متوازية: العلاقة كيللر-بول، أولئك الذين يقبعون بالمنزل، حرّاس المأوى. أو أيضا الذين يتناولون أكلهم في المطبخ المتحرّك، إلى جانب أولئك الّذين يتناولون أكلهم بالمطعم. أو هم أيضا الأكولون الكبار (لأنهم يأكلون من كل شيء دون تمييز، وبنهم) قبالة الأفواه المهذّبة. غير أنّ المجموعة بول-كيللر تفتقد للتّماسك: لا يحسدنا بول على الإطلاق، يرافقنا في بعض المناسبات. كيللر بخيل وينقصه المال يغير منّا ويكرهنا في كلّ مرة نخرج فيها. يمثل كيللر البروليتاريّ في مجموعتنا، أمّا بياتر فهو رأسمالي. كيللر مفلس في عمقه، غارق في أسفل الدّرجات بسبب جسمه، بسبب خموله، ينظر إلينا من الأسفل إلى الأعلى في صمت، بحذر وغيرة. لا يشعر بتضامن أيّ منّا معه. يدفع كلّ واحد منّا كلّ مساء دورة من البيرة، يمنح الآخرين مرطّبات، غلالا، أيّ شيء، يقبل كيللر كلّ شيء ولا يشعر إطلاقا بواجب الرّدّ، كما تعوّد أن يكون، رغم بخله في محيطه المعتاد. هو شكل من أشكال الاستعادة الفرديّة. يحسّ بطبقيّته، إزاءنا نحن، خاصّة أنا وبياتر، أمّا إزاء بول، فهو كما قلت منذ حين مثل عامل إزاء رئيسه. يعدّ هيئة إضافيّة في قلب التنظيم، هيئة الطّبقيّة. وهو ما يؤدّي إلى تقابلية العلاقات بيني وبينه، لأنّ لي وعيا فاسدا، تفرضه عليَّ فظاظته، وأعامله بنوع من التّقدير فيعاملني بالمثل بحسب إمكانيّاته. كلّ منّا يخشى الآخر. هو لا يعيش خارج المجموعة، لكنّ العلاقات الّتي يمكن أن نكوِّنها معه غير مبنيّة، هي خارج العلاقة المخفيّة للطّبقيّة، شكل من أشكال الملازمة عديمة الشّكل: يسبح في المجموعة ويلجها من خلال التّمكين.

كذلك هي العلاقات بول – بياتر: تمثّل شكلا ضعيفا. باستثناء اللّحظة الّتي يبحثان فيها عن سبيل لمحاصرتي. بل إنّ التّعاون الّذي يحتاجانه في تلك اللّحظات ليس عن أفكار مسبقة، لأنّ كلّ واحد منهما يشعر بتضامنه معي أكثر مما هو متضامن مع حليفه. كلّ واحد منهما يعتقد أنّ من حقّه أن يكون ضدّي على طريقته وعلى

الأرض الّتي يملكها، ولا أشعر بأيّ مشقة لتقسيمها، للتّفريق بين هجوماتها. يعتبر بياتر بول مثل صبيّ قليل الحماقة، بكر ؛ يقول له بكلّ عزم: حين تأتي إلى باريس سوف نجعلك (أي سارتر وأنا) تعرف النّساء، مثل قرويّ أيضا. ما أن تكون عنده دناءة ليؤاخذه عليها بول يقول: ما الّذي تريده؟ حياة القرويّين! أمّا بول فيؤاخذ بياتر على حيويّته المفرطة بلا فطانة، ليس بإمكانها أن يكونا صديقين دائمين. حين تحرّك أيضا لإعطاء بنية عمليّة لمجموعتنا، انقسمت طبعا إلى مجموعتين من اثنين: بياتر وأنا – بول وكيللر، وكلّ مجموعة تقوم بإنجاز مهامّها بالتّناوب، فحين تهتمّ المجموعة بأشغال الإحصاءات تهتم المجموعة الأخرى بالشّؤون المنزليّة. جاءت هذه البنية الفنّية متأخّرة إثر اهتمام ذي قيمة، لقد جزّأت مجموعتنا ورقّقت بقيّة البنى، فالتّنافس بيني وبين بول، أصبح أقلّ خشونة لأنّنا خفنا عليه من مسؤوليّة الإحصاءات. عكس العلاقة بول-كيللر الرّئيس –المرؤوس الّتي توطّدت أكثر. تنحلّ كل هذه البنى، بطبيعة الحال، وقد تمّ تعويضها بشكل من التّجانس المؤقّت حين نقاوم ضدّ الخارج من أجل مصلحتنا المشتركة. اللّمسة الأخيرة لتكملة هذا النّزل أين نعيش. يعاني المراسلون اللّاسلكيّون الّذين يقيمون في الغرفة المجاورة من الجرب. إثنان منهما أصيبا بجدّيّة، والثّالث تحت المراقبة. لقد قاموا بتعويض ثلاثة مراسلين آخرين منذ خمسة عشر يوما، ويبدو أنّ أحد هؤلاء كان يعاني من الجرب، سألهم الطّبيب: أين تقيمون؟ – في نزل لابيل في- آه، فهمت إذن: فهناك كانت تتمّ معالجة الّذين يعانون من الجرب زمن السّلم. كان حرفاء النّزل ممن يعانون من برد المفاصل والأمراض الجلديّة. أعترف أنّني منذ حين أحس بحِكّات عصبية في يديَّ، في وجهي وفي رأسي.

في العددين الأخيرين من رومان الصّادرين منذ إعلان الحرب[335] جاليز وجارفانيون يتكهّنان، في استمتع بموت الله. يتوقّع جارفانيون سنة 1937سنة مظلمة (استحى رومان من أن يجعل ذلك سنة 1939). يقارن حرب 1914 بتلك الزّوابع الكبرى الّتي تفسد صيفا كاملا. بدت الحركة الدّادائيّة عرضيّة جدّا بالنّسبة إلى جاليز. يرى رومان أوروبّا مُسلَّمة لقوى التّقهقر الدّاخليّ. هل كان كتابه الّذي تقع

335. المجلدان 17و18 فورج ضد كينات ورقة الحياة فلاماريون 1939.

أحداثه سنة 1919 أن يتّخذ لها صوتا آخر، لو لم تندلع الحرب. والشّيء نفسه بالنّسبة إلى دريو، في جيلاز يُطلعنا بين سنوات 1917و1937 على حرب أوروبا الانتحاريّة: لقد قتلت الحرب فرنسا، ولن تستعيد عافيتها. يبقى حسب طريقة البحث عن علامات تفكّك فرنسا من 1920إلى 1935؛ على ضوء ما يجري الآن من أحداث، سوف نعيش خلال تلك السّنوات فترة كارثيّة من الإرهاق، مقطوعين عن الآخرين، حالات كساد قصيرة، محمومة. فترة انهيار معنويّ ودمار. سوف يؤكّدون بالأخصّ على السّيريالية[336]، بسبب إنكاراتها، ويرسمون لكم فترة معطوبة، مجنونة، غير متوازنة. يجب رفض كلّ هذا. ليس حقيقيّا. لا شكّ أنّ حرب 1914-1918 قادت إلى حرب 1940. وبالنّسبة إلى الكثير من العقول الّذين نعرف أغلبهم، ومن بينهم مؤرّخون سوف يوضّحون للآخرين ما يحدث يوميّا. من المؤكد أنّه كانت هناك اضطرابات، ارتجاجات وانتفاضات، عدم توازن. ولكن لم يحدث هذا فقط. في فرنسا، على الأقلّ، يمكن أن نعيش –وقد عشت هذا– لطافة الحياة. كانت السّعادة ممكنة، وكذلك الهدوء. لقد كنت سعيدا في السّنوات ما بين 1925و1933، عرفت من حولي حشدا من النّاس السّعداء، وليس تلك السّعادة المسعورة والخبيثة. سعداء فعلا وبهدوء. ربما هناك الآن أشياء من الصّعب القيام بها، لحظات أكثر قسوة. غير أنّ هذا لا يزعج بالفعل. ثمّ، ربّما، آل دريو، آل مونترلين مازالوا مصدومين بالحرب، لكن أقول إنّ جيلي أنا، الّذي كان يستعدّ لحمل المشعل حين اندلعت الحرب، هو جيل على قدر كبير من التّوازن، بحثت عن ضالّين من بين النّاس الذين عرفتهم فعثرت على عدد قليل جدّا، وضعف أسلوبهم يفترض أنّه ملازم لهم منذ زمن. لكن هل كان هناك قبل الحرب شباب أشدّ قوة منّا؟ أشدّ صلابة من بول نيزان، من غيي، من آرون، من الكاستور؟ لم نكن نبحث لا على التّدمير ولا أن نمتلك شطحات عصبيّة فاقدة للمعنى. كنّا نريد أن نفهم العالم بحكمة، أن نكتشفه، أن نجد لنا موضعا فيه. كنّا نرغب في اكتساب المعرفة والحكمة، ربّما لم يكن هذا الموضع الّذي نرغب في الحصول عليه في العالم لم يكن متواضعا جدّا، ربّما كنّا مستعجلين شيئا مّا، لبلوغه أكثر

---

336. يكتب سارتر في الدفتر الخامس (المفقود) ما ينتظره من السريالية.

ممّن سبقونا. لكن لم يكن ثمّة شيء مبالغ فيه من كلّ هذا. هناك من أبناء جيلنا من أرادوا تغيير العالم وكانوا شيوعيّين، مثلا، أصبحوا عقلانيين حين وازنوا بين النّعم وبين الضّدّ. وأغلب ما أتذكّره وأندم عليه دائما؛ هو الجوّ الثّقافيّ القويّ والمرح الّذي كان يلفّنا. قيل إنّنا كنّا نبغاء. لم أعرف أبدا ضمن أولئك الّذين، تفاعلت معهم، بدرجات متفاوتة، صورة أولئك الشّباب الوقحين المتشدّقين بنزعة الشّرّ الّتي كان الأدب -الرديء- يعمل من أجل شعبيّتها. لقد حظينا بحرّيّة جنسيّة واسعة غير أنّنا كنّا نجتهد في التّفكير بحياء حول الملابسات العاطفيّة لحيواتنا. لقد كنا أشدّ صلابة ممّن كانوا أكبر منّا، من آل فورنييه، آل ريفيار[337]. كان ذلك في جهة منه تكلّفا، ومن جهة أخرى كانت هناك الحرب، ولم نكن ننظر للحياة على أنّها حصّة متعة. غير أنّه ليس هناك من موجب لمؤاخذتنا على خشونة هذا التّكلّف، الّذي كان من نتائجه انضباط حقيقيّ من طرفنا ووقاحة مقدّسة، وفي الوقت نفسه، إغماءات معطّلة لم نصب بها إطلاقا. قد يعترضون عليَّ بأمثلة لاعترافات منقوصة[338] كتبتها في هذه الدّفاتر، نوبة كبريائي الصّبيانية مع بول نيزان[339] لامبالاتي السّياسيّة، إلخ. أجيب أنّ السّيطرة على الذّات والصّحّة المعنويّة، لا علاقة لهما كما يقال بسذاجة بالبنفسجيّات

337. كان مؤلف مولن الكبير وجاك ريفيار (1886-1925) صديقين منذ الطفولة مثلما كان بول نيزان وبول سارتر. جاك ريفيار هو مؤلف حول الإخلاص تجاه الذات (1912). كانت هناك مراسلات بين فورنييه وريفيار في الفترة ما بين 1905 و1914(نشرتها غاليمار سنة 1928و1928) للتذكير فإن ألن فورنييه قُتل عند بداية الحرب العالمية.

338. وضع سارتر في استحالة أن يقول كل شيء عن نفسه في هذه الدفاتر صفحة 221تدونية 2.

339. يلمح سارتر لخلاف نشأ بينه وبين نيزان سنة 1923.كان يساهمان معا في تلك الفترة في مجلة للشباب مجلة بلا عنوان، ربما تعلق الأمر بخيانة صداقاتية، أو تجريح للكبرياء على علاقة بإعجاب نيزان بإحدى كتاباته. كتب سارتر بعد ذلك بقليل قصة بعنوان البذر وصدرة الغواص، استعاد فيها بطريقة سردية ظروف ولادة هذه المجلة، ظهر فيها نيزان وسارتر تحت اسمي دي لوسيل وطايور، كنا سوف نعلم شيئا أكثر حول هذا الخلاف لو اكتمل المخطوط. حكى لنا سارتر إن نيزان قد تحدث لآخرين عنه باعتباره " صديقا مؤقتا"؛ هل هذا هو السبب وراء " أزمة الكبرياء "؟ مهما يكن الأمر ففي هزيمة كتبها سارتر بعد ذلك بثلاث أو أربع سنوات هناك شخصية لا اسم لها " الصديق القديم"تشبه بشكل كبير بول نيزان. كتابات الشباب.

والمدنيّة. أعرف جيّدا أنّني سيّد نفسي، دونما انحرافات، وأستطيع تحمّل الضّربات القاسية. وأعرف أيضا أنّني متشكّك حول الأخلاق. لطالما حاولت تدمير إيديلوجيّات متقادمة لكن بهاجس إعادة البناء. لقد أمكنني أن أضيّع جذورا، لكن لم أضيّع التّوازن. لماذا أعتقد أنّه من الواجب أن أكتب كلّ هذا؟ لأنّني أعتقد أنّ حقبتنا الزّمنيّة هي بصدد إعادة بناء تمثّل جديد لنفسها لقطع الأعشاب تحت أقدام المؤرّخين. تريد أن تمتلك على الأُل مكسب أنّها قيّمت نفسها بنفسها، وتريد من خلال ذلك أن ترسل لهم عملا متكاملا. وضدّ هذه اللّوحة الغارقة في السّواد أنا أحتجُّ. أخشى أن تتبدّل. أتابع بحيرة أن يتمّ التأثّر من خلال اعتبار تكاثر هذا التّفكّك الجميل، انتفاخا زائدا للأفكار والأعمال الفنية فيما بين 1918-1928، كما لو أنّها شهادة عدميّة تلك الحرّيّة الحقيقيّة الّتي ينعم بها النّاس الآن. كلّ وجهات النّظر الأوّليّة هذه هي لياقات مزيّفة. يمكن أن تنطلي على دريو لأنّه غبيّ، لكن هناك آخرون كثيرون، يريدون أن يعدّوا جردا إحصائيّا لما حدث. أرى أنّه من الضّروريّ أن ننتظر. لقد ماتت تلك الحقبة الزّمنيّة، غير أنّها مازالت ساخنة فينا. فلنمتلك شيئا من الحياء في انتظار أن تبرد الجثّة.

ظلّت مسألة الإنكار محتجبة شأنها شأن الوجود، لأنّ عدم الوجود، بدا كما لو أنّه تقييم ذهنيّ عبر مقارنة شيئين لإثبات غربتهما. فإن قلت مثلا إنّ الورق لا مسامّ له، فإنّي لا أضيف هذا الإنكار لحساب الورق بوصفه ورقا، دون أيّ صلة مع المسامّ، غير أنّني أضيفها لحسابي. ألا يجب أن نفهم من خلال ذلك أنّ الإنكار هو طريقة وجود لذهني، الذي بإنكاره يقدم فعلا ممتلئا بالتّقييم -وهو بالنّسبة إلى الكثير من الفلاسفة، فعل صاف، ممتلئ بالوجود، في الوقت نفسه الّذي يقوم بفعل الإنكار هكذا يصبح الإنكار[340]، لاشيء. فهو ليس الذّهن، وليس في الذّهن، وليس في الورق، وليس في المسامّ، وليس علاقة وجود على طريقة القوّة الدّافعة بين الورق والمسامّ. ختاما؛ هو صنف يتيح للذّهن أن يحقّق تركيبا بين المسامّ والورق، عن بعد، دون أن يفسدهما شيء ما في طبيعتهما. دون تغيير في موضعهما المتبادل، دون تقريبهما من بعض أو

340. أمر عبثيا، لفظيا.

إبعادهما عن بعض، وكذلك هو جهد الفلسفة، إنّه يتمثّل في ترقيق الإنكار إلى درجة تحويله قشرة رقيقة بين الذّهن والأشياء، لاشيء. وبالتّأكيد، يجب الاعتراف أنّ الإنكارات الّتي أرصدها في العالم ليست على الإطلاق علاقات أوّلية وجوهريّة بين الأشياء. تتّخذ المسألة منحى آخر، حين ننفي عن الوعي صفة الامتداد، فإنّ ذلك ينفي الصّفة عنّا، فنحن وعينا في العالم، وبه، بما يعني أنّه ليس هناك شخص ثالث ليستنتج جوهرين خاملين، الوعي والامتداد، ليس بينهما علاقة امتداد. فوجود الوعي يفرض بالضّرورة وجود الامتداد. سوف نفهم ذلك على الفور إن أحدثنا مقارنة بين هذين الحكمين: ليس الامتداد وعيا وليس الوعي امتدادا. يتعلّق الأمر في الحالة الأولى بعلاقة مهيأة من خلال وعي تأمّليّ، لأنّه ليس من طبيعة الوعي أن يوجد أو لا يوجد وعيا، لكن ليكون امتدادا فقط. عكس ما هو في الحالة الثانية إذ سوف يتفق كلّ الذّهنيّين ليقولوا إنّها ميزة في الوعي ألّا يكون امتدادا. لقد أرادوا قلب السّؤال، لأنّه يبدو من المتناقض قبول صفات سلبيّة في أيّ وجود، بطرق إيجابية تردّ الاعتبار لهذه الوظيفة. مثال ذلك؛ مفاهيم اللّا امتداد، اللّامادية. لكن لا بدّ من اختبار لفظيّ لإظهار أنّ اللّا امتداد هو مجرّد كلمة تخفي بين أجنابها إنكارا خجولا. أن تكون لا امتدادا، لا يعني بالنّسبة إلى الوعي فضيلة إيجابيّة، إنّما هي طريقة مضطربة لتحديد فكرة أنّ الوعي لا امتداديّ. ينتمي اللّامتداد إذن للبنية الخفيّة للوعي. هذا اللّا-وجود، لا يمكن ملاحظته، ولا الحكم عليه، لكن وفق الصّيغة الّتي استعملناها ذات يوم، كان موجودا.

إنّ تأمّلاتي قادتني حتّى هذا الحدّ، إلى تصوّر الوعي في حالة ما لم يكن هو، أي حين ينفجر الإنكار في انسجاميّة وجود واحد، حيث أنّ ما تمّ إنكاره مطرود من نفسه باعتباره منكرا، بما أنّه كان الوجود الوحيد نفسه. غير أنّ المسألة تزداد تعقيدا تحت مظاهر المبدأ البسيط للّاتناقض. لأنّ الوعي ليس هو ما ليس هو. لو تأمّلنا هذه البديهة الظّاهرة، نلاحظ أنّ أحد الإنكارين يدمّر الآخر. فإذا لم يكن الوعي امتدادا، بما يفترض حسب النّظريّة الكلاسيكيّة الغياب الكلّيّ لكلّ علاقة بين الوعي والامتداد، وبما أنّه إضافة لذلك ليس هناك شخص ثالث ليهيّئ بين الوعي والامتداد

علاقة سلبيّة من الخارج تماما، لا نرى كيف أنّ هذا الوعي بنفسه يمكنه أن يحتوي بداخله علاقات حقيقيّة لهذين الوجودين مع الامتداد، لكي يجعل من نفسه إنكارا للامتداد. يقترح كلّ إنكار طريقة تجميع تركيبيّ للحقائق الّتي ينكرها. حين يكون الإنكار شيئا عبثيا مثلما هو الحال في تقييم الورق ليس مسامّي، التّركيب التّجميعيّ هو بدوره شيء عبثيّ، هو تقريب تصنيفيّ صاف يترك الأشياء سليمة. حين كان الإنكار أحد الوجودين على الأقلّ، فلقد بدا في العمق كما لو أنّه تجميع تركيبيّ. في كلمة واحدة، لكي يستطيع الوعي أن يكون نفسه وعلى طبيعته، دونما تدخّل تأمّليّ من شخص ثالث ولا يكون الامتداد، عليه أن يخفي في أعماق وجوده علاقة تجميع مع هذا الامتداد هي غير موجودة أصلا. غير أنّ هذه العلاقة الأولى لا يمكن التّعبير عنها بألفاظ الاشمئزاز، الإنتاج، العكس، إلخ، الّتي تفترض عالما مكتملا، وهكذا يتمّ حسم مسألة الوجود. من البديهيّ أنّ الأمر يتعلّق بعلاقة وجود أصيلة بين الوُجوديْن. لا بدّ أن تكون الصّلة داخليّة ما أمكن لتكون هكذا بالضّبط، أن لا يكون هناك وعي، لا بدّ أن يكون الامتداد حاضرا بالنّسبة إلى الوعي من كلّ جهة، بل أن يخترقها على امتداد عرضها، كي لا يفلت الوعي أخيرا من الامتداد، الّذي يوشك أن يُدبِّقه من كلّ جهة، كما لو أنّه غير موجود. ليس فقط لأنّ الامتداد غير موجود، بل لأنّه لا وجود لأيّ شيء. الوحدة بين الامتداد والوعي، هي أنّ الوعي ليس الامتداد إلّا في حالة أنّه ليس هو نفسه، أو هو لاشيء. لا شيء إيجابيّ يعوّض عدم-وجود-الامتداد. لأنّ الوعي عدمه الخاصّ، لذلك هو ليس امتدادا. علاقة الوجود هذه من الامتداد إلى الوعي هو ما نسمّيه التّوظيف. غير أنّ الوعي يُعرَّف بما ليس هو وليس بما هو، لا يمكن أن يكون مجرّد ما ليس هو الامتداد، طريقة وجوده الّتي ليست هي الامتداد مرتعدة بالكامل من خلال العدم، ليس هو بالامتداد على طريقة تحوّله إلى عدم من الانعكاس إلى المنعكس، يعني أنّ الصّيغة الوعي ليس امتدادا، لا بدّ من تعديلها لتصبح بهذا الشّكل الوعي ليس هو الامتداد، ما يعني (1*يتضمن هذا الإنكار توظيف الوعي من خلال الامتداد، (2*إنّ هذا التّوظيف لا يمكن أن يكون من أجل الوعي إلّا في حال ما إذا كان الوعي هو وعي بذاته بما أنّه لا امتداد، أي طالما

أنّها موظّفة من طرف الامتداد فلديه وعي أنّه غير موجود على طريقة بحدّ ذاته، فهو إذن امتداد. لكن في حال أنّه يفلت منه، بما أنّه ليس هو، وليس الامتداد، ولكن وعيا بالامتداد. هكذا فالوعي هو تحويل الامتداد إلى عدم وهذا التّحويل للعدم لا يمكن أن يتمّ إلّا على شاكلة وعي الامتداد. ليس الامتداد هنا بطبيعة الحال إلّا مثالا من بين الأمثلة الممكنة. بشكل عامّ ليس هناك من إمكانيّة لتحويل موجود في حدّ ذاته إلى عدم، إلّا من خلال بروز وعي بهذا الموجود.[341]

الخميس 1 فيفري

لا يمكن أن يتمّ بروز العدم إلّا على أساس وجود غير قائم. لا يمكن أن يكون الغياب باعتباره وعيا، إلّا عندما يكون أمام الحضور. يبرز اللّامتداد على أساس الامتداد كإنكار لذاته بهذا الامتداد. بصفة عامّة، لا يمكن أن ينبثق من أجل-الذّات إلّا من خلال صلة مع كلّية حدّ- الذّات الّذي يحصره. يُمسك مناجل-الذّات أمامه، ومن حوله حدّ-الذّات، كما لو أنّه غير موجود. هو بحاجة للوجوود كي لا يوجد. يتحوّل من أجل-الذّات إلى عدم بالنّسبة إلى كلّيّة حدّ-الذّات. هذه الصّلة الأولى من أجل-الذّات بكلّية حدّ-الذّات. بما أنّه ليس موجودا، هذا ما نسمّيه الوجود-في-العالم. الوجود-في-العالم، هو الغياب عن العالم. وحدة الوعي والعالم انوجدت قبل الوعي والعالم. أن تكون وعيا، هو أن تجعل من نفسك لا-عالما في حضور العالم، هو أن تجعل من نفسك بالضّبط، وبشكل محسوس ما هو ليس هذا العالم. لا يمكن اتّخاذ هذا الإنكار كما لو أنّه إفلات إلى خارج العالم. ليست حركة تحويل من أجل- الذّات، إلى عدم، تراجعا. سوف تصبح تحويل اللّاشيء إلى عدم وتقع في حدّ-الذّات. لعلّه بهذا الشّكل يجب فهم الموت. بالعكس يفترض التّحويل إلى العدم انخراطا فوريّا، وبلا مسافة للعالم من أجل-الذّات. هذا الحضور للعالم في الوعي – الذي لا يفصله شيء سوى أنّه هو نفسه لاشيء – هذا هو التّعالي. يوظّف في حدّ-الذّات الوعي ليتمّ

341." أصل الإنكار"الفصل الأول من الجزء الأول من الوجود والعدم.

تجاوزه من خلاله في العدم. لكن ليس كما يعتقد هايدجير، في العدم الّذي يمسك بالعالم في داخله: في العدم حيث الوعي هو نفسه. الوعي من أجل- الذّات يتجاوز العالم في اتّجاه نفسه. فهو موظّف من خلال حدّ-الذات في حال هو مرتعد بالعدم.

إن أردنا أن نأخذ مثالا بسيطا على ذلك، سوف نقول مثلا إنّ إدراك هذه الشّجرة هو قبل كلّ شيء ظاهرة وجوديّة: إدراك الشّجرة، بالنّسبة إلى الوعي هو تجاوز الشّجرة في اتّجاه عدمها الخاصّ كشجرة. لا يجب بطبيعة الحال النّظر في كلمة تجاوز، إشارة مّا لفعل. فهي ببساطة طريقة في الوجود. يوجد وعي من أجل-الذّات فيما وراء الشّجرة مثلما هو ليس هذه الشّجرة. تجعل صلة تحويل الانعكاس والمنعكس، إلى عدم، من أنّها لا هي نفسها إلّا حين تنعكس بوصفها بالضّبط عدم العالم، حيث توجد هذه الشّجرة؛ بما يعني أنّه وعي غير نظريّ بذاته، بما هو وعي نظريّ بهذه الشّجرة؛ الشّجرة هي المحور المتعالي لهذا التّحويل للعدم. هكذا، مثلا، فإنّ المعرفة الحدسيّة هي اقتحام اللّاشيء في التّلازم الذي يحول في التّعالي من أجل-الذّات ملازمة في حدّ-الذّات. هكذا، فإنّ الحدث الّذي يجعل من الوجود عدمه الخاصّ يظهر العالم باعتباره كلّا لحد-الذّات مُتجاوزا من خلال الوجود الذي يتحوّل إلى عدم. وجود في العدم ووجود مرتعد هما شيء واحد.

أريد أن أبرز من خلال تحليل دقيق الضّرورة القصوى الّتي تدفع بنا إلى اللّجوء نحو فكرة العدم هذه، وسأضرب مثالا على ذلك من خلال فكرة الاتّصال. أريد أن أبرز أنّ هذه الفكرة شديدة البساطة في الظّاهر الطّاولة هي على اتّصال بالجدار، تحيل بالضّرورة على الوجود-في العالم وعلى العدم.

إن أردت أن أمسك معنى هذا المفهوم بالفعل، ألاحظ أنّني أتأرجح بين فكرتين متناقضتين: فكرة الامتلاء الملازمة لحدّ-الذّات، وفكرة التّراجع المطلق في العدم. حين أقول بالفعل إنّ الطّاولة تلمس الجدار، لا أقصد أنّها جنب الجدار، ولو بشكل قريب جدّا، ولو منفصلة عنه بمسافة دقيقة إلى أبعد حدّ. أقصد ب الاتّصال، قرابة وجود داخليّ بين الشّيئين. غير أنّ قرابة الوجود هذه تتّجه بطبيعة الحال نحو حدّ-الذّات، أي الملازمة. وبالتّالي فإنّ هذا المفهوم المنزلق للاتّصال، يهدف إلى التّوقّف

وسط الطّريق. أريد أن أحافظ على الانفصال الكلّيّ للشّخصيّتين. ليس الاتّصال تمازجا. ها أنا إذا الآن مرسل إلى فكرة مسافة، والتي مهما كانت قصيرة تفصل على الأقل بين شيئين. لكن في هذه اللّحظة تتبخّر فكرة الاتّصال. ذلك أنّه إذا حاولت بالفعل الإمساك بها تتطلّبه، أرى أنّه سيكون هناك اتّصال بين شخصيّتين، لابدّ أن يكون الاثنان بلا مسافة بينهما إطلاقا في مساحتهما، ورغم ذلك يظلّان منفصلين. لكن منفصلين بماذا؟ بلا شيء. غير أنّ هذا اللّا شيء ضروريّ هنا. في الهندسة حين يكون منحنيان مثلا (خط مماس ودائرة) متّصلين، فلديهما نقاط مشتركة سوف يبدو أنّهما يمثّلان نفس المنحني. رغم أنّنا نحافظ على استقلاليّتهما. عوض أن يتماسّا فهما منفصلان. ورغم وجود نقطة واحدة، لا سلسلة من النّقاط، فإنّ الانفصال قد جرى في كلّ نقطة. ولأنّه يتعذّر تقسيم النّقطة أو مضاعفتها، فلا يمكن أن نعدّ هذا الانفصال ضربا من الانقسام. بلغني في هذا الصّدد، أنّ كوهلر، يقرّ بأنّ كلّ الأشكال المنغلقة على نفسها، يشدّ إليه ما يكوّنه من نقاط،[342]. وبناء على هذا المعطى، الّذي أراه مقنعا وسليما، فإنّ وحدة الشّكل واستقلاله بذاته، يبطلان كلّ إمكانيّة للاتّصال والانصهار. رغم تعذّر ذلك إلّا ضمن شروط محدّدة، مأن تفصل النّقاط المتّصلة عن مجموع النّقاط الّتي تؤلّف الشّكل الآخر، عبر اللّا شيء، أي أن تكون هذه الأشياء مرتعدة بالعدم. مثل الوعي تماما.

غير أنّ هذه الشّروط ذاتها لن يكون لها أيّ معنى إن لم يطرحها الوعي. ستتّجه بمعزل عنه، نحو الانفصال المطلق، أو الانصهار. لكي تكون الاتّصالات معطاة في العالم لا بدّ أن يكون الوعي معطى كموظَّف في العالم، ذلك أنّ مفهوم المسّ، كما يراه هايدجير لا ينتمي للأشياء إلّا من خلال الانعكاس. وبالفعل، فإنّ كرسيّا لن يمسّ الجدار إلّا إذا كان محمولا في وحدة عالم متعال بالواقع- المفروض. وفي الأصل فإنّ الواقع -المفروض هو الّذي يمسّ الأشياء الّتي يحملها. الاتّصال بطبيعته اتّصال باليد الّتي تأخذ مع الشّيء المأخوذ. يبقى أنّ المفهوم يظلّ مبهما إذا اعتبرنا اليد شيئا مادّيا بين

---

342. للتذكير إنه حسب المدرسة الألمانية لنظرية الشكل، إن الإدراك الحسي ليس متألفا من أنطباعات معزولة تتشابه أو تتجمع لكنها تضبط أشكالا أو بنى دفعة واحدة.

بقية الأشياء. لا يمكن لليد نفسها أن تنتج العدم الّذي يفصلها عن السّكّين الّتي تحملها، فمن الضّروريّ أن تكون والسّكّين جزءين من الكلّ، وبنى ثانويّة، للاتّصال الأوّليّ. ليست هذه الكلّيّة سوى قرابة التّعالي من الوعي بالعالم. الوعي على اتّصال بالعالم. انطلاقا من هذا المستوى يصبح مفهوم الاتّصال جليّا. فبالنّسبة إلى الوعي فإنّ العالم معطى بلا مسافة، بما أنّ الوعي هو إنكار للمسافة. بل هو ملحّ أكثر من حضور بلا مسافة، بما أنّه يوظِّف الوعي ويلتحق من خلاله. لكن ينفلت منه الوعي في الوقت نفسه بما أنّه مرتعد من خلال العدم، طالما أنّه لاشيء، بانصهاره مع العالم، كما هو، وفي المقابل فإنّ الوعي ينفلت منه وينفصل عنه بما أنّه غير موجود. أليست القرابة بين العالم/ الوعي، إذن، هي قرابة اتّصال. يوجد العالم بالنّسبة إليّ بما هو محسوس ومتفرّد في عدم وجوده. يمسّه، بمعنى أنّ تحويله الجزئيّ للعدم لا يمكن أن يهيّئ صلة خارجيّة بلا مسافة بينه وبين العالم. العالم ليس ذاتيّا ولا موضوعيّا: إنّه في حدّ-ذاته موظِّف للوعي وعلى اتّصال معه، ومن شأن الوعي أن يتجاوزه هذا الوعي في عدمه.

لجوليان غرين في الفيغارو، تعبير رائع، لتحديد الأسبوع الّذي يسبق الحرب: كارثة متباطئة.[343]

ومن الشّواهد على الكيفيّة الّتي بها ترفع المعنويّات، هذه الرّسالة الّتي وجدت ملقاة في مرحاض، كتبتها، خطيبة أحدهم، مغرمة، تدين المسيحيّة، هذا نصّها:

أن لا تستحمّ منذ ثلاثة أيّام، فهذا أمر هيّن، أعرف أنّك ستكون أشدّ جاذبيّة، لو فعلت، ومن جهتي، فقد نظّفت فرني للعمق هذا الصّباح، كنت متّسخة، فعلت ذلك مثل منظّف مداخن حقيقيّ، كنت سوف أثير فيك الهلع، لو فاجأتني على هذا الشّكل.

غير أنّها متحيّرة شيئا مّا، لأنّها في مكان آخر من الرّسالة تدعو الله أن يحافظ على معنويات مرتفعة لخطيبها. كلمة خطيب متّجهة إلى الله، لم ترد أن تمّحي مع هذه الرّسالة.

---

343. الفيغارو 31جانفي 1940 .

لو أردت فهم دور الحرّية والقدر فيما نسمّيه التّعرّض للتّأثّر، يمكنني التّفكير فيما مارسه عليّ هايدجير من تأثير. بدا لي في الأيّام الأخيرة، مناسبا جدّا، فقد علّمني الأصالة والتّأريخيّة في وقت جعلت الحرب من هذه المفاهيم ضروريّة. إن حاولت تصوّر ماذا كان بإمكاني أن أفعله بتفكيري دون هذه الأدوات، أجدني مأخوذا بخوف استعاديّ. لقد ربحت الكثير من الوقت، ولولاها كنت سأظلّ أراوح مكاني قدّام أفكار كبيرة مغلّقة، فرنسا، التّاريخ، الموت؛ وكنت سأزداد نقمة على الحرب، لأرفضها بشكل مطلق. غير أنّ استرجاع ما كان، يجعلني ممتنّا لبعض الصّدف. والمؤكّد أنّه لو لم ينشر كوربين ترجمته ل ماهي الميتافيزيقا؟[344] [بالألمانية في الأصل]، ما كنت لأقرأه. ولو لم أقرأه لما تمكّنت من قراءة الكينونة والزّمان[345] خلال عيد الفصح الأخير. والمؤكّد أنّ صدور ماهي الميتافزيقا؟ ليس ذا فضل عليّ مفردا، بل إنّ تأثيره يشمل الجميع، لقد مثّل فيما يخصّني لقاء مهمّا بهايدجير، لم يكن الأوّل، فقد سبق لي قبل أن أرحل إلى برلين أن أتعرّف إلى بعض مقولاته[346]. وكثيرا ما كان يصنّف في خانة الفينومينولوجيين، وقد أغراني ذلك بالاطّلاع على المذهب ودراسة أسسه، في برلين، وفي شهر ديسمبر تحديدا، اقتنيت الوجود والزّمان، معتزما إتمامه بعد عيد الفصح، مخصّصا الثّلاثيّة الأولى لدراسة هوسرل. وعندما انطلقت رحلتي مع هايدجير في أبريل، كنت مشبعا بهوسرل. كان خطئي أنّني اعتقدت أنّه من الممكن تعلّم فلسفتين بهذه الأهمّيّة بشكل متتال، كما نتعلّم التّجارة الخارجيّة لبلدين أوروبّيين واحدة بعد الأخرى. استولى عليَّ هوسرل من خلال آفاق فلسفته الّتي كانت متيسّرة لي، من خلال مظهرها الدّيكارتيّ، كنت هوسرليّا، وسوف أبقى كذلك مدّة طويلة. أرهقني كثيرا في الوقت نفسه، الجهد الّذي وفّرته للفهم، أي لكسر

---

344. ماهي الميتافزيقا؟ درس افتتاحي قدمه مارتين هايدجار بجامعة فريبورغ-ان-بريسغو في 24 جويلية 1929.

345. الكينونة والزمن صدر بألمانيا سنة 1927.

346. لقد قرأت سنة 1930 ماهي الميتافيزيقيا؟ في مجلة بيفير دون أن أفهم منه أي شيء (كان ذلك في جوان 1931 سنة نشر هذا النص في هذه المجلة. في نفس العدد ظهر مقطع لأوّل محاولة فلسفية لسارتر "أسطورة الحقيقة").

أفكاري الشّخصيّة المسبقة والإمساك بأفكار هوسرل انطلاقا من مبادئه هو الشّخصيّة، وليس انطلاقا من مبادئي الشّخصيّة. قرأت لهايدجير خمسين صفحة، وكانت اللّغة منفّرة، لصعوبتها، فلم أكن بعد قد أنهيت دراستي للّغة الألمانيّة، فضلا عن أنّ الرّبيع فصل يغريني بالخمول، أشتغل حين ينام المرموط [حيوان من فصيلة السّنجاب يعيش في جبال الألب ويقضي بين 3 إلى 4 أشهر في السّبات وسارتر هنا يوظّف الكلمة في شكل استعارة]، وإذا استفقت خرجت للتّنزّه، طامعا في بعض المغامرات، وقد كان القدر عطوفا معي تلك السّنة ليمنحني بعضها. لكنّ المهمّ عندي كان ذلك النّفور من استيعاب فلسفة همجيّة وقليلة الحكمة، بعد التّأليفيّة العبقريّة الجامعيّة لهوسرل. يبدو أنّ الفلسفة مع هايدجير عادت من جديد إلى طفولتها، فلم أعد أعرف فيها المسائل التّقليديّة، الوعي، المعرفة، الحقيقة، الخطأ، الإدراك الحسّيّ، الجسد، الواقعيّة والمثاليّة، إلخ. لا أستطيع الوصول إلى هايدجير إلّا بعد أن استنفد هوسرل بالكامل. وبالنّسبة إليّ فإنّ استنفاد فلسفة مّا، هو التّفكير ضمن آفاقها، أن أكوّن لي أفكاري الشّخصيّة على نفقاتها إلى درجة أن أقع في مأزق. تطلّب الأمر ثلاث سنوات لاستنفاد فلسفة هوسرل. ألّفت كتابا كاملا ضدّه، (ما عدا الفصول الأخيرة من وحيه: المتخيّل[347]. لكن في الحقيقة كما يفعل تابع ضدّ سيّده. كما كتبت أيضا مقالة ضدّه: الأنا المتعالي[348]. انطلاقا من هناك، متشجّعا حاولت تحيين أفكاري، من خلال الشّروع في كتاب ضخم النّفس[349] كتبت منه أربعمائة صفحة خلال ثلاثة أشهر، بحماس، ثمّ توقّفت لأنّني أردت إنهاء كتاب القصص. كنت مأخوذا إلى أبعد حدّ ببحوثي إلى درجة أنّ كتاباتي الأدبيّة بدت لي خلال أكثر من شهرين اعتباطيّة. وشيئا فشيئا دون أن أنتبه لذلك تراكمت الصّعوبات واتّسعت الهوّة بيني وبين هوسرل، ففلسفته كانت تتطوّر نحو المثاليّة، وهو ما لا أستطيع قبوله، فقد جعل ذلك لفلسفته مادّتها السّلبيّة و هيولاها، ولم تعد كما هو الحال عند كانط، أمرا آخذا في

---

347. غاليمار مارس1940.

348. "تعالي الأنا "بحوث فلسفية رقم 6 (1937/1936) نشرت فيما بعد في مجلد (فرين1965).

349. الصفحة 69 التدوينة 2.

التّشكّل، فكّرت أن أكتب حول هذا المفهوم للسّلبيّة، لضرورته في الفلسفة الحديثة، الّتي تتجلّى فيما يطرحه الهيوليّ من إشكالات، وفيما يعتري المفهوم من نقائص، كنت مسؤولا عنها.[350] عكفت على البحث عن حلّ واقعيّ، رغم امتلاكي أفكارا، تتعلّق بمعرفة الغير، من شروط معالجتها أن أكون واثقا من وجود وعيين متمايزين، يدركان العالم نفسه بامتياز. لم توفّر لي المؤلّفات الصّادرة لهوسرل أيّ إجابة. كما أنّ دحضها للذّاتويّة [السولبسية أو وحدة الأنا] كان مختزلا وهزيلا. من المؤكّد؛ أنّني التفتّ لهايدجير للإفلات من هذا المأزق. لقد فتحت كتابه الّذي جلبته معي من برلين لعدّة مرّات، لكنّ الوقت لم يسعفني، ولم يشجّعني خطابه الصّلب. لم يكن من الممكن دراسة هايدجير قبل ذلك الوقت. فقراءته تمرّ عبر فضول انفعاليّ ولا يمكن الوصول إليه بنيّة التّعلّم. على هذا؛ قادتني إنذارات ربيع وخريف 1938 ببطء، إلى البحث عن فلسفة، لا تكون تأمّليّة فحسب، وإنّما حكيمة، في حركة الباريسيّين، من أجل رياضات الشّتاء. أو حتّى مقدّسة، كنت في أمسّ الحاجة إلى ما يحفّزني على مواصلة الدّراسة. كنت في نفس وضعيّة الأثينيّين إثر موت الإسكندر، ممّن التفتوا إلى العلم الأرسطيّ ليندمجوا في مذاهب فكريّة أشدّ فظاظة لكن أكثر كليانيّة، من الرّواقيّين والإبيقيريّين. كان التّاريخ حاضرا من حولي في كلّ مكان. فعلى الصّعيد الفلسفيّ انتهى آرون من كتابة مقدّمة لفلسفة التّاريخ وقرأته. بعد ذلك كانت الفلسفة تحيط بي وتحاصرني كما هو الشأن لكلّ معاصريّ، وتجعلني أشعر بحضورها. كانت تنقصني الأدوات لأفهمها وأتمكّن منها، ورغم ذلك كنت أريدها متينة؛ وكنت أجتهد حسب الإمكانيّات المتاحة لديَّ. وقتها ظهر كتاب كوربين. بالضّبط في الوقت المناسب. كنت قد انفصلت نهائيّا عن هوسرل، راغبا في فلسفة مؤثّرة، وصرت أكثر نضجا لفهم هايدجير. أو، تقريبا. يبقى أنّه كان من الممكن أن لا يصدر الكتاب. إذ لم أكن واثقا رغم كلّ شيء من قدرتي على قراءة الوجود والزّمان. وأمّا الحدث الّذي أحسبه تاريخيّا، فهو صدور، ماهي الميتافيزيقيا؟ وقد كان لي شرف الإسهام في إنتاجه. ففي

350. يرفض سارتر المفهوم الهوسرلي للهيولي (والذي يعني تدفق المعيش الشعوري، دون قصدية) في الوجود والعدم مقدمة " وجود الادراك ".

الوقت الّذي كنت أستعدّ فيه للسّفر إلى برلين كانت هناك حركة فضول عند الطّلبة تجاه الفينومينولوجيا. ساهمت فيها كما ساهمت في رياضات الشّتاء. أي أنّني استحوذت على الكلمات الّتي كانت تتبعثر يمينا وشمالا. قرأت بعض المؤلّفات الفرنسيّة القليلة حول المسألة، وحلمت ببعض المفاهيم الّتي لم أكن أعرفها جيّدا، وتطلّعت لمعرفة المزيد. وحفّزني الأمر على زيارة برلين، وكان هناك الكثير من الطّلبة في مثل حالي – والأساتذة الشّبّان. اغترفت حال عودتي من منابع مختلفة، وعملت عبر التّدريس على الإضافة، والتّوسّع، فضاعفت من عدد هذا الجمهور الفضوليّ. بل إنّ أحد تلامذتي القدامى شاستينغ نشرت له مقالة حول الذّات[351] [بالألمانية في الأصل] الهيدجيرية. لست صاحب الفضل في كتابة تلك المقالة، ولا أدّعي ذلك، وإنّما أوردتها في هذا السّياق، للتّأكيد على أنّني قد اندمجت كعضو نشيط ومسؤول وسط جماعة من الفضوليّين والباحثين، يعتبرون أنفسهم بدورهم جمهورا. لقد أنجز كوربين، ترجمة لجيلنا، كان يحتاجها، ليستضيء. كان فضولا معرفيّا، وكان علينا أن ننتظر عقدا وأكثر من الزّمان لنشهد ميلاد أوّل مجلّة فرنسيّة تعنى بالتّرجمات، بيفير (1930) [صدرت بين 1929و1931 تعنى بشؤون الأدب والفنّ] ودراسات فلسفيّة (1933) لكي تنتظم هذه الجماعة في الأخير وتبحث لها عن معلومات. وتعمّق هذا الحماس الفضوليّ أكثر فأنتج أوّلا كتبا من نوع في اتجاه المحسوس لجان واهل[352]، الّذي نبع من شيخوخة الفلسفة الفرنسيّة، ومن الحاجة الّتي كانت تسكننا لتشبيبها. لذلك، فلئن ترجم كوربين ماهي الميتافيزيقيا؟ فذلك لأنّني اعتبرت نفسي (من بين آخرين) جمهورا في انتظار هذه التّرجمة، من هنا تحمّلت مسؤوليّة وضعي، جيلي وحقبتي الزّمنيّة. وقد يتساءل البعض؛ لماذا كانت أولى التّرجمات خاصّة بهايدجير، وأغفلت في المقابل هوسرل طالما أنّ الدّراسات الجادّة عليها أن تنطلق أوّلا من هوسرل المعلّم، لتصل بعد ذلك إلى هايدجير التّلميذ المنشقّ. بإمكاني أن أجيب هنا، لأنّني عشت مناقشة المسألة في المجلة الفرنسيّة الحديثة. إنّه نجاح كتاب

351. الذات.

352. فرين 1932.



كوربين الّذي جعل غروتهيسين[353] يتّجه نحو ترجمة هوسرل. ذلك أنّ هوسرل لم يكن يحظى بجمهور غفير. رغم أنّ تأثير هايدجير على الجموع الغفيرة من الطّلبة لم يكن مفهوما، لكنّه كان صادما بعباراته: الموت، القدر، العدم.. هذه العبارات الملقاة هنا وهناك. ولكنّه جاء في الوقت المناسب. وكنت أنتظره بغموض، كنت آمل أن يوفّروا لي أدوات لفهم التّاريخ وقدري. غير أنّنا كنّا حقيقة عديدين، نحمل هذه الرّغبات. لنمتلكها في تلك الفترة. لقد كنّا سببا غير مباشر في فرض هذا الخيار.

بعبارات أخرى، هي حقبتي الزّمنيّة، وضعي وحرّيّتي، كلّ هذا قرّر لقائي بهايدجير. ليس ثمّة صدفة أو حتميّة، بل هو مجرّد توافق تاريخيّ. يمكننا أيضا أن نعتقد أنّ السّؤال: لماذا كان يوجد شخص اسمه هايدجير؟ يظلّ خارج الدّورة. وللحقّ، فبمعنى مّا ينفلت هذا السّؤال، بما أنّ هايدجير هو الأبرز في عالم وعي حرّ. ومن جهة أخرى لا يبدو لي هذا السّؤال منحرفا. لأنّ فلسفة هايدجير صعود حرّ لحقبته الزّمنيّة. وحقبته الزّمنيّة هي حقبة تراجيديّة الانحدار [354] [بالألمانية في الأصل] واليأس بسبب ألمانيا. إنّه زمن ما بعد الحرب، الفترة الّتي رأى فيها حشد من النّاس أنّه من الطّبيعيّ أن تكون ألمانيا بائسة، تآمر عليها الإنسان، والتّاريخ، والقدر. كما كتب ذلك روشنينغ في مقطع ذكرته[355]: هنا... تنكشف الصّفة الوحيدة، وعزلة هذه الأمّة. مهمّتها ولعنتها. وموقف هايدجير هو بالتّأكيد تجاوز حر، نحو فلسفة هذا المظهر المؤثّر للتّاريخ. لا أرمي إلى القول إنّ الظّروف هي نفسها، في راهننا، لكن من الحقيقيّ أنّ هناك توافقا تاريخيّا بين وضعنا ووضع ألمانيا. هكذا أرى صعود قدره الألمانيّ هذا، في ألمانيا البائسة، ما بعد الحرب لكي أتحمّل مسؤوليّة قدري كفرنسيّ في فرنسا 1940.

سيغادر كيللر، وسيكون انصرافه في غد، أو بعد غد، فقد تمّت بالنّظر إلى سنّه

353. برنار غروتهيسين (1880-1946) فيلسوف منأصل ألماني صديق للمجلة الفرنسية الحديثة نشر خاصة مقدمة للتفكير الألماني منذ نيتشة 1926 ديلامان وبوتيلو. ستوك. باريس.

354. الانحدار.

355. لعل سارتر ذكر ذلك في الدفتر السادس المفقود.

سيغادرنا نقلته إلى مصلحة التّكوين الدّاخليّ.

حاولت إبراز أنّ مفاهيم من نوع الاتّصال، الّتي تبدو ممتلئة، تغلّف في الواقع فكرة العدم. لكن، في المقابل، لا بدّ من إظهار كيف أنّ مفاهيم تبدو في الظّاهر سلبيّة تماما تحيل على تعالي حدّ- الذّات إزاء الوعي. لو أخذنا مثلا مفهوم الغياب في شكله السّاري والمعمول به، في قولنا، أيّها الغائبون الأعزّاء، لقد غبت، زارني أحدهم أثناء غيابي، الغائبون دائما ليسوا على حقّ – نلاحظ فورا أنّ الغياب ليس إنكارا، فهو يفترض وحدة الغائبين في الوجود. هناك وجود للغياب. ولا يجب خلط الغياب بمجرّد الابتعاد البسيط بمعنى أن نقول إنّ مدينتين بعيدتين عن بعضهما البعض، حيث تبعد الواحدة عن الأخرى 20كيلومترا. ينتمي الابتعاد إلى تلك التّأليفات السّلبيّة الّتي يُعِدُّها الوعي بين شيئين دون أن يُعدِّل من طبيعتيهما، وهو ما تحدّثت عنه بالأمس. لا وجود لمسافة بين (أ) و(ب) دون وعي؛ من خلال تعالي العالم يجعل الوعي المسافات تنبثق. لكنّ الغياب مقيم في قلب الأشياء، هي صفة مميّزة وخاصّة في الشّيء أن يكون غائبا. من غير المجدي إسباغ هذه الصّفة على مجرّد نظرة ذهنيّة، في قولنا مثلا، إنّ بيار غير غائب عن بيته، وإنّه مبتعد فقط عن منزله ونطلق الاسم المألوف للغياب على مجموع الحسرات الّتي يوحي بها هذا الابتعاد في نفس زوجته وفي نفسه هو. ذلك يعني وضع المحراث قبل الثّور. تفترض هذه الحسرات في الواقع أوّلا وجود شيء مّا يشبه الغياب، الّذي هو طريقة وجود مّا، هذا إضافة إلى أنّه سلبيّة محض. والحقيقة أنّ الغياب طريقة من أجل-الغير. لم يكن هناك أبدا شيء غائب بالفعل إلّا بقدر ما تكون لحظة مّا، مشابهة لغيرها. غير أنّ الغياب هو صلة مّا لوجودي مع وجود الغير. هو طريقة مّا أملكها لأكون معطى له. هذه الطّريقة أن أكون معطى له تفترض وحدة سابقة، هي وحدة الحضور. أثناء الحضور، أكون في واقعي المحسوس الحاليّ باعتبار أنّني موجود من أجل الغير والعكس بالعكس، وفي الوقت نفسه فأنا أمسك العالم، ليس فقط بوصفه عالما أنا موجود فيه، لكن بوصفه عالما محدودا بالوجود –في – عالم الغير. غير أنّ الحضور العاري لا يمكن أن يكون تأسيسا للغياب، فلن يكفي ذلك، لأنّ حضور أيّ مارّ لايمكن أن يؤسّس غيابه إن

ابتعد. لا يجب لهذا الحضور أن يُقدَّم كمجرّد حضور، لكن أيضا كمكوّن لطريقة وجود ضروريّة، مؤسّسة من أجل- الغير المحسوس. لا يمكن أن يكون هناك غياب لـ بيار إلّا بالنّسبة إلى زوجته، مثلا، لأنّ وجود بيار هنا في وجوده من أجل-الذّات، لزوجته، وبشكل ضروريّ. وجود بيار مؤسّس لوجود زوجته باعتبار من أجل – الذّات، والأمر متبادل. على أساس هذه الوحدة السّابقة فقط يمكن للغياب أن يكون معطى بين بيار وزوجته. غير أنّه ليس تحويلا محضا للعدم. يمكن أن يكون تحويلا للصّلات الّتي تشدّه للعدم. غير أنّه ليس كذلك في الواقع. إنّه طريقة ارتباط جديدة بين بيار وزوجته. تظهر على الأساس البدائيّ للحضور، الّذي يعليه الغياب وينكره، لكنّه هو وحده، ما يجعله ممكنا. هو نوع من الوحدة الخاصّة بين بيار وزوجته. شرط أن لا يكون مغرضنا. كلّ غرضنة للغياب تحيلنا إلى سلطة عدميّة للوعي غير مقيّدة – فلا يمتلك إلّا نفسه كما هو، وهو المرتعد من العدم: التّخييل. غير أنّ الغياب المعيش غير المغرضن لا يُمكن أن يُفهم إلّا باعتباره صلة محسوسة، بين موجودين على أساس بدائيّ لوحدة الاتّصال. زوجة بيار معطاة له حالا، كما لو أنّها ليست هنا. هكذا فإنّ الغياب الّذي هو إنكار، يتمتّع بميزتي وجود: (1* يبرز على أساس الوحدة الوجوديّة الّتي ينكرها، ممسكا هذه الوحدة باعتبارها جوهرا لهذا الإنكار. ويستمد وجوده من هذه الوحدة الايجابيّة، فيقرضه إيّاها. -(2* يُعدُّ لوجودين، عبر وحدة إنكار تأليفيّة أي أنّه يقرّب بينهما من خلال إنكار حضورهما. بيار وزوجته مُعطَيَان الواحد للآخر من خلال الإنكار؛ ليكون هذا الإنكار طريقة خاصّة في الارتباط الموحّد بين بيار وزوجته. من اللّحظة الّتي يشكّل فيها بيار وزوجته كلّا، يكون الغياب هو الكّريقة الوحيدة للإنكار الموحّد، الّذي سوف يحوّل هذا الكل إلى عدم دون تدميره (الطّلاق، النّسيان، إلخ، هذه كلّها تدميرات). غير أنّ هذا يفسّر لنا بشكل محسوس، ظهور حالات الوعي الّتي هي حقيقة غياب بالنّسبة إلى الكلّ في حدّ –الذات، الّتي تعدم دون أن تدمّر الصّلة الأصيلة الملازمة لحدّ –الذات، وهي بدورها لا تعدم إلّا على هذا الأساس الأصيل للملازمة- وتحيل في الوقت نفسه إلى تفسيرها الأوّل، إلى الغياب الّذي هو غياب الوعي بالنّسبة إلى العالم الّذي وظّفه. دون هذا الغياب الأوّل

والميتافيزيقيّ، تبطل كلّ أشكال الغياب المحتملة، وتمحى المسافة. أصل كلّ الغيابات، هو غياب ميتافيزيقيا الوعي بما هو اتّصال تأليفيّ وتوحيديّ للوعي والعالم[356].

الجمعة 2

سوف ترحل الفرقة بعد ثلاثة أو أربعة أيّام. وحتما سوف تكون بوكسفيللر وجهتها للرّاحة.

التقيت نيبار عائدا من رخصة. سألته: هل استمتعت إذن! فأجابني بيقين فاجأني به أكثر ممّا فاجأني وهو يستعدّ للرّحيل مرهقا، مثقلا: أووه نعم، كانت رخصة رائعة جدّا!، لم أستطع تبيّن النّبرة الّتي لفظ بها الكلمات الأخيرة. كان فيها ما لا أعرفه من الثّقل التّقويّ والعقائديّ، نبرة صديق للطّبيعة[357] وهو يمتدح شيئا بنفسجيّا، بقوله: انظر يا ولدي لقد صنع الله أشياء للإنسان. بطبيعة الحال؛ إنّه الرّجل المتزوّج، الرّاهب الخادم الّذي يتكلّم بهذه الثّقة التّامّة: يعلّم لأنّه من الجيّد الانغماس في العائلة. والرّخصة بدورها تتبع العائلة فهي من ضمن أصناف الأشياء الطّبيعيّة الّتي خلقها من أجل انتصاره؛ فمنذ بداية خلق العالم كانت هناك أشياءللعائلة، ورخص. لكن ينكشف في الوقت نفسه من خلف هذا الأداء المذهبيّ تعجّب خالص وطفوليّ، أعاد إلى ذاكرتي ما تلفّظت به تلك الصّبيّة العربيّة وهي تخاطب أصدقاءها من على جسر تيوفيل غوتييه: لقد أكلنا أشياء جميلة. يضيف: للأسف، قصيرة جدّا!، كما لو أنّه يتدارك، ليتجنّب أن يُتَّهم ولو لحظة بنقد مخلوقات الله والسّلطة العسكريّة العليا؛ ثمّ يردف قائلا: مثل كلّ الأشياء الأخرى الجميلة كما لو أنّ قصر مدّة الرخصة لم يتوافق مع ما أحاط به من ظروف ومن أحداث، وكانت الصّفة الأكثر حميميّة والألطف، بل منبع الجمال، وهذا الموت الخفي الذي يذهل باريز على الوجوه الفتية.

---

356. الوجود والعدم: الجزء الأول، الفصل الأول «التصور الفينومينولوجي للعدم» والجزء الخامس «أصل العدم» انظر الفصل للجزء الثالث «وجود الغير».

357. صديق للطبيعة.

لقد جعلني كلّ هذا أضحك على الفور غير أنّني انتبهت أنّني بدوري أتعامل مع الرّخصة على طريقتي الخاصّة، كشيء معطى هبة، لا باعتبارها حقّا. ثمّ باعتبارها جمالا. أتصوّرها بزمنها الخاصّ المتكوّن من عشرة أيّام، الّذي لا يبدو لي كأنّه تحديد تعسّفيّ بل باعتباره صفة شخصيّة لهذا الجمال، بالضّبط على طريقة ما للنّغم من إيقاع، وما يستغرقه من زمن. زمن الأيّام السّطحيّ وعديم الشّكل، ها هنا أعيشه، ها هنا يتراكم؛ أمّا هناك فحيث النّهاية حاضرة في البدء. يتراءى لي أنّني سوف أعيش زمنا آخر، زمن الموسيقى والمغامرات. أدخل نفسي في قصّة قصيرة قاهرة لا تنتهي بشكل جيّد غير أنّها جميلة. وإنّني لساخط قليلا لفكرة أنّ كلّ هذه المدّة الثّمينة جدّا، التي سوف تملؤها، الكاستور، باريس، فاندا، المتعة، وقد كان كلّ هذا في السّابق شيئا عاديّا ومألوفا. كنت أعيش كلّ هذا مع زمن لامبال وغير محدّد، متروك ودبق، ممتلئ بانهيارات صغيرة متكتّمة، هو زمني هنا. يتراءى لي أنّني لا أتعامل مع كلّ الفضائل الاستثنائيّة بنفس القيمة الّتي تستحقّها-والطريقة الوحيدة الّتي يجب معاملتها بها، هي الغياب المتقطّع بحضورات خاطفة ومتقطّعة. كما لو أنّ هذا الغياب يمثّل إحدى شروط الإنسان قبالة كلّ ما يحبّ. أريد أن يكون لهذه العشرة أيّام ميزة خاصّة، حتّى في قماشها. الذي لا نعثر عليه عادة إلّا في الكتب عندك. مانسفيلد، في دير بارما، في أفضل قصص باريز، الّتي تحتوي على جنون شرس، شكل من أشكال النّعومة البعيدة والفظّة شيئا مّا، نوع من الأرستقراطيّة لم تعرفها أيّامي أبدا. لقد عشت بالفعل أيّاما من السّعادة، لكنّها سعادة خشنة، متروكة، سميكة مثل خمرة حمراء ثخينة. لا ميزة لها. ولم يكن لكلّ هذا أيّ صلة بطبيعة حظوظي، الّتي كانت دائما جيّدة (أليس من حظّي الجيّد أن أستفيق ذات صباح عند أقدام مدارج مسرح إيبيدوت والكاستور بجانبي، أن أعود بخطى متسارعة عند المغيب أمرق بين أزقّة فاس، أثناء بدء إضاءة الأنوار العموميّة وسدّ الأزقّة الصّغيرة الضّيّقة المعتمة بسلاسل من اليمين إلى اليسار، أن أتفسّح بالقرب من أسوار ايغ-مورت رفقة فاندا)، بل لأنّ طبيعتي الشّخصيّة، مع شيء من فقر الدّم، تتضمّن ريبة كلبيّة تجاه كلّ ما هو ثمين، الخشية من أكون مغفّلا، أن أجعل من آلان فورنيه رائعا- ثمّ هناك أيضا تفاصيل تصدم ومع ذلك هي جزء

من تلك اللّحظات، وهي في زمن مألوف عاديّ: التّفسّح في أزقّة فاس هو في الحقيقة انتظار لحوالة لا تأتي، والفسحة عند أسوار ايغ-مورت بين شجارين مع فاندا. يؤاخذني بياتر على تبذيري للمال، أي نعم، أنا أبذّر حياتي أيضا. ليس بسبب نهم للعيش أكثر ما يمكن وما ذلك بتبذير، بل بسبب لامبالاة مّا تجعل اللّحظات تسيل في الماضي، واثق من أنّني مثل أيّ شخص لا يمكن تعويضه، من خلال انعدام للرّغبة في قول ذلك أيّها الزّمن، أوقف تحليقك، مثل فاوست. هذا المعنى لم لا يتم تعويضه؟ حتّى البائس دريو يمتلكه أو يدّعي أنّه يمتلكه (بالفعل كانت تلك هي الموضة حين ابتدأ) يجعلني أخطئ. ربّما كان من المتوجّب في العديد من الحالات أن أتشبّث. غير أنّه حتّى في هذه الحالة بدا لي أنّه غير عمليّ، أن نحتاج إلى مساعدة قليلة، أن لا نمتلك حسن النّيّة. كان لا بدّ من القليل لأحظى بلحظة ثمينة وأنا في ميسانس وحيدا رفقة الكاستور تحت سماء جميلة غائمة، بين هذه القبور الغريبة والصّخور. لكن كان من الضّروريّ أن أفكّر في أغاممنون، كان ذلك ضروريّا جدّا. سوف يتطلّب الأمر وقتا طويلا جدّا للشّرح. إنّي دائما ما أتجنّب ذلك. يطالب القصر المُدَمَّر بحضور الأتريد [الأتريد أبناء أتريه في الأسطورة اليونانيّة وتميّز نزولهم إلى الأرض بالنّهب والحرق والقتل. فتدخّلت أثينا وحدها لإيقاف المجازر] أمّا أنا فلا أريد أن أعمّرها بالأبطال الأسطوريّين. سوف يبقى مخرّبا وسأخسر من ذلك شيئا مّا. لقد كان الأمر دائما كذلك وأسمّيه حسب مزاجي، فقر دم أو شرف الذّهن.

والمقصود من وراء ذلك أنّني أخشى شرف الذّهن هذا، في الأيام القادمة. تبدو لي هذه الأيّام العشرة من بعيد ثمينة جدّا؛ يتراءى لي أنّني سوف أعيش ولأوّل مرّة سعادة نبيلة. لكنّني أخشى أن أجد في قلب هذه المدّة الزّبد المتدفّق والكسول لزمني هنا، أخشى أن أجدني في معابر اللّامبالاة. أخشى أن يكون عندي ذهن شريف جدّا. من المؤكّد، أنّني أريد أن أعيش هذه الأيّام بكلّ أصالة. لكن هناك مكان في هذه الأصالة ذاتها لشيء مّا أكثر ندرة، استثنائيّ. باختصار فليمنحونني هذه الرّخصة وسوف آخذها، إنّها مشروع. غالبا ما فكّرت في هذه الصّعوبات الّتي تنتظر المسترخصين هناك. خمّنت أنّ الرّخصة شيء صعب. ليس من السّهل العثور على امرأة

مثلا. أمّا بالنّسبة إليّ فلا توجد هذه الصّعوبات. لكن هناك صعوبات أخرى جئت على ذكرها منذ حين. أقول هنا إنّني وإن نجحت في رخصتي، فإنّ ميستلر ونيبار نجحا فيها أيضا، وهو أمر مستغرب إلى درجة أنّ هذا الأخير – سوف يرى أنّ كورساي والمساعد قد خسراها. أمّا بالنّسبة إلى بياتر فلقد عبّر من خلالها دون أن ينتبه أنّ هناك حصة للّعب (باستثناء ما يتعلّق بشؤونه). لكنّ لطفه الطّبيعيّ، ظرافته وحظّه، ينضاف إلى ذلك سمك بشرته، كلّ هذا منعه من أن يخسر: ضربة غير موفّقة.

فوضى مباغتة تعصف بمجموعتنا، وقد حان الوقت لأصف ذلك، فبداية من الغد لن يكون لها وجود. يسافر كيللر غدا إلى باريس وأنا أخرج في رخصة. سوف يتمّ التّبديل بعد أربعة أو خمسة أيّام، كلّ الفرقة سوف تسافر إلى بوكسفيللر. سيظلّ بول وبياتر، وحدهما، في مدينة جديدة. هذه التّقطّعات المباغتة للتّوازن الّتي تفتّت الأشكال في اللّحظة الّتي تبدو فيها أفضل تنظيما، هي من مميّزات عدم الاستقرار العسكريّ.

السّبت 3 فيفري

خروج في رخصة.

الأحد 4

رفقة كيللر أنزل من القطار، في التّاسعة والنّصف صباحا، إثر ليلة قضّيناها، في عرباته، كنت محمّلا مثل حمار، ومضينا معا إلى إيغفيلييه (هوت–صاوون) مركز التّجميع. موضع عجيب. أكواخ من خشب شبيهة بأكواخ فيلغران الشّهيرة، تحت ردم السّكّة الحديديّة، وسط غابة صغيرة. المسافة بين المدينة والمحطّة تقارب عشرين دقيقة سيرا على الأقدام. ما يقارب الثّلاثين كوخا مهيأة بشكل متناظر ومداخلها متواجهة. لا أثر للثّلج بهوت- صاوون، فالأرض سوداء موحلة مستنقع، نسيم غضّ رقيق. أشجار هزيلة، كثيرة الفروع، عديدة ومتفاوتة الطّول مثل العشب الفاسد. نشعر في البدء كما لو أنّنا في غابة. ثمّ فجأة في قلب هذه الغابة يباغتنا تجمّع بشريّ

ضخم برائحة بشريّة قويّة. رغم الزّي الخاصّ ليس لهذا التّجمّع أيّ مظهر عسكريّ. يغمر الوجوه شيء من الانفراج الذي تتخلّله كآبة خفيفة تائهة، لا تشبه في شيء الانتظار الفارغ الّذي عادة ما نلاحظه على جنود في فرق مُقادة. التّدابير مهملة المعاطف غير مزرّرة، الكثير من الجنود متّكئون على عصيّ غليظة مشذّبة بعناية. بعض آخر أمسك بكلاب، آخرون أمسكوا بعلب رنّانة تنطلق منها أصوات مختلفة. بهذه العصيّ وهيئاتهم الباهتة (صناديق، قبّعات، الصّفائح، أقنعة الغاز الّتي تزيد من سمك الخصر وتعطي هيئة الشّخص اتّساعا نحو الأسفل) كلّ هذا يجعل من الجنود يشبهون جنود أندرسون الّذين يعودون إلى بيوتهم، أحرارا، نصف قطّاع طرق. يظهرون كمن عاشوا لحظة رائقة ممتزجة بشيء من القساوة الّتي تتناقض مع هيئة الخرفان، الّتي كانوا عليها أثناء الخدمة العسكريّة. بدا بعض الجنود سكارى -لكن ليس كثيرا. أقلّ من الأمس. ناموا بعد ما احتسوا خمرهم في القطار. غير أنّ ما يمنح ميزة خاصّة لهذا التّجمّع البشريّ الّذي جاء أعضاؤه من كلّ حدب وصوب قاصدين جهات متعدّدة، هو هذه الأصوات الّتي تطلقها مكبّرات الصّوت المعلّقة فوق سقوف الأكواخ. ومن حين لآخر ترسل مكبّرات الصّوت هذه أصواتا موسيقيّة. ليس ذلك دائما- منذ قليل كانت هناك موسيقى متعة الحبّ[358] لكنّ مكبّرات الصّوت كانت تبثّ أغلب الوقت معلومات، مواعظ، نصائح، إلخ. وهي في الحقيقة وساطة بين السّادة المسافرين لشركة النّقل الحديديّ الفرنسيّة وجنود! القائد، أو هي تلك العلاقة المألوفة. يلغطون علينا: أيّها المسترخصون! انتبهوا لهذا: بالنّسبة إلى القطار الأخضر فقط تجمّعوا خلف الكوخ الثّالث، الرّجاء الزموا أماكنكم لتجنّب الازدحام، لا يستدعي الأمر أن تتبلّلوا دون فائدة، ما يصدم في هذا أنّهم يخاطبون عقولا. من المؤكّد أنّه مازال عقلا صبيانيّا ويلزم تعنيفه، إقناعه بالتّكرار. غير أنّه في الأخير عقل. يفسّرون لنا لماذيّة الأوامر. ليصبح الأمر مجرّد نصيحة. بل إنّ التّسمية ذاتها المسترخصون -وهي التّسمية الوحيدة الّتي ينادوننا بها هنا -تعيِّن واقعا وسيطا بين

358. للتذكير فإن هذه الأغنية الفرنسية الشعبية من كلمات فلوريان وتلحين مارتيني (ملحن في عصر لويس السادس عشر).

المدنيّ والجنديّ. شيء ما مثل مسافرون !، أو ما هو أفضل مثل صاحب بطاقة لعائلات متعدّدة، أو أيضا وبالأخصّ: إسناد تذاكر مخفّضة للسّفر إلى عطلة نهاية الأسبوع نحو شاتو دي لالوار، هذا هو التّركيب الجديد للتّنظيم المدنيّ (وهو بالفعل شديد التّنظيم)، بأزياء وتسييرات، مع تهديدات محجّبة، نداءات للمبادرات الفرديّة (لكن لمبادرة يقومون هم بتحديد اتّجاهها الوحيد بكلّ صرامة)، هذا الجهد من أجل تحقيق رفاهيّة حديثة وخشنة للجماهير (إمكانيّة إرسال برقيّات مستعجلة، لمجة في مأوى الجنديّ، قدح شاي مجّانيّ في المطعم)، إنّه كلّ مّا يسبغ على كلّ شيء ميزة الاحتفال الفاشيّ؛ أتذكّر نبرة صوت آتية عبر المصدح كنت قد سمعتها من قبل، في ألمانيا، أثناء حفلات التمبلهوف، إلخ. شعور مشقوق بهذا النّغم القاسي، الصّامت، اللّامبالي والدّاخليّ للكثير من الأشخاص.

ما يصدم بالفعل، أنّ الجنود لا يبدو عليهم أنّهم مستمتعون. إنّهم هادئون بل ومغتمّون أيضا وأنا مثلهم. رغم أنّ منهم من عارك لمدّة خمسة عشر يوما (وأنا واحد منهم) من أجل الحصول على رخصة السّفر اليوم. غير أنّهم يبدون الآن متعقّلين كما لو أنّ رخصهم هي مشاريع واختبار في الوقت نفسه. يبدو أنّهم يشعرون بخشية من ذلك. أفهم جيّدا هذا القلق وأشاركهم إيّاه. يريدون أن يتمّ الأمر بشكل جيّد، والمعتادون ليسوا على ثقة أنّ هذا ممكن الحدوث.

على كلّ حال؛ حدثت هزّة فرح صغيرة ومقتضبة في معسكرنا؛ ما إن نطق مكبّر الصّوت المسترخصون للقطار الأزرق، تجمّعوا. بدأ المسترخصون يهتفون قليلا، ثمّ سرعان ما انطفأ ذلك الهتاف. تلا ذلك مظاهرات قليلة: عدا بعض التّصفيرات حين يتحدّث مكبّر الصّوت عن البوليس.

لهذا التّجمّع طابع مخصوص، يتمثّل في أنّ منظميه، كانوا مدنيّين، تحت إشراف عسكريّ، حيث اللّافتات، والخدمات، ولاقط - الصّوت إلخ. وأنا واثق أنّه من إنجاز الشّركة الفرنسيّة للسّكك الحديديّة.

المعسكرات: قرابة ثلاثين مترا طولا وثمانية أمتار عرضا، عارضة خشبيّة، حواجز خشبيّة بيضاء، ثلاثة شبابيك بزجاج أكمد وثمان روافد على الحاجزين الأطول. أربعة

مصابيح كهربائيّة تتدلّى من السّقف، مقاعد من لوح أبيض بظهر مضغوطة إلى بعضها، بين هذه المقاعد من طرف إلى آخر بالمعسكر امتدّ ممرّ يفتح عليه البابان المتقابلان.

مثال من نبرة لاقط الصّوت: لا يشتغل المطعم عند التّاسعة إلّا لمسترخصي القطار الورديّ. كلّ من يندسّ ضمن هذه المجموعة وهو لا يحمل رخصة ورديّة... صمت ننتظر: يعاقبون بأربعة كران[359]، لكن، يواصل الصّوت بنبرة أبويّة: لن يتمّ استقبالهم بالمطعم. والمطعم بعيد جدّا. يتطلّب الأمر عشرين دقيقة للوصول إليه، ومثلها، للعودة منه، وهكذا سوف يخسرون أربعين دقيقة مقابل لاشيء.

يبثّ مكبّر الصّوت عند السّاعة العاشرة والنّصف أغنية يدك في يدي لشارل ترينيه، أراني مع بوست والكاستور بحيّ شعبيّ بمارسيليا، في ليلة من ليالي أوت الجميلة، محاولا تذكّر لحن هذه الأغنية. أدمعت عينياي لانفعال عنيف ومباغت استولى عليّ، لا علاقة له بكآبتي العميقة للّحظة الفائتة. دفنت دموعي متظاهرا بمسح نظّارتيَّ. من المؤكّد أنّه ثمة هنا عودة دنيئة للتّحنان عليَّ. ثمّ إحساس مزيّف متأتّ من تعب ليلة شاقّة. لكنّه هو أيضا كلّ هذه الأشياء الّتي مضت، كلّ هذه الأشياء الجميلة الّتي أفكّر فيها كما أفكّر في موتى، بدوا لي بالأمس فقط بشكل تلميحيّ أحياء للحظة. أكتب هذا وأنا مستلق بطمأنينة في مقعدي بالقطار الورديّ الذي سوف ينطلق عند السّاعة الحادية عشرة وإحدى عشرة دقيقة. إنّها السّاعة الحادية عشرة، مازلت أسمع قطعا متناثرة غير معروفة لموسيقى مِثيرة. ومن حين لآخر: أيّها المتأخّرون عن القطار الورديّ، اشرعوا وكان لها وقع مثل يا بروليتاريّو البلاد، اتّحدوا.

16 فيفري

عودة من الرّخصة. لم أكتب في هذا الدّفتر أثناء إقامتي بباريس وحسنا فعلت. وبالأساس فكلّ ما حدث لي لا يعنيه. إنّه دفتر حرب وليس له من معنى إلّا وهو كذلك. ثمّ لقد أردت أن أتماهى مع رخصتي دون أن أنشغل بالتّفكير. أو بالأحرى

---

359. مصطلح عسكري المقصود به يوم عقاب.

دون حصر تفكيري وتثبيته، دون أن أعرف أنّني أفكّر. غير أنّني سوف أدوّن هنا ما يمكن أن يهمّ وجهة النّظر الوجود -في- الحرب، بما أنّ الرّخصة في جميع الأحوال هي حلقة من حلقات الحرب. سوف أقول أوّلا إنّني كنت مفعما. لاشيء سوى الامتياز. لم تكن هناك ساعات ضائعة. لا أعتقد أنّه يمكننا أن نفعل أفضل ممّا فعلناه. التقيت بالكاستور وفاندا، لم أكن وحدي ولو لحظة واحدة، غير أنّني ذقت العزلة في برومات ومورسبرون لأظفر بنعومة أنّني إثنان. لم يخذلني أحد بل بالعكس. كان هناك مفاجأة سارة -ولها علاقة بحياتي الشّخصيّة. لكن بعد التّأكيد على كمال هذه الرّخصة، يجب القول إنّها قد خيّبت الظّنّ، ولم تكن مثلما توسّمت، خاصّة منها الجمعة، الّذي فلم يكن ثمينا بالمرّة، أو ذا بال. ويتعلّق هذا أوّلا بطبيعة الزّمن، فهو خشن، حيثما كنّا. لا شيء بإمكاننا أن نفعله. هناك زمن واحد هو زمن الوجود. حقيقة أنّني شعرت منذ أوّل وصولي للعشرة أيّام هذ، كما يجب أن يكون لي عبارة وجود-عشرة-أيّام، لن يغيّر شيئا في هذا. ذلك أنّ باريس خاصّة في البداية تبدو لي مألوفة، ولا تشعرني بالحرب إلّا قليلا، عند المساء في أزقّتها، ولكنّ ما ننتقيه لنا من أماكن، أنا والكاسترو، أماكن لم تمسسها الحرب، ولم تغيّر في ملامحها شيئا. استعدت كلّ عاداتي رغما عنّي وتآلفت معها. بدت الأشهر الخمسة الّتي قضيتها في الألزاس مثل حلم. أواسط رخصتي بدأت ألاحظ الأعداد الكبيرة من ذوي العاهات والعجّز وأحسست بباريس كما لو أنّها مدينة جثّة، أفرغها نزيف حادّ من كلّ النّاس. يؤثّر عليّ كثيرا حزن المساء خاصّة. كان حيّ مونمارتر ميّتا ومقفرا. بدت لي ساحة سانت شارل في سراب اللّيل، بعظمة كارثيّة تراها متجسّدة على مفترق الطّرقات الكبرى للضّواحي. وأنا أهبط شارع بيغال شاهدت من هنا وهناك وعبر السّتائر، الأضواء الكامدة للمراقص الّتي بدت مثل صدوع شبه زجاجيّة. كنت أعرف أنّ الجاز صار رديئا ونبّهتني هذه الجملة لفاندا باحتضاره نهائيّا: لن نذهب إلى شانتيي فالبرد هناك شديد. بل كان في الجوّ هناك أشدّ نفاذا، أشعرتني به الكاستور بقوّة: إنّها مدينة ناس بلا مستقبل. حياة عائلية، هكذا كانت تقول لي. والدّليل على ذلك أنّ ما يفصل بين النّاس بشكل مضحك، خلال السّلم، فالنّساء والرّجال أبواب تفتح على الخارج، على مستقبل مجهول. كلّ واحد

منهما ينتظر شيئا ما أجهله، وهذا المستقبل المجهول هو الّذي يقطعهما عن الأنا، ليس محطّة الحافلات أو حاشية الرّصيف، ما يجمعنا في الحاضر، بالعكس. كلّ هذا امّحى: أغلب النّاس الّذين رأيتهم، في المقاهي، في الشّوارع، في المراقص، بدوا على هيئة طبيعيّة، لا يتحدّثون عن الحرب، بل ويستمتعون. رغم أنّي أعلم أنّ قدرهم قد توقّف مثل قدر الأموات، لا ينتظرون أيّ شيء سوى نهاية الحرب، الّتي لا تتعلّق بهم. وفي الانتظار ينشغلون بقدر ما يستطيعون؛ يتركون الحرب تسيل فوقهم، ويعطونها بظهورهم. نعم لقد تركت باريس وفي داخلي شعور أنّها قبو عائلة وهو ما ليس من شأنه إن قليلا أو كثيرا أن ينزع عنها صفة الثّمينة بالنّسبة إلى رخصتي. هذه المدينة الّتي طالما رغبت في العثور عليها، إمّا أنّها مألوفة جدّا، فلا أستمتع إطلاقا بالتّراجع الكافي للشعور أنّني عثرت عليها -أو اكتشفتها فجأة عند قدميَّ، غير أنّها كانت بائسة وميّتة-في فقر مُفْجع. حتّى أنّ الشّعورين القويّين اللّذين خلصت بهما من باريس كانا على عكس ما كنت أنتظره: إذ تخيّلت أنّني سوف أشعر بالضّياع في مدينة غريبة، شاسعة مزدحمة كما حصل لي ببرلين، بلندن، بنابلي. وإذا به يحدث العكس: في أحد المساءات الأخيرة، دخلت الكاستور مقهى الرون بوان في الشّان إيليزي، وكنت أنتظرها بالخارج، مفتونا بذلك التّكتّم الجديد اللِبديّ الّذي يعطي مقاهي المساء مظهرا خفيّا تتّسم به المواخير، مفتونا بسماء لم تتوقّف عن الانطفاء، وبجواهر ثمينة مشدودة إلى مصابيح الإضاءة العموميّة وهي تلتمع دون أن تضيء. بليلة زرقاء ممتلئة بالهمسات، تجعل المرء يفكّر في الصّيف. وفجأة استولى عليَّ ما يشبه البهجة لمجرّد التّفكير أنّني حيّ هنا في هذه المدينة الرّائعة والميّتة، إنّني حيّ لأنّني بالضّبط لا أنتمي إليها، لأنّ قدري يتشكّل في مكان آخر غير هذا، بقدر ما أخوض الحرب في مكان آخر، فأنا من يصنع هذا القدر. شعرت في تلك اللّحظة أنّني مثل مسافر ينتسب إلى مدينة وثمّة شيء آخر ينتظره في جهة أخرى. وكان ذلك الإحساس دونما شكّ مريرا، لأنّني قريبا سوف أترك أولئك الّذين أحبّهم الأكثر، ولأنّني في ذلك اليوم بالذّات، أحبّ بعنف أكثر من أيّ وقت مضى. غير أنّه كان عزاء حقيقيّا للكبرياء، في خضمّ تلك المرارة، أنّني لم أقع أسيرا بداخله. لم أستطع مقارنة هذا الانطباع إلّا بما شعرنا به،

أنا والكاستور، أمام المدن اليونانيّة أو المغربيّة الفاتنة والعامرة بالموتى. بسبارطا مثلا حين رأينا الشّباب اليونانيّ بصدد تناول المُقبِّلات في المقهى الكبير بالمدينة، بفاس، وسط الأسواق، كنّا مفتونين إلى درجة أنّنا تركنا أنفسنا تتداعى هناك تقريبا، ورغم ذلك شعرنا بالسّلوان، متخفِّفيْن، لأنّنا كنّا أناسا من أماكن أخرى.

أحسست بانطباع مماثل لهذا الانطباع في مناسبة أخرى بينما كنت مع فاندا في الجوكاي. كنت أعشق فاندا بشكل قويّ وأعتقد أنّها كانت تبادلني الهيام نفسه. ولقد كان هناك أزواج آخرون لكن أقلّ سنّا (فلم يبد على الذّكور أنّهم مجنّدون) ويبدو أنّهم كانوا عشّاقا هم أيضا. وأحسست أنّني انفلتّ عن هذا الحبّ رغما عنّي لأنّني سوف أرحل. كان أولئك العشّاق من حولنا لا يفعلون شيئا آخر سوى أن يتحابّوا. أمّا أنا فربّما لم أعد أحبّ شيئا سواهم، غير أنّني كنت وحدي، وما كان باستطاعتي سوى أن أهبني لهذا الحبّ، لأنّه كان يتوجّب عليَّ أن أرحل قريبا. عدا ما أحسست به من انفعالات في تينك اللّحظتين، فبالتّأكيد قضيت أيّاما مفعما، سعيدا، مهتمّا بكلّ لحظة، غير أنّ هذه النّدرة الّتي كنت آملها لم تبرز لي، فمن المؤكّد أنّني لم أُخْلَق للانفعالات النّادرة.

ما تعلّمته أيضا وأدوّنه هنا دون أن أتوسّع في الكتابة عنه، أنّه لمن السّهل جدّا أن يعيش المرء نظيفا وأصيلا في الحرب، لأنّ ذلك لن يتاح له في أزمنة السّلم [360].

17 فيفري

لقد اتّخذت هذه الرّخصة في العموم شكل الكلّ، شكلا ممتلئا ومستديرا كنت

---

360. لقد كان سارتر لاأصيل بشكل متضاعف بباريس:بطلب من سيمون دي بوفوار.لم يصرح لفاندا إلا بالخمسة أيام الأخيرة لمدة رخصته (عوض عشر أيام) ؛ غير إنه أخفى بصعوبة تلهفه لرؤية الشابة الصغيرة لأنه في طريق عودته كتب للكاستور مايلي:" أخشى إنني لم أكن لطيفا طيلة هذه الرخصة." من جهة أخرى لم يعلم بيانكا برخصته هذه ؛ ألم يكن ب" تحسرات فظيعة" يقرأ الرسائل التي أرسلتها له خلال إقامته بباريس(رساله للكاستور بتاريخ 16فيفري مقطع غير منشور سابقا) ولقد تساءل قبل ذلك قائلا:" أليس من الأفضل أن وفيا طيلة حياته لأمرأة واحدة(سيمون دي بوفوار يوميات حرب 10و13فيفري1940).

أتلصّص عليه من بعيد وأفكّر في يناير، وفي أنّني قادر على امتلاكه. غير أنّني لم أستطع في نهاية الأمر أن أراه فارغا، فكلّما خيّل إليّ أنّه قد صار على مقربة منّي، وسأمسك به، انفلت، فلا أقبض غير الرّيح. لأستنتج أن لا وجود له إلّا في مخيّلتي. هناك خطوة واحدة استطاع بروست، مثلا، أن يتجاوزها. لكنّني سوف أحتفظ بذلك. لقد علّمتني الكاستور بالفعل شيئا جديدا: نرى في روايتها[361] أنّ إليزابيت تشتكي من أنّها محاطة بأشياء تريد أن تستمتع بها غير أنّها لا تستطيع تحقيق ذلك. من المؤسف أنّها جعلت إليزابيت تنفعل بهذا الشّكل، وهي شخصيّة مرضيّة وحادّة، ممّا يقلّل من ميولاتها، وهي أغلب الوقت تكتفي بإحساس ظاهريّ. غير أنّ الكاستور ترى أبعد من ذلك. لقد أرادت أن تقول إنّنا محاطون بها لا يتحقّق. إذ يتعلّق الأمر بأشياء موجودة يمكننا أن نفكّر فيها عن بعد أو أن نصفها، لكن لا يمكننا أبدا أن نراها. رغم ذلك ها هي هذه الأشياء هنا في متناول اليد، تجذب نظرنا، نلتفت نحوها فلا نجد شيئا. هي في العادة أشياء تتعلّق بنا. والمثال المختار لإليزابيت رائع جدّا: فلا يمكننا بالفعل أن نعيش علاقة مّا كنّا عليه، مع ما سوف نكون عليه. يحدث لي أحيانا أن أقول: كلّ ما رغبت فيه خلال شبابي حصلت عليه، لكن ليس بالطّريقة الّتي أريدها. أفكّر في هذا الأمر، من خلال ما أتذكّره، ممّا رغبت فيه وما حصلت عليه. أفكّر فيه لكن لا أراه. يبدو أنّنا نستطيع أن نضاعف دائما بهجتنا لأنّنا نجحنا في مشروع مّا بالنّظر إلى هذا النّجاح من خلال آمالنا ومخاوفنا الماضية: لقد رغبت فيه كثيرا وها أنا ذا قد نلته. غير أنّه أمر مستحيل في أغلب الحالات. لقد ماتت آمالنا الكبرى وهي أبعد من أن نرى نجاحنا من خلالها، نحن ننظر إليها هي من خلال نجاحنا. كذلك هذا الشّيء المؤثّر من جميع الأشياء، الشّيء الّذي نستطيع الإمساك به جيّدا حين يتعلّق الأمر بالغير، ينفلت منّا بحسب المبدأ. رغم أنّ الهنا، مجرّد وهم على حدّ عبارة آرون. طريقة كي أستند إلى وجهة نظر الله لكن لا، فأنا أشدُّ تواضعا من هذا. توجد هذه الأشياء لأنّنا نستطيع أن نفكّر فيها حقّا. توجد رخصتي لأنّ المجتمع

---

361. المدعوّة والتي قرأ سارتر مخطوطها قبل ذلك خلال رخصته (سيمون دي بوفوار يوميات حرب) الرواية لم تصدر إلا سنة 1943.

أكسبها وجودا واقعيّا، لأنّها دلالة إقامتي بباريس ولأنّها، رغم كلّ شيء، تمنح لحظاتي المعنى. ورغم ذلك هي ليست في متناول يدي. بالنّسبة إليّ فإنّ علاقة طموحاتي الشّبابيّة بكهولتي، أمر يمكن أن يحدث للكاستور مثلا. لكن بالنسبة إليّ لا. وضمن نفس الحلقة تقع تلك المغامرة الّتي تهرب من المغامر وسط الظّروف العجيبة للغاية، الّتي هي رغم ذلك صنف جوهريّ من النّشاط البشريّ. أعتقد أنّني قلت في الغثيان إنّه لا وجود لها. غير أنّني كتبتها بشكل سيّئ. فالأجدر أن أقول إنّها غير مُحقَّقة. المغامرة موجود لا تبرز طبيعته إلّا في الماضي من خلال ما نرويه عنها. ما هو مدعاة للاضطراب في هذه الأشياء اللمُحقَّقة، أنّني أستطيع التّفكير فيها إلى أبعد حدّ وبالتّفصيل، وبواسطة الكلمة يمكن تحقيقها من خلال آخرين. مثلا لو انشغلت بكتابة قصّة عنوانها الرّخصة، يمكنني أن أؤلّف هذه الرّخصة كما يجب أن تكون، بطبيعتها المؤثّرة والثّمينة. أستطيع أن أفعل ذلك بطريقة تجعل القارئ يحقّقها مثل نغم ينساب بعنف نحو نهايته. لكن سيكون ذلك من قبيل الفنّ. الفنّ هو وسيلة من تلك الوسائل الّتي نمتلكها لنحقّق من خلال آخرين بشكل حيويّ وتخييليّ، ما لا يمكننا تحقيقه. أغتنم هذه الفرصة لأدوّن أنّ ما يتحقّق ليس إطلاقا من طبيعة المتخيّل. فهو واقعيّ، موجود في كلّ مكان، لكنّه ليس في متناول اليد. بإمكان آخرين الإمساك به سواء عن طريق التّحقيق أو عن طريق التّخييل. غير أنّني أعتقد أنّ الأصالة تنزع إلى تحديد مكانها من حولنا كما لو أنّها غير متحقّقة. لا يجب إنكاره كما لا يجب محاولة تحقيقه دون جدوى، لكن تحمّله كشيء لن يتحقّق. هذا العيب الّذي عرفناه أنا والكاستور عند الغير، تحت مسمّى الظّاهر (أن يكون على ظاهره، إنجاز المذهل) يتكوّن بالأساس في أحد أنواعه من سوء النّيّة الّتي من خلالها نقنع أنفسنا أنّنا حقّقنا ما لا يتحقّق من حيث المبدأ. بالعكس فنقاوة فاندا تقوم على ثقة عمياء في مبدأ المتحقّق. لن تفكّر إطلاقا أنّ إقامتي عندها كانت ضمن الرّخصة. هو حضور بين غائبين ليس أكثر. لن تسمّي حكاياتها المتعدّدة في بال نيغر مغامرات. ففي كلّ واحدة من هذه المغامرات كانت مفتونة باللّحظة. لكن، رغم ذلك هي تفتقد كلّ هذه الأشياء، ينقص دافع لنشاطها. ينبغي تحديد ما هو لا محقّق ممّا هو محقّق حسب الحالة.

باريس مثلا هي موجود واقعيّ. هذا ممّا لا شكّ فيه. لكن هل هي فعلا موجود مُحَقَّق بالنسبة إليّ؟ بإمكاني أن أفكّر أنّني في باريس. لكن هل بإمكاني أن أكون في باريس. منذ عامين تناقشت والكاستور مطوّلا بخصوص مقالة لغايلو حول أسطورة المدينة الكبرى[362]، أعتقد أنّني كنت على حقّ في هذه الحال ضدّ الكاستور (لقد طرحنا السّؤال بشكل سيّئ، إضافة إلى أنّنا نفتقد إلى المفهوم الحقيقيّ للّامُحَقَّق. كنّا نتساءل فقط هل أنّ باريس موجودة بالفعل أم أنّها مجرّد أسطورة). أعتقد أنّه من الممكن أن نكون موجودين ب-باريس. من المألوف أن لا أسمّي تحقيق شيء مّا مجرّد تمثّل هذا الشّيء بمشاعر حيويّة شيئا مّا. نحقّق شيئا مّا حين يكون حضور هذا الشّيء معطى لنا باعتباره تحويرا جوهريّا لوجودنا ومن خلال هذا التّحوير. فلا يعني أيّ شيء أن تكون لنا مغامرة مّا بأن نتمثّلها لكن هو وجود-داخل المغامرة-وهو ما بيّنت استحالته الغثيان. من الممكن دائما تمثّل اللّامحقّق لكن لا يمكن الاستمتاع به، وهو ما يمنحه صفته المناوشة والملتبسة. أعتقد أنّ نصف أفعال النّاس لها هدف واحد ألا وهو تحقيق اللّامُحقَّق. أعتقد أيضا أنّ أغلب خيباتنا النّافذة متأتّية من كون اللّامُحَقَّق يظهر لنا في المستقبل، ثمّ بضربة واحدة في الماضي، كما لو أنّه مُحقَّق، وما نشعر به وقتها من أنّنا لم نحقّقه. وإنّي لأشعر الآن جيّدا أنّ هذه الأيّام العشرة، الّتي أصبحت خلفي، هي موتورة، مشدودة كما لو أنّ نهايتها هي بدايتها، وهي بصدد أن تتحوّل في ذاكرتي إلى الرّخصة، هي نفسها الّتي رغبت في الظّفر بها، عندما كنت أحلم بها في 2فيفري.

أريد أن أروي قصّة عودتي. قبل يوم الأمس 15 فيفري لبست زيّ العسكريّ، قام خيّاط مدنيّ بتجديده لي. حصلت على أربطة سيقان جديدة، جزمات تزلّج (فتلك الّتي كنت أنتعلها في السّابق كانت على ملك الكاستور). صرت نظيفا كما لم أكن أبدا كذلك، منذ بداية الحرب. عند السّاعة التّاسعة وصلت لرصيف محطّة الشّرق، وعثرت على زاوية هادئة دون مشقّة. كان الجنود مرفوقين بالقليل من الرّجال والكثير من النّساء اللّواتي تعلّقن بأذرعهم ينظرن إليهم بشكل خشن. غير أنّ أغلب الجنود

362." باريس، أسطورة حديثة" صدر هذا المقال بالمجلة الفرنسية الحديثة في ماي 1937.ثم في مجلد بعنوان السطورة والإنسان عن دارغاليمار سنة 1938.

كانوا نظيفين محلوقي الذّقون، أنظف كثيرا من المعتاد، لا ينظرون إليهنّ، كانوا قد رحلوا، كانوا يلوّحون بأبصارهم في الغامض قدّامهم، أو يحدّقون في بقيّة الجنود. لن أعمِّم بشكل متسارع، تفسّحت على طول الرّصيف وصُدِمْتُ لرؤية هذه التّجمّعات الغريبة في كلّ مكان، لهذه الحركة، لهذا الشّكل المتعلّق، يزداد ضيقا، ويحاول أن يغلق التّجمّع، ويجعل منه كلّا ضدّ الخارج، والشّكل الأكبر، أخرس، ثقيل وتقريبا سلبيّ ينسحب بخفّة من جهة ويعرض نفسه حين تظهر الصّورة الجانبيّة للآخر، من خلال هاتين النّظرتين، يحاول الأوّل الإبقاء والمحافظة، ويروم الثّاني الإفلات نحو المستقبل. تبكي امرأة من حين لآخر، ينتبه لها رجلها فيقول لها بشكل من الطّيش: لا يجب أن تبكي، لكن يتوقّف وهو لا يعرف ما سيضيف، مقتنعا في عمقه أنّ من حقّهنّ البكاء. إحدى النّسوة ورجلها شرعا في النّحيب معا غير أنّ هذا لم يجد صدى عند الحشود المزدحمة. مرّ جنديّ يركض وهو يصيح: ها هي المياه الكبرى، وهو ما أغرق الآخرين في الضّحك. يا له من حدث اجتماعيّ غريب في الأجواء المكفهرّة الكاكية الموحلة، هذه الانتقائيّة البدائيّة تماما بين الرّجال الّذين يتمّ انتزاعهم كلّهم، وبين النّساء المخضّبات بشكل سيّئ، البشعات بسبب أرق اللّيل، اللّواتي وضعن ملابسهن على عجل وسيبقين هنا. كان هناك قطاران الواحد قبالة الآخر. سوف ينطلق قطاري هو الثّاني. انطلق الأوّل على الساعة 9و30دقيقة وشاهدت استعراضا للنّساء. تراجع الأزواج، الّذين سيمتطي الذّكور منهم قطاري لمشاهدة هذا الاستعراض دون أن ينطقوا بكلمة واحدة. دون شكّ إنّ النّسوة اللّواتي يقبضن على أيادي أزواجهنّ فكّرن أنّهنّ سوف يعشن الحالة نفسها بعد ربع ساعة من الآن. كان استعراضا بطيئا وصامتا مصحوبا بنوع من اللّطافة المتردّدة. كلّ النّساء تبكين باستثناء قلّة منهم، كان المشهد هزليّا تقريبا: عجائز وشابّات، بدينات وضخمات، سمراوات وشقراوات بنفس العيون المحمرة، واحدة أو إثنان منهنّ لفتتا انتباهي، واحدة بالأخص شقراء ممتلئة أنيقة بمعطف فرو ووجه ذابل، لم تكن تبكي، وتمشي بخطى عريضة، ملتفتة الرّأس إلى الجهة الأخرى، تنظر إلى قطارنا بمزاج لطيف وتائه. بدت لي هذه الأخيرة مذهولة أكثر من الأخريات. واحدة أخرى، لها بالضّبط هيئة النّساء العائدات إلى أماكنهنّ إثر

لقاء حميميّ. بدا لي من وراء ابتسامتها الدّاخلية الغامضة، من عينيها المكسورتين، أنّها تتنفّس ذكرياتها مثل ذبيحة. ارتفع صوت ينادي إلى العربات، وصعدنا حافلاتنا. تدافع الجنود الواحد بعد الآخر عند الباب يطلبون الصّعود، وكلّما تحرّر أحدهم من الأيادي الممدودة نحوه، أو ترفع إليه امرأة يسحبها من كتفيها، ويقول بلباقة وهو ينسحب: التّالي انطلق القطار. كان الجنود صامتين مغتمّين. شرع جنديّ أشقر جميل في الزّعيق هائجا. سمعت أحدهم يقول له: لا يجب أن تنفعل أكثر ممّا ينبغي، ما الفائدة من وراء ذلك؟ أجاب الآخر بسخرية سافرة: أووه ! طبعا أمر طبيعيّ. بعد عشر سنوات لن يبقى لهذا تأثير عليَّ. تحدّث جنديّ آخر عن الرّخصة القادمة، فردّ عليه آخر بنبرة سيّئة: آه نعم! لنتحدّث عن الرّخصة القادمة. ولخّص جنديّ بشاربين كما لو أنّه يقنع نفسه: أربعة شهور أخرى. أوقع أحدهم على رأس يهوديّ صغير بنظّارتين كامل عدّته. فشرع يعتذر إليه واليهوديّ الصّغير يقول بلطف وخنوع: أوووه! الآن أو بَعد... البَعد الممكن على كلّ حال، ظلّا يتحدّثان في شتّى الأمور دون أن يكون حديثهما موجّها لأيّ أحد ودون ردود. أعتقد أنّني فهمت من حديثهما أنّهما مرتعبان من هجوم في الرّبيع القادم. وهو ما يعطي لرحيلهم طابعه التراجيديّ. لم تمض ربع ساعة على انطلاق القطار، وخيّم الصّمت على الجميع. كان هناك من يقرؤون، وآخرون ينامون، وآخرون ظلّت عيونهم ثابتة. كنت أقرأ، البيسمارك للوديفيك[363]. أضع أحيانا كتابي وأخرج للتّدخين في الممرّ، لم أكن حزينا ولكن شديد الاضطراب في حالة يمكن أن نسمّيها بالتّدقيق مؤثّرة، تعيشها للحشرات خلال انسلاخها. تمكّنت من حين لآخر من الاهتمام بما أقرأ، وبالتّالي إيصال تأثّري إلى بيسمارك الّذي لم يستطع أن يبكيني.

عند السّاعة الرّابعة والنّصف. توقّف القطار. نزلنا في الثّلج وفهمنا مباشرة ماذا يدور: ما إن وضعنا أقدامنا على الرّصيف أخذ مكبّر صوت يصرخ فينا. لم نعد مسترخصين، بل جنودا، وما عاد من الممكن أن يخاطبوننا بأدب ولياقة كما حدث في إيغ فيلييه، بل هو الآن خطاب التّهديد بأشنع العقوبات: ممنوع منعا باتّا... كلّ جنديّ

363. منشورات بايوت باريس 1929.

يُقدم على... يتعرّض لأقصى أنواع العقوبات. لم أشعر أنّ الأمر يعنيني، بل كنت مستمتعا، صلبا. غمغم أحدهم بجانبي: هذه طريقتهم أن يقولوا لنا صباح الخير. معسكرات. إنّها محطّة وسائل المواصلات العامّة. شربت قنّينة بيرة في جرعة واحدة واخترت كوخي. لماذا يجب الاختيار من بين كلّ هذه الأكواخ المتشابهة؟ آخر ما يتبقّى من الحسّ المدنيّ. دخلت قاعة كبيرة مظلمة بجدران خشبيّة. كان هناك جنود ينامون على المقاعد، أقعى آخرون رؤوسهم وقد تدلّت نحو الأسفل، بينما انهمك آخرون يأكلون. كتبت لفاندا وللكاستور، ثمّ انشغلت بقراءة قال لي هتلر[364]. هبط اللّيل وبدأ الطقس يبرد. كان هناك في الغبش ثلاثة مقاعد انتظمت في شكل مثلّث حول السّخّان. جلست، كنّا ما يقارب العشرين جنديّا، جالسين القرفصاء قبالة بعضنا، العين مثبتة. استعدت العديد من الذّكريات وكنت أعلم أنّ رفاقي يستدعون الذّكريات أيضا. دخل أحدهم: ولكنّ العالم دون نساء هنا، أين هنّ النساء؟ يعلمنا مكبّر الصّوت من حين لآخر بموعد انطلاق القطار التّالي. أعلن لنا انطلاق قطارنا بشكل مسبق وحدث خلط. خرجت عند السّابعة والنّصف من الكوخ: أعلنوا أنّ هناك عرضا سينمائيّا ناطقا. انضممت للطّابور مع الآخرين وحين جاء دوري، انصرفت. لم أكن أرغب أن أستمتع بهذا العالم المهموم والقويّ، لم أكن أرغب أن أكون مفتونا بالمتخيّل. عدت للكوخ. هرولنا عند التّاسعة وعشرين دقيقة نحو قطارنا راكضين وسط الثّلج، في فوضى، نتجاوز الأسلاك الحديديّة ونقفز بين خطوط السّكك الحديديّة، والمساعدون ينبحون من بعيد خلفنا. لم أفهم سبب هذه الفوضى. بالنّسبة إليّ لم يكن لديّ من مطلب سوى اتّباع المسلك المحدّد. هل هو سوء تصرّف الرّؤساء المهتاجين، بطوليّة نفاد الصّبر؟ لقد كان هذا الانطلاق شبيها باندحار. وجدنا أنفسنا أربعة جنود في مقصورة بلا إضاءة ولا تدفئة، البخار تجمّد في الأنابيب. استعنّا بمصابيح الجيب لنضع عُدَّتنا في الشِّباكِ. حاولت أن أنام، غير أنّ البرد كان شديدا، وكنّا غير مرتاحين بسبب رائحة زنخة لأحد المطهّرات. حمحم رفاقي متأوّهين: «الأنذال يريدون قتلنا، ياإلهي أيّ صقيع هذا». في الأخير؛ قلت «ربّما

---

364. من تأليف هرمان راوشنغ.

يمكننا النّزول عند المحطّة القادمة، والذّهاب إلى حدّ رأس القطار، قد يحالفنا الحظّ ونعثر على حافلات بها تدفئة». لكنّهم كانوا يفضّلون التّأوّه. أمّا أنا فنزلت ما إن توقّف القطار، فوجدتهم يتبعونني، ركضنا وسط الثّلج على طول القطار، ضاع جنديّان في الطّريق، لا أعرف ما الّذي ابتلعهما. وجدتني وحدي رفقة جنديّ أشقر ضخم في مقصورة رائعة التّدفئة، ثمّ صعد قنّاصان ونمت مثل ركام. كان المفروض أن نصل عند السّاعة الرّابعة وسبع وثلاثين دقيقة، غير أنّني حين استفقت كانت السّاعة تشير إلى السّادسة، ومازال القطار يسير. أحد القنّاصين وهو فتى شابّ بوجه رائق وملوّن حكى لنا بنبرة صادقة أنّ رئيسه اختصاصيّ في معالجة إشعاع التّمغنط الكهربائيّ. فبإمكانه من موقعه في مكتبه أن يحدّد عبر رقاص إن كانت وحداته الحامل للرّشاش في مواضعها التي حدّدها لها أم لا، يتلفن لمعرفة سير الأمور. كان ذلك الجنديّ القنّاص يتحدّث ببطء وبدقّة متناهية. حين أتمَّ حديثه. أضاف بالنّبرة نفسها: غبيّ. حيثما سافرت وجدت الكراهية نفسها تجاه الضّبّاط، كراهية متقلّبة وعميقة، ولا شيء يجمعها بمناهضة الحرب، بالعكس هي محسوسة جدّا ومُجرّبة، وهي مرفوقة دائما ب لن أقول إنّه ليس هناك طيّبون منهم، غير أنّني لم أر ضابطا واحدا طيّبا، كان القنّاصان يتحدّثان بعيون مفتوحة على وسعها عن الأيّام الأولى لسبتمبر حيث كانت القنابل تنفجر تحت الأقدام. لقد شاهدا ملازما غير حذر يصعد في السّماء ويسقط على الأرض وقد تمزّقت عيناه، شاهدا شاحنة تعلو وتهبط قطعا، عثروا على سائقها، دون أضرار جسيمة، معلّقا إلى شجرة بثيابه الملتهبة. وصلنا إلى ديتفيللر عند السّادسة والنّصف (كانت كتيبتي قد غادرت مورسبرون في اتّجاه بوكسفيللر). معسكرات. غمغم أحدهم بجانبي مدمدما فوافقه الآخرون: كان يسبّ الضّبّاط. لقد عاقب أحد الرّؤساء بعض الجنود بأن جعلهم على وقفة تأهّب قبالة جدار لمدّة ساعتين. تهيّجهم هذه العقوبة بطريقة ترسّخت بها في ذهني بشكل غير مفهوم. أفضّل هذه العقوبة على أن أقضّي أربعة أيّام في الحبس، غير أنّهم يرونها تصيبهم في كرامتهم كرجال: يا إلهي نحن لم نعد صبيانا. جنديّ آخر ضخم، بمزاج رائق قال بصوت ناعس: «صبرا! لن نتركهم يفعلون بنا هذا إلى الأبد، فلن يدوم هذا طويلا. رغم أنّهم متّفقون على

ضرورة الحرب». سمعت من يقول: «لقد كانت الحرب في بدايتها من أجل مثال أعلى، غير أنّها تتحوّل تدريجيّا إلى مسائل منفعيّة، مثل الحرب الأخرى». الشّخص نفسه، يتحدّث بعد قليل عن الإصلاح من أجل القلب: إنّني متوتّر، بسبب القلب، إن صدّقتموني أو لا، حين ألتقي بشخص لم أره منذ خمسة أشهر، أظلّ أبله لعدّة دقائق. عند السّاعة الثّامنة شحنونا في حافلات نقل عند السّاعة الثّامنة وخمسين دقيقة كنت في بوكسيللفر.

عاد هانغ من صومير حيث قضّى رخصته ساخطا على المدنيّين. حدّثني عن شخص اسمه داك قال له وهو يستعدّ للعودة من رخصته: لو لم يكن من أجل زوجتي، كنت طلبت في ظرف يومين العودة، وشخص آخر حدثه قائلا له: يستأهل الباريسيون أن يتمّ قصفهم مرّتين في الأسبوع. لا أشاركه رأيه، لقد بدا لي الباريسيّون خائري العزم وحزينين. أتخيّل أنّها بداية التّحوّل البطيء والكارثيّ للجنديّ، إلى شخص غير مفهوم.

الأحد 18 فيفري

عاد القنّاصان اللّذان يعرفهما بياتر مجدّدا لزيارتنا. إنّهما يشتكيان من المواقف المتغيّرة لرفاقهم منذ شهرين. فلقد آخاذهما على اختبائهما عوض أن يشاركا كمتطوعيْن في مهمّات خطيرة جدّا. قالا لنا «إنّ معنويّات الجنود اليوم متدهورة جدّا. وهو ما استنتجته حيثما حللت منذ مدّة».

ضربة موسى الحلاقة الموجعة للنّسبويين، هي اتّهامهم باللّجوء إلى الله سرّا. مثال ذلك؛ كلّ جهد لفهم حدث تاريخيّ كما هو (ليس كما يظهر عليه من خلال طبقات المعاني التقنيّة أو الثّقافيّة، من خلال أفكار مسبقة هي نفسها تاريخيّة، من خلال مسلّمات فلسفة فرديّة)، تبدو لآرون كما لو أنّهااللّجوء إلى الله. فالحدث في حدّ ذاته، هو الحدث كما يظهر لله. هل أراد أن يقول لي بهذا المعنى إنّ كتابه مقدّمة لفلسفة التّاريخ، الإلحاد الفلسفي، والمنهجية. أعترف بطيبة خاطر أنّ الحجّة قيمة تقنيّة (صحيح أنّه من النّاحية التقنيّة أنّ المؤرّخ هو تأريخيّ) ونفسيّا (صحيح أنّني أغلب

الزّمن أبحث عن الفعل، كما هو مساو نفسانيا عند الباحث للانصراف إلى الله). غير أنّ الضّعف المخفيّ لموسى الحلاقة المثاليّة، أنّها تتضمّن بداخلها مسلّمة هائلة، هي في الحقيقة حلقة فارغة. هذه المسلّمة، هي المثاليّة نفسها. أقول إنّ كلّ بحث عن حدّ-الذّات هو لجوء إلى الله، وهو التّأكيد ببساطة عن أن توجد[365] [باللاتينية في الأصل]، وهو جعل الوجود يغمى عليه في المعرفة، حدّ-الذّات في الوجود-من أجل. لقد خلطنا المسألة بحيلة ذكيّة جدّا. إن تساءلت ما هو الفعل قطعا سوف يجيبونني إنّ فعلا مّا لا يمكن أن يكون إلّا من أجل وجود مطلق، وهكذا تمّت إحالتي مجدّدا على الله. غير أنّني بالضّبط أرفض هذا التّقهقر لحدّ الذّات، إلى من-أجل، وأعتقد أنّني قد بيّنت بالعكس من خلال هذه الدّفاتر أنّ الوجود لا يمكنه أن يظهر إلّا على خلفيّة حدّ-الذّات. الّذي هو تحويله للعدم. لكن يجب الذّهاب إلى البعد وتبيّن أنّ هناك نوعا من حدّ-الذّات ليس من-أجل، لكن من أجل-الغير مثلا. إن افترضت أحد هذين الحضورين المتقابلين ل من أجل-الذّات واللّذين يكوّنان واحدا من أجل-الغير، أكون قد شرحت أنّ هذا الحضور يعطي نفسه على خلفية حدّ-الذّات. غير أنّنا نقع في خطأ مثاليّة أوّلية المعرفة، إن سلّمنا أنّ هذا المن أجل-الغير، لا يوجد إلّا بوصفه تحويرا للوجود لكلّ ال من أجل-الذّات. دونما أدنى شكّ ليس هناك من أجل-الغير، إلّا عندما يكون تحويرا وجوديّا متقابلا ثنائيّا (أو أكثر من اثنين) ل من أجل -الذّات. لكن إن كان كلّ واحد ممّن هم من أجل-الذّات يحقّق ما هو له من أجل-الغير، من خلال تحويره الوجوديّ الذّاتيّ، ما الّذي سوف نقوله عن التّحوير الوجوديّ المتقابل؟ أليست سوى مجموع التّحويرين الفرديّين؟ لكنّ هذا المجموع لا يمكن أن يتمّ إلّا على أساس وحدة مسبقة. ألا توجد أيضا بالنّسبة إلى شخص ثالث؟ وهذا ممكن من حيث الظّاهر ونقع مجدّدا في المثاليّة، وأخيرا في اللّجوء إلى الله، بما أنّ التّحوير الوجوديّ المتقابل لا يوجد قطعا في الذّات إلّا من أجل الوجود المطلق بسبب الذّات، أو أخيرا هل هناك وجود ذاتيّ للتّحوير الوجوديّ المتقابل،

---

365. أن توجد؛ هو أن تكون مُدْرَكا: تلميح لمبدأ " اللامادية"للفيلسوف جورج بركلي (1685-1753) والذي يقول "من المستحيل أن يكون للأشياء التي لا تفكر وجود خارج أذهاننا أو أشياء مفكرة تدركها".

وجود لا يقدّم نفسه من خلال صفات من أجل-الذّات، أو صفات من أجل -الغير.

هاهو بياتر يدخل الآن، يراني، يكلّمني يخترق وجودي ذاته دفعة واحدة، أنا أنغرز في داخلي. ها نحن نتحاور. أتساءل إن لم يكن لهذه المحاورة وجودآخر إلّا بالنّسبة إليّ، كمحاور، وبالنّسبة إليه كمتحاور معه. أو هي توجد فوق ذلك، لا ليس مؤكّدا في شكل مستقلّ عنّي وعنه، لكنّها بشكل للوجود-من أجل - الذّات لكلّ واحد منّا. ليس هذا بالشّيء البسيط لأنّ ال من أجل -الذّات لا يوجد إلّا بوصفه تحويلا للعدم لحد-الذّات. هذا فحيث تلفّتنا، لا نجد سوى حدّ الذات معدما. لكن وبشكل أدقّ يستعيد حدّ -الذّات ما انفلت منه في التّحويل للعدم بإضفاء قيمة فعل يظهر في قلب حدّ -الذّات على ما هو تحويل للعدم. من خلال الافتعال يُستعاد الوعي بحدّ-الذّات من الخلف عبر حدّ-الذّات الّذي يحوّله إلى عدم، هذا ما يجب أن نفهمه حين أقول إنّ حدّ الذّات هو عدمه الذّاتي. ليس بأن يكون هو نفسه تأسيسا للعدم لكن، لكي يُحوّل العدم حدّ-الذّات، يجب أن يخرج من حدّ-الذّات نفسه، يجب أن يكون قد كان. وهذه القشرة الرّقيقة للوجود الّتي من خلالها يغطّي حدّ-للذّات تحويله الذّاتيّ للعدم، هي بالضّبط الافتعال أو حدّ شفافية الوعي. ليس لأنّه لا شيء خلف هذه الشّفافية بل إنّ فعل الوجود-مثل -من أجل-الذّات هو الحدّ الأكبر لما هو شفافيّ. بلغة أخرى هو فعل في ذاته منفلتا من كلّ ما هو تحويل للعدم، ويوجد الآن ما هو من أجل-الذّات بما هو تحويل حدّ- الذّات للعدم. يمكن لردّ الفعل أن يتحمّل هذا الافتعال بتحويل الوجود إلى عدم بفعل الوعي المتعقّل، لكن سيكون بمثابة الوقوع تحت ضربات الافتعال العكسيّ، هكذا لم يتمّ سوى تغيير مكان الافتعال. لا يوجد هذا الفعل لأحد. إن التفت الوعي نحوه لمساءلته، لن تراه، لن ترى سوى الحرّيّة اللّامتناهية محوّلة مؤثّراتها الشّخصيّة إلى عدم. إنّه موجود فقط. ليس لعيون الله: في الذّات[366]. يأخذنا هذا إلى نواحي مسألة الزّمن التي سوف أعمل هذه الأيّام على تأمّلها. إنّها هي نفسها هذه القشرة من الافتعال الّتي تضفي وجودا بحدّ الذات على حواري مع بياتر.

---

366. الجزء الثاني، الفصل الأول " البنى المباشرة من أجل-الذات "والجزء الثالث. الفصل الأول " وجود الغير"من كتاب الوجود والعدم

ليست ميزة العدم في تحويل الوجود إلى عدم لكن بتحويل الذّات إلى عدم في اتّجاه حدّ الذّات. لهذا السّبب يمثّل تعالي الوعي في تجاوز العالم نحو إنّية أريدها كحدّ للذّات. غير أنّ حدّ-الذّات هذا الّذي تعكسه من وراء العالم، يحتفظ بداخله بالميزات الجوهريّة للوعي. إنّه حدّ-للذّات هو لذاته-نفسها، مؤسّسها الشّخصيّ، كما الوعي هو نفسه سببه الشّخصيّ. حدّ-للذّات يغلّف بتجاوز، ويحتفظ بين أجنابه بالافتعال. حدّ-للذّات هو لنفسه من أجل-الذّات. هذا الانعكاس الخلاسيّ لحدّ-الذّات ومن أجل-الذّات، هو الطّريقة الوحيدة الّتي باستطاعة الوعي أن يهبها لنفسه كنهاية لحدّ -الذّات. هذا ما نسمّيه بالضّبط علّة الذّات، حدّ-ذات مّا، يصبح من أجل-الذّات، هو علّة-الذّات. التّعالي هو وجود الوعي باعتباره هو من أجل-وجود-علّة-الذّات.

كنّا نتناول الغداء مع خمسة قنّاصين، إثنان منهما صديقا بياتر وثلاثة آخرون. دائما هذه المرارة الفظّة تجاه الضّبّاط. كلّهم ينتقصون من قيمتهم ويذكرون دون تبجّح، وبنوع القساوة الوقحة الّتي تعجبني، الأماكن الأشدّ قساوة، من فوق رؤوسنا. يقولون إنّهم مستعدّون لقتلهم بكلّ سرور. طبعا لن يجرؤ أحد منهم على القيام بذلك، لكن ما هو صادم، أنّهم لايقولون ذلك بشكل ثائر وقبضاتهم مشدودة، ولكن بنبرة تحاور هادئة وكشيء طبيعيّ. لا يدّعون أنّهم سوف يقتلونهم مباشرة، ولكن يستنتجون موضوعيّا، أنّه إن حدث وقام العقيد دي لينيو بزيارة أحد المراكز المتقدّمة ليلا سيتمّ قتله. بعض من ضبّاطهم شاركوهم النّوم في ظروف صعبة جدّا، غير أنّهم تجاوزوا مرحلة التّعجّب من مثل هكذا سلوكيّات، ويكتفون بقول إنّها مهارة، لا يشعرون نحوهم بالغضب فقط بل بالازدراء. أحدهم ديبينال لأوّل مرة أراه، -رأس صلبة، شاربان أشقران- روى قائلا: يصّاعد القائد وهو يتكلّم، وينتهي به الأمر إلى الغضب وحده وهو يقول لنا: أولئك الّذين سيدخّنون سوف أطلق على كلّ منهم رصاصة في الرّأس. أريد المحافظة على نفسي يرفعون أكتافهم شفقة. يشرع قنّاص آخر وهو أستاذ موسيقى، في وصف قائده فيقول: إنّه معلّم، لا يعرف كيف يقود، لا أؤاخذه على أيّ شيء لكن ماذا جاء يفعل هنا؟ إنّه خائف، دائما خائف. حين يعاقبنا يأخذ في التّباكي: لست حانقا عليكم، لست حاقدا عليكم غير أنّني مضطرّ. خمسة

عشر يوما في الحبس، ستجدون هذا قاسيا، لكن ماذا تريدون. لست وحدي من يتّخذ القرارات هنا. قبل أن نرحل نحو الخطّ اجتمع بنا وقال: «استعدّ. استرح. إلى حدّ الآن نحن مجنّدون فقط، لكن منذ اليوم أصبحنا محاربين، قد أسقط أنا الأوّل. واثق من أنّ تسعين بالمئة منكم...»، اخضررنا لقد اعتقدنا أنّه كان سيقول إنّ تسعين بالمئة سيقضون نحبهم. لكن لا: واثق من أنّ تسعين بالمئة منكم سيذهبون للبحث عن جثّتي في صفوف العدوّ إن سقطت. لن أطلب منك إلّا شيئا واحدا، أن لا تغلقوا عيونكم في الأراضي الألمانيّة. تحيا فرنسا! كان العقيد ديلينيو هائجا ضدّه قال له: «اعتبر نفسك معاقبا معنويّا. بعد ثمانية أيّام حدث شيء مّا، فتكوَّر وهو يقسم: يا إلهي لا أريد أن أعاقَب مرّتين، لقد تمّت معاقبتي معنويّا، يكفي هذا!».

أتخيّل جيّدا أنّ بول الضّابط تائه بين خوفه، ووعيه الاشتراكيّ. بخصوص بول، يبدو أنّه انتحب مرّتين عند رحيلي في الرّخصة. في المساء الّذي رحلت فيه تلقّى رسالة من زوجته تعلمه فيها أنّ ابنهما متعب شيئا مّا. نحيب أوّل. وفي الغد تلقّى برقيّة، فاخضرّ، تحسّس البرقيّة بأصابعه لأكثر من عشرة دقائق دون أن يقرّر فضَّها. تضايق بياتر ونهره قائلا: افتحها، انتهى به الأمر لتمزيقها، ثمّ قام بتهجئة بعض الكلمات غير المهمّة: تمّت تسمية زوجته أستاذة في ثانويّة شاتورو. لقد خشي الأسوأ. انهار وهو ينتحب مثل امرأة، قال بياتر ساخطا.

عودة لقناصيَّ، سألناهم إن كانوا قد تعرّضوا إلى هجوم: لقد اعتقدنا ذلك. إذ، حدث في إحدى المرّات تبادل لإطلاق نار، ارتمينا على أسلحتنا، صاح فينا الضّبّاط ببعض الأوامر ثمّ قالوا لنا بعد ذلك إنّها مواجهة في محور آخر. غير أنّنا عرفنا الحقيقة في يوم الغد من أحد الحرّاس الّذي سمع القائد يقول لمساعده: هؤلاء الدّواهي! لقد خسرنا ألفا وخمسمائة رصاصة لكي يتآلفوا مع المحيط هنا.

لن أقول إنّ ما حكوه لنا حقيقيّ. الحقيقيّ، أنّهم كلّهم يصدّقون ذلك. نفس الانطباع بالأمس مساء عند العشاء مع قنّاصين آخرين. لا يصدّقون أنّ هجوما سوف يحدث في الرّبيع القادم، لكنّهم متضايقون ومنزعجون. يقول لنا أغلبهم: سوف ينهار كلّ شيء من الدّاخل هنا وهناك.

غيّر المساعد من تلك اللّازمة الّتي كان معتادا على تكرارها. يعتقد أنّهم سوف يرسلون حملة عسكريّة إلى فنلندا وسيكون ضمنها، قال: «سأكون ضمن هذه الحملة، وسوف أقصّ شاربي الأب ستالين الصّغير»[367].

ملاحظتي بالأمس في خصوص اللّامُحقق، فيها شيء من الخلط. ما هو لا محقّق ليس شيئا. إنّه وضعيّة. ليس باريس، ولكنّه الوجود-من أجل-باريس، بالمناسبة من أيّ شيء تُطرح مسألة اللامُحقق.

قدم أحد المساعدين ينشد رفقتنا لأنّه كان بائسا، شرع بالحديث لبياتر وذكر له أنّه كان يمتلك بيتا جميلا من الدّاخل في جهة مّا بالألزاس تمّ تهجير السّكّان منها الآن، لقد اقتنيت أثاثا جميلا، وهيّأت غرفة نوم رائعة بآرائك واثنتي عشرة دمية. آه يا صديقي حين عدت إلى بيتي، من يومين. لقد عبثوا به تماما؛ لو وقع بين يديّ جنديّ لشنقته. ودميتي الجميلة، لقد حلّوها في شكل حلقة، وتغوّطوا داخل الحلقة.

فقد هانغ معنويّاته، لقد جعلته رخصته ينهار نفسانيّا. يريد أن يتظاهر بالمرض، قال وهو يحرّك رأسه: لو تواصل الأمر بهذا الشّكل دون ضربة قويّة ستقوم الثّورة وتندلع من العسكر.

هذيان عنيف ومغتم بسبب رسالة لم تكن كما يجب أن تكون. خرجت أتفسّح لتهدئتي، عبرت القرية وبلغت أعلى شارع عريض متعرّج بمنحدر وعر ينزله جنود وبنات وصبيان على زلّاجات صغيرة بسرعة فائقة. غالبا ما يقع تجميع أربع أو خمس

---

367. ظل دالادييه وشامبرلان لعدة أسابيع يقلبون فكرة مشروع إنشاءحملة عسكرية لإنقاذ فنلندا. شجع الرأي العام هذه الفكرة فلقد كان منبهرا بالمقاومة الفنلندية اليائسة ضد الجيوش السوفياتية. لكن إضافة للحلفاء كان هناك نقص في المواد ووسائل النقل، إذ سيجدون أنفسهم في حرب مع الاتحاد السوفياتي. انتظرت فنلندا هذه المساعدة دون جدوى ولن تعرف بنفسها مهزومة إلا في 12مارس.

(35) ألكسندر كويري (1882-1964) فيلسوف، مؤرخ علوم، أحد المحررين مع غاستون باشلار، صوريو و بيوخ في مجلة بحوث فلسفية، اين نشر سارتر " تعالي الذات " الصفحة 405 التدوينة2.

(36) الجوهر هو ما كان ينسب سارتر هذه العبارة لهيغل (انظر بالخصوص الجزء الثاني من الوجود والعدم مفتتح الفصل الثاني " فينيمونولوجيا الأبعاد الزمنية الثلاثة ").

زلّاجات وهو ما يُحدث زلّاجة جماعيّة [بالإنجليزيّ في الأصل وهي رياضة شتويّة من ضمن الألعاب الأولمبيّة الشّتائيّة] ينقلب نصف ركّابها في الطريق وهم يقهقهون. تكدّس الكثير من الجنود على جانبي الطّريق، مثل الجماهير خلال مباريات القفز على الجليد في شامونيكس. حين تمرّ الزّلّاجات يرمون عليها كرات من الثّلج ضاحكين. عدت إلى غرفتي هادئا تماما. ألفت الانتباه هنا إلى هذا الهذيان الكئيب الّذي يعاودني كثيرا ليشكّل علامة طابع.

أشعر بنوع من الحشمة لعرض مسألة الزّمنيّة. لطالما بدا لي الزّمن أمرا مزعجا فلسفيّا، ودونما حذر درست فلسفة اللّحظة (وهو ما آخذني عليه «كويري»[368] ذات مساء من شهر يونيو 1939)، لخطأ في فهم الدّيمومة. لقد أكّدت في الغثيان أنّ الماضي غير موجود، أو بالأحرى، حاولت اختزال الذّاكرة في تخييل حقيقيّ. فرضت في دروسي دور إعادة البناء في الذّكرى، لأنّه يتمّ إنجاز إعادة البناء في الحاضر. يقترن هذا اللّافهم جيّدا عندي بما أعانيه من نقص في التّضامن معي، وهو ما يجعلني أقيّم ماضي الميّت من أعلى حاضري بوقاحة. مصاعب نظريّة الذّاكرة وتأثير هوسرل جعلاني أضفي على الماضي نوعا من الوجود، وهو بالضّبط الوجود في الماضي. وقبلت بارتياح شديد هذه الفكرة الجديدة الّتي كنت متضايقا ومنزعجا لارتمائي فيها، فوريّة وحيدة، في خضمّ الفلسفات المعاصرة وهي كلّها فلسفات الزّمن. حاولت في علم النّفس استخراج الزّمن جدليّا من الحريّة. كانت هذه المحاولة بالنّسبة إليّ بمثابة الجرأة. غير أنّ هذا كلّه لم يبلغ مرتبة النّضج. وها أنا ذا الآن أحدس نظريّة في الزّمن. أشعر بالخجل من عرضه. أشعر أنّي صبيّ صغير.

أرى أيضا وبشكل جيّد، أنّ الزّمن ليس من طبيعة من أجل-الذّات، كما تريد النّظريات المعاصرة تأكيد ذلك. فمن المؤكّد أنّني لست في الزّمن. لكنّني لست زمني الذّاتيّ أيضا، بالشّكل الّذي يفهم به هايدجير ذلك. وإلّا سوف يكون هناك شفافيّة زمنيّة متزامنة مع شفافيّة الوعي؛ سوف يكون الوعي زمنا حين يكون وعيا بالزّمن.

---

368. ألكسندر كويري (1882-1964) فيلسوف، مؤرخ علوم، أحد المحررين مع غاستون باشلار، صوريو وبيوخ في مجلة بحوث فلسفية، حيثُ نشر سارتر "تعالي الذات "الصفحة 405 التدوينة2.

لكن ليس هناك زمن مثل المتعة الّتي لا يمكن أن توجد بالنّسبة إلى الوعي. لست بحاجة إلى أن أجعلني زمنا لأكون زمنيّا. الزّمن هو الحدّ المكثّف للوعي. بل هو كثافة ليس من الممكن الإمساك بها بشفافيّة كاملة. تفترض كلّ أفعالنا فهما ما قبل أنطولوجيّ للزّمن إضافة، إلى أنّه من الممكن موضعة الزّمن، وجعله موضوع نظريّة. غير أنّ الزّمن ليس قدّامنا بوصفه موضوعا للعالم، وليس نحن أنفسنا كما نحن من أجل-الذّات. لا يمكن أن يكون موضوع حدس كما يرغب في ذلك برغسون، ولا يمكن أن يكون وضعيّة أيضا، بمعنى أنّ الوضعيّة لا توجد إلا ليتمّ تجاوزها. والحقيقة أنّ الزّمن لا يبرز لنا إلّا بفضل الماضي أو المستقبل، فهو ليس معطى لنا لنعيشه في جريانه المستمرّ. لذلك فبقدر ما نحن زمن، فنحن شيء مّا على طريقة غير تلك الّتي هي من أجل-الذّات. رغم أنّ هذا الشّيء ما هو إلّا لاشيء؛ لو التفتنا للإمساك به سوف ينسحق في شكل نقطة، فيما ليس موجودا، فيما لم يوجد بعد. يبرز في البدء كلاشيء يفصل الوعي عن دوافعه وعن جوهره. لا يبدو متميّزا في تمشّي تحويل حدّ الذّات إلى العدم، إلى من أجل الذّات. وبالفعل إنّني أنفلت في الزّمن من دوافعي الذّاتيّة، في الزّمن من جوهريّ بما أنّه كان ما هو[369]. رغم أنّ ذلك ليس الشّيء نفسه من النّاحية البديهيّة، بما أنّني عدمي الخاصّ ولست زمني الخاصّ. وإن شئنا ليس هناك أيّ فرق بين التّحويل للعدم وبين الزّمنيّة. إلّا أنّ من أجل-الذّات يتحوّل عدما ويصبح زمنيّا. رغم أنّ التّحويل إلى العدم والزّمنيّة هما معطيان في حركة واحدة، رغم أنّهما وجوديّا متميّزان. الزّمن هو افتعال التّحويل إلى العدم. زمنيّتنا وافتعالنا هما شيء واحد.

سوف أواصل غدا.

رأي مدنيّ. قالت مدام X لأمّي: لا يجب أن يمنحوهم رخصا أصلا، لأنّهم يعودون إلى الجبهة بمعنويّات سيّئة جدّا.

---

369. الجوهر هو ما كان يدفع سارتر لينسب هذه العبارة لهيغل (انظر بالخصوص الجزء الثاني من الوجود والعدم مفتتح الفصل الثاني "فينيمونولوجيا الأبعاد الزمنية الثلاثة ").

19 يناير[370].

لم يعد ميستلر هنا. كان في القسم 22 وتمّت دعوته بُعيْد كيللر لمهامّ سكريتير لدى القيادة العليا للجيش الخامس فانجانبورغ.

أقرأ بشكل غير منظّم (مبتدئا بكلّ الكتب في الوقت نفسه):

لقد كذب بلوتاك لبيارفو[371] / كرسيّ باريس لديفو[372]/ بيسمارك للودفيك/ حرب 70 لشيكيت.[373]

كما شرعت أيضا في القراءة بالألمانيّة[374] [بالألمانية في الأصل] لغوتة وقد عثروا عليه في مكتبة ضيوفه. في الاحتياط مارات لا أعلم لمن، أخذته من غرفة الكاستور، ومستخلصات لسان سيمون حول الوصاية.

أعود للزّمن.

تتميّز هجمة من أجل-الذّات على الوجود باعتباره تحويلا لحدّ-الذّات إلى العدم كما لو أنّها طريقة وجود متعذّر تبسيطها في حدّ- الذّات. من أجل-الذّات، هو الوجود، الّذي في وجوده ليس هو كما هو وما لم يكن موجودا. هل نبحث من خلال عبارات من قبيل حالة وعي لاختزال طريقة وجود من أجل- الذّات: ينفلت من كلّ جهة عن حدّ-الذّات. إنّه حدّ-الذّات وقد تحوّل إلى عدم. ومهما بدا بارزا على خلفيّة حدّ -الذّات، مهما ارتبط تركيبيّا بحدّ-الذّات بالإنكار الّذي يحقّقه منه، فهو ينفلت منه تماما لأنّه يعدمه. فمن أجل-الذّات لا يمكن الإمساك به دون الامتداد الّذي هو إنكاره. إنّه تابع لحدّ-الذّات بفعل أنّه يوجد كمنفلت منه. غير أنّ هذه التبعيّة من وجهة نظر أخرى هي استقلال تامّ، بما أنّ من أجل-الذّات يتكوّن بالنّسبة إلى الامتداد كما لو أنّه ليس امتدادا. فهو يجعل من نفسه لا امتدادا، إذ أنّ لديه لا امتداده

370. خطأ في التاريخ الأصح 19 فيفري.

371. برنار غراسيه1923 كتاب يحلل فيه صاحبه سير أحداث حرب 1914 وطريقة تصرف الجنرالات.

372. هاشيت باريس 1939.

373. حرب 1970-1871 باريس شايلاي1895.

374. شعر وحقيقة.

الذّاتيّ. لقد توسّعنا في عرض كلّ هذا سابقا. لكنّ حدّ-الذّات يعيد الإمساك بمن أجل-الذّات عبر ردّات فعل، بحقيقة أنّه من حدّ-ذات مّا يصبح من أجل-الذّات تحويلا للعدم. في كلمة واحدة؛ إنّ من أجل الذّات الذي هو تحويل لحدّ-الذات إلى عدم ليس سوى هذا التّحويل للعدم، بما أنّه من أجل -الذّات يظهر في وحدة حدّ-الذّات كوجود مّا، ينتمي للكلّ من خلال ظاهرة ارتباط تركيبيّ. خارج من أجل-الذّات، هو أن يوجد، باعتباره إنكارا لحدّ-الذّات، على طريقة حدّ-الذّات. هذا ما نسمّيه الافتعال. غير أنّ هذا الافتعال نفسه، والذي ليس هو سوى انعكاس ضروريّ لحدّ-الذّات على من أجل-الذّات، لا يمكنه أن يمتلك قوّة حدّ-الذّات تحت طائلة طمس من أجل-الذّات. يقوم الافتعال بأداء دوره على سطح من أجل-الذّات كشبح رخو لحدّ-الذّات. في كلمة واحدة: لكي يتمّ تحويل حدّ-الذّات إلى عدم في داخل نفسه ذاتها وفي خارجها. لا يكفي أن يكون لأجل-الذّات مع حدّ-الذّات الرّابط التّركيبيّ للإنكار فقط: يجب أن يتمّ الإمساك به من طرف حدّ-الذّات تحت شكل وحدة تركيبيّة متأتّية هذه المرّة من حدّ-الذّات. تتحقّق هذه الشّروط بما أنّ التّحويل للعدم يتمّ في قلب حدّ-الذّات. ولا يمكن اعتبار ال من أجل-الذّات كمكوّن لوثبة خارج حدّ-الذّات لكن بالعكس داخل حدّ الذات كدودة قارضة. أقارن حدّ-الذّات هذا الّذي يأتي ويصبغ المن أجل-الذّات ويجعل له خارجا بانعكاساته التي يمكن أن نراها على واجهة حين نحدق فيها بطريقة غير مباشرة فتغطي فجأة شفافيته لتختفي برهة حين نغيّر زاوية النّظر للواجهة. يبدو لي أنّه من خلال هذا الوصف يمكن أن نفهم كيف يُتاح لي دائما تأكيد أنّ وعي بپاتر موجود وهو مرتبط بعلاقة تعايش مّا مع الطّاولات، الكؤوس ووعْي، الّذي ليس إطلاقا بنفس طريقة وجود الطّاولات والكؤوس والجدران. يبقى أنّ هذا الانعكاس الزّائل، المتلوّن والمتحرّك لحدّ-الذّات الّذي يؤدّي دوره على سطح المن أجل-الذّات والذي أسمّيه افتعالا، هذا الانعكاس الرّخو تماما، لا يمكن اعتباره على طريقة الوجود المكثّف والمندمج مع الأشياء. حدّ - الذّات لمن أجل-الذّات في واقعه الّذي لا يمكن الإمساك به، وهو ما نسمّيه الحدث. ليس الحدث حادثة أو شيئا مّا يقع في أطر الزّمنيّة. الحدث هو الخصوصيّة الوجوديّة

للوعي بها أنّ حدّ-الذّات أمسك به. على سبيل المثال، فهذه المتعة الّتي أشعر بها لا توجد إلّا إن كنت على وعي بها ووجودها الأعمق هو لعب مرايا، انعكاس-منعكس. لكنّ هذه المتعة كما هي سواء تعلّق بوجودها أو على طريقة من أجل-الذّات، هذا ما نسمّيه حدثنا. ورابط الوجود، الّذي هو في وحدة حدّ- الذّات، يُوحّد من الخارج هذا المن أجل-الذّات بحميميّة حدّ-الذّات. هذا هو التّزامن. ليس التّزامن أكثر من الحدث، إنّه شيء مّا يحدث بداخل زمن متكوّن، مثال ذلك الحدث الممكن لعدّة أشياء تواجدت في نفس الحاضر. بل بالعكس هو خصوصيّة وجوديّة سوف تكون مؤسّسة للزّمن: ضرورة تعايش من أجل-الذّات، باعتباره مصبوغا بحدّ-الذّات، مع كلّيّة حدّ-الذّات الذي هو نفسه إنكاره. حدّ-الذّات لتحويل حدّ-الذّات إلى عدم؛ هذا هو الحدث؛ وحدة حدّ-الذّات متحوّلة إلى عدم مع حدّ-ذات تحويل هذا الحدّ-الذات، هذا هو التّزامن.

في الأثناء لا يمكن لمن أجل-الذّات أن يكون، إلّا في شكل تحويل للعدم. أي أنّ افتعال من أجل-الذّات هو نفسه معدم، أو بالأحرى فإنّ من أجل-الذّات لا يمكنه أن يكون من أجل الذّات إن لم يعط نفسه لنفسه باعتباره منفصلا عن هذا الافتعال من خلال لاشيء. لم يكن الافتعال يوما معطى لمن أجل-الذّات طالما أنّه يشكّل من الخارج ما هو، فهو ليس حاضرا إلّا لكونه ينكر بطريقة خاصّة جدّا كما لو أنّه لم يعد موجودا أبدا. لا يمكن لمن أجل -الذّات أن يوجد إلّا بانفلاته من وجوده الّذي هو عليه وهذا الهروب من العدم قدّام حدّ الذات يكوّن الزّمنيّة. بالفعل يجب أن نتصوّر دائما أنّ حدّ-الذّات الّذي لا يستطيع أن يتشكّل من دون إفلات المن أجل-الذّات منه، ومن أجل -الذّات لا يمكنه الإفلات منه إطلاقا إن لم يكن مأخوذا بحد-ذات الحدث والتّزامن. لن يستطيع المن أجل-الذّات الإفلات من حدّ-الذّات إلّا في حدّ-الذّات. هذا ما نسمّيه حاضرا. وهو ما يعني أنّ الحدث في التّزامن لم يمتلك أبدا قوّة، فهو من أجل -التّلاشي، يتزامن وجوده مع تلاشيه، وإلّا سوف يبتلع حدّ-الذّات المن أجل-الذات بالكامل. وبهذا المعنى؛ فإنّ كل حاضر يتحدد كمنفصل باللّاشيء عن لقد كان، وهذا لقد كان هو أقرب من الحاضر مما نريد. لكن بهذا الفعل فإنّ من

أجل-الذّات الملقى، المطروح كلقد كان، هو من نفس الكتلة التي أمسك بها حدّ-الذّات وابتلعها. الماضي هو حدّ-ذات تحوّل إلى من أجل-ذات. هنا يمكننا فهم معنى الّذي كان. الفرق بين إنكار الامتداد من خلال من أجل-الذّات وإنكار من أجل الذّات من خلال نفسه هو كله معطى من حقيقة أنّ الوعي في الحالة الأولى ليس هو ما ليس هو ما كان. وفي جميع الأحوال لا بدّ من تمييز: الوجود الحاضر لمن أجل-الذّات متميز في راهنه الوجوديّ بما أنّه ليس هو. في قلب المن أجل-الذات كان التحويل للعدم. حالة الماضي مختلفة، إنّه وسيط بين التّحويل للعدم الّذي ينفلت من الامتداد، مثلا، والتّحويل للعدم المتداخل البنى لمن أجل-الذّات. أن نقول من أجل-الذّات الّذي كان، إنّه ليس ما هو على الطّريقة التي ليس هو ما هو ليس هو.

أي أنّه يجعل من نفسه في كلٍّ من أجل-ذاته آخر غير الّذي هو في كلّه. فإنّ من أجل-الذّات الأوّل في هذه الحالة مُحتفظ به، موجود دائما، بل يعطي حتّى معناه لمن أجل-الذّات الحاضر مثل ما هو مُنكر، ما هو مُتجاوز، هذا وليس شيئا آخر إطلاقا. ولا ينفلت المن أجل-الذّات الحاضر تماما من أجل -الذّات الأوّل إلّا باعتباره لاشيء. يبقى فقط أنّ هذا الإنكار هو الوحدة العميقة لمن أجل-الذات، لن يكون بإمكاني الإفلات من الماضي إلّا باعتباري لم أكن. وبالتّنافس معا؛ يتحمّل من أجل-الذّات الأوّل تحويرا جوهريّا، فلا يتحوّل إلى عدم، بل بالعكس: فالوعي وحده يمكن أن يتحوّل إلى عدم وهذا التّحوّل للعدم تبرر بالفعل حاضره. لا يتحوّل إلى عدم لكن استعاده حدّ-الذّات. ليس إطلاقا؛ من أجل أشياء صوفيّة، لكن لأنّه قبل الحدث الصّافي والتّحويل إلى العدم، مثلما هو بعد ليس هناك سوى حدّ-الذّات. للماضي كلّ تفوق القوّة والصّلابة على الوعي، تفوق الكثافة أيضا، الّذي يكسبه إيّاها حدّ-الذّات. في الماضي فقط يمكن للوعي أن يوجد على طريقة حدّ-الذّات والماضي ليس شيئا آخر سوى وجود من أجل-الذّات على طريقة حدّ-الذّات. إلّا أنّ وجود حدّ-الذات بما هو سابق على من أجل-الذّات، ومن أجل-الذّات الحاضر، ليس تعايشا بالضّبط، لأن المن أجل-الذّات الحاضر، ينفي في كلّه الآخر. فطريقة توظيف من أجل-الذّات من خلال المن أجل-الذّات الذي كان ليست هي الحضور، بالمعنى الّذي عرَّفناه به من أجل العالم. إنّه بالضّبط الماضي. وهذا الماضي الفوريّ بما أنّه إنكار لماض أبعد وهكذا دواليك، إنّه من خلال تحوّل كلّ كتلة الماضي إلى

عدم، إنّه كان يتمّ تحديد من أجل-الذات الحاضر في حاضره. لذلك ألا يمكن طرح المسألة لمعرفة لماذا لا تنفلت الحريّة من هذا الماضي أو تعطينا ماض آخر. لأنّنا بالضبط أحرار بالنسبة لهذا الماضي. إن لم تكن حرّيّة بالنّسبة إلى شيء مّا. فهي حريّة لا تعني أيّ شيء.

هكذا سوف يبيّن وصف أوّل أنّ ال من أجل-الذات لا يمكنه أن يقوم بهجمة في العالم دون تعايش في الحاضر مع كليّة حدّ-الذات ودون ارتباط محدّد مع ما كان، بما هو، وليس هو في الوقت نفسه. ماذا عن المستقبل الآن؟ لا يمكن لمن أجل-الذّات أن يُوَظَّف من طرف حدّ-الذّات إلّا من خلال تجاوزه نحو...[375]، بما هو -من أجل -الوجود. يفلت من أجل-الذّات من حدّ-الذات عبر حدّ-الذّات، نحو حدّ-الذات. بما هو سبب الذّات معطى منذ هجمة من أجل-الذّات، داخل حدّ-الذّات، ليس بوصفه شيئا، وليس بوصفه تمثّلا، وليس باعتباره قيمة مموضعة، لكن باعتباره نحو ماذا يفلت من أجل-الذّات من افتعاله. تركيب مستحيل لحدّ-الذّات ومن أجل-الذّات، بكثافة كاملة وحريّة تامّة ف بما هوسبب الذات هو في الآن نفسه نحو ماذا يتمّ الإفلات، ومن أين، من أجل- الذّات يتخلّص من نفسه، وهذا نحو ماذا تتحقّق كتجاوز لحدّ-الذّات متكوّنا في العالم. ال بما هو سبب الذات هو معنى العالم؛ يعلنه العالم ويجعل من نفسه عالما؛ من خلالها يصبح حدّ-الذّات بشريّا ومعدلا منذ هجمة من أجل-الذّات على حدّ-الذّات. بما يعود للأصل. غير أنّ ال بما هو سبب العالم لا تنتمي إلينا بوصفها جسدا مع مساند-الارتماء. هو الوحدة المتعالية لمشروع من خلال ماذا ينفلت ال من أجل-الذّات من ذات - نفسه نحو... غير أنّه لا بدّ أن يظلّ جوهريّا بعيدا عن المتناول. لقد قلت هذا سابقا، تحويل حدّ-الذّات إلى عدم بتحوّله إلى من أجل-الذّات ليس تقهقرا أمام حدّ-الذات، بل هو انهيار، وإبطال. من أجل-الذّات، هو لا امتداد بقدر ما هو لاشيء. غير أنّه ليس حتّى لاشيء، لن نعثر له حتّى على هذه القوّة الّتي هي لا شيء.. هذا اللّا شيء هو إفلات اللّاشيء نحو ال بما هو سبب الذّات، تحويل اللّاشيء إلى عدم في اتّجاه حدّ-الذّات. المستقبل هو العالم بما أنّه بشريّ، إنّه العالم باعتباره بما هو سبب الذّات، ومعناه هو مثل إلى أين يفلت من أجل-الذّات. لا يجب خلط العالم بحدّ-الذات. العالم هو حدّ-الذّات من

375. بما هو سبب الذات.

أجل من أجل -الذّات. ونفس الشّيء فالمستقبل ليس هو حدّ-الذّات. المستقبل هو العالم. من أجل-ذات مّا من كان ومهما كان لا يمتلك طابعا من العالم إلّا في مناسبة تحويل هذا النّقص إلى عدم في حدّ-الذّات الّذي هو نفسه. مهما كان الشيء المعتبر التماسا من من أجل-الذات لينعكس فيها ووراءه باعتباره بما هو سبب الذات. ثمة أريكة تمدّ إلينا ذراعيها، تعكس لنجلس عليها، إذن أن ننعكس على هذه الأريكة باعتبار الموجود الّذي حدّد نفسه بنفسه أن يوجد جالسا على هذه الإيكة والذي يوجد كجالس بامتلاء حدّ-الذّات. يمكن لمن أجل-الذّات أن يعكس كلّ شيء إلى قدّامه، إنّه مازال سوف يكون-أين سيذهب، وماذا سيفعل -من أجل-الذّات.

هكذا تبرز هجمة من أجل-الذّات، على حدّ-الذّات بضربة واحدة الزّمنية في أبعادها الثّلاثة للحاضر، الماضي والمستقبل. ليست الزّمنيّة لا فيمن أجل-الذّات ولا في حدّ-الذّات، هي طريقة يمسك بها حدّ-الذّات بمن أجل-الذّات أو إن شئنا هي وجود حدّ-الذّات فيمن أجل-الذّات.. أي إنّه بالهروب نحو المستقبل فإنّ الافتعال الّذي أمسك به، يصبح من أجل -الذّات الهارب هو أيضا افتعال، وال من أجل-الذّات دون أن يكون زمنيّته الخاصّة هو أيضا زمنية. فهو حدّ-ذات معدم بين حدّ-ذات لم يعد «موجودا» (لا يجب قول إنّ الماضي لم يعد موجودا، لكن، نحن لم نعد ماضيا على طريقة من أجل-الذّات)، حدّ ذات مازال لم يوجد (نفس الملاحظة بالنّسبة إلى المستقبل). وطبيعته أن يكون حاضرا معدما منفلتا دون توقّف نحو نفسه في اتّجاه المستقبل، ممسكا به دون توقّف من طرف حدّ-الذّات.

يبقى فقط تحديد طريقة الوجود الصّحيح للماضي وللمستقبل. في جميع الحالات نستطيع أن نقول إنّ «الزّمنيّة تقوم بهجمة في العالم رفقة من أجل-الذّات. إن كان الوعي كما يقول بول فاليري غيابا، فالزّمنيّة انخراط الغياب كما هو في العالم».[376]

376. تم استعادة هذه النظرية في الوجود والعدم، انظر الجزء الثاني من هذا المؤلف فصل حول الزمنية.

الدفتر الثاني عشر

فيفري 1940

بوكسفيللر

الثّلاثاء 20 فيفري

أعتقد قليلا أنّني كنت قبل رخصتي أصيلا. لأنّني من دون أيّ شكّ كنت وحيدا. وأنا في باريس لم أكن كذلك. أنا لا شيء الآن. يأخذني هذا لتدقيق بعض النّقاط المتعلّقة بالأصالة. قبل كلّ شيء أقول ما يلي: لا يمكن الحصول على الأصالة إلّا بوصفها كلّا: فإمّا أن نكون «أصيلين» أو لا نكون. وهو ما لا يعني على الإطلاق أنّنا نكتسب الأصالة دفعة واحدة. سبق وقلت إنّ الحاضر لا يقدر بأيّ شيء كان على المستقبل، كما الماضي على الحاضر. في الأخلاق كما في الرّواية مثلما يرى ذلك أندريه جيد لا نربح من حيويّة مكتسبة. ولن تحميك أصالة اللّحظة السّابقة أبدا من سقطة في اللّا أصالة، في اللّحظة الّتي تليها. وهل يمكن القول إنّه من اليسير الاحتفاظ «بالأصالة» أكثر من اكتسابها. لكن، بالمناسبة، هل يمكن الحديث عن الاحتفاظ؟، اللّحظة الّتي تأتي جديدة، الوضعيّة جديدة؛ لا بدّ من ابتكار أصالة جديدة. يبقى أن نقول هل إنّ تذكّر الأصالة قد يحمينا شيئا مّا من اللّا أصالة. لكن تذكر الأصيل، في اللّا أصالة هو في حدّ ذاته لا أصيل.

يأخذني هذا أيضا لتدقيق ما قلته بشأن الرّغبة في الأصالة. يمكن أن نشعر برغبة في الأصالة ونحن في اللّا أصالة. عادة؛ ما نعتبر هذه الرّغبة في الأصالة في جميع الأحوال شيئا مّا. أكثر من لاشيء، هكذا نعيد بكلّ لطف وعبر مسالك مُحَرَّفَة الاستمراريّة الّتي كنّا قد تجنّبناها في البداية. وبالتّالي سوف نميّز اللّا أصيلين المرّغين في لاأصالتهم –

ثمّ أولئك الّذين تتعذب في سريرهم القذر رغبة مُعزَّزة-وأخيرا؛ أولئك الّذين يستمتعون بأصالتهم. غير أنّنا من خلال هذا الالتفاف نعود إلى أخلاق الفضائل. يجب أن نقول، واحدة من إثنتين: إمّا أن تعذّبنا الرّغبة في الأصالة في قلب اللّا أصالة- فهذه الرغبة هي نفسها بالتّالي لا أصيلة-، أو أنّ هذه الرّغبة هي الأصالة بكاملها لكن تجهل نفسها، لم تدرك بعد قيمة نفسها. ليس هناك محلّ لوضع ثالث. إنّني أرى جيّدا وعلى سبيل المثال من رغبات في الأصالة عند بيانكا لكنّها مسمومة باللّا أصالة. تريد أن تصبح أصيلة من خلال تأثّرها بنا، من خلال ثقتها فينا، لتلتحق بنا-وبما يخامرها من فكرة استحقاق ذلك أيضا. تتألّم من كونها وضعت قيمة سامية هي غريبة عنها، تريد أن تكون أصيلة كما تريد أن تصبح متزلّجة ناجحة على الجليد وفيلسوفة ذكيّة. يبدو لها أيضا أنّها لو اكتسبت هذه الأصالة، فسوف تستحقّ المزيد من الحياة ومن الرّجال. ومن المؤكّد أنّها قد فهمت بوضوح أنّ الرّجل الأصيل يدفع عنه بشكل أوّليّ كلّ فكرة استحقاق، لكنّها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها لفكرة أنّها مستحقّة كذلك وأكثر في طريقة رفضها للاستحقاق. لا أفهم هنا سوى رغبة مسمومة تماما يعتبرها البعض، على مستويات ردود فعل مسمومة في بعض الأجزاء فقط. ولا أقول أيضا، إنّ الظّروف المساعدة، لهذه الرّغبة بإمكانها أن تكون مناسبة لتحوّل شامل يبحث عن الأصالة. عليه أن يكون مشدودا ومتحوّلا في قلب وعي هو ذاته أصيل.

بالعكس؛ أرى أنّ أصالة مكتسبة عبر اضطراب حرّ يتجلّى قبل كلّ شيء على شكل رغبة في الأصالة. ولا تفعل شيئا آخر سوى أنّها تشرح أنّ القضية مربوحة. وبالفعل؛ فلئن كانت الأصالة كلاً، فلا يكفي امتلاكه حين يتمّ اكتسابه من خلال ظرف مخصوص وملموس، حتّى تمتدّ بنفسها لكلّ الوضعيّات الّتي غرقنا فيها. إنّني أتخيّل، مثلا، مجنّدا كان بورجوازيّا هو لا أصيل بالفعل، وكان يعيش بلا أصالة في عديد الوضعيّات الاجتماعيّة الّتي أُلْقيَ به فيها، عائلة، مهنة، إلخ. أوافق بأنّ صدمة الحرب حوّلته فجأة نحو الأصالة. لكنّ هذه الأصالة إن كانت حقيقيّة تستوجب اقتحام أراض جديدة. فهي تقدّم نفسها في الأوّل على شاكلة رغبة لمر جعة كلّ الوضعيّات

السّابقة على ضوء هذا التّغيير. تعطي نفسها كحيرة ورغبة نقديّة. هذه الطّريقة هنا لامتداد الأصالة لا يجب أن نفهمها إطلاقا على أنّها ربح في الأصالة. فالأصالة هي أصلا هنا. يبقى فقط؛ أن يتمّ دعمها وتمديدها. لن يتمّ استعراض كلّ هذا لو كانت الوضعيّات المعيشة سابقا حاضرة. فكلّ الوضعيّات تراجعت. لم يعد المجنّد ضمن عائلة، لم يعد يمارس مهنته، إلخ. وهو مدعوّ للتّفكير في هذه الوضعيّات، ويتّخذ إجراءات بالنّسبة إلى المستقبل، ليعدّ مخطّطات للاحتفاظ بالأصالة من خلال عبور وضعيّات أخرى. الرّغبة في اكتساب الأصالة ليس بالأساس سوى رغبة لمزيد تعميق النّظر فيها وعدم تضييعها. والمقاومة لا تأتي من رواسب اللاّ أصالة القابعة هنا وهناك، لكنّ الوضعيّات السّابقة تقاوم ببساطة مثل الأشياء. فلقد عاشها إلى حدّ الآن، بطريقة مّا وهو يعيشها قام بتأسيسها. لقد أصبحت هذه الوضعيّات مؤسّسات، فهي تمتلك استمراريّتها الخاصّة خارجا عنه بل وتتطوّر رغما عنه. لا بدّ من إعادة طرح السّؤال حولها. لايمكن أن تظهر الرّغبة في إعادة طرح السّؤال، إن كانت جادّة إلّا على خلفيّة الأصالة. ولن يكفي فقط إعادة طرح السّؤال، بل لا بدّ من التّغيير. لكنّ هذه التّغييرات الثّوريّة الّتي تترجمها مقاومة ضدّ ترابط المؤسّسات، ليست مختلفة بطبعها عن التّغييرات الّتي يريد رجل سياسة تطبيقها على المؤسّسات الاجتماعيّة، وسوف تعترضها المقاومات نفسها. وبالتّالي لن يكفي فقط أن يكون المرء أصيلا بل يجب تكييف حياته على الأصالة. من هنا يتجلّى هذا القلق وهذه الخشية وهذه الرّغبة العميقة في عمق كلّ أصالة، الّتي هي إدراكات قدّام الحياة. على أنّه؛ لا يجب فهم أنّ الأصالة لا يتمّ مشاركتها. تنبع هذه الخشية من أنّ هذه الوضعيّات المُفكَّر فيها، هي هنا عند الأفق، وليست في المتناول، خشية أن نعثر عليها دون أن نكون غارقين فيها بشكل آنيّ. ومهما يكن؛ فهناك دائما العديد من الوضعيّات المتباعدة عند الأفق وبسببها ننشغل في الأصالة. لكن لو قبلنا بأنّ إحدى هذه الوضعيّات تتشكّل مجدّدا من حولي بشكل ارتجاليّ وأنا أصيل، سوف أبدو أصيلا دون أن أسأل نفسي في هذه الوضعيّة المنبثقة من جديد، دون حاجة منّي لتهيئة معبر، لأنّني ببساطة أصيل. لو افترضنا مثلا أنّ زوجة المجنّد جاءت لزيارته، في محوره، فسيتحوّل شخصا آخر، دون

أن يجهد نفسه، ودون تخطيط أو تفكّر، دون تهيئة مدروسة، لأنّه ببساطة شديدة شخص آخر. لكن ألا يمكن أن نتساءل، ألن تقدّم له بسرعة صورة لا أصالته الأولى. نعم، وسوف تكون اختبارا ليس لأصالته فقط بل لعزيمته الّتي يتشبّث بها. قد يستسلم غير أنّه لن يستطيع العودة لأخطائه السّابقة تجاه هذه المرأة دون أن يتدحرج دفعة واحدة في هاوية اللّا أصالة ورأسه إلى الأمام، لكن ليس إلى الدّرجة الّتي يصاب بها وجوده-في-الحرب. يجب التّفكير بالفعل أنّ وجودا ينتظر منّا اللّا أصالة، وجودا نحبّه ربما بعمق، لكن في اللّا أصيل، يثلجنا باللّا أصالة حتّى القلب، من خلال استعادتنا لحبّنا القديم[377]. إنّها لا أصالة محتملة ومن السّهل الدّفاع عن النّفس ضدّها لكن بألم موجع.

إن لم تطل الحرب، أخشى أن أجد نفسي، حال عودتي من رخصتي، على ما كنت عليه في السّنة السّابقة، في الموعد الّذي دعيت له قبل الحرب.

يتّفق بيارفو مع أندريه جيد، إذ يكتب في لقد كذب «بلوتارك»: أُعْلم أنّ أيّ شخص متوسّط الذّكاء، من دون أن يملك موهبة خاصّة من الطّبيعة، من خلال التّمرين الوحيد لإمكانيّاته الثقافيّة، يدخل على مستوى واحد في أيّ مشكل عسكريّ. تماما مثل شخص مختصّ، وربّما أفضل، سوف يرى الصّحيح والخطأ في وضعية فنيّة أو استراتيجيّة، إذا لم يتمّ إثارة المسائل الفنيّة المخصوصة، الّتي من شأنها تضليل الذّهن بخصوص بعض التّفاصيل، وإخفاء الخطوط الكبرى. الصفحة 66[378].

ويبين جيدا كيف أنّ القيادة العليا لحرب 1914 تدافع عن نفسها ضدّ الحقّ

---

377. يبدو سارتر هنا متذبذبا بين مثال المجند فلان، في مواجهة وضعية مدنية ما غير مرضية وهو نفسه في مواجهة مشكل دقيق، لكن غير معبر عنه بوضوح. قد تتضمن هذه الفقرة أعترافا مقنعا. فالوضعية العاطفية المطروحة هنا تتقاطع مع وضعية ماتيو بطل روايته تجاه مارسيل التي ينتهي بالاعتراف لها إنه لا يحبها.

378. بخصوص ما يفكر فيه أندريه جيد حول الموضوع، انظر يومياته بتاريخ25 أكتوبر1916، ذكرها سارتر هنا (الدفتر1ص39).

الدّيكارتيّ والمخرب للاختبار الحرّ باللّجوء إلى الحدس البرجسونيّ. وتبحث عن تأييدها من خلال عصمة كاهن، كي لا تلجأ هذه القيادة للاستعانة بخبرات فنّي. ومهما يكن الأمر فعلى القيادة العليا أن تصبح مجْمعا لمتدرّبين. لقد أفقدتها حرب 1914 عصمتها، ولفقد جنود اليوم ثقتهم الدّينيّة في رؤسائهم. للحقيقة لم يعد لهم أيّ نوع من الثّقة. لقد أضحوا مقتنعين أنّ ربح الحرب يتمّ من أجل أسباب إقتصاديّة وسياسيّة، أمّا بخصوص الانتصارات العسكريّة فإنّهم يعتقدون أنّ القيادات العسكريّة العليا هي الّتي تقرّر ذلك. لم أسمع أحدا هنا يتحدّث عن غاملين(379). على الإطلاق، لم يذكره أحد بسوء، فلا وجود له هنا. ليس ارتيابا من الرّؤساء. إذ يُنظر إليهم كموظّفين منتخبين. فلا بدّ أن يكون هناك رؤساء، سواء هؤلاء الموجودون الآن أو غيرهم... كبار مفكّري اليوم لا يشكّون في الكهنوت العسكريّ حين يكتبون أنّه في الحرب الحديثة لا يمكن الانتصار فيها إلّا باعتماد تنظيم قائم على الاستراتيجيّة بدقّة. ذلك أنّ شخصا متوسّط الذّكاء، متأمّلا، محافظا، ثانويّا جدّا بالنّسبة إلى المرؤوسين من الفصيلة نفسها، بإمكانه دائما أن ينظّم. كعادة التّنظيم العسكريّ الدّقيق المفضوح، الّذي من الممكن استخلاص كلّ شيء منه.

وما هو مدعاة للإعجاب أنّ أحد المناصرين غير المعروفين لهذا المذهب (والأكيد أنّه ضابط سام) تجرَّأ وكتب في روفي دي باري بتاريخ 15فيفري1920 ما يلي: إنّ تطوّرات التّسلّح تشجّع في حدّ ذاتها على الهجوم لحساب الخطّة الدّفاعيّة. ³⁸⁰..

هذه الفقرة الرّائعة صفحة119. في معركة لامارن يحارب الجنرالات الألمان حتّى وهم متراجعون: وبالفعل؛ فإنّ تعاقد لعبة المحارب يفترض أنّ أيّ جيش مهدّد في خاصرتيه يعتبر نفسه في وضعيّة نقصان. عليه أن يخضع دونما تأخير لقواعد اللّعبة، وهو ما قد يضمن انتصارنا بالكامل وخلاص جيش العدوّ. سنرى تبعا لذلك إلغاء لكلّ التّعاقدات وتستمرّ المواجهة لسنوات طويلة دون اهتمام بأيّ قاعدة. «المبدأ النّحس لتآكل القوى سوف ينتج عن فكرة المناورات، يرسم أكبر عمليّة نكوص

379. لنذكر إن الجنرال غاملين (1872-1958)، كان وقتها القائد العام لقوات التحالف بفرنسا.

380. ذكرها جان بييرفو.

غريبة في الفنّ العسكريّ لم تحدث من قبل»[381].

أي نعم مات الفنّ العسكريّ والحرب في طريقها إلى الموت. إنّها حرب أكثر استحالة من حرب 1914. لقد أحسّ هتلر بهذا ولم ير فيها سوى موتا لشكل من أشكال الحرب، بما أنّ الحرب في نظره الشّكل الخالد للعلاقات البشريّة. وبسرعة التفت ذهنه المبتكر العصاميّ نحو الابتكار: ابتكار شكل جديد من الحرب. أعترف أنّ ما قاله عن حرب ه بروخنينغ لم يصدمني كثيرا. ليست سوى صبيانيّات ووسائل مبتذلة. لقد كانت حرب البروباغندا شديدة بين سنوات 1914-1918، كما كان التّجسّس شديدا. أما بخصوص مهاجمة العدوّ من الدّاخل فلقد فكّرت القيادة العليا الألمانيّة في ذلك حين أدخلت لينين إلى روسيا.

إضافة إلى ذلك فهو يشير إلى أنّ الهجوم المفرط كان متعمدا لأسباب سياسيّة داخليّة. كتب مؤلف مقالة 15فيفري1920 يقول: ألا يتوجّب تجنّب انكسار على المستوى الشّعبيّ، نقصا في الثّقة العامّة من خلال موقف متحفّظ، متردّد، معتمد في البداية من الحملة الّتي نشعر أنّها مصيريّة؟، لهذا، كنت قذ قرأت عند ديفو وشيكيت أنّ اعتبارات مشابهة منعت جيش ماك ماهون سنة 1970 من الالتفاف على باريس حيث كان بإمكانها انتظار صدمة العدوّ هانئة. العودة على ميتز كانت استراتيجيّة مجنونة غير أنّ البلاد لن تحتمل التفافا وانتظارا لا نهاية له عند أسوار باريس. نفس الهمّ، يتكرّر بعد نصف قرن ويُحدث كوارث في كلتا الحالتين، بما يتيح الفرصة لقياس درجة تغيُّر الذّهن البشريّ خلال هذه السّنوات الأخيرة. والمؤكد؛ أنّ أغلب النّاس تعتقد أنّه من الممكن البقاء في حالة دفاعيّة أفضل من الهجوم، وهذه الفكرة العبثيّة قليلا مُزينة في أشدّ النّاس سذاجة لوجود خطّين؛ ماجينو وسيغمنفريد. غير أنّ ذلك لا يعني أنّ الحكمة القديمة المدنيّة للعسكريين- الّتي تدفع بهم في اتّجاه جنون عسكريّ-تعلمهم أنّهم يضعون الأمّة الّتي تركوها للحرب في مواجهة أخطار جمّة من خلال الانتظار والدّفاعيّة دونها تحقيق أيّ انتصار. على الدّم أن يسيل، لوضع ما لا

381. نفس المصر السابق.

يمكن ترميمه خلف الجنود، لقطع الطّريق على العدوّ في أقرب الآجال. من الضّروريّ دفع الجنود رغما عنهم، باستثمار حماسهم الأول، في خضمّ نشوتهم بالانتصار أو شراكتهم في الهزيمة. نعلم الآن جيّدا أنّ ضربات اليد المكلفة، تلك الّتي لاطائل من ورائها من خندق إلى آخر من الثّالثة إلى السّادسة لشدّ ما كانت تثير حنق الجنود، إنّما الهدف منها المحافظة على معنويّاتهم المرتفعة، أي الشّراسة. لقد أوضح «آلن» بشكل جيّد أنّ العدوّ ضروريّ كي تشتغل الآلة الحربيّة بشكل جيّد. فهو هدف الهرب إلى الأمام. الضّغط الّذي يمارسه، من خلال ما يمارسه الخلف من تعديل للضّغط على الجنود، يحدّد فيه بالضّبط حصر الذّهنيّة العسكريّة. سيظلّ الجنديّ يحلم بترتيب ما، طالما لم يسل الدّم. ولن يأخذ الخلف الأمور بجدّيّة مادام ليس هناك دم سائل.

منذ ستة أشهر وجيشنا في حالة استنفار هنا. لقد تمّ الإبقاء على النّاس بعيدا عن ذويهم، عن مهنهم، خاضعين للانضباط العسكريّ. تتعامل السّلطات بديكتاتوريّة مع الإعلام، تراقب الآراء، وتُضيّق على طريقة التّفكير. أصبح لحياتنا كلّها المظاهر الخارجيّة للحرب. غير أنّ الآلة الحربيّة تشتغل بالفارغ، فالعدوّ لا مرئيّ غير قابل للإمساك به والجنود ينتظرون على أهبة. كلّ الجند ينتظرون، هذا هو الموقف المتردّد والمتحفّظ، الّذي أرادت القيادة العليا لحرب 1914 أن تتجنّبه كما تتجنّب الوباء. وهذا الموقف في حدّ ذاته ليس دفاعيّا، فباعتماد سياسة الدّفاعيّة سوف يهاجم العدوّ أو يفكّر في ذلك. غير أنّ الألمان ينعمون بالرّاحة منذ ستّة أشهر: يفكّرون في الاستثمار الأفضل للوضعيّة، لقد رفعوا في كلّ مكان لافتات تعبّر عن رغبتهم في السّلم. وفيما تبقّى لم يعلنوا الحرب ضدّنا، بل بالعكس أعلنوا السّلم في الوقت الّذي اقتحموا فيه بولونيا، ونحن هم المهاجمون. لقد أرسلنا لهم إنذارا، ولأنّنا لم نتلقّ في الأخير ردّا، دخلنا في حرب. ما الّذي سوف نقوله عن حرب لا يهاجم فيها المعتدي؟ الأسوأ؛ إنّ بعض الكيلومترات المربّعة الّتي احتللناها في لاصار استعجلنا في إعادتها ما إن كشَّر العدوّ عن أنيابه –وبالضّبط، ما أن انتهى من غزو بولونيا. انتظار، تحفّظ، تردّد، تقهقر، لقد قبلت القيادة العليا بكل شيء عمدا. ما كان الأمر يستوجب عشر ما

حدث لاستعجال ثورة 1870، لتهييج الاندفاع الوطنيّ والاجتماعيّ في سنة 1914. للحقيقة؛ هو انتظار ليس انتظارا لشيء مّا، بما أنّ الألمان لن يهاجموا، انتظار لم يتخلّف عن إحداث تأثيره: ما عاد الخلف يهتمّ لأمرنا، نحن أنفسنا ما عدنا نفكّر في الألمان بنوايا هجوميّة. تتعلق آمال الكثيرين منّا بحدوث ترتيب. حدّثني بالأمس رقيب، وبريق أمل أبله يشعّ من عينيه قائلا: من جهتي أرى أنّه سوف يتمّ تسوية كلّ شيء، وعلى أنقلترا أن تعدّل في موقفها. يعاني أغلبهم من حساسيّة زائدة تجاه البروباغندا الألمانيّة. يضجرون، فتنهار معنويّاتهم. ورغم ذلك تصوّروا حجم ذهول جنود 1914 لو وجدوا أنفسهم بعد رحيلهم الضّاجّ غارقين في انتظار لا نهائيّ بلا أيّ انتصار. نحن نقبل كلّ هذا، ولا أحد يحتجّ. بالعكس نحن لن نحتجّ بسبب هذا. فأغلبنا يعتقد في خنوع أنّنا سوف نقضي ثلاث أو أربع سنوات بهذا الشّكل، وحين أقول لهم لأختبرهم: أليس هذا أفضل من مجزرة يردّون كلّهم: أوه! طبعا، لاشيء أفضل من هذا يبيّن أنّ العقليّة الحربيّة في فرنسا في طريقها للضّياع. لا يجب أن نستخلص من كلّ هذا كما يرى ذلك بعض الأغبياء أنّنا ننتكس. لقد عانى الجنود ممّا هو أقسى من هذا، منذ أوّل يوم وصلوا فيه إلى هنا، وتحمّلوا كلّ شيء دون أن يشتكوا، دون أن يعرفوا أنّ من حقّهم أن يشتكوا. فلم يكن يسندهم أيّ مثال وطنيّ أو إيديولوجيّ. لا يحبّون الهتلريّة غير أنّهم غير مولعين بالدّيمقراطيّة، ولا يعنيهم إطلاقا أمر بولونيا. وفوق كلّ هذا؛ كان لديهم انطباع غامض أنّه وقع استغباؤهم. رغم أنّهم قد تكبّدوا كلّهم جميع المشاقّ في كرامة ودون صخب. لا لشيء ولكن لأنّ حقيقة الأمر هي كذلك. نفد صبرهم للانتصار. فقط، تسكنهم رغبة عميقة أن ينتهي كلّ هذا. في هذه الوضعيّة الجديدة، في هذه الحرب غير الموجودة، الّتي يمكن أن تباغتهم في تفكيرهم. أصبحوا مندمجين بعمق مع وجودهم. إنّها بالفعل حربهم. حرب الصّبر خالية من كلّ فنّ عسكريّ، خالية من كلّ مقدّس، بلا اقتتال (على الأقلّ إلى حدّ الآن)، أو أنّ لديهم انطباعا بأنّهم ليسوا العنصر الرّئيسيّ، وأنّهم مجرّد تكملة، محرومون من القيمة المجيدة للمحارب.

بخصوص المقطع المذكور أعلاه لبيرفو (بلوتارك صفحة 119) أعتقد أنّه هو من

أوحى لرومان عدّة ملاحظات كنت قد سجّلتها في دفتري تضع اللّعب التعاقديّ للحرب، زمن الفنّ العسكريّ، في مواجهة الحرب الشّاملة كما يتمّ تصوّرها باعتبارها جهدا بلا تعاقدات -دون أيّ تعاقد- خالية من أيّ فنّ.

ليس هناك سعادة دون ثمن، وليس هناك حكاية لا تنتهي بشكل سيّئ. لا أكتب هذا تحت تأثير شيء مّا، لكن أكتبه ببساطة وبشكل جافّ، فلطالما شعرت بذلك وكان لابدّ أن أكتبه هنا. وهو ما لا يعني أنّ هذا قد منعني من أن ألقى في حكايات، ولكنّني كنت على قناعة دائمة أنّ هذه الحكايات سوف تكون نهاياتها قذرة جدّا، ولم أظفر بأيّ سعادة دون أن أفكّر بسرعة، ما الّذي قد يحدث بعدها[382].

كتب بيرفو صفحة200: ليس هناك في الحقيقة، فنّ عسكريّ، دون تعاقدات يجب أن تكون مقبولة من الطّرفين المتحاربين. لكن ما أن تتوقّف الحرب عن كونها لعبا محترفا، أي ما أن تصبح وطنيّة، لن يكون هناك احترام للتّعاقدات، ويختفي الفنّ العسكريّ... مع الجبهة المستمرّة، تنهار كلّ صروح التّجارب القديمة، ولم يعد هناك سوى حشو كلام بلا فائدة خال من أيّ موضوع. ما الّذي سوف تجود به أيّ مناورة الآن؟ لم يعد هناك أيّ أجنحة. ما الّذي سوف تنفعه معرفة خطط العدوّ؟ لم يعد هناك أيّ خطّة. ما الّذي تهدف إليه الأعمال الشّاقّة حول المعارك عن قرب، القواعد الّتي تضبط حركة الطّليعة واستعمالها، والمؤخّرة والخشونة؟ قطع من الجيش مصفّفة في مواجهة بعضها على طول مئات الكيلومترات، يطلقون النّار على بعضهم بشكل عشوائيّ، هكذا يُختزل الواقع الحربيّ... ليس ثمّة شكّ أنّ الحرب الحديثة لم تجد الشّكل الّذي يناسبها ويجعلها أقلّ قتلا وأقصر وقتا... مازلنا في بداية فنّ عسكريّ

---

382. كتب سارتر في ذلك اليوم إنه "فقد شيئا ما البهجة للحياة". كانت أكاذيبه تلاحقه: فهو متحير بخصوص فاندا، والتي قد تكون علمت إنه قد أخفى عنها جزءا من أيام رخصته، إضافة على ذلك هو يفكر في كتابة رسالة يقطع من خلالها علاقته ببيانكا. لكن هل كان راض على نفسه؟ ورغم إنه مأخوذ "بشغفه" بفاندا، يخامره شك إن أحساسه نحو فاندا إنما هو موجه ضد أولغا – التي كان مغرما بها بصدق سنة1936 غير إنها أبعدته عنها-ويغذيه التشابه بين الأختين (وهو ما سوف يعترف به في جميع الأحوال بعد سنوات). تكتب سيمون بوفوار وهي تتحدث عن بيانكا قائلة: "إنها الشخص الوحيد الذي أسأنا إليه بالفعل ولكننا فعلنا ذلك " (رسالة إلى سارتر بتاريخ 13 ديسمبر 1945).

جديد، بداية أخرى متجدّدة. سوف تبدو الحرب القادمة في عيون المستقبل مثل مخطّط عديم الشّكل، التّجربة الأولى غير المتقنة لحرب صناعيّة فرضتها مشاريع العلوم والصناعة على الأمم.

لا شكّ في ذلك؛ لكن هناك تناقض في هذه الأسطر. يعلّمنا بيرفو أنّ الفنّ العسكريّ مثله مثل أيّ فنّ يقوم على تعاقدات. لكنّ حربا وطنيّة تتجنّب من حيث المبدأ أيّ تعاقد. وهو يستخلص في النّهاية ما هو أكثر من ذلك، دونما انبعاث جديد ممكن للفنّ العسكريّ، بل مجرّد إمكانيّة تغيّره فقط. كان عليه أن يقول: إنّ زمن الحروب الوطنيّة جعل من الفنّ العسكريّ شيئا مستحيلا.

وماذا عنّا نحن، في هذه الحرب هنا؟ ها نحن نبدأ مع جبهة مستمرّة مثل 1915 بالضّبط. وهي ببساطة مرتّبة الآن أكثر من قبل، مهيّأة للسّكن أفضل من قبل. فقط؛ عرفنا من الجهتين أنّه من المستحيل التّحارب على الجبهة بما أنّه ليس هناك أجنحة لتجاوزها ولا ثغور للنّفاذ من خلالها. هكذا نحن لا نفعل أيّ شيء على الإطلاق.

حارسان وجنديّا مشاة لا يعرفون بعضهم، يتناولون الغذاء بجانب بياتر. بدؤوا بالحديث في سخرية لاذعة من الفرقة 35 الّتي عوضتنا في ويسمبورغ: هؤلاء البوردوليون [نسبة إلى بوردو المدينة الفرنسيّة] الأمجاد، لقد مسكنا المحور لمدّة شهرين، أمّا هم فكلّ ما استطاعوا فعله أنّهم خسروا كيلومترين (؟) حالما وصلوا. كبرياء غريبة الجسم والجهة. وهو ما جعل الحديث ينقسم بين طرفين إذ قال الحارسان لجنديّ المشاة: وهل نحن سوف نقوم بالإضافة!، ردّ الجنديّان: بل نحن الّذين هم في خطر الآن!، وما كان ينقص سوى أن يتعاركا بالأيادي غير أنّ بياتر تدخّل فجأة وقال: أنتم بالفعل مجانين، نحن كلّنا في خطر!، عندها هدأ الجميع ومنح بياتر قدح نبيذ.

تمّ نقل زوجة كلين الممرّضة بمستشفى سترازبورغ بضع كيلومترات إلى الخلف بسبب نوبة التهاب الزّائدة الدّوديّة، غير أنّه لا يوجد سوى جرّاح واحد في هذا المستشفى المختلط، حيث تتمّ معالجة المدنيّين والعسكريّين. وحالة زوجة كلين حسّاسة جدّا. هو بروتستانيّ وعاجز، إضافة إلى أنّه غير مجنّد، رغم أنّه شابّ تمّت

مصادرته وهوما جعله حانقا، ساخطا: لو كان نقيبا لحصل على منحة. ينجز عمليّات جراحيّة لفائدة العسكر بوصفه طبيبا مدنيّا وعليه أن يطلب عند كلّ مرّة إذنا من القيادة العسكريّة. فحص زوجة كلين وقرّر إجراء جراحة فورا. لكنّ الإذن يتطلّب الانتظار ثمان وأربعين ساعة، وماتت زوجة كلين على طاولة العمليّة.

لا يمكن للماضي أن يوجد إلّا بوصفه ماض للوجود -لذاته. ليس هناك سوى الوجود-لذاته، لديه ماض وطريقة وجود، هذا الماضي متميّز جدّا. وهو دونما أدنى شكّ وجود-في-ذاته؛ الوجود-في-ذاته هنا قد استعاد كليا الوجود-لذاته إلى درجة إلغائه، لكن رغم كلّ شيء لقد كان الوجود-لذاته هاربا من الوجود-في الذّات، نحو العالم ونحو المستقبل. وبالتّالي له ميزتان أن يكون من الوجود-في ذاته ثابتا، متجمّدا، الوجود-في-ذاته تحوّل إلى شيء، أي حدث مفتت وكان-له-مستقبل، سواء تحقّق هذا المستقبل أو لم يتحقّق. يصبح وجود الماضي وفق هذا الشّكل الواقعيّ، نصف – مموضع. وسوف نحمل كلّ ماضينا خلفنا كما لو لم نكن أبدا. لو نقوم بموضعة هذا الماضي سوف يصبح تخييليّا [383].

الأربعاء 21فيفري

أن تشبه هذه الحرب حرب 1914 فذلك لا يظهر في الأوّل. بييرفو صفحة204: استنزاف ألمانيا! هذا ما يعوّل عليه الجميع! وفي تلك اللّحظة يتمّ ابتكار تلك الصّيغة الوقت يخدم لصالحنا. تتفوّق الأمم من خلال سياسة التّحالف... وهذا بديهيّ إلى درجة أنّ الانتصار أصبح بديهيّا. وحسابات الخسائر الّتي أعدّها المكتب الثّاني تشير إلى أنّهم يحاولون إعطاء قاعدة صلب لهذه العقيدة، على حساب بعض الأخطاء. استنزاف العدوّ، هذا هو المنفذ الوحيد من هذه الحرب اللّامتنهية الّذي تحدس به القيادة العليا... لكن ها هو تصوّر مدمّر للفنّ العسكريّ، ينكره نهائيّا.

لكن ما هو أملنا بالنّسبة إلى 1940؟ هو نفسه بالضّبط: نأمل في استنزاف العدوّ،

383. انظر الوجود والعدم الجزء الثاني الفصل الثاني، "الزمنية".

لقد قرأت مقالة «لبيياركوت»[384] في الأوفر لعدد اليوم يكتب فيه: ترتبط فرنسا وانقلترا بأمريكا عبر البحر، ولذلك وضعهما بالنّسة إلى حرب الاستنزاف أفضل من ألمانيا المرتبطة بالاتّحاد السّوفياتيّ عن طريق البلطيق وشبكة سكك حديديّة سيّئة... صرت مقتنعا أنّنا سوف نربح هذه الحرب على المدى الطّويل... تهيئة حرب استنزاف مطوّلة، هي الوسيلة الوحيدة لجعل حرب الاستنزاف هذه أقصر ما يمكن.

العبارة نفسها مأخوذة من الحرب الأخرى، وكذلك الموضوع. يبقى أنّ الاستنزاف لم يعد استنزافا في الرّجال والعتاد، بل استنزافا في العتاد فقط إلى حدّ الآن. وهم في الوقت نفسه؛ منشغلون أكثر (وهذا هو المعنى من مقالة بييار كوت) بتنظيم مقاومة الاستنزاف الدّاخليّ للبلدان المتحاربة: نرى جيّدا كم هو ضروريّ أن يكون لنا سياسة اقتصاديّة موجّهة نحو التّصدير، تعتمد على قول: كلّ شيء -قروض وخبرات- من أجل صناعة حربيّة، لا شيء فيما يخصّ صناعة التّصدير إنّه جنون. يبقى المبدأ هو نفسه. ولا يمكن أن يكون إلّا كذلك، بما أنّه في الحرب الوطنيّة، ليس هناك قواعد لعب. بإمكان كلّ بلد أن يقاوم إلى حدّ الإعياء. ونحن إنّما نبحث عن إدارة مثل هذا الإعياء البطيء.

تؤكّد لي قراءة الكتاب الرّائع لبيير فو فكرة تشكّلت عندي في أكتوبر: يبين أنّ الفنّ العسكريّ فقد تعقاداته في حرب 1914. فكّرت، واضعا بعين الاعتبار بدايات هذه الحرب على طريقة الرّياضيّات اللّا إقليدية الّتي نعرف فيها أوّلا الطّريقة التّعسّفيّة الصّافية لكلّ مُسَلَّمَة. لقد أوضحت حرب 1914 من خلال العبثيّة وجود عدد من المسلّمات على قاعدة الفنّ العسكريّ، مُسلَّمات يمكن تعويضها دون مساوئ بمسلّمات، بشرط أن يعتمد العدوّ المسلّمات نفسها في الوقت نفسه. لقد أُنجزت حرب 1915-1918 دون مُسلّمات، لكن أليس من الممكن أن تفكّر في نفسها كحرب. يقول بيير فو سعيدا: لقد ابتكرت القيادة من هذه التّجريدات الكثير خلال الحرب رغبة في تثقيف المادّة المحافظة الّتي عليه أن يتصرّف فيها، غير أنّه اتّضح أنّ

384. بيياركوت رجل سياسة يساري، وزير الجو سابقا. وعنوان المقالة المذكورة"حرب وتجارة خارجية

كلّ واحدة من هذه التّجريدات مقدودة من أسراب. تعود القيادة بعد خمس وعشرين سنة للتّفكير في هذاالحرب، تفهّم تعسّفيّة المسلّمات تُروِّض المفاهيم، إمّا من خلال بنائها دون مسلّمات، أو باستعمال المسلّمات الأكثر تلاؤما، دون أن تنخدع بقيمتها التّعسّفيّة. من هنا هذه العبارة الّتي أستعملها إلى الآن حرب حكيمة، حرب حكيمة باستطاعتها حين تلتحم الأسلحة ببعضها، إن حدث ذلك تتحلّل في مواجهة بربريّة للكتل.

يتراءى لي أنّني دفنت باريس منذ آخر مرّة رأيتها فيها. أقرب الذّكريات لي وأرقّها تلك الّتي تأتيني من باريس هذه المحتضرة. أمّا باريس الأخرى، باريس حياتي الماضية، أعتقد أنّ آخر ارتباطاتي بها قد انقطعت بالفعل. لأوّل مرّة، منذ بداية الحرب أنا جافّ مع ماضيَّ. لم أعد متعلّقا سوى بالنّاس وحين أفكّر في الالتقاء بهم، فإنّما في باريس الحرب أحدّد لقاءاتنا. لقد استنفدت رخصتي قطيعتي مع الماضي. لقد كسبت من ذلك تراجعا وأستطيع أن أقول ذات يوم -ربّما غدا- ماذا كانت تُمثِّل باريس بالنّسبة إليّ. تنبّهت إلى أنّه، إن لم أكن وطنيّا، لكنت على الأقلّ كومونيّا أو جهويّا. لقد كانت باريس قريتي كما تقول الأغنية[385] أنت يا مواطن باريس في السّابق كنت شوفينيّا.

قالت لي فاندا وهي تقرأ دفاتري: يفاجئني هذا. لقد تعوّدت على الأغبياء الّذين يريدون أن يثبتوا، أنّني أضطرب أمام ما هو اعتباطيّ. يسحرني ما تقوله وهو حقيقيّ. اعتباطيّة هذا الدّفتر كاملة، مثل التّفكير عموما. غدا سوف أكتب عن باريس. لكن لماذا؟ دون سبب، لأنّ هذا يمتعني. ولا شيء ليس هناك سبب هنا؛ كلّ شيء هو لعب. خاصّة أنّني لا أجهد تفكيري أبدا. إنَ ألّفت كتابا مركّبا، سوف أتوغّل نحو البعيد، على طريقة جنود في حرب يكرهونهم على التّماسك أكثر ممّا يستطيعون. عوضا عن هنا أستدير بسرعة ما إن أجدني جاهزا لإجهادي.

---

385. باريسي أغنية مشهورة سنة 1925لحنها فينسان بوبيه وفينسان سكوتو وكتب كلماتها لوسيان بوبيه وقام بأدائها موريس شوفالييه تقول لازمتها :

آه! كم كانت قريتي جميلة باريسي، باريسنا!

الخميس 22فيفري

حول طبيعة المستقبل. المستقبل هو موجود متعال يستمدّ منبعه من الوجود-لذاته. ليس الوجود-في-ذاته مستقبلا لأنّه في الكلّ كلّ ما هو. وبالتّالي ليس لاشيء من خارجه يمكن أن يوجد. يُبعد مبدأ الهويّة باعتباره قانونا وجوديّا للوجود-في-ذاته أيّ إمكانيّة للمستقبل. لا يمكن للمستقبل أن يوجد إلّا بوصفه تكملة لنقصان في الحاضر. بل هو معنى هذا النقصان. هل يجب أن نُعرِّف هذا النّقصان أيضا. إنّه لمن الغريب أن نكون قد وصفنا مطولّا الإرادة، الرّغبة، الشّغف في كلّ الفلسفات وفي كلّ علوم النّفس دون أن نصل لمعالجة هذا الأمر الجوهريّ، الّذي لا يمكن تصوّر أي مظهر من هذه المظاهر إن لم يكن الوجود الّذي يريد، الّذي يتألّم، الذي يرغب غير ممسك به في وجوده باعتباره يعاني من نقصان جوهريّ. لعلّها المسيحيّة هي الّتي قاربت هذه البِّنة الضّروريّة أكثر، بإبراز أنّ الرّوح البشريّة باعتبارها منشطة بنقصانها للإله وكذلك كتابات المتصوّفة الغزيرة في تحاليها الصّادمة لهذا العدم الدّاخليّ الموجود في قلب الإنسان. على أنّه يجب ملاحظة أنّ أغلب المفكّرين المسيحيّين، التّائهين في تصوّرهم التّوحيديّ للوجود باعتباره حدّا-للذّات، خلطوا –مثل هايدجير- العدم الوجوديّ للوعي البشريّ بتناهيه. بينما التّناهي، بما هو حدّ خارجيّ للوجود، لا يمكنه أن يكون أصل النّقصان الّذي يوجد في قلب هذا الوعي ذاته. إن كان لهذا الأخير تناهيه الخاصّ به، فتلك مسألة لم أضعها في حسابي هنا، لكن ما يظهر بوضوح أنّه لا يمكن تفسير الرّغبة دون اللّجوء إلى نقصان وجوديّ. فإن استعدت مثلا التّعريفات النّفسيّة الفيزيولوجيّة للجوع أو العطش الّتي صارت كلاسيكيّة، أرى أنّه يجب أن أكون ساذجا جدّا أو غبيّا لأقبل بها. ما الّذي تبيّنه لنا هذه التّعريفات؟ مثلا هو افتقار للدّم كما في الاختناق- تهيج البصلة بالدّم الوريديّ الّذي يحدث تقلّصات متشنّجة للحجاب الحاجز - في حال الجوع هي تقلصات المغلّف، التلعُّب، توتّر عصبيّ حادّ يحدث مضغا بصعوبة، إلخ. كلّ هذا جميل وجيّد، لكن لا يجعلنا نتقدّم. لأنّنا نحن نعاند من أجل وصف حالات موجودة على شاكلة حدّ-الذّات، الّتي

بمستطاعها أن تأتمر فيما بينها، لكن لن يمكنها إطلاقا أن تكون معطاة لوحدها كرغبات، لا تشبه للرّغبة بقدر ما لا يشبه اهتزاز الأثير اللّون الأحمر. وليس من قبيل توفير إجابة مطمئنة أن نقول إنّ الوعي يُحوِّل هذه الحال الجسديّ إلى رغبة، يضبط هذه الحال على شاكلة رغبة، إلّا إذا منحتها قدرة سحريّة، يجب تفسير لماذا لا يمكن ضبط هذه التّحويرات الجسديّة على شاكلة حالة. لأنّه يجب أن يكون المرء أعمى كي لا يرى أنّ الفرق الأساسيّ بين الرّغبة والحالة الفيزيولوجيّة الّذي نريد أن نردّه لأساسه هو ذو طبيعة وجوديّة. لا يتعلّق الأمر بقول أنّ الرّغبة مفكّر فيها، وهي تَمَثُّل، وهي ذهنيّة، لا ممتدّة، ماذا أعرف؟ إن حوّلتها إلى حالة فأنت لن تفهم أيّ شيء. وبالتّالي فالتّوازي قائم على فكرة عبثيّة أنّ حالة الجسد مماثلة للحالة النّفسيّة. لكنّ الحالة في تصوّرها هذا لن تخرج أبدا من نفسها لتكون في حاجة لشيء متعال مهما كان. لو تصوّرنا جهازا من نوع ذلك التّسلسل الفيزيولوجيّ، أرى جيّدا أنّه لو تمّ حرمانه من الماء فسوف يمرّ ببعض الحالات ليبلغ الحالة النّهائيّة أوالموت. لكن لست أرى ماذا يمكن أن تفعل الرّغبة هنا. بل أفكر أنّ هناك خطأ جسيما في تصوّر هذا الجهاز، وليس هذا موضوع النّقاش هنا. كي تكون هناك رغبة لا بدّ أن يكون الشّيء المرغوب فيه حاضرا بشكل محسوس-هو ولاشيء آخر-في الدّاخل العميق لمن أجل-الذّات، لكن يجب أن يكون حاضرا مثل عدم يؤثّر فيه، أو، بشكل أدقّ كنقصان. ولا يمكن أن يكون هذا ممكنا إلّا إذا كان المن أجل-الذّات في وجوده نفسه قابلا للتّعريف من خلال ما ينقصه. أي أنّه ليس هناك أيّ نقصان يمكن أن يأتي للوجود- لذاته من الخارج. وحتّى في حال سوء النّية، لا يمكن الكذب على الذّات إلّا إذا كان الوعي بطبعه ما ليس هو. ونفس الشّيء ليست الرّغبة ممكنة إلّا إذا كان الوجود-لذاته بطبيعته رغبة، أي هو نقصان بالطّبع[386]. عبثيّة إرادة القوّة الشّوبنهاوريّة أو

386. "...كي يفتقد شيء ما الواقع-المفترض، يجب أن -بشكل ما- تفتقد شيئا ما من حيث المبدأ. لذا فلا علم نفس الحالات، لا هوسرل، لا حتى هايدجار اهتموا بهذه الحقيقة البديهية. غن كان هناك شيء يجب أن يفتقده الوعي على العموم، يجب أن تكون الطبيعة الوجودية للوعي هي طبيعة الفقدان " (رسالة للكاستور بتاريخ نفس اليوم).

النّيتشويّة، إنّه، إن تصوّرناها كقوّة، لن نستطيع أن نفهم على الإطلاق، كيف سيكون بمستطاعها أن تُعبِّر من خلال الرّغبات أو الإرادات. سوف تظلّ قوّة وتحافظ ببساطة على توازنها بواسطة قوى معاكسة. لن ينفع في أيّ شيء أن نقول إنّ الأمر متعلّق بقوى ذهنيّة، إلّا إن عرفنا الذّهن كما لو أنّه الوجود-في-ذاته مرتعد بالعدم. إن كان لا بدّ من وضع النقصان الوجوديّ كخصوصيّة مميّزة واعتبرناه أصل كلّ الرّغبات والإرادة، فلا بدّ إذن أن نطرح على أنفسنا السّؤالين الأوّليين: ما معنى النّقصان؟ - ماذا ينقص؟

من البديهيّ أنّ النّقصان ينتمي لصنف لا وجود له، بمعنى أنّه حيث أن لا وجود له هو رابط محسوس، وإيجابيّ بين الوجود-في-ذاته وشيء آخر موجود. لكنّه حالة مخصوصة من لا وجود له. فحين نقول إنّ الوعي لا ممتدّ، لا نريد أن نقول إنّه ينقصه الامتداد. لنستنتج أوّلا أنّه لا يجب تصوّر النّقصان على الطّريقة الّتي يمكن أن نستنتجه بها من الخارج، كما نقول على سبيل المثال إنّ هذا الكرسيّ تنقصه ساق أو أنّ ساقا تنقص الكرسيّ؛ هذا النّقصان الفرضي بشكل ما يترك الكرسيّ سليما تماما بسيقانه الثّلاث.

إنّما بشكل افتراضيّ فقط، نحن نريد الجلوس على كرسيّ ينقصه ساق أو بالأحرى، ففي النّهاية نحن من ننقص ساقا. طريقة تصوّر النّقصان عقبة من خلال تقديمه كخارج، وحتّى نقول كلّ شيء، كطابع لتناهي الكرسيّ. نحن متردّدون بين التّصوّر العمليّ للكرسيّ باعتباره أداة ينقصها جزء رئيسيّ والتّصوّر النّظريّ والتّأمّليّ لهذا الكرسيّ وجود-في-ذاته، شيء هو كما هو بثلاثة سيقان ولاشيء ينقصه. من هنا نحن نتصوّر في العادة حالاتنا النّفسيّة. نحن نراها بامتلاء وجود-في الذّات، ومن وجهة النّظر هذه لا ينقصها أيّ شيء. لكن إن أعدنا وضعها في تمشّ مكتمل، سوف نلاحظ من الخارج أنّه ينقصها شيء مّا (مثلا شخص ما أو شيء ما ناقص بغيابه)؛ أي إنّنا نفكر فيهم لبلوغ الحال المثاليّة التي يجب أن يبلغوها (سعادة، راحة ضمير، إلخ) ينقصهم شيء مّا. لكن بما أنّهم حاضرون، فهم مكتملون. هكذا يتّضح أنّ النّقصان فرضيّ وبشكل ما، بحسب الرّغبة [باللاتينية في الأصل]. ينقصهم شيء مّا من أجل

ثلاثيّ يجعل منهم الإثبات بشكل موضوعيّ. لكن هذا يُنسينا أنّ الوجود-لذاته هو وجود كما يعني وجوده في وجوده. لاشيء يأتيه من الخارج ونقصان للوعي هو وعي نقصان. من خلال لعبة العاكس والمعكوس، فالوجود-لذاته لا يمكن أن يكون إلّا نقصانه الذّاتيّ. ألا يمكن بهذا الشّكل أن نعرّفه كنقصان. وجود الوجود-لذاته، هو نقصان لـ... وتعريف النّقصان لـ... هو: أن يتحدّد بنفسه كما لم يكن الوجود ضروريّا له وكافيا ليعطيك وجودا ممتلئا. ليس الوجود-لذاته ممتدّا لكن لا ينقصه الامتداد، لأنّ الامتداد ينتمي للوجود-في-ذاته، ليس كما الوجود فيه، من الامتداد يمكن أن يمنحه الوجود الممتلئ للوجود-في-ذاته. لكن عكس ذلك في الوجود-لذاته ينقصه عالم (بما أنّ العالم يتضمّن أيضا الامتداد) لأنّ العالم هو بالنّسبة إلى الوجود-لذاته الكلّ المحسوس للوجود-في-ذاته غير الموجود. نفهم أنّ الوجود-لذاته، الذي هو ليس العالم، بما أنّه يحوّل نفسه إلى عدم، يحدّد نفسه من التّحويل للعدم باعتباره نقصانا للوجود-في-ذاته ومن هنا يحدّد الوجود-في-ذاته كعالم. العالم هو الكل الذي ينقص الوجود-لذاته ليصبح وجودا-في-ذاته. وهجمة الوجود-لذاته في العالم معادلة لتحديد-ذاتيّ وجوديّ ومؤسّس للوجود-لذاته كما الّذي ينقص من الوجود-في-ذاته في مواجهة الوجود-في-ذاته. لذلك؛ على وعي بـ... (بالمعنى الّذي يقوله هوسرل: كلّ وعي هو وعي بشيء مّا) أي، أن تحدّد نفسك بنفسك من أجل نفسك من خلال لعبة العاكس والمعكوس كناقص ل...شيء مّا. وكما سبق وقلت ذلك في دفتري الثّالث على ما أعتقد، كلّ وعي هو وعي بالعالم، قبل كلّ شيء. أمّا عن العالم، فهو وجود-في-ذاته الحاضر كقادر من خلال الامتصاص، على تحويل الوجود-لذاته إلى بما هو سبب الذّات. الوحدة ومعنى العالم، أي بما هو سبب الذّات باعتباره تركيبا مثاليّا للوجود-في-ذاته والوجود-لذاته. من المستحسن الإشارة إلى أنّ فكرة السّبب مستخرجة من الذّات من خلال الوجود-لذاته. الرّابط السّببيّ هو في الأصل الرّباط الوجوديّ بين العاكس والمعكوس. لكن لنتّفق أنّ النّقصان لا يجب أن يُفهم بالمعنى المثاليّ. فما ينقص الوجود-لذاته هو هنا، أمامه؛ وهذا هو بالضبط ما ينقصه، أي الوجود-في-ذاته باعتباره حاضرا للوجود-لذاته، بما هو وجود-لذاته،

والوجود-في-ذاته لاشيء يفصل بينهما. ليس النّقصان خالقا لكنّ الوجود-لذاته يتكوّن قبالة الوجود-في-ذاته كما لو أنّه بطبيعته ينقص الوجود-في-ذاته. إلّا أنّ الوجود-في-ذاته وبالضّبط من هنا يصبح حاضرا للوجود-لذاته، وهو ما لن يمسّه في أيّ شيء ولا يمسّه في وجوده كوجود-في-ذاته لكن ما يُكوِّن الوجود-لذاته بما أنّ العالم حاضر أمامه كنقصان، أو ليصبح بماهو سبب الذّات. من هنا يمكننا أن نعرِّف المستقبل.

بقدر ما يتحوّل إلى عدم يكون الوجود- لذاته نقصانا. لكن ما سيتحوّل إلى عدم في الوجود-لذاته، هو الوجود-في-ذاته. النّقصان مثله مثل أيّ شكل للعدم كان قد كان. بشكله السّلبيّ، كما هو عدم تمّ تحويله للعدم، فالنّقصان قصديّ، وعي ب بالمعنى الهوسرليّ. بما هوتحويل للوجود-في-ذاته إلى عدم، أي باعتبار أنّ الوجود-في-ذاته هو نقصانه الذّاتيّ، النّقصان في طابعه الإيجابيّ، هو رغبة. هو إن شئنا إرادة. لذلك؛ فإنّ الهروب المستمرّ للوجود-لذاته أمام الوجود-في-ذاته والتي تجمده يمكن مقارنته بحركة نهر سريعة يمكنه في أوقات البرد الشّديد الإفلات بسبب سرعة مجراه من التجمّد. حتّى وإن توقفت تعاود الحركة. لكنّ النّهر موجَّه، يتّجه نحو شيء مّا. نفس الشّيء؛ فالوجود-لذاته يهرب من الوجود-في-ذاته نحو بماهو سبب الذّات الذي يريد أن يكونه. نحن نمسك هنا هذا الكلّ المفتوح الّذي هو الوجود-لذاته. الوجود-لذاته هو بالنّسبة إلى نفسه عدمه الشّخصيّ، باعتباره وجودا-في-ذاته يتحوّل للعدم على شاكلة وجود-للذّات. وهل الوجود-لذاته هو لنفسه، هو نقصان، وبالتّدقيق نقصان الكلّ والذي هو إما إنكاره، أو هوعالم. الوجود- في -الذّات حاضر في مواجهة نفسه كما لو أنّه غير موجود. الوجود-لذاته غير موجود تماما، لاشيء بداخله سوى شفافية كلية ليست سوى تقهقر الوجود-في-ذاته. غير أنّ هذا اللّاشيء محجوز في الشّفافيّة الكلّيّة للوجود-لذاته كما لو أنّه نقصان شيء مّا. يمسك الوجود-في -ذاته بالوجود-لذاته على شاكلة حدث يفلت باستمرار من نفسه في اللّحظة الّتي سيستعيد فيها نفسه ويتمّ هذا الإفلات نحو ما ينقصه، أي نحو العالم. هكذا يصبح الماضي هو الوجود-لذاته، وقد أمسك به الوجود-في-ذاته والمستقبل

باعتباره ينقص الوجود-لذاته، كما حوّله الامتصاص إلى بما هو سبب الذّات. الوجود-في-ذاته كما يبرز للوجود-لذاته هو المستقبل. هذه كأس مادامت تعطي نفسها كما لو أنّها أُخذت. هذا كرسيّ مادام يعطي نفسه كما نجلس عليه، إلخ... كلّه في المستقبل. الوجود-لذاته معاصر للوجود-في-ذاته طالما هو موظّف له، غير أنّ العالم بالنّسبة إليه هو في المستقبل بقدر ما ينقصه. أي لو استطاع الوجود-لذاته أن يحدّد نفسه بالنسبة إلى الوجود الصّافي والبسيط، لأصبح معاصرا للوجود-في-ذاته. لكن بما أنّه نقص، يظهر العالم كمستقبل على قاعدة توظيف الحاضر. ما أريد أن أقوله، أنّها خدعة ساحر، أعتقد أنّ هذا القلم الّذي سوف أمسك به هو في المستقبل بالكامل. من المؤكّد، مادام هو قلم فهو في المستقبل. لكن بما أنّه وجود-في-ذاته، موظّفا لوجود-لذاته، فهو حاضر، إنّه حضور. كلّ شيء هو حضور فوريّ لا يمكننا بلوغه إلّا في المستقبل. ذلك هو معنى التّعالي أو تجاوز الموظّف الحاضر باتّجاه (الشّيء -القادم) للعالم[387].

مسارّرة من بياتر كم استمتعت قبل الزّواج يا صاحبي؟ لقد كانت لنا مغامرات رفقة صاحبيّ الإثنين! نجتمع في بعض الأحيان ونروي لبعضنا، من أجل أن نستمتع بتذكّرها. نأخذ السّيّارة كلّ يوم سبت ونخرج للمطاردة، وفي إحدى المرّات جذبت ثلاث فتيات دفعة واحدة، أي نعم، كنت أتخيّر منتصف اللّيل زمنا للاصطياد، ولم يكن ذلك إلّا بغاية المتعة، والتّنويع، أوه لم نكن نوقع بهنّ عن طريق الكلام المعسول، نقترح عليهنّ قضاء أمسية في المرقص، وإذا كنّ من المتحرّرات، تقضين اللّيل معنا، ونأخذهن في الغد على السّيّارة إلى توكي، ونمنحهنّ وجبة جيّدة. ثمّ نفترق عند المساء، وإن كنّ صديقات طيّبات يمكنهنّ العودة مجدّدا وتناول الغداء معنا. لم نكن غيورين فيما بيننا، ولم يكن بيننا من تنافس. باستثناء مرّة واحدة، أراد فيها أحدنا الاستحواذ على إحداهنّ، لم يكن مترهّبا غير أنّه كان يتصور أنّه يمتلك طابعه الخاصّ، قال بجدّيّة: «هذه الفتاة ليست كالأخريات. ومع هذا فلقد كانت سليطة

---

387. الوجود والعدم الجزء الثاني الفصل الأول " ما هو من أجل ذاته ووجود القيمة " والفصل الثاني.

اللّسان وقحة. أردنا أن نحتال عليه». قال لنا في إحدى الأمسيات: «امضوا أنتم لرؤية هيلين عوضا عنّي، لديّ ما يشغلني سوف ألتحق بكم بعد ساعة أخرى». انطلقنا إلى المقهى حيث تعوّدنا أن نلتقي وعوض أن نعلمها أنّه قادم بعد ساعة أخرى، أخبرناها، بانصرافه مع امرأة أخرى. وعليه ولكي تنتقم منه هذه المرأة منشدة الغيرة دعتني يا صاحبي لمضاجعتها على الفور. صعدنا إلى غرفتها ونمنا معا ثمّ أغاضتني، فأنا لم أكن أفعل هذا إلّا لأُضْجِرها، ولا أعرف بماذا تفوّهت قدّامها، وفي النّهاية قلت لها: أنت عاهرة مثل الأخريات، لقد خنت جول، وصارحتها بحقيقة الأمر. لن تحزر أبدا ماذا أجابتني. قالت لي: أوّلا؛ لم أخن جول، فأنا لم أشعر بلذّة الجماع معك، لكن؛ هل تعلم عدا هذا، كنّا نتشارك فيهنّ جميعا ونأخذهنّ كما نشاء. ذات مرّة؛ بقينا ثمان وأربعين ساعة في غرفة واحدة مع فتيات جئن لمجرّد اللّهو والاستمتاع. لقد ضاجعناهنّ بالتّناوب، واحدة بعد الأخرى؛ لم نكن من محبّي الجنس الجماعيّ، لكنّنا كنّا نفعل ذلك لمجرّد المتعة، جعلناهن يستلقين أمامنا، وطلبنا جلب وجبات أكل. طلبن منّا نقودا، وأوهمناهنّ بالموافقة، فأخذنا نصيبنا من المتعة، دون أن ندفع لهنّ في آخر المطاف فلسا واحدا، وانصرفن خائبات، لقد كان ذلك ممتعا. وذات مرّة، أخذنا شقراء يافعة أنيقة بالسّيّارة إلى الغابة. تولّيت أنا قيادة السّيارة وكان رفيقي جالسا في الخلف؛ أخرج من جيبه ورقة نقديّة من فئة خمسمائة فرنك وأظهرها لها تحت نار الولّاعة ثمّ ضاجعها، وبعد ذلك سلّمها ورقة بيضاء. بنفس حجم الورقة النّقديّة كان قد أعدّها سلفا فأخذتها منه وخبّأتها في جوربها دون أن تشكّ في أيّ شيء. مرَّرت المقود لصديقي وصعدت مكانه في الخلف إنّه دوري. كانت مازالت تريد نقودا غير أنّني رفضت. عندها استشاطت غضبا، وعدنا بها إلى حيث أخذناها في الأوّل وقالت لي وهي تغادر السّيّارة: «صديقك جنتلمان وأنت وغد، لن تعرف كم تفكّهنا بعد ذلك: سوف تصاب بخيبة كبرى. من وقتها؛ صرت أخرج مع تاجر فراء من ليون، كنّا بالكاد نعرفه غير أنّه كان يأتي إلى باريس باستمرار، يدفع حصّته ونتشارك في النّساء. هو شخص من النّاحية العمليّة، صفر! لكنّه صيّاد من الدّرجة الأولى. كان عالم نفس؛ يقول إنّ تسع نساء من عشرة نقطة ضعفهنّ المال. لذلك كان

يعرف كيف يتصرّف، يعدهنّ ويكسبهنّ كلّهنّ. تخرج معه فيقول لك: هل ترغب في امرأة؟، هوب في أقلّ من ثانية يعود مصحوبا بواحدة، يبقى أنّ سمعته ساءت إلى أبعد حدّ. بما أنّه لا يدفع للنساء اللّواتي يجلبهنّ أي شيء انتهى به الأمر إلى شجارات معهنّ وعراكات مع النّسوة المحترفات. لاحقته إحداهنّ ذات صباح في الشّارع وهي تصرخ خلفه. - هل تعرف سيّدة تبدو عليها اللّياقة، يجب أن يظهر العهر على دلعها. أمّا هو فلم يضطرب أو يتحيّر، نبَّه رقيب المدينة إليها قائلا: لا أعرف هذه السّيّدة، اشحنوها. وحدث له في إحدى المرّات أن مزّقت له امرأة هائجة قميصه لتمنعه من مغادرة الغرفة دون أن يدفع لها أجرتها، لم يفعل أيّ شيء، أمسك بزوجي حذائها ورماه من النّافذة. لقد حدثت معي بدوري حكايات من هذا النّوع! يمكنك أن تكتبها في رواياتك! لهذا السّبب لا أريد الاصطياد معه كثيرا. كان يتسبّب في الكثير من المشاكل. حدث أن كان على غير وفاق مع صديقه فخرج معي» وقال لي: «هل نتصيَّد؟، قلت حسنا لنذهب للصّيد، قصدنا الحيّ اللّاتينيّ، اتّجهنا إلى روزنغار، ووصلنا إلى المرقص في الأسفل من المؤكّد أنّك تعرفه. كانت الخطّة تقتضي أن نقوم بإلهاء إحدى الفتيات فتضيع عليها السّفرة الأخيرة للمترو. بعد ذلك سوف نتصرّف لإيصالها بالسّيّارة، هل فهمت الخطّة؟ التقينا بفتاتين. شرع صديقي في وعدهما، إن رافقتنا سوف نأخذهما في الغد إلى فونتين بلو، نشتري لهما جوارب جديدة، قبّعات، وهم ما لن يقل عن خمسمائة فرنك وطبعا نحن لم نكن نملك فلسا واحدة. قاومتا وأصرّينا؛ خرجنا من المرقص نحن الأربعة ومازالتا ترفضان أن تصحبانا عند الرّابعة صباحا، مازلنا واقفين أمام باب أحد نزل مونمارتر نناقش الأمر. في آخر المطاف قبلتا، ركن صديقي سيّارته بمأوى للسّيّارات قريب من المكان ودخلنا أربعتنا النّزل. وهنا أيضا برزت حكاية أخرى كانتا تريدان غرفة لهما وغرفة لنا. قلنا نعم وصعدنا، ما أن وصلنا قدّام غرفناُ لنا لهما: ألا ترغبان في أن ننام معكما؟ سوف نكون وديعين معكما. - حسنا لكن بملابسكما كاملة! إنّه شغل بالفعل. وفي الأخير اصطحبت إحدى الفتاتين لغرفة وبقي صديقي مع الأخرى في الغرفة الأولى. ضاجعت مرافقتي ونمت. العاهرة! أيقظتني عند السّابعة صباحا. فركت عينيّ صائحا: ماذا هناك؟ -

علينا الرّحيل! علينا الرّحيل! -ماذا؟ ماذا؟ -إلى فونتانبلو- آه، حسنا! كنت منزعجا، تعرف جيّدا أنّ الذّهاب إلى فونتانبلو كانت مجرّد حيلة لاستدراج الفتاتين ولم نكن ننوي على الإطلاق أن نأخذهما إلى هناك. وإضافة إلى ذلك كنّا وعدناهما بعدّة أشياء أخرى ولم يكن معنا ما يكفي من المال للقيام بكلّ هذا. قلت له مستسلما: حسنا، تعالي معي نذهب لصديقي. ذهبنا إلى الغرفة المجاورة وأيقظناهما. هاهو صديقي يكتشف وهو يستفيق من نومه أنّه ضاجع الفتاة الأقلّ جمالا وأنّني فزت بالأجمل. لقد جعله هذا يستشيط غضبا تصوّر! كان بإمكان هذا النّذل أن يكتفي. لكن لا! قال لي: «اذهب، لقضاء بعض الشؤون مع رينيه» (رينيه هي الفتاة الّتي قضى هو اللّيلة معها). هكذا يكون قد رتّب أمره للانفراد بالفتاة الأجمل الّتي قضت اللّيل معي وقد علمت فيما بعد أنّه ضاجعها بسهولة. أمّا أنا فقد نزلت مع رينيه، ما كان بإمكاني أن أرفض غير أنّني كنت أغلي من الدّاخل وأفكّر ماذا سأفعل؟ اقتنيت جريدة من أحد الأكشاك وتظاهرت بقراءة العناوين منتهزا الفرصة للتّفكير فيما يجب أن أفعله. تذكّرت، فجأة أنّ في الأنحاء مقهى يفتح على جهتين. قلت للمرأة: تعالي لنتناول فطور الصّباح. ليس هناك داع لاستعجال الأمر، سينتظراننا. قصدنا المقهى، هناك طلبت وجبتي فطور صباح ودفعت ثمنهما على الفور. شرعنا في تناول الفطور ونحن نثرثر. استأذنت منها قائلا: هل لي أن أذهب للحمّام، وغادرت المكان من الباب الآخر أطلقت ساقيَّ للريح. آه، يا صاحبي! بقيّة الحكاية علمت بها في يوم الغد. بعد أقلّ من نصف ساعة اكتشفت المرأة حقيقة الأمر وأنّني تركتها لوحدها وتبخّرت، فعادت وحيدة إلى النزل ووجد صديقي نفسه وحده مع الفتاتين. نقم عليَّ بشدّة. نعتني بالشّخص الرّديء، وأنّه ما كان عليه أن يرافقني فهو بالكاد يعرفني. غير أنّه واصل رواية بقيّة حكايته مع الفتاتين. قال إنّهما «أصبحتا أشدّ حذرا»؛ ولازمتاه إلى السّاعة الرّابعة بعد الزّوال وما استطاع الإفلات منهما. واصل قائلا: أخذتهما إلى مأوى السّيّارات حيث ركنت سيّارتي. صعدتا معي في السّيّارة وأخذت طريقي دون وجهة محدّدة، وبينما كنت أعبر إحدى الغابات أوقفت السّيّارة متظاهرا أنّ بها عطبا مّا. أوقف السّيّارة وطلب من الفتاتين النّزول للتّحرّي في أمر العطب، وانتهز فرصة

مغادرتهما السّيّارة وهو بصدد معاودة تشغيل المحرّك، ثمّ اندفع بسيّارته هاربا تاركا المرأتين لوحدهما. إيه مغامرات الشّباب، لكم كنت ماجنا. الأشخاص الّذين لديهم مغامرات في عمري الآن، هم من أمثال بول الذين لم يعيشوا أيّ شكل من أشكال المجون إلى حدّ الآن. أمّا أنا، فلا. ما عدت أهتمّ بذلك، إنّني وفيّ لزوجتي.

ولتكملة البورتريه، وجب أن أضيف أنّ بياتر ينفر كثيرا من الدّياثة. وكثيرا ما يسبّ ويشتم الدّيوثيين. لذلك هو على الأقلّ يعتمد أخلاقا صارمة فيما يخصّ العلاقات الجنسيّة. وها هو اليوم بالذّات، يزيد من تثبيت الدّليل على ذلك بمناسبة صدفة غريبة مضحكة. وذلك بخصوص هانتزيغر، ذلك الطّويل بيرو الحزين، الرّومنطيقيّ، والكئيب، الجشع الّذي مازال منذ بداية الحرب حائرا بين امرأتين. هو مدير أو نائب مدير الفرع الفرنسيّ لدار سينما أمريكيّة. اندلعت الحرب وفقد موارده. كانت زوجته الّتى تزوّجها صغيرة السّنّ، شديدة التّديّن، منعدمة الجاذبيّة الجماليّة فتركها قبل شهرين من اجتياح ألمانيا لبولونيا وفي نيّته أن يتزوج عشيقته الشّابّة الأنقليزيّة الجميلة المتخصّصة وفق ما أعتقد، في الرّقن على الآلة الكاتبة. أغرقته الحرب في حلم يقظة. حسّاس جدّا إزاء الأحداث الحربيّة بل إنّه وعلى ما يبدو غير واع بوضعيّته في الجيش. يقضي وقته متسائلا: أيّهما؟، هل طلّق زوجته ليتزوّج بالإنقليزيّة؟ أم عليه أن يعود لزوجته الأولى؟ يقضي أغلب أيّامه يلتهم الحلويّات، مشوّشا الذهن بشعره الأمهق، الباهت البياض مثبتا في الفراغ عينيه الكبيرتين الحمراوين الشّبيهتين بعيني أرنب، وعند المساء يجلس على البيانو يعزف مقطوعات فالز رافسا بأصابعه ملامس الآلة، لا لشيء إلّا لرفع معنويّاته. كنّا نعتبره مثل شخص منذهل، لكن نرى أنّ انذهاله مفيد له. يبدو أنّ لديه شعورا خاصّا ومؤثرا لمنافعه. يتنقّل بين شخص وآخر مردّدا: أيّهما سوف أختار؟ خذ اقرأ هذه الرّسالة كانت كلّ القيادة العليا على علم بوضعه. ينصحه الحكماء منّا باستعادة زوجته الأولى، أمّا الآخرون فيشجّعونه على الزّواج بالشّابّة الإنقليزية. كان على اتّصال بزوجته الأولى لأنّه من الضّروريّ أن يتمّ إجراءات الطّلاق بشكل رسميّ. كانت ترسل له رسائل تبكي فيها بشكل مترفّع، تحثّه على استعجال إنهاء الإجراءات قائلة في رسائلها: إن

شئت اطلب الطّلاق وسوف أوافق حبّا لك. لكن لا تطلب أن أقوم أنا بالإجراءات فذلك مخالف لدياتني وضدّ حبّي. وهو ما يزيد من تعقيد الأشياء بالنّسبة إليه بما أنّه في الجبهة. غير أنّها تجرَّأت على استعمال وسائل أخرى أشدّ ذكاء، فكانت ترسل له مرطّبات، علب عسل، فطائر محلّاة وكان يلتهم كلّ هذا بنهم مرضيّ، وفي إحدى المرّات أرسلت له ورقة نقديّة من فئة خمسين فرنكا. فجأة، جاءني قائلا: سارتر، هل تعتقد وأنت الفيلسوف أنّه يجب أن أقبل، ألا ترى معي أنّ كلّ هذا يخفي خدعة ما؟، أجبته أنّني لا أعرف طبيعة زوجته. (أطلعني على رسائل رفيعة جدّا تنضح برائحة المكر النّتنة) إضافة إلى ذلك، لم يكن من مهامّي أن أقرّر بالنّسبة إليه إن كان يجب أن يطلق أو يتكيّف معها، لكن إن كان قد قرر القطع معها فعليه أن يعيد لها نقودها. حرّك رأسه وقال لي «بأنّني على حقّ»، ومن وقتها لم أسمع بالخمسين فرنكا، وأنا اليوم على يقين من أنّه احتفظ بها لنفسه. مع اقتراب موعد رخصته تضاعف قلقه واضطرابه: أين سوف يقضي هذه الرّخصة؟ كانت الإنقليزية قد أمسكت بمشاعره نحوها. غير أنّه شرح لنا قائلا: لكنّني سوف أجد عند زوجتي أثاثا جديدا أشتريته حين افترقنا وغرفا رائقة متّسعة وبيانو. في نهاية المطاف لم أعلم ما الّذي قرّره لأنّني كنت بباريس. عاد بالأمس وهو كعادته، متصالحا مع زوجته ناجحا في حياته مغتن. يحمل علبة ممتلئة بالكامل بالفطائر، علب العسل، المربّى، النّقانق، التّين المجفّف، إلخ؛ كان يملك ألف فرنك، هو الّذي من عادته أن يكون مفلسا، كانت غايته الأولى منذ عودته من رخصته أن يتمّ إرساله في مهمّة إلى صافيرن. هناك اشترى تبّانا بـ 140فرنكًا من التّعاضديّة العسكريّة، وجزمات ب300فرنكا. تردّد في شراء سترة غير أنّه قال إنّه سيرى ذلك بعد أيّام. ما جذبني أكثر من هيئة سذاجته المنتصرة والملائكيّة هو السّخط الّذي عبّر عنه بياتر الطّيّب. قال لي بحنق وهو يدخل منذ قليل: «أيّ ديوث هذا!» آه! لا! مهما يكن. لو كنت في مكانه وفكّرت في الطّلاق، ثمّ تصالحت مع زوجتي، لذهبت للإقامة مع زوجتي خلال رخصتي، لكنّني لن أرفض أن أقبل منها فلسا في البداية على الأقل. سكت قليلا ثمّ أضاف بنزاهة: "أو 500 فرنكا إذان.

لا يجب على الإطلاق محاولة تفسير العدم من خلال التّناهي، لأنّ التّناهي بمعزل عن كلّ المفاهيم الأخرى يبدو أسلوبا خارجيّا للفرد المعتبر. عكس ما يبدو عليه أحيانا في الفلسفات المسيحيّة. من الضّروريّ إذن على العكس، اعتماد الطّريقة المعهودة وبتأسيسه على العدم. إنّ وجودا ما هو عدمه الذاتيّ وهو بنفس الفعل منته. إن استغربنا أنّ الوجود- في -ذاته ما أن ينعدم يتقهقر إلى فردانيّة، منتهية، فالإجابة عن ذلك بسيطة: لا يمكن من حيث المبدأ لوعي متساو الامتداد مع الكلّية المتناهية للوجود-في-ذاته أن يوجد. يتكثف النفي. لأنّه بالضّبط ليس الوجود -لذاته هو الوجود-في-ذاته، ليس الامتداد، ليس المقاومة، القوّة، إلخ. إنّما هو فرد. كلّ نفي جديد يشدّه إلى الذّات، وأخيرا فإنّه بإزاء كلّيّة الوجود-في-ذاته يتشكّل الوجود-لذاته كفرد منته؛ من قلب الوجود-في ذاته ينبثق الوعي حقّا، ومن العبثيّ ألّا نرى من خلاله سوى جزء من الوجود-في-ذاته معدما. يبقى أنّ تحويل الوجود-في-ذاته بكلّيّته إلى عدم لا يمكن أن يتمّ إلّا على شاكلة هجمة في العالم لوعي مخصوص. وحده الوجود يمكن أن يكون لا متناه أو غير محدّد. فالنّفي بطبيعته منته.

الجمعة 23 فيفري

قال أحد القنّاصين العائدين مَن باريس: كان لديّ شعور أنّهم هناك يعتبروننا عاطلين عن العمل.

كيف يمكن للنّقصان- أو صلة الوعي الأولى بالعالم- أن يفضي إلى رغبات مميّزة؟ لنسجّل أوّلا أنّ كلّ رغبة مميّزة هي تخصيص للرّغبة في العالم. أو، إن شئنا فإنّ الشّيء المرغوب فيه يظهر عند حدّ العالم المرغوب فيه ويُرَمِّز العالم المرغوب فيه. الرّغبة في شيء مّا، أي الرّغبة في العالم في شخص هذا الشّيء. والآن ما الّذي نرغب فيه من ذلك الشّيء؟ نرغب في تملّكه. ماهو التّملّك إذن؟ من الطّريف أنّ هناك الكثير من المجادلات الاجتماعيّة كان موضوعها الملكيّة، ولم نفكّر يوما على الإطلاق لتحليل فعل التّملّك وموقف الملكيّة فينومونولوجيّا. نلاحظ في البدء أنّه من غير الممكن تصوّر التّملك إلّا باعتباره صلة خارجيّة لماهيّتين. سوف تجد نظريّة واقعية للتّملّك

نفسها أمام نفس الصّعوبات الّتي تعترض نظريّة دوغمائيّة وواقعية للمعرفة: كيف؛ هل هناك علاقة داخليّة بين ماهيّتين ممتلئتين بالوجود في الذّات، مثلما هو كذلك في المعرفة، مثلما هو كذلك في الملكيّة؟ ليس هذا ممكنا من النّاحية البديهيّة. تحلّ المثاليّة المسألة بوضع اللّا استقلاليّة[388] [بالألمانيّة في الأصل] على جانب من العالم؛ أمّا بالنّسبة إليّ فلسوف أضع لا استقلاليّة من نوع جديد على جانب الوعي. إذن لا يمكن لماهية مّا أن تتملّك بماهية أخرى. فللتّملّك معنى آخر مختلف تماما عن المعني الفيزيائيّ. ما المقصود بامتلاك شيء ما؟ إنّني أرى جيّدا أنّه حقّ سلبيّ في مجتمعاتنا الحاليّة، الحقّ الّذي لا يمكن لشخص آخر غيري أن يتملّكه. لكن لنزيح هذه النّظرة السّلبيّة ونعود إلى ما هو إيجابي. إنّني أرى أيضا، أنّ تملّك شيء مّا، هو استعماله. ورغم ذلك مازلت غير راض: ها أنا ذا أستعمل طاولة وكؤوسا، ولكن كلّ هذا ليس لي. هل نقول حين يكون لي حقّ التدمير يصبح شيء ما ملكي؟ غير أنّ ذلك سوف يكون عبثيّا ولن أفكّر فيه أبدا. ثمّ بإمكان رجل أعمال أن يمتلك مصنعا ولا يحقّ له غلقه. لن أقبل أيضا بأنّ الملكيّة لها وظيفة اجتماعيّة لأنّ ماهو اجتماعي قد يضيف نوعا من الحقّ، حقّ مقدّس للملكيّة. هاهنا ما هو قابل ليكون مقدّسا، وهو ما تحت الرّابط الاجتماعيّ، الرّابط الأوّل بالإنسان للشّيء الّذي يسمّى تملّكا. وبطبيعة الحال؛ كلّ تفسير بالّشراء والبيع ليس له إلّا معنى قضائيّ ولا يسوي المسألة أبدا. إن أزحت كلّ هذه التّعريفات للملكيّة باعتبار أنّها ثانويّة يظلّ المشكل برمّته قائما: ما معنى أن نمتلك؟ ألاحظ إذن أنّه في هذه المسألة كما في بقيّة المسائل سوف يقودنا السّحر. أستنتج أنّه حين نقول عن شخص مّا إنّه متملّك حين يكون في جسده شياطين. غير أنّني أرى هنا أنّ الشياطين ليست في جسده بل إنّما هو نفسه. يكتملون فيه، في نهاية المطاف إنّها صفة ما للإنسان المتملّك على أن يكون هو متملّكا، فهو في داخله كما لو أنّه ينتمي إلى... وأرى أيضا أنّه في أساليب الدّفن القديمة يتمّ دفن الأشياء الّتي يمتلكها الميّت معه. والتّفسير المنطقيّ كي يتمكّن من استعمالها، وبطبيعة الحال هذه الطّريقة مبتكرة بعد ضربة ما. يبدو أنّه ليس هناك مسألة: يشكّل الموت وأشياؤه كلّ

388. اللاستقلالية.

شيء. لم يعد الأمر متعلّقا على سبيل المثال بدفن الميّت دون أشيائه المستعملة أكثر من دفنه دون إحدى ساقيه. بخلاف الوجود المتقطّع لكلّ هذه الأشياء، هناك جهاز عظيم يتمّ دفنه بالكامل الجثّة، القدح الّتي كان يشرب فيه، السّكّين الّتي كان يستعملها، إلخ. كلّ هذا يشكّل ميتا واحدا. من هنا جاءت عادة حرق الأرامل المالاباراز [نسبة إلى مالابار مدينة في الجنوب الغربيّ بالهند من عادات سكّانها حرق المرأة مع زوجها بعد موته] رغم طابعها المتوحّش، فإنّها توضّح مبدأ التّملّك. فالمرأة هنا متملَّكة. فهي تمثل جزءا من الميت، وموتها حقّ، لم يتبقّ سوى مساعدتها على الموت. أمّا تلك الأشياء غير القابلة للتّكفين فتظلّ ملازمة للميّت. صحيح أنّ الأشباح الّتي تسكن البيوت الرّيفيّة هي آلهات بيتيّة مجرّدة من رتبها. لكنّ الآلهات البيتيّة هم أنفسهم من هم، إن لم يكونوا أشباحا؟ ليس الشّبح شيئا آخر سوى ما تبقّى من الشّخص الّذي كان يمتلك البيت. أن نقول إنّ بيتا مّا مسكونا، فذلك يعني أنّ المال أو جهد المالك الثاني فيه قد يمحوان هذا الفعل الميتافيزيقيّ والمطلق للمتملّك الأوّل. هكذا تقدّم لنا الخرافات والدّيانات الملكيّة كامتداد لوجود المالك الأوّل. يرتبط الإنسان ميتافيزيقيّا بملكيّته من خلال علاقة وجود. من غير المجدي معارضة أنّ الخرافات ليس لها أساس. بل لها أساسها في الآنية. لو قمنا بمساءلة كلّ خرافة، كلّ إيمان بالسّحر، كما ينبغي فسنخلص إلى حقيقة حول الآنية لأنّ الإنسان بطبيعة ماهيّته ساحر. لقد قيل كلّ هذا سابقا لكن ما يعنينا نحن الّذين ميّزنا الوجود-في-ذاته عن الوجود-لذاته أنّ الملكية هي استمرار الوجود-لذاته في الوجود-في-ذاته. أن تتملّك بشيء ما، يعني أن توجد في هذا الشّيء على طريقة الوجود-في-ذاته. (مثال تملك امرأة محبوبة هو أشدّ تعقيدا لكن سنتركه الآن جانبا، لأنّه ليس أوّليّا) يبقى أن نفسّر هذه الصّيغة الأخيرة. ليس لها من معنى آخر سوى هذا: إرادة الوجود -لذاته ليست شيئا آخر سوى الإمساك من الذات-نفسها بوجود-في-ذاته يكون رمزيا للوجود-لذاته نفسه. يأخذنا هذا إلى أصل الرّمز، وهو ما سوف أتحدّث عنه غدا. لكنّنا نحن الآن في حضرة الفعل نفسه للتّحوّل. الملكية تحوُّل. أن تمتلك شيئا مّا، هو أن تكون في هذا الشّيء الوجود-لذاته نفسه كما لو أنّك الوجود -في-ذاته. والشّيء

المتملَّك بهذا المعنى هو يعكس في العالم تلاحقات الوجود-لذاته الذي يملكه. شيء متملَّك هو ممثل للوجود-لذاته في الوجود-في-ذاته. وفي نفس الوقت، فالتملك، الشيء المتملَّك يمثل بالنسبة للوجود-لذاته العالم بأكمله. هكذا يكون الشيء المتملَّك رمز الوجود-في-ذاته للوجود-لذاته، وهو العالم بشكل رمزي بالنّسبة إلى الوجود-لذاته. فذاك الّذي يبقى في بيته، على سبيل المثال ويعتني بحديقته فحديقته بالنّسبة إليه هي العالم. إنّه الحدّ الأقصى للعالم وفي نفس الوقت هو العالم بأكمله فيه. هكذ، يتّضح أنّ الرّابط البدائيّ للتّملّك هو الوجود-لذاته في العالم. لكن يبرز على خلفيّة العالم شيء مميّز متملَّك لحساب العالم. يضمن الآنيّة لأنّها ترى فيه وجودها كاستمراريّة، كوجود-في-ذاته. ما أملكه؛ هو أنا، كمكثّف، كوجود-في-ذاته. ولأنّه من الضّروريّ أن أحصل على ما أملكه، يقدم الوجود-في ذاته نفسه هنا كأحد أسباب الوجود-لذاته، بلغة أخرى فكلّ تملّك يفكّر باعتبار الوجود-في-ذاته صورة للوجود-لذاته كما لو أنّه سبب الذّات[389] يبقى أنّني أنا شخصيّا ليس عندي إحساس بالملكيّة. وهو ما سوف أحاول تحليله وكتابته غدا.

ما يعكسه هذا الدّفتر الحالي من شيء سيّئ (بداية من 20فيفري) هو حالة الانفعال والقلق الّتي أعيشها الآن، بسبب شيء يحدث بشكل سيّئ هنا، بباريس[390]. رغم أنّني بريء. هذا المساء (بعض الوقت في إراقة الخمر) تملّكني نوع من الحماس لفكرة الدّفاع عن قضيّة عادلة. فما أغراني هنا، هو فكرة الحركة. كم من مرّة تمّ القبض عليّ ملتبّسا من طرف ناس غامضين عن طيبة خاطر أو عن خمول وبذرت الكثير من بلاغاتي ومن أسبابي وكنت دائما أقنع الآخرين. أمّا اليوم فالقضيّة صعبة رغم أنّني لست متّهما. ثمّ إنّني متمسّك بفاندا كتمسّكي ببؤبؤ عينيّ. في هذه الحالة اليائسة، وأنا

---

389. أعاد سارتر صياغة هذه التحليل حول التملك في الوجود والعدم، الفصل الثاني من الجزء الرابع "أن نعمل أن نملك: التملك."

390. يتعلق الأمر باكتشاف فاندا لمغامرة قام بها سارتر: هو ليس متهما في حقها لأن المغامرة سابقة على علاقتهما غير إن "حكاية كوليت X" زعزعت لبعض الوقت علاقته بفاندا وبالكاستور أيضا (رسائل للكاستور بتواريخ 23و29 فيفري).

بعيد، هزمني أصدقاء خادعون، يجب أن أتكلّم الذّهب في مثل هذه الحالة وليس كما تعودت أن أكون لا مباليا. يثيرني هذا ويسخطني. إنّني تقريبا مبتهج لأنّي سوف أتولّى القيام بهذه الحركة وسوف أقول مثلما قال الامبراطور أثناء حملة فرنسا: أنقذ نابليون؛ يا بونابرت!

أراني فاندا الآن شبيها بتيس فاحش. يحدث لي نفس أثر الفضيحة حين أراني، أنا في عديد قصص الذين يعرفونه، اقصد جول رومان مثل قذر. ها أنا ذا أمامي، مثلما أمامه هو، نفس هذا الشّعور بالخطأ اللّامبرّر ولكن تمّ تجاوزه من كلّ ناحية بالحرّيّة. أصاب بالذّعر قليلا رغم أنّي أعلم أنّ مؤاخذتي غير عادلة، وأريد أن أغيّر.

السبت 24

منذ ثلاثة أيّام: ذوبان الجليد، الوحل، الثّلج المذاب. هذا الطّقس الرّخو، اللّطيف، الرّماديّ يطوف بك حول القلب. كنت ثملا بالأمس مساء حين كتبت الملاحظتين الأخيرتين. ليس لأنّي سكرت طوعا لكنّ بياتر الّذي سوف يغادر في رخصة، دفع ثمن ما احتسيناه، بعد ذلك مازلت أشعر بالظّمأ وشربت شوبين. باختصار، كنت منفعلا جدّا إلى درجة أنّ الكحول أثّرت فيّ كثيرا. كي تعطيني فكرة عنّي ليس إلاّ. ها أنا ذا هذا الصّباح جافّ وكئيب مع شيء في أعماقي أشعر أنّه على استعداد للتّحرّر، ولقد تحرّر بالفعل حوالي السّاعة الواحدة بعد الزّوال.

هناك شيء من الاستمرار والضّرورة لدى الجرائد وإشاعات الحرب. لقد كتبت في دفتري الأوّل هذا الشّعار لحرب 1914: الجيش الألمانيّ ممتص من طرف فرنسا. وها قد عثرت على نفس الشّعار في حرب 1870. قرأت في يوميات ضابط مرافق (هريسون صفحة 38[391]: لقد سمعنا أناسا بالغي الأهمّيّة، محترمين، أذكياء، يصرّحون بأنّ هزائمنا عند نهر الرّاين كانت مناسبة بشكل مّا، لأنّها سوف تجذب إلينا الجيوش البروسيّة، الّتي ستكون فرنسا قبرها.

يبدو لي أنّ سبب هذا الشّعار هو تقهقر روسيا، وربّما أيضا الصّعوبات الّتي

391. صدرت بباريس سنة 1885 عن منشورات بول أوليندورف.

اعترضت نابليون في إسبانيا.

لقد حاولت بالأمس توضيح أنّ شعور التّملّك هو بنية جوهريّة في الإنسان. وهذا، أيضا، بغضّ النّظر عن أيّ نظريّة سياسيّة، لأنّه من الممكن بعد ذلك أن يكون المرء اشتراكيّا أو شيوعيّا. لكن إن كان هذا صحيحا كيف يمكن تفسير أنّني أنا هذا الذي يكتب هذه السّطور، ليس لي شعور الملكيّة؟ ثمّ، أليس عندي هذا الشّعور؟

أسهل ما يمكن استنتاجه أنّني عند الآخرين فاقد للشّعور بالملكيّة. أولئك النّاهبون الّذين ذكرتهم في الدّفاتر السّابقة[392]، كان يمكن أن أكون واحدا منهم لو لم يكن في فعل النّهب شيء ما خسيس في عمقه وخارج كليا الصّفة المقدّسة للملكيّة. لقد أشرتُ في موضع آخر أنّني لا أجد أيّ حرج في فتح رسالة ليست لي. كم من مرّة تصفّحت أوراقا حميمة، تمّ إخفاؤها بعناية ووقعت بين يدي. ثمّ، إنّني عادة ما كنت أسرق أشياء وأنا صبيّ. ولسوف أسرق أيضا الآن إن كنت محتاجا. كنت بمحطّة الشّمال منذ ثلاث سنوات، ولم أكن أملك نقودا لاقتناء رواية بوليسيّة ولقد سرقت إحدى الرّوايات من كشك دونما أيّ تبكيت للضّمير. لا أتأخّر عن اقتراض النّقود وحين أعيد- دائما ما أريد ما اقترضه وفي الوقت المحدد-بسبب وعي الغير. ليس بسبب حقّه في الملكيّة. لا أريد أن يفكّر فيَّ الآخرون بأنّني مقترض غير شريف. لكن لا يعنيني في شيء لو كنت كذلك. إن علق أحدهم ثمنا على شيء ما، سوف أهتمّ لذلك. ولكن لأنّني أتمثّل بقوة الرّوحَ الحزينة لصديقي إن وجد ذلك الشّيء مكسورا. هنا أيضا أقصد الوعي وليس الملكيّة.

فيما يخصّني. صحيح أنّني لم أرغب أبدا في الكثير من المال. كان يلزمني أكثر قليلا ممّا عندي. وهذا لسبب بسيط فقط، هو أنّني أبذّر ما أكسبه. لا أعرف كيف أتصرّف لتوزيع ما أملك على مدار الشّهر. مهما كانت احتياجاتي، مهما كان المبلغ الذي كان متوفّرا عندي فإنّني ومنذ يوم 20 في الشّهر أشرع في الاقتراض. إن كانت هذه الحال قد بدأت تقرفني قبل الحرب، فإنّها كانت بالأحرى للسّبب الّذي أجدني فيه مكتئبا

392. تلميح للجنود الفرنسيين الذين نهبوا القرى الألزاسية التي تم تهجير سكانها.

أركض بين كلّ أصدقائي من أجل الظّفر بثمن فطور الغد وليس للاستحالة الّتي أجدني فيها أن يكون لي مالي الخاصّ. أن يكون في جيبي قطع نقديّة، أوراق نقديّة فهذا يبعث في داخلي نوعا من الثّقة. يجعلني معتبرا أمام نفسي. لكن وللحقيقة لا تدوم هذه المتعة طويلا، تختفي النّقود، ثم يقرفني أن تظلّ قابعة في جيبي. إنّني في حاجة أن أبذّر أموالي. لا؛ ليس لشراء شيء مّا ولكن لتفجير هذه الطّاقة الماليّة، لأتخلّص منها بشكل مّا وألقي بها بعيدا عنّي مثلما ألقي قنبلة يدويّة. هناك شيء من التّلف في النّقود أحبّه: أحبّ أن أراه ينساب خارج يديَّ ويتلاشى. لكن لا يجب أن يتمّ تعويضه بشيء صلب ومريح، حيث لا تزال الاستمراريّة أكثر التحاما من النّقود. عليها أن تختفي كألعاب ناريّة لا يمكن الإمساك بها. مثال ذلك؛ في أمسية مّا، الذهاب إلى بعض المراقص، التّبذير بكثافة، التّنقّل في تاكسي، الخ، الخ، باختصار؛ ألّا يبقى هناك مكان للنّقود إلّا بصفتها ذكرى. وفي بعض الأحيان أقلّ من ذكرى. عادة؛ حين أقبض جرايتي أكون قد بذرت الثّلث. لا أحسب أبدا، على الأقل في الأيّام الأولى. لا يجب على النّقود أن تكون شيئا مّا سوى استمراريّة حركاتي أن أبذّر كما أتنفّس، فالنّقود لا تمثّل سوى فاعليّة حركاتي. ثمّ ما هي إلّا بعض أيام لأجدني مرتعبا لأنّه لم يبق لي تقريبا الكثير، وأجدني أحسب بمشقّة من جديد. حين كنت صغيرا، اقتني غيي دفترا يسجل فيه بدقّة مصاريفه لكلّ يوم، وكان ينصحني بشدة أن أشتري لي واحدا مثله. لكنّني لم أستطع أن أفعل ذلك على الإطلاق. أعجبني غيي في طريقة حساباته، لكن بدا لي من السّيّئ والحقير أن أنحني للأمر. حيثما مررت أثير فضيحة بالطّريقة الّتي أبذّر بها نقودي – وهذا حتّى عند النّاس الأشدّ كرما. لم يكن غيي بخيلا قطّ، ورغم ذلك فقد رفع كتفيه وهو يراني أتصرّف بذلك الشّكل المبذّر؛ أمّا بوست الصّغير فلقد قال لي مئات المرّات في شكل عتاب مضحك: «أنت تدافع عن نفسك بشكل سيّئ».

الصّادم حقّا أنّني أبذّر مالي في لا شيء، لقد عرفت أناسا ممسوسين مثل ألبير موريل[393] يحوّلون أموالهم إلى آلاف الأشياء الصّغيرة ذات البريق الخادع،

---

393. ابن مدام موريل المسماة " تلك السيدة"والذي قدم له سارتر دروسا خصوصية حين كان في معهد المعلمين.

بوصلات، برامات فخمة، ميكانيكيات صغيرة مبتكرة. وأمثاله يريدون أن يمتلكوا، ويرون النّقود مجرّدة جدّا، يستندون بكلّ قواهم على هذه الأشياء التّافهة، لتهبهم الحماية والإحاطة العائليّة. وثمة آخرون من أمثال بول نيزان، ممّن يشترون لأنفسهم هدايا. فهو يغادر بشكل غريب ومستعجل ليقتني لنفسه زوج حذاء، محيطا الأمر بطابع احتفاليّ مهيب. علاقة بول نيزان مع أشيائه ساحرة، يجسّها بتفكّه وحنان، فهي حيوانات أليفة صغيرة وخدع جميلة للنّاس. يشعر بعاطفة فيّاضة تجاه مطاريّة اشتراها بشكل قانونيّ كما لو أنّه سرقها. أعرف أيضا كم أنّ التبضّع هو بمثابة مشروع نادر، شاقّ ومقدّس لآخرين من نوع كيللر مثلا. يفكّر في ذلك كثيرا بشكل مسبق، يحلم، يسترشد، يدخل محلّات متعدّدة ويخرج دون أن يقتني أيّ شيء. وإذا حدث أن اقتنى شيئا، فإنّه يتفحّصه بكثير من الصّرامة، وبشيء من الخشية، كما لو أنّه رفيق طارئ ومجهول، لا نعرف أخطاءه وفضائله. كم من مرّة رأيت كيللر يتفحّص باستنكار أحجار الولّاعة الّتي اقتناها من محلّ بيع التّبغ، مردّدا قبل الشّروع في استعمالها: ليست من النّوع الجيّد، كتلك الموجودة بباريس. الشّراء والتّملّك بالنّسبة إلى هؤلاء لحظات اتّفاق مريب ومشوب بالأخطار يجب إنهاؤها بسرعة مع بعض الأشياء، دون معرفة إلى أين سيفضي ذلك. وحدث ذات مرّة أنّ البيبه الّتي يملكها كيللر تكسّرت فخطّط لشراء واحدة أخرى، وبما أنّنا كنّا في مهمّة بفافنهوفن قرّر شراء واحدة جديدة، وقضى كامل اليوم يهرول بين محلّات بيع التّبغ بروح مجهدة. انتقلنا معا إلى مدينة هاغينو وقام بالشّيء نفسه. وفي نهاية المطاف قام بإصلاحات على البيبه القديمة فشدّها بأسلاك وهو يقول: عندي واحدة أخرى ببيتي سوف أطلب أن يرسلوها لي. وأعرف جيّدا أنّ هذا التّصرّف ينمُّ عن بخل شديد. لكن في الحقيقة ما معنى البخل؟ ليس فقط الخوف من نقصان المال بعد الشّراء. لقد أدركت أنّ كيللر يعاني شكلا من أشكال الذّعر من كلّ ما هو جديد، يهاب التّعامل معه، ولا يجد من نفسه الشّجاعة لمجابهة ما يثيره في أعماقها من قلق. وأمّا الأختان كوزاكيفتش[394]، فتحيطان نفسيهما بعالم دقيق وحيّ، يتذبذب بين السّيريالية النّاعمة وكون بسيط من الألعاب. آلاف السّاحرات، مجسّمات

394. أولغا وفاندا كوزاكيفتش.

لجنّيات صغيرات، لأقزام، لعفاريت تحيط بهما وتحميهما، ويرشح من خلالها عالمهما الحقيقيّ. تحقّق تولوز[395] ضربا من التّماهي مع أشيائها، فلا تجد حرجا أن تحاورها، وتؤنّبها، تعلّمها أو تتعلّم منها. لكن لا عالم الجنّيات الذي تمتلكه الأختان كوزاكيفتش، ولا هذه الأشياء القروسطيّة التي تتحاور معها تولوز هي مشتراة. فثمنها هبة. وربّما هذا هو الشّكل الأكثر بدائيّة والأشدّ قداسة للملكيّة: كلّ هذه الأشياء هي ملكية معطاة. فالأختان كوزاكيفتش ليستا مبذّرتين بالمعنى الحقيقيّ للكلمة. فهما تجهلان بشكل كلّيّ وجود النّقود، وهو ما لا يمنعهما أن تكونا مالكتين شرستين.

إنّي أرى ولادة الرّفاهية في كلّ طرق التّملّك هذه، فالرّفاهية لا تكمن إطلاقا في أعداد الأشياء المملوكة، وأنواعها، بل في علاقة أعمق بكثير، علاقة مكتومة ويونيويّة بين المالك والشّيء المملوك: لا يجب أن يكون ذلك الشّيء الأكثر ندرة من بين الموجودات، بل يجب أن يكون قد وُلد عند المالك وقدم إلى هذا الوجود من أجله خصّيصا. ليس المال هو ما يوفّر الرّفاهية. ومن جهتي؛ فأنا عكس المترفّهين، لأنّني لا أرغب في تملّك أيّ شيء، لا أعرف ماذا سوف أفعل به. ومن المؤكّد، أنّني بهذا التّصرّف ابن زمني، فالمال عندي قوّة مجرّدة وهاربة، أستمتع بتلاشيها في الدّخان المتصاعد، وأضطرب أمام ما أحصل عليه من أشياء. لم يحدث أبدا، أن ملكت شيئا لي في الحياة المدنيّة، لا أثاثا، لا كتبا ولا تحفا. سأكون بلا ريب شديد التّضايق في شقّة، وستتحوّل في وقت قياسيّ إلى زريبة. خلال عقد من الزّمان، لم أملك غير البيبه، وهذا القلم، ثمّ إنّني كثيرا ما أهملهما، فارتباطي بهما آنيّ، يشاركانني العيش في منفى وفي أجواء رسميّة معتّمة، هي أبعد ما تكون عمّا كان يسبحان فيه من نور بارد، في الواجهات الأنيقة لمحلّات البيع. قد يدوم استمتاعي ببيبه جديد، ليومين، لأجدني بعد ذلك غير مبال بوجودها، وإنّه لينتابني الكثير من الضّيق والقلق إذا قدّمت لي هديّة، أيّا كانت قيمتها، حتّى أنّني لا أحسن تقبّلها، فأفعل ذلك ممتعضا، وإنّي لأهتزّ أحيانا أكثر من الآخرين للاهتمام الّذي ألقاه (لدرجة أنّني لم أعد أتلقّى هدايا. إذ

395. كنية سيمون جوليفي الصفحة270 التدوينة1.

غالبا ما يشعر النّاس أنّهم أخطؤوا العنوان. بإمكانهم أن يبقوا معي ماشاؤوا، لا يعطونني أيّ شيء. ولا يلتقطون صورا لي). لكن، هو الانتباه الفوريّ، كما يرتسم على الوجه الحنون، هو ما يذهلني. أشكر ذلك كثيرا، لأنّني أملك وعيا سيّئا. أعرف أنّني لا يجب أن أشعر باللّطف الّذي يغمرني به وجه مّا، وهو ما أشعر به تجاه شيء مّا أيضا. إنّها لمتعة أن تهب شيئا ما لفاندا، الّتي لم تتعوّد أن تشكر أبدا. فلقد تمّ تسجيل تلك الهبة ضمن الأشياء المعطاة. بالكاد تفكّر في الشّخص الذي أعطاها، لكنّ ذلك الشّيء المعطى يصبح فجأة شيئا ثمينا جدّا. بالنّسبة إليّ لست أرى غير شيء للاستعمال أو للتّرفيه سوف يؤول كغيره إلى الضّياع، أو التّلف. ليس عن سوء استعمال أو تلهية بل لغياب ذلك الرّابط الحسّيّ الملموس الّذي يجعل منه كما قلت بالأمس فرعونا مدفونا صحبة القدح الّذي كان يشرب فيه، والذي هو ملكه. ما عاد أحد يفكّر أن يقدّم لي هديّة بل لن يسعى أحد إن متّ لدفن ما أملكه معي. سوف ينثره ورثتي، إن كان لي ورثة، في جميع الجهات، نافرين من الطّابع الجليديّ للأشياء، الّذي سوف يكون الذّكرى الوحيدة لتجارتهم معي. في وقت مّا، أحببت القمصان، الملابس الحريريّة، البدلات الأنيقة–حب بئيس جدّا، لأنّني لم أكن أملك المال الكافي لاقتنائها. لم يكن ذلك من أجل أن أملكها. كان فقط من أجل أن أكون مرتاحا معي ولكي أُعْجَب بنفسي. ثمّ، غاب هذا الولع بالملابس بسرعة. لقد تعوّدت بالقمصان العاديّة جدّا، وألبس بدلاتي لوقت طويل لا أغيّرها. ومؤخّرا صرت أكتفي ببدلة واحدة على طول السّنة، ألبسها في كلّ مناسبة. وشيئا فشيئا بدأت أهمل تأنّقي –الذي كنت حريصا عليه كثيرا من قبل–. القمصان الجميلة، ذلك الشّخص القصير المتأنّق جدّا في هندامه، كان هذا في زمن المساعد الكورسيكي. حين يتدخّل النّرويجيّ الأشقر الضّخم، أحوّل وجهتي نحو الأسمال، تلك الثّياب الرّثّة الّتي تحتفظ بشيء من اللّياقة. يبقى أنّني كنت أريد اقتناء بدلتين جاهزتين خلال سنة واحدة، وهو ما جعلني أحافظ على نظافتي. أفضّل أن أجعل لي بدلة واحدة بإحدى دور الملابس الجاهزة؛ من النّوع الّذي تزول لمعته بسرعة. لعله يمكن تبيُّن مبدأ غامض للملكيّة هنا وكما لو أنّه نداء مثير وغير محسوس للرّفاهية.

رغم أنّه؛ إن لم أمتلك أيّ شيء بجهدي الخاصّ، إن لم أحترم ممتلكات الآخرين، رغم كلّ هذا، عندي رابط غير مباشر وقويّ مع الملكيّة: عندي الميل لجعل الآخرين يملكون. عادة ما أعطي شؤوني الخاصّة، أحيانا بشيء من النّزقية؛ حين أرى أشياء جميلة في واجهة لعرض البضائع، أحدّق فيها بطمع، كما لو أنّني أريد أن آخذها لي. لكنّه في الواقع طمع من أجل الغير. أقول لنفسي وأنا أتفرّسها: ماأجملها لو كنت فقط أملك بعض المال، لوهبتها لفلانة أولفلان. طبعا؛ يتعلّق الأمر هنا بميل امبريالي للتّأثير على الغير، لإرباك وعي النّاس، لحثّهم، بشكل أو بآخر أن يتذكّرونني، لأتسلّل خفية في دواخلهم مثل شظيّة. يأخذني هذا لتّصور علاقاتي مع النّاس ولسوف أفعل ذلك قريبا لأنّه- في هذه الفترة بالخصوص- جرح حيّ[396]. لكن ها هنا شيء آخر أعمق: بداخلي ندم عظيم أنّني لم أعرف كيف أملك، وأنّني وأنا أعطي، وأنا أحلم أن أعطي، أفوّض الآخرين على إراداتي، أنا أملك على الطّريقة الوحيدة المتاحة لي: بالحصول على الشّيء، حين أعطي شيئا مّا لفاندا، حين أراها تحيط هديّتي لها بكلّ أشكال العناية – وليست عناية موجّهة لذلك الشّيء لأنّني أعطيته إيّاها بل لجماله- شبيهة بقاطع الطّرق العنّين في الملاذ [الرّواية السّادسة للكاتب الأمريكيّ وليام فولكنر صدرت سنة 1931] يجبر شخصا آخر ليضاجع امرأته الّتي يرغب فيها[397]. أشعر شيئا مّا بتلك البهجة المقطّبة والمنعزلة للنّاظر. أتلذّذ كثيرا، فمن خلالي أنا تمتلك فاندا ذلك الشّيء؛ أنا الّذي خلقت علاقة الملكيّة هذه. أتوقّف على حافّة التّملّك وأراه من بعيد، أتلذّذ بذلك من خلال النّظر لأنّني أنا الّذي ابتكرته. فهي علاقة تربطني بالشّيء. وفي المقابل فأنا لا أعرف كيف أتكيّف مع داخل ما غير أنّني أحبّ داخل الغير. هناك شقّتان كان لهما سحرهما الخاصّ، وجاذبيّتهما الآسرة، تمنّيت الإقامة فيهما: شقّة مدام موريل، شارع فافين، وشقّة تولوز بمونمارتر. أتلذّذ بهما لأنّي أشعر أنّهما متملّكتان، ولكم أعشق جوّ التّملّك هذا، أريد أن أحيا فيه. أحبّ أن تكون ممتلكات

---

396. سوف يفعل ذلك يوم 27فيفري، لكن سوف يرسل رسالة للكاستور بتاريخ 24فيفري يكتب فيها ما يلي "لا أعرف كيف أحب الناس جيدا".

397. المقصود ب بوباي في رواية فولكنر الصادرة بباريس عن غاليمار سنة1933.

أصدقائي على وجه الخصوص تحت تصرّفي بمقدار مّا. غير أنّني في الحقيقة أملُّ منها بسرعة وما أُفضِّله- أو على الأقلّ ما لا يجعلني أملُّ أبدا-، أن أجلس على كراس ليست على ملك أحد- أو هي ملك للجميع، إن شئنا- حول طاولات هي ليست على ملك أحد. لهذا السّبب أحبّ الاشتغال في المقاهي، حيث أبلغ شكلا من أشكال العزلة والتّجرّد. لكن يلذّ لي، من وقت لآخر أن أغوص في ذلك الدّفء المضيء، الّذي ليس لي، أن يصبح ملكي للحظة. فليس هناك من شكّ أن لا أحد بإمكانه التّكيّف أفضل منّي مع شراكة في التّملّك، لأنّني لن أخسر منه سوى متعة العطاء- بل ويمكنني أن أعطي بآلاف الطّرق الأخرى.

لتفسير هذا السّلوك من خلال التّاريخ والتّكوين الشّخصيّ، يبدو لي أنّ هذا الغياب الكلّيّ لرغبة التّملّك عندي مردّه بالأساس؛ أنّني من وسط كلّه موظّفون. المال الّذي يتدفّق كلّ شهر في المنزل، وما يرافق ذلك من رتابة المدّ الحيضيّ، في حلّ من الارتباط المباشر بطبيعة العمل الّذي يوفّره. فجدّي مثلا لم يتلقّ أيّ زيادة في الأجر تعادل المجهود الّذي وفّره لتطوير عمله. بل إنّه يحرص على شرفه المهنيّ أوّلا وقبل كلّ شيء إلى درجة أنّه يدرّس على الطّريقة الكهنوتيّة وهو ما يجعله ينسى علاقة هذا العمل بمقابله الماليّ. ولكم يبدو مندهشا وساذجا وهو يستلم كلّ شهر الأوراق النّقديّة من البنك مثل الرّجال البدائيّين لجزيرة الكورال [جزر بحر المرجان شمال شرق أستراليا] وهم يقفون مندهشين أمام نسائهم الحبليات يردّون انتفاخ بطونهنّ لكلّ شيء، عدا أنّها من إنجازاتهم الشّخصيّة. بتقادم الأيّام صار جدّي بخيلا، بفعل عَتَه شيخوخيّ، متنقّلا لزمن طويل وقد امتلأت جيوبه بقطع ذهبيّة، دونما تقدير منه لكمّيّة الذّهب الّتي يحملها. ولقد تعوّدت جدّتي أن تختلس من سترته قطعا دون أن يثير ذلك انتباهه. ولأنّني صرت جامعيّا مثله لم أشعر يوما بالحاجة لكسب المال. فلقد بدت لي مهنتي ضرورة اجتماعيّة مجّانية، ممتعة أحيانا، وغالبا ما تكون مضجرة، لكن لا علاقة لها إطلاقا بالمال الّذي أستلمه آخر الشّهر. لقد اتّخذ هذا المال عندي دائما طابع الاعتباطيّة. لا أشعر أنّه من حقّي. ولأنه خفيف عندي، أبذّره في اتّجاه كلّ الرّياح دونما انشغال، واثقا من أنّ المعجزة سوف تتكرّر آخر الشّهر. لست أشعر بلذّة كبيرة

ولا ينتابني هلع شديد بخصوص هذا الأمر. لا يهمّني. فهو مثل الهواء الّذي أتنفّسه والماء الّذي أشربه. هنا، أيضا تنقصني جذور. لا شيء يُجذِّر أكثر من وضعيّة مالية مريرة وصعبة. لم أر أبدا في طفولتي شخصا يجهد نفسه بشدّة ويعاني من ذعر مهول لكسب فلس واحد: كانت النّقود تمطر من السّماء مثل غلال طازجة، ولكنّها لم تكن تمطر الذّهب إلّا قليلا. أتذكّر ديلاري المتدرّب الّذي كان تلميذا في فنّ التّمثيل يتابع دروسه عند ديلان، يقول وهو يستفزّ تلامذتي-مصعِّدا في وتيرة كلامه، مشيحا ببصره عنهم، محمرّ الوجه غاضبا تماما، وهو يصيح فيهم: تسخرون من أولئك المتوحّشين لأنّهم يعتقدون أنّهم بطرقهم على الطام-الطام سوف يجعلون المطر ينزل. ولكن ما الّذي تفعلونه أنتم؟ تديرون المفتاح الكهربائيّ، وهي حركة ملحّة وسحريّة تجهلون معناها - وتنتظرون مثل متوحّش أن يتدفّق الضّوء. من منكم فكّر في الجهد البشريّ الّذي توجّب ذلك لجلب التّيّار الكهربائيّ في الأسلاك؟ أي نعم؛ ففيما يخصّ النّقود أنا مثل المتوحّشين بالضّبط. تبدو لي الحركة الّتي أضع من خلالها الورقة النّقديّة على الطّاولة شعائريّة وسحريّة، احتفاليّة، لا أفكّر أبدا ما الّذي تمثّله تلك الورقة النّقديّة. من المؤكّد؛ أنّ كيللر حينما يشتري، يكون مدفوعا بإحساس مقايضة عمله بالشّيء الّذي يشتريه. أنا لا: أقوم بسلسلة الحركات الضّروريّة ليولد الشّيء. فقط. أنتسب لعائلة لم تملك أبدا أثاثا؛ عندما كان عمري عشرين سنة، ورثت شيئا مّا بدّدته بسرعة وحسنا فعلت. عدا ذلك الظّرف الوحيد الاستثنائيّ، لا أحد يملك شيئا مّا، لا أرض ولا ممتلكات. من الشقّة الّتي استأجرها جدِّي، إلى تلك الّتي استأجرها زوج أمّي، إلى غرفة النّزل الّتي أقمت فيها، إلى ذلك المنزل الرّيفيّ الأبعد قليلا والممتلك شرعيّا كميرات، إلى شقة مستأجرة مجدّدا. ورغم أنّ زوج أمّي ما فتئ يؤاخذني على إقامتي الدّائمة بالنّزل، فإنّني أذهب وفق المبدأ الأوّل للعائلة: لا ممتلكات، لا أنتظر أيّ ميراث ولن أترك خلفي أيّ إرث، لن أمتلك الغرفة الّتي أقيم فيها. لقد حدث التّحوّل الكبير قبل ولادتي بسنوات طويلة، حين انتقل أجدادي لأبي وكانوا ريفيين ألزاسيّين، من الحقول إلى المدينة، عندما اشتغل والد جدّي مدرّسا. وما كان عليَّ سوى مضاعفة هذا التّوجّه. ولست بوهيميّا - ربّما كنت سوف أكون كذلك سنة

1848، غير أنّني لا أفعل أيّ شيء سوى الاقتراب أكثر من هذه البورجوازيّة الأمريكيّة الصّغيرة، حيث السّكن واسطة بين ضفّتنا وغرفة النزل. وبهذا المعنى، ولأنّني من سلالة فلّاحين، حفيد موظّفين، فأنا أيضا موظّف مشارك بشكل متقدّم. أمّا فيما يخصّ الملكيّة فإنّني أتفهّم ذلك، لأنّ الشّراكة المادّيّة لها فاعليّة ترسيخ الفردانيّة عندي، والرّغبة في الحرّيّة.

هذا التّفسير يظلّ قاصرا وغير كاف، فهناك الكثير من الموظّفين، أبناء موظّفين، لديهم الرّغبة في أن يكونوا في بيوتهم، الرّغبة في التّملّك. بل إنّها القاعدة. هل يحبّون على الأقلّ امتلاك الكتب. ومن المؤكّد أنّه بإمكانهم تفسير هذا قبل ذلك وينبري كلّ واحد ليقول، إنّه تكوّن عند شخص عقلانيّ موضوعيّ ربّانيّ على معنى موضوعيّة الأفكار. لأنّه ما إن أعرف فكرة لباسكال، تبرز بالنّسبة إليّ كما تبرز لباسكال أو لجاري، أو بالأحرى لأنّها تبدو لي ملكيّة جماعيّة، لهذا السّبب لا أريد أن أمتلك في مكتبتي باسكال مغتمّا. هناك علاقات أخرى للنّاس بالكتب أكثر حميميّة. فسوف تبدو لهم هذه الكتب مسكونة بعد، فيداعبونها، يعتقدون أنّها تحتوي على سرّ لا ينتهي، لابدّ من أن يمتلكوها في بيوتهم، خشية أن يفلت هذا السّرّ، ورقها، تنضيدها، أسلوبها وأفكارها وهو ما يشكّل كلّا. لكن بالنّسبة إليّ كلّ فكتاب مقروء هو كتاب جثّة. ولا بدّ أن ألقي به بعيدا عنّي. وإن أردت تذكّر بعض الفقرات منه، لن أتأخر عن العودة لقراءته في مكتبة عمومية. حقّقت في الهافر الحدّ الأقصى من الشّراكة، أنام في النزل، أقسّم قضاء أيامي بين مقهى غيوم تال والمكتبة العموميّة. أحبّ المكتبات ولا يعنيني إطلاقا ألا يكون الكتاب ملكي، وقد تصفّحه آخرون قبلي، وسوف يتصفّحه الآلاف من القرّاء بعدي. بالعكس يتراءى لي أنّ هذه هي طبيعة الكتاب الحقيقيّة.

لكن لإدراك التّفسير الحقيقيّ لهذا التّصرّف، فلا بدّ من العودة رغم كلّ شيء إلى هذا الوجود-في-العالم، الّذي يتجاوز بالنّسبة إليّ كما هو بالنسبة إلى أيّ شخص، موقفه التّاريخيّ من العزلة.

لا أرغب في أن أملك على الإطلاق. بسبب كبرياء ميتافيزيقيّة. أكتفي بي في العزلة

المعظّمة للوجود-لذاته. لا أجد أيّ رفاهية في هذه البدائل الموصوفة لي. لا أجد راحتي إلّا في الحرّيّة، مفلتا من الأشياء، مفلتا منّي، لا أجد راحتي إلّا في العدم، فأنا عدم حقيقيّ ثمل بكبريائي وشفّاف. غير أنّ كلّ هذا لن يحلَّ المسألة الميتافيزيقيّة. لأنّه سواء كنت متكبّرا أم لا، فأنا نقصان وينقصني بالضّبط عالم. فهل هو إذن ذاك العالم الّذي أريد أن أملكه. لكن دونما بديل رمزيّ. هذه هي أيضا قضيّة كبرياء: لن أقبل أبدا بامتلاك عالم في شخص ذلك الشّيء أو ما يشابهه. أنا هذا الفرد في مواجهة شموليّة العالم وأريد أن أمتلك هذه الشّموليّة، تملّكا من نوع خاصّ، بما هي معرفة. طموحي أن أعرِّفني بهذا العالم وحدي، ليس في تفاصيله (علوم) ولكن باعتباره شموليّة (ميتافيزيقيّة). وللمعرفة بالنّسبة إليّ معنى سحريّ للتملّك. أن نعرف، أي أن نتملّك، مثل البدائيّ بالضّبط، معرفة الاسم السّرّي لشخص مّا يعني امتلاكه وتحويله إلى عبد. يتمثّل هذا التّملّك بالأساس في أسر معنى العالم من خلال الكلمات. لكن تكفي الميتافيزيقيا فقط للقيام بهذا، لا بدّ من الفنّ، لأنّ الجملة الّتي تأسر لا تكفيني إن لم تكن في حدّ ذاتها شيئا، أي إذا تجلّى فيها معنى العالم ليس من خلال عريه التّصوّريّ، المفاهيميّ لكن من خلال مادّة. لا بدّ من أسر العالم عند مستوى الشّيء الأسير الّذي هو الجملة الجمالية، شيء ابتكرته أنا من خلال ذاتي وحدها. فوق ذلك فإنّ رغبتي في تملّك الأشياء مقنعة ومكبوحة برغبة أكثر تعقيدا يتطلّب وصفها لذاتها وحدها، رغبتي في تملّك الغير. ومن المؤكّد أنّ التّملّك هنا هو من نوع آخر مختلّ تماما، لكن يبدو لي بشكل جازم أنّه لا يمكننا أن نحصل على الرّغبتين معا، رغبة تملّك الأشياء ورغبة تملّك النّاس. هكذا يظهر العالم بالنسبة إليّ خلافا للكثيرين أكثر عريا وأشدّ تماثلا. فليس له فجوات الظّلال الدّافئة هذه والملاجئ اللّطيفة الّتي هي الأشياء المتملَّكة. بمعنى أنّني متروك أكثر في مواجهته وأشدّ عزلة. وفي معنى آخر أنّني منافس بكبرياء. هكذا يتضح أنّ الميتافيزيقيا هي رغبة في التّملّك.

الأحد 25 فيفري

العبارة الشّهيرة لدالاديه ولا أربنت [وحدة قياس فلاحي فرنسية قديمة بين 3500متر مربع و5000مبر نربع هناك من يترجمها بفدان] واحد الّتي عرفت وقتها

شهرة واسعة. في 1939 [398]، تذكّر في غضب بتصريح آخر ليس أقلّ شهرة لجول فافر في منشور 1870: ولا بوصة واحدة من أراضينا، ولا حجرة واحدة من حصوننا.

دوّنت الثّروة المباغتة لهانتزيغر. الّتي صار من خلالها لطيفا. بالأمس قال وهو يخفض عينيه لأحدهم، حين نصحه أن يقوم بمغازلات: «أووه، لا ياصاحبي، لم يبق لي سوى أن أتزوّج لكن يجب أن أقول، تهمّني في هذه الحقيقة، آنه ادَّعي أنّ الأموال الّتي حصل عليها إنّما أعطاها له رئيسه في الشّغل خلال مروره بباريس وهي عبارة على أجرة شهر عمل». أحتمل وقوع ذلك، غير أنّني لن أصدّق ذلك إطلاقا. لماذا قد يعطيه رئيسه في الشّغل مبلغا ماليّا بهذا القدر فجأة بعد ستّة أشهر من الحرب؟ هل مازال دائما متحفّظا مع نفسه. سوف تتمّ ترقيته قريبا إلى رتبة عريف وهو ما قد يجعله يرفض الأشغال الشّاقة: الكنس، جلب الحساء. لكنّ كلاين يعامله بقسوة؛ فبالأمس قال له: «إن لم تأت بالحساء فلن تأكل معنا. وأصرَّ هانتزيغر على موقفه، فعند منتصف قدم لتناول وجبة الغداء في المطبخ وفي اللّيل تناول مصبّرات كوجبة عشاء». لكنّ كلاين عنيد وسوف ينال منه بالجوع. كلاين شخص صلب. لقد فقد زوجته منذ ثلاثة أسابيع ولا شيء يخونه في موقفه. فإمّا أنّه غير معنيّ بأيّ شيء أو هو سيّد نفسه بشكل فظّ. غير أنّني أعتقد أنّه لا يعطي قيمة لأيّ شيء.

استملت اليوم قصائد لشابّ اسمه ألن بورن [399] لقد قرأتها وأعترف أنّي لم أفهم

---

398. "أقول وأشدد على ما أقوله إننا لن نسلم ولا أربنت واحد من أراضينا، ولا أي حق من حقوقنا" خطبة موجزة أذيعت يوم 29 مارس1939.

399. يتعلق الأمر بكُتيِّب عنوانه ندبات حلم نشرته دار فزيه دي ليلو 1939 تقديم هنري لامبار. ألن بورن (1915-1962) حين بلغ الخامس والعشرين من عمره كتب في عدة مجلات شعرية منها يوات كاسكي لصاحبها بيار سيغرس. القصيدة الأولى للكتيب التي استلمها سارتر عنوانها "قراءة" تبدأ بهذا الشكل:

يجب على القصيدة أن تنبثق من الصّمت

بيضاء مثل عروس سريّة وشاحبة

وكلّ واحد يعتقد أنّها عذراء(...).

أيّ شيء. وقد دفعني الضّيق، ومزاجي السّيّئ هذه الأيّام، أن أكتب قصيدة، هذا نصّها:

متحلِّل صرير النّور تحت الاشجار الميّتة

إلى ماء آلاف أنوار الماء الّتي تخفي أسماءها

متحلِّل الملح الصّافي للشّتاء، يداي تجفّفتا.

أنشِّف بين المنازل المشتاقة النّاعمة الوفيرة للهواء

والسماء حديقة نباتيّة تتنفّس النبتة العائدة.

عند شبابيك أسواق الخضار الكبرى المقفرة

رأت أشباح مغبرة الصمَّغ الأسود البطيء ينساب عبر الشّوارع

متحلّلة إبر البهجة البيضاء في قلبي،

أشتمُّ قلبي السّمك.

أيّها الرّبيع الجليل الّذي يهلُّ

لا تؤذني

لقد كان قلبي قاسيا جدّا أثناء تعبه

وها قد خارت عزيمته من الرّبيع.

أيّها الرّبيع الّذي يبدأ من قلبي

هل يمكنك أن تحترق مثل شعلة

فتلمس حَجرة الصّيف الحارقة.

وتجفّف الأعشاب الطّريّة.

نفس محترق انزلقت تحت الحجرة

والبراعم تشتعل، محترقة بالرّيح

نفس جليديّ على الثّلج

انزلقت، قاسيا وشفّافا

وكان العالم من رخام وكنت الرّيح

لكن هاهو منفى الرّبيع يعود

أشتغل هذه الأيّام صباحا ومساء، في أوتيل دو سولاي، مقهى كبير بارد، يحملني على التّفكير دون أن أشعر، في القرن الثّامن عشر يسوعي. لكن مؤخّرا أصبحت الأوامر أكثر صرامة منذ عودة الجنرال من رخصته، لهذا قام شرطيّ عسكريّ بطردي من المقهى. صعدت إلى الطّابق الأوّل لقاعة كبيرة كانت قاعة سينما زمن السّلم، وقد هيّأها جيش الخلاص لتصبح مبيتا للجنود. مازال الجدار الخلفيّ مغطّى بشاشة للعرض والقاعة الطّويلة مظلمة جدّا، تحتوي على عشرات الطّاولات وحشودا من الكراسيّ وطاولة بينغ بونغ، وطاولة بيلياردو روسي، منفصلة عن بقية الأثاث بأناقة ورعة. أسمطة بمربعات غطّت الطّاولات وأزهار في أصص. تمتلئ هذه القاعة في ساعات الازدحام بما يقارب خمسين جنديّا، يلعبون يقرؤون يكتبون أيضا في صمت؛ تعبّر تقاسيم وجوههم عن ذلك الخضوع المطفأ للذّكور وهم يذهبون إلى القدّاس. عجوز قصيرة القامة بخدّي البايك فيخ[400] بهيئة خشنة، تعرج بمشيتها بين الطّاولات. يشيع المكان كما لو أنّه نادي إنجليزيّ، مابين المسنّين والمكتبة العموميّة. تنبعث من جهاز راديو موسيقى خافتة. كنت شبه سعيد أنّني في هذا المكان، مبتهجا، إلى حدّ مّا، وقد قرّرت أن أدأب على ارتياده، صباحا، مساء، فليس لي من منفى غيره.

أعيد قراءة قصيدتي الّتي كتبتها منذ حين، وأشعر بخجل شديد، ليس فقط لأنّها سيّئة ولكن لأنّها قصيدة، فهي بالنّسبة إليّ صورة بذيئة، أن أكون قد خاطبت الرّبيع بصيغة المفرد. لقد كانت كرها، غير أنّني فعلتها. يبدو لي أنّه لجعل كلّ هذه القصيدة معقولة يجب محو كلّ ما فيها وكتابتها بهذا الشّكل:

---

400. وهي الفتاة المراهقة بالألمانية.

متحلّل صرير النّور تحت الأشجار الميّتة

إلى ماء آلاف أنوار الماء الّتي تخفي أسماءها

متحلّل الملح الصافي للشّتاء، يداي تجففان.

أنشّف بين يدي المشاقة الوفيرة للسّماء

متحللة إبر البهجة البيضاء في قلبي.

هذا كل شيء. الباقي لرميه في السّلّة.



الاثنين 26 فيفري

أعدت قراءة السّتّين صفحة الأولى ل دير بارما بسحر عميق. لا شيء يضاهي الطّبيعي، الجاذبيّة السّاحرة، حيوية التّخييل عند ستاندال. هذا الشّعور بالإعجاب النّادر أحسسته بامتلاء، ياله من فنّ بديع للرّواية، يا لها من وحدة في الحركة.

الثّلاثاء 27فيفري

عاد بول، في مزاج حسن، شديد الابتهاج، وقد دفعني الأمر إلى الاستغراب، فقد ذهب في اعتقادي أنّه سيعود من رخصته منكسر الخاطر، جزعا. ارتسمت على شفتيه ابتسامة، كان يحاول إخفاءها، ولفرط ما بدا عليه الفرح، ذهب بي الظّنّ إلى أنّ بول، قد احتسى قدحا، أو ما شاكله صبيحة هذا اليوم، في ديتفيللر. أخبرني حين ألححت، أنّه قد قرأ كتاب طفولة قائد، وجعل صديقين له يفعلان الأمر نفسه، وقد استدركا قائلين لي: ولكنّ صاحبك هذا معاد للسّامية. وتوجّب أن أقول؛ نعم؛ فأنا لا أعرفه.

الحياة هنا هي نفسها دائما. دون جاذبيّة، ولاشيء فيها كثيف. نتسكّع. ما يحدث لي يأتيني من هناك، من باريس ولا أستطيع أن أتحدّث عنه هنا. أحسست منذ الأمس أنّ الحاضر يتشكّل من حولي مثل جِلد. صنعت ثقبي كما يقول ميستلر. وهو ما يعني أنّ الأشياء اتّخذت لها هيئة؛ ففي داخلي هناك انتظارات صغيرة محدّدة بالسّاعات القادمة، تحيط بي حياتي هنا كما لو أنّها ضباب كثيف وتمنعني عبثا من أن أمتدّ في اتّجاه الغيابات

الباعثة على الحيرة أو الأيّام القادمة المتباعدة. وُلدت بداخلي نعومة كئيبة للحياة، أتّخذ حذري من التّدخين بشراهة، من الإدمان على القهوة، من جوّ المبيت. والمشكل متعلّق أساسا بالمشاعر (شجن، بهجة، لامبالاة) وبدرجات مختلفة من تكثّف الحاضر. يصبح الحاضر في أغلب حالات الأسى رقيقا وشفّافا جدّا إلى درجة أنّ البصر ينفذ عبره. لم يعد هناك سوى حاجز زجاجيّ يفصلني عن المستقبل ولا يمكن كسره؛ فهو مضاء بنور نظريّ، نور ورشة، بلا ظلّ، نشعر أنّنا غير مرتاحين فيه كما لو كنّا في قاعة مقفرة.

في كلّ استبداد للمشاعر، ثمة نوع من اللّا أصالة لا أعرفه. هي محاولة للإفلات من العزلة. لكن وجب فهم المقصود من وراء ذلك. لقد صُدمت هذا الصّباح بهذا التّطلّب الكونيّ: إرادة أن تكون محبوبا. ليس بديهيّا حين تحبّ أن تكون محبوبا من النّظرة الأولى. خاصّة وفق مبادئ علم النّفس المعتمدة الآن. إن قبلنا بهذه المبادئ، وإن كان الإنسان وجودا كاملا، توجّب عليه أن يرغب في الشّيء الّذي يحبّه، أن يكون تحت تصرّفه ليلا ونهارا، أن يقرأ خضوعه الكلّيّ في نظرته العبديّة وفي ابتساماته. لكن ما حاجته للذّهاب إلى أبعد من هذا؟ عادة ما تحضر هذه الحال بكثافة حين لا نكتفي بخضوع مثل هذا، ونعرف جيّدا أنّه غير كاف على الإطلاق، فهي لا تزيد سوى مضاعفة فظاظة هذا الطّلب، الّذي يذهب أبعد من مجرّد الإخضاع المطلق، نحو ما يفلت من الاستعباد ذاته، نحو هذا الوعي الحرّ الّذي نريده وهو الحبّ. أفهم جيّدا، أنّه بالنّسبة إلى مالك مّا، فإنّ حبّ كائن حيّ بما هو ملكيته، يُبسّط أشياء عديدة. رغم أنّي أرى أنّ من يريد السّلطة المطلقة يسخر من الحبّ: يرضى بالخوف. لم يبحث الملوك والديكتاتوريّون عن الحبّ أبدا عند أقاربهم إلّا عن طريق السّياسة -ولو وجدوا وسيلة أخرى أقلّ اقتصاديّة لاستعبادهم ما كانوا ليتأخّروا عن استعمالها. لكن، بالعكس يمكن أن يؤدّي استعباد كلّيّ للمحبوب إلى قتل الحبّ عند من يحبّ. أن تكون محبوبا، فذلك مدعاة للاطمئنان والحزن أفضل من أن تحبّ. تظهر حقائق هذه المشاعر المشتركة جيّدا أنّ العاشق لا يحلم أبدا بالاستعباد الكلّيّ للمعشوق. لا يحتمل أن يكون موضوع شغف فائض وآليّ. ما يريد أن يكونه هو، رأس الإبرة، توازن غير مثبت بين الشّغف والحريّة. هو يريد قبل كلّ شيء أن تتحدّد الحريّة بنفسها وتصبح

حبّا وليس فقط عند بداية المغامرة، بل في كلّ لحظة. ليس ثمة من شيء أثمن عند العاشق ممّا أسمّيه الاكتفاء الذّاتي للحبّ عند المحبوب. بالنّسبة إليّ؛ لقد قرأت دائما بقرف خفيّ حكاية شراب المحبّة هذه عند فاغنار أو بيدييه. إن كان تريستان وايسولت مجنونيْن بشراب محبّة مّا، فهما لا يعنيان في شيء من العالم؛ فحبّهما ليس أكثر من مرض، من تسمّم في الدّم. وأتذكّر أنّني كنت أقرأ ببرودة تامّة الفقرات الكثيرة من هذه الحكاية، وقد فضّلت أن يمنحونني مضاجعة دمية بأبعاد بشرية، لأنّني لم أستطع نسيان أصل هذا الحبّ. فيما يتعلّق بي؛ لو اقترحوا عليَّ أن أتعلّق بشغف بأجمل امرأة في العالم عبر رقية سحريّة. لا شيء عندي أثمن من حرّية من أحبّ. سوف يقولون؛ نوع غريب من التّسلّط. نعم، ذلك أنّ هذه الحريّة ثمينة جدّا عندي بشرط أن لا يتمّ احترامها كلّيّا. وهو ما لا يعني إلغاءها، بل اغتصابها. لكن هل تظلّ الحرّيّة حريّة إن تمّ اغتصابها؟ وهل تبقى امرأة مفتونة حرّة؟ هذا هو كلّ السّؤال. لكن يتراءى لي في الحقيقة أنّ في الحبّ معرفة يقينيّة وشبه ميتافيزيقيّة للجواب: لا يمكن للحرّيّة أن تتوقّف عن أن تكون حرّة. أعرف أنّ العبوديّة مكمّل غير ملغيّ تماما في الحبّ، ويُرمز لها بالسّلاسل والقساوات وكلّ هذا العتاد. غير أنّني لا أصدّق كثيرا أولئك النّاس الّذين يشتكون من أنّهم أسرى. لكن قد يقولون، لا بدّ من الاختيار: إن كان على الحرّيّة أن تبقى من حيث جوهرها حرّة، إن لم يكن هناك ما يُقيّدها، كيف تريد أن يتمّ اغتصابها؟ ها هنا تناقض، كيف نريد أن نقيِّد مانريد أن يبقى حرّا؟ ورغم ذلك هاهو دون شكّ ما يعني الرّغبة في أن يكون المرء محبوبا: إصابة الغير في حريّته المطلقة. ها هو هنا مثلا جذر السّاديّة حيث المثاليّة هي جعل الغير يئنّ. يبالغ السّاديّ في التعذيب إلى درجة أن تصرخ الضّحيّة طلبا للرّحمة، ويتلذّذ بتحويل هذا الصّراخ لحساب حرّية التّوسّل؛ بإمكانه أن لا يصرخ. بإمكانه أن يختار الهلاك تحت وقع السّياط دون أن يمتنع عن الكلام. ثمّ ألا نرى أنّ السّاديّ غالبا ما يقترح خيارا ما في المسبق: فإمّا أن تستسلم عن طيبة خاطر لشيء مّا تنفر منه-تستنكره-أو أنّك سوف تتعذّب في جلدك. يتمّ اقتراح الخيار هنا لاستدعاء دوخة الحرّيّة وللمحافظة على الجدل كاملا على أرضية الاكتفاء الذّاتيّ. الضّحية المُرَوَّضة الّتي تستسلم، اليهوديّ

الّذي يوسعونه ضربا وهو يصرخ فليسقط اليهود، ولن يجعل كلّ هذا من الأمر أقلّ من خيار واقعيّ. لحظة هزّة الجماع بالنّسبة إلى السّاديّ هي لحظة ملتبسة حيث يطلق الإكراه الحريّة، حيث تستعيد الحريّة لحسابها الإكراه الّذي تعاقبه الساديّة. ويعلم السّاديّ دائما أنّ هناك لحظة مّا سوف يتمّ فيها تحديد الخيار وليس عليه سوى أن ينتظر بالضّغط من لحظة لأخرى على إكراهه، ورغم ذلك سوف تظلّ الضّحيّة حرة حتّى عندما تستسلم. بإمكان هذا اليقين من أنّنا لا ندمّر الحرّيّة أن يُحبط السّاديّ – أو بالأحرى سوف تُحبط أيّ شخص آخر غيره- لكنّ السّادي بطبعه هكذا يثيره هذا التّناقض، هي هذه الاستحالة ذاتها، هذا التّحالف بين الكلمات الّذي يؤكّد: حرّية عبدة، هذا ما يجذبه. هناك دائما، فراغ جوهر في قلب الإثم ومتعة الشّخص الأثيم مريرة. لن أقول إنّ الحبّ يصبح ساديّة، لكنّ السّاديّة تستمدّ وجودها من منبع الحبّ. من يريد أن يكون محبوبا لا يمارس إكراها على الخيار الحرّ. لكنّ الحركات والكلمات الّتي تدهشه أكثر هي تلك الّتي تفلت، من المحبوب. أي أنّ أولئك الّذين يُظهرون إرادة التّكتّم، التّحفّظ، الرّفض، غالبا ما يكونون مهزومين بحرّيّة جديدة، الحرّيّة الّتي تستسلم، الّتي تختار القبول، وتقرّر الاستسلام. هذه الحرّيّة مأسورة من نفسها، تلتفّ حول نفسها، كما في الجنون، كما في الحلم، لترغب في أسرها الذّاتيّ. حرّيّة تبتكر نفسها لنفسها دونما حاجة للنّظر، للّمس، لمداعبة المحبوب، هذا ما نطلبه من أولئك الّذين نحبّهم. وكي تبقى هذه الحرّيّة؛ حرّيّة، حتّى في انحرافها نخشى أن تنتفض وتنفلت، أن تتمالك نفسها ولا تأتي تلك اللّحظة التّالية لتتحوّل إلى حرّيّة ضدّ ما كانت عليه. وبالتّالي؛ هي تلك بالضّبط طبيعة الحرّيّة ذاتها. كلّ تفكير في الحبّ، كلّ اعتراف حبّ يأخذ بنا إلى اللّحظة، يستعجلنا ضدّ الحاضر، لأنّه تأثير حرّيّة هي حتما حرّة في المستقبل. لقد فعلوا صوابا حين ألزموا المستقبل، فالّذي يعشق لن يكفّ من الارتجاف أمام كلّ ما يقسم به، ذلك أنّ هناك معرفة خفيّة بالحرّيّة معطاة في الحبّ. والدّليل على ذلك أنّنا لا نرضى بحبّ يكون مجرّد وفاء خالص لمجرّد القسم بالوفاء الّذي انتزعناه من المحبوب. تلك الّتي سوف تجيبنا وهي تقسم قائلة: إنّني أحبّك لأنّني وهبتك وعدي يوما مّا، ولا أريد أن أخلّ بوعدي، وفائي لنفسي. تأكّدوا أنّه

بإمكانها أن تلقي بنا عند أوّل منعطف. نريد أن تعشقنا اليوم كما الأمس، بحرّية تضع حرّيتها منفلته من نفسها. وهو ما لن يمنعنا أن نطالب في كلّ لحظة قسما متجدّدا بالحبّ والوفاء. لذلك فإنّ ما نريده من الغير هو هذه الحرّيّة غير المتزعزعة والمتجدّدة دائما، تتّجه نحونا وتعتبرنا دافعها الرّئيسيّ. ما نطلبه من المحبوب، أن تكون حرّيّته بالنّسبة إلينا الحتميّة العاطفيّة.

يبقى أن نفهم لماذا نريد ذلك. ذلك أنّ هذا الشّكل من الحبّ الشّائع أكثر والأكثر حضورا، الحبّ الّذي يطالب بالحرّية-العبدة، الحبّ الّذي لا يريد الحرّيّة للغير إلّا من أجل الرّغبة في اغتصابها، هذا الشّكل من الحبّ هو قطعا لا أصيل. فهناك طرق أخرى للحبّ. غير أنّ هذه اللّا أصالة يمكن أن تصلح هي بنفسها كدليل، ذلك أنّه يمكننا أن نضع بعين الاعتبار أنّ كلّ شكل وجوديّ للأصالة هو مرغوب فيه لعدم أصالته. نعم إنّ اللّا أصالة تستوجب البحث عن أساس لـ رفع اللّاعقلانيّة العبثيّة للوقائعيّة. يبدو لي أنّ الهدف من رغبة المرء في أن يكون محبوبا هو طرح الغير كأساس لوجودنا الذّاتيّ. فذلك الّذي سوف يحبّنا-بشرط أن نحبّه بدورنا- يرفع عنّا وقائعيّتنا.

هذا ما إردت شرحه الآن.

علينا أن نفهم أنّ الحبّ لا يبتكر العلاقات مع الغير؛ يظهر على خلفيّة وجود من أجل-الغير، الّذي يهاجمنا في وجودنا ذاته. لقد قلت إنّ من طبيعة الوجود-لذاته أن يوجد من أجل الغير أي أنّه يوجد مثل خارج بلا دفاع معكوس على لا منتهى حرّيّة الغير، هذا في طبيعة الوجود من أجل-ي، أنا في قلب الوجود-لذاته. طريقتي الوحيدة كي لا أكون وجودا -للغير، هو أن أوجد -من أجل الغير، وبالقدر الّذي أنا فيه بنفسي لنفسي لا أوجد-من أجل الغير، الخاصّ بي فأنا لنفسي وجود-من أجل الغير خاصّ بي. بطبيعتي أتعرّض للنّقد من الغير. فأنا بحدّ ذاتي خطر أمام الحرّيّة اللّامتناهية للغير. يستحيل عليَّ أن لا انشغل بذلك مدّعيا أنّ الغير يمتلك تمثّلا عنّي لن يصيبني. ليس هذا صحيحا على الإطلاق: فأنا بالفعل ملتزم في الغير من خلال وجودي ذاته، ملتزم في حرّيّته الّتي لا أستطيع بحكم المبدأ أن لا أتصرّف قطعا فيها. يهدف هذا إلى تقديم الصّلات المألوفة بين حالات الوعي، المرتكزة على قاعدة أنّ

حالات الوعي توجد في صيغة الجمع في توحّد من أجل-الغير. تستوجب اللّا أصالة هنا حجب الوحدة الوجوديّة لمن أجل-الغير من خلال ادّعاء أنّ الغير يصنع له صورة عنّي. لكنّ الفهم ما قبل أنطولوجيّ المعطى في الهجمة ذاتها للوجود-لذاته في العالم، تجعل من هذه المحاولات لحجب الحقيقة عديمة التّأثير، إلّا إن كانت على الأقل من خلال ضربات متتالية، وقتها سوف يحدث انكشاف. الخجل وجه من وجوه هذا الانكشاف. إرادتنا في أن نكون محبوبين من الغير، هي إرادة استعادة، وجوده من أجل-الغير من خلال التّصرّف بشكل يجعل من حرّيّة الغير تأسر نفسها بنفسها في مواجهة العري الّذي نحن فيه دون دفاع بالنّسبة إليها. على أنّه يجب تجنّب الخلط بين إرادة أن تكون محبوبا وإرادة أن تكون محلّ تقدير، مثلا. في حالة؛ إرادة أن يكون المرء محلّ تقدير، فإنّه يقترح نفسه على الغير باعتباره موجة ما يحمل نحوه الغير بفضل مبادئه الخاصة أحكاما محدّدة. لكنّ ذلك الغير يظلّ حتما حرّا، بإمكانه مثلا أن يستخدم سوء النّيّة. وهو عكس ما يحدث في حالة الحبّ، فنحن ننتظر من الغير أن يُفتتن هو نفسه بحرّيّته الخاصّة، يضع حرّيّته لنفي حرّيّته في مواجهتنا. عند هذا المستوى فقط نكفّ عن تعريض حرّيّته للنّقد. إن تقيّدت الحرّيّة في مواجهتنا نكفُّ نحن على أن نكون دون دفاع قدّامها، ويتوقّف على قدر الممكن الخارج الّذي هو نحن في مواجهتها على أن يكون خارجا. مع من هم نحن بالنّسبة إليها نقيم صلات تشبه صلات الوجود لذاته مع نفسه. عوض أن ينتزعه الوجود-لذاته من أجل-الغير، فهو على ما يبدو استمراريّته الطّبيعيّة. نظلّ في أمان طالما نحن في قلب حرّيّة من نحبّ وعلى طول الوقت الّذي نحن محبوبون فيه. ولذلك؛ فأن نجعل من شخص مّا يحبّنا، لا يعني ذلك محاولة أن نعطيه صورة فخورة عن نفسه، إنّما هو أن نوجد بأمان في قلب الحرّيّة.

لكن ليس هذا كلّ شيء: لقد بيَّنت في ذلك اليوم أنّ كلّ رغبة هي رغبة تملّك. وكلّ تملّك هو تملّك للعالم من خلال شيء مّا مخصوص. فالرّغبة هي ما يجعل الشّيء المرغوب فيه يظهر لنا دائما باعتباره الشّرط الّذي لا غنى عنه [بالانجليزيّة في الأصل] الّذي يجعل من وجودنا-في-هذا-العالم ممكنا. لقد انتبهنا لذلك منذ خمس أو ستّ

سنوات حين اتّخذت قرار التّوقّف عن التّدخين. ما منعني إلى حدّ الآن من تنفيذ القرار، ليس اعتبار آلاف الحرمانات الصّغيرة الأخرى المخصّصة والتي سوف تعذّبني خلال اليوم. لكن يتراءى لي أنّ عالما بلا تبغ سوف يكون فاقدا للألوان وميّتا نهائيا، لن أحصل أبدا على تلك المتعة الّتي عثرت عليها في السّينما، إذا لم أشاهد فيلما والبيبه في فمي، لن أتيمّن شيئا كبيرا من قدح نبيذ، إن لم أسحب نفسا بين جرعتين – ولا أيضا محادثة مع الأصدقاء إن لم تكن البيبه في يدي. وحين نرى موضوع المتعة ينفلت، يتراءى لنا العالم ينفلت من بين أصابعنا. لهذا السّبب، ودون شكّ، إنّ طريقة التّخلّص الذّاتية تستوجب اختزال الشّيء في ذاته. لكن انطلاقا من هذا الاختزال لن نمسك بأيّ شيء. حين أقرّر اختزال التّبغ ليصبح ما لم يكن عليه، ويصبح لهوا مّا ضمن مسلّيّات أخرى في العالم، سوف أتوقّف وقتها عن التّدخين دونما أيّ صعوبة. وبالتالي فالرّغبة هي رغبة للعالم والتّملك يعني انصهار الوجود-في-ذاته مع الوجود-لذاته في توحّد مثاليّ ل سبب الذّات. إذن فلئن كان شخص يحبّني ويرغب فيَّ ولن أكون فقط آمنا على حرّيّته لكن هذا من أجل-الغير إنّني أنا بالنّسبة إلى من يحبّني، إنّه العالم. ها أنا ذا موجود في الواقع (على طريقة من أجل-الغير). مثل الشّرط الّذي لا غنى عنه يجعل الوجود-في-عالم الغير ممكنا. وهذا العالم الذي هو أنا، هو بالضّبط الشّيء الأوّل لمتعي، هذه الأشجار، هذه الشّوارع، هذه السّماء، هذاالبحر (هو المعنى العميق للتبلُّر عند ستاندال: المحبوب مُتَحَوَّل إلى عالم) لأنّه ليس لنا، هذا الغير وأنا سوى عالم واحد. هكذا يكون الوجود-لذاته عادما ومعدما، والّذي كان في بنيته الأولى رغبة في العالم، يوجد بما هو من أجل-الغير، وبالضّبط مثل العالم المرغوب فيه. وهو، أن نقول إنّ توحّد الوجود-لذاته مع العالم يضغط بدرجة، بما أنّ لها الآن نوع توحد الوجود -لذاته ومن أجل-الغير من أجل نفس الآنيّة. وهو بالضّبط ما نسمّيه إرادة أن يكون المرء محبوبا: تحقيق توحّد الوجود-لذاته على طريقة الوجود-لذاته ومن أجل -الغير، بوجودنا بأمان في قلب حرّية تأسر نفسها للإمتاع، مثل عالم.

سوف يقولون إنّني أعبّر بشكل معقّد جدّا عن أشياء بالغة البساطة، وأنّنا نعلم منذ

القدم، أنّ العاشق يريد أن يكون محور الوجود بالنّسبة إلى محبوبته. لست جاهلا بذلك، ولست هنا بصدد استعراض علم نفس الحبّ، ومن العبث تماما محاولة فهم السّبب الّذي يدعو المحبوب إلى أن يضع في رأسه ذات صباح أن يكون كلّ شيء في العالم من أجل امرأة. ألأنّه يرغب فيها؟ لكن إن أراد أن يراها طيلة اليوم، يضاجعها متى شاء، فهذا ليس ضروريّا. ألأنّه يريدها أن ترغب فيه كما يرغب هو فيها؟ لكن لماذا يريد ذلك؟ هل هي إرادة القوّة؟ الّتي تتطلّب كما أوضحت ذلك ذات يوم تفسيرا وجوديّا[401] لقد كان خطأ علم النّفس إلى حدّ الآن، مماثلا لخطأ فيزيائيّ يسكب في حوض زئبق أنبوبا ممتلئا هواء، ليبيّن كيف أنّ الضّغط يجعل الزّئبق يصعد في الأنبوب. لن يصعد الزّئبق إذ لا بدّ أن يكون الأنبوب فارغا. وإن لم نكن نحن، نحن بأنفسنا فراغا وجوديّا، لن نفهم أبدا هذه التّفاهة المضحكة الّتي تجعلنا حسب باسكال، قادرين على القيام بأردأ أنواع الجنون، لإعطاء صور متعجرفة عن النّاس.

ها هنا تتخفّى اللّا أصالة. نحن نرغب أن يحبّنا المحبوب لنفعمه بوجودنا. الّذي يفقد عندنا كلّ وقائعيّته باعتبار المستقبل. نزعم أنّنا نأتي بأنفسنا وبشكل طوعيّ لهذا الوجود لإرضاء رغبة وعي حرّ. هذه الشّرايين المحبوبة على أيدينا، عن طيبة موجودة. أن نكون جيّدين لأنّنا نمتلك عيونا، شعرا، جفونا ونسرف في استعمال كلّ هذا بلا تعب، بفائض من الكرم، من أجل هذه الرّغبة الّتي لا تتعب للغير. ألم يكن من الأجدر عوض أن نكون محبوبين أن نحتار من هذا النّتوء اللّامبرر الّذي هو وجودنا المتبخّر في كلّ الجهات؛ هاهو هذا الوجود نفسه الآن مستعاد ومرغوب فيه بكلّ تفاصيله الدّقيقة من خلال حرّيّة مماثلة لحرّيّتنا- حرّيّة نريدها نحن أنفسنا مع حريتنا. ها هنا عمق بهجة الحبّ: أن تشعر بوجود مبرّر. وفي الحقيقة نحن لسنا كذلك قطعا وإطلاقا، لقد فقدنا فقط عزلتنا، يمتصّنا الشّخص الّذي نحبّ بداخله، ونحن ندسّ رؤوسنا في قلبه مثل النّعامة تدسّ رأسها تحت الحصى. ذلك لأنّ عزلتنا لن توجد إلّا إذا قمنا بتصعيد وقائعيّتنا اللّامبرّرة. ليس هناك على الإطلاق حبّ يمكنه أن يبرّر وجودنا. والحقيقة أؤاخذ هذه اللّا أصالة عند النّاس الّذين يريدون أن يُحبُّوا

401. انظر 22فيفري ص462.

دون أن يُحِبُّوا. وقد كنت للأمانة من هذا الصّنف. ما يجذبني عادة في أيّ حكاية، هو الحاجة للظّهور كشيء ضروريّ على طريقة منجز فنّي. مثل مان [طعام أنزل لبني إسرائيل] أنتج نفسه بنفسه لإفعام نفسه. لكن يجب أن أقول إنّ العشق يبرز أكثر في العزلة. لكن سيكون الحديث مطوّلا بهذا الشّأن هنا لأنّه يتوجّب أن نقول ما هو الحبّ. لديَّ أفكاري بخصوص هذا الموضوع، ولكنّه يحتاج مجلّدا[402]. لاسيّما، أنّ الحبّ بطبعه، جنسيّ. أريد فقط الآن التّناول الحيّ لهذه اللّا أصالة الغريبة الّتي تجعلنا تابعين لشخص مّا، هل ينشأ الأمر عن كوننا بالضّبط كلّ شيء بالنّسبة إليه. لا يبدو الأمر هكذا. غير أنّني بورتريه في هذا التّوصيف الميتافيزيقيّ. سوف أحاول غدا أن أصف نفسي بأكثر بساطة من خلال علاقاتي مع الغير. تجب الإشارة أيضا إلى أنّني بصدد استعادة نوع الأصالة التي فقدتها خلال سفرتي إلى باريس بصعوبة. إنّني وحيد مجدّدا. (تلك الفوضويّة الأحاديّة القديمة والعبثيّة). وحيد من وراء كلّ هؤلاء الّذين أتمسّك بهم ويمكنهم أن يتمسّكوا بي. أعثر على حربي وقدري. إضافة إلى أنّ الأمور لا تجري بشكل جيّد هنا الآن والزّمن كما قالت إحدى الصّحف الإيطاليّة يعمل من أجل الألمان. البلدان السكاندينافيّة مرتعبة تركت فنلندا تختنق وحدها وقرّرت هذه البلدان أن تظلّ على حياد. يبدو أنّ إيطاليا تتّجه نحو التّحالف مع الرّايخ[403] ونحن مازلنا إلى الآن لا نعرف من أيّ طرف نشدّ العدوّ. آفاق مظلمة جدا كافية لالتفاتي عن حكاياتي الشّخصيّة الصّغيرة.

اليوم انطلاق التّلقيح ضدّ الحمّى التّيفيّة بداية من العاشرة والرّبع. ها هي الآن السّاعة الثّامنة إلّا ربع ولا أشعر بأيّ ارتفاع للحرارة، ألم خفيف أسفل ذراعي. قضيت كامل اليوم بالمبيت. ولقد لمست في ذلك شيئا من الارتياح. استلمت رسالة من ميستلر الّذي تمت نقلته إلى المكتب الثّالث للقيادة العامّة العسكريّة فانجانبورغ: بعد عشرة أيّام، وبعض المتطلّبات البيروقراطيّة، ممّا يجعل من هذه الحرب هنا حربا

402. الفصل الثالث من القسم الثالث من الوجود والعدم بعنوان "العلاقات المحسوسة مع الغير".

403. رغم الحلف الصلب مع ألمانيا في ماي 1939ترددت إيطاليا لذلك الوقت في الدخول في حرب إلى جانب الرايخ. سوف يقرر موسوليني الاتحالف مع ألمانيا في 18مارس 1940.

غريبة، مازلت حالما. من المؤسف أنّني لم أتمكّن من تغذية الدّفاتر. ما العمل؟ أنا هنا بالنّسبة إليهم الشّخص العائد من الجبهة، كم هو مضحك! أيّ هيبة بالقرب من أشخاص يعيشون هنا منذ أكثر من ستّة أشهر حياة الثّكنات معتنين بصحّتهم أكثر ممّا كانوا عليه في سبتمبر.

الإيقاع المتسارع للدّورة الثّانية من الرّخصة جعل الجنود مرتابين. يتساءلون: هذا هو إذن. إنّهم يخشون القصف الكبير في الرّبيع؟ ويضيفون متنهّدين: في نهاية المطاف فهذا كلّه دائما بأجره، وآخرون آكثر تفاؤلا يلاحظون أنّه إن انتهت الدّورة الثّانية في 30 أبريل سوف يجعل من ذلك رخصتين خلال ثمانية أشهر، وهو الضّروريّ، وقد لا تتسرّع السّلطات العسكريّة التّرحيلات إلّا لتكون منسجمة مع قراراتها الخاصّة. يقولون أيضا متفكّهين: إنّهم يفعلون ذلك من أجل رفع المعنويّات. وبعضهم يهمس بمكر: هناك خطب مّا في الأمر، لأنّه ليس من عادتهم أن يفعلوا شيئا دون مقابل. هناك من رفض الخروج في رخصة، لأنّهم عادوا منذ أيّام قلية من رخصتهم الأولى، وآخرون يدمدمون بسخرية مريرة شيئا مّا: سيلاحظ النّاس في الخلف أنّهم أصبحوا يروننا دائما.

الأربعاء28

ليلة سعيدة غير أنّها محمومة شيئا مّا. فمي مرٌّ. علمت أنّ من بين الّذين تلقّوا تلقيحا بالأمس، وقعا مجنّدان قويّا البنية مغمى عليهما. أتذكّر أنّه بالأمس كان بداخلي نعومة مؤذية غير أنّني لم أهتمّ لها البتّة. لقد كان يكفي أن أتماهى معها لتكتسحني بالكامل، وكان سوف يُغمى عليَّ بدوري. أفكّر أيضا بشكل من الرّضى كم من إغماء، من توتّر أعصاب، دوار بحر إلخ. كلّ هذا متعلّق بالقبول. أقول أيضا، كم سوف يكون من الجيّد تصنيف النّاس بحسب طبيعة رضاهم عن أنفسهم. كيف أنّ الكاستور ونحن نتمشّى مطوّلا، ترضى بتعبها وتنعم به. بشكل يتحوّل معه المشي المتعب إلى حالة رائقة ومرغوبة، عكسي أنا الذي لايروقني التّعب، إلى درجة أن أشعر نهائيا أنّني في الجانب الآخر، ذلك لأنّني لم أكن راضيا. هناك طريقة للانخراط في

الذّات أجهلها، ولهذا مزاياه وعيوبه.

لكن اليوم أريد أن أتابع من وجهة نظر وصفيّة تاريخيّة، مسألة تسلّطي هذه وصِلاتي مع الغير[404].

لقد قلت ذلك وهو ما سوف يمثّل مفاجأة، إنّني كنت صبيّا جميلا. جميلا ومدلّلا. صبيا إمَّعة. كان عندي خطيبات في كلّ المدن الّتي أمرّ بها، والعائلات الحنونة تشرف على هذه الخطوبات (كان وقتها عمري ما بين 6و7سنوات). كنت أفضّل رفقة البنات على الصّبيان. ولم يكن عندي لا أب ولا أخ يربّيانني على الخشونة. وكنت أتفاخر مثل ملك صغير في عالم من النّساء. منذ ذلك الوقت كنت متظارفا؛ منشغلا بنيل الإعجاب من خلال ابتكارات ذات طابع جماليّ بحت، ابتكار ألعاب، تخييلات شاعريّة، خطب. إلخ. حين بلغت سنتي التّاسعة، اشترت لي أمي مهرّجا، وما إن حصلت على بعض المال، قمت باعتباري ممثّلا جديدا بالتبضّع من أجل مسرحي. كان عندي: الشّرطيّ، اليهوديّ، العجوز، والمهرّج نفسه، إلخ، وشخصيّة أخرى لشدّ ما ملأتني بإعجاب مدهش، وما كنت أعرف كيف أستخدمها جيّدا بي-با-بو، كانت معروضة في كازينو فيشي للبيع، يمكن تغيير فستانها، برأسها المتحرّك الّذي يمكن التّصرّف فيه. تبعث هذه الشّخصيّات بداخلي شيئا من اليأس لأنّ رؤوسها من ورق مضغوط أو (في حالة بي-با-بو) من السّليلويد. كنت سوف أفضّل تلك الرّؤوس الخشبيّة الفاخرة والثّقيلة للمهرّج الليونيّ. لكن لا يهمّ: كنت مثل كلّ الأطفال حسّاسا نحو كلّ ما هو رسم منجز، لا بشري، اصطناعيّ وكلّ ما هو أساسيّ في قطعة عروسة مسرح. لقد بقيت على تلك الحالة طويلا قبل أن أفهم أنّه من الممكن العثور على كلّ الميزات في المسرح الحقيقيّ، إن لم يقع تحويل وجهتنا بواقع غبيّ. قرأت إذن

---

404. "لقد شرعت في التفكير والكتابة حول علاقاتي مع الناس غير إنني وجدت نفسي مضطرا للكذب هنا لأن فاندا تريد الاطلاع على الدفاتر ووجدتني أجهد نفسي لإعادة ترتيب هذا أقل ما يمكن غيرإن الأمر أصبح يثقل عليّ."رسالة للكاستور بتاريخ 29فيفري. هل إن فاندا هي السبب الوحيد لهذه الرقابة؟ سوف ننتبه إن سارتر يشير في الدفتر السادس إلى تواريخ خروجه في رخصة وعودته منها والتي أخفاها، وفي جميع احالات لن يتركها تطلع على هذه الدفاتر في نسختها الأصلية.

كتاب أطفال غاية في القدم عنوانه السّيّدة الرّيح، والسّيّد المطر[405] بدا لي محترما جدّا لأنّ رائحته عفنة وكان ممزّقا وملطّخا، وقد كانت أمّي منجذبة إليه خلال أيّام صباها. لكم سافر بي هذا الكتاب. إلى الآن أحدّث نفسي عنه دائما وأتمنّى أن أعثر عليه. يمتلك أحد أبطاله مسرح عرائس سحريّ، يطرق بعصاه ثلاث ضربات فتتحرّك العرائس لوحدها. أتذكّر أيضا بغموض رسوماته الّتي كانت تملؤني بنوع من الشّطح الدّينيّ، وتُظهر جنودا تشدّ أذرعهم الخشبيّة الصّغيرة المتصلّبة أسلاك حديد غليظة. باختصار كنت أضع تصوّرا لمسرحيّتي وأقوم وحدي بأداء عدّة أدوار. في البدء كنت أقوم بذلك في حمّام شقّتنا (كنت أقيم وقتها مع جدّي وجدّتي في الطّابق السّادس شارع لو غوف الّذي يفتح على شارع سوفلو). ثمّ شيئا فشيئا؛ تجاسرت، حملت عرائسي إلى لوكسومبورغ مع منديل، كنت أختار لي كرسيّا في أحد ممرّات الحدائق الإنجليزيّة، أنحني خلف الكرسيّ مغطّيا سيقانه بالمنديل، ثمّ أشرع في إبراز العرائس من خلف يديّ المهزوزتين، ما بين ركائز ظهر الكرسيّ. هكذا تحوّل الكرسيّ إلى ركح صغير مقبول جدّا. كنت أؤدّي الأدوار وأتكلّم بصوت مرتفع، كما لو أنّني أقوم بذلك لنفسي فقط. لكن كنت أعرف جيّدا ما أنتظره ولن يتأخّر أن يحدث، منذ المرّة الأولى، في أقلّ من ربع ساعة: سوف يتوقّف الأطفال عن ألعابهم، ويجلسون بكلّ هدوء على الكراسيّ المقابلة ويتابعون بانتباه هذا العرض المجّاني[406]. ولقد جعلت لي أصدقاء بهذه الوسائل، وبالأخصّ فتاة اسمها نيكول، كانت من نفس عمري تقريبا تتميّز بكلِف في الوجه. أصبحت من وقتها خطيبتي لأنّني ظفرت بعاطفتها من خلال

---

405. حكاية لبول موسيه 1879 (طبعة جديدة عن دار غاليمار في سلسلة تيل 1979).

406. ما نسيه سارتر إن البطل الشاب في حكاية السيدة الريح والسيد المطر هو بنفسه مدفوع بسبب هدية عرائس المسرح السحري أن يصبح كاتبا، كما لاحظ ذلك فيليب لوجون في دراسته حول قراءات الكاتب خلال صباه واستعادتها في كتاباته (قراءات سارتر نصوص جمعها وقدمها بيرجولين في صحافة جامعية بليون سنة 1986).

ابتكاراتي.[407] منذ ذلك الوقت ارتبط عندي- وربما هو السّبب العميق في رغبة الكتابة عندي- الفنّ بالحبّ. واستبدّ بي يقين أن لا سبيل إلى الظّفر، بعاطفة البنات الصّغيرات إلّا عن طريق مواهبي كممثّل أو حكّاء. كنت أمقت أن أميل إليّ البنات بسبب وجهي أو جاذبيّتي الجسديّة، كان يجب أن يتمّ إغراؤهنّ بسحر ابتكاراتي، بتمثيلياتي، بخطاباتي، بقصائدي وأن يعشقنني من أجل ذلك، لا غير. لهذا السّبب سحرتني في ذلك الوقت، وبغضّ الطّرف عن كلّ شيء، مسرحيّة مهرجو زاماكوس[408] ففي هذه المسرحيّة أميرة وقعت في حبّ شخصيّة تجيد التّكلّم اسمها جاكاس رغم حدبته، وشعره المستعار، سوف يقولون إنّ هذه هي آمال شخص بشع: أن يجد له حظوة من خلال إجادة الكلام. غير أنّني أصرّ على حقيقة أنّني لم أكن بشعا. كان شعري أشقر جميلا، ولي خدّان ممتلئان، ولم يكن حولي بارزا بعد. وبالأحرى فلنقل لم أكن بشعا. كنت سوف أتهيّأ لذلك بغريزة واثقة. ولئن أعجبتني مسرحيّة مهرجو زاماكوس فإنّ سيرانو[409] يخنقني ويكدّرني. كيف أحبّت روكسان كريستيان الغبيّ، كيف لم تنتبه من الوهلة الأولى لسيرانو؟ لقد كان سيرانو يمثّل بالنّسبة إليّ النوع الملائم للعاشق. وفي أعماق كلّ هذا، ثمّة هناك أكثر من استشعار بشاعتي المستقبليّة، كان هناك نوع من تصوّر الهيبة البشريّة، ولم تفارقني رغم أنّها قد فقدت شكلها السّاذج. لقد فسّرت ذلك في الدّفتر الثّاني[410]. تقوم الهيبة بالنّسبة إليّ على الدّناءة. يأخذ الذّهن في حسابه بؤس الجسد، يسيطر عليه، يلغيه بشكل مّا ويظهر من خلال الجسد المغضوب عليه يضيء بشكل أكثر. أحببت حكاية الجميلة والوحش،

---

407. لم يتم ذكر لا السيدة الريح والسيد المطر ولا نجاحات طفولته في كتابه الكلمات (1964)، حيث لا تثير حديقة اللوكسومبورغ سوى ذكريات الوحدة. وعموما نفس ذكريات الطفولة هي بنبرة أشد كآبة من هذه المقالة السيرذاتية في هذه الدفاتر.

408. مسرحية شعرية صدرت عن المكتبة المسرحية سنة1907.

409. سيران ودي برجراك مسرحية شعرية لايدموند روستان (1887).

410. يلمّح سارتر في رسالته للكاستور بتاريخ 6نوفمبر 1939إلى "ملامح لمراهقته" والتي تحدث عنها في الدفتر الثاني (مفقود). ربما هناك بدت تظهر عنده تصورات الهيبة البشرية. وفي جميع الحالات لقد تحدث عن ذلك في الدفتر الأول صفحة 123.

لأنّ الوحش يجلب اهتمام الجميلة ويجعلها عطوفة، من خلال شكله كوحش. حتّى أنّني كتبت بعد ذلك حين صار عمري ستّة عشر عاما حكاية حول هذا الموضوع[411] لقد عثرت فيما بعد بمعهد المعلّمين في انفعال التمع مثل البرق على نوع من هذا الإحساس البدائيّ. كنت أقرأ كتابا لأندريه بيلليسور حول بلزاك[412]، يتمّ فيه استعراض المقابلة الأولى الّتي جرت بين بلزاك ومدام هانسكا. لم يكن الإثنان قد عرفا بعضهما البعض، وكان لا بدّ أن يلتقيا في إحدى الفسحات متّفقيْن على علامة مّا، انتاب مدام هانسكا شيء من الرّعب وهي تلمح شخصًا بدينا بأناقة صارخة يحمل العلامة المطابقة. تملّكها الخوف وقرّرت لوهلة أن تفرّ من المكان. لكن؛ كما يقول بيلليسور، رأت عينيه وبقيت في مكانها. لم يكن الأمر بالنّسبة إليّ يتطلّب أكثر من ذلك لأشعر باضطراب شديد لبعض اللّحظات. لقد اكتشفت في ذلك الوقت بالفعل بشاعتي وكان ذلك يؤلمني. وممّا لاشكّ فيه أنّ ما كنت أقرؤه من كتب ذات طابع رومنطيقيّ ساهمت في تطوير هذا الشّعور بالهيبة: تريبوله[413]. وكم من أرواح متسامية أخرى في أجساد مغضوب عليها. غير أنّ سموّ الرّوح لم يكن حتما ما يثيرني بل القدرة على تصفيف الأبيات الشعريّة في شكل خطب رائعة، يمكنها كما بدا لي أن تجعل امرأة مقطوعة القدمين واليدين، أمام الرّواي. من الطّبيعيّ جدًا أن أتخيّل هذه العواطف متطهّرة متعفّفة: يأخذها الرّاوي بين ذراعيه ويداعبها بحنان. وتنتهي الحكاية هنا. ليس فقط أنّني لم أخطّط للمتع الجسديّة الّتي سوف تنتج عن هذا الإلقاء الشّعريّ، بل لم أكن منشغلا بتخيّل بقية المغامرة. وممّا لا شكّ فيه أنّ الأهم في كلّ هذا أن يحبّ الإثنان بعضهما بصدق، وأن يشعر الإثنان بالسعادة. غير أنّ هذا المنظور للمسألة يضايقني كثيرا. فما يجذبني قبل كلّ شيء هو مشروع الإغراء. ما أن تقع المرأة في الحبّ، أتخلّى عنها لمصيرها. وهذا ما أخطّطه لأبطال مشاريع الإغراء الجديد. من المؤكّد أنّني استنفدت فكرة القدرة على الإغراء بالكلمات في المحيط الجامعيّ حيث

411. هناك نسخة من هذه الحكاية غير كاملة في كتابات الشباب.

412. بلزاك ومنجزه بيران وشركاؤه باريس 1925.

413. هو المهرج في رواية الملك يستمتع لفيكتور هوغو.



كنت أقيم. ولقد كانت طريقة للاعتراف بتفوّق القيم الذّهنيّة أكثر منه، أن أكون دون يونيو مثقّفا، يغري النّساء بقدرة فمه الذّهبيّ. ومن المؤكّد أنّه كان هناك أيضا في أساس كلّ هذا الجهل الرّوحانيّ لما هو جسد، مثل استحالة الإدراك الدّقيق لما يمكن أن يكون اضطرابا جسديّا. استحالة طبيعية جدّا عند طفل الثماني سنوات، لكنها سوف تصبح مرعبة ومخيفة حين نعلم إنني سأحافظ عليها إلى حدود نهاية الشّباب. ليس لأنّني قد أنساها حين أبلغ الخامسة والعشرين ولكنّها سوف تبدو لي فضيحة غير منطقيّة. تجمّع حول طفولتي جمهور معجب عن طيبة خاطر يشجّع كلماتي. تعاظمت في داخلي ثقتي في نفسي وصرت غير محتمل، بل صرت ماكرا أكثر كي لا أظهر ذلك. رغم أنّني لم أكن صاحب كبر بعد، كنت أمثّل على نفسي كوميديا الكبرياء بفيك-سور-سار أين أقضي عطلتي مع جدّي وجدّتي وقد بلغت وقتها العاشرة من عمري، كنّا غالبا ما نذهب للتفسّح رفقة محاسب قديم، كان التّجمّع المهنيّ قد قرّبه من جدّي، وبرفقة زوجة هذا المراقب وامرأة أخرى اسمها على ما أعتقد، مدام لوبرين، وقد كان زوجها مجنّدا في ذلك الوقت. مثل هذا التّجمّع من الأشخاص، كان من عنايته بي أن اعتبرني طفلا نابغة (وكانت هذه قاعدة اللّعبة)، نوع المجتمع الّذي أظهر فيه تدلّلي وتظارفي: متقاعدون من قدماء الجامعيّين، عجائز يعاملونني بحنان ومن حين لآخر تشدّني امرأة شابّة. هذه المرأة الشّابّة كانت مدام لوبرين وكنت أرغب فيها أكثر مما يرغب فيها صبيّ العشر سنوات، أي إنني كنت إرغب أن أمسّ رقبتها وكتفيها. وكنت أتغنّج عليها، وذات يوم كنت مأخوذا بغنائيّتي إلى درجة أنّني نسيت عمري، أسررت لها أنّ إحدى الفتيات قد جعلتني أتألّم، ومن وقتها قرّرت أن أعذّب كلّ النسوة اللواتي يعترضنني انتقاما. لقد كان ذلك بطبيعة الحال ابتكار اللّحظة. غير أنّني أحسست على الفور بعنف الإهانة التخييلية التي وضعتني فيها تلك الخائنة. لا أستطيع أن أفكّر في ذلك الموقف دون أن أكزَّ على أسناني وأستخلص منه كم كنت متعفّنا. صرَّحت لي مدام لوبرين بعد ذلك بوقت قليل قائلة: أريد أن أرى هذا الصّغير وقد بلغ العشرين من عمره. متأكّدة من أنّ كلّ النّساء سوف تكنّ مجنونات به. قبلت بهذه النّبوءة دونما أيّ اعتراض، بحكم أنّها بدت لي طبيعيّة جدّا.

لقد كنت ذلك الطّفل الملك الصّغير الدّنيء. الشّيء الوحيد الّذي بإمكاني أن أقوله دفاعا عنّي أنّني كنت أريد بالأساس أن يحبّونني مثلما يحدث في الكتب. يبدو لي الحبّ مغامرة لطيفة، لعبة بقواعدها قريبة جدّا في عمقها من أولئك الّذين يجيدون المغازلة. يتدخّل في كلّ هذا ما يمكن أن أسمّيه بالفروسيّة المتكتّمة، ولكم تخيّلتني منقذا لبعض الفتيات الجميلات. أحيانا يلذّ لي أن أتخيّلني نكرة، متّهما على وجه الخطأ، مهملا من الكلّ ومن تلك الّتي أحبّها، ثم يردون لي الاعتبار بعد عشر سنوات، والحقيقة أنّني أتردّد حول دور المحبوبة: لكي يكتمل شقائي وانتصاري النّهائي دون أي خلط. فلا بدّ من أن تنكرني في البدء. غير أنّني كنت أقرأ كلّ شيء وهو ما جعلني أتصوّر ببساطة أنّ الحبّ يتضمّن نوعا من الحدس التّنجيميّ. إن كانت هذه المرأة تعشقني بالفعل، فلا يجب أن تضع بأيّ حال من الأحول براءتي موضع الشّكّ. كنت أتخلّص بوضع كلّ أشكال العقبات في طريق حبّنا. ما أخشاه في عمق هذه المغامرات المتكدّرة والحسّاسة، هو استحالة إدراك حبّ سعيد على إثر الإغراء. حين يتمّ اقتحام امرأة لا أعرف ما الّذي سوف أفعله بها، وإن كنت رغم ذلك أريد الاستمرار في الحكاية، يجب ابتكار مآزق وعراقيل لتتحوّل كل مصالحة إلى إغراء جديد. وللحقيقة لست أرى منذ زمن بعيد –ربما إلى حد اليوم أيضا– ما هو أشدّ إثارة من لحظة الاعتراف بالحبّ وقد تمَّ انتزاعها. وإنّني أفكّر اليوم أنّ ما كان يشدّني منذ طفولتي إلى هذا الاعتراف، هوتلك الحرّية المفتونة الملازمة له.

بالنّسبة إلى الطّفل المدلل الذي كنته، كان الحبّ بثمن بخس، يولد تحت القدمين. لم أكن أجد من بين النّساء العجائز من هنّ بشعات، كان الأمر دائما كذلك. غير أنّني حين صرت بلاروشيل وقعت من علٍ، ووجدتني بشعا مقفرا، حين استنتجت أنّه من الصّعب الظّفر بحبّ امرأة وأنّ آخرين يستطيعون كسب ذلك أفضل منّي. وقعت في كآبة عميقة وعرفت عذابات الحبّ من طرف واحد. ليس فيما يخصّ فتاة بل فيما يتعلّق برفيقين لي بيلليتييه وبوتيلييه، لم يكن الأمر متعلّقا على الإطلاق بحنان منعكس بل بإعجاب، وبعاطفة بلا حدود استعملها الشّابان القويّان لحسابهما. لقد جعلاني أدفع غاليا ثمن أمنيتي وصرت خادمهما. كنت أسرق أمّي من أجلهما، ولكم أوسعت

ضربا بسببهما، وكانا يخونانني بشكل مخجل. وصرت في الوقت نفسه، ضحيّة كلّ صبيان المعهد، من أجل شقاء اللحظة المتعاظم ومن أجل سعادتي الكبرى المستقبليّة. أفي ذلك الوقت وُلد بداخلي حلم مجتمع مختار أكون فيه الملك. أظنّ ذلك. إضافة إلى أنّ أصل هذا الحلم مرتبط عندي، بمسرحية شعريّة لبول فرلين كنت قرأتها في ذلك الوقت. أعتقد أنّها كانت أوهام التّعويض. كنت أتخيّل فالنستير صغيرا [الفلانستير اسم اختاره شارل فورييه لمدينته الفاضلة] ممتلئ بشباب في عنفوانهم، جميلين، أنيقين، بذكاء وقّاد وبفتيات جميلات جذّابات. كنت هناك أحكم بقوّة الرّوح، وبالجاذبيّة. من المؤكد أنّ هذا التّخيّل، ذا النّزعة الاجتماعيّة، كان مساحة ترتع خلالها أفكاري، شماتة، فلقد كان هناك قبالتي مجموعة من الشّباب، لكنّني لم أكن ملكهم. كنت ضحيّتهم، وكانوا كلّهم قد شكّلوا أنفسهم ضدّي. وفي الأثناء لم يكن عندي لا صديق ولا دجاجة [يقصد سارتر حبيبة] في استعمال للعبارة المرعبة التي كانوا يستخدمونها، وقضيت وقتي في اليأس من كلّ شيء. من تلك اللّحظة أصبحت قضيّتي الأهمّ أن أحبّ وأن أكون محبوبا. أن أكون محبوبا خاصّة. لم أفهم كيف أنّ هذا الإحساس الّذي بدا لي في صباي بخس الثّمن، أصبح عزيزا وثمينا إلى أبعد حدّ. كنت أحدّث نفسي مردّدا في كآبة، نبوءة مدام لوبرين: أريد أن أرى هذا الصّغير وقد بلغ العشرين من عمره. متأكّدة من أنّ كلّ النّساء سوف تكنّ مجنونات به، وكنت بالفعل آمل أن تتغيّر الأمور حين أبلغ العشرين من عمري. لكن، في الانتظار، كان الوقت يمضي ويدخلني أكثر فأكثر عمقا الإحساس ببشاعتي. وبدأ حلم الخطاب الثّمين يتحدّد في الوقت نفسه ويتعمّق، رغم أنّه لم يعطني أحد الفرصة لإظهار ذلك. سوف يكون فعّالا أن أقدّم العالم لامرأة، أقشذر لها المعنى الأشد تغليفا للمشاهد واللحظات، أن أقدّم لها عملها جاهزا. أن أمتنّ في كل مكان لها ودائما، لفكرتها، لإدراكها، أن أقدّم لها الأشياء مهيّأة سلفا، مدركة مسبقا، باختصار أن أكون السّاحر المدهش دائما، ذاك الّذي يجعل حضوره من الأشجار أكثر من مجرّد أشجار، والمنازل منازل أكثر، والعالم يوجد أكثر. غير أنّني كنت عاجزا عن ذلك. أسجّل هذه الرّغبة لأنّها مرّة أخرى تحقيق للتناغم بين الفنّ والحبّ. الكتابة، هي الإمساك بمعنى الأشياء وجعلها أفضل،

وكذلك الإغراء. ثم إنّي أرى بدهشة عمق هذا التّسلّط الموجود هنا. ذلك لأنّنا في نهاية المطاف إن فكّرنا في ذلك، لن يتعلّق الأمر بأقلّ من الإدراك عوضا عن امرأة، والتّفكير عوضا عنها، سرقة أفكارها لتبديلها بأفكارنا. ذلك أنّ أفكاري ممتحنة بوعي مبتهج تصبح فتونا في نظري، مكتسبة فقط النّتوء والمسافة الضّروريّين كي أستطيع أن ألتذّ بها. في الانتظار؛ لم تظهر بعد المرأة الّتي سوف أغريها. وهو ما لم يمنعني في ذلك الوقت من أن أتّخذ قرارا أن أكون برفقة النّساء عوضا عن ملازمة الرّجال. وسوف أعود لهذا. في تلك اللّحظة صفعني زوج أمّي بكلمة بقيت ختما على جبيني: إنّه مثليّ قال وهو يشير إليّ، وأردف لن يعرف أبدا كيف يتحدّث إلى النّساء. أعرف جيّدا حكاية هذه الكلمة. قيلت بمزاج مرح، خال من القساوة من قبل زوج أمّي، الذي كان عليه أن يقدّر شيئا مّا هذا الصّبيّ العامل الصّلب، ودون نبوغ كما يتصوّرني هو. لكن هناك دائما في حياة صبيّ مّا هذه الكلمات المقذوفة بشكل مرح وهي مثل ولّاعة مدخّن مرح يتفسّح في غابة الايستريل، وتأتي عليها كلّها. لست واثقا من أنّ هذه الكلمة لم تكن أحد الأسباب الكبرى لكلّ هذه المحادثات الّتي ضيّعتها بشكل غبيّ، للتّلفّظ، فيما بعد بكلام متكلّف، لأثبت لنفسي، في الجملة، أنّني أجيد الحديث مع النّساء. ويقينا هناك سنوات قد نسيها زوج أمّي. إضافة إلى ذلك قال لي بعد مدّة بشكل قاس (كانت توبيخا في تفكيره وكانت بلسما لقلبي محا كلّ شيء): «ياه! أنت رجل للنّساء وهو يرى من خلال ذلك أنّني رجل قادر على جعل النّساء مجنونات». أعجبني أن أفهم: «رجل مغلّف بالنّساء. لكن من المؤكّد أنّ هاتين الكلمتين كان لهما التّأثير البالغ عليّ». لم أنجح في علاقاتي مع النّساء بلاروشيل. وأوّل ما وصلت إلى باريس لم أنجح أيضا، وصار جول لافورغ كاتبي المفضّل: يفتخر بكبرياء أنّ في قلبه آلاف القصور وغباوة النّساء تمنعهنّ من زيارتها. وجدت نفسي عنده. وكنت أقرأ أبياته الشّعريّة وأنهمر بكاء. خاصّة في تلك اللّيلة حين ذهبت مع أبويَّ لمشاهدة أوبيريت عنوانها مدام حيث رأيت ممثّلة بشعة جذّابة اسمها دافيا تغنّي إنّها ليست سيّئة على الإطلاق لهذه الدّرجة [414] لقد ملكت قلبي هذه الجملة. حال عودتي من

414. ليس الجمال دوري،

الأوبريت أعدت قراءة قصائد دي لافورغ وانهمرت في النّحيب. كان بول نيزان يستسلم لكآبته رغم أنّ حظوظه كانت أفضل منّي. لكن ما تغيّر بالفعل منذ قدومي إلى باريس أنّني عثرت على رفاق وصديق. كانت الصّداقة الفعل الرّئيسيّ. شيء ما برز في حياتي خلال سنتي السّادسة ونيزان وفق أشكال مختلفة لم يتخلّ عن هذه الصّداقة من وقتها. لقد حصلت على ثلاث صداقات حميمة وكلّ صداقة مماثلة لفترة محدّدة من حياتي: نيزان-غيي- الكاستور (لأنّ الكاستور كانت صديقتي أيضا ولازالت كذلك) ما تمنحه لي الصّداقه شيء آخر أكثر من التّعلّق (ولعلّها تبدو كذلك)، عالما موالفا، نضع فيه أنا وصديقي كلّ قيمنا، كلّ أفكارنا، وشهواتنا في شراكة معا. وهذا العالم تمّ تجديده بابتكار غير متوقّف. في الوقت نفسه؛ كلّ واحد منّا يسند الآخر وينتج عن ذلك زوج بقوّة معتبرة. لعلّ هذا لا ينطبق كثيرا على علاقتي بغيي إذ لم ننجح في أن نضع عوالم مشتركة. رغم انجذاب كلّ واحد منّا نحو الآخر بشكل كبير، وشعور كلّ واحد منّا بالتّقدير نحو الآخر، لكنّ أشياء عديدة تفصل بيننا. ثمّ إنّ مجموعتنا لم تكن مغلقة: إذ كان هناك ماهو وكانت هناك مدام مريل الّتي كان غيي يدعوني أن أفضّلها بالخصوص، وانتهى بي الأمر إلى تفضيلها. لكن في حالتي نيزان والكاستور فما يهمّ بالأساس هو هذا الزّوج القويّ الّذي نمثّله. لقد كانوا دائما يقارنونني بنيزان في معهد المعلّمين سارتر ونيزان، وكان التّماثل بيننا قويّا لدرجة أنّ البعض يختلط عليه الأمر في التّفريق بين أسمائنا. بعد ذلك بوقت طويل سوف ينادونني أنتوان بلوي[415] واعتقدوا أنّه نيزان أستاذ بالهافر. في السّنة الماضية

أسعى لتكون عندي روح

أتحمّل مصاريف لأكون غريبا،

إلى أن تغير الناس رأيها فجأة بدون شعور منها

وسوف يقولون لأنفسهم مثلك ذات يوم:

إنها ليست سيئة على الإطلاق إلى هذه الدرجة.

هذا ما يغنيه شيكوريه إحدى شخصيات مدام لهنري كريستيني، كتيب ألبير ويليميتز، الآنسة دافيا هي من ابتكرت الدور، في ديسمبر 1929 بمسرح دونو. كان سارتر وقتها عمره ثمانية عشر سنة.

415. غراسيه باريس 1933.

التقيت برونشيفيغ[416] بمقرّ المجلّة الفرنسيّة الجديدة وقال لي: «أصرُّ على أن أقول لك، إنّه بالرّغم من الهجومات الّتي نشرتها ضدّي، فإنّي أحبّ كتبك كثيرا. لبثت أنظر إليه مبهوتا وهو يغادر المكان دون أن يتيح لي فرصة الرّدّ. لأنّ الهجومات ضدّ برونشيفيغ كان نيزان هو كاتبها في مؤلّفه، **كلاب الحراسة** [417]. وأيّ كتب كان يحبّها؟» من الصّعب تحديد ذلك. المؤامرة؟ كلاب الحراسة؟ الغثيان؟[418] ما يهمّ على كلّ حال، أنّنا نمثّل قوّة معتبرة ومحترمة. وفي الجملة منذ بلوغي سنّ السّابعة عشرة عشت ضمن إطار زوج ولا أقصد بذلك زوجا عاطفيّا. أريد أن أقول إنّني كنت ملتزما بشكل من الوجود المشعّ والحارّ قليلا، دون حياة داخليّة ودون أسرار، حيث كنت أشعر دائما بضغط حضور آخر عليَّ، وكنت أتصلّب لتحمّل هذا الحضور. لقد جعلتني الحياة في إثنين صلبا وشفّافا مثل لؤلؤة، لولا ذلك ما كنت لأحتملها. لعلّها أحد الأسباب الكبرى دونما أيّ شكّ لشهرة حياتي، لقد قلت إنّ أقلّ مشاعري، أقلّ أفكاري كانت منذ ولادتها مشاعة. استغربت فاندا من أنّني أخطّط لنشر دفاتر على غاية من الحميميّة الخالصة. غير أنّ هذا أصبح بالنّسبة إليّ طبيعيّا، ولقد تملّكني وسواس أنّ هذا كلّه مأتاه أصدقائي. أشعر في كلّ لحظة أنّ أصدقائي يقرؤنني حتّى في قلبي، وأنّهم يرون أفكاري تتشكّل، حتّى وهي مجرّد فقّاعات دبقة وأنّ ما كان بالنّسبة إليّ جليّا هو أيضا جليّ بالنّسبة إليهم. كنت أحسّ بنظراتهم في عمق داخليّ، وهذا يجبرني أن أنجلي بسرعة، لطرد الغبش الّذي بداخلي وما أن تنتمي فكرة لي بشكل شفّاف، تصبح ملكا لهم دفعة واحدة. استقرّ في ذهني منذ ذلك الوقت وضوح لا يُقهر، لقد كان قاعة عمليّات، معقّمة، بلا ظلال، بلا زوايا مخبّأة، بلا جراثيم، تحت ضوء بارد. ورغم ذلك بما أنّ الحميميّة لا تترك نفسها للنّفي كان هناك دائما فيما وراء هذا الإخلاص للبوح العموميّ نوع من سوء النيّة المتعلّق بي، كان أنا نفسي. لا ليس

416. المقصود به الفيلسوف ليون برونشيفيغ.

417. الدفتر الأول صفحة 151 التدوينة 1.

418. المؤامرة لبول نيزان والغثيان نشر الكتابان في نفس السنة 1938 عن دار غاليمار.

إلى درجة أن أحتفظ بأسرار لي بل أكثر من ذلك هو فرار بشكل مّا من هذا الإخلاص نفسه وأن لا أستسلم له، إن شئنا كنت بمعنى مّا واقعا، وبمعنى آخر كنت أفرّ وأنا أرى نفسي واقعا وبانسحابي من هذا الجزء العموميّ لنفسي ذاتها لسبب وحيد هو ردّ الاعتبار إليها. لقد سبق وقلت أنّ الشّكل الجوهريّ لكبريائي يتمثّل في ألّا أكون متضامنا مع نفسي. هل تكوّنت كما لو أنّها دفاع ضدّ الشّفافية الخانقة للصّداقة، أو بالعكس هل هي التي سمحت لي أن أتحمّل هذه الحياة العموميّة الجليّة؟ لست واثقا من ذلك لكنّ العلاقة بديهيّة. وحده الوعي المغلق يكون دائما فيما وراء ما أَتحتُ لنفسي الاستسلام له، لمدّة سنوات طوال، دونما حجاب، في عري كامل أمام أصدقائي. وحدها كبريائي سمحت لي بهذا الإخلاص التّامّ. هذا الإخلاص الّذي لم يكن من قبل شاملا إلّا في الوقائع المعلن عليها ولكن يترك موقفي تجاه الاخلاص سلبيا. كلّ ما أقوله عن نفسي ينفصل عنّي حين أقوله ويصبح مشتركا، كنز موالف، لقد كنّا نحن أكثر من نفسي ذاتها. لكن ماذا كانت إذن نفسي ذاتها؟[419] مجرّد نظرة، ليست بالحزينة ولا المبتهجة، نظرة متأمّلة ومتحفّظة فيما أقوله، فيما يأتيني سواء من الذّهن أو من القلب. أعيش منفصلا عنّي مثل ميم. تيست[420]؛ لم يكن عندي هذا التّشوّش الحارّ والحميم مع نفسي ذاتها، الّذي يصلح تسلية وحاضنة للكثير من النّاس. كلّ ما أحسّه، أسارع في إمساكه بقفّازات، أعبّر عنه بكلمات، قبل أن أتركه يبلغ تطوره المكتمل، أجهده شيئا مّا وأقدّمه طازجا للصّديق، ويسعفني برأيه، ويساعدني أن أتمّه

419. هل وجدت سيمون دي بوافوار نفسها في هذه "الشفافية" لقد طلبت من سارتر أن يجيبها عن ذلك في آخر رخصة له: "ما المقصود بإحساس في رأسك؟ " في اللحظة التي يكتب فيها هذه الأسطر مازال سارتر مصدوما ب"حكاية" كوليت X، والتي أوشكت أن تدمر حب فاندا له وترج ثقة سيمون دي بوفوار فيه. لمرتين خلال أيام متقاربة ينفي حبه لهذه الأخيرة: في رسالة مقاطعته لبيانكا ولزيادة حدة الصدمة، أمد إنه لا يحس بشيء تجاه أي واحدة منهما؛ ولفاندا أملا في تخفيف هيجانها، أنه سوف "يمشي على جثة الكاستور" من أجل حبه لها. يبدو إنه يخشى ان "يجن" مرة أخرى: "هل تعلمين إنني في هذه اللحظة في حال غريبة جدا. لم أكن يوما في وضع سيء مثل الآن منذ أن كنت مجنونا (...) شكل من اللاتوازن العاطفي والأخلاقي لم أعشه منذ أخر مرة جننت فيها." رسالة إلى الكاستور بتاريخ 29فيفري.

420. الشخصية التي ابتكرها بول فاليري سنة 1896.

على أفضل وجه. بالكاد تكون قد وُلدت، فإنّ حركة النّزوة أو المزاج، الكرم أو الكبرياء تحصل على بطاقتها، وقد تمّ تصنيفها ضمن حركات مماثلة بل تشدّها إلى قيمة مّا، لقد اتّفقنا بشكل مشترك أنّه ملوم أو حميد باسم الأخلاق أن نقبل بالإثنين. ثمة شيء مّا ينقصني. وما ينقصني لا يمكن شرحه[421] عشت طويلا دون أن أنتبه له، إنّها طريقة مّا للارتياح في الذّات، أن أكون في جسدي مع ذاتي. تنمو الأحاسيس بداخل فاندا غامضة، بلا عدد في نوع من اللامبالاة، إلى درجة أنّها يمكن أن تذهب بعيدا دون أن تخشى أن يتم كرها من شعرها، أن توضع تحت الضوء، مهزوزة، قتيلة بقبضة واحدة على الرّقبة، ثم مصففة محنطة أو محشوة بالقشّ. هذا ما عبرت عنه الكاستور قائلة: أنت لست نفسانيا وهو ما لا يعني أنّي لا أمتلك نفس ردود الفعل النفسانية مثل الاخرين، لكنّها بالعكس سرعان ما تظهر في داخلي مثل نباتات مجفّفة في معشبة. يجب أن أقول إنّ هذه الشّفافيّة التّامّة، تعود إليّ ولا تردّ إلى الأصدقاء، فالأنا هي المحدّد للصّداقة. حتى الكاستور ظلت محافظة دائما على مناطق الظّلّ أو الرّصانة الّتي كانت لها ملاذ النفساني حيث تنمو ألف جرثومة عطوفة أو مرّة، بالنسبة إلى غيي ونيزان فهما يحافظان على الاحتياط بدقّة. ورغم ذلك أجرّهما إلى شعاع الضّوء البارد هذا. نتيجة هذه الفيدرالية، حين تمت مع الكاستور، مرفوعة إلى أعلى اكتمالها، كانت سعادة مهشّمة وشبيهة بالصّيف، لقد اشتكت الكاستور منها برقّة في روايتها. بطلتها فرانسواز[422] الممنوعة من كلّ أشكال الرّغبة، خارج ذاتها، كانت تعيشسعادتها المبتورة. لقد عشت إلى حدّ هذه الحرب بشكل عموميّ. وهذه الدفاتر هي بالأساس طريقة، للاستغراق أكثر في هذه العموميّة، غالبا ما أجهد انطباعاتي. حتّى يسمعني الآخرون: أجهدها في الاتّجاه الصّحيح، ولسوف يكون خطأ طازجا وغامضا أفضل من حقيقتهم العمياء. لأنّه ليس لهذه الحقيقة أيّ شيء تاريخيّ. لا تهمّ الإنسان الّذي أنا عليه في ذلك اليوم، في تلك السّاعة. هي حقيقة ماهية. من خلال

---

421. نشير إلى أن سارتر قام بشطبتين من التشطيبات النادرة في دفتره، لقد كتب في الأول: كان هناك... شيء ما ميت بداخلي. وذاك الذي مات. الخ .

422. المدعوّة.

الماهية يمكن لإنسان مّا اختبار انطباع مّا في ظرف مّا. لقد تمّ تعريف الظّرف، الطّريقة، الانطباع بدقّة بالغة. غير أنّ كلّ هذا لم يعد أنا. والحقيقة؛ أنا أعامل مشاعري كما لو أنّها أفكار: فكرة مّا؛ ندفع بها إلى أن تحقق أو تصبح أخيرا ماكانت عليه. لكن إن كان لعالم النّفس الحقّ في التّعامل هكذا تجاه المشاعر، سوف يستغيث الإنسان طالبا الرّحمة. فهو يريد أحيانا الحصول على ردود فعل لا يستطيع تسميتها. غير أنّني لست نفسانيا. لأنّني أتصرّف بالضّبط كعالم نفس تجاه نفسي ذاتها. ودون أدنى شكّ ساهم أصدقائي في إعطائي هذا الموقف. في الأثناء وأنا أستسلم تماما لهذا كلّه، وأنا اقتحم ماهو إلى درجة إنهاكه، وأنا أشيِّد رفقة الكاستور آلات عاكسة لا تتآكل، كنت أحلم بشخص آخر أجمل، متردّد، غامض، بطيء ونزيه في أفكاره ليس لديه لطافة مكتسبة لكنّها لطافة خفيّة وعفويّة، لست أعرف لماذا أرى هذا شبيها بعامل متشرّد في الشّرق الأمريكيّ. لكم أحببت أن أحسّ بتَشَكُّل أفكار مريبة بداخلي ببطء وصبر، لكم أحببت غليان فورات غضب هائلة غامضة، إغماء مواقف حنوٍّ كبيرة دون سبب. كلّ هذا يستطيع عاملي الأمريكيّ (يشبه غاري كوبر) أن يقوم به ويحسّه. إنّي أراه جالسا على منحدر للسّكك الحديديّة، منهكا ومغبرا، ينتظر مرور القطار ليقفز داخل عربات الحيوانات دون أن يراه أحد، ولكم أحببت أن أكون، هو. بل ابتكرت رفقة الكاستور شخصية أكثر جاذبيّة (لعينيَّ)، الجمجمة الصّغيرة، الّذي يفكّر قليلا، يتكلّم قليلا ويفعل دائما ما يجب. كلّ شيء أتخيّله ينتهي بالتحقّق لي، كما لو أنّها حتميّة متفرّدة، وها أنا ذا ألتقي بالجمجمة الصّغيرة: وهو الصّغير بوست. لكن سوف أعود لهذا. ما هو مؤكّد، أنّه في قلب الصّداقة غالبا ما تصوّرت الحبّ مناسبة لفقدان الرّأس والتّصرّف في نهاية المطاف دون معرفة منّي بما أفعله.

لقد سبق وقلت ذلك؛ إنّ القوّة هي الوجه الآخر لهذه الشّفافية المرهقة، الصّفاء الأولمبيّ والسّعادة. لقد بدت هذه الأزواج المختلفة الّتي كنت دائما أحد أعضائها مهشّمة للنّاس الّتي تحيط بنا بما تمتلكه من قوّة. وقد كانت كذلك بالفعل. خاصّة الزّوج الّذي شكّلته بمعيّة الكاستور مؤخّرا. لقد كانت علاقتنا صلبة وفاتنة بالنّسبة إلى الغير إلى درجة أن لا أحد يمكنه أن يحبّ واحدا [يقصد نفسه وسيمون دي

بوفوار] دون أن تتملّك به غيرة متوحّشة، تنتهي بأن تتحوّل إلى جاذبيّة لا تقهر نحو الآخر، حتّى دون أن يراه أو يلتقي به، لمجرّد سماع حديث عابر حوله. على أنّ الصّداقة لم تكن بالنّسبة إليّ دائما مجرّد رتباط عاطفيّ غامض، فحسب، بل محيطا، عالما وقوّة.

رغم أنّني، لم أُجعل للصداقة. لقد خيَّبت آمال كلّ أصدقائي، ليس خيانة، نسيانا أو عدم مراعاة لكن من خلال نقصان حرارة عميق، بالنّسبة للمراعاة. لقد تعاملت مع كلّ واحد منهم بشكل منفرد، فلم أتخلّف عن أيّ موعد مهما كان، ولم أكن لامباليا. لكن كان هناك دائما شيء مستعمل يخذلني رغما عنّي. عادة ما يؤاخذني غيي على أنّني أريد البروز بمظهر الشّخص الكامل. يدَّعي أنّني وأنا خارج من عند مدام موريل أفرك يديَّ، وأنا أقول للكاستور هل رأيت أيّتها الكاستور الجميلة، لقد كنت شخصا كاملا. بيْد أنّ غيي في صداقتنا هو الأكثر إهمالا، والأكثر تدلّلا، خلال أوقات كثيرة كان الأشدّ لامبالاة. لكن كان يمتلك في غالب الأحيان حرارة تواصليّة، حنانا شبيها بحنان النّساء، غيرة استثنائيّة كنت أبعد بكثير عن أن امتلكها. لم أكن أغضب أبدا. رغم أنّه يُخضعني أحيانا لتجارب قاسية جدّا: أصل لبيت مدام موريل لألتقي به – كنّا قد تواعدنا أن نلتقي هناك– ووجدت رسالة على طاولة الصّالون: لقد ذهبنا بالسّيارة إلى سان–جرمان، انتظرنا، انتظرت لساعتين، لثلاث ساعات منشغلا بقراءة قصص هزليّة من القرن السّابع عشر، عثرت عليها في مكتبة الصّالون. ثمّ عادوا قال غيي: «هذه السّيدة غير محتملة، لقد كانت دائما تقول: سارتر البائس هناك، إنّه ينتظرنا، وكانت تريد العودة. لكنّ الطقس كان جميلا جدّا...»، في الأثناء، كان قطاري في اتّجاه الهافر ينطلق السّاعة الثّامنة، وبقي من الوقت ربع ساعة للتّحادث معهما. لم أغضب. أنا لا أغضب أبدا، غير أنّني لم أكن واثقا أنّ اعتدال مزاجي لم يحمّلهما المسؤوليّة، لقد اتّخذ شكل اللّامبالاة وبمعنى مّا، ذلك ما حدث بالفعل. لا أتذكّر أنّني محوت حركة البهجة على محيّا غيي حين وصلت بالقطار إلى باريس لملاقاته. لم أكن أنتظر أصلا أن ألتقي به. وإن كان قد تركني لساعتين أنتظره في صالون مدام موريل، فإنّني لم أتضايق، بل قضيت كلّ هذا الوقت أقرأ وأستمتع

بوحدتي (لقد سبق أن قلت إنّني أحبّ دواخل الآخرين وخاصّة هذه) لقد وجدت عزلتي شاعريّة. وحين يكشف لي غيي عن بعض حنانه- أنه حنان خفي دائما وجذّاب- قسأتضايق لا محالة. فأنا أتضايق ما إن تصبح العلاقات مع رجل غير سطحيّة وحارة. لا أحبّ أن استسلم ولا أن يستسلم أحدهم لي. ليس لأنّه يجب أن أكون متكتّما. بالعكس، يحدث لي أن أتحدّث عن أدقّ تفاصيل حياتي حتّى لا يخاله الآخرون مسارارت. غير أنّها بالنّسبة إليّ ليست كذلك: لا أقول شيئا لست على استعداد لقوله لجميع النّاس، ما أسمّيه مساررة يتحدّد من حيث الشّكل بل من حيث المحتوى، من خلال تداع، من خلال إهمال رطب، من خلال رغبة في أن تكون مفهوما ومدعوما. أتجمّد، إن ضاق صدر شخص ما منّي. من المؤكّد أنّه كان عندي شغف ببيلليتييه وبوتيلليه وبنيزان. لكن كان ذلك في زمن لم تنضج فيه فكرتي عن الجنس ومن المؤكّد أنّه كان هناك شيء من الحبّ الأفلاطونيّ في عاطفتي. يصدمني بشكل حادّ جدّا العري الأخلاقيّ والجسدي لشخص مّا. لا يرى غيي أيّ حرج في أن يقف أمامي عاريا تماما، وكنت أنفر من ذلك إلى أبعد حدّ ولا أعرف أين أخبّئ بصري. لقد سبق وكتبت هنا، أنّه شكل من اللّواط المقنّع، ولم تتمالك الكاستور نفسها عن الضّحك بشدّة وهي تقرأ هذه الملاحظة. وأتصوّر أنّه ليس كذلك بالفعل. ماهو إذن؟ لا أعرف؛ ربّما هو شكل من الفظاظة في فصالة الجسد الذّكوريّ يدعوني أنا أيضا إلى الفظاظة، ثمّ هناك جزء كبير منّي فظّ ووقح وربما يتحيَّن الفرصة هنا ليتجلّى. أو لعلّ الحنان عندي ذو خصوصيّة جنسيّة، تماما مثل الحميميّة، ولا أتصوّر أنّني يمكن أن أكون حنونا مع رجل دون أن أشعر باندفاع نحو الجنس لا يعرف كيف يُستخدم، يُنبِرني ويضايقني كثيرا. لا أريد أن أتحدّث عن الرّغبة. غير أنّني أرى أنّ حناني الودّيّ إزاء مدام موريل يتغذّى أيضا من أناقة ملامحها، بشرتها، حركاتها. ثمة هنا ما يشبه قرابة طبيعيّة. بل إنّني غالبا ما لاحظت في الحنان غموضا غريبا يترسخ بين وجه الغير ووجهي. حين يُبالغ كثيرا في هذه الظّاهرة يصبح له اسم في التّحليل النّفسي؛ لقد رأينا مرضى يحملون القدح إلى أفواهم ويقولون لمن هو جنبهم: انظر أنت ذا من يشرب الآن؟ أو في المقابل هناك من يرى من بقربه يتناول جرعة، فيتخيّل

أنّه هو من يشرب. وبالفعل ذاك ما يحدث لي حين أشارك الآخرين حناني، إنّه لعبتي الخاصّة في علم الفراسة أن أقرأ وجه الآخر، يتراءى لي أنّ تلك هي هيئتي بالضّبط. ومأتى هذا دونما شكّ من أنّ سحنتي الخاصّة، كما يحدث في العواطف المشتركة، تدهش الآخر وتبعث على ولادة ابتسامة رقيقة أراها مزدهرة على الشّفتين. أشعر أنّها ابتسامتي الّتي تولد أسفل الشّفتين. غير أنّ الحقيقة تكمن هنا، لقد كنت أشعر دائما أنّني حنون على مستوى جسد الآخر. ورغم ذلك، فإنّني أحسّني أكثر، من ملامحي وأخترق بها الوجه الآخر. رغم أنّ الحنان عندي ليس مجرّد شعور، بل هو موقف بين اثنين، لقد ملكت قلبي هذه الجملة. ومن البديهي أنّ الآخر متى كان رجلا، أن تكون فظاظة جسده عائقا لا يقهر لاكتمال هذا الموقف بينهما. لذلك فهمت جيّدا أكثر من أيّ شخص آخر، ما تكابده الصّبيّة الصّغيرة من عوائق، قبل أن تعرب عن رغبتها في رجل مّا بشكل واضح ونهائيّ، وهو ما سمّيته أنا والكاستور بحسب عبارة لشارل دي بو في تقديم سيّئ لرواية سيّئة لهوب ميرلييز[423] الأسلوب العذريّ لكلّ صبيّة. فجسد الرّجل يبدو لي لاذعا أكثر، أشدّ غنى، وأشدّ شهوانيّة من أن يكون مرغوبا فيه بسرعة. لا بدّ من تدرّب مّا على ذلك. لقد أكّدت لي أولغا ذات بمقهى فيكتور دي روان، أنّ جاذبيّة امرأة أو صبيّ صغير سرعان ما تنكشف، في حين أنّه لا بدّ من تعوّد طويل وانتباه مخصوص لتنكشف جاذبيّة رجل. لقد كنت دائما أفكّر وأنا أتلذّذ بتقبيل فم طريّ ورقيق في ذلك الإحساس الفريد الّذي قد يحدثه فمي الفظّ والنّتن جراء التّبغ. سوف يقولون إنّ المرأة ترغب في الرّجل لأنّها امرأة، غير أنّ هذا لا يعني أيّ شيء بالنسبة إليّ. أفكّر عكس ذلك؛ إنّه بالنّسبة إلى المرأة كما هو الشّأن بالنّسبة إلى الرّجل، المرأة هي موضوع الرّغبة المطلق. ولكي يكون الرّجل مرغوبا فيه، يجب أن يتحقّق ترحيل.

لكن ليس هنا مجال معالجة هذا الموضوع. لقد أردت الإشارة فقط، أنّني لا أتصوّر

---

423. صدمة العودة لهوب ميرلييز صدرت عن دار بلون بباريسسنة 1929.في تقديمه لهذه الرواية يقول شارل دي بو ذاكرا المؤلفة بالإسم ويقصدها بحديثه: "الكتاب مجبولون على النسيان كثيرا، فلازال عند البنات إلى اليوم شيء من العذرية ".

من جهتي وجود الحنان في علاقاتي مع الرّجال، رغم أنّني قد عقدت صداقات مع من أسميهم رجالا-نساء، نوع نادر جدا، يقطع مع الرّجال الآخرين بهيئاتهم الجسديّة الجذّابة وبجمالهم أحيانا، وبآلاف الحميميّات الثريّة ممّا يجهله جموع الرّجال. كان بإمكان غيبي، أن يستغرق في أحاديثه، عن شبابه، لساعات طويلة بمزاج خاصّ، ورغم بشاعتي فأنا شخصيّا أبدو رجلا- امرأة من خلال انشغالاتي الأساسيّة، لكنّ الرّجال الآخرين بالخارج كلّهم، ينسون أنفسهم بشكل كليّ، إنّهم آلات حاسبة. يزعجني هذا النّوع من الرجال ويثيرون سخطي، أهرب منهم ولزمن طويل-زمن كنت شابا صغيرا- كنت أفتخر أنّني شريك النّساء ضدّهم. أتذكّر أنّه منذ سنتين، كان هناك في الورشة ممثّلة اسمها لوسي الصّغيرة، شابة نزقة وكذّابة، ممسوسة، بتكلُّف نسائيّ فظّ، لكنّها في نهاية المطاف امرأة، دعتني ذات يوم لتناول وجبة الغذاء رفقة صديقها، مصريّ رائع بعينين محتدمتين، غيور في غموض، بدا لي أنّه يجسّد النّوع الجيّد من الذّكور، ذلك النّوع من الرّجال الّذي يغمى عليه من الشّهوة وهو يداعب نهد امرأة جميلة، ويحميها بيد صلبة حين لا تحتاج إلى ذلك، وينهار راكعا على قدميه قدّامها بعد بروق رعديّة، ويفعمها بانتباهاته الخرقاء دون أن يكون قد فهم شيئا من أسلوب تصرّفها، إنّه من النّوع الّذي يمكن أن يُجنّ قلقا حين تحبّه وينعم حين يراها تفكّر في شخص آخر، ينحب قدّامها أحيانا بدموع ملتهبة ويتركها تشدّه من أرنبة أنفه. من المؤكّد أنّها كانت تعشقه، لكلّ هذه الصّفات، كانت تشعر أنّها وحيدة جنب هذا الجسد القويّ الّذي كانت حرارته الحسّيّة تلجها؛ كانت تعشقه لأنّه كان بمقدورها أن تخونه. لقد حاولت مراودتي ولم أستسلم لها، ومن المعلوم أنّها قد تقبّلت في غير رفض، مداعبات كلّ الممثّلين في الورشة، من جميع الأعمار، والأجيال، من المراهقين، وحتّى الشّيوخ. لقد تبادلنا، بعض الإغراءات السّاذجة، وكدت أن أقع في شركها، ولم أعرف أيّ نوع من المتعة الغريبة وجدته في ذلك. ونحن نتناول ذلك الغذاء لم تكفّ طيلة الوقت عن ملامسة قدميّ أو ساقيّ بساقها. كانت المسألة محسومة عندي، فقد قرّرت أن أوصد دونها أبوابي. أتخيل أنّها كانت تجد متعة ماكرة في خيانة صديقها، أتخيّل أنّها بما كانت تأتيه من حركات، لم تكن تريدني لذاتي، وإنّما من أجل صديقها،

تريد استثارته، وإحراجه، فتلك طريقتها في أن تحبّه، وقد بدا لي في الأثناء مؤدّبا دمث الأخلاق، وهو يحدّثني، عن تبريزه في الحقوق. من الواضح أنّها كانت دبقة جدّا بعاطفة كان وجهتها، فلم أكن في اعتبارها أكثر من وسيلة. الممتع في الأمر أنّها قد انتبذتني للقيام بهذه المهمّة، لاستنفار الرّجل الشّرقيّ في محبوبها، وللسّخرية منه، لم يكن الأمر أكثر من لعب مدبّر، وهي تعلم جيّدا أنّي أتعامل مع لعبها في حدود مّا. وهي تجذبني إلى هذا اللّعب دون حياء، كما لو كنت خصيّا أو امرأة. هي تعلم بشكل مّا أنّني في صفّها وأنّني أنثويّ بما يكفي لأشاركها السّخرية من هذا الرّجل، بما يمنح اللّعب أقصى درجات المتعة والإثارة، لقد كانت هذه شراكتي الأخيرة الفالتة في هذا النّوع من اللّعب.

في الصّداقة هناك نوع من الصّرامة التي تضايقني وتثقل عليَّ. لأنّني لا أشعر بالضّبط بشيء كبير في داخلي، فهي تتمثّل عندي كواجب. لقد حاولت المحافظة على علاقات صداقة مع النّساء إذ كانت روابط أخرى تجمعني بهنّ. لكن ما إن أتوقّف عن الحبّ، أتضايق. أعتقد أنّني لست في حاجة إلى صديق لأنّني بالأساس لست في حاجة إلى أيّ شخص، لست في حاجة إلى أيّ مساعدة، ولست في حاجة إلى هذا الإنقاد الصارم والمستمر الذي قد تمنحه لي الصداقة. لم أرغب إطلاقا، منذ رحلت إلى الحرب، أن التقي بشخص يضاهيني ذكاء، وينتبه للأشياء كما انتبه لها. في المقابل، أعرف كيف أستعمل الآخرين بشكل سيّئ؛ غالبا ما تقول الكاستور إنّني لا أستمع لحكايات الآخرين. وهذا غير عادل غير أنّني في نهاية المطاف أسمع بشكل سيّئ وعادة ما أتحرّك على كرسيّ في انتظار أن تنتهي الحكاية. هناك أصدقاء فلاسفة أجد صعوبة في أن أندمج معهم، ولا أرغب في الحديث معهم عنّي، أتضايق بسرعة من الجلوس معهم. تنقصني طبعا نزعة إنسانيّة شخصيّة. أحسّ بالحشود، بالنّاس الّتي تمرّ، لكن ليس عندي نحو الأشخاص هذا الودّ الأوّليّ الذي على أساسه تُقام الصّداقات الجيّدة. بالعكس فردّ فعلي الأوّل هو الاحتراس والارتياب. إنّني أكتب هذا في مبيت للجنود، وهناك مائة شخص في القاعة. يدهشونني وهم كتلة، ولا أريد أن أرى كلّ واحد منهم على حدة، فقلّة قليلة منهم يمكن أن تصدمني بمواقفها أو

بكلامها. ليس بينهم من أتمنّى أن أعرفه. لا أحبّ الرّجال، أقصد الذّكور من هذا النّوع.

في معهد المعلمين، مع نيزان، اكتشفت الرّفقة وكان هذا، بالنّسبة إليّ طريقة جيّدة لتكوين الرّجال. أن أحيا وسط عصابة، هذا ما كان يجذبني فجأة. أعتقد أنّ هناك متعة مخصوصة أن يشعر المرء أنّه منفصل عن الخلفيّة الّتي تشكّلها الجماعة، أن يشعر من حوله بنوع من التّضامن الّذي يمكن الإفلات منه، قبل أن يلتفّ عليك. أعتقد أنّ ما كان يجذبني بالخصوص هو التّزامن الّذي يحسّ به الجميع. من الطّبيعيّ؛ أنّه في الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر فإنّ جاري الّذي بجانبي يتصفّح مجلّة، وهناك شخصان غير بعيد يلعبان الشّطرنج، وهذا أيضا تزامن. لكنّه تزامن مجرّد بمعنى مّا، مشتّت إلى ألف فعل صغير محلّيّ ومعزول. إنّني أفكّر فيه ولكن لا أحسّه. في حين؛ أنّه وبسبب التّضامن الّذي يوحّدنا، فكلّ حركة من حركاتي في وحدة مجموعتنا تعطي نفسها كمتزامنة مع حركة أخرى لبقية الرّفاق: هذا يضفي عليها نوعا من الضّرورة. وأنا ببرلين؛ رأيت بهلع كيف أنّ الألمان يتلذّذون بهذا التّزامن. بناو فالت، مستودع شاسع يرتاده آلاف الألمان لاحتساء البيرّة، على الرّكح كانت ثمة فرق بافاريّة مهمّتها الوحيدة تثبيت هذه التّزامنيّة؛ فبينما يلقي أحدهم قبّعته في الهواء، يكون الآخر منهمكا في الرّقص وثالث ينفخ في بوق. إلخ. جاذبيّة هذا العرض تتمثّل في خلال الّتي لا علاقة لها إطلاقا بالتعدّدية في وحدة جسد الباليه، لأنّه متنوّع فعلا وعلى مستوى الواقع في وحدة مؤثّرة ببساطة. فهو شيء نشعر به بقوّة ويمتعنا. ثمّ أريد أن أكون قائدا منشّطا. وبالتّأكيد أريد ذلك كانتقام من الإهانات الّتي تعرّضت إليها في لاروشيل وأثّرت فيَّ كثيرا. فهل كنت بالفعل هذا القائد؟ أيّا كانت ردة الفعل، إعجابا أم نفورا، إزاء ما كنت أجتهد في القيام به، بغاية الإضحاك، فإنّني كنت أميّز في الجماهير ضربا من الارتياب، حين يتعلّق الأمر باختياري قائدا. لن يرفضوا منّي طبعا روح المبادرة ولا العناد غير أنّني أظلّ مصدرا لعدم ارتياح بالنّسبة إليهم لأنّه تنقصني مسؤولية المنصب، فهناك بعض التّهريج بداخلي وأنا من النّوع الذي أكثر من التهريج في التّجمّعات الاجتماعيّة، يتعامل معي النّاس بمزيج من التّسلية والخزي، يتحدّون

أنفسهم بأنفسهم، وفيما يخصّني فقد وقفت على خزي أن تكون قائدا. لكنّ رغبتي في التّحكّم تحوّلت، ولم ينقطع حلمي في التّحكّم، الّذي تمّ لي من خلال الحبّ، والعاطفة، وتحوّل عنهما في مرحلة موالية إلى رغبة في التّسلّط الرّوحيّ، وفي أن أكون الحكيم النّاصح، يحجّ إليه المريدون، فيهديهم، ويوجّههم، ويبدّد حيرتهم، وبدقّة أكبر تقت إلى أن أكون كاهنا [ستاريتس بالرّوسية في الأصل] من جماعة دوستويفسكي. ولعلّي إذا استبطنتني سأعثر على أجزاء صغيرة من هذه الرّغبة القديمة. لقد نال منّي الإحساس بالغربة وبالغمّ كثيرا حين غادرت حياة المجموعة بمعهد المعلّمين. ليس هناك؛ أيّ صداقة أو أيّ حبّ بإمكانهما تعويض كثافة هذه الحياة المميّزة والبسيطة. سوف تكون غير محتملة بالنسبة إليّ الآن. وعلى بعد سنوات من ذلك الزّمن؛ صرت كلّما وجدتني بين مجموعة من الرّجال أتصرّف مثل مراقب فظّ. الغريب؛ بعد ذلك، أنّني رغم كلّ شيء أيقظت تودّدات بداخلي: برونشفيغ وكوبو ببرلين، بياتر هنا. أقسم جيّدا أنّها لم تكن تستحقّ. لئن تركت لبعض المتجانسين مجال الاقتراب منّي بحثا عن مغامرة أو لمجرّد التّطفّل، فليس لي من رغبة سوى: أن أتركه حالما تكون الظّروف مواتية. لا أطيق العلاقات الذّكوريّة الّتي يعقدها البعض في مثل سنّي ولا تكون رفقة عصبة أو صداقة فقط. ها قد مرّت سنوات لم أحتج فيها رؤية رجل، أو مواعدته. وأتضايق في المقابل من حرص بعضهم على لقائي، وطمعهم في ذلك. أعيش محاطا بنساء لن يتخلّفن عن إعطاء أيّ شيء لمعرفة فولكنر أو كالدوال [إرسكين كالدويل كاتب روائيّ أمريكيّ من رواياته طريق التّبغ]، ورغم إعجابي العميق بالأوّل وشعوري بالودّ الكبير نحو الثّاني فلا رغبة لي في رِؤية أيّ واحد منهما. ولا حتّى همنغواي الّذي يقولِ عنه الجميع إنّه ودود. وإن تطلّب الأمر أن أعبر شارعا وأصعد الطّابق الثّالث لرؤيتهم، سوف أفعل ذلك دون أدنى شكّ، ولكنّ الخطب سينوقّف عن ذلك الحدّ. أو بالأحرى؛ سوف أعطي الكثير لأراهم يعيشون وأتابعم عن بعد، لامرئيا بالنّسبة إليهم. غير أنّ ما سوف يقزّزني هو أن يكون التّواصل متبادلا وأن يرونني حين أراهم، أن يكون هناك رابط عاطفيّ بيننا مهما كان هذا الرّابط ودّيا أو مجاملة.

باختصار هل حدث أن أحببت رجلا بأتمّ معنى الكلمة في مثل سنّي -باستثناء بول نيزان وكان ذلك سابقا؟ لا أعتقد. ولا حتّى رغبت أن يحبّني رجل مّا. تظلّ الضّمائر خلال الصّداقة متمسّكة بنوع من الصّلابة، بنوع من الحرّيّة الّتي تبدو لي صارمة جدّا، لم أكن أحتاج للاستسلام لمثل هذا النّوع من الضّمائر، لم أكن منجذبا سوى لتلك الإغماءات المضطربة والعبوديّة الطيّعة لضمائر الحبّ. باختصار ها هنا بالنّسبة إليّ نصف من البشريّة بالكاد يعيش. النّصف الآخر -أي نعم أقول ذلك النّصف الآخر هو هاجسي الوحيد والدّائم. ليس لي من متعة إلّا برفقة امرأة، ليس لي من تقدير، من حنان، من صداقة سوى للمرأة. لن أخطو أيّ خطوة من أجل رؤية فولكنر، لكنّني سوف أتكبّد مشاقّ سفرة طويلة لرؤية روزاموند ليهان [روائية ومترجمة أنجليزية 1901-1990من مؤلفاتها رواية القصة والمصدر] لأتحدّث مثل بوست: سوف أحبو على ركبتيَّ ذاهبا إليك! أحمرّ وأنا أكتب كلّ هذا، ففيه نغمة من أحبّ النّساء إلى حدّ الجنون الّتي يغنّيها **تينو روسي** [424] لكن في نهاية المطاف ذلك هو الأمر، ربّما اعتقد البعض، في البدء، أنّ هذا الهوى الّذي لا يختار يحدث عند شابّ في مقتبل العمر بإحساس رومنطيقيّ طاهر. ولكن ها أنا ذا الآن في الخامسة والثّلاثين من عمري محاط منذ سنوات طويلة بالنّساء وأريد دائما أن أعرف أخبارهنّ، أمّا الان فكلّ شيء قد انتهى[425]. أتضايق بشكل قذر من رفقة الرّجال، وأفضّل الحديث مع امرأة حول أشياء صغيرة تافهة على أن أتحدّث في الفلسفة مع آرون. ذلك أنّ هذه الأشياء الصّغيرة التافهة، هي المعنى الحقيقيّ والعميق، لكلّ شيء. أتفاهم جيدا مع النّساء. أحب طريقتهنّ في الحديث، في قول الأشياء، نظرتهنّ إليها، ننسجم، ونتماهى، دون قيد أو شرط. لقد عبّرت لوقت طويل عن تقديري لهنّ داعيا لمساواتهنّ مع الرّجل ومطالبا بحقوقهنّ. وفي الوقت نفسه أرفض فكرة القبول بأنّ هناك فرقا بين الجنسين وأردّ الفروق الثانويّة إلى التّربية والمجتمع. غير أنّه من السّيئ خدمة قضيّتهنّ، بطريقة مهينة. فأن تكون لهنّ الحقوق نفسها، فذلك أمر بديهيّ، لا ينكره

424. تلميح لأغنية أحب النساء ذلك هو جنوني 1936 للمغني الكورسيكي تينو روسي.

425. لا يمكن أخذ هذا التأكيد الأخير مأخذ الجدّ.

عاقل، غير أنّي أرى أنّ إيفاءهنّ ما هنّ به جديرات من الثّناء، أفضل من أن نساوي بينهنّ والرّجال، وأن نذكّرهنّ على الدّوام، بتآمر التّاريخ عليهنّ، وحدّه من إمكانات فعلهنّ، الحماقة الّتي ارتكبها أوغست كونت بصفاقة هي أنّه أسند إليهنّ وجود الشراكة في الحساسيّة. كما لو أنّ هذا يعني شيئا مّا. كما لو أنّه توجد كفاءة بشريّة اسمها الحساسية محرومة منها فئة كبيرة من الناس. كما لو أنّ كلّ وقائعيّة لا توجد بشكل كلّي في أيّ تمشّ من تمشّياتها. لا بل من مراجعة كلّ المسألة. لكن ليس فقط من خلال تأكيد المساواة بين الجنسين، مثل عقلاني كانتي جيّد سوف تنحل المسألة. هذا المفهوم للمساواة لا يعني أيّ شيء ولقد أخطأت في ذلك كلّيا.



29 **فيفري**

لست أعرف، إن كنت قد فضّلت مرافقة النّسوة كي أتخلّص من بشاعتي. أضيع فيهن وأنساني بالتّحديق فيهنّ، بالحديث إليهنّ، بمثابرتي على أن يبزغ على وجوههنّ مظهر حيويّ وسعيد. لقد مضى على هذا ربع قرن، وأجدني اليوم محرجا إذا ارتبطت بأيّ شكل من العلاقات مع االمرأة بشعة، أو معيبة، فالجمال شرط أساسيّ تتحقّق به أنوثة المرأة، وهو ويهب الرّجل ما يتطلّبه من أحاسيس، وهو السّمة المميّزة للعصر، ويسري الأمر على الرّجال أنفسهم، ولعلّني عميقا، لا أريد أن أغيّر وجهي، ولكنّني أريد له جمالا دائما. وممّا لا شكّ فيه أنّ شهوة الجمال عندي، ذات طابع سحريّ، لا حسّيّ، ولكم أردت أن آكل الجمال وأجعله يمتزج بي، أتصوّر أنّني بشكل مّا أعاني تجاه كلّ النّاس الآخرين من عقدة تقمّص نفسي. وهذا ما يفسّر أنّني اخترت دائما رفقة رجال جميلين أو من أراهم كذلك على الأقل. قال ماهو «للكاستور» ذات مرّة بشكل خادع: تتمثّل هيبة سارتر وتراجيديّته، في أنّه يجد في كلّ شيء حبّا شقيّا للجمال، ولم يكن مراده من ذلك، أن يؤكّد على ما أشعر به من أسف تجاه بشاعتي، فحسب، وإنّما أراد أن يؤكّد لها أنّ حبّي للجميلات ضرب من التّعويض، يخفي وراءه رغبة في الإمساك بضرب من الجمال الّذي لم يتسنّ لي تحقيقه فيما أكتب. لقد كان معجبا إلى أبعد حد بباريز وأندريه جيد ولا يدرك جمال الكتابات إلّا بشكل ضيّق

جدًا. وكنت في ذلك الوقت أعبّر بأسلوب أناتول فرانس عن أفكار وعرة وخشنة. لكن يبدو اليوم أنّ فكرة ماهو على قدر من الصّحّة أكثر ممّا كان يتصوّر. لست سوى رغبة في الجمال وخارج هذا إنّه الفراغ، اللّاشيء. ولست أعني بالجمال فقط لذّة اللّحظات الحسّيّة بل بالأحرى الوحدة والضّرورة في مجرى الزّمن. الإيقاعات، استعادات الأزمنة.. ما يجعل دموعي تنهمر. تذهلني الأشكال الأكثر أوليّة لدوريّة الزّمن. أشعر أنّ هذه المجريات الدّورية هي بالأساس زمنيّة، ذلك أنّ التّناظر الفضائيّ يتركني لامباليا. أفضل مثال لذلك، هو تلك الرّغبة الّتي تملّكتني في فيفري من أنّ رخصتي كانت ثمينة جدًا. أي أنّني شعرت بها إلى أقصى حدّ مثل جريان مُعدٍّ نحو نهايته. ليس غريبا إذن أن تكون الموسيقى عندي الشّكل الأكثر إدهاشا والمعبّر المباشر والأوّل الّذي ينفذ منه الجمال. وبالأساس فإنّ كلّ ما رغبت فيه شغوف، ومازلت أرغب فيه، رغم أنّه اليوم شبه مستحيل، هو أن أكون في خضمّ حدث جميل. لا يكون قبالتي مثل لوحة تشكيليّة أو نغمة موسيقيّة، لكن يكون حول حياتي وفي حياتي، مع زمني. حدث أكون فيه الفاعل الرّئيسيّ وتدور معه إراداتي ورغباتي، لكن تحدّد توجّهاته إراداتي ورغباتي، حيث أرى المِلفّ مثل رسّام مؤلف لوحة. على أن يكون هذه الحدث جميلا، أي أن يكون الضّرورة البديعة والمريرة لتراجيديا مّا، لميلوديا مّا، لإيقاع مّا، لكلّ هذه الأشكال الزّمنيّة الّتي تتقدّم مهلّلة، من خلال استعادات دوريّة نحو نهاية تحملها بخاصرتها. لقد شرحت كلّ هذا في الغثيان، وسوف نرى بعد قليل لماذا عدت لذلك. ما أريد أن أشير إليه الآن؛ أنّي أسند هذه الرّغبة المالحة والعبثيّة لجمال الزّمنيّة للإنسان. عوض أن أستفرد بها وحدي. أرى أنّ الكاستور مذهولة خاصّة بالعرض من خارجها لضرورة جماليّة لا بشريّة- لنفترض ذلك من خلال تتابع موسيقي لباخ أو من خلال لوحة تشكيليّة لبراك؛ هي لا تودّ أن تكون حياتها مادّة لهذه الضّرورة. عكس أولغا كوزاكيفتش المذهولة بالمحتوى الحسّيّ لشكل جميل. أذكر كيف كانت تقول لنا بشكل من الحدّة، في غرفة زيورو: لايهمّ كثيرا التّأليف والميلوديا، فالنوتات هي الّتي تذهلني لست بعيدا عمّن اعتقد أنّ بهاء حسّيّا آنيّا يكفي لإفعامها. والحقيقة، فالأمر أشدّ تعقيدا بما أنّ اللّحظة لن تكفي أبدا، لكن هل هي

على الأقلّ ذات قيمة مثاليّة بالنّسبة إليها، وبعد كلّ هذا، فإنّ هذا الحلم اللّامتحقّق ليس متناقضا أكثر من حلمي أنا، بل هو حلمي نفسه. لقد تحدّثت الأسبوع المنقضي عن اللّامتحقّق. ولنقل إنّني أمتلك لامتحقّقي الخاصّ بي: جماليّة الحدث. حين أقول إنّني أمتلك لامتحقّقي الخاصّ بي، لا أريد أن اقول من خلال ذلك إنّه حلم غامض أداعبه أحيانا. لا: لقد أُلقي بي في هذا الموقف، وجودي-في-العالم، إنّه وجود-في - موقف-لامتحقّق. إنّني في داخل هذا الحدث بالكامل يجذبني إليه الجمال ويفلت منّي: إنّها حياتي. وهو ما يفسّر كلّ تلك الأدوار الكوميديّة الّتي أقوم بأدائها دائما دون أن أكون مغفّلا، تلك الّتي تشبه في حقيقتها إيماءات لأسر اللاتحقق، رقصات سحريّة، وهو ما يفسّر تلك تلك العودات المفاجئة للبذاءات والتهكّمات الّتي غالبا ما صدمت المحيطين بي. باختصار، ذاك هو شغفي، وشغفي أنا تحديدا.

إنّ إلحاحي على هذه الحقيقة، ناجم عن يقيني أنّها السّبب الأكبر لغرامياّتي. لقد كان عندي ولزمن طويل- تقريبا إلى حدّ اليوم - وهم أنّ الحدث الغراميّ، ضروريّ، ممّا دفعني أن أصرف زمنا في البحث عنه. فالحبّ عندي لعبة مراعاة للإغراء. وأمر مخطّط له؛ بشكل يحمل نهايته في بدايته. النّهاية هي الاعتراف. فيما بعد سيكون فعل الحبّ الّذي تعتبره لايريس مثل القتل في ساحة الكوريدا. يتعلّق الأمر جيّدا بتطوّر مرتّب نحو هدف معروف-لكن هذا الاعتراف معروف على طريق فك العقد في التراجيديات اليونانيّة- منتظرة ولكن في نفس الوقت مردودة ومرغوبة من قبل الأثينيّين- معروف على طريقة حلول ميلوديا ما منتظرة كلّ شيء فيها غير متوقّع. وهذا الحدث الاختتاميّ، عليَّ أن أجعله يأتي من خلال كلماتي وحركاتي. نلاحظ جيّدا كم كنت بعيدا عن فهم الاضطراب الحسّيّ فقط. لا أجهله ولكن لا أشعر به. ولا يعنيني أن تشعر به رفيقتي أوّلا، ليس أكثر من أن يتمنّى مصارع الثّيران، أن ينهار الثّور، ينزف منه الدّم. لا بدّ من أن يكون في وضع استحقاقيّ، أي أن يقدِّم نفسه، في نهاية الكوميديا، في تلك اللّحظة الّتي تنزل فيها السّتارة، مجرورا بآخر لازمة كان يردّدها. سيكون الشّغف حسّيّا قويّا لو أنّ امرأة عبّرت بهذا الشّكل لي، فسوف تصدمني نهائيا وترجّني. كنت دائما أتصوّر المرأة -من خلال قراءاتي طبعا- ذلك

الكائن الّذي يقول لا في البدء ثمّ تترك نفسها تستسلم في مقاومة مستمرة لكنّها تخفت في كلّ مرّة. وهكذا فلكلّ واحد منّا دوره الواضح مسبقا. ترفض المرأة وأنا أصر بلطف، صبورا، مكتسبا في كلّ مرة أرضا جديدة لي في مملكتها. لكنّني لا أخطّط للإغراء مثل لعبة مكيافيليّة اصطناعيّة، على طريقة الشّابّ ستاندال. لا يعجبني إطلاقا أن أحصل على امرأة عن طريق الحيلة وهذا سوف يؤكّد حاجتي إلى الكوميديا أكثر منها إلى المرأة، الّتي توفّر لي فرصة أداء عرض كوميديّ قدّامها، بما أنّني لم أقبل أن أحصل عليها بأيّ وسيلة كانت. ومرّة أخرى يظهر أنّ تملّكها هو بالنّسبة إليّ أقل بكثير من وعود التّملّك. كي أغري امرأة أعوِّل فقط على كلماتي. أتذكّر جيّدا مأزقي في برلين: لقد رحلت إلى ألمانيا بنيّة معرفة الحبّ عند الألمان، غير أنّ قلّة معارفي من الألمان حالت دون الظّفر بما ابتغيت. هكذا أعزل من دون سلاحي، لبثت غبيا ولم أجرؤ على القيام بأي محاولة؛ واضطررت أن أتهالك على امرأة فرنسية. ولقد وجدت الكثير من الودّ في ملاحظة ساقها رجل مجريّ مغتاظ للكاستور قائلا: لو تعرفين كم أنا روحيّ، حين أتكلّم باللّغة المجريّة.

رغم أنّه لا يعنيني أن أكونا روحانيّا، أو أن أكون مضيئا. لقد قلت ذلك؛ لا بدّ من أسر العالم في الكلمات من أجل رفيقتي، أن أجعله أكثر جمالا وأكثر قوّة أن أساعده على أن يتجلّى، كما يقول أندريه جيد في نرسيس[426] وبالتّالي لن يكفي التّكلّم فقط. لا بدّ من تحريك الصّمت بشكل ذكيّ واختيار وجهات النّظر. وهذا كلّه في أساسه عمل أدبيّ، ولم يكن هدفي بالأساس أن أجعل من نفسي ضروريا مثل دروغمان، كما لو أنّني ترجمان بينها وبين العالم، لكن أن أُذوِّبني دائما في جمال العالم قدّام عينيها. إضافة إلى أنّ هذا العمل الفنّيّ الصّغير هو في موضعه من الجريان المرتّب لعمليّة إغراء، يعجبني في حدّ ذاته كما يعجب تطوّر تيمة في ميلوديا دون أن نفصل هذه التّيمة عن مجموع حركات الميلوديا. وهذا ما كنت أتعلّق به الأكثر من كلّ شيء. وبما أنّ أغلب رفيقاتي كنّ ذكيّات وعصيّات، كان لا بدّ أن أعرف كيف أتصرّف وأحمل معي عند المساء الذّكرى الكافية لامتلاكي، عمل جيّد. اليوم بما أنّني أستطيع أن أتحدّث عن كامل

---

426. دراسة حول نرسيس (1891).

ذلك الزّمن ببرودة، أعتقد أنّ كلّ ما قلته، حتّى مع أفضل نساء العالم، المساويات لي كان بائسا جدّا. كان يجب أن يكون مدعوما ليمرّ عبر المكان والطّموح، اللّحظة واليقين الماكر، حيث كنّا نحن الإثنان ملتزمين بروابط غراميّة. ختما لقد كان كلّ هذا سهلا، بل سهلا جدّا وكما قالت الكاستور بعد ذلك بزمن في المهبّ. وقد استعملنا في ذلك الوقت لتمييز الموضوع، عبارة صنع العجيب. عندي اليوم، تلك الخطابات، الصّمت، وتلك الملاطفات المرعبة، لكن ألم تكن مرعبة في وقتها حقّا، في الوقت الّذي كنت أتلذّذ بها فيه. كنت أعود من المواعيد جافّ الفم، عضلات الوجه متعبة من شدّة ما ابتسمت، الصوت مُزَفَّت بالعسل، مشبع بتقزّز لم أكن أريد أخذ احتياطاتي منه، وأن أضع رضاي ب تقدّم شؤوني قناعا لي، أن أباغت بعض الالتماعات في بعض النّظرات، أباغت بعض الحركات غير المحسوبة. وما هو ممتع هو – أنّني كنت واع تماما بأداء دور في الكوميديا– لم أكن أتخيّل للحظة أنّ المرأة هي أيضا تلعب الكوميديا بجانبي وأنّ اعترافاتها المتحفّظة، ومساراتها المنفلتة كانت مرتّبة بدقّة شديدة مثل خطاباتي. ورغم ذلك فأنا على يقين أنّ ذلك هو ما يحدث في أغلب الوقت. يتعلّق الأمر بطبيعة الحال بهذه الكوميديات نصف – الواعية، قليلة التّهكّم الّتي نعثر عليها في الكثير من العلاقات الغراميّة– وهذا ليس فقط بسبب أسلوب المرأة ولكن لأنّني على ما يبدو أسمّي هذه الكوميديات على طريقتي. هل كنت قد علمت أنّني قد بالغت في ذلك. لم يكن الأمر يعني عندي مجرّد سكاتش لكلّ واحد فيه دوره الّذي سوف يؤدّيه. أرى اليوم جيّدا أنّه يلزمني أن أبتسم، بجانب المرأة بسذاجة تامّة. في هذا المنجز الفنّيّ المتهالك الّذي أحاول تشكيله، تمثّل المرأة المادّة الخامّ الّتي يجب أن أُشكّلها [427].

427. الدفتر الثالث عشر غير موجود (من 1 إلى 5مارس).

الدّفتر الرّابع عشر

مارس 1940

بروكسفيل –بروماث

6 **مارس** 1940

يظهر في رسم البيتي باريسيان بتاريخ اليوم، فتى هركولي شرّير يطعن شابّا ويتركه يصارع الموت بقسوة، لكن دون جدوى، ويظهر في جانب من الرّسم جنديّ نحيف في متوسّط العمر يتابع المشهد وقد استبد به الهلع، يقف ملاصقا للحائط لا يكاد يتحرّك. والشّابّ المطعون يصيح فيه: أنت أيّها الجنديّ المسترخص، لا عليك، لا تحمل مشقّة لتقول لي إنّك كنت بطلا في تقديم المساعدة.[428] بدا لي هذا الرّسم بعد آلاف الرّسوم الأخرى، بعد أغنية شوفالييه الّتي انتقدتها في أحد دفاتري[429]، دالّا. إنّه تدمير لفكرة العسكر. لقد وُلدت فكرة الجيش زمن أسلحة المهن، وهي بالأَوْلى تضيف لما هو عسكريّ التّشجيع المدنيّ. وبما أنّ الجنديّ مرتزق شيئا مّا، فهو دائما متحمّس شيئا مّا. مثل تلك الحشايا الأمريكيّة الّتي صارت مشهورة من خلال سلسلة الأفلام التي تبدأ بـ امرأة في كلّ ميناء. لقد هيّأته صفاته كمصارع أن يختاره

428. عدد البيتي باريسيان بتاريخ 6مارس (على الأقل النسخة الأخيرة المحفوظة بالمكتبة الوطنية) لا تحتوي هذا الرسم؛ نسخ الأيام السابقة لا تحتوي أيضا على الرسم. ربما تم حذفها بين طبعتين.

429. في الدفتر الثاني المفقود (رسالة إلى الكاستور بتاريخ 18ديسمبر)، من المؤكد إنه يقصد الأغنية التي ألفها موريس شوفالييه سنة 1939الفرنسيون الممتازون وطنية ساذجة.

محترف التّجنيد، بل إنّ هذه الصّفات تخدمه في الحرب، فلقد كانوا يتقاتلون بالسّيوف، بالخناجر لينتهي الأمر بهم أن يتقاتلوا بالأيادي. لكنّ الأمّة المسلّحة، غيّرت في كلّ هذا، وجرّاء ذلك لم يعد الشّخص قويّ البنية هو المطلوب للجنديّة بل البقّال، الخبّاز، موظف البلديّة، كلّ هؤلاء النّاس الهزيلين والمسالمين ممّن كانت كلّ الصّحف زمن السّلم تسخر من عيوبهم القائمة: جذام جبن، تفاهة، إلخ. يبقى أن تكون أمّة مسلّحة وامتلاك وعي بالذّات كأمّة مسلّحة فهذا يعني إثنين. بالضّبط كما يعني إثنين أن تكون هناك طبقة عماليّة وامتلاك وعي بالذّات كبروليتاريا. يبدو لي أنّ التفاعل الأوّل للأمّة المسلّحة مع نفسها هو تفاعل ميتولوجيّ. سنة 1914 صدر كتاب مُذهَّب للبقّال، الخبّاز، إلخ. احتوى على رسوم تخلّف انطباعا مثاليّا. نلمح فيها هذه الأجساد الهزيلة، هذه الحركات المرتبكة، هذه الرّؤوس المدنيّة، لكنّ التّأثير الفنّي جعل من هذه الوجوه النّحيفة تتنفّس طاقة لا تُقهر، لقد كانوا يعانون من هزال نُسكيّ واتّسمت مواقفهم المرتبكة بحركيّة المحارب. كان آبيل فيفر[430] شرح هذه الرّسوم المُذهّبة. عاد هؤلاء إلى ديارهم واستعادوا مهنهم وعاداتهم اليوميّة، وها هي الحرب القوميّة الثّانية. يبدو لي أنّ الأمّة المسلّحة هذه المرّة قد أدركت وعيها بنفسها. هذا الانتظار الطّويل لبداية الحرب ترك لها الفراغ. ونعلم هذه المرّة أنّ أولئك الجنود الّذين ينتظرون العدوّ على خطّ ماجينو، هم أنفسهم أولئك التّجّار الصّغار في الأصل، الموظّفون الصّغار زمن السّلم. والمؤكّد أنّهم يفكّرون –وعادة ما يفكّرون بشكل جيّد –أنّ هذه الفئات من النّاس صالحة وكافية للحاجة الحربيّة. لكنّ الفصل بيِّن بين مختلف أشكال الشّجاعة والحركة. فهذا الجنديّ الّذي يرتجف أمام قائد، هو بطل في مدّ المساعدة. ذلك أنّ مدَّ يد المساعدة يرتكز على قاعدة لعب–المباغتة، المحاصرة، طلقات بندقيّة وليس التحام جسم بجسم. بإمكان البقّال إن كان مؤطّرا بشكل جيّد أن يقدّم يد المساعدة. غير أنّ هذا لن يجعله قادرا على العراك كما ينبغي بقبضات اليد. فهو لم يصبح فجأة مقدّسا، ولن نبحث عن تمييز بريق جموح في عينيه. وإن فكّرنا أنّه أنجز على أكمل وجه مهنته كإنسان هناك، علينا أن نفكّر أنّه قد استنفد قواه في نوع من إنسانيّة الشّخص الطّيّب؛

430. رسام، مصور وكاريكاتوريست (1867-1945).

وبالتّدقيق تلك الإنسانيّة الّتي ساعدته على تحمّل الضّربات القويّة لزمن السّلم وهو محنيّ الرّقبة. هذا ما أسمّيه ضدّ-البطوليّة. وأمة مسلحة ديمقراطية واعية بنفسها كما هي، أعتقد أنّها على الطّرف الآخر النّقيض للبطوليّة. ذلك أنّ البطوليّة كانت دائما ويجب أن تكون شأن المختصّين. عليها أن تظلّ محاطة بهالة من العجيب ولا يمكن ولوجها. لكن إن اكتشفنا كما يقول فولكنر أنّ كلّ واحد بإمكانه أن يختار في البطوليّة، لن يكون هناك بطل على الإطلاق إذن. الأمّة المسلّحة مُدمِّرة للامتياز المقدّس للحرب، لأنّها في اتّجاه أن تماثل وظيفة المحارب بالخدمة المدنيّة. من خلال هذا تمدَّن الحرب لقد بقوا في بادئ الأمر على مسافة محترمة من المجنَّدين. وتلامذتي شوفار وكانابا[431] كتبا لي وقتها: من الصّعب أن يكتب شخص غير مجنّد لشخص مجنّد. غير أنّنا الآن أكبر منهم بكثير وهذا جيّد. ما الّذي سيؤول إليه كلّ هذا إن بلغنا درجة الموت، لا أعلم. لكن ما أعرفه هو أنّ الجنود يشتكون بلطف من الودّية المتهكّمة والسّاخرة للمدنيّين تجاههم. وهذا قاتل، لأنّ المدنيّ يشتغل، وهو يمارس مهنة يفتخر بها، يقدّم من خلالها أفضل ما لديه. لئن كفّ الجنديّ على أن يكون بطلا، فما هو إلّا كسول رغم أنفه، ولم يعد مُحتوىً ومُنْقَذا من متطلبات مهنة فنية، يقومون فقط بتغذيتها كي لا يقوم بأيّ شيء. باختصار، كما يقول ذلك الآخر، إنّما هو مجرّد عاطل فقط. وعليه أن يستمتع بذلك رغم هذه الأحقاد الّتي تتراكم في قلب الجنود، لأنّ هذا يؤدّي بدوره أيضا إلى قتل الحرب.

حين أبتهج لهذا الانحلال للرّوح العسكريّة، إنّما أقول فقط ما أراه، لا أكثر ولا أقلّ. أعرف أنّ هذه الرّوح في ألمانيا مختلفة تماما. إن لم أتحدّث عنها، فلأنّني لا أعرفها. لكن أعرف أنّ هذا التّغيير الّذي تعلنه الرّوح الفرنسيّة يتبع انتصار الدّيمقراطيات. وإن هُزمنا، فسوف يكون العكس تماما، وسيرى في ذلك مؤرّخ مُقبل، صاحب تفكير متشدّد، دليلا، وسببا أساسيّا لهزيمتنا. هكذا يتّضح أنّ المعنى العميق للرّوح الشّعبيّة

---

431. يقصد رينيه جوزيف شوفار الذي أصبح ممثلا فيما بعد- أدّى دور خادم الطوابق في فيلم خلف الأبواب المغلقة وجان كانابا الذي أصبح فيما بعد صحافي شيوعي والذي سوف يختلف معه سارتر سياسيا سنة1954 ("عملية كانابا " في الأزمنة الحديثة مارس 1954 تمت إعادة طبعها في مواقف).

ملتبس. إن كان الأمل في الانتصار النّهائي للبلوتو ديمقراطيات [البلوتو إشارة إلى تنفّذ حكم الأثرياء وبلوتو مشتقّة من اليونانيّة في الأصل] فلن أعوِّل على بطوليّتها بل على ثرواتها. أتوقَّع حربا دونها أيّ هيبة، حرب اقتصاديّة بالخصوص. يمكن أن يظل الانحلال في هذه الحالة غير مؤذ وعاملا ملائما. كلّ المسألة تحوم حول هذا السّؤال: هل هناك قانون حديديّ في التّاريخ يريد أن تُلتهم المتحضّرة جدّا، والمسالمة جدّا، بفعل هذه الحضارة؟ فإمّا أن لا قيمة لهذا القانون سوى في العصر الحربيّ، أي بالنّسبة إلى الحقبة المنتهية حين كانت المسائل العسكريّة والاقتصاديّة منفصلة عن بعضها نسبيّا. إن كان القانون الحديديّ موجودا إلى الآن، فنحن إزاء هذا اللّامعنى بشكل أنّ جرعة من الخشونة العبثية متضمّنة أسطورة البطل وعصمة القائد العسكريّ، سوف تكون ضروريّة لصحّة الأمّة، محكومة بالسّبب وهكذا، فكلّ حكم معقول، بإضعاف هذه الخشونة، يُضعف أيضا الأمّة ويُضعف السّلم. وبالتالي ف صحّة أمّة تصبح شكلا من أشكال التّوازن بين جرعة مّا من الوحشيّة البدائيّة والعقل. لكن؛ ماذا لو أنّ الاستخفاف المادّيّ الاقتصاديّ يقطع أجنحة المحارب، فإن كان النّفط ضروريّا للحرب أكثر من الشّجاعة، فإنّ ما سوف يبدو من جبن ضار ملطف للناس المتحضرين جدا يمكن أن يصبح روحا جديدة. والخنق دون هيبة للمحارب من طرف الجبناء يصبح بدوره القانون الحديديّ الجديد. فالمؤرّخ الّذي يقيِّم الايديولوجيا بحسب نجاحها، عليه أن يرى في هذه الإيديولوجيا المزعومة المنحلّة متناقضات الرأسمالية المعاصرة الّتي أدَّت إلى الحرب ولا تستطيع أن تخوض فيها. ويمكن أن تكون هذه الإيديولوجيا عامل تطوّر إذا كان الانتصار من نصيب الغنيّ وليس من نصيب من هو أشجع. سوف يظلّ الأمر صائبا، لهذا السّبب ولعدّة أسباب أخرى، إنّنا فعلا عند المنعطف، لأنّ الانتصار وحده سوف يحدّد قيمة ايديولوجيتنا أو الإيديولجوجيا النّازيّة.

1888 – خطاب بيسمارك على منر الرايختاغ. يعبّر فيه لآخر مرّة عن تصوّره للأمّة المسلّحة من خلال التّصور البالي لسلاح المهنة.

إن أردنا نحن في ألمانيا أن نخوض حربا والحصول على كلّ ما ننتظره بواسطة قوّة

أمّتنا؛ يجب أن تكون هذه الحرب حربا شعبيّة. حرب لن نكون مكرهين فيها من خلال إرادة الشّعب، سوف نخوضها، إن آمنت الشّبكات القديرة بها وأعلنتها حربا ضروريّة. غير أنّه سوف ينقصنا منذ البداية الحماس والاندفاع... من الطّبيعيّ أن يعتقد كلّ جنديّ أنّه متفوّق على منافسه، سوف يكفّ عن أن يكون جنديا مستعملا إن لم يرغب هو بنفسه في الحرب وإن لم يؤمن بالانتصار... (432)

نحن لا نعتقد في تفوّقنا على الجنود الألمان، نحن لا نرغب في هذه الحرب، بل نحاول تجنّبها إلى أبعد حدّ. نأمل في الانتصار ولدينا انطباع أنّ هذا الانتصار مرتبط بالظّروف الّتي لا علاقة لها البتّة بقيمتنا العسكريّة، لا سيّما منها الجانب الاقتصاديّ، ورغم هذا نحن على كلّ حال جنود مستعملون.

أنا متأكّد من أنّني الإنتاج المتوحّش للرأسماليّة، للبرلمانيّة، للمركزيّة والتّوظيفيّة. وبسبب من هذا الرّباعيّ أجدني هنا، في الرّأسماليّة يجب أن أكون مقطوعا عن الطّبقات العمّاليّة، دون أن أظفر بمعبر للأوساط الّتي تسيِّر السّياسة والاقتصاد. وفي البرلمانية أجدني مدينا لفكرة الحريّات المدنيّة، الّتي هي أصل شغفي المهووس بالحرّيّة. وأمّا المركزيّة فقد جعلتني جاهلا بالأشغال الفلاحيّة، كارها للرّيف، وأبعد ما أكون عن أيّ تعلّق جهويّ، وحسّاسا في مقابل ذلك أكثر من أيّ شخص آخر لأسطورة باريس-المدينة-الكبرى، كما يقول ذلك كايو (433). وفي التّوظيفية أنا مدين بهذه اللّاكفاءة التّامة في مادّة الأموال التي هي التّحوّل الأخير للنّزاهة و عدم الاهتمام. لعائلة الموظّفين، فالموظّف في فرنسا، هو بتول العقلانيّة. لكلّ هذه التّجريدات المطروحة جمعا، عليَّ أن أكون تجريديّا ومنبتّا. كان بالإمكان إنقاذي لو كانت عندي موهبة الحساسيّة، غير أنّني بارد. ها أنا ذا في الرّيح، لم أعرف الوحدة مع الأرض من خلال الأشغال في الحقول، ولا الوحدة مع طبقة مّا من خلال تضامن المنافع، ولا

---

432. في كتاب بيسمارك لإيميل لودفيغ.

433. انظر التدوينة 1 ص424.

الوحدة مع الجسد من خلال المتعة. موت أبي، زواج أمّي الثّاني وتنافر مشاعري تجاه جدّي أشياء كان من شأنها أن تنزع عنّي مبكرا التّأثّر العائليّ، بأسبابه وظواهره، وأمّا قساوة رفاقي في لاروشيل فقد علّمتني الانطواء على نفسي. جسدي سليم، قويّ، وديع ومتكتّم، باستثناء أنّه يمرّ أحيانا بضوضاء خلال أزمة مغص كلويّ. لست متضامنا مع أيّ شيء، ولا حتّى مع نفسي. لست في حاجة لأيّ شخص ولا لأيّ شيء، تلك هي الشّخصيّة الّتي جعلتها لنفسي خلال الأربع وثلاثين سنة المنقضية من عمري. وهو ما يسمّيه النّازيّون بالفعل رجل البلوتو ديمقراطيّات المجرّد. ليس لي أيّ تعاطف مع هذه الشّخصيّة وأريد أن أتغيّر. ما فهمته، هو أنّ الحرّيّة ليست مجرّد الانفصال بعزم شديد عن الغراميّات والممتلكات. بل بالعكس، فالحرّيّة تقترح تجذّرا عميقا في العالم، ونحن في الجانب الآخر من هذا التّجذّر أحرار، في الجانب الآخر من الحشد، من الوطن، من الطّبقة، من الأصدقاء... أنا وحيد تماما. عوض أن أؤكّد أنّ عزلتي وحرّيّتي هما ضدّ الحشد، الوطن، إلخ. كتبت لي الكاستور أنّ الأصالة لا تتمثّل في أن يملأ المرء حياته بكلّ شيء أو أن يجعل بينها وبينه مسافة ليقيّمها، أو في التّحرّر منها في كلّ لحظة، بل بالعكس في الغوص فيها والانصهار معها. غير أنّه من السّهل قول كلّ هذا على القيام به، حين أكون قد بلغت الرّابعة والثّلاثين من عمري مقطوعا عن كلّ هذا، حين أكون نبتة هوائيّة. كلّ ما يمكنني فعله الآن، هو نقد هذه الحرّيّة الطّائشة الّتي ظفرت بها بعد نفاد صبري، مع تمسّكي الشّديد بضرورة التّجذّر. لا أقصد من كلامي هذا أنّه من الضّروريّ التّمسّك ببعض الأشياء، لأنّني متمسّك بكلّ قوّتي بعدّة أشياء لكنّني أريد أن أقول إنّه يجب أن يكون للشّخصية محتوى. وهو ما يوجب أن تكون من طين، أمّا أنا فإنّني مكوّن من الرّيح. دون أيّ شغف اجتماعيّ، أحيا خارج طبقتي وخارج زمني، شبيها بأرنب كلود برنار، متروكا عند نهايات التّجارب، بلا غذاء يجترّ نفسه بنفسه.

الحرّيّة مثل العقل لا توجد ولا تتجلّى إلّا من خلال الازدراء المتواصل للانتجات الذّاتيّة، لهذا السّبب كان التّهكّم أسلوب العبقريّة الفلسفيّة واللّيبراليّة، بصمة الرّوح البشريّة، والأداة الّتي لا تقهر للتّطوّر. (برودون: اعترافات ثوريّ).

7 مارس

أقرأ باهتمام بالغ غيوم الثّاني دي لودفيغ[434] أحاول من خلاله أن أعود وأردّد في ذهني مسألة تربكني منذ مدّة – منذ سبتمبر 1938 تحديدا. وقد تحدّثت أنا والكاستور بشأنها عدّة مرّات: أتّفق مع آرون أنّه في التّفسير كما في فهم الحدث التّاريخيّ يمكن أن نعثر على طبقات متعدّدة للمعنى. وتتيح طبقات المعنى المتعدّدة هذه إمكانيّة وصف الطّريقة الكافية لتطوّر التّمشّي التّاريخيّ، كلّ طبقة في مستواها المخصوص. غير أنّ هذه المعاني متوازية، ومن غير الممكن العبور من معنى إلى آخر. بهذا الشّكل يمكن تفسير حرب 1914 من خلال التّنافس الإمبرياليّ الألمانيّ الإنقليزي. نحن على أرضيّة التّفسير الماركسيّ والاقتصاديّ. بما يجعلنا نعود إلى كتاب لينين حول الإمبرياليّة والرأسماليّة[435]. لكن من الممكن أيضا تفسير الحرب متموقعين على أرضيّة معنى تاريخيّ بحت، بإبراز أنّ رابطة الشّعوب الجرمانيّة كتعبير للامتداد الألمانيّ تتمّة لمشروع الوحدة الّذي بدأه بيسمارك، وعلى نفس المستوى، يمكننا آخذين بعين الاعتبار المسؤوليّات الألمانيّة وحدها، الإشارة إلى أنّ سيطرة بروسيا مساوية لسيطرة الطبقة النّبيلة من اليونكر [لقب يطلق على الإقطاعيّين الأثرياء في بروسيا] المسلّحين. وعند مستوى معيّن من المعنى الدّيبلوماسيّ، يمكن أن نبرز كيف أنّ قطيعة تحالفات بيسمارك مع روسيا والنّمسا – تحالفات كان الهدف منها إيقاف تمدّد هاتين القوّتين، اللّتين كانتا على استعداد دائم للهجوم بخصوص البلقان- دفعت بروسيا للتّحالف مع فرنسا بما يعيد المجال للصّراع الرّوسيّ النّمساويّ مجدّدا. لنصل في نهاية المطاف لقصر الإمبراطور غيوم، لحكومته، لمستشاريه، لشخصيّته. هكذا يتّضح أنّ تحليل التّمشّي مقبول على أيّ مستوى من المستويات، ومن الممكن أن نجد الأسباب كما يقول آرون وفق عبارة فيبر[436]، ينكشف السّبب إن استطعنا البرهنة على أنّه في

---

434. منشورات بايو. باريس. 1930.

435. الإمبريالية بوصفها المرحلة الأخيرة للرأسمالية مكتبة الإيمونايتي 1925 باريس.

436. درس ريمون آرون "سوسيولوجيا ماكس فيبر" في مقالة حول نظرية تاريخ ألمانيا المعاصرة في كتابة فلسفة التاريخ. فرين. 1938.

غياب الظّاهرة المتبصّر فيها، فالاحتمال الأكبر هو أنّ هذه الظّاهرة لا وجود لها أصلا[437]. ومن المستحيل مقابلة هذه التّفسيرات والتّحليلات، إلى بعضها البعض والجمع بينها. الخطأ الشّائع عند المؤرّخين، أن يضعوا هذه التّفسيرات على نفس المستوى ويلحقون بـ ثمّ كما لو أنّهم من خلال تجميعهم هذا، يجب أن تنبثق كلمة منظّمة، بطبقات متراتبة، لتصبح الظّاهرة نفسها محتوية على أسبابها ومختلف تمشّياتها. بينما تظلّ المعاني في الحقيقة منفصلة. من الممكن، في نظام آخر للأفكار، إقامة رابط الفهم بين الأصليّ الجينيفيّ لروسّو والعقد الاجتماعيّ- أي تأليف العقد الاجتماعيّ انطلاقا من التّيّارات الإيديولوجيّة في جينيف. كما يمكنكم اشتقاق العقد الاجتماعيّ من خلال شخصيّة روسّو، أي أن نبرز من خلال شخصيّة روسو أنّه لئن توجّب عليه كتابة العقد الاجتماعيّ فعليه أن يكتبه كما هو. بذلك نتّبع سمة من أسلوب روسّو إلى درجة انعكاسه في العقد الاجتماعيّ كما يمكننا أن نفسّر الكتاب انطلاقا من مؤلّفات روسّو السّابقة عليه ومن خلاله هو نفسه. أن نستدرج هذا المؤَلَّف انطلاقا من الأفكار السّابقة لروسّو، أو بتفسير فصل مّا من المؤلَّف من خلال التّلاحم الدّاخلي للكتاب بضرورة المنطق. لكن لا يمكن في كلّ الأحوال أن تكون هذه التّفسيرات متزامنة. إنّها تخصّ مناطق وجود مستقلة بذاتها، وفي كلّ جهة منها يتّخذ المؤلَّف طابعا مختلفا. فمن البديهيّ أنّنا حين نفسّر العقد الاجتماعيّ، بجينيف مثلا تمّحي شخصية روسّو، إذا يصبح وقتها الضّمير المجرد فقط، الوسيط المعنويّ حيث يتحدّد الرّباط بين الإيديلوجيا الجينيفية والعقد الاجتماعيّ بوصفه مؤلَّفا قانونيا، تأليف من مجموع تأليفات أخرى لهذه التّيّارات الإيديولوجيّة، غير أنّني متى تبصّرت جيّدا العقد الاجتماعيّ انطلاقا من روسّو، فإنّه يصبح مجرّد امتداد لشخصيّته، مجرّد إسقاط لامتداداته الشّخصيّة، باختصار يصبح موضوعا ذاتيّا بحتا ولا مجال لمقارنته بأيّ أمر آخر. وتصبح الرّوابط الشّاملة الّتي تجمع روسّو بكتابه في هذه الحالة قضيّة نفسيّة

---

437. صياغة سارتر للفكرة هنا غير واضحة؛ إن قبلنا بأن حدثا تاريخيا لن يحدث في غياب ظاهرة مسبقة، فإنه من حقنا أن نعتبر هذه الظاهرة الأخيرة سبب لهذا الحدث: لا يمكن للسببية التاريخية وفق ماكس فيبر أن تكون موضوع معرفة مطلقة، هو حساب لاحتمال مرتدٍ إلى الماضي.

صرفا. ولوتأمّلنا الكتاب ضمن مجموع مؤلّفات روسو ومن خلال روسو نفسه؛ سوف نجد أنفسنا في مواجهة أفكار تتطوّر وفق منطقها المخصوص، وبطريقتها المميّزة، والمستقلّة. من المؤكّد أنّ الكتاب هو كلّ هذا، غير أنّه ليس كلّ هذا في الوقت نفسه. من هنا مبعث شكوكية آرون التاريخية.

كنت مقتنعا بكلّ هذا في سبتمبر 1938. أتذكّر الصّعوبة الّتي اعترضتني والكاستور، حين أردنا فهم أسباب الحرب المهدِّدة. ليس لأنّها عديمة الأسباب، بالعكس. لكن وفق أيّ مبادئ يمكن التّنسيق بينها وترتيبها؟ كيف يمكن المرور من صراع الشّعوب البروليتاريّة مع البلوتوديمقراطيّات إلى شخصيّة هتلر نفسه؟ إضافة إلى ذلك فإنّ ما هو مدعاة أكثر من غيره للاضطراب أنّ هتلر ومستشاريه كانت أمامهم فرص متعدّدة بين السّلم والحرب. ومازال هذا ممكنا إلى حدّ الآن في سبتمبر 1939، إذ تكفي مجرّد حركة لإنقاذ السلم وإحلاله. وأرى اليوم أنّ نقاشهم حول أهداف الحرب متأتّ من أنّ المميّزين يتموقعون كلّ حسب فلسفته الخاصّة، كما قال آرون، في مستوى مّا من المعنى لتحديد مسؤوليّات الحرب. فإن أرادوا تجنّبها في المستقبل لا بدّ من ضربها في صميم سببها. ذاك الذي سوف يكتفي بالنّظر لانهيار الاشتراك الوطنيّ إنّما يتموقع على مستوى المعنى الفرديّ: المسؤولون، وهم هتلر وملازموه. امحوا هتلر وسوف تعمّ السّلم. أمّا الذي هو عكس ذلك فيريد تمزيق ألمانيا وتبعيّة الضّفّة اليسرى للراين، مصرّحا أنّ الشّعوب مسؤولة على تصرّفات حكوماتها، إنّما يتموقع على مستوى «الجماعة التّاريخيّة». يستطيع أن يفعل ذلك بشيء مّا من السّعادة، سواء بتكرار خرافة البوش الشّرّير، ويعتقد في مبدأ فطريّ للشّرّ الفاسد لروح أيّ ألمانيّ، أو يستند إلى اعتبارات تاريخيّة واقعيّة: أصول الوحدة الألمانيّة، التّهديد المستمرّ الّذي تمثّله إمبراطورية مركزيّة، الموقع الجغرافيّ لألمانيا، الّذي يجعلها في خطر دائم ويجعل منها خطيرة أيضا، إلخ. أخيرا حين يؤكّد فالْوَا[438] أنّه لا يمكن

438. انظر التدوينة1 صفحة 252.. بروميثيوس منتصرا أو تفسير الحرب لجورج فالوا طباعة ليبرتي باريس. دأب جورج فالوا على كتابة ورقة يومية بعنوان عصر جديد والتي كان سارتر يواظب على قراءتها في ذلك الوقت.

الحصول على السّلم إلّا من خلال ثورة اقتصاديّة حقيقيّة ونوع جديد من تنظيم الإنتاج والاستهلاك، فهو يعتبر الحرب إحدى تبعات الأزمة الاقتصاديّة للقرن العشرين، ومقاومة الأمم الجديدة والبروليتارية ضدّ الامبراطورية الإنجليزية الفرنسيّة الضّخمة. ويتجلّى فيما سبق التّفسير المادي. ودونما شكّ يجب أن نقول إنّه يلزم في حالة انتصارنا في الحرب، الإطاحة بهتلر وفي الوقت نفسه اتّخاذ احتياطات تجاه الأمّة الألمانيّة وتحقيق توزيع أفضل للثّروات. لكن، من وجهة نظر منطقيّة، لن تظلّ هذه الأفكار مستقلّة. والمثال على ذلك، أنّه ليس الشّيء نفسه أن نعتبر هتلر مغتصبا استولى على السّلطة من خلال اضطرابات شعب مهزوم، ويمارس سلطته بإثارة الرّعب – كما لو أنّه انبعاث جديد للأمّة الألمانيّة، وتعبير مناسب وتام للرغبات والاحتياجات الجرمانيّة، تجسّد هذا الشعب[439]، أو كأداة يمكن تعويضها، لتطوّر اقتصاديّ هائل. لو أقمنا السّلم ونحن نأخذ بعين الاعتبار هذه المتطلّبات الثّلاثة الّتي نصّصت عليها، سوف يكون تبعا للّا يقين حيث يلمس المسؤولون العامل الحقيقيّ للحرب.

رغم، أنّ كلّ هذا يبدو لي صحيحا تماما، لكنّه غير كاف على الإطلاق، لأنّنا نكون قد أخطأنا إن نسينا أنّ هذه الفروقات في مختلف طبقات المعنى هي بالأساس بشريّة، وهي كما هي، منتوج وقائعية تتأرّخ. لقد كتب ماركس مثلا في بؤس الفلسفة أنّه يمكن للبؤس أن يكون ثورة فأجابه ألبير أولفييه في كتابه (**الكومونة**)[440] إنّ فعل البؤس لوحده لا يمكن أن يكون إلّا معرقلا. فلكي يصبح البؤس قوّة ثوريّة، يجب أن يكون مدركا ومتحمّلا من البائس باعتباره بؤسه الخاصّ. وليس هذا فقط بل أن يكون مدركا كموقف يجب أن يحدث تغييرا. أي أن يموقعه البائس في قلب عالم غير متسامح على نحو ملائم. لكنّ البؤس لوحده لم يكن أبدا غير متسامح: إنّه لاشيء على نحو ملائم. لقد كان عمّال 1935 في مستوى عيش منخفض بشكل لافت مقارنة

---

439. يعيد سارتر التفكير في مسألة "التجسد" في التاريخ في نقد العقل الجدلي (1960) بالخصوص المجلد الثاني "معقولية التاريخ" (نشر بعد موته)غاليمار 1985.

440. عن دار غاليمار 1939.

بمستوى عيش الأقلّ حظّا منهم اليوم ويرونه غير مقبول. ورغم ذلك صبروا عليه لأنّهم تعاملوا معه كموقف عرضيّ، أحيانا، وغير عرضيّ أخرى. الشّيء نفسه بالنّسبة إلى الّذي يُبين القوى الاقتصاديّة سواء كانت متنافسة فيما بينها أو متكافئة، لا يجب عليه أن ينسى أنّ هذه القوى بشريّة. حين، نتحدّث عن تنافسيّة الأسواق، أو حتّى عن الوضع الجغرافيّ لبلد مّا، حين نُبين أنّ الوضع الجغرافيّ لألمانيا محدّد لتاريخها، لايجب أن ننسى أنّ هذه التنفسيات هي أيضا بشريّة وأنّه ليس هنا موقف، جغرافيّ أو أيّ شيء آخر، إلّا بالنّسبة إلى وقائعيّة تلقي بنفسها من خلال هذا الموقف نحو نفسها. ليس هناك موقف غير متحمَّل على الإطلاق. لو كان الإنسان وجودا وسط هذا العالم، لن يكون هناك أيّ موقف، سوف تكون هناك وضعيّات فقط ولن تقوم الوقائعية بتفريخ الموقف فقط من خلال هجمة في العالم، لكنّها لوحدها تتّخذ قرارا بشأن معنى هذا الموقف. هكذا، تكون هناك قوّة ميكانيكيّة واحدة تتّخذ قرارا بخصوص التّاريخ، وهو ما يجعلنا نأخذ بعين الاعتبار بمعنى آخر بالجملة المشهورة لماركس، الّتي من خلالها يؤكّد أنّ النّاس وحدهم مؤلّفو دراما حياتهم الخاصّة، وممثّلوها. غير أنّ هذا يجعل من توازي المعاني التّاريخيّة أكثر إزعاجا، إن كانت كلّ المعاني بشريّة وإن كان الإنسان كلّا موحّدا، كيف يمكن فهم هذا الانفصال القاطع، غير القابل للتّرميم بين مختلف طبقات المعاني.

المسألة أكثر تعقيدا من وجود الإنسان خاضعا لقانون *Mitsein*[441] [بالألمانيّة في الأصل: عبارة لهايدجير استعملها في كتابه الوجود والزّمن ويقصد بها الوجود-مع]، كلّما حاولنا العثور في شخص مّا عن حدث اجتماعيّ، يُلقى بنا منه إلى أشخاص آخرين. لقد خسر نابليون معركة واترلو لأنّه قرّر خوضها قبل الأوان. نعم، لكن لو أنّ غروشي.. إلخ، نابليون رغم أنّه أساء خوض الحرب، ربّما كان بإمكانه أن يربحها، فهل مازلنا سنقول إنّه خاضها قبل الأوان؟ ثمّ وكما يقول بيير فولو لم يكن ويلينغتون ساذجا جدّا، كان يمكنه أن ينتبه مبكّرا أنّه مهزوم لينسحب طبقا لقواعد اللّعبة، عوض أن يعاند بغباء على ساحة المعركة، وهوما كان سوف يمنحه النّصر في نهاية

---

441. الوجود-مع عند هايدجار.

المطاف. هكذا، يتمّ الإرسال من ضمير إلى ضمير آخر دون العثور على الضمير المريح، الضّمير الفعّال، دونما وجود جمع للضّمائر يمكنه أن يُشكل كلّا عضويّا. هناك صعوبة ثانية: تتلاءم النّسبيّة التّاريخيّة على طريقة سيمال[442] جيّدا مع جعل الحدث يتلاشى في تمثّلات، وهو ما سوف يعطي في المحصّلة قاعدة نظريّة للشّكوكيّة الّتي كنّا بصدد الجديث عنها، مع السّماح له بالبقاء في مجال الحدود البشريّة. لكن من البديهيّ، رغم أنّ الحدث بشريّ، أي محسوس ومعيش على طريقة الوجود -لذاته، فهو في الأثناء مشدود من الخلف بالوجود في ذاته. أي أنّه لا يمكنه أن يختزل نفسه في نظرات الضّمائر لبعضها البعض. ينفلت -ويجعل الضّمائر تسمو إلى ما هو وجود مباغت متبادل لهذه الضّمائر. لقد عالجت هذا في الدّفتر12. في تلك اللّحظة، ورغم أنّ الحدث يمتلك الإنسان مؤلّفا وممثّلا، لكنّه يفلت منه ويهيمن عليه فجأة. وفي سياق متابعة مقارنة ماركس، أتخيّل مؤلّفا-ممثّلا مثل شكسبير أو موليير، وإضافة إلى كلّ هذا مخرجا مسرحيّا، يكتب، يُخرج ويُمثّل مسرحيّة مّا. كلّ شيء من تفكيره هو. إن أردت تجريده من شيء مّا، سوف أقع بسرعة على ضمائر الممثّلين الآخرين وفي الأخير على ضمائر المتفرّجين. رغم أنّ هناك شيئا مّا فيما وراء كلّ هذا. لن أقول إنّ هذا الشّيء هو القطعة المسرحيّة بأكملها. المؤكّد، أنّ المؤلّف -الممثّل ليس بداخلها، ولا بقيّة الممثّلين، ولا الجمهور المتفرّج. إنّها قدّامهم وإن شئنا هي بين الرّكح وصفّ الأنوار. مع أنّها شيء، فهي شيء من أجل الضّمائر. إنّها وحدة الضّمائر المتعالية الّتي تتجمّع في اتّجاهها، وهي لا توجد إلّا بالنّسبة إلى ضمائر. لكن ما هو أقل بشريّة وعقلانيّة، هو ما يشدّ مؤلّفا، متفرّجين وممثلين عدم تمييز وجود في الذّات، فحقيقة الأمر أنّ كلّ الضّمائر تجمّعت في اتّجاه القطعة نفسها يوم 6 ماي 1680 بأوتيل دي بورغونيي. والأوتيل دي بورغونيي شأنه شأن 6 ماي هل تخففا من وجود هنا الجوهري لمجرد ملاحظة أنّه لن يكون هناك لا أوتيل ولا تاريخ إلّا من أجل الضّمائر، لن يبقى من ذلك سوى الأقلّ في جريان غير مؤرّخ، إنّ وحدة تأليفية من الضّمائر قد وُجدت على طريقة الوجود-في-ذاته. وهذه الوحدة مكثّفة لا تنفد؛ إنّها المطلق الحقيقيّ. أضيف

442. جوروج سيمال 1885-1918) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني.

أنّ محتواها بشريّ بالكامل غير أنّ الوحدة في ذاتها، كوجود في الذّات، لابشريّة تماما. إنّها وقائعيّة ل-الغير. لا يمكن للإنسان أن يوجد إلّا باعتباره وجودا -لذاته أو ل-الغير. غير أنّه ينفلت من نفسه عبر وقائعيّته الّتي تغطّي هذا الوجود-لذاته بتكثيفٍ ما للوجود-في-ذاته. الشّيء نفسه بالنّسبة إلى العلاقات المتبادلة ل-الغير. هذا هو الحدث في وجوده المطلق الّذي يقصده المؤرّخ. يكفي فقط النّظر في طريقته في الحديث. انظروا إلى لوديفيغ، متحدّثا عن الخلافات الّتي تحدث دائما بين هولستين وأولنبرغ: لقد تمّ جرُّ السّياسة الخارجيّة للإمبراطوريّة الألمانيّة طورا إلى اليمين وطورا إلى اليسار. من البديهيّ، أنّ عليه حتّى يتحدّث بهذا الشّكل، أن يعني ما لم يستطع أحد هذين الضّميرين أن يدركه، عليه أن يستند على حقيقة ليست مضمونة من خلال بديهيّة الوجود-لذاته. الشّيء نفسه إن كتب لم تفعل أمّه أيّ شيء لتغيّر رأيه، من المؤكّد، أنّ لديه ضمانا هنا، وهو الضّمير الّذي يقول لنفسه لن أفعل أيّ شيء لأغيّر رأيه لكنّنا، نرى أنّه يصعد أعلى من هذا الضّمير إلى درجة تنتفي فيها مسؤوليّة الإمبراطورة -طالما أنّه فعل. يظلّ المؤرّخ دائما عند مستوى الوقائعيّة. يبقى أنّ الالتباس الأساسيّ في البحث التّاريخيّ، أنّه يريد أن يؤرّخ لهذا الحدث المطلق، أي أنّه يعيد موقعته ضمن أبعاد بشريّة، بينما هو الوجود-في-ذاته اللّابشريّ للوقائعيّة. وهو إذ يفكّر بهذا الشّكل، ذلك أنّ هذا الحدث اللّابشريّ له، أوّلا محتوى بشريّ، ثمّ سوف تقع استعادته، تحمّله، إعلاؤه بواسطة ضمائر أخرى، تلقي به إلى ما وراء وقائعيّة الحدث وتحوّله إلى موقف. هذا هو في نهاية المطاف اللّابشري في التّاريخ. لابشريّ ميتافيزيقيّ- وليس الوجود الجغرافيّ لآبار البترول في رومانيا أو في المكسيك. لأنّ آبار النفط هي أصلا- موجودة -في - العالم حين تقوم هجمة لآنية تفرخها لنفسها. في حين أنّ الحدث التّاريخيّ هو في الجانب الآخر من عالم محتمل.

إنّ الانسان في نهاية المطاف يتصرّف بشكل الحدث نفسه لم يذهب بيار بالأمس إلى تيريز والحقيقة أنّه يعاني من ثقب في الحرقف الأيسر. وهو في الحالتين يعتبر نفسه في حضور الوجود-في-ذاته. ويبرهن على ذلك من خلال أعماله. يبقى أنّ الوجود -في-ذاته اللّابشري في هذا الفعل أصبح بشريّا، تمّت إعادة موقعه في العالم، تمّ تحمّله ومن

ثمَّ إعلاؤه: لم يذهب بيار إلى تيريز؟ حسنا، مازال عندي الوقت لأجري مكالمة هاتفيّة، إلخ. هكذا يصبح الحدث ملتبسا: لابشريّ بما أنّه محاصر ويتجاوز كل آنيّة، بما أنّ الوجود-في-ذاته يعيد إمساك الوجود-لذاته الّذي يفلت منه حين يعدم نفسه - بشريّا، بما أنّه حالما يظهر يصبح من العالم بالنّسبة إليّ آنيّات أخرى تجعله يفرخ لذاته، وتعمل على إعلائه ليتحوّل إلى موقف. يصبح الحدث متعذّرا للوصف على نحو ملائم وهو الّذي عاش في الوحدة المُعدِمة للوجود -لذاته، مشدودا ثانية في الدّبق اللّابشريّ للوجود-في-ذاته، مأخوذا ومُتَجاوزا-مثل كلّيّة الوجود-في-ذاته- بضمير آخر. والمؤرّخ نفسه يتحرّك على ثلاثة مستويات: مستوى الوجود-لذاته أين يحاول أن يبيّن كيف يظهر القرار لنفسه عند الشّخصيّة التّاريخيّة، - والذي هو للوجود-في-ذاته حيث هذا القرار مطلق، زمنيّ لكن غير مؤرّخ -وهو في نهاية المطاف للوجود-للغير، أين يكون الحدث الصّافي مشدودا، مؤرّخا ومتجاوزا كما لو أنّه من العالم، بضمائر أخرى. وهو ما يتّضح حين يجهد مؤرّخ نفسه على سبيل المثال أن يفصل ما حدث في ذاته خلال الاستيلاء على الباستييل وما فعلوه بهذا الاستيلاء. وإلّا، لن يكون النّقاش مرتكزا على أسس سليمة: لن يتميّز الحدث عمّا يمكن أن نفعله به إن كان المؤرّخ نسبيّا على طريقة سيمال.

لكن بما أنّه قد تمّ وضع هذا الالتباس الجوهريّ جانبا، ألا يمكن إجراء تحويل شبيه بذلك الّذي قام به أوغست كونت، حين يبيّن أنّ علم الاجتماع، آخر العلوم الّتي ظهرت، وتتعلّق بها كلّها، تلتفت إلى العلوم لتعانقها وتذيبها في تعقّدها الفرديّ؟ ألا يمكن محاولة تبيين لبس الموقف المؤثر على الإنسان وهو ما سوف يؤدّي إلى تفكّك طبقات ذات معنى؛ لكنّ الإنسان وقد ألقى بنفسه من خلال المواقف يحياها في وحدة الآنية؟ ألن نصل بهذا الشّكل إلى تحقيق وحدة غير منتظرة لطبقات ذات معنى؟ فبالنّسبة إلى مؤرّخ كلاسيكيّ مثلا، يرى أنّ سياسة غيوم الثّاني تجاه أنقلترا من جهة وضمور يده اليسرى من جهة أخرى يمثّلان نوعين من المؤثّرات النّفسانيّة مختلفين عن بعض. لكن لأنّنا بدأنا بطرح ضمور اليد اليسرى كحدث، ووجود علاقات أنقليزيّة -ألمانيّة كحدث آخر مختلف. لنفترض أنّنا ننطلق من غيوم الثّاني كآنية تلقي

بنفسها من خلال سلسلة مواقف. ما أدرانا أنّنا لن نجد علاقة تفاهم داخليّ بين هذه السّياسة الإنقليزية وهذه اليد الضّامرة؟ يتيح لنا لودفيغ فرصة الوثوق في ذلك. فقط، لا يجب الأخذ بوجهة نظر التّحليل النّفسيّ، الّذي هو أيضا حتميّة وهو مضادّ للتّاريخيّة- رغم أنّه يفتخر بإدماج التّفسير بالتاريخ في حياة الفرد. لا يمكن فهم التّاريخ إلّا عبر استعادة تحمّل الآثار. ليس هناك من تاريخ إلّا حينما يكون هناك تحمّل للماضي وليس مجرد حركة سببيّة صرف لهذا الأخير. أريد هنا من خلال تأويلات لوديفيغ محاولة رسم بورتريه غيوم الثّاني كآنيّة متحمَّلة متعالية المواقف، لرؤية ما إذا كانت مختلف الطّبقات ذات المعنى (بما في ذلك الطّبقات الجغرافيّة والاجتماعيّة) لا توجد موحَّدة في قلب المشروع نفسه، ومن ثمّة تحديد إلى أيّ درجة، يمكن اعتبار غيوم الثّاني سببا لحرب 1914. سوف أقوم إذن بتخطيط نوع آخر من التّحليل التّاريخيّ، يقلب التّفسير ويذهب من الإنسان إلى الموقف وليس من الموقف إلى الإنسان. من غير المهمّ أن تكون تأويلات لودفيغ غير صحيحة تماما، يكفي التّعامل معها على أنّها حقيقيّة، كفرضيّة عمل، لأنّ الأمر متعلّق بتقديم مثال طريقة وليس لاكتشاف حقيقة تاريخيّة للحدث. والحقيقة؛ ليس المقصود تماما تهيئة تمثّيات تستفيد من التّاريخ، بل تأسيس شكل من ميتافيزيقيا التّأريخيّة وتبيين كيف أنّ الإنسان التّاريخيّ يتأرجح بشكل حرّ في إطار عدّة مواقف. سوف أحاول هذا الأمر غدا، دونما أدنى شكّ.

شاهدني شابّ هزيل، على هيئة غبيّ معتاد على التّذاكي، يضع نظّارة، أقرأ كومونة أوليفييه وبادرني بالحديث حذرا، ثمّ كشف لي أنّه اشتراكي و يهتم الآن بالحركة العمّاليّة بشكل نشيط، وصف لي مطوّلا اضطراب، الأحزاب العمّاليّة وتشاؤمها. إنّهم منزعجون جدّا من الحرب إلى درجة أنّه لو جلب دالادييه السّلم لنصّبوه إلاها، ويستطيع أن يفعل ما يشاء وسوف تُلجِم البروليتاريا نفسها. قلت له لأختبره من حسن الحظّ، إذن، أنّه قادر على ذلك. غير أنّه لم يواصل طرح عميق أفكاره. كان عائدا للتّوّ من الرّخصة وشاهد عددا لا بأس به من المعيَّنين المخصّصين يعملون في مصانع المنطقة الباريسيّة. قال لي: «إنّه الرّعب في المصانع، ما أن يشتكي عامل مّا على

الملأ، هوب، يلجمونه ويتمّ إرساله دونما محاكمة إلى معتقل. العمّال، مهزومون ومرتعبون». بدت لي المعلومة ثمينة جدّا، لكنّ الشّخص الّذي أوردها يقلّل من قيمتها؛ قال لي بهيئة متآمر: وهل يسمح لك رؤساؤك الضّبّاط أن تقرأ هنا؟ ألا تختبئ قليلا... احتياطا؟ أتصوّر أنّ هذا الشّابّ إذا لم يكن قد خضع لنظام من الرّعب، فسوف يبتكر رعبا على مقاسه. أنهى حديثه بنغمة متفائلة: لقد أفسدت الشّيوعيّة الحركة العمّاليّة حتّى النّخاع، وقريبا ستنهار روسيا وتستعيد الحركة العمّاليّة عافيتها. كان شديد الاحتراز متى تعلّق الأمر بقرارات الحكومة، يثبت بحسن نيّة الفشل الجزئيّ للحصار، يصبح ساذجا جدّا حين يتعلّق الأمر بالبروليتاريا، ومازال يعتقد في حدوث ثورة شعبيّة بألمانيا.

الجمعة 8 مارس

ذكر جاك شاردون في واقعة خاصّة[443] مؤرّخا لم يذكر اسمه: دائما ما ينقضي كلّ شيء بشكل سيّئ.

ما يحاول المؤرّخ الكلاسيكيّ ملاحظته في البدء، أنّ التّأريخ لغيوم الثّاني يفترض الوعي بالأحداث الّتي سبقت ميلاده، ممّا يفترض تأثيرها على بناء شخصيّته. وهي أحداث على درجة من الصّلابة، وقد يعسر على الباحث ترتيبها حسب الأهمّيّة، وتبدو للوهلة الأولى كما لو أنّها تنتمي لطبقات من المعاني من المتعذّر اختزالها. وإذا كان لابدّ من ترتيب، فلا شكّ أنّ أكثر هذه الأحداث أهمّيّة هو حدث الإمبراطورية، هذه السّلطة المقدّسة الّتي تنتظره في المستقبل، دون أن يكون له أيّ تميّز طبيعيّ. والأمر لا يتعلّق بأيّ امبراطوريّة كانت، بل هي إمبراطوريّة قائمة الذّات، ملموسة، حديثة العهد، ترسّخت نهائيا سنة 1870. و البطل الإمبراطوريّ هو أيضا قائد دولة حربيّة، إنّه ملك بروسيا. وبهذا الشّكل سوف يكون قائدا للجيش وقائد حرب [بالألمانية في الأصل] مثل جدّه. من الضّروريّ أن نحدّد هنا بدقّة الشّلطات الّتي وهبها الدّستور

---

443. منشورات ستوك1940.

الألمانيّ له، لكي تكون لدينا فكرة واضحة عن هذه الوظيفة الامبراطوريّة الّتي صنعها بيسمارك له، وتنتظره.

ويتعلّق الحدث الثّاني بعائلته. علينا أن نظهره أوّلا حفيدا لغيوم الأوّل من جهة، ومن جهة أخرى هو حفيد الملكة فيكتوريا من الأمّ. وهو ابن أخت إدوارد السّابع. ابن لبروسي ضعيف وغبيّ، ولأمّ أنقليزية متعصّبة لأنقلترا حوّلت ابنها إلى اللّيبراليّة. يجب التّأكيد على السّلوك المخصوص جدّا للأب كرونبرنز الخالد [فريديرخ فيلهلم فيكتور أوغست إرنست من بروسيا وليّ عهد ألمانيا] ذاك الّذي ذبل في ظلّ العرش. وهو ما يعني أنّ غيوم الثّاني ليس ابنا لملك، ولكنّه حفيد لملك. قفزت الوراثة جيلا بأكمله. حين وصل أبوه إلى العرش يعرف الجميع أنّه في مرحلة الموت.

الحدث الثّالث، في علاقة بهذا الخلوّ من جيل الانتقال. ذلك أنّ الإطار المسيّر لا يتناسب مع عمر الملك القادم. يتعلّق الأمر في أغلب الحالات بعجائز عادة ما يكونون ثمانيّين، كما هو الأمر في زمن قصر الملك لويس الرّابع عشر، سنة 1713. فلن يستطيع امبراطور شابّ أن يحكم مع إطار طاعن في السّنّ. إنّه حدث مستقبليّ لكنّه حدث متوقّع جدّا وعليه أن يجدّده. لكن وبما أنّ المعلّم الأقوى في ألمانيا هو بيسمارك، فسيتّخذ التّجديد طابع الثّورة في القصر، لأنّ بيسمارك، رئيس الإطار المشرف، لن يترك نفسه للطّرد إلّا من خلال ثورة.

الحدث الرّابع، هو أنّ آلة الحكومة صنعها بيسمارك من أجل بيسمارك. وضعف هذه المؤسّسة متأتّ من أن لا معنى لها إلّا إذا راقبها بيسمارك وسيّرها بنفسه. لقد وجد غيوم الثّاني الرايختاغ كما أعدّها له الرّعب البيسماركيّ. يعترف بيسمارك بهزيمته ويكشف عن ذلك قائلا: لقد حاربت دون هوداة ولسنوات طويلة الرايختاغ. وانتبهت إلى أنّ هذه المؤسّسة قد ضعفت في مقاومتها للإمبراطور غيوم الأوّل ومعي أنا... كنّا في حاجة لهواء المناقشات العموميّة النّقيّ. فالّذي ينتظر غيوم الثّاني ليست بدلة ملكية متقادمة، تآكلت لكثرة مستعمليها السّابقين، بل بدلة جديدة جدّا مفصّلة لشخص آخر.

الأحداث التّالية يمكن لكلّ شيء أن يفسّرها: الوضع الجغرافيّ، الاقتصاديّ،

الاجتماعيّ، الثّقافيّ لألمانيا ذلك الوقت: قفزة الصّناعة، مشكلة الولادات، نموّ الاشتراكيّة-الدّيمقراطيّة.

الحدث الأخير وهو داخليّ وخارجيّ في الوقت نفسه، ويتعلّق بشخصيّة الإمبراطور: الضّمور الخلقيّ ليده اليسرى.

هذه الأحداث مُتعدّدة كما أنّها دونها ترتيب (سوف يشرع المؤرّخ برسم دولة ألمانيا، مارّا بالعرش، إلى منجز بيسمارك، إلى الإطار المشرف، إلى العائلة وفي الأخير إلى العيب الجسديّ - الّذي سوف يقدّم من خلاله بعض الأفكار العامّة عن سلوك الإمبراطور- المنتمي إلى طبقات ذات معنى شديدة الاختلاف. مصدوما بكلّ الطّبقات المختلفة على أنّها مستقلّة عن تصرّف الإمبراطور يقدّمها المؤرّخ كمسبّبات لهذا التّصرّف. لن يقدّم سلوك الامبراطور كما لو أنّه شمع نقيّ، غير أنّ تحليله النّفسيّ سوف يكون غامضا جدّا كي يستطيع تقديم هذا السّلوك كما لو أنّه مضبوط بحركة هذه القوى المختلفة.

أؤكّد في البدء أنّ شخصيّة أمير وارث تتحدّد قبل كلّ شيء بالتّاج المستقبليّ، ومن العبث تمييز سلوك الدوفان [كنية لولي العهد في فرنسا] كما جرت العادة. سيظهر الضّعف والتّردّد على مستوى العلاقة البديهيّة بين الشّخص والتّاج، وما لها من خلفيّات. فما يفرقنا عنه أنّنا نمرّ خلال وجودنا بوضعيّات متعدّدة، تكيفنا مع الواقع على المستوى الاجتماعيّ، أو المهنيّ، وفي المقابل فإنّ الدّوفان متمحّض منذ مجيئه إلى العالم، لا محيد عنه ولا فرار، فوجوده وجود للحكم، مثلما أنّ وجود الإنسان هو وجود للموت. ولئن كان هناك دوفانات لا تريد أن تحكم، فعليهم أن يقرّروا لأنفسهم مصيرهم الأساسيّ، لن يكون بإمكانهم التّملّص من الوجود للحكم، ليس باستطاعتهم أن لا يكونوا دوفانات في عمق أعماق طبيعتهم، أقصى ما يمكنهم فعله أن يجعلوا من الوجود للحكم ميزة متوارية. ليس لمستقبلهم الأسلوب العرضيّ لمستقبلنا-الّذي يجب أن نربحه وحتّى إن ربحناه، يفلت منّا، و هو بين يدي الله. أمّا مستقبلهم فحتّى لو كان عرضيّا، فإنّ الملوكيّة تنتظرهم. كثيرا ما كنّا نقول إنّ الملوك وحيدون. وهذا حقيقيّ، لأنّهم مجرورون دائما إلى الامتلاء بفردانيّتهم، منفلتون

بطبيعتهم من نحن التّفاهة اليوميّة، وحيدون مثل شخص يتأمّل موته. المستقبل الوحيد الّذي يمكن أن يستحقّوه هو مستقبل الملك الأعظم. اسم سوف يكتسبونه بعد التّتويج ويعود إلى الخلف حول هذا التتويج ذاته، لتبريره. اسم سوف يكون لهم في النّهاية مجتمعا -لأنّنا ملوك عظام ضمن الملوك- لكن دون أن يتمّ سحبهم من انعزالهم. على أنّ هذا الموقف الأوّل غير مُتَحمَّل فهي ليست صفة يتمّ استقبالها بشكل سلبيّ، بل هو الضّغط الأوّل، المشروع الأصليّ والحرّ نحو مستقبل محدّد نتجاوزه في اتّجاه ذاتنا. الملكيّة هي- كما يقول هايدجير عن العالم- الّتي من خلالها يعلن الحاكم المستقبليّ عن هويّته. يبدو لي أنّ الحرّيّة الأولى لغيوم الثّاني تسمّى ملكيّة. علاوة على أنّ الحرّيّة تتدخّل أيضا في طريقة الوجود للحكم. أرى أنّ غيوم يريد أن يكون أوّلا ملكا عظيما. لكنّ هذا نفسه يتطلّب تحليلا. يمكن للمرء أن يرغب في أن يكون ملكا عظيما ليعتذر على أن يكون مجرّد ملك فقط. يمكن أن يستعمل الملكيّة ليكون عظيما. غير أنّ غيوم يعتبر العيبة مثل الفردانيّة في الملكيّة. يريد أن يكون عظيما ليكون هذا الملك ها هنا. لكي يكون ملكا بشكل أساسيّ أكثر فردانيّة، كي يتملّك أكثر بلقب ملك. ووفق هذه الشّروط، من الطّبيعي جدّا، أن يمسك الملك بهذا الموقف الأصليّ بشكل حرّ على شكل حقّ سماويّ. وهي حال غيوم الثّاني إذ ليس له سوى أن يسبغ على هذا الحدث طابعا أسطوريّا، فهو الوحيد من دون النّاس جميعا، من يتمتّع بوجود للحكم. وهو الذي يحكم فيه. وهذا يؤكّده في وجوده، يتزامن فهمه الما قبل أنطولوجي مع مشروع الذّات نفسها نحو التّتويج. في التّركيبة نفسها لوجوده كوجود للحكم، يبقى الدوفان حرّا ليتحمّل وقائعيّته (أنا هنا لأحكم لكنّ وجودي نفسه لا مبرّر له) أو ليجعل له قناعا (أساس وجودي هو الحكم - إنّني هنا لأحكم لكنّني موجود لأحكم) يغلق الحقّ السّماويّ هنا دائرته، والملك المستقبليّ ينغلق على نفسه في عزلة لا أصيلة. ها هو مسؤول بشكل كامل وأساسيّ في وجوده على ما يقدّمه لنا المؤرّخ كحدث خارجيّ وعرضيّ. ليس الحكم شيئا من الخارج عند غيوم الثّاني. ليس أيضا تمثّلا داخليّا يحظى بامتيازات. الحكم هو غيوم.

نشير هنا إلى أنّ الإنسان الذي سوف يحكم هو إنسان يعاني من عاهة. فذراعه

ضامرة. أريد أن ألفت الانتباه أنّ هذه العاهة لايمكن مقارنتها بأيّ شكل من الأشكال بعاهات جسديّة مماثلة بإمكانها أن تحدث لمواضيع أو مواطنين عاديّين. الإعاقة بالنّسبة إلى مواطن مستقبليّ حرّ مُدركة كمعرقل غير محدّد، يلغي صنفا من الإمكانيات تمّ الإعداد لها بشكل سيّئ. لكن في نفس الوقت الذي يلغيها هو يعيد توجيهها، حينما يتمّ الإمساك به وتعليته، نحو إمكانيّات أخرى. سلوكي في وجود ذراعي ضامرة. أن أعطي ظهري لمسيرتي العسكريّة وأتخلّى في نفس الوقت عن الرّياضة، بل وربما أكره شتّى أنواع الرّياضة وأن انطلق في الجانب الآخر من إعاقتي إلى الدّراسة والمهن الليبراليّة، الفنّ، إلخ. بوجود عيني الميتة، فإنّ طريقتي في تجاوز عاهتي، تتمثل بالأساس في أن أكسب محبّة الآخرين عبر الإغراء الذّهنيّ، أن أرفض ما لا يلائمني كما رفضت آسفا متابعة حصص أناغليفي [العبارة هنا مأخوذة من اللّاتينيّة ولعلّ سارتر يقصد هنا حصص دراسة النّتوءات البارزة في المنحوتات الأثرية] والنّظر عبر المجسّمات. وإنّني لكذلك بقدر ما أختاره فيما وراء هذه العين المطفأة. لكن ماذا عن ملك مستقبليّ أنّى له أن يتحمّل إعاقته؟ وبتراتبيّة مّا، فالأمر لا يبدو ذا بال، لقد وُجد الملك ليحكم وليس ليكون معاقا. إذ سوف تنكشف الإعاقة على خلفيّة الحقّ السّماويّ. وعلينا أن نؤكّد أنّ الوجود للحكم هنا يتّصف بميزة خاصّة. فكرامة ملك بروسيا تعطي لهذا الحكم طابعا عسكريّا. الملك هو ملك-جنديّ. لذلك لا يمكن للإعاقة أن تظهر بصفتها تأكيدا لما يحيط بحياة مّا، بشطب بعض أصناف الإمكانيّات. لا يجب لهذه الإعاقة أن تمنعه من الحكم، لكن لن تمنعه من الموت. إنّها تنضوي خلال الملكيّة، وهي المانع الدّائم الّذي يجب في آن تحمّله، واعتباره أمرا غير مقبول. لأنّ القبول هو المعادل للتّخلّي عن بعض الإمكانيّات الّتي ركبها غيوم بشكل حرّ. الموقف المتّخذ هنا بشكل حرّ هو الرّفض، لأنّ الإعاقة هي الإهانة السّرّيّة للملكيّة. إنّها الفضيحة وهي بالضبط الوقائعيّة التي يريدون إنكارها. لن يقبل غيوم إذن إلّا بتغطيتها وبتعويضها. لا يتعلّق الأمر هنا بتمشّ سحريّ. لكن لو استعملنا هنا عبارة مركب نقص، فسيكون الأمر سيّان لملك كما هو الشّأن لمواطن عاديّ، ذلك أنّه يظهر عند الملك على خلفيّة وجود للحكم. يتعلّق الأمر في معنى مّا

بنقص مطلق، ليس أمام أيّ كان بها أنّ أيّ مقارنة ممنوعة في هذا المجال (وهو ما لا يستثني بطبيعة الحال، بعض الأسف الكئيب أمام ذراعين صلبة ونشيطة لضابط في القيادة العامّة). من هنا تنشأ الرّغبة في المحافظة على كلّ إمكانيّاته الأساسيّة رغم نقصه الجسديّ. من هنا اللفاح الخاصّ لتغطية الذراع اليسرى، والشهوة الزائدة المثيرة للإنتباه نحو التّمرينات العسكريّة والرّياضيّة ونحو الصّيد، وآلاف الحيل: تعلّم بكثير من المهارة كيف يضغط بيده اليسرى على نطاقه وكيف يضعها في جيبه، وكيف يمرّر اللجام من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى، كيف يتخلّص من مساعدة خادمه للقيام بعدّة أشياء، وهذا ما جعل الذّراع اليمنى أشد ثقلا، إلى درجة أنّ هذا الشّابّ البائس غالبا ما يميل إلى اليمين وهو على فرسه. من هنا أيضا أكاذيب عميقة. بالخصوص تلك المتعلّقة بالصيد. فالإمبراطور لا يستطيع الصيد بالفعل: فحرسه الشّخصي مضطرّ لتمديد الذّراع اليمنى مستندة إلى عصا طويلة لتصلح دعامة لبندقية الأمير. ورغم ذلك يريد أن يكون الصّيّاد الأوّل في الإمبراطوريّة. ما جعله يحوّل كلّ خرجة صيد إلى غارة: جيش نشيط من حرس-الصّيد، على الدّرّاجات، في الحافلات، على أحصنة، مترجّلين بشكل جعل كلّ نقطة صيد في مجال الملاحظة المستمرّة... كانت عمليّات الصّيد رهيبة... والفريسة المسكينة مختبئة في فضاء كبير محاط بأسيجة انتصب وسطه قنّاصون ماهرون. ليس لهم إلّا أن يصوّبوا تجاه الحيوانات البائسة وقد ضاقت أنفسهم وهي تركض على طول السّياج دون جدوى والقنّاصون يطلقون الرّصاص فتسقط كلّ الفرائس قتيلة. من غير المعقول أن لا يعرف غيوم الثّاني تواطؤ مرافقيه في هذه الحال كما في حالات أخرى. ورغم ذلك بإمكانه وهو في الثّالثة والأربعين من عمره أن ينقش على كتلة من الغرانيت بحروف من ذهب: هنا قتل جلالة الإمبراطور فريسته ال 50000 طائر تدرَّج أبيض. إن كان هناك كذب على الذّات، فهو كذب قد تمّ مع كلّية الآنيّة، كذب ملكيّ. ذلك أنّ الحقّ السّماويّ وهو يفصل تميّزه عن بقيّة النّاس، إنّما يمنحه حقّا لتواطؤ مقدّس. يمثّل الكذب الشّعائري جزءا من الاحتفالات الّتي من خلالها يتواصل الرعايا مع المسكوت عنه. وهو ردّ اعتبار ينتظره صاحب العرش من الآخرين. ودرجة الإيمان الّتي يتعلّقون من خلالها به. إنّه إيمان

احتفاليّ إلى درجة أنّ صاحب العرش لديه علاقات احتفالية مع نفسه. كلّيّة علاقاته بتداخل ضمائره، على مستوى يكون فيه الوعي وعيا بالذّات، ذلك هو المقدّس. يجب على الرّعيّة أن تكذب ويجب على صاحب العرش أن يُصدِّق. لأنّ العلاقات البشريّة الوحيدة الّتي تحرِّم الكذب هي علاقات المساواة، وصاحب العرش لا يريد أن يضاهيه أحد. على أنّ هذه الطّريقة في تغطية إعاقته ليست هروبا فقط، فهي جهد حرّ متّقد لتجاوزه. ولوديفيغ معه حقّ حين كتب: القلّة القليلة الّتي استطاعت تقدير أهمّيّة هذا الانتصار المعنويّ على الضّعف الجسديّ، تشعر أنّه بإمكانها منذ تلك اللّحظة أن تعلّق آمالا كبيرة على هذه الشّخصيّة. وللحقّ فإنّ هذا الانتصار المعنويّ الّذي كسبه الأمير ضدّ إعاقته سوف يكون سببا في خسارته. رغبته المتكبّرة في ترك انطباع عميق لدى عائلته وهو يركض بزيّه البرّاق على رأس الجيش، هذه الكبرياء لم تكن إلّا استهلالا لفسحات بلا عدد، استعراضات، خطابات ضجّاجة، قبضات مهدّدة لسنوات متعدّدة يحاول من خلالها تبرير نفسه بنفسه لنفسه...

نصّ آخر يسمح بفهم ما معنى ضعف غيوم الثّاني: وحدهم أولئك الشّاهدون خلال شبابه على مقاومته الدّائمة لهذه الإعاقة العرضيّة، سوف يفهمون فيما بعد كيف يفقد الإمبراطور التّحكّم في أعصابه الشّديدة التّوتّر، هذا الجهد المستمرّ ضدّ ألم مرئيّ قد يعانيه كلّ شخص، من الأفضل إبرازه بشكل طبيعيّ، هذه المقاومة الّتي لا تهدأ ولو للحظة، خلال كامل الحياة من أجل إخفاء عاهة خلقيّة لا يمكن تجنّب تأثيرها على التّكوين الشامل لسلوكه. مدركا لضعفه، يحاول أن يبالغ في قوّته، لكن عوض أن يستعملها في المجال الذهنيّ، أين كان بإمكان ذكائه الدّافع أن يساعده، فإنّ التقاليد والطموح حرّضاه على أن يظهره من خلال موقف بطوليّ لضابط.

لم يجانب لودفيغ الصّواب هنا حين تعامل مع غيوم كما لو أنّه مجرّد مواطن عاديّ، وما كان ليستغرب محاولته أن يخفي ألما مرئيّا قد يعانيه كلّ شخص. كلّ احتفالية بالنّسبة إلى غيوم، مسخّرة فحسب لتغطية ألم بارز، ولابدّ من حدوث ذلك بشكل سحريّ، وأن تتوارى تستتر نظرات النّاس بالضّباب. سوء النّيّة المقدّس عند غيوم هو غرور –قائم على حق سماويّ– قائم على سوء نيّة رعاياه. إضافة إلى ذلك ما كان عليه

أن يقول بعبارات السّببيّة الوقحة، إنّ التّقاليد والطموح يحرّضانه، لتعويض إعاقته من خلال الهيئة البطوليّة لضابط. ذلك أنّ لويفيغ ينظر لإعاقة الامبراطور بشكل معزول. فهو لا يعالجها انطلاقا من الوجود-للحكم للإمبراطور. الوجود-للحكم في بروسيا، مثل ملك-جنديّ. لا يمكن اتّخاذ الخيار الحرّ على مستوى الهيئة تجاه الإعاقة. إنّه أكثر كلّيّة بما أنّه يُتّخذ إزاء الوجد -للعرش. أمّا بخصوص غيوم فيبحث عن النجاح في مجال الذهن، ولن يكون مجرّد إنسان عاديّ فقط بل سوف يكون ملكا آخر، يختار حكما آخر وبروسيا أخرى- مجهدا نفسه من أجل تغييرها-وهذا التّغيير كان من الأهمّية بمكان أنّ لوديفيغ يرى بنفسه أنّ المجرى المتتالي للتّاريخ تمّ تحويره. إنّه على مستوى المشروع الحرّ لوجوده-في-العالم كان خيارا ممكنا، ومن وقتها ألقى غيوم الثّاني بنفسه كشخص آخر في الجانب الآخر من إعاقته، يعاني من إعاقة أخرى. يبقى أنّ الخيار الذي يُلزم كلّية الشخصيّة يظلّ ممكنا. وهو ما يسمح لنا أن نقول إنّ غيوم اختار ضعفه. لا يجب القول مثلما قال لوديفيغ: مدركا لضعفه، حاول أن يبالغ في قوّته بما أنّه استطاع أن يصبح سيّدا في المجال الثّقافيّ كاشفا بشكل متهوّر إعاقته، أن يكون قويّا بشكل واقعيّ. لكن بالأحرى، أن يفهم نفسه بنفسه أنّه إمبراطور-جنديّ للحقّ السّماويّ، عليه أن يتجاوز إعاقته وينكرها باعتبارها فضيحة من خلال جهد مستمرّ. لقد اختار أن تكون قوّته ضعفا، لقد اختار الإهانة السّرّية. لقد جعل من نفسه ضعيفا. غير أنّ نصّ لوديفيغ الذي جئنا على ذكره يبيّن لنا بشكل معتبر أنّ إعاقة غيوم ليست سوى ألم جسديّ مرئيّ، ضمور مّا في الذّراع. وهو ينظر إليها بهذا الشّكل مثل أيّ مؤرّخ كلاسيكيّ، غير ذات صلة بسياسة غيوم تجاه أنقلترا مثلا. لا يمكن أن توجد بالنّسبة إليه إلّا باعتبارها موقفا ذا معنى. بل إنّ لوديفيغ يكشف لنا من خلالها الخطابات، القبضات المهدّدة، الاستعراضات، الفسحات. كما لو أنّها ليست سببا أو دافعا لهذه التّظاهرات. لكنّ هذه التظاهرات بالعكس، تمثّل الطّريقة لضبط الإعاقة كموقف. من هنا نفهم على سبيل المثال معنى البرقيّة الّتي أرسلها غيوم إلى كروجر[444] باعتبارها طريقة الوجود -الذّاتيّ -بالإعاقة.

---

444. كان غيوم الثاني في نيته إعلان الحرب على انقلترا بخصوص موضوع ترانسفال [مقاطعة سابقة

غير أنّ كلّ هذا لن يكون كافيا. وسوف نرى انطلاقا من هنا طبقات معنى تبدو في الظّاهر غير قابلة للاستيعاب مرتبطة بشكل مفاجئ بهذه الإعاقة الفطريّة. فممّا لا شكّ فيه أنّ غيوم يرى إعاقة انقلترا والانتصار عليها، انتصارا على الإعاقة. سوف أواصل غدا.

البورجوازيّة هي الّتي استبعدت الحرب في 1938، وقرّرت استسلام ميونيخ، خوفا من الانتصار لا خوفا من الهزيمة. فهي تخشى أن تكون الحرب لصالح الشّيوعيّة. عكس ما حدث في سبتمبر 1939، فالحرب مرحّب بها من قبل البورجوازيّة لأنّ الاتّفاقيّة الرّوسيّة -الدرمانيّة قلّلت من خطر الشّيوعيّة، ونعرف الآن أنّ هذه الحرب التي يتمّ خوضها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة ضدّ السّوفيات، سوف تكون مصحوبة لا محالة بعمليّة بوليسيّة داخليّة. سوف يقع حلّ الحزب الشّيوعيّ. ما لم تقدر على فعله السّياسة مدّة عشر سنوات سوف تفعله الحرب في أقلّ من شهر. ذلك في تقديري هو السّبب الرّئيسيّ لانخراط البورجوازيّة في الحرب. خلف مظاهر هذه الحرب القوميّة هناك حرب أهليّة. فبينما يحارب الكثير منّا ضدّ الإيديولوجيا الهتلريّة يتمّ بشكل خفيّ تصفية ما تبقّى من الإيديولوجيا الشّيوعية. كان بإمكان حرب 1938 أن تكون سببا في ثورة. 1940 كانت فرصة الثّورة المضادّة. كان يمكن لحرب 1938 أن تكون حرب اليسار – حرب 1939 هي حرب اليمين. لقد أعمت رعونة هتلر بصره، فلم ير أنّ الدّيمقراطيّات الرّأسماليّة كانت في سنة1938 تدافع على جبهتين: مهدّدون في إمبرياليّتهم بالطّموحات النّازيّة، ومهدّدون في مؤسّستهم الدّاخليه بالحركة الشّيوعيّة. لم تكن البورجوازيّة تريد الحرب حتّى لا تضطرّ للدّفاع على جبهتين في الوقت نفسه. بدفاعهم على جبهة واحدة ضدّ ستالين فقط، يريحهم هتلر بإتاحة الفرصة لهم أن يطردوا الشّيوعيّة الّتي يعتبرونها

تقع في شرق جنوب افريقيا احتلتها انقلترا سنة 1877] والتي تعرضت لهجومات من قطع عسكرية موالية لانقلترا واستطاعت هذه الجمهورية [ليس هناك ما يشير في التاريخ إن هذه المقاطعة تحولت إلى جمهورية؟] أن تصد الهجومات بدون أي مساعدة فأرسل الامبراطور غيوم في جانفي 1896برقية تهنئة لرئيسها بول كروجر في حركة تحد وهو ما أفسد العلاقات الألمانية الانقليزية.

تهديدا مستقبليّا خارجيّا. ودون أدنى شكّ كان يريد المحافظة على الجبهتين، فقد كان يعوِّل على تراجع الجبهة المعنويّة. لكن، كيف لم يضع بعين الاعتبار القمع السّريع الّذي سوف تنفّذه الحكومات البورجوزايّة بسعادة بالغة؟

أقرأ الكتاب الأصفر الفرنسيّ[445] وأشير إلى أنّه لم يكن هناك إطلاقا للمسألة الشّهيرة انقلاب 2جويلية محاولة مزعومة للانقلاب في دانتزيغ الّتي كان سيتبعها تراجع ألمانيّ[446]. رغم أنّ الحديث حول هذا الأمر سرى كثيرا في ذلك الوقت وردّدت أصداءه طبعا الصحفيّة طابوي[447]. في إحدى الاجتماعات الّتي كنت أحضرها بالمجلّة الفرنسيّة الجديدة كان ذلك في 1 جويلية على ما اعتقد، قال لي بول نيزان «نخشى أن تندلع الحرب غدا». ويبدو لي أنّ سبب هذه الإشاعة هو تقرير أعدّه كولوندر[448] بتاريخ 27 يونيو ينبّه فيه إلى إمكانيّة إلحاق دانتزيغ بدعم من الدّاخل إضافة إلى إشارة من جورج بونييه[449] إلى السّفير الفرنسيّ بلندن يطلب فيها منه أن يدعو اللّورد هاليفاكس[450] أن يبطل المؤامرة بمناسبة خطابه يوم29يونيو[451] – حادث على الحدود تمك إخفاؤه من الصّحافة الألمانيّة والبولونيّة (جماعة من أتباع

---

445. نشرته لو كاي دورصاي سنة 1939.لنذكِر إنه يحتوي على أهم وثائق المبادلات الديبلوماسية منذ معاهدات ميونيخ إلى وقت إعلان الحرب.

446. تمت محاولة الانقلاب في 2 جويلية 1939.بسبب خطأ إجبار بولونيا على قبول تبعية المدينة الحرة دانتزيغ للرايخ. عمل هتلر وقتها بكل جهد لإنشاء حركة "شعبية" مشابهة لانقلاب في هذه المدينة حيث كان النازيون هم الأغلبية.. (رسائل للكاستور جويلية 1939 صفحة 235-238 المجلد الأول).

447. جنفياف طابوي صحفية تعليقاتها الإذاعية بخصوص السياسة الخارجية كانت مشهورة جدا .

448. سفير فرنسا ببرلين في ذلك الوقت.

449. وزير الشؤون الخارجية الفرنسي في ذلك الوقت.

450. سكريرتير الشؤؤون الخارجية والكومنوالث لإنقلترا.

451. "يبدو لي إنه من المستحب كثيرا، إن اللورد هاليفاكس في الخطاب الذي سوف يلقيه هذا المساء، يستطيع أن يجد الفرصة ليرسل للمسؤلين في الايخ تنبيها واضحا حول الموقف النهائي الموحد للحكومتين للقيام بواجبهما بشا، مساعدة بولونيا، مهما كانت الوسائل المنحرفة التي تعتمدها ألمانيا وتستعملها في تحركاتها من أجل إحداث لبس يغطي أسلوبها الواقعي لحركتها" من جورج بونييه إلى كوربين سفير فرنسا بلندن 29جوان 1939 الكتاب الفرنسي الأصفر.

هتلر يونغ تجاوزوا الحدود في بوميراني)، ومقابلة بونييه مع السّفير الألمانيّ بباريس.

السّبت 9 مارس

أعود إلى غيوم. أريد أن أقول إنّه ليس تبعا لأحداث خارجيّة تصرّف بذلك الشّكل تجاه شخصيّتة، لكن لأنّه هو نفسه كلّيّة في موقف، والمواقف لا توجد إلا عن طريق انعكاسه بنفسه ككلّية من خلالها. أريد أن أبيّن أنّ إعاقته ليست عيبا جسديّا فقط، بل موقفا ذا معنى. لقد سبق وبيّنت كيف أنّها تعني فسحات على الفرس واستعراضات وقبضات متشدّدة. أريد أن أبيّن علاقة هذه الإعاقة الدّالّة مع السّياسة الانقليزيّة لغيوم. يجب أن نمرّ أوّلا عبر العائلة. العاهل مختلف تماما عن رعاياه هنا. غيوم هو حفيد الملكة فيكتوريا وحين تؤنّبه هذه الأخيرة بسبب موقفه تجاه اللورد ساليسبيري، تكتب: لم يحدث أبدا أن تحدّث ملك بنبرة مثل_هذه مع ملك آخر، وبشكل أقلّ مع جدّته أيضا. علاقات السّلطة بالنّسبة إلى العاهل علاقات عائليّة أيضا. مع أنّه لا يجب أن نتعامل بمفهوم العائلة بالمعنى الّذي نتعامل به مع المواطنين العاديّين. يمكن أن نقول إنّ العلاقات العائليّة هي علاقات سلطة. رسالة فيكتوريا دالّة. ما تؤاخذه على غيوم أولا، أنّه أخطأ في تصرّفه بين الملوك خلال الاحتفاليّات. وحقيقة أنّ إحدى هذه الشّخصيّات الحاكمة هي جدّة الآخر، تُقدّم إذن كظروف متشدّدة للمعاقبة. لا يمكنني مقارنة هذه الحادثة إلّا بالاحترام الّذي يطلبه منّي ضبّاطنا: يجب أن أحترم عقيدي لأنّه عقيد. وإن كان فوق ذلك كلّه شيخا في الخامسة والسّتّين من عمره، لهذا الظّرف الأخير دوره أيضا، لكن زيادة على ذلك هي مثل علامة فارقة لاحترامي. سوف أراني أسيء التّصرّف لو قلت له مثلا: أنا مدين لك باحترامي كعجوز طاعن في السّنّ وليس كعقيد. ها هنا تفرد إذا- من خلال حادثة أنّ غيوم، إمبراطور يافع، يشعر عمّه إدوارد الذي مازال وقتها مجرّد وريث للعرش بشرفه خلال زيارته لفيينا، اشترط الامبراطور الشّابّ أن يتمّ استقباله وحده. رفض عرض إدوارد الّذي أراد أن يستقبله في محطّة فيينّا بزيّ بروسي رسميّ، وأجبره على مغادرة فيينا لمدّة أسبوع والسّفر إلى المجر. رغم أنّ إدوارد يفوق غيوم بأكثر من عشرين سنة. تتدخّل

العلاقات العائليّة لتلوّن العلاقات بين الملوك، تؤكّد بشكل ملموس أنّ الملوك أنداد؛ ولو أنّ هذه المساواة لا تقصي العزلة، لأنها مساواة مقدّسة. علاوة على ذلك فكلّ اجتماع عائليّ يتّخذ دلالة عالميّة وديبلوماسيّة. وتدلّ على تقارب، مثال ذلك عارضت الملكة فيكتوريا سنة1899 زيارة حفيدها لها في عيد ميلادها الرّابع والثّمانين. في المحصّلة في الوجود -للحكم لكلّ يُعطى الوجود-للحكم للغير تحت غطاء للغير. وهذا الغير الذي يحكم يمتلك الرّابط الملموس ملكيّة وجود عائلته. وكما أنّ كلّ واحد في وجوده -للحكم بحقّ سماويّ هو الدّولة الّتي يحكمها، فعلاقات الملك مع بقية الممالك الأخرى هي علاقات عائليّة. غيوم الثّاني إنقليزيّ من جهة أمّه، لو كنّا نتحدّث عن مجرّد مواطن عاديّ. والحقيقة أنّ هذه الصّيغة إن مسّت عاهلا فهي صادمة. فهو ليس إنقليزيّا لأنّه إمبراطور أوّلا. وبما أنّه امبراطور فهو جزء من عائلة كبيرة ممّن يعيشون عزلتهم وحدهم، وكلّ عضو منهم هو بلد لوحده، وعلاقات بين كل عاهل ببقية البلدان الأخرى محدّدة بهذا الشّكل: إنّهم ملموسون، فردانيّون، حسّاسون، عاطفيّون ومقدّسون. ها هنا قرابة دمويّة بين العاهل وبقيّة الأمم. يتضمّن الوجود -للجكم على ألمانيا لغيوم الثّاني منذ الأصل الأوّل قرابة دمويّة غريبة مقدّسة وعاطفيّة مع أنقلترا مثلا. منذ الأصل الأوّل هناك جغرافيّة عائليّة مقدّسة عند غيوم الثّاني، مماثلة لرائعتي بروست جانب من منازل سوان وجانب من غيرمانت وهو حقيقة فضاء هودولوجيّ [مصطلح استخدمه عالم النّفس كورت ليفين يعبّر به عن الشّخص الّذي يسيطر على ما يحيط به من خلال تفاعل شبكات التّواصل في تداخل اتّجاهاتها بداخله وقد استعمل سارتر هذا المصطلح بكثافة في كتابه المتخيّل] مقدّس وبدائيّ شبيه جدا بالعشائر الأسترالية. النمسا، روسيا، انقلترا كلها وهات مقدسة واتجاهات متجانسة. لقد أكّد لوديفيغ على هذا الطّابع المميز للعالم: قال الامبراطور لجنرالاته في نفس اللحظة: «تريد روسيا احتلال بلغاريا، وتطلب منّا البقاء على الحياد، غير أنّني أقسمت على الوفاء لملك النّمسا وأجبت القيصر، إنّني لن أتخلّى إطلاقا عن النمسا»... صداقة الإمبراطور للنّمسا التي سوف تنتهي بتدمير ألمانيا، كانت قائمة على المنزل الإقطاعيّ لعائلة «هابسبورغ»، ولم يكن سوف يوافق إطلاقا

على كنفدراليّة على غرار سويسرا، وليس أكثر لو شكّلت الدّول الثّماني للمملكة جمهوريّة اتّحاديّة... صداقته لهابسبورغ وللسّلطان كانت أقلّ من أن تكون ذات أولويّة سياسيّة مقارنة بعواطف السّلالة الّتي بسببها يقيم مع الأباطرة الاثنين علاقات دائما. لم يكن لغيوم الثّاني أيّ شعور صادق مثل هذه الفكرة المشؤومة وفاء أخويّ: منح الإمبراطور هذه العاطفة ليس لشعب في جزء كبير منه ألمانيّ ولكن لأمير مساو له.

هذا هو السّبب الّذي من أجله كان الإمبراطور في صراع دائم بين فيينا وبيترسبورغ.

ذلك أنّ هذه الفكرة المشؤومة للوفاء الأخويّ لم تكن شعورا: بل موقفا مُدرَكا أصلا في المشروع الحرّ للذّات–نفسها في اتّجاه الحكم. التّوجّه الفضائيّ معطى في الوجود–للحكم مثلما أنّ الوجود–للغير أصليّ. ومن الطّبيعيّ أن تقيم الجمهوريّات في هذه الخريطة الجغرافيّة والسّلاليّة مناطق محجوزة وممنوعة. سوف نرى الأصل العائليّ للخوف والكراهية التي يحملها لهم الامبراطور. لكن قبل كل كراهية، ففي مشروع الذات–نفسها في اتّجاه الحكم؛ تُعطى الجمهوريّات كمناطق ميّتة منطقة محرّمة. [سوف أواصل الكتابةَ بعد الغداء].

أقطع هنا لأدوّن محادثة بين ثلاثة قنّاصين يجلسون خلفي أحدهم قال: «لقد قال الضّابط بنبرة مهدّدة: سوف أمنحكم فرصة لتستردّوا شرفكم، ثقوا فيَّ. يا صاحبي لو عثرت على حفرة، كيف سوف أختبئ داخلها، لست في حاجة لاسترداد شرفي». شخص آخر: طبعا لتستردّ شرفك لا بدّ أنّه قد تمّ بيعك: «أنا لم يبعني أحد».

لأوّل مرّة يعجبني مونتيرلان (المجلة الفرنسيّة الجديدة[452]: مُذكّرة حول الأولمبيّين: (اللّعب هو الشّكل الوحيد للحركة الّذي يكون دفاعيّا، الشّكل الوحيد الجدير بالإنسان لأنّه ذكيّ وبنّاء في الوقت نفسه[453] وقد قيل هذا سابقا: ليس الإنسان إنسانا بامتلاء إلّا عندما يلعب (شيللر).

---

452. عدد مارس 1940.

453. في النص الأصلي: غريزي.

لماذا عليه أن يضيف بغباء إنّ هذا الشّكل من الحركة هو الوحيد الّذي يجب أخذه بجدّية؟ كيف لا يمكنه أن يفهم أنّ اللّعب بطبيعته يقصي فكرة الجدّيّة ذاتها؟ إن كان هناك بعض الوئام في حياتي، فذلك لأنّني لم أكن أريد أن اعيش بجدّيّة إطلاقا. لقد استطعت أن ألعب الكوميديا، عرفت التّأثر والقلق والبهجة. لكنّني، لم أعرف أبدا الجدّيّة. كلّ حياتي لم تكن سوى لعب، طويل أحيانا، منفّر أحيانا، بطعم سيّئ – غير أنّه لعب وهذه الحرب بالنّسبة إليّ لعب. ثمة ضرب من الحزم الواقعيّ، وهو أشبه ما يكون بكعكة كمثري، ومن حسن حظّي أنّني لا أعرفه. وجب في هذا المستوى أن أتوقّف على تحديد الذّات في صلتها باللّعب، فإذا كان اللّعب هو التّحوّل السّعيد للعرضيّ إلى اعتباطيّ، فلم يعدّ تحمّل الذّات لعبا؟ [454]. تستولي عليَّ في هذه اللّحظة حالة وجدانيّة شاقّة؛ هناك بيانو في إحدى زوايا المبيت، خلف السّتائر السّوداء، كان أحدهم يعزف عليه – يعزف بشكل جيد- نغمات جاز. يذكّرني هذا في النّور الحليبيّ الّذي يغمر ليالي الصّيف، عازفي البيانو في كوليج -إيين، كنّا جالسيْن أنا وفاندا في البار. تنزاح ستارة المدخل من حين لآخر على ليل مستدير وأزرق، كما لو أنّها كرة أرضية، يعمّها السّلام.

استلمت رسالة من أدريان مونييه[455] كتبت لي فيها: لقد تغيّر توقيعك قليلا. أصبحت ج.ب شيئاً ّما يدعو للاستغراب شيء مّا... هوائي – إنّه تأثير الإرصاد الجويّ! عجزت أن لا أندهش. رأيت في ذلك علامة على التّغيّرات الّتي أعمل جاهدا من أجل حدوثها لي علامة ووعدا.

كم أنا مغتاظ لأنّني لست شاعرا، لأنّني ملت بثقل نحو النّثر. أريد أن أمتلك القدرة على ابتكار قصائد من هذه الأشياء الملتمعة والعبثيّة، قصائد شبيهة بباخرة في قارورة قصائد تكون مثل أبديّة اللّحظة، غير أنّ بداخلي شيئا كسيحا، رصانة مكتومة، تهكّما تعلّمته لمدّة طويلة، ثمّ هناك سوء الحظّ أيضا؛ لم تجد مشاعري لغة، إنّي أحسّها،

---

454. بخصوص اللعب وذهنية الجدية الجزء الرابع الفصل الثاني "عمل وامتلاك" الوجود والعدم.

455. مديرة "دار أصدقاء الكتاب" مكتبة شهيرة توجد بشارع الأوديون كان سارتر كثيرا ما يرتادها مثله مثل بقية الكتاب

أقدم أصبعا محتشمة وما أن ألمسها، أحوّلها إلى نثر. يخونني اختيار الكلمات. حين أبدأ، حين أعثر على جملة شعريّة، تتسلّل إليها كلمة وتمزّقها، كلمة حادّة جدّا، صريحة جدّا، حركة الجملة خطابيّة، تدور – وحين أريد إيقافها، تثقل، وتجمد، وتتبجّح. لا أعرف ما الّذي يجب أن أفعله. ربما أتّخذ من الإيقاعات المضبوطة سندا. أو بالأحرى لا أعرف الشّيء الكثير: عليَّ أن أصمت. أقول كلّ هذا وأنا أقرأ هذه الأبيات، لا أعرف لمن ربّما هي لأراغون – أعيد كتابتها هنا لأنّها جميلة وتمنّيت أن أكتب مثلها -: ردّ فعل فوريّ، لن أنسخها، فهي تضايقني الآن، ليست نقيّة تماما. أحبّ أكثر هاتين البيتين المستلّين من أغنية على ما يبدو:

هناك حصى على كلّ الطّرقات

على كلّ الطّرقات هناك شجن...[456]

الأحد 10 مارس

رسالة من دي بوان[457] إلى بايات[458] حول الوفرة:

---

456. أو بالأحرى أشجان من أغنية مارشة عسكرية معروفة، تستعملها حركات الشباب ومشاة الجندية. من خلال إلزا تريوليبه والتي هو بصدد قراءة ما كتبته في عدد مارس الأخير من المجلة الفرنسية الجديدة "ذكريات حرب 1939 الجزء الثالث " وقد ذكر سارتر البيت الأول والثاني وهما لازمة القصيدة. أما بالنسبة إلى الأبيات التي أوشك أن يعيد كتابتها، فهي الأبيات الأخيرة من قصيدة لأراغون مجندا والتي ذكرتهما إلزا "العشاق المنفصلون "

سوف تبدو هذه اللازمة ترادير ديرا [أغنية مشهورة زمن الحرب Traderidera لكن ربما حين يوشوش ذات يوم بالكلمات

ويمتلكها هذا القلب المنكسر هذا القلب الساذج سوف تكون نسيم

عالم بديع أنت وحدك تعرفينه

فإذا أشرقت الشمس وارتجف القلب

فذلك لأنه من دون حتى ن أؤمن بالربيع

فقد قلت منذ الخريف ترادير ديرا مثل شخص ما .

غصة غاليمار 1940.

(32) ورد هذا النص في "صفحات محايدة" للكاتب السويسري راميز المجلة الفرنسية الحديثة مارس1940.

لا تبطئ الحرب إيقاع التّطوّر التّقنيّ، بل تزيد في سرعة نسقه. يوجد في العالم 25مليون مجنّد: منتوجهم صفر. وهناك أيضا 75مليون رجل يصنعون أسلحة وذخائر، وإذا كان إنتاجهم يهمّنا من زاوية نظر مخصوصة، وضروريّا إلى حدّ مّا، فإنّه عديم الفائدة. ثمة في المجموع 100مليون رجل خارج الإنتاج المفيد، لكنّهم يعيشون من عمل الآخرين. فهؤلاء يستنجدون بتقنيّات أشدّ قوّة وصلابة لتعويض نقصهم العدديّ.

ما يهمّني في هذا النّصّ: هو الحرب بوصفها ظاهرة عالميّة:100 مليون رجل خارج دائرة العمل النّاجع، منهم 25مليون رجل مُدمِّرين. في قرابة مع هذه الملاحظة لراميز (المجلة الفرنسيوة الحديثة عددمارس): لاتناسق: هناك تفاوت كبير بين أن نفعل وأن نخرِّب، أن نبني وأن ندمِّر. يجب أن نفهم ذلك من خلال معرفة الوقت الّذي يأخذه الإنسان ليشيد شيئا مّا، والوقت الّذي يستغرقه ليمحو ذلك الشّيء. يتطلّب تشييد منزل فريقا كاملا من البنّائين لمدّة أسبوع أو أشهر، وتكفي لحظة واحدة لنسفه وجعله ركاما. ولو كان للطّبيعة أن تماثل هذا الأمر لما تأخّرت، سواء تعلّق الأمر بعنصر منها كالجبال، تبتنيها وتدمّرها، أو ما تعلّق بالإنسان، تبنيه ببطء، ولكن عادة ما لا تدمّره إلّا شيئا فشيئا[459]".

قريبا؛ سيتم استدعاؤنا إلى الخلف. كتب القائد مونييه للعقيد ويسينبرغ يشير له أنّنا زائدون، وعليه أن يجرّدنا من أسلحتنا، وهو ما ردّ عليه ويسينبرغ قائلا: من المستحيل استعادة البنادق، لكنّني سوف أستعيد الرّجال. سوف يجدون لهذه البنادق الصغيرة غير الصّالحة للاستعمال، رجالا يناسبونها، شبابا في الخدمة. بالنسبة إلينا نحن، أين سنذهب؟ إن كان إلى تور– أو إلى أيّ مركز آخر من نفس النّوع– فسوف يسعدني

---

457. اقتصادي ومنظر للرفاه من أهم ما كتب المناوبة الكبيرة للآلة عن الرجال (1933) في الطريق باتجاه الوفرة.

458. أستاذ وناشر (1880-1960) سوف يتولى ألبير بايات فيديرالية الإعلام السري تحت الاحتلال.

459. ورد هذا النص في "صفحات محايد" للكاتب السويسري راميز المجلة الفرنسية الحديثة مارس1940.

ذلك، يمكنني الذّهاب متى شئت إلى باريس كما يمكنني استدعاء أصدقائي من هناك. غير أنّني أتساءل إن كنت سوف أحافظ على الكتابة في هذه الدّفاتر، الّتي تزيد من حدّة عزلتي هنا، وتحدث قطيعة بين حياتي الماضية والرّاهنة. طالما مازلت على خط النّار، على بعد 10كيلومترات من المراكز المتقدّمة، فأنا معرّض للقصف، وربما، وجب وضع نقطة نهاية لإعادة النّظر هذه حين أكون في الخلف، وإعادة البناء مجدّدا: الانتهاء من روايتي-كتابة فلسفة العدم. هناأيضا، وأنا أرى كلّ يوم قنّاصين، ضبّاطا، إلخ.. عائدين من المراكز المتقدّمة، أجدني مورّطا في الحرب. هل سأكون كذلك في الخلف؟ وهل يستحقّ الأمر كتابة تفاهات دون أيّ أهمّيّة؟ وإن واصلت كتابة هذه اليوميّات سوف يكون ذلك لبعض الفترات فقط. في جميع الأحوال، يستوجب الأمر انتظار شهرين آخرين للعودة إلى الدّاخل. إنّني مبتهج لأنّ شيئا مّا قد انتهى: فترتي الأولى في الحرب.

أعود لغيوم. دوَّنت علاقاته العائليّة الغريبة الّتي تميّز العاهل. لكن ما هو أهمّ في حالة غيوم، أنّ أنقلترا كانت في منزله. أمّه انقليزية متعصّبة. وأنقلترا هي أمّه قبل كلّ شيء. لكنّ هذه الأمّ تحتقره وتكرهه لأنّه معاق. فيكتوريا الطّموحة، ابنة الملكة العظمى لإنقلترا من زوجها المهذّب، لن تغفر لابنها إطلاقا أنّه معاق... وهي فضلا عن ذلك، تعتبر دم زوجها أقلّ أصالة من دم أبيها، كان قلبها مليئا بالغيظ على هذا الطّفل المسخ، ابنها البكر، وكانت تفضّل إخوته عليه. إهانات الطّفولة. إهانات إنقليزيّة، فهذا الطّفل تربّى على الطّريقة الإنقليزيّة ويكره التّربية الإنقليزيّة. ورغم ذلك يظلّ تحت نفوذ التّعجرف الإنقليزيّ، عقدة نقصه هي تجاه إنقلترا. غير أنّه عثر في فرادة وجوده-للحكم شكلا من أشكال الانتقام. فأبوه فريديرك غيوم يحتضر في ظلّ العرش، ليس ملكا، ولن يكون كذلك أبدا، على الأقلّ ليس لوقت طويل؛ فوليّ العهد الحقيقيّ هو غيوم. لقد فهم نفسه كما هو، فهو لم يعد وريث الأب، والتّاج سيمر من الجدّ إلى الحفيد، لا يضع نفسه في محلّ متلقّ حقه في الحكم من الأب؛ ففي داخله شكل من أشكال التّجايل العفويّ للحقّ السّماويّ الّذي هو بلا جذور. ألقى بنفسه في الحكم ضدّ والديه. من الواضح جدّا أنّ هذه الضّدّ ملتبسة: يريد أن يسيطر

عليهم وفي الوقت نفسه ينتزع منهم إعجابهم به. وهو ما يسم وجوده-للحكم منذ البداية بأسلوب حادّ، محيِّر غير مضمون. هذا الحقّ السّماويّ هو انتقام. سوف يحكم ضدّ هذا الأب وهذه الأمّ اللّذين لم يتمكّنا من بلوغ العرش أو لن يتمكنا من الحصول عليه إلّا بالرّكض. حكمه مخالف للتّقاليد، وهوالوافد الجديد على العرش، رغم أنّه يحكم وفق الحقّ السّماويّ. في وجود غيوم هناك الوجود-للحكم كوافد جديد للحقّ السّماويّ. لكن وفق هذا الأمر هو-للحكم -شابّا. كتب لودفيغ أنّه من المؤسف جدّا بالنّسبة إليه أن يتولّى العرش وهو في الثّلاثين من عمره، قبل النّضج. غير أنّه قضّى وقتا لا بأس به يتهيّأ للحكم شابّا. هذا التّتويج السّابق لأوانه لم يكن حدثا مفاجئا. إنّه موقف معيش مسبقا ومنذ زمن طويل وهوموقف بناء لوجود غيوم نفسه، وقد اكتشفه شيئا فشيئا منذ مراهقته. إنّها إمكانيّته الذّاتيّة الّتي يعيشها منذ خمسة عشر عاما وها هو في النّهاية يحقّقها. وهل كان ذلك سوف يحدث لو أنّ فريديريك-غيوم عوض أن يقتله، يشفيه طبيب ألمانيّ؟ لا أعرف. لكن في جميع الأحوال، فبهذه الهيئة الجديدة لغيوم يكون محكوما عليه أن يظلّ لوقت طويل وليّا للعهد، وهو ما يجعل هذه الهيئة ضمن المكوّنات الأساسيّة للإمكانية المحسوسة أن يتولى غيوم مقاليد الحكم وهو شابّ، والتي ظلت على الأقلّ إمكانيّته الذّاتيّة. لقد جعل من نفسه ملكا طبقا للحقّ السّماويّ، جعل من نفسه شابّا ملكا قبل زمن طويل من أن يصبح كذلك بالفعل. ملك ضدّ أبيه، ضدّ أمّه، ضدّ أنقلترا، وفي الوقت نفسه، بضربة واحدة من تلقاء نفسه، قبل أن يفهم كلّ شيء ضدّ الأفكار اللّيبراليّة الّتي حاولت أمّه أن ترسّخها في أبيه. وشيئا فشيئا أصبح منيعا بقدر ما يحاول والداه أن يجعلا منه ليبراليّا. بكاسيل (وعمره وقتها إثنتي عشرة سنة) تأكد وقتها أنّه الإمبراطور القادم. هذه الكراهيّة للّيبيراليّة والتي سوف تترجم فيما بعد ب الحكم-ضدّ- اللّيبراليّة. كلّه كتلة كراهية تجاه أنقلترا ورفض البحث عن اللّجوء إلى الحياة الذّهنيّة ضدّ هذه الإعاقة، الحتميّة الأصليّة للحكم على الطّريقة البروسيّة.

نفهم كيف أنّ العرش والإعاقة مرتبطين في مشروع الذّات الّذي يعود من العرش إلى الإعاقة ويحدّد للوجود-للحكم علامة فارقة انطلاقا من الإعاقة. نفهم أنّه لا

عرش، لا تتويج سابق لأوانه، لا عائلة، لا تشوّه، هي أحداث عرضيّة، لا يمكن أن تكون شيئا آخر وتؤثّر من الخارج على غيوم أو أنّه يمكننا تصوّر غيوم مختلفا رغم كلّ تماثل في داخله إن كانت هناك أحداث أخرى أثّرت عليه. في الحقيقة من المستحيل تصوّر غيوم آخر إلّا ذاك الّذي انطلق من خلال هذا الموقف، وهو مشروع حرّ لنفسه في هذا الموقف. ليس سلوكه شيئا مّا ووجوده-للحكم شيئا آخر مختلفا، ليس مزاجه شيئا وإعاقته شيئا آخر.. هناك كلّيّة بشريّة حرّة هي لا شيء في حدّ ذاتها، في محايثة تقريبيّة هي بكلّها ضمن مشروعه.. وبهذا المعنى يمكننا أن نقول عن حكم الوجود-للحكم ليس -كما يقول هايدجير عن العالم-ليس موضوعيّا وليس ذاتيّا: ليس ذاتيّا: فهو ليس ملكيّة داخليّة لغيوم، شيء ما سيكون في حياته الدّاخلية كصفة- ليس موضوعيا: ليس حدثا خارجيّا لأنّ الوجود-للحكم وحدة وأن يحكم لا يمكن أن تنفصل عن الوجود-للحكم. بلغة أخرى ليس غيوم سوى الطريقة الّتي يضع بها نفسه في التّاريخ. ونرى أنّه في وحدة وضع نفسه في التّاريخ هناك طبقات معاني شديدة الاختلاف مترابطة. فالحكم يكشف الإعاقة الّتي تخبر بدورها عن دور العائلة، دور أنقلترا، دور معارضة اللّيبراليّة وعسكريّة بروسيا. لا يتعلّق الأمر بشيء واحد فقط، بل بمواقف تأخذ صبغة تراتبيّة بدرجات متفاوتة حسب وحدة نفس المشروع الأصليّ (تجديد إطار أصبح متقادما جدّا – بما أنّه معاصر للجدّ –وهذا في حدّ ذاته ثورة. لو كان الأب هو الّذي يحكم فسيكون نموّا بطيئا. ولأنّ الأمير يدرك جيّدا أنّه الوافد الجديد طبق الحقّ السّماويّ، فهذه الثّورة هي عند قمة مشروعه مهما كانت تنوّعات موقفه تجاه بيسمارك) كيف يمكن فهم موقف الأمير من البروليتاريا (حقد وخوف من الاشتراكيّ-الدّيمقراطيّ، محاولة لكسب العمّال) في سياق المشروع الأوّليّ، بما هو مشروع الذّات في العالم والسّياسة المتغيّرة والهشّة للأمير تجاه أنقلترا، تجاه روسيا، تجاه البروليتاريا، ليس كلّ هذا مؤثرا على سلوك غيوم الثّاني ولكنّه يضع نفسه تأريخيّا في العالم. يبدو كلّ هذا مجانبا للصواب لو أخذنا بعين الاعتبار التّحليلات السّابقة، ويجب بالطّبع -وهي عثرة خطيرة في هذه المقالة- معالجة الميولات اللّواطيّة عند غيوم ورؤية إن كا يمكن أن تكون مُدركة في وحدة المشروع

الأوّل وعلاقتها التّراتبيّة مع الوجود-للحكم. ما معنى ملك لواطيّ-ما معنى ملك روسي لواطيّ؟ ولئن لم أعالجها فليست غلطتي: ذلك أنّ لودفيغ غامض ومتكتّم جدّا بخصوص هذا الأمر. ما أردت فقط أن أبيّنه هو أنّ الطّريقة التّاريخيّة والأفكار النّفسانيّة المسبقة الّتي تتحكّم فيه - وليس بنية الأشياء- هي الّتي تنتج تجزئة عوامل التّاريخ إلى طبقات دالّة متوزاية يمَحي هذا التوازي إن عالجنا الشّخصيّة التّاريخيّة انطلاقا من وحدة وضعه لنفسه في التّاريخ. غير أنّني اعترف أنّني قد أكون بيّنت أنّه غير صالح في هذه الحال حيث الدّراسة التّاريخيّة هي دراسة أحاديّة تُظهر الفرد بوصفه حرفيّا لمصيره الشّخصيّ. يبقى أنّه يترك أثرا على الآخرين. سوف أحاول في الأيّام القادمة - إن أتاح لي ذلك كتاب لوديفيغ- أن أفكر في مسؤوليّة غيوم الثاني خلال حرب 1914.

رأيت سين، نائب وكالة هافاس. شخص ضخم جميل بشعر أبيض، كان سيشبه غاري كوبر لو لم يكن بدينا شيئا مّا. كان كعادته على مسافة من الآخرين، إذ لم يكن محبوبا. تكشف ملامحه بوقاحة أنّه من جوهر مختلف، يتنازل أحيانا ليكلّمني أو يمسّ يدي، ويبحث عنّي -لأنّ خمولي وقلّة وُدّي للذّكور يجعلانني لا ألقي عليه التّحيّة حين يعترضني متظاهرا أنّني لم أره؛ يأتيني بفتور زورق شراعيّ. من جهتي أشعر بشيء من التّساهل معه لأنّه جميل. لو كان بشعا لما احتملته. لقد سبق وفسّرت وفق أيّ آلية يتمّ الأمر معي. بل هو الذي كنت قد أشرت إليه سابقا في أحد دفاتري قائلا إنّني أشعر بنفسي منجذبا إليه بشكل غامض بسبب جماله. هي دائما نفس الرغبة عندي لأخضع للجمال أينما كان، خشية أن يتملّكني، فهي رغبة في امتلاكه عن طريق شخص وسيط. لكن حين يتعلّق بذكر فالأمر لا يذهب بعيدا. لا يبدو شخصا ساذجا، إلا إن كان يظهر بمظهر برَّاق، عكس ما يضمر، وهو يفتخر بأنّه مجاز في الآداب. في ذلك اليوم كنّا في دار الإقامة وناداني بصوت مرتفع ليظهر لي بإهمال متصنّع عددا من مجلّة ماتش ملقى على إحدى الطّاولات شبه ممزّق وهو يقول لي: أنا هنا، نظرت في صورة يظهر فيها مدير وكالة هافاس ومساعدوه، ومن بينهم هو. فخم في بدلة سوداء برقبة صلبة، منحنية شيئا مّا نحو المدير. أعجبتني سذاجته. كان يلبس

زيّا مدنيّا وفي عالم مدنيّ ميّت حيث وجد مكانه؛ لم يرد أن يكتفي بغبطته مفردا، بل أراد تسريبها إلى شخص آخر. على طريقة الكاستور شيئا مّا التي سوف تصاب بالهلع إن ماتت ولا يوجد شخص حذوها ليؤكّد ذلك. فلن يكون الانبعاث من ماضيه كلّيّا، إن لم يكن هناك شاهد على ذلك.

كنت جالسا اليوم في دار الإقامة على كرسيّ قرب آلة التّدفئة بينما كان الجنود منهمكين في تغطية النوافذ استعدادا لحصّة السّينما. كانت السّاعة تشير إلى الواحدة بعد الزّوال. في الخارج الشّمس مشرقة، وغبش شبه ذهبيّ داخل القاعّة الكبيرة المقفرة. جوّ ما قبل العرض، وكنت جذلان، ولو أنّني كنت قد قرّرت مغادرة المكان قبل بدء العرض. لم أكن أريد مشاهدة عصفور نادر[460] ولا حتّى وثائقيّا حول خطّ ماجينو. لكن في هذا الدّخان المظلم والذّهبيّ، ظلّ هناك شيء مّا قائما، يشبه التذكّر الغامض لتلك المساءات في فصل الرّبيع (مساءات أيّام الآحاد مثل هذه الأمسية) الّتي كنّا نقضيها أنا والكاستور منذ ستّ أو سبع سنوات في قاعة سينما إيرسيلين، رطبة ومظلمة، مدركين جيّدا لشؤبوب الشمس الهابط بالخارج؛ كما يقول سان جون برس، لم تكن الشّمس مُعيَّنة لكنّ حضورها كان بيننا[461]. كنت أقرأ، مفكّرا في مفهوم الموقف، كنت قد أمسكت بفكرة ولكنّ تَدخُّل سين، جعلني أضيِّعها. سوف أعثر عليها مجدّدا من خلال الكلام المعاد. نحن نفكّر دائما من خلال الكلام المعاد، فكرة منسيّة لن تضيع أبدا: لا نجدها حين نبحث عنها لكن سوف تأتي فكرة أخرى، جديدة تماما –لكنّها هي نفسها.

رأيت من يجرّ نفسه ناحيتي وتظاهرت أنّني لم أره، خفضت رأسي وفي النّهاية لمحت جزمتيه قدّامي. تبادلنا التّحيّة في لامبالاة مدروسة. باح لي بسرّ روحه المريرة: يبدو أنّك سترحل إذن؟ –نعم، – أنا أفضِّل البقاء هنا، إن كان لابدّ من ممارسة الغباء

460. حسب رسالة إلى الكاستور بتاريخ ذلك اليوم شاهد سارتر في نهاية الأمر جزءا من هذه الكوميديا من إخراج ريشار بوتييه (1935) سيناريو وحوار جاك بريفارمن تمثيل ماكس دايرلي، بيار براسور ومونيك رولان.

461. "والشمس لم تكن قط مُعيَّنة لكن قوتها كانت بيننا" في أناباز1 1924

فالأفضل أن أمارسه هنا- نعم. إنّنا أكثر حرّيّة. لكن تذكّر الصّعوبات الّتي لاقيتها من أجل استقدام زوجتك، لو كنت بالخلف لاستطعت التّصرّف مع عائلتك. هو بنبرة جافّة: ليست العائلة كلّ شيء. هناك دائما ما يشبه التّداعي السّرّيّ في قلب هذه الجمل القاسية. شرع الجنود في الدّخول إلى القاعة والجلوس. صوت ارتطام كراسي. يتابع حديثه دون أن ينظر ناحيتي، كان يقف على جنب ورأيت ذقنه: لا أريد أن أفعل أيّ شيء، غسلت يدي من كلّ شيء، إن كانت السّلطات العسكريّة في حاجة إلى مُجاز في الآداب لإيقاد آلات التّدفئة، فلتتحمّل المسؤوليّة، فأنا لن أتحرّك- قلت: حسنا، لكن كان يمكن أن تستدعيك وكالة هافاس في مهمّة خاصّة. إنّه الشّخص الوحيد هنا الّذي أتحدّث معه بضمير الجمع وهو يعاملني بالمثل. في الأوّل كنت أحدّثه بضمير المخاطب المفرد، لكن طالما يصرّ على مناداتي بالجمع، تراجعت وعاملته بالمثل قال: «نعم» واستدرك بسرعة: «لم يعد لهافاس نائب مدير». سكت قليلا ثمّ أضاف بجفاف: هم يعرفون إن كانوا في حاجة إليّ. أمّا أنا فلن أغادر مكاني... أن أتابع دروسا لأصبح ضابطا... أمّا أن أعبر إلى الجهة الأخرى من السّياج... فلا. ها هو ذا إذن: سوف أظلّ في البروليتاريا الجنديّة حيث وضعوني. باختصار يبدي استياءه وهذا هو لبّ المسألة عنده: كان يرغب في أن يحصل على نقلة خاصّة أو تتمّ ترقيته إلى رتبة ملازم يقدمونها على طبق من فضّة، يقترب بعد قليل هانتزيغر بوجهه الشبيه في شكله بالكمثري وبعينيه المحمرّتين بلا أهداب وهي تطرف، وقال وهو يوشوش في نبرة ترج يستخدمها عادة لطلب خدمة مّا: «إن ذهبت إلى هافاس في رخصة اجلب لي جريدة أنقليزيّة أو كنديّة يا سين». - ردّ سين بالنّبرة الكئيبة نفسها: لا أعرف إن كنت سوف أعود إلى هافاس. حينما نشتغل في محلّ لا يجب أن نعود إليه مجدّدا. نصبح مصدر ضيق. فهناك جمع كبير من الموظّفين الجدد، ونحن وراءهم كامل اليوم، هذا ما يعرفون أن يقولوه لنا، قال هانتزيغر -«إنّه لأمر محزن بالفعل انظر، كلّ هؤلاء الجدد الذين أخذوا أماكننا، إذا حلّت السّلم كيف سيتمّ التّخلّص منهم إذن؟» احتدّ مزاج سين السّيئ والكئيب: لا تشغل بالك. سوف يقومون بعمليّة التّفريغ ويكنسون كلّ هذا. فالرّجال الّذين سيعودون من الحرب لن يكونوا في حالة مرح وطنيّة غبيّة مثلما

جنود 1914. سوف يعودون بنيّة الدّفاع عن أنفسهم: لقد طال اعتبارهم لنا كحمقى، سوف نكشّر لهم عن أنيابنا. سوف يكون ذلك من السّهل جدّا لو كانوا متضامنين بقوّة معا. ليس مثل أولئك المحاربين القدامى الذين يقدّمون استعراضات تحت سيرك دي تريومف. بل: تضامن المطالبة. ولو ظهرت مجموعة لتنظيم مثل هذا سوف نرى الجديد.

أدوّن هنا قذارة صغيرة غريبة، تعوّدت عليها وأعرف مصدرها. تابعة للتّصوّر: هيبة غير مقدّرة وردّ الاعتبار. لقد تحدّثت عن أهمّيّة هذا التّصوّر الّذي يحملني في صباي، إلى أحلام ذات طابع مازوشيّ-لكن ليس مازوشيّا بأتمّ معنى الكلمة. لقد سكبت بعض الدّموع على **غريزيليديس** [462] واليوم أنا أيضا مندهش بكورديليا، ابنة الملك لير. أوّلا، ها هنا خطأ-قانونيّ أو آخر- وكارثة أن يتحمّل الشّخص بشرف وفي صمت. ومن هنا يأتي التّعظيم الّذي يلد من تخلّيه ومن صمته. لهذا فإنّ السّقطة الأشدّ هو أن لا تحمل في داخلها مكافأتها. ليس للتّجربة أيّ شيء من المسيحيّة لأنّه ليس من إله يقوم بتنسيب السّعادة النّهائيّة حسب الآلام المحتملة: فهذا يأتي من تلقاء نفسه. المكافأة هي الاكتمال الطّبيعيّ للتّجربة. أمّا عن توحّدي خلال التّجربة فهو متميّز جدّا، وبالأساس هو قريب جدّا من استياء سين.. على سبيل المثال. لن ندافع، ننسحب- تماما بهذا الشّكل. لقد دوّنتها سابقا هنا ومدارها أن أجعل بيني وبين بقيّة الرّجال مسافة: وسوف يكون أوّل مبرّر يخطر على بالي جيّدا لأنزوي جانبا؛ هي ذي كبريائي دائما. ولكي أنتهي من الأمر أنتظر أن يبادروا بالمجيء، لقد انتظرت كامل حياتي مجيئهم، لم يحدث لي أن قمت بالخطوة الأولى، أريد دائما أن أكون محلّ توسّل. كنت في الرّابعة عشرة من عمري وحدث أن مررت بجانب مجموعة من الرّفاق متظاهرا أنّني لم أرهم منتظرا أن يدعوني إليهم. من سوء الحظّ اخترت الوقت الخطأ

---

462. غريزيليديس البطلة الشهيرة لقصة بوكاس كانت مادة موضوع لعديد القصص والمسرحيات والغنائيات إلخ. والمؤكد إن سارتر وهوصبي قد قرأ نسخة شارل بيرو للحكاية والتي عنوانها الماركيز دي صاليسأو صبر غريزيليديس. "ما يعجبني في هذه القصة غير المنصوح بها كثيرا. هو سادية الضحية وهذه الفضيلة العنيدة التي تنتهي بإلقاء الزوج الجلاد على قدميه" الكلمات 1964.

فلقد كنت بالنّسبة إليهم ضحية بلا أهمّية؛ وكانت النّتيجة أنّهم لم يدعونني إليهم. قمت بدورة سريعة للعودة ناحيتهم، حتّى أمنحهم فرصة ثانية. وكرّرت الفعل مرارا، إلى أن قال لي أحدهم: «أيّها الغبيّ، ما الّذي يجعلك تدور من حولنا لأكثر من ثلاثة أرباع السّاعة؟»، ولم أستبعد حينها أن أتعرّض لآذاهم، أو أن يذهب بهم الأمر إلى الإجهاز عليّ. لم تكن هذه العزلة نقيّة: يرحل بطل أوهامي ليس هربا من أناس نهائيّا، لكن بقناعة أنّ النّاس سوف تجرّ نفسها إليه وتجثو عند قدميه ذات يوم. كبرياء، عزلة مزيّفة، تفاؤل، من الغريب أنّ كلّ هذا يوجد في أحلامي الصّبيانيّة. واعتقادا منّي أنّني ذو هيبة، كنت أنتظر المكافأة دائما. لقد ترسّخ الأمر في ذاكرتي، أريد أن أقول إنّني قد عرفت بالعين الثّابتة نوعا من الألم القاسي الّذي هو نسيان الذّات، وهو أمر غير سهل إطلاقا. وهذا ما أحترمه الأكثر. غير أنّه كان هناك دائما ملاك ينحني على بعض أحزاني. يتراءى لي أنّ حظوة من القدر سوف تجعل أجمل مكافأة تلد من هذا الحزن ذاته: لكلّ حزن حلّ مّا لعقدته الخاصّة. وبالأساس بدت لي الحرب سريعة جدّا من خلال هذا التّصوّر. سنوات التّجارب والهيبة، الّتي سوف أُكافأ من خلالها بتجدّد آخر وشباب آخر. ليس أنا من يعتقد في مشاقّ الحرب، وآلام الحبّ الضّائعة. هذا ما أردت أن أصل إليه بالأمس مكتئبا تماما، لأنّني لست شاعرا، شرعت في كتابة أنّني مكتئب في هذا الدّفتر. وكان هناك جناح ملاك يداعب هذا الاكتئاب، يحمل هذا الاكتئاب في طيّاته الأمل المغلّف إلى درجة أنّ الفقرة ذاتها حيث أكتب حزني لأنّني لست شاعرا، وبمكافأة عفويّة بزغت من بين أصابعي أجمل الجمل النّثريّة، دون أن أنتبه لذلك، بعد لحظات قليلة وأنا أعيد قراءة هذه الشّكوى السّخيفة والمتواضعة، اكتشفت بدهشة عجيبة أنّني ابتكرت بنثري أجمل الأشياء، الباخرة في القارورة التي طلبتها عبثا من الشّعر، لا أستطيع أن أقول إنّ هذا الأمل الدّنيء هو الدّافع الّذي جعلني أكتب. لا، الحمد لله. لكنّه يُلوِّن كتابتي. وما أدراني إن كنت سوف أنتبه لذلك. في جميع الحالات ها إنّنا نرى التّصوّر: أن يقع أحدهم في قاع اليأس لأنّه ليس موسيقارا، إنّما يظهر وجعه، ووجعه هو بالضّبط موسيقى، يبدو أنّ هذا التّشكّي الفظّ والبريء هو أجمل الهارمونيّات.

الإثنين 11 مارس

أردت نسخ فقرة من يوميات أندريه جيد حول قليل من الواقعيّة[463]، ولقد أخطأت أنّني لم أفعل ذلك. يفسّر لروجي مارتن ديغارد أنّه ينقصه معنى مّا للواقعيّ وأنّ الأحداث المهمّة جدّا تبدو له تافهة[464] أنا هكذا ودنما شكّ من هنا يأتي طيشي. لمدّة طويلة شككت إن لم يكن هذا سلوكا مميّزا عند بعض النّاس أنا واحد منهم، أو إن لم يكن كلّ واحد ليس بهذا السّلوك، إن لم تكن الواقعيّة مثاليّة يستحيل الشّعور بها وتتموضع في اللّانهائيّ. وحتّى اليوم لا أعرف عن ذلك الشّيء الكثير غير أنّني أؤكّد أنّ أندريه جيد، كان، شأنه في ذلك شأن البورجوازيّين الكبار، وأنا باعتباري موظّفا، من عائلة موظّفين، لم نكن مهيّئين لاتّخاذ الواقعيّ كديكور. في نهاية المطاف لم يصبني كما جيد، ما يتعذّر ترميمه، لم أستشعر ذلك إلّا عندما شارفت على الجنون، أو كذلك بدا لي. في تلك اللحظة اكتشفت أنّه من الممكن أن يحدث لي كلّ شيء. شعور ثمين جدّا وضروريّ للأصالة، وأجهد نفسي كثيرا للمحافظة عليه بقدر ما أستطيع. غير أنّه غير ثابت، إلّا في المصائب الكبرى أو في حالة تركيز مخصوصة قصد استبقائه في الذّات، وفي ذلك الجنون المزعوم، يختنق ضميري المطلق، وأجدني مضطرّا لانتشال النّفس من ذاك القلق، بالاندراج خلال قدري، في وعي سام، مطلق، أحقّق من خلاله ذاتي، وفرادتي. يمكن للشّيء أن يمّحي، ولا يمسّ ذلك الوعي في شيء. أما شخصي فلم يكن أكثر من تجسيد انتقاليّ لهذا الوعي، ومن رابط يشدّه إلى العالم مثل منطاد مقيّد. إن كان مصدر هذا الموقف التّأملي وظيفتي التّأمّليّة كحارس للثّقافة في قلب المجتمع، كما صرّح بذلك دون مواربة أحد الماركسيّين، أو أنّه يمثل مشروعا أوّليا لوجودي (وبالتأكيد سوف نعثر بداخله على الكبرياء، الحرّيّة، الانفصال عن ذاتي نفسها، الرّواقيّة التّأمّليّة والتّفاؤليّة، أي كلّ ما يشكّل مشروعي الأوّل) وهو ما لا

---

463. من المؤكد إن سارتر أخذ هذه الكلمة من أندريه بروتون الذي كتب مقدمة لخطاب حول القليل من الواقعية 1927.

464. "افتقد للشعور بالواقعية، يتراءى لي إننا نتحرك كلنا في فسحة فانتاستيكية" يوميات أندريه جيد 20ديسمبر1924.

أريد أن أقرّ به هنا. من المؤكّد أنّ هذه الطّريقة في لجوئي إلى أعلى البرج، حين تتمّ مهاجمة ما هو أسفل، ومتابعة ما يحدث في الأسفل من الأعلى، دون أن أحرّك أهدابي، بعينين كبيرتين من الخوف، ذلك هو الموقف الّذي اتّخذته في 1938-1939 أمام التّهديدات الحربيّة. هذا الموقف نفسه هو ما أوحى لي كتابة مقالة تسامي الذّات، أين وضعت بكلّ بساطة الأنا عند باب الوعي، مثل زائر خفيّ. لم يكن عندي مع نفسي ذاتها هذه الحميميّة المداعبة الّتي تشير أنّ هناك التحامات، كما يقال في الطّبّ، من الأنا إلى الوعي، ونخشى إن حاولنا انتزاعها أن نمزّقها. لقد كان في الخارج، أو أنّني كنت أنظر إليه من خلال زجاج النّافذة بكلّ هدوء، بكلّ قسوة. بل إنّني لزمن طويل اعتقدت أن ليس في إمكاننا مصالحة وجود سلوك مّا مع حرّية الوعي؛ كنت أفكّر أنّ السّلوك ليس شيئا آخر سوى باقة حكم معنوية أكثر منها جسديّة، حيث يمكن للجار أن يلخّص تجربته من خلالنا. ظلّ الوعي -الملجأ كما هو بلا لون بلا رائحة ولا طعم. في هذه السّنة فقط بمناسبة الحرب فهمت الحقيقة: لا يجب خلط السّلوك بكلّ حكم -قائمات الأخلاقيّين إنّه غضوب، إنّه كسول، إلخ، لكنّه المشروع الأوّل والحرّ لوجودنا في العالم. لقد حاولت أن أبيّنه بالنّسبة إلى غيوم الثّاني. باختصار وجود الوعي-الملجأ يسمح لي أن أقرّر على هواي درجة الجدّيّة الّتي تستوجب الانتباه إلى موقف؛ كنت مثل ذلك الّذي وجد نفسه في أتعس المغامرات لا يحسّ كثيرا، لأنهّ اكتسب مناعة ضدّ كلّ أذى. وتحضرني في هذا الصّدد، شخصيّة في رواية الوضع البشريّ، تدعى كتاو[465] تستمدّ قوّتها من وضع السّمّ لأصدقائها. يتراءى لي أنّه آنيّة فلاشيء يشدّه خارج العالم، فهو في الدّاخل بامتلاء، حرّ وبلا أيّ إمكانيّة للدّفاع عن نفسه، العبور من الحرّيّة المطلقة نحو حرّيّة مجرّدة من السّلاح وبشريّة، رفض السّمّ، كلّ هذا حدث خلال هذه السنة بضربة واحدة، أتصوّر الآن مستقبلي باعتباره منتهيا. وتدرّبي الجديد يتمثّل بالتّدقيق قي الشّعور أنّني في الخضم بلا أيّ دفاع. إنّهما، الحرب وهايدجير من وضعاني على الدّرب؛ هايدجير مبرزا لي أنّه ليس هناك أيّ شيء فيما وراء المشروع بما يجعل الآنيّة تحقق ذاتها نفسها. هل يعني هذا أنّني سوف أترك الأنا

465. رواية أندريه مالرو التي نشرتها غاليمار سنة 1933.

يدخل؟ لا، طبعا. غير أنّ الإنّية أو كلية الوجود-للذات ليست الأنا ورغم ذلك هي الشّخص. إنّني في العمق بصدد التّدرّب على أن أكون شخصا. غير أنّ هذا ليس هدف خطّتي الحاليّة. أردت أن اشير، إلى أنّه طالما لم أكن وسط المعمعمة، طالما لم أشعر أنّني مسؤول، طالما لم تكن عندي هواجس حول المال، فإنّني لن آخذ هذا العالم بشكل جدّيّ. كان يمكن لكلّ هذا أن يحملني في زمن آخر نحو التّصوّف، ذلك أنّ الّذين لا يكفيهم أبدا القليل من الواقعيّة، مستعدّون ليكونوا سيرياليّين. وأتصوّر، أنّه منذ خمسة عشر عاما، كان هذا مصدر العقيدة السّيرياليّة لدى الكثيرين (ولكن ليس للجميع: يبدو لي أنّ تأثير الحرب الّذي عادة ما يتمّ ذكره كان حاسما بالنّسبة إلى الزّعماء). غير أنّني كنت ملحدا بسبب كبريائي. لا بسبب الشّعور بالكبرياء، بل إنّ وجودي نفسه كان متكبّرا، كنت الكبرياء. لم يكن ثمّة مكان لله بجانبي. كنت دائما منبعي الخاصّ، لا أرى سببا لوجود الله الأكبر في هذه الحكاية. وعلى إثر ذلك انتهت الفكرة الدّينيّة البائسة إلى تعزيز إلحادي. الإيمان غبيّ أو هو سوء نيّة. لقد استطاعت أمّي الإمساك بشيء مّا من هذا البرود الطّائش إزاء العالم، إذ كانت تستمتع بترديد، كنت سأكون كاهنة قبل بضع قرون من الآن. بسبب انعدام الإيمان، اقتصرت على فقدان الجدّيّة. على العموم، هناك جدّيّة، حينما نرحل من العالم وحين نسم العالم بواقعيّة أكثر ممّا نسم به الذّات -أو على الأقلّ، حين نضفي على أنفسنا واقعيّة بقدر ما ننتمي إلى العالم. ليس من باب الصّدفة أنّ المادّيّة جدّيّة؛ وليس من باب الصّدفة أن تجد هذه المادّيّة نفسها دائما وفي كلّ مكان المذهب الفلسفيّ المنتقى للثّوريّين. لأنّ الثّوريّين جادّون. يعرفون أنفسهم أوّلا لأنّهم مهشّمون من العالم، يعرفون أنفسهم انطلاقا من هذا العالم الّذي يهشّمهم ويريدون تغييره. وفي هذا، هم يجدون أنفسهم على اتّفاق مع كلّ منافسيهم القدامى، المتملّكين، الّذين هم بدورهم يعرفون أنفسهم ويقدّرونها انطلاقا من موقفهم في العالم. أكره الجادّ. من خلال همٍّ جاد مهندَس يمرّ العالم بأكمله، بجماديّته، بقوانينه بكثافته العنيدة؛ يضخِّم العالم كلّ فكرة جادّة ويخثّرها؛ فهي استقالة الإنسان لصالح العالم. انظروا إلى هذا الرّجل الّذي يحرّك رأسه قائلا: خطير! خطير جدّا!، وحاولوا أن تفهموا ما الّذي يقصده بتحريك رأسه: هذا

يعني أنّ العالم يهيمن على هذا الرّجل، إنّ هناك قوانين وقواعد من الضّروريّ الانتباه إليها – خارجة عنّا تماما، منضّدة متحجّرة- وعليها أن تعطي نتيجة مشجّعة. وسوف تحلّ المصيبة حين يتمّ اختراق القواعد، ويجد الإنسان نفسه بلا ملجأ. ذلك أنّه لم يعد له أيّ لجوء إلى ذاته: إنّه من العالم، استقرّ العالم بداخله وهذا المقدّس المخترق، هو مخترق في داخله أيضا. نحن جادّون حتّى حين لا نفكّر في إمكانيّة الخروج من هذا العالم، حين يحاصرك العالم من كلّ ناحية بجباله، وصخورها، بحفره وأوحالها، بكلّ اتّساعاته العنيدة، حين نعطي لأنفسنا نوع وجود الصّخرة، الصّلابة، الجمود، الكثافة؛ إنسان جادّ: هو وعي متخثّر؛ يكون المرء جادّا، حين ينكر الذّهن. هؤلاء المنكرون الّذين تحدّث عنهم أفلاطون في السّفسطائيّ والّذين لا يعتقدون إلّا فيما يمسّونه، هؤلاء قدامى الذّهن الجادّ، إنّه لأمر عاديّ جدّا أنّ الإنسان الجادّ، بما أنّه من العالم، ليس له أدنى وعي بحرّيّته، أو بالأحرى لديه وعي به، غير أنّه يختبيء منطويا داخل نفسه، مثل قاذورة. مثل الصّخرة، مثل الذّرة، مثل النّجمة، إنه متحقِّق. ولئن تميّز ذهن الجادّ بالتّطبيق الّذي من خلاله يثمّن نتائج أفعاله، ذلك أنّ كلّ شيء بالنّسبة إليه نتيجة. الإنسان الجادّ ذاته هو نفسه نتيجة، لنتيجة غير محتملة، وليس مبدأ. وهو مأخوذ إلى اللّامتناهي عبر سلسلة من النّتائج ولا يرى سوى نتائج على مرمى البصر. لهذا كان المال علامة كلّ شيء في العالم، نتيجة ونتيجة عنه، المال هو الشّيء الجادّ بامتياز. باختصار، لقد وضع ماركس المبدأ الأوّل للجدّيّة حين أكّد أولويّة الشّيء على الموضوع. ويكون الإنسان جادّا حين ينسى نفسه، حين يجعل من الموضوع شيئا، حين يعتبر نفسه شعاعا قادما من العالم: المهندسون، الأطبّاء، الفيزيائيّون، البيولوجيّون، كلّ هؤلاء جادّون.

كنت محميّا ممّا هو جادّ لأنّني قلت. أو بالأحرى كثيرا ولكن ليس بالقدر الكافي: لست من العالم لأنّني حرّ وهي بداية أولى. ليس من الممكن أن نمسك بذاتنا كوعي دون التّفكير أنّ الحياة لعب.

في الواقع؛ ما اللّعب، إن لم يكن نشاطا مصدره الأوّل الإنسان، والإنسان هو من يضع مبادئه ولا يمكن أن تكون له نتائج إلّا تبعا لهذه المبادئ. وما أن يدرك الإنسان

نفسه حرّا ويريد استعمال هذه الحرّيّة، يصبح كلّ نشاطه لعبا: فهو المبدأ الأوّل لهذا اللّعب، يفلت بطبعه من العالم، يضع بنفسه قيمة وقواعد أفعاله ولا يقبل بالدّفع إلّا طبقا لهذه القواعد الّتي وضعها وحدّدها هو نفسه. من هنا واقعيّة العالم القليلة وغياب الجدّيّة. لم أكن أريد أبدا أن أكون جادّا، كنت أشعر أنّني حرّ كثيرا. كتبت قصيدة مطوّلة زمن غرامياتي مع تولوز(466)، أعتقد أنّها كانت قصيدة رديئة جدّا بعنوان بيتر بان، أغنية الطّفل الصّغير الّذي لا يريد أن يكبر(467). كذلك هو دائما، هؤلاء الصّبيان الصّغار، و الفتيات الصّغيرات، وهذه الكلمات المبتذلة لعلاقاتنا الغراميّة. أجد هذا من جهة شابّ قوي في العشرين من عمره، وفتاة مكتنزة في الثالثة والعشرين من عمرها أكثر ارتكابا للمحارم من الأم الّتي يتنهّد بها روسّو لمدام دي وارينز [فرانسوا لويز دي وارينز عشيقة جان جاك روسّو ووليّة الّتي أمره تعهّدت برعايته مذ كان في السّادسة عشرة، وأصبحت عشيقته، وكان يعتبرها في الوقت نفسه أمّه]. ليس هذا موضوعي الآن. عموما، لم يكن هذا الصّبيّ يريد أن يكبر خشية أن يصبح جادّا. بإمكاني أن أطمئنّ فلقد بلغت الرّابعة عشرة ولم أصبح جادّا. باستثناء إحدى المرّات بين جدران مقبرة تطوان، لأنّ الكاستور أرادت أن تضع لي قبّعة من قشّ، ولم أكن راغبا. لطالما رمت أن أتحمّل مسؤولية أفعالي، مع شعوري بالإفلات منها نهائيا بعد ذلك. بسبب برج الوعي، حيث يمكنني الصّعود متى شئت.

غير أنّ المسألة الّتي تعنيني اليوم هي هذه: الأصالة، مغلقا وإلى الأبد باب البرج، هل بإمكانها أن تأتيني بالذّهن الجادّ؟ أعتقد أنّه ليس هناك أيّ إجابة: لا؛ على الإطلاق. ذلك أنّ المرء يدرك نفسه كشخص، ممّا يعني أنّه في الجهة المقابلة تماما يدرك نفسه انطلاقا من العالم. وفيما يخصّ أنّنا أصيلون، فلسنا في ذلك أقلّ حرّيّة – بل أكثر حرّيّة ممّا في فرضيّة البرج – بما أنّنا مُلزمون بحرّيّة بلا ظل ولا عذر. وفي نهاية المطاف؛ ليس الوجود-في- العالم هو الوجود من العالم. بل بالعكس تماما. في التّخلّي عن البرج

---

466. تولوز: كنية سيمون جوليفه... الدفتر الثالث.

467. كتب سارتر هذه القصيدة في معهد المعلمين وأعطاها لرايمون آرون الذي نشرها في كتابات الشباب تحت عنوان "هو هاي هو".

العاجيّ أريد أن يظهر لي العالم في واقعيّته الكاملة والمهدّدة، غير أنّني لا أرغب أن تتوقف الحياة عن كونها لعبا من أجل هذا. لهذا السّبب أجد نفسي بالكامل في جملة شيللر: ليس الإنسان إنسانا تماما إلّا حين يلعب.

الثّلاثاء 12مارس

قد نسافر الجمعة أو السّبت إلى بروماث، وذلك لترك مكان لا محالة لفرقة قادمة من الدّاخل سوف تصعد إلى الخطّ، أشعر بسعادة للعودة مجدّدا إلى بروماث لقد احتفظت منها بذكرى شاعريّة إلى أبعد حدّ. أمّا مورسبرون فلقد احتفظت منها بصورة مدهشة وجليديّة، قاسية جدّا، الثّلج بشاعرية قويّة غير أنّها، ممتلئة بالرّيح. لقد بدت لي بروماث مثل نور مغربل ورقيق. ها إنّي أرى مجدّدا تلك الصّباحات اللّطيفة من حانة لاروز، والمساءات الطّويلة من قاعة المدرسة. بروماث بالنّسبة إليّ هي رحلة الكاستور، وعودتي خلال اللّيل بعد أن تركتها بالمحطّة- وبروماث هي أيضا أزمتي الغراميّة تجاه فاندا، وهذا العالم التراجيديّ الجديد الّذي عشته، دليلي فيه سانت اوكزيبري وكوستلر. هناك استشعرت ما هي الأصالة (في الأيّام الأخيرة بحانة الليون دور)، هناك سلخت جلدي القديم. بي لهفة لرؤية الإكريفيس مرّة أخرى، بناية الاستحمام، أتساءل عن التّأثير الّذي سوف يحدثه في داخلي كلّ هذا. من جهتي لن أبقى إطلاقا. لو وصلنا هناك يوم 17، لن أمكث أكثر من ثمانية أيام. بعد ذلك، سوف أسافر في رخصة وعند عودتي سوف يتمّ الاستدعاء لا محالة إلى الدّاخل. ها أنا ذا أتخلّص ببطء من مقادير الفرقة مثل قشرة متآكلة- لما يحدثونني عن قدرها – قد تنتقل إلى بيتش- يجعلني كلّ هذا جافّا ومغبرا، فهذا كلّه لم يعد أنا. أحتفظ ببعض الصّور لبستان فاكهة على خاصرة منحدر، يشبه كثيرا إيل دي فرانس وهي ترمز عندي لمستقبلي القادم. وهو ما يعني: مركز إرصاد جوّيّ بالخلف، فحين كنت أباشر مهمّتي بالخدمة العسكريّة في مركز الإرصاد الجوّي بسانت-سيمفوريون، أعلى مدينة تور، كان السّيّد ليدووهو بدوره رجل إرصاد يعتني بحديقته غير بعيد عن المركز عموما، أنا في حالة انتظار غامضة وغبية لمركز تور. يقول لي عقلي بطبيعة الحال

بإمكانهم أن يرسلوني إلى أيّ مكان آخر عدا هذا المكان.

ألمانيا –مقالة تفسير لإيدموند فرماي: أطروحته العامة هي التّالية/ ما هو موبوء ومتحمّس، وبالتّالي خطر في القوميّة الألمانيّة، في حلمه المهتاج بالطّائفة الدّينيّة العرقيّة الموجّهة لممارسة سيطرة مطلقة على القارة العجوز، يمكن تفسيره بالتّجزئة الإقليميّة في السّابق وتعدّد المؤسّسات، بالتّمدّدات والأحزاب الّتي تلت ذلك في إطار الإمبراطوريّة البيسماركيّة، ودستور فيمار. بلغة أخرى رابطة الشّعوب الجرمانيّة هو الوجه الآخر للألمانيّات[468]. جيّد جدّا هذا الطّرح وهو بديهيّ إلى درجة أنّني فكّرت فيه بدوري، أنا الّذي لم أكن ضليعا في التّفسيرات التّاريخية. ثمة علاقة فهم بين طبيعتين إحداهما حدث: وجود حدث تجزئة سياسيّة وإداريّة – والآخر مثاليّ: ف الطّائفة تظهر كإمكانيّة خاصّة بالأمّة الألمانيّة باعتبارها طائفة مسيّرة لأوروبّا. وهو ما يجعلني أنتبه بسرعة للعلاقة بين هذه الدّلالات: يتجاوز الطّموح للوحدة مجرّد توحيد الألمانيّات – بل يهدف إلى توحيد الألمانيّات باعتبارها وحدة موِّحدة لأوروبّا. سوف تبدو ظاهرة التّوحيد بلا معنى في علاقة بكامل القارة، يمنح التّوحيد نفسه هدفا يتجاوز، استعجاله، وينمّيه في آن. إنّه توحيد للهيمنة. حسنا جدّا: غير أنّ هذا لا يقنعني أيضا: فلست أرى أنّ تجزئة الألمانيّات بإمكانها أن تنتج تمثّلا أسطوريّا. يكون التّنسيق بهذا الشّكل: تجزئة–رابطة الشّعوب الجرمانيّة ليس دالّا إلّا لأنّه بشريّ. لا بدّ من تصوّره كموجود من خلال النّاس الّذين يضعون تأريخا لأنفسهم. غير أنّه ليس جديرا بالقبول إلّا إذا تحرّكت التّجزئة ومارست تأثيرها من الخارج على بعض الأذهان، لكي تدفعها لنحت تمثّل أسطوريّ للوحدة يلغيها. التّجزئة في حدّ ذاتها لاشيء، ولا تأثير لها، وكلّ ما يمكن أن تفعله هو أن تتجزّأ إلى ما لا نهاية. لن ينفع في أيّ شيء أن نظهر حلم الوحدة ينبثق من الصّعوبات الّتي تعترض القوى الوحدويّة (اقتصاديّة، ثقافيّة، دينيّة)، في مواجهة هذه التّجزئة والصّراع الّذي سوف ينتج عن كلّ هذا. هناك عامل آخر ينقص هذه الجدليّة، وهو نفسه دائما؛ لابدّ من أن تكون

---

468. يذكر سارتر الإعلان الذي نشرته المجلة الفرنسية الحديثة في عدد مارس استعدادا لصدور الكتاب عن منشورات غاليمار. يسطر سارتر الجملة الأخيرة من النص.

المقاومة محسوسة، لا بدّ من أن تكون القوى الاقتصاديّة الّتي تلقي بنفسها من خلال التّجزئة بشريّة، لا بدّ من العودة للإنسان. بلغة أخرى، فهذا التنسيق الطّبيعيّ يمنح نفسه بكلّ بداهة للفهم، وهو في حدّ ذاته تابع[469] [بالألمانية في الأصل unselbstandig] يحيل على الآنيّة لكي يوجد: ليس هناك سوى تفسير واحد: التّجزئة موقف ورابطة الشّعوب الجرمانيّة هي الإمكانيّة التي سوف تلقي الآنية بنفسها نحوها. بهذا الشّكل، فإنّه من خلال إعلاء التّجزئة نحو رابطة الشّعوب الجرمانيّة تشكّله الآنية كموقف وتمسك به كما هو هكذا. دون هذا التّجاوز الحرّ، لن يكون موقفا أو حتّى تجزئة حدث. وإن تمّ إدراكه كتجزئة صافية؟ مستحيل –أو على الأقل مستحيل أوّلا. فلم يتمّ إدراكه كتجزئة، إلّا ليكون آنيّة تتجاوزه نحو شيء آخر: نحو الفيديراليّة مثلا. لكن أن يتمّ اعتباره تجزئة صافية، حدث تجزئة، فعلى الذّهن أن يُجريَ تراجعا تأمّليا. أن يحاول تفكيك الموقف، واستخراج المعطى منه وتحويله إلى وضعيّة. هناك مكان للجوء إلى هذه القوى الغامضة الّتي يتمّ استحضارها عادة من الحكمة الدّيبلوماسيّة، مثال ذلك هذه الجاذبيّة الّتي لا تقاوم، وهي توجد بين أجزاء بلد مُجزّأً وتقودها بشكل حتميّ نحو الوحدة. نحن على عكس النّظريّة الماركسيّة للأسطورة. فالأسطورة من وجهة نظر المؤرّخين الماركسيّين هي إنتاج حركة واقع الحال على الضّمائر. إنّ واقع الحال في حدّ ذاته لا يمكن أن يتشكّل إلّا بمشروع آنيّة من خلاله يتّجه نحو الأسطورة الّتي بدورها تشكّل إمكانيّته الخاصّة. لكن أيّ آنيّة؟ لقد تمّت إحالتنا إلى الفردانية التّاريخيّة، الّتي تتلاءم بشكل سيّئ مع طبائعها الجمعيّة. فحين يشتقّ فرماي رابطة الشّعوب الجرمانيّة من تجزئة الألمانيّات. فهو بعيد جدّا عن الأفراد. لا يتعلّق الأمر طبعا بمعرفة ما يمكن أن يدركه بيار أو بول من الموقف: فنحن على مستوى الجمعيّة القوميّة. رغم ذلك أكرّر أن ليس هناك سوى أفراد. كيف الخروج من المأزق إذن؟ من خلال مفهوم الموقف ذاته، الّذي استنجدنا به أوّلا. فلئن كان الفرد يحيل على الموقف والموقف يحيل على الفرد، فهذا لا يعني أنّنا نستطيع إدخال الموقف في الفرد، بشيء من الدّفع. ليس أكثر من أن لا يعني الوجود–في–العالم

---

469. تابع (غير قائم من خلال ذاته نفسها).

أنّ العالم يمكن أن يظلّ قائما في الفرد. في الواقع هناك رابطة للشّعوب الجرمانيّة لأنّ هناك رابطات للشّعوب الجرمانيّة لكن هناك رابطة واحدة للشّعوب الجرمانيّة. المواقف المتلازمة لمشروع فرد يلقي بنفسه في العالم من خلال الوجود- مع-*mit-seen* تقترح نفسها كمواقف للآخرين ولا يمكن أن نكون ذواتنا نحن إلّا بانعكاسنا من خلال المواقف الّتي يكونها مشروع الغير. كلّ فرد يجد نفسه في مواجهة أعمدة الإشارة لن تدلّ إلّا من خلاله. غير أنّ تلك الإشارة قام بتركيبها آخرون. فالتّجزئة ورابطة الشّعوب الجرمانيّة لا يمكن أن يبزغ منهما إلّا عبر الإرادة، لكن طبيعتهما تتجاوز كلّ فرد- ولا يجب أن يتمّ خلطها، لا مع مجر د جموع رابطات الشعوب الجرمانية – ولا مع ما لا أعرفه من وعي جمعيّ سوف يمسك بالأفراد من الخلف ويتشكّل بمعزل عنهم. كلّ ألمانيّ يولد في العالم قبل الحرب يجد نفسه قبالة رابطة الشّعوب الألمانيّة كموقف. بإمكانه أن يقرّر طوعا أن يدرك هذا الموقف بأيّ طريقة كانت (الرّفض، الازدراء، العراك، التّبنّي، التّقبّل، متابعة الحركة عن بعد برعاية، إلخ). لكن من المستحيل أن ينكر أنّ رابطة الشّعوب الألمانيّة لم تكن موقفا بالنّسبة إليه، كما أنّه لا ينشط الرّابط التّفاهميّ تجزئة–رابطة الشّعوب الألمانيّة. وباتّخاذه لهذه الوضعيّة ذاتها – الّتي كانت هي نفسها تماما – يثري الموقف للغير، سوف يجلي الموقف عن نفسه غنيّا، أكثر طواعية، أكثر استعجاليّة للغير. يعالج المؤرّخ وهو يصف علاقات الدّلالة بين الأفكار، والحركات، والموقف السّياسيّ، والامتدادات أو المطالب، أشياء واقعيّة لها صفة التّبعيّة- unselbs*tandigkeit* [بالألمانيّة في الأصل] وروابط المنطق الملموس الّتي يجدها فيهم محيلة، على آنية تعبرها في صمت. وهوحقها؛ فليس لها تمش آخر. لكن الخطأ التي ترتكبه فيما بعد يتمث في إظهار هذه الروابط كما لو إنها مستقلة وتمارس تأثيرها فيما بعد على الناس، بينما لا وجود لها بدون الناس وليست هي في الحقيقة سوى ما ما ينعكسون عليه ويجعلونه يوجد من خلال انعكاسها فقط. بهذا المعنى، فإنّ تحليل التّطوّر الملموس لإيديولوجيا مّا انطلاقا من المعطيات السّياسيّة عليه أن يكون مصحوبا بدراسة تاريخيّة أحاديّة لإحدى الشّخصيّات المهمّة لتلك الفترة لإبراز الإيديولوجيا كموقف معيش، متكوّن من

موقف عبر مشروع بشريّ. سوف نربح لو رأينا عوض؛ مجرّد تخطيط تصوّريّ تجريديّ (مثل: تجزئة –رابطة الشّعوب الألمانيّة) تأليف دلالات تنتمي للطّبقات الأشد اختلافا حيث يكون المخطّط التصوري التجريديّ مجرّد المحور والبنية المركزية. في العموم، هو تصحيح تأليفيّ للتفكّك التجريديّ، شبيه شيئا مّا بما هو عند كونت في العلوم المحسوسة، إعادة تركيب تأليفيّة للواقعيّ من خلال الاستعمال المتزامن لمختلف العلوم التجريديّة – فالعلوم التجريدية ليست سوى دراسة شروط إمكانيّة ظاهرة عامّة. يمكننا أن نقول بهذا المعنى أيضا إنّه ليس هناك غرابة كبيرة ولا صعوبة أكبر في فصل هذه الدّلالات إلى طبقات متوازية. وهي ليست بهذا الشكل إلّا لأنّ المؤرّخ يدرس شروط الإمكانيّة التجريديّة لظاهرة محسوسة وبشريّة، مزيحا البشريّ من حيث المبدأ. المجاعة، هزيمة فرنسا والإتّحاديّة البرودونيّة [نسبة إلى بيير جوزيف برودون سياسي ومنظر فلسفي فرنسي عاش بين 1805و1865 كان ينادي باللاسلطة ويطلق على نفسه اتحادي] كلّ هذه الأشياء متوازية ولا يمكنها أن تلتقي أبدا إذا لم نقم بتجريدها أوّلا، كشروط إمكانية الكومونة. لكن في المشروع الكلّيّ للذّات ما الّذي يمكن أن يفعله عامل ببال فيل في 18 مارس(470)، لقد اجتمعت كلّ هذه العوامل في وحدة حركة واحدة(471).

حارسان متنقّلان كانا بصدد لعب كرة البينغ بونغ في دار الإقامة. اقترب منّي ملازم دنوبيّ الملامح كنت قد تحدّثت عنه سابقا، وقال بصوت ملاطف: «لنر هل أنت ماهر لالتقاط الكرات الّتي التقطها هؤلاء الأوغاد».

قرأت أنجليكا لليو فيريرو(472) رواية ضعيفة بحبكة بليدة: إنّه خطأ أورلاندو، إن فشل في إنجاز تحرّره. الواجب الأوّل لكلّ ثوريّ قام بالثّورة، هو الاستيلاء على

470. تدخل الجيش في 18مارس1871 لاستعادة المدافع التي استولى عليها الثوريون واضطر للتآخي مع الشعب الثائر. بعدها بقليل تشكلت أول كومونة.

471. من خلال ردود فعله على الفرد والتاريخ بدأ سارتر مشروع تصوره للجدلية والتي لم يتملكها جيدا إلافي دراسته حول فلوبير أبله العائلة (1971-1972غاليمار.

472. صدرت عن دار ريدر سنة 1934.

السّلطة. حتّى وإن كانت هذه الثّورة قد قامت من أجل إعادة الحرّيّة للشّعب. تحرير أمّة من طاغية، ثمّ حرمانه من قائد دونما تدريبه على استعمال الحرّية، رفض مسؤوليّات السّلطة فذلك يعني تسليمها مقيّدة السّيقان والأيادي لطاغية آخر. ليس هناك ثورة من دون ديكتاتور. ضاع زعماء الكومونة لأنّهم أخطؤوا في تصرّفهم كديكتاتوريين أوّلا.

الأربعاء 13 مارس

تغيّر غريب في مزاجي، بالأمس عند السّادسة مساء بدأت عيناي تطرف، فجأة انطفأت جزئيّا، وشعرت بقلق عصبيّ فارغ لما يزيد عن الرّبع ساعة، القلق ذاته الّذي اعتقدت أنّه جنون سنة 1935. مرَّ كلّ هذا وتركني هامدا بلا حراك. أفقت هذا الصباح مبتهجا، يملؤني نوع من السّعادة الغريب بعينين معصّبتين، أو هو ما يشبه السّعادة. أنا الّذي كنت إلى حدّ الأمس حسّاسا ومتمدّدا في كلّ عالمي مثل نسيج العنكبوت- أقلّ بكثير في حاضري الضّيّق، ما يكفي للشّعور بمرور الوقت، ها أنا أجمع نفسي، كسولا، مقتصدا، بل وشحيحا أيضا، لعدم قدرتي على نفخ آدابي حسب سلّم حياتي الواقعيّة؛ لم أعد أنشغل لا بباريس، ولا بمستقبلي، ولا بالتّشاركيّة الّتي أنتمي إليها. في حالة ترقّب كسول في عالم مختصر، أشعر بنوع من الإرادة الطّائشة والمقطَّبة كي لا أترك أيّ شيء يضايقني. فتور مبتهج ورغبات أبله: أملأ الكلمات المتقاطعة لمجلّة ماريان[473] بوعي. وجدت الكانار أونشيني طريفة. تفتنني كلّ الأشياء الّتي تحيط بي وتحملق فيَّ، أغوص بداخلها. مازالت عيناي مرهقتان.

أنزل عبر مسار مختصر موحل، بين جدارين عاليين، كي أوصل رسائلي إلى مركز البريد، أرى الأرض السّوداء حيث انتثرت قطع النّباتات الصّغيرة، كانت الذّكريات هناك. تذكّرت فسحة مع أولغا على السّاعة الرّابعة صباحا خلال شهر يونيو بشارع أو-دي-ريبيك؛ لم ننم في تلك اللّيلة. ثمّ تذكرت بعد ذلك فسحة رفقة الكاستور على طريق داركاشون مغطّى بأبر الصنوبر، كنّا نتمشّى محاطيْن بصمت مصدور، رائحة

473. أسبوعيّة سياسية وأدبية أسّسها إيمانويل بيرل.

البحر، والرّمل السّاخن والصّمّغ. حاولت أن أفكّر لقد حصلت على هذا، مثل روكنتان الذي رأى نهر الغانج ومعبد الأنغاكور، ولم يفده ذلك في أيّ شيء. ما كنت أريده بالأخصّ هو الشّعور بهذه الشّخصيّة العابسة والمتيبّسة- الّتي تحمل ككلّ يوم رسائل إلى البريد- يغطّيه الشّغف وشيء من اللّطف الّذي قد أحصل عليه هذا المساء في روان. لقد كانت لحظة من حياتي ذات قيمة .إنّني أتذكّر كلّ شيء: درنا في الظّلام حول المسبح الجديد وحارس اللّيل خرج هائجا يصيح ممنوع، لن تنجوا لو أطلقت رصاصة عليكما، عدنا أكثر من عشرين مرّة في المكان نفسه ورأيناهم يغتسلون في بيت الحمّام وينامون، مقهى فيكتور الّتي تلتمع بكلّ أنوراها، قبالة ملصقة إعلانات ضخمة تتأرجح، كان المقهى قد أغلق والكراسي تكدّست فوق بعضها محدثة ظلّا صينيّا على الواجهة البلّوريّة، على الأنوار الباهتة للدّاخل، حيث كانت القابضة تقوم بحساباتها والخدم ينزعون مناديلهم ويطوونها. ثمّ انطفأت تلك الأنوار وأصبحت الواجهات البلّوريّة سوداء، كامدة، تمّ نقل الكراسي من أمام المقهى لأنّها كانت على ملك الأرصفة خلال اللّيل، مثل المرافع الثّابتة للميناء. تلك الكراسي كانت أقلّ من كراس، لقد أصبحت خردة شيئا مّا. غيَّر الأوصايونيك أربع أوخمس مرّات زبائنه، العاهرات الجميلات اللّواتي يصلحن كمدرّبات في مرقص المدينة الكبير (نسيت اسمه) واللّواتي رأيناهنّ مجعّدات الشّعر مُجصَّصات، متملّقات، على وجوههن بودرة الأرز، ينزلن عند السّاعة الثّامنة من غرفهن بالأوصايونيك، كي يتناولن في البار وجبة أكل صُلبة، رأيناهنّ ثانية عند منتصف اللّيل، أو الواحدة صباحا، يتصبّبن عرقا حمراوات مشعّثات الشعر، يتعشّين مع روّاد المكان. ثمّ أغلق الأوصويانيك هو أيضا؛ من خلال فرجات السّتائر الخشبيّة رأينا خطوطا ضوئيّة أعلمتنا أنّه لا يزال مفتوحا. للمدرَّبين، لأصدقاء مالك المحلّ الذي كان غليظا، كثير الصّمت ويسمّونه الكنديّ. لكم مشينا في أزقّة ضيّقة معتمة، حيث الخطى تردّد صداها، نتحدّث بصوت خفيض، عفويا ونوشوش خفية. وقصدنا بعد ذلك نيكود بار، الحانة الوحيدة الّتي تظلّ مفتوحة كامل اللّيل في روان، حيث الجوّ شاحب وفِجٌّ بإضاءة كشافات تعمي العيون في صالة، تزاحم فيها الموسيقيّون الّذين غادروا المرقص مع قرويّين

نورمانديّين ينتظرون قطار أوّل الصباح. وهنا مرضت فجأة. واختفت للحظة ثمّ عادت. قلت لها: هل أنت مريضة؟، فقالت لي: «لقد تقيّأت، أشعر بالكثير من الانجذاب نحوك هذا المساء، ولا أقوى على مداراة ذلك»، قالت ذلك بشكل هزليّ مضحك وجذاب، جعل قلبي يرتجف. ثمّ غادرنا المكان وانطلقنا. كنّا في شارع أو-دي-روبيك. حين طلع النّهار، عدنا لشارع جان-دارك، وتوقّفنا عند أوّل الصّباح نشاهد الأحذية المعروضة في واجهات بائعي الأحذية، لأنّها كانت كثيرا ما تردّد أنّ أحذيتها بشعة. لقد كان مشهدا فريدا من نوعه، تلك الأحذية الّتي كانت البارحة مبهرة من خلال مصابيح الإنارة القويّة، وها هي الآن تظهر من خلال الضّوء الرّماديّ لأوّل الصّباح، كامدة بلا ماكياج، ميتة، ورغم ذلك فقد بدت لي جديدة جدّا مقارنة بما يُعرض في المغازة الفارغة السّوداء. صعدنا حيث المحطّة، جلسنا على كرسيّ جادة المارن ولعبنا الورق.

تلك اللّيلة ظلّت محنّطة، لم أكن سعيدا جدّا، ولم يكن عندي أيّ أمل غير أنّنا كنّا معا، وكانت هي لي كامل اللّيل، وحاصرنا اللّيل من كلّ جهة، من العبث البحث عمّا سوف يأتي به الصّباح، أعتقد بالفعل أنّ تلك الليلة كانت لحظة مميّزة جدّا، ولست أعرف بأيّ ذكرى ظلّت أولغا تحتفظ، أرجّح أنّها لم تحتفظ بشيء يذكر، لعلّها كانت تحمل أفكارا مسبقة لم أتفطّن إليها، لعلّه كره الغد غلّف لها التّخلّي عن تلك اللّيلة. ثمّ، إنّها ليست أولغا الّتي أعرفها أنا وتعرفها هي، وأنا أيضا لم أعد نفسي. هذا ما أردت أن أدوّنه هنا -ثمّ تركتني أتداعى لوصف تلك اللّيلة. حين عادت تلك الذّكرى أرسلت إليها طلب نجدة، تمنّيت أن تلومني خفية، أن تخرجني من الجنديّ ذي الجلد القذر المتّسخ. وقد استجاب لي، بمعنى مّا. ومنحني نفسه بقدر مّا يستطيع مثل أمّ ولادة [gigogne **شخصية خرافية مشهورة في المسرح الفرنسيّ ترمز لكثرة الإخصاب وصارت مستعملة أكثر في مسرح العرائس**]، فانفلتت منه الكثير من الذّكريات الصّغيرة. غير أنّه لم يفعل ما طلبته منه، ولم يحدث أثرا فيَّ. كلّ ما أردت أن أكونه في الجملة، هو الشّخص الّذي عاش في تلك اللّيلة. لم أكن أريد تمثّل تلك اللّيلة قدّامي. كما لو أنّها مجتزأ من وقت ضائع. غير أنّ شغفي في ذلك الوقت كان في داخلي مثل

فضيلة. أردت أن لا يكون ذلك الوقت الضّائع الّذي عشته بكلّ امتلاء مجرّد وقت ضائع فقط. ولأكون صريحا، أردت أن ينفعني كما يقولون كل إذن، لا يمكننا أن نسيء إليك فهذا سوف ينفعك، وأنا أعبر ذلك الدّرب الموحل كنت أشعر بالبرد القاسي وهزالي الشّديد، تماما مثل جنديّ سيضع رسائله في مركز البريد، هذا هو فقط، كنت أريد أن أعتني بكلّ غرامياتي وآلامي الماضية. لكن دون جدوى: لقد شعرت بنفسي حرّا تماما قبالة هذه الذّكريات. هذه فدية الحريّة، نحن دائما في الخارج. مثلما أنّ الدّوافع منفصلة باللّاشيء، كذلك نحن منفصلون عن الذّكريات، ليس هناك من فترة في الحياة يمكننا الالتصاق بها. مثلما تلتصق القشدة بقعر الآنية. لاشيء يثبت، نحن في انفلات دائم، نحن دائما الشّيء نفسه قبالة ما كنّا عليه: لاشيء. كنت أشعر بنفسي لا شيء قبالة تلك اللّيلة الماضية، لقد كانت بالنّسبة إليّ ليلة شخص آخر. لقد حدست هذا الضّعف الأعزل، في الغثيان، غير أنّني لخّصت ذلك بشكل سيّئ، فقلت إنّ الماضي يحوّل نفسه إلى عدم. وهذا ليس صحيحا، فهو بالعكس يواصل وجوده في الذّات. غير أنّه لا يمارس تأثيره علينا كما لو أنّه غير موجود. لم يعد للأمر أيّ أهمّيّة أن يكون للمرء هذا الماضي أو ذاك. ولكي يوجد، علينا أن نلقي بأنفسنا من خلاله نحو مستقبل مّا: علينا أن نعيده لحسابنا من أجل مستقبل أبعد. هو فعل حرّيّة يقرّر في كلّ مرّة فعاليّته، بل وحتى معناه. غير أنّ ذلك لن ينفع في شيء، أن نركض عبر العالم، مأخوذين بالأهواء الأشدّ عنفا، فسوف نظلّ دائما، حين يستوجب الأمر، ذلك الجنديّ الخاوي البائس، الّذي يحمل رسائله ليضعها في صندوق البريد. كلّ تضامننا مع الماضي مُقَرَّر في الحاضر من خلال رضانا بالذّات.

منذ خمسة أيّام، تلقّيت رسالة من كاييه دو باري[474]: لقد تمّ اختيار اسمك سيّدي مع مجموعة من الأسماء الأخرى لنيل جائزة الرّواية الشّعبيّة. سوف نعترف لك بما تنفضل به علينا من جميل إن رغبت في المشاركة، أن ترسل لنا نسخة من كتابك لأعضاء لجنة التّحكيم، مع رسالة طلب مشاركة.

474. مجلة شعبية للفن والأدب.



طبعا، أنا راض: غير أنّي بعيد، مجنّد، ولا أستطيع أن أخوض في هذا الأمر. دائما هو هذا الشعور بالكبرياء الّذي يجعلني لا أطلب أيّ شيء. سوف يسعدني كثيرا لو حصلت على هذه الجائزة بقيمة ألفي فرنك. أعدت قراءة الرّسالة وانتبهت-مصيبة- إنّني يجب أن أرسل طلب مشاركة. لقد انهارت كلّ هذه الكبرياء المعزولة وما عدت أستطيع أن أتطهّر منها. فهمت أنّ الجائزة شعبيّة، وهو ما يعني أن أكون تحت يافطة الشعبيّين. ولذلك قرّرت أن أرفض. لكنّ السّبب الحقيقيّ أنّني أردت الظّفر بالجائزة على طبق من ذهب، دون أن أتورّط في إرسال طلب مشاركة. وهو ما أصنّفه حسب وجهة نظري ضمن الزّيف واللّا أصالة. ففي نهاية المطاف، إن كنت أحتقر الجائزة، يجب أن أرفضها. وإن كنت أرغب في ذلك، عليَّ أن أحتال عليهم، والحيلة هي تغطية هذه الهجمة للكبرياء بغطاء رفض الجائزة الشّعبيّة وهو ما دفعني للكتابة للكاستور واستشارتها في الأمر. من الطّبيعيّ أن أستشير الكاستور؛ فعادة مّا أفعل ذلك في مثل هذه الحالات. لكن لمجرّد أن أطلب منها المشورة، أقلب كلّ شيء، لأنّني أعرف جيّدا ما الّذي سوف تقوله لي. أصيلة هي الكاستور دونما أن تقوم بجهد لتكون كذلك، بل سوف أقول: هي بطبعها كذلك، إن كانت الأصالة تجد مصدرها الأوّل في الطّبيعة. كنت أعرف أنّها سوف تجيبني بكلّ بساطة: ليس يهمّ عنوان الجائزة، نحن في حاجة للمال. حاول أن تتحصّل عليه حين تحين الفرصة. وأنا أكتب لها رسالة الاستشارة كنت مقتنعا إلى حدّ مّا بما يمكن أن تكون إجابتها. ها هنا دناءة أخرى منّي: كنت أعرف أنّ الكاستور سوف تنظر للأمر من زاوية مردوده الماليّ فقط، وبطلبي منها هذه الاستشارة، فإنّما أنا بدوري أنظر إليه من نفس الزّاوية، وبالتّالي فإنّني لن أختلف معها في الرّأي. من هنا إمكانية زخرفة قبول مفترض بالتّهكّم: إنّ ما أفعله هو من أجل المال، ومن الممكن القيام بتمشّ فيه شيء من الإهانة لكسب المال. كانت هذه طريقة أخرى للإفلات ولإرضاء كبريائي: فالأمر لا يتعلّق بالخضوع لتقييمات كتاب أكبر سنّا منّي ولكن لسحب ألفي فرنك من سُذَّج. كنت أغمز بعينيَّ وأنا أفكّر في هذه المسألة، وأردّد بيني وبين نفسي: الأغبياء الطّيّبون. وهو ماسهَّله لي الشعور - شعور لا يبارحني- إنّ أولئك الّذين يأخذون كتبي مأخذ الجدّ هم ناس أغبياء. وبطبيعة الحال

مأتى هذا الشّعور من قلّة الواقعيّة، واستحالة أن أكون جادّا. لكن هل أنا في الحقيقة واضح؟ ماذا تعني الجوائز بالنّسبة إليّ؟ فمن جهة؛ تتوتّر أعصابي كثيرا، حين أتخيّل كلّ ذلك الصّخب الّذي يحدثه تصفيق دون توقّف لجائزة الغونكور مثلا. ومن جهة ثانية لا أحتمل فكرة أنّني أستحقّ هذه الجائزة لمجرّد تقييمها من البعض. رأيت صورة في مجلّة ماتش يظهر فيها الشّيخ روسني[475] يهنّئ تروبا[476] المُتوَّج. كان تروبا منحنيا، محترما بابتسامة حذرة، تلك الابتسامة الّتي يرسمها الشّخص حين يريد أن يفهم كلمات شيخ جليل برغوة لعابه في فمه وهو يقول: أحسنت جدّا أيضا أيّها الشّاب، واصل. أشعر بالغثيان. تقرفني الجائزة وهي تُعطى بهذا الشّكل. بل إنّني على يقين، أنّ من يستلمها سوف يفقد مزاجه الصّافي حين يلقب باسم جائزة كذا، جائزة رينادو، جائزة غونكور. هو تتويج فتاة خجولة، وذاك الّذي يتوّج سوف يظلّ لديه الشّعور أنّه فتاة خجولة، طالما لم تمّح الذّكرى. غير أنّني لست أعرف هناك ما يشبه الوساطة، طريقة ما تجعل من الجائزة ظاهرة اجتماعيّة. بشكل مستقلّ تماما عمّن يعطي الجائزة، فهذه الجائزة مثل مهرجان سنويّ أو شمسيّ يتمّ وضعه فوق رأس منتخب وباعتبارها بهذا الشّكل، أي أنّها تكسب كلّ سنة مؤسّسة شرفيّة، فهي لا تعجبني، هكذا، يغطّي التّهكّم رغبة ساذجة في التّكريس. هكذا يغطّي التّهكّم رغبة تافهة للتّكريس. يبقى أنّ كبريائي الجميلة مازالت تنزف قليلا فقد كنت أعلم أنّني لن أحصل على تلك الجائزة. لقد لعبت رغما عنّي الدّور الهزليّ للمترشّح الدّائم بين 1938-1939. تحدّثت الصّحف عنّي بخصوص الغونكور. ثمّ أهداني بول نيزان تقريبا الرينادو بما أنّ شارنصول وديكاف[477] قالا له إنّ «المسألة محسومة». على إثر هذين الإخفاقين، تحرّكت المجلّة الفرنسيّة الحديثة لتكون جائزة الرينوسونس من نصيبي. وكان إخفاقا ثالثا. جاءت الحرب بعد ذلك ونسيت كلّ شيء بما في ذلك

---

475. روسني الأكبر (1856-1940) روائي ورئيس أكاديمية غونكور.

476. كانت جائزة غونكور سنة1938 من نصيب هنري تروبا عن روايته العنكبوت.

477. جورد شارنصول أحد أعضاء نوفيل ليتيرار ناقد فني، وبيير دي كاف صحفي وروائي والإثنان من أعضاء لجنة تحكيم جائزة بيوفراست رينودو.

الجوائز وتفاجأت بشكل هزليّ لمّا عرفت أنّ إثنين من المعترضيْن منحاني صوتيهما، دون تدخّل أيّ شخص لجائزة رينودو 1939. غير أنّ كلّ هذا ما عاد يثيرني بما أنّه يحدث بعيدا عنّي. لكن، هل سأشارك للمرّة الخامسة وأنطلق لأرى منافسا يتقدّمني بخمسة أشواط؟ لقد أصبح هذا الأمر من قبيل الشّجاعة البائسة. رغم أنّه كان هناك شيء من الثّقة الغامضة تملؤني، فهذه المرّة سوف أفوز بالفعل. وفي هذا السّياق؛ قرأت مقالة ماتش وذكرت أنّ ترويا قد نال هذه الجائزة الشّعبيّة وهو ما جعلني أتخلّص من مبرِّري الأوّل: «ليس في أدب ترويا أيّ نزوع نحو الأدب الشّعبيّ، ثمّ لجنة التّحكيم المتكوّنة من (دوهامال، جالو، رومان) وهؤلاء الثّلاثة لا يكتبون الأدب الشّعبيّ». باختصار كنت مزعزعا من الدّاخل، وقد نفعني كثيرا ذلك البورتريه الّذي حاولت رسمه عنّي في هذا الدّفتر: أتذكّر أنّني كتبت عن حيل كبريائي واتّخذت قرارا، إن شجّعتني الكاستور، أن أفعل بشجاعة وأتقدّم بالطّلب رغم المخاطر والمهالك. وصل ردّ الكاستور وكان متطابقا مع توقّعاتي- وكتبت سبع عشرة رسالة تَرشُّحٍ، إلى درجة أنّ يدي تعبت من الكتابة، وقد عملت على أن تكون صيغ جملي مبتسرة، رفيعة كي أعطي انطباعا لنفسي أنّني أقدّم أقلّ ما يمكن للحصول على ما أرغب فيه[478].

في الوقت نفسه، وبشكل متواز، وبعد أن تَمَّ إرضاء غروري لينتهي الأمر بشكل تراجيديّ، من خلال ترتيب كوميديا أخرى خفيفة. قبل أيّام قليلة من صدور كتابي المتخيّل؛ كتب لي بولهان يوم 7: يُفكّر واهل في تسميتك دكتورا رغم أنفك، بالاتّفاق مع برونشيفيغ، يتعلّق الأمر بتحويل المتخيّل إلى أطروحة، لا يمكنك فعل أيّ شيء إزاء هذا الوضع إلّا بتأخير صدور الكتاب. هكذا، أحبّ طبعا أن يعاملونني؛ أن يمنحوني شرفا رغما عنّي، كما لو أنّهم تقريبا يعتذرون منّي. أتخيَّل واهل وهو يتحدث إلى برونشيفيغ كما تحدّث فافر[479] عن روشفور[480] يوم 4سبتمبر 1870 قائلا: من

478. حصل كتاب سارتر الجدار على جائزة الرواية الشعبية في أفريل.

479. المقصود به الجمهوري جول فافر الذي كان له نصيب في اليوم الثوري 4سبتمبر1870.

480. هنري روشفور مؤسس لا لانتارن جريدة أسبوعية نقدية معارضة لنابوليون، ناصرت الحكومة المنبثقة عن ثورة 4سبتمبر1870 لبعض الأيام.

المستحسن أن نكسبه في الدّاخل على أن يكون بالخارج. كتبت رسالة تعبّر عن غبطتي بالقبول. لكن ما حَوَّل الأمر إلى مهزلة صدور كتاب المتخيّل في الأثناء. أشكّ في حقيقة نوايا بولهان الّذي انتظر صدور الكتاب ليكتب لي قبل أن أوافيه بردّ منّي، وهو يتصرّف بهذا الشّكل لأسباب ماكيفيلّيّة في سياسته. هكذا قمت بخيانة كبريائي مرّتين، أو بالأحرى ليست كبريائي بل غروري.

علمت عن طريق اللّاسلكيّ بالاستيلاء على فنلندا عند السّاعة 19و45 دقيقة، وداهمني شعور موجع.

الخميس 14مارس

غدا بعد الزوال نرحل إلى بروماث. يبدو أنّ الأهالي هناك مبتهجون لعودتنا.

كتبت بوبيت الّتي ترقن عصر العقل للكاستور قائلة: يجعلني رقن كتابات سارتر دائما كئيبة. لن أنكر أنّي أرتاح للحديث معه، كما أرتاح حين أقرأ كتاباته، وأفكّر في شيء آخر إثر ذلك. غير أنّه مريع جدّا أن أعيش داخله إلى أبعد حدّ. أرجو أنّه لا يعيش داخله هو أيضا مثلما يرسم النّاس في كتبه، إذ لن تكون حياته محتملة أبدا.

دفعني هذا للتّفكير؛ لماذا أنتوان روكنتان وماتيو، كئيبان جدّا بينما الحياة يا إلاهي لا تمثّل لي كلّ هذا السّوء؟ لأنهم الأنيسيانات [الأنيسيان الشّكل المصغّر من المخلوق البشريّ، اشتهر في نظريّة التّكوين المسبق والتّراث المبكر والتّقاليد الخيميائيّة] هكذا أتصوّر. والدّليل على ذلك أنّني أنا، الّذي انتزعوا منه المبدأ الحيويّ. الفارق الجوهريّ بيني وبين أنتوان روكنتان، هو أنّني من كتب قصّة أنتوان روكنتان. يحدث هنا شيء من التّماثل لتفتّت هذه الوظائف الدّاخليّة، يفسّر به مورغ[481] الهلوسات. هناك مُكوِّن للحزن المريع في كل أفكارنا، في كلّ مشاعرنا. لكن يصبح هذا الحزن غير مؤذ حين يكون الدّمج التّراتبيّ صلبا، والتّنظيم الدّاخليّ مضمونا بمبادئ تأليفيّه. يذوب

481. كتب راوول مورغ بالخصوص كتاب علم أعصاب الهلوسات (لامرتين 1932 بروكسيل) ذكره سارتر في المتخيل.

هذا الحزن في المجموع، مثل الظّلّ وهو يتعلّق بالنّور. غير أنّ هذه البنى الثّانويّة الّتي كانت تخدم الكلّ تبدأ في الوجود لوحدها ما إن نستخرج من المزيج مبدأ رئيسيّا. يطرح الحزن الهزليّ نفسه للذّات. هذا ما فعلته: نزعت عن شخصيّاتي شغفي الهوسيّ بالكتابة، غروري، إيماني، قدري، تفاؤلي الميتافيزيقيّ وبهذا الفعل أحدثت بداخلهم كآبة متكاثرة. هم؛ أنا مقطوع الرّأس. وبما أنّه لا يمكن المسّ من الكلّ التّأليفيّ دون إحداث تصدّع بداخله، فإنّ أبطالي غير قابلين للحياة. أرجو أن لا يكونوا مثل المخلوقات الرّوائيّة والمتخيّلة، فهم لا يستطيعون الوجود إلّا في البئية المصطنعة الّتي ابتكرتها حولهم ومنها يتغذّون: إضافة لحزن التّفتّت الّذي جئت على ذكره منذ حين، فلديهم حزن آخر أعمق، حزن مليء بمؤاخذة ومرارة الأنيسيان في قارورته؛ هم يعلمون أنّهم غير قابلين للحياة، تدعمهم تغذية اصطناعيّة بقدر ما يكوّنهم القارئ حسب وقته، وهو يشعر بنفسه وقد تمّ إيلاجه من طرف الحزن الميتافيزيقيّ لحيوانات ما قبل التّاريخ منذورة لغياب قادم، بسبب نقص في تكوينهم. عكس فابريس في دير بارما حتّى في أتعس حالات يأسه هو بالنّسبة إلى قارئه منبعا لا يتوقف للسّعادة لأنّه مستقلّ (بالألمانية في الأصل- *selbstandig*) قائم على قدميه، وهو قابل للحياة، ليس هناك أيّ تفتّت في داخله. أقول هذا، دونما غيرة أو تواضع: إن كان ستاندال متفوقا عليّ فذلك لدوافع أخرى. بالفعل، ليس لنا الهدف نفسه. رواياتي تجارب وهي غير ممكنة إلّا من خلال التّفتّت. يبدو لي أنّ مجموع كتبي سيكون متفائلا لأنّه بهذا المجموع سوف يُعاد تكوّن الكلّ. لكنّ كلّ واحد من شخصياتي هو مشوّه. إحقاقا للحقّ، سوف يصبح ماتيو كُلاًّ في مجلّدي الأخير، غير أنّه سرعان مّا سيموت بعد ذلك. أعتقد أنّ ذلك هو السّبب الّذي من أجله أستطيع كتابة كتب كئيبة، دون أن أكون أنا نفسي حزينا ولا دجّالا ولا معتقدا فيما أكتبه.

لقد حافظت كلمة تكاثر الّتي توجد بكثرة في كتاباتي وقد استعملتها في الصّفحة السّابقة، على جاذبيّتها الّتي لازمتني خلال طفولتي. ليست من الكلمات الّتي تعلمتها، بل التقيت بها صدفة. وأنا أفتح ذات يوم جميل كتابا حول تاريخ فرنسا به

رسومات لبوتي دي مونفيل[482] (كان عمري ستّ سنوات)، رأيت رسما كبيرا بالألوان يمثّل أطفالا شقرا محاطين بخنازير ورديّة ونظيفة. كان خليطا شهيّا: الخنازير تدوس على أقدام الصّبية، والصّبية يجذبون ذيولها، كلّ هذا في منظر بهيج وما قبل تاريخيّ، كانت الأشجار الجميلة والخضرة ترسم البهجة والصّخور الكبيرة الرّماديّة الّتي تحفر كهوفا ترسم ما قبل التّاريخ. قرأت في المفتاح أسفل الرّسم: إنّها تتكاثر الخنازير الصّغيرة. لم أكن أعرف الكلمة وكان هذا كاف لأراها بعينين منذهلتين، في تفرّدها الصّافي [يتحدّث سارتر هنا عن إعجابه بكلمة- *pullu* في تجانسها وتماثل جرسها الموسيقيّ مع كلمة أخرى *bull* تعني فقاعة] كان للخنازير الصّغيرة الخفّة، والنّظافة الهوائيّة للفقّاعات. فالكلمة في آخر الأمر، قبل أن تُفهم كسبت دلالة مؤثّرة، حافظت عليها إلى الأبد: الكثرة المتعدّدة الألوان والنّقيّة لهذه الكرات الّتي يعرضها بائع متجوّل مشدودة إلى عصا طويلة في حديقة اللّوكسمبورغ. نريد أن نكتب بهذه الكلمات فقط، غير أنّنا لسنا متأكّدين أنّها سوف تحدث عند القارئ الانطباع نفسه، ثمّ لا بدّ من دعامات، نسيج ضامّ للكلمات ذو قيمة دلالية محض. أقنعتني هذه التّجربة ولقاءات أخرى مماثلة بنظافة الخنازير الشّديدة عكس ما هو سائد في العادة. وهذا الاقتناع ليس غريبا عنّي بما أنّي أحبّ أكل لحم الخنزير، عوض لحم العجل الشّاحب والحزين، والمقزّز أحيانا.

السّخط الّذي يثيره الجبن السّويديّ[483] في الصّحافة الفرنسيّة هو نفس السّخط الذي أثير منذ ثلاث سنوات بسبب موقفنا من إسبانيا.

رسالة دالّة جدّا من غيوم الثّاني إبّان سفره الأخير (1912) إلى أنقلترا: إنّني مقيم بقصر ويندسور في غرف والديَّ أين كنت عادة ما ألاعب وأنا صبي... ذكريات متعدّدة تخترق قلبي... توقظ من جديد شعوري القديم الّذي يشدّني بشكل لصيق إلى

482. أخطأ سارتر إذ إن جوب هو صاحب رسومات الكتاب الذي تذكره وعنوانه فرنسا تاريخها لجورج مونتورغاي (بوافين 1889) قراءات سارتر. أما بوتيه دي مونفيل فهو رسام ومصوِّر لكتب أطفال (1815-1913).

483. ظلت السويد محايدة خلال الحرب العالمية الثانية.

هذا المكان، ويجعلني شخصيّا شاقّا، من وجهة النّظر السياسيّة، فخور بأن أسمّي هذا المكان وطني الثّاني، أن أكون فردا من هذه العائلة الملكيّة... عثرت في ذكرياتي على المكان الّذي كنت عانيت فيه من عسر هضم هائل بعد أن أكلت الكثير من البودنغ [حلوى من دقيق ولبن وبيض وفاكهة.

استلمت عدد مارس من المجلّة الفرنسيّة الحديثة وأعدت قراءة مقالتي حول جيرودو[484]. كان لا بدّ أن أصرّ على عقلانيّة التّهذيب عالم جيرودو هو عالم الأشياء المُصنَّعة. لأنّ لها أربع سيقان، نقول عن طاولة إنّها طاولة. للإقتراب من انتصار الرّأسمالية وظهور المقالة متسلسلة، تصدر مُحَقّقة، دون أن يكون عمل الإنسان منُفَّذ عليها.

استلمت أيضا ال 180 صفحة من روايتي الّتي رقنتها بوبيت. خيبة أمل: غنائيّة مبالغ فيها، تسلسل الفصول غير واضح. تردّدات حول سلوك ماتيو وانجذاباته. لا نشعر بالكثير من الماضي خلف حاضر كلّ شخصيّة. ستكون منذورة، لإعادة الكتابة مجدّدا.[485]

هبّت رياح قويّة هذا المساء؛ قطعت الأسلاك الكهربائيّة فغطست المدينة في الظّلام. أكتب هذا على ضوء شمعة، إنارة غير مألوفة لكن جذّابة.

الجمعة 15 مارس

الانطلاق إلى برومات عليى السّاعة الثّانية والنّصف بعد الزّوال – الوصول على السّاعة الخامسة مساء. وجدنا المدرسة لكنّ مكاتبنا تحوّلت إلى الطّابق الأوّل.

---

484. عنوان المقالة "جان جيرودو وفلسفة أرسطو بخصوص خيار المنتخَبين" نُشر في عدد مارس بالمجلة صدرت رواية جان جيرودو خيار المنتخبين سنة 1939 عن دار غراسييه.

485. في استهلال سوف يشرع في كتابته سارتر منذ الغد سوف يضفي الكثير من السمك على شخصياته من خلال التوسع في ماضيها "سوف يكون 10 جوان 1928 (بذلك يكون عمر الحكاية 10 سنوات) (...) هكذا سوف يشعر القاريء بشيخوخة وعمر العقل بعد ذلك. .." رسالة للكاستور بتاريخ 15 والرسائل التي بعدها.

لبياتر[486] وبول[487] غرف في المدينة أمّا أنا فأنام بالمكتب.

السّبت 16 مارس

هذا الصّباح عدت لحانة لاروز. في شهر نوفمبر كان بها خادمة شقراء جذّابة وغبيّة، كثيرة النّوم تسمّى جانيت. كنت أحبّ النّظر إليها دائما. هاهي الآن مشعثة الشعر، تبالغ في زينتها وتضع فستانا رفيع الخياطة وتقول"بقٌّ ! "(الفرقة التي كانت قبلنا هنا من الجنوب). أمّا أليس الفتاة السّمراء البدينة الّتي وهبت جسدها لمن هبَّ ودبَّ، فتدخل الحانة عند السّاعة الثّامنة وعشرين دقيقة بشكل صاخب وهي تضع معطف فرو أسود يفوح منه العطر بشكل قويّ. لقد تزوّجت أحد الجنود. نودين الّذي ضاجعها إحدى المرّات يزعق قائلا: هناك ما هو جيّد للخونة.

أثارت العودة لهذا الحضن والاغتراب انطباعا سيّئا شيئا مّا. لقد تمّ استقبال الجنود بالأحضان، وعثر كلّ على صاحبته، أو على أصحاب الإقامة الّتي كان يقيم بها، لتطفر دموعه من عينيه تنزل بغزارة للّقاء مجدّدا، كلّ هذا اللّعب كان يتمّ دوني، فلا أحد يعرفني، ولم أعثر على أيّ أحد. باستثناء العجوز البدينة صاحبة حانة لاروز الّتي صافحتني بحرارة.

أفضل ما عثرت عليه هو صرير الباب خلال اللّيل في المدرسة المظلمة الجهوريّة. لقد كان لكلّ شيء هنا معنى عجيب ومعروف، مثل وعد من الذّاكرة، يختصّ به المكان ويميّزه. يقولون إنّنا لن نبقى هنا أكثر من ثمانية أيّام وهو ما يحيّرني قليلا فيما يخصّ رخصتي. لأوّل مرّة منذ زمن بعيد أشعر هذا الصباح بالوقت يمرّ ببطء شديد.

---

486. رغم الانتقادات اللاذعة أحيانا التي كتبها سارتر حول سلوك بياتر فقد ظلا قريبين من بعضهما خلال هذه المغامرة التجنيدية؛ سوف يلتقيان معا في معتقل الأسرى في جوان 1940 ويحافظان على نفس علاقة الصداقة بينهما حتى بعد انتهاء الحرب. أوحى بياتر بشخصية شاربو وروكلاو في روايته الموت في الروح (صدرت عن غاليمار سنة 1949).

487. بعض شخصيات الموت في الروح مدينة كثيرا "للرفاق" فلقد أوحى بول لسارتر شخصية العريف بيارني.

كتب ألبير أوليفييه في الكومونة ص221:

ليست اللّيبراليّة الوسيلة الأفضل لضمان الحرّيّة، على الكومونة أن تأخذها على عاتقها... ليس التّساهل في العادة سوى انتهازيّة لا تريد أن تقول اسمها.

شدّت انتباهي ملاحظة ممتازة جدّا في الأوفر:

من أسوأ الشّعارات التي شهدت ولادة الحرب. الوقت يعمل لصالحنا، هذه إحدى العبارات الشّهيرة المثيرة للغيظ.

«يقولونها بمزاج رائق، وهم يغمزون أعينهم. وسوف يضيفون ''الوقت يعمل، دعوه يفعل ذلك، ولنحترس كي لا نزعجه»!

كيف لا نضع في حسابنا، أنّ أفضل وسيلة لإثارة التراخي، نقص التخيّل، نقص المبادرة؟

هل يخدم الوقت لصالحنا حين تخرج السويد والنرويج من معسكر الدّيمقراطيّين لتنضم إلى معسكر هتلر؟

هل يخدم الوقت لصالحنا حين يتحمّل الشّعب الفنلنديّ البطل الأمر المفروض الرّوسي-الألمانيّ[488]

وهذه الملاحظة لديات: منذ الآن النيكل والحديد على ملك ألمانيا، أصبحت البلدان السكاندينافية زبائن ستالين وهتلر خاصّة. وسوف تأوي المضائق البحرية السكندينافية الغوّاصات الألمانيّة، في انتظار تركيز القواعد الجوّيّة على هذه الأراضي المروّضة. لقد خسرنا البلدان الاسكندينافية. وإن أصررنا على هذا الموقف سوف ينتهي بنا الأمر أن نخسر دول البلقان، علينا القيام بشيء من إثنين لا ثالث لهما: إمّا أن نناور بالأجنحة، بالأسلوب العسكريّ، بما أنّ الضّربة العنيفة مرفوضة الآن. ونستعمل الأجنحة طالما ثمة وقت. أو لنقبل بأنّه ليس هناك أجنحة[489] وتصبح كلّ

488. من مقالة غير موقعة بعنوان "الشعار الفاسد" في الأوفر بتاريخ 16 مارس.للتذكير لقد انهزمت فنلندا أمام الاتحاد السوفياتي.

489. النص الصحيح هو" طالما مازال هناك. أو نقبل إنه لم يعد هناك. "..

عمليّة ممنوعة. وفي هذه الحالة، سنخوض حربا أخرى. ليست أقلّ صعوبة، ليست أقلّ خطورة ليست أقلّ شموليّة. لكن تتطلّب ديبلوماسيّة أخرى، تنظيما اقتصاديا آخر، عقليّة أخرى، دعاية مغايرة، وأساليب أخرى في الحكم.

كتب **شوميكس** في (باري صوار): إنّها هزيمة مؤكدة لفرنسا وأنجلترا [490]

تمّ استقبال هزيمتنا الأولى بنوع من الإهمال. قالوا: «والآن سوف تدوم الحرب لأكثر من عشر سنوات».

الأحد 17 مارس

بصدد قراءة الحياة الأدبيّة، بقلم أناتول فرانس المجلّد الرّابع[491] وقد لاحظت باستغراب أنّه يكتب مثلما يتكلّم برشو في سدوم وعامّورية، من المؤكّد أنّه صلح كنموذج لبروست؛ الهاجس نفسه في خلط التّفصيلة المحسوسة التي تجعل منه عارفا بالحياة المعاصرة، بالتّبحّر الأدبيّ، للفوز على الجانبين، نفس التّأثّر بالأسريّة مع الرّجال المرموقين. والطّريقة نفسها في تسمية شكسبير بـ ويل العظيم، نفس البشاعة الرّهيبة والعميقة في اصطناعيّة الأسلوب. إنّه لأمر مريع حقّا. علاقات بريشو مع مدام فرديرين في جزء منها، مستوحاة من علاقات فرانس مع مدام دي كايفات.

الإثنين 18 مارس.

لابدّ لكورسي من أن يحدث ضجيجا ليطمئنّ أنّه موجود. يمشي وهو يضرب برجليه على الأرض، ينفخ في ضجيج وهو ينفث كلّ نفس من البيبه، يصيح وسط الصّمت: ما الّذي تريدون أن تفعله الخادمة؟ أو إذن يا صاحبي؟ أو أيضا أوه يقولها باليابانيّة، كلّ حركة من حركاته، إضافة؛ مهمّتها المتفرّدة، الهدف منها أن يتأكد أنّه موجود. أو يكرّر بشكل دائم أنا أشرب إذن أنا موجود، أنا أدخّن إذن أنا موجود،

---

490. يتعلق الأمر بهزيمة فنلندا. أندريه شوميكس صحفي وكاتب، مدير مجلة لي دو موند.

491. الحياة الأدبية كتابا لمتابعات كُتِبت لفائدة لوطون في أربعة مجلدات كالمان –ليفي (1888-1892)

إلخ. ها هو الآن يمشي طولا وعرضا، يقضم فولا سودانيّا، يفكّر أنّه يقضم فولا سودانيّا. كنت منهمكا في الكتابة، وهانتزيغر يطبطب على الطّاولة، غرينير يقرأ. لا أحد يهتمّ به. قال بصوت متفجّر، الرّأس فارغة تماما: ليست مزحة، لكن هناك رغبة في الظّهور بشكل هتليريّ ثمّ يفكّر بشكل غامض فيما قاله منذ قليل. لأنّه يُحدث حركات وهو يتحدّث، ثمّ يتصرّف وفق هذه الحركات: فعلا، حين نرى كيف يحدثششش هذه «اليحدث» تهكّميّة. هدفه أن يملأ فمه بصوت الحرف الّذي ينطقه، وهو ما يسمح للّسان والحنك للتّثبت من وجودهما. -وفي الوقت نفسه؛ رفع كلّ جدّيّة عمّا يقوله، لأنّه سوف يرتجف من الخوف إن تمّ اعتباره ذهنا مدمّرا أو مجرّد شخص يمكنه أن يفكّر بنفسه. يلتزم في تهذيب وغباء أن يقول كلمة طائرة أو متفائلة لكلّ واحد. مثال ذلك ما قاله لي هذا الصّباح فجأة دون أن ينتظر منّي إجابة: إذن أيّها المقدّس الجليل. تنتظر الرّخصة في القريب العاجل، ومن حين إلى آخر يمارس عنف اللّفظ وحده: تبّا! كم يعذبوننا هنا يا صاحبي! لكن بتخاذل مدروس بعناية، وبشكل من التّفكّه. كما لو أنّه ينسى هذا التّفجّر الّذي لا يهمُّ سوى فمه.

خلاصة هذه الحكاية الّتي سمّيتها كآبة الرّخص: كتبت أمّي الّتي تعرف عدل المحكمة العسكريّة: الجنديّ الّذي خنق تلك الفتاة الصّغيرة، حُكم عليه بالإعدام، وكان يعوي مثل حيوان، وهو يتابع الاستعدادات من ثقب في الجدار.

استلمت رسالة من بونافيه[492]: من أين لك أن تعرف أنّ كتاباتك (وشخصك) ينقصهما هذا الودّ الفيّاض، الّذي هو كالاحتضان في العرق والدّم، مازالت القفّازات تغطّي القبضات، حين تلاكموا؟ هذا ما تملكه أنت الأكثر ولا يعرف عنه السّيّد أندريه روسو شيئا

هو متأكد أنّه يراني كذلك -وأنا معه على هذا الرّأي لأنّني أشعر نحوه بالصّداقة الحقّ. هل أنا مخطئ؟ هل بالغت وأنا هذا المحاط برجال من نوع كورسي الّذي لا أستطيع أن أكنّ له أيّ ودّ هو متأكّد أنّ هذا البورتريه الّذي رسمه لي صدفة أصبح

492. انظر التدوينة 1 ص120.

بشكل آليّ لفائدتي. لم أعد أكتب كثيرا في هذا الدّفتر لأنّني منشغل جدّا بكتابة استهلال عصر العقل. منشغل، نشيط، سعيد. ما أدراني إن لم تكن كلّ هذه التّدوينات متشابهة لتلك اللّحظات الّتي كان فيها توتّري معتدلا، وإن لم أقم برسم لي وأنا في مثل هذا التّوتّر. عموما؛ هذا هو عيب اليوميّات. مبتهج لعودتي إلى بروماث. فبوكسيويلر تشعرني بالاكتئاب.

أحد الضّباط الإنقليز قال لصاحبة محلّ إقامته الألزاسيّة: «لقد انتهت الحرب يا سيّدتي. لكن لا يجب أن يعرف النّاس ذلك».

الأربعاء 20 مارس

أعدت قراءة يوميّات جول رونار[493]. شخص غريب وكاتب غريب. يعاني من تناقض مزدوج. التّناقض الأوّل ذاتيّ، ذلك أنّه موجود ليسكت؛ خلفه أجيال من الصّمت. أمّه تتحدّث بلهجة قرويّة، أكثر امتلاء وأشدّ قصرا من الآخرين. أمّا أبوه فأحد أصوله ريفيّة حيث كان جدّي لأبي الّذي لم يوجّه ثلاث كلمات إلى جدّتي على مدى أربعين سنة وكانت تناديه: موظّفي. قضى كامل طفولته بين القرويّين الّذين يصف صمتهم وجمودهم بشكل جيّد. وبشكل أو بآخر هم كلّهم يعلنون أن لا فائدة من الكلمات.

ما أن يعود القرويّ إلى منزله، يتوقّف عن أيّ حركة ويتكاسل. يحب الظّلمات ليس فقط اقتصادا في الإنارة ولكن رغبة منه. عيناه أحرقتهما الشّمس وتريدان أن يستريحا[494].

أو أيضا وصف للأب بولو عند قدوم خادمة جديدة

في اليوم الأوّل سألته قائلة

493. تمثل الصفحات من 20إلى 23 مارس بداية دراسة حول جول رونار بعنوان"الإنسان المُقيد" مواقف 1.

494. يوميات جول رونار 16جانفي 1889

ما الّذي سوف أعدّه لك للأكل

- حساء البطاطا

في اليوم الثّاني سألته مجدّدا.

ما الّذي سأطبخه لك

- لقد سبق وقلت لك ذلك : حساء بطاطا[495].

في اليوم الثّالث أعادت السّؤال نفسه، وقدّم الإجابة نفسها. هكذا فهمت كلّ شيء وأصبحت من وقتها تعدّ له يوميّا حساء البطاطا[496].

لقد كانت هذه السّكوتات الفائضة والشّحيحة مشهد طفولته. لقد كان شعيرة الجزر [وهذا عنوان سيرته الذاتية] صامتا وإن كان رونار مهابا وغير محبوب كثيرا في الأوساط الأدبيّة، ذلك لأنّه ذهب ليستعرض أمام هؤلاء المثرثرين في ديارهم حقوق الصّمت. لقد خُلق ليكون أصيل قرية؛ كان بداخله نوع من الشّراسة الأصيلة وشيء مّا معقود ومعزول ينتمي للأب بولو. غير أنّ هذا الأصيل كان يحبّ الكتابة، وجاء يؤدّي دور الأصيل بباريس، لتأكيد عزلته في الرّفقات الّتي يبحث عنها، لقد جاء صامتا عن طريق الكتابة. من هنا ذلك البحث عن حلّ لهذا التّناقض، البحث عن صيغة أدبيّة معادلة للصّمت ألا وهي: الاقتضابيّة. الجملة الأقصر والأكثف، تلك الّتي تتضمّن أقلّ عددا وتـكون أشدّ ثراء، وهي في الوقت نفسه الجملة الّتي تتجنّب متوالية أخرى من الجمل مثل جملة الأب بولو حساء البطاطا، الّتي تقوم على نوع من التّقشّف. من هنا وهم رونار الكبير حول الأسلوب: الأسلوب، بالنّسبة إليه، فنّ القصر. موضوع دراسته هو مجموع الوسائل الّتي تمسك بأكثر عدد ممكن من الأفكار في جملة واحدة: أي كيف يمكن ترتيب الأفكار في جملة واحدة. معضلة السّلّة: كيف يمكن وضع أكثر عدد ممكن من الآجرات في سلّة واحدة. من هنا يأتـي اعترافه: ما

---

495. حساء البطاطا لقد سبق أن قلت لك ذلك " وردت بهذه الصيغة في النص الأصلي.

496. 25جانفي 1893.

يعنيه في الرّوايات هي طرائف الأسلوب[497]. ونعرف جيّدا أنّه من الغباء البحث عن طرائف الأسلوب في الرّوايات، ففي الرّوايات يكون الاهتمام أقلّ بالأسلوب، بما أنّ الأسلوب يمَّحي في الرواية الجيّدة خلف الحكاية، كما أنّ الاهتمام بالأسلوب قد يتلف الرّواية ويجعلها غير مفهومة. غير أنّ رونار لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك؛ يزعم أنّه يشعر بالقرف من الشّعر لأنّ بيتا واحدا، هو أيضا طويل جدّا[498]. هذا بالنّسبة إلى النّحو، بالنّسبة إلى تركيب الجملة الدّاخليّ. أمّا بالنّسبة إلى العناصر، للكلمات يجب أن تكون مشحونة بالمعنى، ممتلئة جدّا، دون أيّ فراغ. أي لا يجب التّوقّف عند دلالة مخصّصة للفكرة، بل إثراؤها بما هو أبعد بالهارمونيّة. يطلب النّجدة من الهارب: الدّور الجميل الّذي يمكن أن يقوم به الهارب في تلك اللّحظة!، من كلمة واحدة في مكانها يعلم القدرة ويلقي ببقيّة الكلمات الرّكيكة مثل حيوانات هلاميةّ في سلّة المهملات[499]. أكثر ما يمكن من معنى ممكن في الكلمات، أكثر ما يمكن من معنى ممكن في الجملة، في المفاصل. سوف يُحدث كلّ هذا إشباعا زائدا دالّا. يتبلَّر كلّ شيء. كلّ جملة هي صمت مغلق على نفسه ومشبع بشكل زائد. والأطرف من ذلك أنّ رونار المتحمّس جدّا لقول أشياء كثيرة بأقلّ عدد ممكن من الكلمات، لم يكن له ما يقوله. لم يكن ذكيّا جدّا ولم يكن عميقا أيضا. وهو يبحث عن الاقتصاد في الكلمات ليس من منطلق وفرة الأفكار. بل بالعكس، يبحث عن الاقتصاد من أجل الاقتصاد، مدفوعا بالرّغبة في الصّمت، هو يبحث عن الجملة ليسكت؛ ومن أجل الجملة يبحث عن الفكرة.

كم هي عبثية الفكرة! بدون الجملة، سوف أذهب لأنام[500].

لأنّ لديه رأيا ساذجا وهو أنّ الفكرة مُحدّدة بالجملة الّتي تعبّر عنها. تبدو له الجملة بين النّقطتين اللّتين تحدّدانها، الجسد الطّبيعيّ للفكرة. لا يتناهى إلى ذهنه أنّ فكرة مّا

497. "طرائف الجملة" هكذا وردت في النص الأصلي.

498. 13اكتوبر1892

499. 9أوت 1893.

500. 1ديسمبر1891

قد تستدعي فصلا كاملا، مجلّدا كاملا للتّعبير عنها، كما يمكن أن تكون غير قابلة للتّعبير بالمعنى الّذي يتحدّث عنه برونشيفيغ عن الفكرة الناقدة، وتستعرض طريقة في تصوّر المسائل. الفكرة بالنّسبة إليه هي صيغة مؤكّدة تكثّف جملة من التجارب. فكرة: كثافة تجارب-جملة: كثافة الأفكار.

مثل: من دواعي غبطتي أن أكون طيّبا [(501)]

ذلك هو السبب الأوّل لتنقيطية رونار، تأسره اقتضابيّته في الجملة. الجملة هي وحدة القياس لأسلوبه. من جملة إلى أخرى ليس هناك من حركة عنده ولا ممرّ. لاشيء: الفراغ. فهو بطبيعته منذور للمتقطّع. وذلك واحد من الأسباب -وليس السّبب الرّئيسيّ- لبحثه الدؤوب عن الصّورة. من خلال الصّورة نعبّر عن الفكرة وما بعدها الهارمونيّ؛ نربح الوقت ونربح كلمات أيضا. مثل: هذا الرّجل العبقريّ هو نسر ساذج مثل إوزّة[502]، نرى جيّد ماذا تعني العلاقة بين النّسر والإوزّة، كلّ ما يجنّبنا التّقريب. الصّورة بالنّسبة إلى رونار طريق مختصرة للفكرة ومن هنا هذا الأسلوب الحكيم. فهذي الخطاطة الّتي يتحدّث عنها آرين[(503)]، تتعلّق بالحديث الشّفويّ الأسطوريّ، والأمثال الشّعبيّة للقرويّين. كلّ جملة من هذه الجمل هي خرافة لوحدها.

صامت في الصّالة، معقود الحاجبين، مزاجه متعكّر، وكلّ ما فيه يصيح أنا ساكت، انظروا لي كم أنا ساكت، وفي هذا الصّمت المرغوب فيه، المدروس، يغطّي الفنّان صمتا لا إراديّا، أعزل من ذلك الإنسان الّذي لا شيء عنده ليقوله.

ويأتي التّناقض الثّاني الّذي يفسّر شخصيّة رونار من وسطه الأدبيّ. نصل هنا إلى التفكّك الكامل للواقعيّة. لقد تحوّلت طبيعيّة فلوبير وزولا إلى واقعيّة موباسان، ومن موباسان تناسل رونار. لقد رغبوا في التّخلّص من الرّومنطقيّة المخفيّة تحت يافطة

501.25فيفري 1892.

502. 8فيفري 1890.

503. بول آرين (1843-1896) كاتب ريفي فحسب رأيه لا يمتلك إرنست رينان "خطاطة الفنان" (أقوال اقتبسها رونار في يوميات 17اكتوبر1892

الطّبيعيّة، لا سيّما أنّ الجداريّات الكبرى للقدامى جاءت على كلّ المواضيع. لقد تمّت معالجة كلّ المواضيع بشكل حاسم من قبل إيميل زولا، وليس للوافدين الجدد طريقة تسمح لهم بتجديدها. لقد انتقد رونار زولا، وسخر من هوس التّوثيق، ورغم ذلك يعترف أنّه يبحث عن الحقيقة مثل الطّبيعيّين. الشّيء نفسه بالنّسبة إلى أوصاف فلوبير وبارناس الّتي تقوم بإحصاء ممتدّ لما هو واقعيّ، (لوّحوا ببسمات عريضة)، على سبيل المثال، وصف المركب البخاريّ مفتتح رواية التّربية العاطفيّة) يعبّرون عن الحاجة للدّخول أكثر في الشّيء، للإمساك به عن قرب، الشّجرة، كأس الطّاولة، لولوج عجينة الواقعيّ، غير أنّهم مشدودون بالواقعيّة ذاتها، فلتحقيق هذه الوحدة مع الواقعيّ، يجب التّوقّف عن أن يكون الكاتب واقعيّا. بإمكان بروست أن يفعل ذلك لأنّه ليس واقعيّا، وآخرون يمكنهم ذلك لأنّهم يبحثون عن الجوهر. نشعر بهذا البحث عند رونار غير أنّه يكبح نفسه لأنّه لا يستطيع إدراك شيء آخر عدا واقعيّة المظاهر. من هنا المعنى العميق لتشبيهاته: هي مجعولة للإمساك بالواقعيّ على مستوى تدفّقه على مستوى جوهره. غير أنّ هذه المقارنات سرعان مّا تنقسم نحو التّقريب البسيط لأنّها مسحوبة نحو الخلف، أو من جهة جانبيّة بالميتافيزيقيا التّاينية [نسبة إلى هيبوليت تين ناقد أدبيّ وفيلسوف فرنسيّ، ويرى أدورنو أنّ تين هو من أدمج المحيط لدراسة الحالة النّفسيّة للكاتب أو الفنّان]. هناك في الأصل هذا الجهد الكبير لنحت الأداة الّتي ستنغرس بعمق في المادّة. كما يتّضح ذلك من خلال هذه التّدوينات البسيطة: الرّائحة القويّة لحزم الحطب اليابسة، نبض الماء تحت الجليد(504). أتعاطف كثيرا مع جهوده الخرقاء من أجل أن يُدمِي الأشياء. رونار هو بروست ملجما، بروست ناقصا، لأنّه ظلّ على مستوى الملاحظة. أدرك تجربة الملاحظة وفي الوقت نفسه التّوثيق. تلك كانت حكمة ذلك الزّمن، نسخة أدبيّة من التّجريبيّة. تخلّص من التّوثيق لكنّه ظلّ يلاحظ. البائس كان يلاحظ ما استطاع إلى ذلك سبيلا. في 17 يناير يتحدّث عن نبض الماء تحت الجليد، وفي 13 ماي يتحدّث عن الالتهاب الفطريّ في الفم. لا يتجرَّأ للحديث عن الجليد في يوم صيف قائظ مثلما يفعل بروست، لن يُقدم

504.16 ماي و17 جانفي

على إعادة البناء مجدّدا. هكذا يتوقّف عند مسِّ الأشياء. لكن، ليمسَّ الأشياء عليه أن يكون أكثر قربا منها، غير أنّه يستعمل الصّورة ليلتحم بمنحنياتها وحركاتها. تلك كما عند رونار هي تقريبيّة تركيبيّة: تنزلق عنكبوت على خيط لامرئيّ كما لو أنّها تسبح في الهواء[505]، لفعل السّباحة هنا وظيفة تجعل من المقاومة فعلا غير عاديّ بما أنّ الهواء يعترض بها على العنكبوت، وهو ما لا يعترض به إطلاقا على الذّبابة مثلا، وإننا لا نستطيع -ورونار أيضا لا يستطيع- أن ندركه إلّا من خلال تحويل للعناصر. لكن، ومن أجل إيصال الأشياء نحو الأبعد الممكن يجب أن ندرك كما هو الشّأن عند بروست أن ليس هناك تحوّل، وأنّ مفاهيم الهواء والماء تمَّ تعلّمها وهي ليست مجرّد عناوين مألوفة، وأنّ الشّيء هو فيما وراء كلّ المفاهيم، الّتي يمكن أن نستعملها بشكل مخالف، بشرط أن تعيد لنا الشّعور الأوّليّ. واقعيّة رونار، هي واقعيّة العلم وحسن النّيّة، وكذلك تشبيهاته هي علاقات من عبارتين، واحدة مُسيّجة، محدّدة مفسّرة علميّا، مطروحة بشكل صلب (عنكبوت ينزلق على خيط لا مرئيّ: يشرحون لنا سبب الشّعور الّذي سينتج عن ذلك، بل يقترحون علينا الخيط الّذي لا نراه) - والعبارة الثّانية هوائيّة أو بالأحرى هي في الهواء، لا قاعدة لها، فانتاستيكية ومترصّدة بالسّحريّ. ها هنا مكمن العِوج الّذي يهدّد كل صور رونار. في (11جويلية1892) كتب: تعويض القوانين القائمة بقوانين غير موجودة، وبهذا الشّكل صنع رونار الصّور: من جهة القانون القائم، الشّيء. ومن جهة أخرى القانون غير الموجود: التّشبيه. وفي نهاية المطاف، تلتزم الصورة بابتكار عالم تخييليّ حيث تسبح العناكب في الهواء، حيث يغمى عليها، أي أن تغرق في الهواء الحرّ، حيث النّور مبلّل في الماء[506] إلخ. إنّه ذوق المسخرة و الطّرافة عند رونار. إنّه يرى أنّ ما يكتبه هو شعر، غير أنّه لا يدرك أنّه يُضَيِّع نفسه. يحدث له أن يجد في عبارة سانت-بول رو تتبادل الأشجار العصافير كما تتبدّل الكلمات[507] شيئا لذيذا. وهو لا يعرف أنّه لا يمتلك القوّة

505. 17ماي1889.

506. 13ديسمبر و5نوفمبر1887.

507. 7ماي 1894.

الضّروريّة لإعادة بناء الواقع بتشبيهات صارمة التّصفية (مثل بروست) ومهيّأة كلّها لخدمة هذه المحاولة لإعادة البناء- ولا يمتلك الجسارة للتّخلّي عن الأساس المادّيّ والأرض المغلقة للمعنى الجمعيّ، وابتكار ما فوق واقعيّ [سورياليّة] مثل رامبو. التّشبيه عند رونار؛ مؤخّرة بين كرسيّين. وينتهي به الأمر لكتابة هذا الّذي هو مريع وغبيّ، خاصّة أنّه لا يدلّ على أيّ شيء، فالصّورة تتطوّر من خلال ثقلها الذّاتيّ: بدت الأدغال ثملة من الشّمس، تتحرّك من هواء متوعّك وتقيّؤ الزّعرور، زبد أبيض[508].

التّشبيه عند رونار يؤثر نفسه، كما يقول أندريه جيد. إنّه تردّد. يريد الإمساك بأجزاء تافهة لا شأن لها من الواقع سليخة ذبابة – لكنّه لا يستطيع أن يقول شيئا عن الواقعيّ، إنّنا نأتي متأخّرين جدّا إن لم نكن نملك ميتافيزيقيا مختلفة تماما، أمّا اللّاواقعيّ فهو خطير جدّا، يبعث على الخوف؛ لا يريد رونار أن يتوه ولا بدّ من التّيه للقبض عليه.

جول رونار ضحيّة عجز عصره. يمثّل بشكل جيّد انحلال الطّبيعيّة. لأنّه يذهب مثل معاصريه من النّمذجة إلى الشّخصنة، من المتواصل إلى المتقطّع. لقد ولّى زمن النّماذج الكبرى: المحاسب، المرأة اللّعوب. استهلكه زولا وأتباع المذهب الطّبيعيّ الكبار. يبقى التّفصيل، الشّخصيّ. 17 يناير: وضعها أوّل مفتتح الكتاب: لم أر نماذج، بل أشخاصا. الحكيم يُعمّم، والفنّان يُشخصن، رغم أنّ هذه الجمل الّتي كتبت سنة1889 تتميّز بأسبقيّة في الذّوق على مهن الإيمان الجيديّ [نسبة إلى أندريه جيد] الّتي تطالب بالدّراسات التّاريخيّة الأحاديّة. فإنّني أرى فيها اعترافا بالعجز. ينجذب جيد إليها لأنّه يرى الإيجابيّ فيما هو شخصيّ. أمّا بالنّسبة إلى رونار ومعاصريه، فالشّخصيّ هو ما يتبقّى وليس هو العامّ ولا النّموذج، مادّة تعرّض إليها القدامى. والدّليل هو اللّايقين التّامّ حين يمسّ رونار طبيعة هذا الشّخصيّ. تضايق رونار سنة 1889 من دوبيس[509]، ولديه أيضا نظريّات حول النّساء! ألم تنته إلى الآن النّظريّات

---

508. 1889نفس المصدر.

509. شاعر وصحفي أحد مؤسسي مركير دي فرانس. (87) 29 (88)ماي1894.

حول النّساء؟ [510] هكذا ينطفئ الشّخصيّ بشكل خفيّ ونعثر على النّموذج حين يتمّ التّفتيش جيّدا داخله. هذا الميل نحو الشّخصيّ استفاد من التّصوّر الجمعيّ، المتشائم من الحقيقة، والنّاتج عن صعوبات اعترضت العلوم كلّ علم في مجاله. كتب رونار: لقد رأى أجدادنا الأسلوب، النّموذج المتواصل... أمّا نحن فلقد رأينا النّمودج المتقطّع في هدآته وأزماته، لحظات طيبته ولحظات قساوته[511]. لم تعد هناك حقيقة واحدة لإنسان، هناك حقائق متعدّدة. من الطّريف ملاحظة أنّ أناتول فرانس معاصره كتب في الفترة نفسها تقريبا في الحياة الأدبية[512] (في 1891- والجملة ذكرها جول رونار 1892):

لقد قيل إنّه كانت هناك أدمغة ذات حواجز سميكة محكمة. التّسرّب الّذي يملأ إحدى المقصورات من المستحيل أن ينفذ إلى الأماكن الأخرى. ومثلما استغرب عقلانيّ متحمّس أمام السّيّد تيوديل ريبو من أنّ هناك رؤوسا خُلقت هكذا، أجابه معلّم الفلسفة التجريبيّة بسرور لطيف قائلا: لا شيء خُلق ليفاجئ، أليس عكس ذلك أن يعمل تصوّر ذهنيّ على بناء وحدة داخل الذّكاء البشريّ؟ لماذا لا تريد أن يصبح شخص مّا مضاعفا، ثلاثيّا، رباعيا؟

صفحة ثمينة في غبائها، لأنّها تبيّن لنا التّأثيرات الفلسفيّة الّتي مورست مباشرة أو بطريقة غير مباشرة على أدبه: ريبو. ولأنّها تظهر أيضا أنّ هذا الجمع التّجريبيّ كان موجّها بشكل متعجّل ضدّ العقلانيّة. كلّ هذا التّوجّه التّشاؤميّ وجب أن ينتهي عند لاهارمونيّة الطّبيعة البشريّة لميتيشنيكوف[513] وبالفعل هي لاهارمونية الطّبيعة، الّتي يريد رونار أن يستعيدها. وهو ما يبرّر أنّه لا يأخذ سوى اللّحظات الفوريّة، يصيح

---

510. يوميات جول رونار 19نوفمبر1889.

511. 29 (89)فيفري1892.

512. في مقالة بعنوان "بلاز باسكال والسيد جوزيف برتران"

513. ي الإنسان حسب هذا البيولوجي "لاهارمونية" ورثها أعضاء وحشرات غير متآلفة مع بيئته ويمكن للعلم أن يُلمح هذه اللاهارمونية في كتابه"دراسات حول الطبيعة البشرية، مقالة في الفلسفة التفاؤلية " صدر عن دار ماسون وشركائه سنة 1903

قائلا: في قطع صغيرة، في قطع متناهية الصّغر[514]، ها نحن نعود، عبر مسلك آخر يسمّيه هو بكلّ فخر عدميّة، إلى الجملة، مدركة لوحدها كمنجز فنّيّ. ومن هذا المنطلق، إن كانت الطّبيعة كلّها فوضى ولاهارمونيّة، فسوف تكون الرّواية مستحيلة. كتب رونار إنّ الرواية صنعت زمانها لأنّها تطوّر متواصل. إن كان الإنسان سلسلة مبتورة من الأفضل كتابة قصص قصيرة كتابة مجلّد من قصص قصيرة جدّا، وعنونتها بصقالة الورق. [515]

الشّيء نفسه دائما: عصفور في اليد، ولا ثلاثة في السّماء.

الخميس21مارس

وما أجهز نهائيّا على جول رونار، فكرة أنّه كان فنّانا. فكرة الفنّان هذه جاءت من آل غونكور فبصمتهما واضحة في هذه الفكرة الغبيّة الوقحة. جدليّا هي ما يتبقّى من الشّاعر العرّاف عند هوغو والشّاعر الملعون في الفترة الرّومنطيقيّة. لعنة بيضاء، متبرجزة مريحة: ليست إطلاقا لعنة المعزول الدّاعي للّعنات، ولكنّها تلك الّتي تعتمد على النّخبة، سعيد شقيّ ذاك الّذي يختزل نفسه في أن تكون له أعصاب مثل الدانتيل، ومخيخ لائقة جدّا كما يقول آل غونكور. ها هو غوتييه صاحب الفنّ من أجل الفنّ، فلوبير وأسلوبه الجميل المزيّف قد مرّا من هنا. وعليه فإنّ مفهوم الفنّان بهذا الشّكل ليس فقط البقاء على قيد الحياة لأسطورة كبيرة شبه دينيّة، الأسطورة الرّومنطيقيّة للشّاعر، إنّما هو أيضا ذلك الّذي من خلاله يكتب ويشاهد نفسه ضمن نخبة ذلك المجتمع الصّغير، من البورجوازيين الهائنين والمثقّفين. وهذا المجتمع يتوفّر بداخله على أخطاء المجتمع الأوسع، وعيوبه. زمن غريب يعيش فيه الكتاب بين بعضهم لأنّهم لا يريدون أن يكونوا ناسا عاديّين من ضمن الآخرين. لا يبدو لي أنّ الكتّاب

---

514. يوميات رونار 11 جويلية 1892.

515. 26اكتوبر 1893.

على تواصل اليوم مع بعضهم البعض، بل إنّهم لا يرون أنّ هذه المهنة الجماعيّة سبب كاف للتّقارب فيما بينهم. في ذلك الزّمن كان الكتّاب يشعرون بأنفسهم خبراء مطّلعين، ومن واجبهم ألّا يتحدّثوا إلّا فيما بينهم. كلمة رونار لأحدهم هلّا مكثت قليلا؟ سوف نتحدّث حول الأدب. لأنّ المقصود بأن نتحدّث حول الأدب، هو التّدافع والكراهية، نشعر أنّنا منبوذون شيئا مّا من الآخرين، الّذين يعيشون بشكل عاديّ، لكنّنا ننبذهم بشكل زائد. لسنا متأصّلين جدّا مع ذواتنا ولكنّنا حسّاسون. وهذا ما يفاجئ اليوم: يطالب الكاتب بأن يكون فنّانا شأنه في ذلك شأن النّحات أو الموسيقار. لم أفكّر يوما أنّني فنّان. وليس للكلمة أصلا من معنى عندي. وها إنّني أرى أنّ رونار يهتاج لأنّ عازف كمان يزعم أنّه يشعر بمتعة فنّيّة أقوى بكثير ممّا يشعر بها كاتب: مقارنة بين الموسيقى والأدب. يريد هؤلاء النّاس أن يشعروننا أنّ انفعالاتهم أشدّ اكتمالا من انفعالاتنا... أجد صعوبة في الاعتقاد أنّ هذا الرّجل الطّيّب الصّغير الّذي بالكاد يحيا، يمكنه الذّهاب أبعد من فيكتور هوغو أو لامارتين اللّذين لا يحبّان الموسيقى، في المتعة بالفنّ[516].

الفنّان لا يتميّز فقط بما ينجزه من أعمال فنّيّة كما نعتقد ذلك بسذاجة، ولكن لأنّه يشعر بمتعة بالفنّ. النّخبة دائما. وهذه الحساسيّات الفنّيّة تتشكّل جمعيّا. من هنا الفكرة المتحفّظة عند رونار، وعند معاصريه حول الجمال. المادّة مكدّرة وكئيبة. هذه هي حساسيات النّخبة، إنّها ترتجّ للجملة الّتي تعبّر ببهاء عن فقرها. لقد تمّ إنقاذ الواقعيّة الأكثر سطحيّة ببهاء الشّكل. تفلت منهم فكرة أنّ مادّة المنجز الفنّيّ يجب أن تكون جميلة أيضا إذ هي تلازمهم مثل النّدم. الواقعيّة! الواقعيّة! اعطوني واقعا جميلا سوف أشتغل وفقه. (30ماي1890). لاشيء كان أكثر غلطا من هذا التّصوّر الاجتماعيّ للكاتب بوصفه عضوا في مدرسة للفنّانين – ولا أكثر تزييفا من هذا التّصور للجمال باعتباره تتبيلا للواقع.

جول رونار شخص مقيّد تماما، مقيّد بعائلته، بالطّرق الأدبيّة، زواجه، باقتضابيته،

---

516. 19مارس1895.

عاقر بيوميّاته. ليس له من منابع إلّا في الحلم (وهو في الغالب حلم سطحيّ لمراهق صغير لا يتجاسر على القيام به).

الرّغبة في الأصالة مهما كان الثّمن عند رونار ردّ فعل ضدّ هؤلاء الأسلاف المزعجين، الّذين لم يتركوا له شيئا يفعله- وضدّ نزوعه الملحّ للتّقليد.

الجمعة 22مارس

استلمت رسالة من موريس صابيه[517]: أدرّب نفسي على أن أصبح مجنّدا حقيقيّا -نوع نادر جدّا، إن أمكن، أن يكون المتوفّر ناتجا عن التّغذية.

السّبت 23مارس



قال غرينر سَبَّاك ألزاسي: «لن يطول الأمر أكثر من مائة وسبع سنوات.

أنا: «لا، بل سوف يطول الأمر أكثر ممّا ذكرت».

هو: «لا أحد هنا يشعر بذلك».

أنا: «ومن بعد؟ كلّ من سوف يصرخ سوف يلصقونه قبالة الحائط مثلما حدث في 1917».

هو: «لن أقول. ليس الآن. لكن سوف ترى؟ كما هو الأمر عندهم هو عندنا.

أنا: عندهم».

هو: «كلّ ما هناك. أنّهم منضبطون أكثر منّا. لكن لا تشغل بالك. إن اضطرب الحال عندنا فسوف يضطرب عندهم. لن يطول الأمر على هذه الحال».

أشياء كثيرة تحدث لي، مثلما في شهر ديسمبر، وعندي الكثير من الأفكار. غير أنّني

517. مساعد أدريان مونييه (انظر التدوينة 1ص594) سوف يصبح فيما بعد مؤسس كوليج الباطافيزيك: كنيته: جوستين صاجييه.

أتكاسل لتسجيلها. هذا الدّفتر يموت من الفتور، إلّا إذا حدث تغيير مّا في حياتي.[518]

بالنّسبة إلى رونار تغيير البيئة ذلك هو حدث حياته الّذي لم يدركه. يمرّ من الوسط الّذي شكّله آل غونكور إلى وسط المسرح: روسطان- كابيس[519]- برتران – غيتري[520]. كان في حاجة لحرارة غيتري ليحيا. كلّ حياته يمكن تلخيصها في هذا المقطع لشووب[521] لقد فضَّل الصّداقة على الحبّ احترازا وإبقاء للعاطفة المثليّة الّتي عاشها خلال شبابه.

الحياة المريعة لجول رونار.. ليست يوميّاته تمارين في القسوة الصّافية بل هي زاوية شراكة خجولة وحنونة مع نفسه. إنّه الوجه الآخر لسكوتات في عائلة السّيد لوبيك[522]، لقد فكّ الأزرار – وهو ما لا يوحي بذلك لأنّ أسلوبه يضع الثّياب كاملة.

هاهو مقطع من جريدة آل غونكور يؤكّد ما كنت أقول حول جيل رونار:

قدم إيميل زولا لتناول الغداء في بيتي، أخبرني بسلسلة من الرّوايات الّتي يريد أن يكتبها، ملحمة من عشرة مجلّدات، حكاية عاديّة واجتماعيّة لإحدى العائلات. قال لي: «بعد ما قام به فلوبير من تحاليل دقيقة للعاطفة في مدام بوفاري، وما أمكن لك تحقيقه من تحليل للأشياء الفنّية التّشكيلية والعصبية، بعد هذه الأعمال الجليلة، والمجلدات المشغولة بدقّة فائقة، لم يعد هناك من مكان للشّباب؛ لاشيء؛ لإعادة بنائه، لبناء شخصيّة، وجه: لا يمكن أن نتحدّث للجمهور إلّا من خلال كمّيّة كبيرة من

---

518. من الممكن لضرورة "التوضيب" حين يكتب سارتر عن علاقاته بالمقربين إليه، والحال إن هذا موضوع عدم رضا واستياء من نفسه، هذا ما لا يشجعه على مواصلة الكتابة في هذه الدفاتر.

519. الفريد كابيس مؤلف مشهور لكوميديات حول الأخلاق (1858-1922).

520. لوسيان غيتري (1860-1925) ممثل مشهور أب الفنان ساشا غيتري.

521. مارسيل شووب (1867-1902) حكاء وصديق لجول رونار وبول ليوطار مؤلف حيوات متخيلة وكتاب مونيلا

522. شخصية شعيرة جزر رواية لجول رونار.

المجلّدات، قوّة الخلق».

لكن بعد هذه الملاحم في عشرة مجلّدات؟ ما الّذي سوف يتبقّى؟ في في تلك اللّحظة ظهر جول رونار. فهو الذّيل الخلفيّ لهذا الأدب الّذي يذهب من فلوبير إلى موباسان، مرورا بآل غونكور وزولا. إنّه مجرّد محتضر. بل قضى كامل حياته يحتضر. ورغم ذلك كان له التّأثير الأعمق على كلّ أدب ما بعد الحرب.

من المذهل حقّا، أن يكون المرء على مذهبي، وأن يرى كلّ الاتّجاهات حرّة، في الكتابة والتّفكير، وكلّ شيء قابلا للنّقض، وللإعادة والتّغيير، في كلّ اختيار جديد، شعور سينتابنا، باقتطاع ألف إمكانيّة عذراء، ومن دواعي الاستغراب أن تقرأ يوميات لشخص يؤكّد في كلّ صفحة منها أنّ كلّ الاتّجاهات مغلقة وأنّه لا بدّ من عرق الجبين، للظّفر بالأصالة.

الأربعاء 27مارس

فقدت الرّغبة للكتابة في هذه الدّفاتر خلال كلّ هذه الأيّام الأخيرة: أنهيت بسرعة استهلال عصر العقل لأنّني سوف أخرج في رخصة. الآن أشعر بشيء من القرف من رواياتي: تبدو لي خرقاء وفارغة. على كلّ حال هو عمل بدايات: بداياتي في الرّواية. يجب إعادة كتابتها.

مبتهج لأنّني سوف أخرج في رخصة، لكنّها لن تكون كسابقتها. بي رغبة فقط أن أرى النّاس وباريس. كلّ شيء صار بسيطا، كلّ شيء، خَفَّ ضغط كلّ شيء منذ شهر فيفري. انتهى ذلك التّوتّر الّذي لازمني خلال الأشهر الأولى. اليوم أشتغل، أعيش الحياة يوما بيوم، تآلفت مع نمط الحياة هنا دون أن انتبه لذلك. انتهت الأزمنة البطوليّة لهذه الحرب الغريبة. لم أعد منشغلا بالأصالة منذ زمن – ولا بالعدم. أعتقد أنّني أقلّ قيمة ممّا كنت عليه في مورسبورن مثلا. صرت شخصا عاديّا جدّا.

بعد أن أنهيت قراءة يوميّات جول رونار، قرأت مقطعا من يوميات آل غونكور متعلّق بسنوات 1870–1871. حسبت في البدء بشكل مبهج أنّني قد عثرت على

صفحات ملأى بعد ذلك الاستعراض المرهق للصّفحات الفارغة عند رونار. كان هناك حديث عن حصار باريس، عن الكومونة. واستطاع غونكور أن يحوز إعجابي وتقديري. غير أنّني سرعان ما أُحبطت. مخز هذا الشّابّ، الخوّاف، النّحّاب الأنانيّ والمهووس. وبالعكس فما يحكيه مستنيرا بكتب ديفو ودوليفييه يستدعي الاهتمام.

بدأت بإعادة قراءة الوضع البشري[523]، أصابني ضيق من التّشابه الأخويّ بين التّمثّيات الأدبيّة لمالرو وتمثّياتي، كان هناك عالم من القتل وبقي هناك كالحرارة، كان بإمكاني أن أكتب هذا. لم أكن يوما متأثّرا به لكنّنا تحمّلنا نفس التّأثيرات الجماعيّة – تأثيرات لم تكن أدبيّة. نفس طريقة الاعتماد على التّفصيلة المحسوسة (الّتي يقدّمها بول نيزان بشكل فائق) واستعادة النَفَس عن طريق رسم الأجواء. نفس الطريقة الصّبورة في اختيار التّفصيلة الدّقيقة (لم يتعرّف كيو إلى صوته ترسله الأسطوانة، لأنّنا نسمع أنفسنا عن طريق الحنجرة) وتفخيم ذلك من صفحة إلى أخرى إلى درجة ترميزه. نفس الطريقة متعثّرة أحيانا في الولوج مباشرة إلى الأسلوب المباشر والخروج منه. ألأنّني أرى الكثير من الحيل؟ ليس هناك أيّ تأثيرات. لا أشعر بأيّ شيء. ورغم ذلك هو مقطع جميل جدّا (وهذا أيضا يشبه مونولغات ماتيو مثلا: بآذاننا نسمع أصوات الآخرين، أمّا أنا فأسمع بحنجرتي. نعم حتّى حياته، نسمعها عن طريق الحنجرة...؟ في البدء كانت هناك العزلة الثّابتة خلف التّعدد الموتي مثل اللّيلة البدائيّة الهائلة خلف تلك اللّيلة الكثيفة والواطئة، ومن تحتها تترصد المدينة المقفرة مليئة بالأمل والكراهية. لكن أنا، بالنّسبة إليّ أنا، ماذا أمثّل بالنّسبة إلى الحنجرة؟ نوع من التّأكيد المطلق، التّأكيدالمجنون، كثافة أشدّ عمقا من كلّ ما هو باق. بالنّسبة إلى الآخرين أنا ماذا أفعل، لم يكن ما قد فعله بالنّسبة إلى مي فقط، بل كان من من أجله هو فقط، كانت شيئا آخر مختلفا تماما عن سيرة حياتها. العناق الّذي من خلاله يشدّ الحبّ النّاس بعضهم إلى بعض ملتحمين ضدّ العزلة، لم يكن هذا العناق يقدّم مساعدته

523. بعد أن وعد سارتر جان بولهان بكتابة مقالة حول روايات أندريه مالرو للمجلة الفرنسية الحديثة بداية من فيفري 1939تراجع عن ذلك كما تراجع أيضا عن كتابة مقالة حول يوميات أندريه جيد.

للإنسان، للمجنون، للوحش الّذي لا شبيه له، المفضّل لدى الجميع، كلّ كائن هو نفسه ويسقط في قلبه. منذ وفاة أمّه. كانت مي هي الكائن الوحيد كي لا يجعل من نفسه كيو جيزور [كيو جيزور بطل رواية مصير الرّجل لأندريه مالرو الصّادرة سنة 1934] غير أنّها كانت الشّراكة الأشدّ التحاما. شراكة مقبولة، جذّابة، مختارة، هكذا كان يفكّر، ليس النّاس أشباهي، هم أولئك الّذين ينظرون إليّ ويقيمونني؛ أشباهي، هم أولئك الّذين يحبّونني ولا ينظرون إليَّ، يحبّونني ضدّ كلّ شيء، يحبّونني ضدّ النّقصان، ضدّ التّفاهة، ضدّ الخيانة، يحبّونني أنا، لا ما أفعل، أوما سأفعله، يحبّونني بقدر ما أحبّ نفسي-إلى درجة الانتحار، مفهوم... معها وحدها أجد هذا المشترك من الحبّ الممزّق أو غير الممزّق، كما كان لآخرين معا أطفال مرضى وسوف يموتون.

في أحد الأيام شعرت كم أنّ شلومبرغ[524]: معاصر لأندريه جيد. وأحسّ أيضا وبقوةّ كم أنا معاصر له (حتّى ثقافيّا). يجب أن أقول إنّه لاشيء متعلّق بالكمال. غالبا ما يكون النّحو جبانا، الكلمات بشعة وملتبسة. أشعر أنّني بصدد قراءة مسودّتي الأولى.

الخميس 28

وزارة راينو [525]. استطاع هذا الّذي يعيش عزلة في اليمين أن يكون بقوّة الأشياء أغلبية في الجبهة الشّعبيّة، في حين أنّ دالادييه رئيس أكبر حزب كوَّن الجبهة الشعبيّة، يحكم بأغلبيّة الكتلة القوميّة. فطنة الاشتراكيّين الّذين تركوا متابعة انحلال الحزب الشّيوعيّ بأن حرموه أصواتهم، ثمّ قبلوا بعد ذلك المشاركة. هل ستستمرّ هذه الحكومة؟ لا أعرف إلى الآن كيف تمّ قبولها هنا؟ الضّبّاط الرّجعيّون يعيبون على راينو ولاءه لروسيا. يبدو أنّ من أسباب سقوط حكومة دالادييه موقفه المتقلّب تجاه

524. جون شلومبرغ (1877-1968) روائي وناقد وأحد مؤسسي المجلة الفرنسية الحديثة.

525. بول راينو خلف دالادييه في 21مارس.

روسيا. تذكير سوريتز[526] الّذي طالبت به حكومة دالادييه[527] يبدو أنّ الغاية منه القبول باليمين.

أسافر في رخصة بعد منتصف النّهار.

يعيب الجنود هنا على راينو أنّه لم يقل كلمة واحدة خلال خطاب مراسم تنصيبه المذاع حول بطوليّة الجنود الأشاوس، ما كان دالادييه يغفل عن هذا إطلاقا، قال أحدهم متأسّفا.

محادثة مطوّلة بالأمس مع غرينر. مع هذا الشّخص الفظّ والماجن الّذي يضرط ويتجشّأ كما يتنفّس، ولأنّه في الأصل عامل أتصنّع الودّ، كان أوّل أمس راقدا تحت تأثير السّكر على كرسيّ ويشخر، بينما كنت أكتب. فجأة، استفاق بعينين محمرّتين نصف مغمضتين، مجنونا التفت جهة الجدار، فكّ أزرار فتحة بنطاله وشرع في التّبوّل. اندفعت نحوه صائحا ألم تنته أيّها القذر غمغم: اغلق فمك، وواصل، وأنا أمسك بأطرافه وأرُجُّه. أنهى تبوّله وانهار مجدّدا على الكرسيّ وعاد للشّخير من جديد وللتّأوّه والتّقلّب. غير أنّي أريد أن أكون محلّ إعجابه رغم النّفور من جسده بسبب رائحته وقذارته، ولقد نجحت في ذلك دونما صعوبة، لأنّه يشعر بالزّهو حين أتحدّث إليه. بالأمس كان فصيحا. كانت الكلمات تنساب كما لو أنّها مجرورة بثقلها الخاصّ من وجهه الجامد والثّقيل. لديه دائما هذه النّبرة المحتدّة المتواصلة. سكوتات متقطّعة، لإعادة بناء احتياطيّه من الكلمات، ثمّ يعود الانسياب مجدّدا. من حين إلى آخر يشرب نبيذا أحمر وتتضاعف حدّته. لا أجد صعوبة في الاستماع إليه، بل يهمّني كثيرا. يكره ويزدري السّكريتاريّين ويشرح لي غروره في أنّ كلّ ما يقوله هو من عنده هو أولئك الآخرون، لو فقدوا مهنهم ما الذي تراهم يفعلون؟ إنّهم لا يعرفون أن يشتغلوا بأياديهم، سوف يتسوّلون. أمّا أنا فإنّني أساوي أكثر منهم بكثير، أعرف القيام بكلّ شيء. إن قالوا لي: خذ الفأس، سوف آخذ الفأس؛ خذ المنشار، سوف آخذ المنشار،

526. أرسل جاكوب سوريتز سفير الاتحاد السوفياتي بباريس برقية لحكومته حول الحرب الفنلندية – الروسية وفيه انتقاد لاذع لسياسة فرنسا.

527. خطأ من سارتر: إذ إن حكومة راينو هي التي طالبت بتذكير سفير الاتحاد السوفياتي في 26مارس.

كنت أقطع الخشب لعدّة سنوات طويلة خارج أوقات العمل أيه! بهذا الشّكل استطعت اشتراء منزل وبقرتين. لن تفهم هذا أنت، حين يملك المرء بقرتين فقد نجا أشعر جيّدا بافتخاره لأنّه محاط بالأشياء، وهو مدين لها بوجوده، وقد وفّر منتوجا بشكل مباشر أو غير مباشر، عن طريق قوّة ذراعيه؛ ثمّ هناك إحساسه بالأمان تجاه الضّربات القويّة: باستطاعته التّخلّص من كلّ المضائق لأنّه يستطيع فعل أيّ شيء، إحساسه بالحياة في طبيعة متوحّشة وكارثيّة، هذا الإحساس الّذي دفعه لترويض هذه الطّبيعة وازدراؤه من السّكريتاريّين الحقيرين، هؤلاء الّذين لا يستطيعون أن يعيشوا إلّا في أعلى هرم المجتمع مُنجَّدين ومرتّبين. ولهذا هو يزعق ويشتكي -على طريقة القرويّين، وليس مثل العمّال، يقول: يهزؤون بهتلر ولكنّ ما فعله جيد، يهزؤون بالسّوفيات ولكن جيّد ما فعلوه أيضا.

كانت ردّة فعل ابنه ذي الإثني عشر عاما، والفاشل في دراسته، أن واجهه قائلا: لست في حاجة إلى كلّ هذا لأكون عاملا، ذهب الأب لمقابلة المعلّم وقال له: «اضربه». لقد ضايقوني كثيرا عندما كنت صبيّا في مثل سنّه. عليه أن يتضايق هو بدوره[528].

528. سوف يخرج سارتر في رخصة من 28مارس إلى 9أفريل للمرة الثانية والأخيرة.

ملاحق

الملحق الأول

الأيّام من 25 أكتوبر إلى 11 نوفمبر

الدّفتر 2 برومات

25 أكتوبر

كتب سارتر البارحة أربع صفحات إضافية في دفتره الجديد حول الحوافز والدّوافع. اليوم اشتغلت بشكل أقلّ وتركت جانبا مطلع فكرة حول- *umwelt* [529] بوداعة. لم أفعل شيئا باستثناء كتابة روايتي.

_26_ أكتوبر

كتبت عشر صفحات أخرى حول التّأريخيّة. بدأت أعرف نفسي(...). عندي أفكار كثيرة الآن وأنا سعيد لأنّني أكتب في هذا الدّفتر؛ فهو مولّد لكلّ هذه الأفكار(...) يمنحني حياة سرّيّة، موازية لحياتي العادية بما فيها من مباهج وتحيّرات وندامات، وما كنت لأعرف حتّى نصفها لولا هذا الشّيء الصغير من جلد أسود.

يفكّر سارتر في نشر هذه الدّفاتر في المستقبل. يريد أن تطّلع عليها بيانكا رغم بعض

529. البيئة، المحيط: مصطلح فلسفي ألماني، استعمله هوسرل وهايدجار. الجزء الرابع من الوجود والعدم، الفصل الأول "حرية ووقائعية: الموقف"

الإيحاءات السّلبيّة حولها: المقاطع حولها وحول فاندا متعدّدة دون أيّ أهمية (تسجيلات انقلابات مفاجئة للمزاج مع اعتبارات نفسانيّة، باختصار حكايات زمن السّلم) وبما أنّني أنوي نشر هذه الدّفاتر، من المستحسن شطب المقاطع ذات الصّلة.

قراءات: العقيد جاك (ديفو) أطفال الطّمي[530]

27 أكتوبر

لايزال سارتر منشغلا بحياته الثّلاثيّة؛ يحسّ نحوها برجع من الحنين: فيما يخصّ زمن ما بعد الحرب (...) لن أترك من يأكلني. من المؤكّد أنّ لفاندا وبيانكا حقوقا عليّ (ليس الأمر كذلك فيما يخصّ فاندا): حقوق الوفاء.

30 أكتوبر

أتفهّم جيّدا يا حبّي حاجتك إلى التّراتبيّة –رغم أنّني كتبت لك بالأمس ماذا يعني هذا. لكن عليك أن تعرفي، لا يجب أن تكوني غيورة من عاطفة بيانكا نحوي (...) لا مجال للمقارنة.

مازال الشّغل متواصلا حول التّأريخيّة: أحوّم حول فكرة مركزيّة تسمح لي بمحو اللّاوعي، بمصالحة هايدجير وهوسرل وأن أفهم تأريخيّتي. لكنّها مستديرة تماما دون أبواب ولا نوافذ، لا أعرف من أين أمسك بها.

الاستعداد للزّيارة السّريّة الّتي سوف تقوم بها سيمون دي بوفوار إلى بروماث.

31 أكتوبر

حاولت مصالحة هايدجير وهوسرل في حانة السيرف وفشلت. بذلت جهدا كبيرا مصرّا في عناد، غير أنّني لم أتقدّم، وشعرت بعد السّادسة صباحا بالقرف. لا بدّ من إعادة الاشتغال على كلّ شيء. نفس الفكرة المستديرة الّتي لا أعرف من أيّ طرف أخوضها، أمسكها جيّدا

530. غاليمار 1938.

بيدي غير أنّها تنسرّب من بين أصابعي مثل كرة مزيّتة.

قدوم سيمون دي بوفوار هذا المساء إلى بروماث.

5 نوفمبر

شرع سارتر في دراسة حول نفسه (انظر التّلميحات إلى ذلك في الدّفتر الثّالث بتاريخ 2 ديسمبر.

6 نوفمبر

البارحة رحلت سيمون دي بوفوار: (...) قضيت كامل الصّباح أخربش في دفتري. لكن ليس حول ما قيل؛ الأمر بالأساس بسيط: لقد كنت سعيدا بعمق وبهدوء ولا أريد أن أشعر الآن بأيّ أسف (...) هذا ما لم أكتبه. غير أنّني واصلت من السّاعة 9 إلى السّاعة 11 (...) الانشغال بورق أزمنة مراهقتي(...)

قراءات لعدد نوفمبر من المجلّة الفرنسيّة الحديثة: أخبار كايردال لأندريه سواريز، ومقاطع من يوميّات تولستوي.

7 نوفمبر

واصلت اليوم الكتابة حول الاجتماعيّ. بدأت أشعر بالقرف من نفسي لما أبذله من جهد للكتابة عنّي، لقد نال منّي التّعب، ولم يعد يروقني ما أكتبه. سوف أنتهي من الأمر غدا وأعود للاشتغال على روايتي(...) وفق لعبة الأرجوحة الشّهيرة، فكّرت أنّه يمكنني أن أهمل الدّفتر لبعض الوقت عدا حالات طارئة.

8 نوفمبر

لقد اشتغلت إلى حدّ الآن وقمت بدراسة جيّدة حول نفسي، أعطت نتائج مُبهجة.

9 نوفمبر

يحضر سارتر تسليم الأسلحة مع حفل توسيم: كنت أسجّل من جهتي كلمة بكلمة، كلّ محادثات الرّفاق والسّكريتاريّين. قرأتها على مسامعهم فيما بعد، فضحكوا واهتاجوا.

10 نوفمبر

يشتغل سارتر على روايته (...) أعتقد أنّها جيّدة جدّا لكن بجرأة (...) سوف يُقال: «هناك صورة...»

11 نوفمبر

رواية: إعادة كتابة شخصيّة مارسيل.[531]

قراءة: الحياة العاطفيّة لبرليوز.[532]

لم يعد يشعر بالحبّ تجاه بيانكا.

---

531. صديق ماتيو بطل الرواية.

532. كتاب إتيان راي فلاماريون 1919.

الملحق الثّاني

الدّفتر الرّابع (من8ديسمبر إلى 16ديسمبر) الذي يبدو أنّ سارتر خصّصه كلّه للفلسفة مفقود. للأسف لم يخبر سارتر سيمون دي بوفوار بمتابعته فيما كتبه حول الحرّيّة والوقائعيّة بعد 9ديسمبر. بعض الإشارات لما كتبه في هذا الدّفتر، وأنشطته الكتابيّة والقرائيّة، من خلال رسائل إلى الكاستور:...

11 ديسمبر

صفحات وصفحات حول الحياة والجوهر

12 ديسمبر

نقاش مع الرّفاق حول قيمة القسم، في علاقة بحالة وعي مطروحة على ميستلر. اتّضح أنّ أحد السّكريتاريّين أحد تلامذته.

يكتب بأسلوب بول موران، الّذي قرأ له مغلق في اللّيل[533].

قراءات أخرى: صلبان الغابة لدورجيليس؛ عدد ديسمبر من المجلّة الفرنسيّة الحديثة.

13 ديسمبر

كتبت مطولا حكاية ميستلر في الدّفتر(...)

14 ديسمبر

بإيحاء من نظريّة الحفل[534] لكايو أعددت نظريّة حول الحرب والأخلاق. أعتقد في ذلك

---

533. أحب سارتر كثيرا موران ونسخ بعض قصائده حين كان عمره ثمانية عشر سنوات (كتابات الشباب): هاهو اليوم يجد الكتاب "مُسنا."

شيئا مّا، أمر مبهر. غير أنّني لاحظت وأنا أكتب كم يمكنني ابتكار نظريّة لدقيقة واحدة في زمن شبابي المجنون وإلى أي فئة من الإيمان ينتمي هذا الأمر عندي.

15 ديسمبر

(..) لقد جعلتموني أقع في مهاوي ارتباكات ومتاهات تدوينات على دفتري : هل أنا أقوم فقط بعمل إحصائيّ، أم إنني لا آمل التّخلّص من شخصيّتي المتصلّبة شبه الميّتة مثل السّلم؟ وما الذي أريده أكثر؟ أن أتطوّر طبعا، تلك هي فكرتي الثّابتة، لكن إلى أيّ مآل؟ لقد خلصت إلى أنّ المسألة متعلّقة بتغيُّري بقدر ما عليَّ أن أتمسّك بي، وبهذا المعنى أنتِ على حقّ، هو إحصاء، ولم يكن من الأخلاقيّ أن أريد شيئا آخر غيره.[535]

الرّواية: اللّقاء بين مارسيل وماتيو ينتهي اليوم دونما شكّ.

قراءات: أربعة كوبة[قلب] رواية بوليسية ل إيلليري كوين.

16 ديسمبر

شرعت في الفصل الأخير من روايتي (...) وفي الوقت نفسه أقرأ رواية كولومبا الرّائعة، ومفهوم القلق حيث توجد الكثير من الأشياء تحت غطاء لاهوتيّ متجهّم نوعا مّا. ليس هناك أيّ شكّ من تأثّر هايدجير بذلك. (...) لقد أنهيت دفترا آخر.

---

534. قرأ منها الجزءالأول في عدد ديسمبر من المجلة الفرنسية الحديثة.

535. في بعض فقرات الدفاتر، يحدد سارتر دورا لنزوع نحو الذات أكثر تطرفا؛ الدفتر الرابع عشر بتاريخ 10مارس: "كانت دلالتها الأساسية تشديد تلك العزلة التي كنت فيها والقطيعة بين حياتي الماضية وحاضري".

الملحق الثّالث

الفترة الموافقة للدّفاتر الخمسة المفقودة

من 23 ديسمبر إلى 31 يناير[536]

24 ديسمبر

اشتغلت قليلا في دفتري. وأشرع في الدّفتر السّادس.

25 ديسمبر

يشتغل سارتر على المشهد المهمّ بين دانيال وماتيو في روايته.

27 ديسمبر

ينقل للكاستور مقطعا من الدّفتر الرابع:

يقوم كيللر من حين لآخر بمشيات على أطراف الأصابع فوق الطّاولة. عادة مدنيّة. إنّي أراه في بيته وقد أبعد الصّحن، العين فارغة، يطبطب فوق القماش اللّمّاع بينما زوجته تجلي الأواني. غير أنّ الطّريف في الأمر أنّه لا يفعل ذلك هنا فحسب. أتخيّل أنّه قد فعل ذلك قبل الحرب، وخلال فترة تجنيده في سبتمبر، منطلقا في مغامرة التّجنيد بداية من سبتمبر. نسي في لحظة تعجله أن يحمل معه أغلب عاداته الصّغيرة. بقيت تلك العادات بمنزله، وحين عاد من الرّخصة استعادها وأتى بها هنا، لأنّه يعلم جيدا أيّ حياة رهبانيّة وإدراية سوف يجدها هنا. غالبا مّا يتّخذ المجنّدون هيئاتهم المدنيّة حين يعودون من رخصهم.

يتمنّى حينما ينتهي من روايته، التّركيز على الكتابة الجادّة: (...) كنت أكتب الأدب

536. حسب رسائل للكاستور وإلى آخرين.

الفانتاستيكيّ لبعض الوقت (...) هذا أفضل من أن أكتب المسرح: تجارب من قبيل دعه-يعمل.

يقرأ كوميديا دي شارل روا ل دريو لاروشال[537] ريفيّات لجيردو[538]- وهو ما سوف يدعوه للحديث في دفتره عن تأثير جول رونار على هذا الكاتب: ثورة العدميّة لروخنينغ.

الحياة العاطفيّة: تصالح تماما مع فاندا وأصبح شيئا فشيئا يشعر أنّه بعيد عن بيانكا في رسائله من 20إلى 24ديسمبر. ينسب هذا البرود للقصص الّتي تحكيها له الكاستور عن أفعال هذه الشّابّة وحركاتها: تمتلك فنّ إغراق النّاس.

28ديسمبر

قرأت روخنينغ الّذي فتنني، (...) أوحت لي قراءته ردود فعل جليلة حول العنف كوسيلة في خدمة الأخلاق، واستخلصت من ذلك أنّه لا بدّ من استعمال العنف (...) ومن هنا تجدون أنّني كتبت أربعين صفحة في الدّفتر حول العنف.

29ديسمبر

(...)لم أكتب أيّ شيء في دفتري، لأنّ الرّواية تجذبني، ثمّ لأسباب من نوع صحّي : حين ننغلق مثل الأمس لوحدنا مع دفتر دون مُلطِّف من العالم، نشرع في الغليان ونصبح في حاجة إلى صِمّام. ذلك ما حدث لي بالأمس، كان عندي تصوّر للعالم منغلقا على نفسي مكتئبا. في العادة أنا في منأى عن أفكاري خارجها وهنا، لا: كنت داخلها.

قراءات: يوميّات ستاندال ومازلت أقرأ روخنينغ.

30ديسمبر

(...) استعدت الدّفتر الصّغير. اليوم سوف أكتب نظريّة حول سوء النّيّة: كانت ناضجة وعليّ أن اقطفها؛ سوف أواصلها غدا[539] يكتب أيضا: بعض ردود الفعل الاقتصاديّة.

31ديسمبر

---

537. غاليمار 1934.

538. برنار غراسييه 1909.

539. فينومونولوجيا سوء النية مركزية في الوجود والعدم تسمح بضبط بنى الوعي بين العدم والوجود الجزء الأول من هذا الكتاب الفصل الثاني.

يستعيد سارتر للكاستور مشهد إخفاق طريف:

هل تعلمين أنّني انتهيت من الرّواية؟ أثبتّ كلمة نهاية أسفل الورقة. وماذا بعد. مفتخرا بأنّني انتهيت، مزّقت بعناية هذه الورقة وورقتين قبلها في قطع صغيرة. وألقيت بالقطع في سطل الفحم[540]

ينوي عنونة المجلّد التّالي التّابع عصر العقل: سبتمبر (والحقيقة أنّ عنوان القسم الثّاني من دروب الحرّيّة سوف يكون الإرجاء: وهو متعلّق بالأسبوع الأخير من سبتمبر1938 قبل اتفاقيّات ميونيخ)

يواصل كتابة نظريّته حول سوء النّيّة.

1 يناير 1940

يعيد سارتر كتابة بعض الفقرات من روايته. ينوي دراسة اللّيليّات واستهلالات شوبين. يجد متعة في قراءة يوميّات ستاندال (المجلّد الثّالث من الطّبعة الصّادرة عن دار غاليمار1936) كما يجد متعة أيضا في مواصلة قراءة روخنينغ الّذي سوف يلخّصه في دفتره (وفي الأثناء يواصل الكتابة حول سوء النّيّة) كما يستمتع بقراءة ريفيّات لجيرودو، وجاك القدريّ (ديدرو).

2 يناير

أتقن الرّواية -الخاتمة- وأشعر بشيء من القرف منها. وها إنّي أرغب مجدّدا في كتابة قطعة مسرحيّة.

يتصفّح الكاهن[541] ويقرأ الشّيطان العاشق لكازوط.

3 يناير

(...)اليوم مقالة قصيرة من 22صفحة حول النّفور، نجد فيها هذه الجملة الّتي لم تعجبني البتّة: هل تقول، وفق هذا الأمر إن كنّا ننفر من البراز فذلك لأنّنا نرغب في الأكل؟ أجبت: طبعا (...) أكبر متعي تأتيني من الكتابة في الدّفتر وكتابة روايتي عوض أن أسكبها

540. لنتذكر بالأسطر الأخيرة من هذه الرواية: "(ماتيو) يردد على مسامعه وهو يتثاءب: "بالفعل، بالفعل تماما إنه عصر العقل " رد فعل البطل هذا ليس غريبا عن المشهد المُخفق.

541. رواية للويس حكاها أنتونين أرطو عن دار دانويل وستيبل 1931باريس.

في الدّفتر والرّواية. وأخشى ألّا تكون الرّواية تعاني من بعض العجز، فلا تدهشني (...) ولكي أكون عادلا، يجب أن أقول إنّه منذ ثلاثة أو أربعة أيّام تملّكني نوع من الهالة النّبوئيّة، بخصوص كتاب روخنينغ الّذي استولى عليَّ؛ رأيت ألمانيا أخرى، فهمت دورها وتهديدها وشعرت بتأريخيّتها، جعلني كلّ هذا أفهم الأمور بشكل أفضل. لهذا الأثر هيبته، الّتي من شأنها أن تقارع ما آمنّا به من أفكار، ويدعونا إلى مراجعتها. نهيل على أفكارنا شيئا من الإطلاقيّة، لأنّها نتاج لحرّيّتنا، وليس إيماننا بها إلّا نتيجة لإيماننا بالمنظومة الّتي سوف تكونها إن لم تأكلني الخنازير الصّغيرة. غير أنّ هذه الخنازير عادة مّا تأكل النّاس قبل تكوُّن المنظومة.

4 يناير

(...) استعرضت (لبيانكا) بعض أفكاري الجديدة حول الوعي، لن أخبرك عنها، لأنّك سوف تقرئينها في الدّفاتر *.(...)*

5 يناير

شرع سارتر في قراءة سيرة لهنري هاين[542] الّذي سوف يغذّي ردّ فعله حول وضع الإنسان اليهوديّ ومعاداة السّاميّة. يبدو أنّه دوَّن تعليقاته بخصوص هذا الموضوع. يحبّ بشكل أقلّ بقيّة يوميات ستاندال الّذي يجد معه نفسه فيما يخصّ التّلاعب العاطفيّ.

اليوم ذهبت للقيام بحجّ آخر[543] (...) رغبة منّي في أن أتبلّل قليلا وأتخلّص من جفاف الأيّام المنقضية.

6 يناير

يعود سارتر لكتابة المشهد الأخير بين ماتيو ودانيال في روايته.

كتبت ما يقارب الثّلاثين صفحة في دفترك اللّيليّ الأزرق الجميل[544] (...) كان ذلك بخصوص يوميّات ستاندال – وما أفكّر فيه بخصوص الشّرّ. قرأت حياة هاين (البداية فقط) وهو ما أوحى لي ردود فعل غريبة. لقد تحمّل تبعات وضعه كيهوديّ، وأتفهم بجلاء أنّ اليهود العقلانيّين من نوع بياتر أو برونشيفيغ[545] كانوا لا أصيليين فيما يفكّرونه عن

---

542. هنري هاين لأنوتونينا فالنتين عن دار غاليمار 1934.

543. إلى بفافينهوفين مهد عائلة شويتزر.

544. استلمه البارحة ودزنما شك هو الدفتر الثامن.

545. مؤرخ شاب تعرف إلأيه في برلين سنة1933.

أنفسهم كأناس، قبل أن يكونوا يهودا، جاءتني هذه الفكرة في شكل نتيجة قاسية عليّ أن أتحمّلها بوصفي فرنسيّا (...) أتساءل إلى أين نذهب من خلال هذا، وسوف أهتمّ بالأمر غدا. منذ أن تجاوزت عقد نقصي تجاه اليسار المتطرّف، أشعر بحريّة تفكير لم تنتبني أبدا من قبل. وكذلك هو الأمر تجاه الظّواهراتيّين أيضا (...) أعتقد أنّه بالإضافة إلى الحرب، وإعادة النّظر، فإنّ شكل الدّفتر، على قدر كبير من الأهمّيّة، فهذا الشّكل الحرّ وتلك القطع لا يخدمان الأفكار السّابقة(...). سأرجئ كلّ مراجعة أو تدقيق إلى زمن أنسب.

7 يناير

(...)منذ صباح الأمس كتبت 81صفحة في الدّفتر اللّيليّ الأزرق (...)ال 39، صفحة الّتي كتبتها اليوم، هي حول ما يصلني بفرنسا (...) مازلت في ما هو تاريخيّ وغدا أشرع في النّظريّ.

8 يناير

حول علاقاته بفرنسا: النّظرية مُعَدَّة ومُعدَّة بشكل جيد. لكن اطمئنّوا لن أصبح فاشيّا، فأنا أبعد ما أكون عن ذلك.

يعلن سارتر أنّ لديه نظريّة حول الوعي – العدم .

9 يناير

يمرّ بأزمة ارتياب في نفسه. مستاء من روايته: ربّما عانى هذا الكتاب قليلا، ليس من الحرب مباشرة، لكن من تغيّرات وجهات نظري حول كلّ شيء، كنت أغلب الوقت جافّا تجاهه. وهو أمر غريب خاصّة بعد أن قرأت منه 150 صفحة في نوفمبر. رغم أنّك أثنيت عليه. لا أعرف ما طرأ على أفكاري من تحوّلات، وإنّي أتساءل، إذا كان ضروريّا أن أغيّر في سلوك مارسيل[546]؟(...) رغبت أن يكون جيّدا وجادّا. اسمعيني. أعلم جيدا أنّنا لا نكفّ في رواية مّا عن الكذب. نكذب على الأقل لنكون حقيقيّين. ويبدو لي أنّ هذه الرّواية كلّها، كذبة اعتباطيّة. مستاء من المحتوى الفلسفيّ للدّفاتر الخمسة الأخيرة التي أعاد قراءتها: يتراءى له أنّه لم يفعل غير أن يتوسّع بجدّ فيما قاله هايدجير في عشر صفحات حول التّأريخيّة. لقد ضاعفت قراءة سيرة هاين هذا الكدر الحزين: لقد وجدت نفسي تافها قدّام

546. هي التي يشكل معها بطل رواية عصر العقل ثنائي.

هذا الشّخص، الذي قام بالكثير من القذارات (...) لكنّه كما تقولين عاش بشكل جيّد من أجل موقف.

الشّعور من جديد بالاختناق في حياة هو الذي شكّلها (الدّفتر الثّالث الصّفحة272) هل يكون قد كتب ذلك في دفتره؟

10 يناير

الحرارة -12درجة بمرسبرون يكتب سارتر عن الإحساس بالبرد. يحلم بكتابة قطعة مسرحيّة:

أريد مكانا في المدينة، مذابح، من أين لي أن أعرف ماذا أريد؟ لا أستحضر الموضوع. هكذا شرعت فجأة، ماذا إذن؟

حكايات للعم جول[547]. شرعت فيها بشيء من النّدم أوّلا لأنّها تافهة. لكن شيئا فشيئا جاءتني فكرة أن أضع فيها حشدا من الأشياء على شكل خيزرانة، واستمتعت في نهاية المطاف بذلك كثيرا، وتحمّست له.

قراءات: يوميّات ستاندال، عدد يناير من المجلّة الفرنسيّة الحديثة.

11 يناير

قدّم سارتر درسا حول الأدب الأمريكيّ لميستلر؛ يشرح للكاستور مشروعه الأدبيّ الجديد (حكايات العم جول) الّذي يرى مجلّدا صغيرا حول النّقد الأدبيّ يستعرض قوانين الأنواع، ويدعمه بنصوص من ابتكاره: حكايات ساحرات، قصص، فصول من روايات.

جعله تبادل رسائل مع بيانكا حول مسألة الوضع اليهوديّ يفكّر[548]. المسألة بالطّبع هي تحديد الواجبات الّتي يمنحها لك التّحمّل. أن تتحمّل نفسك كيهوديّ، فهل يعني ذلك الرّغبة في أن تكون للطائفة اليهوديّة ولليهود باعتبارهم يهودا، نفس الحقوق الّتي يتمتّع بها أعضاء الطّائفة الموسّعة؟ أم أنّ عليهم أن يؤاخذوا أنفسهم لأنّهم يهود، وأن يعملوا على الإلغاء اللّاحق للتّمييزات الإثنيّة؟ لتدعم كل واحدة الأخرى.

12 يناير

---

547. اليوم التالي.

548. للتأكيد بيانكا يهودية.

منذ حين مزّقت الصّفحات السّتّ الأولى من حكايات للعمّ جول (...) لقد انطلقت في الكتابة بكلّ امتلاء، وبحماس من أجل صناعة بروميثيوس ديكتاتور للحرّيّة (...) وفي أوّل ردّة فعل نفرت من سلوك بروميثيوس(...) لقد أفسدته كثيرا أيام شبابي ومازلت أعاني عسر الهضم منه.

ملاحظات مخصوصة متقززة حول عواطف فاندا وبيانكا تجاهه: فاندا بخاريّة، وبيانكا نَفَس.[549]

13 يناير

تحدّث بياتر بشكل لافت عن حياة مستعمرة اليهود بشارع دي روزييه، وموتها، إذ يبدو أنّ كلّ شيء قد انتهى الآن.

لعلّ سارتر دوّن كالعادة حكايات بياتر. لقد كتب مُطوّلا حول القدر: إنّها التّأريخيّة من جديد (...) وفي نهاية المطاف أنا موسوس في الوقت الحاضر، ليس بما هو اجتماعيّ بل بالوسط البشريّ.

14 يناير

قضيت كامل اليوم منغمسا في موضوع قطعة مسرحيّة (...) فكّرت في كلّ شيء لكنّني لم أحتفظ بأيّ شيء، منذ بروميثيوس إلى هذه الباخرة الممتلئة باليهود، التي أغرتني فكرة أن أكتبها[550] (...) لم أكتب أيّ شيء تقريبا في الدّفتر.

---

549. هل لديه ارتياب من الحب الذي تكنه له كل من بيانكا وفاندا بل حول هذه الامكانيات التي يمكن ان توحي بالحب وبالرغبة؟ سيكون هناك عنصر يفسر اللا نتيجة العاطفية.

550. المقصود به سان لويس الذي تابع سارتر مأساته التراجيدية في وسائل الإعلام. حكاية باخرة ممتلئة بما يقارب ألف يهودي هاربين من النازية انطلقت من هامبورغ في30ماي 1939 في اتجاه كوبا أين أرست بأحد موانيئهاغير إن قانون الهجرة تغير في هذا البلد وبعد فشل جميع المفاوضات مع السلطات الكوبية عادت الباخرة لتخوض غمار البحر مجددا في اتجاه فلوريدا، ورفضت السلطات الإمريكية بدورها استقبال اللاجئين مما جعل الباخرة تعود أدراجها في اتجاه اوروبا مما نتج عنه معاناة كبيرة للمسافرين الذين فقدوا الأمل في كل شيء.. انظر رحلة الملاعين لتوماس ومورغان عن دار النشر بلفون باريس 1976 وقد تم تحويل هذه الحكاية إلى فيلم من إخراج ستوارت روزنرغ في نفس السنة.

15 يناير

أعدت هذا الصّباح قراءة محاضرة هايدجير ما هي الميتافيزيقيا؟، وصرفت ما تبقّى من اليوم، من أجل أن أتّخذ وضعيّة تجاهه، فيما يخصّ مسألة العدم. من المفروض أنّ بيانكا قالت لك «إنّني أعددت نظريّة بخصوص العدم. لم تكن متقنة جيّدا، وها هي اليوم قد صارت مكتملة» (...) لقد كتبت اليوم أنّ فلسفتي، تتملّك ما به تغري الآخرين، لقد استطاعت أن تلعب دورا مركزيّا في حياتي، يتجاوز أنساقها ومفاهيمها، إلى حمايتي من حالات الكدر، والاكتئاب الّتي رافقتني، ومن أحزان الحرب، فضلا عن أن لا رغبة لي الآن في أن أجعلها مبرّرا لحياتي، لأنّ الفلسفة والحياة واحد[551]. وهو ما لا يعني شيئا لأنّه بالنّسبة إلى الجمهور المثقّف، هناك مقاطع مزعجة. وبدأت تظهر فيها أشياء مؤنسة في المقابل: هناك مقطع مّا حول الحفر عموما، وآخر مخصّص للشّرج والحبّ على الطّريقة الإيطاليّة (...) بدأت في كتابة دفتري التّاسع.

16 يناير

يشتغل سارتر على نظريّة العدم في دفتره: 1*تلغي لجوء هوسيرل إلى لاهيل[552]–2* تفسر الوحدة في العالم من خلال تعدّدية الضّمائر–3* تسمح بتعلية الواقعيّة والمثاليّة نهائيّا(...) لن أفسّرها لك لأنّني أريدك أن تتابعي ولادتها بقدر ما أكتبها في الدّفاتر.

يدقّق للكاستور فكرته عن وضع الإنسان اليهوديّ: أليس من الممكن (...)أنّه بتحمّل شخص مّا نفسه كيهوديّ، نعترف بالقيمة الثّقافية والإنسانيّة لليهوديّة، ومنه نستوحي المبدأ الّذي بواسطته نقوم ضدّ اللّاساميّة، ليس من منطلق أنّ اليهوديّ هو إنسان، ولكنّه يهوديّ لأنّه يهوديّ.[553]

---

551. بالفعل هناك توتر ذاتي حساس جدا في الوجود والعدم ناتج عن هذه الدفاتر فهناك وصف درامي للوجود الفينومونولوجي للوجود المغير للآنية: الوقائعية، دوامات سوء النية معبَّر عنهما بالأنا الفردية. لهذا السبب جذب الكتاب أنصارا جددا للفلسفة، مدعوين للفهم من خلال خيط البحث الحيوي جدا للكاتب برغم صعوبات النص.

552. انظر التدوينة 4 صفحة 405.

553. كانت هناك في الغالب مؤاخذات كثيرة على ردود فعل حول المسألة اليهودية (1946) خاصة خلال سنوات السبعينيات، تصوره "لليهودي الأصيل " التي تقوم بتجرد اليهودية "باعتبارها قيمة إنسانية" ولقد اعترف سارتر بذلك ويفسروجهة نظره بأن اليهود مباشرة بعدالحرب وخاصة أولئك

الرّواية: يكتب فصلا حول شخصيّة بوريس ويعتزم إعادة كتابة نصّ عصر العقل.

قراءات: هايدجير وبينما كنت أحتضر لفولكنر[554].

17 يناير

يكتب سارتر ردّا على رسالة مارتين بوردان، الّتي عاش معها مغامرة عاطفيّة السّنة الماضية يكتبه بأسلوب العاشق، وهو ما ستنجرّ عنه أزمة علاقة مع فاندا، وبطريقة غير مباشرة مع سيمون دي بوفوار (رسائل للكاستور بداية من 23 فيفري)

دفتر: كتابات حول الحرب، وتصوّر للتّحالفات.

18 يناير

(...) شرعت في تدوين بعض الأشياء القصيرة حول البراءة(...)

قراءاة: القسم 22 لأرنست غلايزر[555] بالألمانيّة.

19 يناير

كتبت شيئا مّا عن المساعد ثمّ كتبت عن العزلة، وجدت متعة في ذلك (...) كتبت بشكل مطوّل في الدّفتر (...) أعطيت لميستلر درسا حول الجنس هذا المساء أمام الرّفاق.

20 يناير

بالنسبة إليّ فقد انطلقت في الميتافزيقيا. إنّها شاقّة وصعبة لكنّها تستحقّ العناء، وتتجاوب مع الأخلاق، سوف تكون هذه الدّفاتر مقالة في الفلسفة. اشتغلت كامل ما بعد الظّهيرة، ليس بنجاح كبير *حول* «**mit-seen**»[556] عموما ما نحن بصدد فعله إلى حدّ الآن كظاهراتيّين صغار هو الأنطولوجيا. نبحث عن ماهيّات الوعي مع هوسرل، وعن وجود الموجود مع هايدجير. أمّا الميتافيزيقيا فهي كينونة (...) لا تعطي قيمة للماهيّات (...) بل

الذين يعاشرهم كانوا قلقين من أن يعترفوا بهم كأناس وكمواطنين بحقوق كاملة أكثر من كونهم أمناء على اليهودية. وهو ما يجعلنا نستنتج إن ردود فعل سارتر الأولى تفكر في الانسان اليهودي تحت غطاء يوم محسوس.

554. غاليمار 1934

555. نشرت دار فيكتور اتينغر القسم22 بالفرنسية سنة1929.

556. الوجود-مع هايدجير.

للوجوديّات المحسوسة والمعطاة، ونتساءل لماذا هي هكذا(...)

21 يناير

(..)كتبت حول الميتافيزيقيا حتّى منتصف النّهار، إنّها لا تشبه في شيء الفينومونولوجيا الهوسرليّة، ولا الهايدجيريّة، ولا أيّ شيء. لا تشبه كلّ أفكاري القديمة حول الإدراك الحسّيّ والوجود، أفكار ميّتة قبل أن تولد، لقلّة التّقنية، لكن يمكنني الآن أن أتوسّع مع كلّ التّقنية الفينومونولوجيّة والوجوديّة (...). بعد الظّهيرة اشتغلت على الرّواية، وعند المساء قدم ميستلر، وحدّثت الجميع عن حرب إسبانيا. والآن كما هو معلوم: يأتون عند المساء بلتر من النّبيذ الأبيض، يتحلّقون من حولي، أنا أخطب وهم ينصتون. شيء طريف، كم أنّ علاقاتي مع النّاس في (معهد المعلّمين –برلين –هنا) تتكرّر متشابهة عبر تنوّعات العمر والتّجمّعات(...)

22 يناير

يعلن سارتر في رسالته للكاستور بتاريخ اليوم (ملغاة في طبعتها رسائل للكاستور وآخرين) استعادة ردود فعله حول الأخلاق، مُحرَّضا برسالة من بيانكا حدّثته فيها عن مسألة الأخلاق والاستحقاق:

(...)أردت أن أعرف من أين يأتيني في داخلي (من جهة الدوافع) هذا المفهوم لأخلاق دون استحقاق (...) أخذت دفتري وقتها وبدأت أكتب. غير أنّ الوقت تأخّر جدّا، فلقد اشتغلت طويلا على روايتي. كنت في البداية أكتب متردّدا، ثمّ انغمست في الكتابة ولم أتوقّف إلّا قرابة منتصف اللّيل.

تشغله فوضى غرامياته وتبلبله. بدت سيمون دي بوفوار منتقدة جدّا لبيانكا الّتي لا تحبّها، أصبح من الضّروريّ أن يقطع سارتر علاقته بها لكنّ ذلك يعذّبه. حذرا؛ يدعو الكاستور لإعادة التّفكير في مبدأ الحياة الفرديّة في ثنائيّتهما: تعجبينني كثيرا وهذا ممّا لاشكّ فيه (...) يبقى أنّه يخامرني وسواس: حين غضبت منذ سنة أو سنتين معتقدة أنّك شيء مّا في حياتي (...) وليس حياتي كلّها، ألا تتموقعين شيئا مّا في زاوية التّكافل الّتي تضايقك جدّا عند بيانكا؟ أكتب لك كلّ هذا ببرودة وليس للدّفاع عن الّتي أغرقتها، إلى درجة أنّني لم أعد أستطيع الكتابة إليها، لكن حبّا للاطّلاع واعتبارا لك أنت فقط. أريد أن أعرف إن كنت في هذا الغضب الغراميّ سيّئ النيّة، أم أنّ حياتنا المتفرّدة مختلفة بشكل قطعيّ عن التّكافل الّذي

تحلم به بيانكا (عوض أن تكوني أعلى منها تراتبيًا في النّوع نفسه)

23 يناير

(..) قضيت كامل الصّباح أكتب حول فكرة الكلّيّة والأخلاق دون استحقاق، وهو ما سبق أن تحدّثنا بخصوصه.

24 يناير

اشتغلت على روايتي. الفصل المتعلّق ببوريس مكتمل البناء، وقد كتبت قليلا حول الميتافيزيقيا، أعتقد حقيقة أنّ ما أكتبه جيّد جدًا. وأنا أعبر الفينومونولوجيا عثرت على الدّوغمائيّة، احتفظت بكلّ هوسيرل الوجود-في -العالم، ورغم ذلك بلغت إلى واقعيّة جديدة مطلقة (أين أدمجت النّظريّة الجشطاليّة (..) كلّ شيء مرتّب بحكمة حول فكرة العدم أو حدث صاف في قلب الوجود.

يقرأ سارتر جيل دي دريو لا روشيل، الّذي لا يحبّه، يتصفّح روايتي جول رومان اللّتين تأتيان بعد فردان: فورج ضدّ كينات ونعومة الحياة.

25 يناير

(...) ملأت ثمانين صفحة من الدّفتر (...) لأنّني هذا الصّباح وأنا أستفيق من النّوم حدست بالطّريقة الّتي أؤلّف بها رواية مّا كنت أتخيّلها؛ صدمني الأمر (ما قاله ليفي جمّدني: من أنّني لا أمتلك مخيّلة روائيّ وأعرف أنّك ناقشت الأمر مع بيانكا، وقلت لها إنّنا نحسّ جيّدا ما هو مبتكر عند فولكنر). وأردت أن أدوّن هذا في دفتري (...) شرع بياتر في قراءة نعومة الحياة الّتي تبدأ بنقد لاذع لليوميّات الحميمة، وهو ما جعله يدفع الكتاب مفتوحا على الصّفحة الّتي توقّف عندها أمام ناظري، وعلى وجهه ابتسامة ماكرة. نقلت المقطع في دفاتري لأنّه صحيح جدًا، لكنّني أريد أن أدافع عن نفسي[557].

طلبت مجلّة بحوث فلسفيّة مقالة من سارتر للنّشر: «لن يسلّمها مقطعا من دفاتره حول العدم، إلّا إذا كان من الضّروريّ خلال النشر شطب الصّفحات، الّتي تتضمّن مقاطع

557. للتذكير إن نعومة الحياة رواية في شكل يوميات لجاليزوالتي تبدأ بتفسير اشمئزازه من اليوميات الحميمة: " يبدولي إنه لامجال للمقارنة بينها وبين القوة، غزارة الذهن والروح التي لا تتماشى مع(...) دونما ثقة تجاه مستقبل غيرمهيء غيرمختل "...

فلسفية تقنيّة إلى أبعد حدّ: وفي المقابل إن رأيتم أنّ حكاية أفكاري حول العدم الّتي دوّنتها يوما بيوم، هي أيضا مهمّة أكثر من الأفكار، فذلك أمر آخر» [558].

26 يناير

يكتب سارتر في دفتره حول جيل، رواية دي دريو دي لاروشيل الّتي صدرت مؤخّرا: ثمّ أتقزّز كثيرا من شخص يشتكي دائما من زمنه. يُنفرني حين يتحدّث عن معاصريه قائلا: لقد تركت نفسي أُسرق منهم، كنت سوف أخجل في مكانه، ففي آخر الأمر لم يكن مجبرا. بل سوف أخجل أكثر إلى درجة أنّني لن أتّهم معاصريّ بل أتّهم نفسي(...)

28 يناير

لاحظت أنّه في بداية هذه الحرب صدر كتابان يُفسدان، لأسباب مختلفة السّيرياليّة: كتاب رومان، وكتاب دريو، وعملت على قول ما أنا مدين به للسّيرياليّة(...)

أحاسيس: أحبّك كثيرا بيانكا. ها هي الآن مهذّبة، مهمومة، لأنّها ليست أصيلة. يجعلني هذا أضحك لأنّه يصنع قدرة الكلمة (...) الأصالة مفهوم لم يتحدّد بعد بشكل جيّد، أنت لا تسمعينه دون شكّ بنفس الطريقة الّتي أسمعه بها، لو نحن الإثنان بنفس طريقة هايدجار (...) سوف أكتب لها ليس لأنّها ليست أصيلة بل لأنّنا نحن الإثنان لسنا كذلك، لأنّه في أخر الأمر؟

29 يناير

يستعدّ سارتر للكتابة عن تابعه ميستلر الذي يراه مطيعا جدّا.

30 يناير

الرّواية: أنهيت مقطعا حول بوريس ولقائه بدانيال(...)

قراءات: فورج ضدّ كينات (رومان) ومسافرو الامبريال (أراغون في عدد يناير من المجلّة الفرنسيّة الحديثة).

---

558. يفكر سارتر إذن في نشر هذه الدفاتر، رغم أنّه في البداية كان معترضا على ذلك على أن تنشر بعد موته.

الملحق الرابع

فترة الدّفتر الثّامن

من خلال رسائل إلى الكاستور

من 1 إلى 5 مارس

1 و2 مارس

يواصل سارتر تحليل علاقاته مع الغير:

تخيّلي كتبت بخصوص هذا الموضوع مائة صفحة أوّل أمس، ولم أخلص منه. للأسف، غير أنّه من المفروض أن أتحدّث عن أولغا، عن بوست، عنكِ أنتِ، عن فاندا، عن بيانكا. وهو ما جعلني أزيّف حقائق كثيرة عن غير جدارة. قبل حكاية أولغا كتبت جملا غامضة حول فاندا معلنا تحوّلا كلّيّا مفاجئا فيها بعد(...)، لقد انتبهت جيّدا لمنابع سلطتي(...) وفي الوقت الحاليّ لن أفكّر أبدا في نفسي، لقد دفنت كلّ هذه الحكايات، ولن أعيد الحديث عنها إلّا معك أنت حين نلتقي.

3 مارس

عدت لكتابة روايتي وأهملت الدّفتر.

قراءات لكتب تاريخ: الرّحلة إلى المكسيك لإيميل أوليفييه وبيسمارك لدولودفيك.

الملحق الرابع

تال ل10 أبريل

من خلال رسائل إلى الكاستور

يبدو أنّ سارتر لم يباشر الكتابة في دفاتره على إثر عودته مباشرة من الرّخصة.

10 أبريل 1940

علم بهجوم الألمان على الدّانمارك والنّرويج في قطار العودة. يقرأ سيرة لدوستويفسكي وعلى الأرجح هي من تأليف هنري ترويا.

11 **أبريل**

توقّفت عن الكتابة نهائيّا في الدّفتر.

12 **أبريل**

يغمرني ارتياح كبير أنّ الدفاتر أعجبتك(...) غير أنّه ولعلمك، لقد توقفت نهائيّا عن الكتابة فيها. أستعجل الانتهاء من روايتي.

13 **أبريل**

أشتغل اليوم على موت لولا[559]

يستمع سارتر لأخبار إذاعيّة متضاربة حول حرب النّرويج. منذ مدّة أنغمس في لعب الشّطرنج مع بياتر بشكل هوسيّ، ولم يعد يراه مجرد رفيق بل هو صديق حقيقيّ.

قراءات: الوضع البشريّ.

14 **أبريل**

أعدت كتابة كامل المقطع الّذي يتحدّث عن موت لولا، وأصلحت بعض الهنات الأخرى. الجذّاب في كلّ هذا، أنّني أعيد الكتابة وأنا مستمتع؛ وإذا وجدت أنّ شيئا مّا غير مقنع أعيد كتابة شيء آخر.

15 **أبريل**

قراءات: زمن الازدراء لأندريه مالرو[560] مستواها أقلّ بكثير من الوضع البشريّ.

---

559. الفصل السابع من رواية عصر العقل. لولا لن تموت في الحقيقة وهو يقصد هنا الفصل الذي اعتقد فيه عشيقها أنّها ماتت.

560. غاليمار 1939

16 أبريل:

الرّواية: شرعت في كتابة الحوار الّذي سوف يختم اللّقاء بين ماتيو ودانيال. أنغمس فيه كثيرا، وأعتقد أنّه جيّد رغم صعوبته. استعدت كلّ رغبتي الّتي كنت أشعر بها السّنة الماضية في التّرقّب، وصارت تلازمني كامل اليوم.

الدّفتر: فكّرت أن أدوّن هذا بدفتري، غير أنّني عدلت عن ذلك وفكّرت أن أحكيه لك، أفضل من كتابته في الدّفتر (الدّفتر يتوجّع): أكنس بمكر، يلازمني شعور بالقيام بخدعة متقنة للضّبّاط، وأن أجعلهم يعتقدون أنّني أكنس. أتقن خدعتي بحبّ كبير إلى درجة أنّ مكاتبهم صارت في نهاية المطاف، غاية في النّظافة.

قراءات: الأمل لأندريه مالرو. .

17 أبريل

(...) لم أعد أفتح دفتري الصّغير. لأنّ الرّأس فارغة. للحقيقة أشعر أنّه يمكن أن تمتلئ لوفتحت الصّنوبر وقتها سوف يمتدّ الأمر لستّة شهور. غير أنّ ذلك لم يعد يهمّني إطلاقا: فأنا مشغول جدّا بمرجعة روايتي.

سوف يهتم سارتر إلى حدود 25 أبريل ببناء شخصيّة مارسيل الّتي تضايقه مذ زمن طويل: صحيح أنّها عكس شخصيّة إيفيش-المستوحاة من الأختين كوزاكيفيتش- وعكس شخصيّة ماتيو، فهي تعكس ما يفكّره هو حول نفسه، شخصيّة مارسيل عشيقته مبتكرة (رغم أنّ في علاقتها بعض خصوصيات علاقاته بسيمون دي بوفوار[561]. لم يكن يعرف يوم 25 نوفمبر إن كانت امرأة قويّة أو ضعيفة (رسالة إلى الكاستور) المشكل أنّ ماتيو هذا الشّخص الباحث عن الحرّيّة الحقيقيّة يجب أن تكون عنده أسباب للتّعلق بعشيقته في حين أنّها يجب أن تكون رمزا لكلّ هذه الحياة النّاعمة بالارتياح الفكريّ والأخلاقيّ، حيث لن يكون حرّا.

18 أبريل

---

561. حقيقة إنها «شاهده» هذه التيمة الشبحية "لامرأة جميلة " تكون شكلا من أشكال الحَكَم-الشاهد لحياته هو حاضرفيه منذ مراهقته (في كتابات الشباب " دفتر ميدي ") وسوف تلح عليه هذه التيمة حتى أثناء بلوغه سن الرشد، مثلا حراس ألتونا.

لم أعد أفكّر أبدا. ورغم ذلك أنا نشيط كامل اليوم -بيْد أنّي فقدت نهائيّا الوهم بخوض الحرب-بسبب روايتي.

19 أبريل

تخوُّف جديد من الجنون.

حلمت بشيء بريء جدّا حول لندن، وشعرت بجوّ يتغيّر دون أن يحدث أمر مرعب في حلمي. كان معنى الأشياء هو الذي يتغيّر. هو الشّيء نفسه، كالعادة، ليل لندن في أزقّتها المقفرة، في تناقض غريب يجعل من تلك اللّيلة تافهة ومحيّرة، إذ كانت تتّصف بنوع من الانعكاس المحرق لمنتصف النّهار في شهر يونيو. أفقت بحذر قبل رؤية مجرمين يظهرون أو كلابا مسعورة قد تكون مصحوبة بتغيّر في المناخ[562]. وجدت أنّي أخفي بداخلي فقّاعة قلق نقيّ يبدو أنّها استقرّت في جسدي (...) ثمّ تركّز هذا القلق على كلمة واحدة: مجنون. .. سرعان ما أصبحت غير مسالمة بلا صور ولا تمثّلات بأيّ شكل من الأشكال(...) عند هذا الحدّ تبخّر كلّ شيء وانفلقت الفقّاعة ونمت.

21 أبريل

يحكي سارتر بشكل مطوّل سهرة البارحة في مسرح الجنود. كان قد أشار في دفتره منذ أسابيع مضت إلى هذا الفصل من الحياة العسكريّة ويلخّصها في رسالته إلى الكاستور.

23 أبريل

تدفعه جملة من أندريه مارو في روايته الأمل (يعود الأساسيّ من جديد... يجب أن يتمّ تأسيس العقل مجدّدا) إلى تقييم سلبيّ لروايته هو:

تعلمين، أنّ هذا هو بالضّبط ما أفكّر فيه، أفكّر هذه الأيّام أنّه الآن فقط سوف نجني نتائج انعدام الإيمان. لكن لا شيء من كلّ هذا يظهر في الرّواية وهو محزن لي جدّا. ليس هذا بسبب خطأ تقنيّ، لكنّه في الحقيقة بسبب ذلك التّلوّث الذي كنت فيه حين انفجرت الحرب.

---

562. ربما نتجت هذه التيمة المتجلية عن هذا الحلم الذي يبدو نذيرا (لندن في خطر) إن هتلر يصعِّد في خطاباته من كرهه المهدد لإنقلتراأكثرمن تهديده لبقية البلدان التي تتهمه بإنه المسؤول الأول عن الحرب.

حسّاس، وبصياغة غير واضحة، بدا سارتر في رسالته لذلك اليوم متشائما حول مصير الحرب الجارية.

25 أبريل

حديث عن حضوره لمتابعة محكمة عسكريّة جرت عند الصّباح.

26 أبريل

عليك أن تتخيّلي، لقد عدت للكتابة شيئا مّا في الدّفتر. فقط لتدوين ملاحظات بخصوص أندريه مالرو، أنّ الأصناف الرّئيسيّة لعلم الأخلاق هي: أن تكون، أن تملك، أن تعمل. وأنّ الرّوابط الديالكتيكيّة الممكنة بينها موجودة. مثال ذلك: مالرو: لا بدّ من الاختيار بين الوجود والعمل – روجومون [دينيس روجومون مفكّر ومترجم سويسريّ] يقول بخصوص دون يونيو إنّه لم يكن بالقدر الّذي يمكنه أن يملك به(563). وأنا أتوغّل في تحليل الفكرة أسرّب تدوينة. غير أنّ مجموع ما كتبته منذ عودتي من الرّخصة لا يتجاوز عشر صفحات. وهو أمر جيّد. سوف أحصل على ثلاثة أشهر إجازة، وأتفرّغ لإنهاء الرّواية. وبعدها سوف أعاود الكتابة في الدّفتر. سوف أكون جديرا للعودة للكتابة فيه مجدّدا وستكون 15 التي كتبتها"" في ذمّة الماضي. إنّه لمدعاة للضحك أن يعيش أحدهم حياة طبيعيّة وليس له دفتر خلفه، مثلما تنطفئ الحرائق حالما نعيشها، مثلما الأصالة بالأساس، وبمعنى مّا هي مسألة يوميّات حميمة (لا تعتقدي أنّني سوف أبصق كل شيء بداخلها)

28 أبريل

هل سيروق لك أن أضع الهيبة عنوانا للسّلسة الكاملة لماتيو؟ (...) لأنّ المسألة في نهاية الأمر تتعلّق بالأصالة أكثر منها بالحرّية بصفة أدقّ.

30 أبريل

عودة مع فرقته إلى مورسبرون. يعتقد أنّه انتهى من بناء سلوك مارسيل.

1 ماي

---

563. الحب والشرق عن دار بلون 1939قدّم سارتر عرض قراءة لهذا الكتاب في عدد15جوان 1939 مجلة أوروبا (أعاد نشره في كتاب مواقف 1).

564. هو بصدد الشروع في الخامس عشر.

قرأ سارتر في دريدة باري-ميدي ليوم 25 أبريل، ملاحظة حوله حيث هناك إشارة لوجود الدّفاتر.[565]

2 ماي

يواصل الاهتمام بغيوم الثّاني الّذي قرأ عنه سيرة أخرى، كتبها موريس موريه[566]، لا يبدو أنّه كتب عنها في دفتره.

3 ماي

يلقي سارتر بنفسه في دوّامة عاطفيّة ملتبسة تكشف مدى تعلّقه بأولغا، دون أن يقرّ بذلك، وقد علم من الكاستور أنّ الفتاة الشّابّة تعيش مغامرة عاطفيّة مع أثيوبيّ جميل، يشتدّ هيجانه ضد الأختين إلى درجة أنّه يفكّر في قطع علاقته بفاندا الّتي يعتقد -ربّما خطأ -أنّها اشتغلت دور الوصيفة المصاحبة لأختها.

4 ماي

قطع علاقتي بفاندا سيكون مسخرة لأنّ أختها خانت حبيبها[567].

5 ماي

قراءات: جريدتا حرب. أربعة أشهر ملاحظات عون اتّصال[568] لأندريه شامصون ولوميار بلو.25 أوت-25 ديسمبر1939 لشارل يرايبلن[569] عزلة جماعيّة لمارغريت كينيدي[570]؛ «يوميّات صاموئيل ببيبس»[571].

---

565. يعلن البلاغ المقتضب في إحدى الصحف وعنوانه "مُتوَّج غير عادي" وموقع باسم "الحارس" إن الجائزة الشعبية كانت من نصيب الجدار: هذا الكتاب الذي تم استقباله إبان صدوره بحركات متعددة وهو ذو تأثير – وجرأة- لافت (...) والمتوج بصفته المدنية هو أستاذ فلسفة وهو اليوم في جهة ما مُجنَّد: يتأمل الكواكب ويقيس درجة سرعة الرياح، ويقال إنه يكتب في نفس الوقت يومياته التي قد تصدر بعد الحرب. ومن المِكد إن قراءة هذه اليوميات سوف تكون بنكهة مختلفة".

566. أرتام فايار 1940.

567. أولغا هي عشيقة جاك لورين بوست وسوف تتزوجه فيما بعد.

568. فلاماريون1940

569. فايار 1940

570. بلون 1939

6 ماي

تلقى سارتر كلمة من بول نيزان الّذي انضمّ الى كتيبة أنقليزية (سوف يُقتل في 23 ماي).

8 ماي

وقد أتمّ ترتيب عواطفه، يحاول سارتر أن يثُني الكاستور عن الكتابة لبوست المجنّد بدوره، الّذي عاشت معه أولغا مغامرة عاطفيّة؛ يدافع عنها: هل نحن الّذين صنعنا ك (...) ضحيّتنا الوحيدة بل الأكبر.

9 ماي

قراءات: مديح التّهوّر لمارسيل جوهاندو[572].

10 ماي

لقد تمّ اليوم الهجوم على بلجيكا وهولندا (...) الانطباع غريب هنا ومختلف جدّا عمّا ساد إبّان الهجوم على النّرويج: كما لو أنّه مجرّد عزاء. الانطباع بلمس الواقع –حتّى وإن كان كارثيّا– بعد ثمانية أشهر من حرب عفنة(...)"

يفكّر سارتر في مصادر اللّغة المخصوصة بها وذلك بمناسبة ملاحظة لموريس باراين حول المدعوّة سيمون دي بوفوار.

12 ماي

هيجان مفاجئ لسارتر على إثر استلامه رسالة من فاندا المرتعبة من الأحداث الجارية، وربّما تكون شديدة المرض:

كفّي لا يجب أن أتركها تقع هذه المرّة. ولا يجب أن أساندها بمجرد كلمات طيّبة.

ها قد انتهيت من الكتابة إليها الآن وقلت لها إنّني مستعد أن أتزوّجها إن شاءت، وإن لم تكن الإجراءات طويلة جدّا. سوف أتدبّر الأمر لرخصة بثلاثة أيّام. أعتقد أنّك لن تتقبّلي هذا القرار[573] (...) ها قد قلته لك وقد قررت ذلك: منذ الآن أريد أن أقوم بكلّ ما أستطيع فعله من أجل فاندا.

---

571. غاليمار 1937و1940

572. لي كاييه دي صيد 25افريل 1932 مارسيليا.

573. رسائل سيمون دي بوفوار إلى سارتر من 24مارس إلى 10جويلية مفقودة.

يسمع المدفعيّة تقصف في محوره ويعتقد أنّ الكارثة على الأبواب: ألا يتطلّب الأمر منه في الأخير أن يقوم بفعل مّا، قبل أن يغيب؟

من 13 إلى 23 ماي

تبادل إطلاق نار بين المدفعيّة الفرنسيّة والطّيران الحربيّ الألماني: بقيّة الوقت نعيش كأن لا شيء يحدث.

يواصل سارتر كتابة روايته خاصّة الفصول الّتي تحضر فيها مارسل.

من حين لآخر أجدني متحمّسا للكتابة في دفتري. ولقد واصلت الكتابة أثناء الجزر الجزئيّ للحرب، وأهملتها في اللّحظة المناسبة.

في 17 ماي كتب إلى فاندا يعلمها أنّه تمّ إلغاء رخص الزّواج، لن تتلقّى الشابة هذه الرّسالة الّتي حصلت عليها الكاستور (عن طريق الخطأ؟) وقرأتها رسائل للكاستور بتاريخ 25 ماي.

رغم دخول الجيش الألمانيّ إلى فرنسا، مازال سارتر يعتقد أنّ الحرب لم تـُحسم بعد.

24 ماي

إنّه شيء آخر يحدث الآن –شيء آخر، غير ما كان يحدث خلال الأيّام العشرة الأخيرة، إنّها المعركة بالفعل، هذه المرّة (...) خلال يوم أو يومين (...) منذ يومين أو ثلاثة لم أتصوّر أن يحدث هذا حتّى في المستقبل البعيد: كيف يمكن العيش بعد كلّ هذا... وتصبّب منّي عرق بارد. لذلك قرأت هتلر قال لي. قرأت أيضا حول التّهجير المنهجيّ الّذي يمارسه الألمان في بولونيا (في مجلّة باريس عدد1 ماي...) وهو ما زاد في ضيق القلب. والآن منذ يومين أو ثلاثة تغيّر الأمر. فأنا بالأساس رائق مع انفعالات عصبيّة مفاجئة شبه استبطانيّة. هناك الكثير من الإرهاق، لقد كان بول وبياتر ودودين معا إلى أبعد حدّ، لكن ليس الحال نفسه مع البقيّة، ولا أستطيع أن أتحدث عن ذلك[574] سوف أعود للكتابة في الدّفتر بعد أيّام قليلة وسوف أتحدّث عن ذلك بشكل أدقّ. هناك الكثير ممّا يجب أن يقال أكثر ممّا يمكن أن أقوله هنا.

574. يرغب سارتر في التلميح لسلوكيات بعض الضباط.

25 ماي

بداية الكارثة العسكريّة: أتخيّل أنّ الرّقابة لن تدع مجالا لوصول أيّ شيء: كلّ شيء يمضي كالمعتاد هنا (...) في الانتظار نحن هنا لسنا في المحور. وهو ما يجعلنا في حرّيّة تامّة.

قراءات: حكاية مقتضبة من النّرويج كي أكون على علم بما يحدث[575].

27 ماي

ها إنّني صرت وبالقوة أنقى حين أكتب، لم أشعر بذلك الغرور وتخلّصت من تلك الآمال الصّغيرة لمن يرى نفسه كاتبا، والتي ما كنت أستطيع مقاومتها بداخلي(...) وفي جميع الأحوال أنا أكتب، هذا ضدّ إفلاس الديمقراطيّة والحريّة، ضدّ هزيمة الحلفاء-رمزيّا- ساعيا في ذلك إلى أبعد حد كما لو أنّ، كلّ شيء سوف يعود إلى مكانه الطّبيعيّ.

29 ماي

مداخلة إذاعية لبول راينو يعلم من خلالها سارتر بهزيمة بلجيكا: (...) يبدو أنّنا نخوض مغامرة وحياتنا الشّخصيّة تمّ اختزالها في الخمول: أكل، نوم -عمل قليل- ولا شيء من هذه الزّاوية يميّز يوما عن آخر. إنّها حالة غريبة(...)

30 ماي

لست متضايقا وحياتي ليست قاتمة كما تعتقدين. وجدتني في البدء مأخوذا بلعبة الشّطرنج في شغف مهووس يستبدّ بي أحيانا وتكرهينه أنتِ. ثمّ هذه المعركة الّتي غرقنا فيها عبر الرّاديو، وفيها شيء مّا كارثيّ وفاتن.

1 يونيو

(...)ماذا عن دفاتري؟ هل هي مدفونة بجهة مّا في الأرض ممزّقة قطعا أم أنّ بيست الصّغير أنقذها[576] إن كانت قد ضاعت، ليس ذلك مُهمّا، ذلك أنّها لا يجب أن ترى النّور،

---

575. هو يقصد تقريبا: النرويج نظرة تاريخية جغرافية، سياسية اقتصادية مخاصرة لجاكوب فيدناس أوسلو 1934

576. تركت الكاستور لبوست خلال زيارته له في مخيمه يوم17مارس بعض الدفاتر وهي على الأرجح الخامس، السابع، التاسع والعاشر والأكيد إن هذه الدفاتر قد ضاعت بنهاية شهر ماي، حين جُرح الشاب في جبهة سيدان.

ولن يجعلني ذلك بائسا. وإن كانت سليمة فبودّي أن أعرف ذلك (...) ما يمكن أن أندم عليه هو كتاباتي الفلسفيّة الأخيرة أكثر من كتاباتي الشّاقّة مع نفسي. وفي الأصل لا بدّ أنّ هناك الكثير من هذه الكتابات الفلسفيّة في دفاتر تحتفظين بها عندك، بما يمنحني إمكانيّة التّصرّف.

2 يونيو

بخصوص كتاب عصر العقل الّذي مازال يشتغل عليه إلى الآن: (...) يجب على الآخرين أن يفهموا، إن كنّا أحرارا، فنحن أحرار ليس فقط في اختيار أفعالنا ولكن أيضا الخير لنا، على أنّه (كافكا، كيركيغارد) لا يجب على الخير أن يكون تعسّفيّا، رغم أنّنا سوف نكون متّهمين باختيارنا له. كما هذا المثل الواضح: أن يتزوّج ماتيو مارسيل أو لا يتزوّجها، فهذا واضح جدّا وليس فلسفيّا..

5 يونيو

لا يجب أن تكوني مضطربة جدّا ياصغيرتي الرّقيقة بسب الدّفاتر. لا يمكنك أن تتخيّلي بأيّ شكل من البهجة قد أتقبّل فكرة ضياعها. إنّ أهمّ ما بقي عالقا في ذهني في النّهاية هو العدم –وسوف يكون موضوع كتاب. وفيما يتعلّق بالحرب فإنّ الكثير من الملاحظات حولها لا معنى لها. يبقى سلوكي. فهو لن يضيع أيضا (...) إنّنا نعيش مقطوعين عن مستقبلنا – خاصّة الأدبيّ– ومن العبثي الآن الكتابة في الدّفاتر لذلك لست نادما. أريد فقط أن أعرف هل مازالت هذه الدّفاتر موجودة، في حال فكرت في مواصلة هذا العمل بعد الانتهاء من روايتي.

قراءات بالصّدفة: سيرة لاو[577]

8 يونيو

الرّواية: أستمتع وأنا أكتب اللّقاء الأخير، والمشهد الهائل بين ماتيو ومارسيل.

قراءات: مدام بوفاري، عدد ماي من المجلّة الفرنسيّة الحديثة، خاصّة مقالة جورج برنانوس: إنّنا نعود إلى الحرب.

ما كتبته لي حول هذه الغرابة الّتي قد تحدث إن تحقّق الأسوأ، أحسست به فعلا (...) ما

---

577. على الأرجح حياة جون لاو دينوال 1938 باريس.

بين 18 و20. لقد عشت الأسوأ بالفعل، وكنت قد أعددت نفسي لذلك. لازمتني فكرة (...)أنّ كلّ حواجزنا الإيديولوجيّة الّتي ساعدتنا في أن نعتقد أنّ الألمان مجانين وحقيرون ليس لها أيّ أهمّيّة أمام الضّرورة التّاريخيّة الّتي قد تضعها في صفوف الأقمار المسنّة لو أنّ الألمان منتصرون(...) لم يكن لديَّ ما أتعلّق به سوى أصالتي النّقيّة والبسيطة.

9 يونيو

أخيرا رضي سارتر عن شخصيّة مارسيل.

يبدو لي أنّ مارسيل حيّة الآن، فتيّة، عقلانيّة، ورغم ذلك ماكرة، شغوفة، مريضة، جادّة جميلة وبلا رحمة، مغرورة على طريقة جدّتي في الجانب السّلبيّ.

يدوّن لأوّل مرّة منذ26 أبريل أنّه كتب شيئا مّا في دفتره:

*(...)*بعض الصّفحات حول العدم.

غادرت كتيبة سارتر مورسرون في حدود 10يونيو. تمّ أسره على إثر بعض المصاعب في 21يونيو ببادو وهو دائما برفقة بول وبياتر.

23 جويلية 1940 مازال يكتب في دفاتره بمعتقل الأسرى في باكارات :

(...) حلت بنا كارثة لأكثر من عشرة أيّام أوصلتنا إلى نواحي إيبينال وهي دونها شكّ واحدة من أغرب الحكايات الّتي قرأتها أو سمعتها. دوّنت كلّ شيء في دفاتري، الّتي مازلت أكتب فيها حتّى وأنا هنا، إن كان هناك شيء ما يجب أن أقوله. أنهي روايته وعثر على عنوان مناسب لكتابه الميتافيزيقيّ الّذي خطّط له في الدّفاتر: **الوجود والعدم**.



جان بول سارتر

دفاتر الحرب الغريبة

أتفرَّس في حاضري من وجهة نظر الموت؛ فهو ينتزع معناه حتى من إدراكي، من أفكاري، من رغباتي الطارئة؛ فكل هذا هو في الحقيقة انتظار. أكثر تمثُّلاتي المؤقتة إنني كنت موجودًا. كل حاضر يُعوِّل على المعبر المؤدّي إلى الماضي ليجد عزاءه.

***

لا يمكن أن نمسك بالموت جيِّدًا إلا بالنظر إليه من خلال الحياة، في كل لحظة من هذه الحياة كما في التجمعات الحيوية والعاطفية، وليس فقط في اللحظة التي يظهر فيها كحدث زمني. فهم رائع لـ «هايدجر». لكن الموت ليس احتمالا من احتمالاتي: إنه الانهيار القادم من خارج كل إمكانيّاتي، بما فيها تلك التي كنت عليها. هذا الانهيار يستمر دائما، إنه الفراغ العميق الذي في قلب كل إمكانياتي، إنه حضور الخارج في أبعد أعماقي. إنه اللا- أنا فيَّ أنا، أو، إن أردنا، إسقاطٌ لإحاطة العالم بي في قلبي أنا نفسي. إنّه يعد لنا إن لم نأخذ حذرنا ضده. وهذا الحذر يستوجب أن نحدّد أنفسنا في كل لحظة بشكل يقضي أن حياتنا إنْ توقفت هنا، فستمثّل وقتها كُليَّة مصحوبة بنهاية. يتعلَّق الأمر هنا بتحديد وجودي طبعا.


ISBN:978-603-91551-9-5
9 786039 155195

WWW.PAGE-7.COM